

# كَلِمَاتُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمَةِ

مِنْ كِتَابِ  
الْأَسْرِ النَّفَاسِ  
لِلْجَزَائِرِيِّ

مَجْمُوعَةٌ مَرْتَبَةٌ  
أَبِي ذَرِّ الْقَامُونِي

« وَيَقُومُوا لَاسْئَلَكُمْ عَلَيْهِ مَا لَأَ »

« إِنَّ أَجْرِي لِأَعْلَى اللَّهِ »

هود: ٢٩

تَحْقِيقُ  
الْقَائِمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَاتُكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

مِنْ كِتَابِ  
السِّرِّ النَّفَاسِيِّ  
لِلْجَزَائِرِيِّ

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٣٣١٦/٢٠٠٩

جمهورية مصر العربية  
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر  
القاهرة

تليفون: ٠٢٠٢٥١٤٣١٤١

تليفاكس: ٠٢٠٢٥١١١٧٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دار البحوث  
للطباعة والنشر والتوزيع  
القاهرة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

[القمر: ١٧] <sup>(١)</sup>.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ أي: فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه؟ وقال القرطبي: فهل من منزجر عن المعاصي؟ وروى ابن أبي حاتم عن مطر الوراق في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ هل من طالب علم فيعان عليه؟

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُونُ ؕ إِلَّا وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ءَانِسَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١١﴾﴾، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٨٥﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَافَةِ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٤﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٨﴾﴾، ﴿رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١٢﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِنِطْلٍ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ ۚ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١١٤﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢٢﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨١﴾﴾، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وَتَجْنِبْ رَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١٤١﴾﴾، ﴿رَبَّنَا ءَايِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا ﴿١﴾ ، ﴿رَبَّنَا أَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٦﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ  
 إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ  
 إِمَامًا ﴿١٤﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ  
 ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ  
 ﴿٩﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ  
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا لِقَاءَ رَبِّنَا إِنَّكَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ ، ﴿رَبَّنَا أَنْعِمْنَا لَنَا نُورًا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ .

يا رب: أدعوك وأنا العبد الذليل، وأنت الرب العزيز، يا رب: أسألك من فضلك ورحمتك لي ولكل المسلمين، فإنه لا يملكها إلا أنت. اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيرًا لنا، وتوفنا ما علمت الوفاة خيرًا لنا، اللهم ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الإخلاص في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيمًا لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بالقضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت، ونسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم اغفر لنا وارحمنا وعافنا وارزقنا. اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك، بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، وجلاء أحراننا، وذهاب همومنا وغمومنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن أهلك وخاصتك. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم إنا نسألك الخير كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونيبك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ونيبك محمد ﷺ، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيتنا لنا خيرًا. آمين، وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.



## رجاء

أرجو الله الالتزام بنهج كتبي كلها، والدقة عند طباعتها، فقد أضاف البعض إلى عنوان كتاب «ففرؤا إلى الله». وهو «ففرؤا إلى الله» أضاف ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْ نَّذِيرٍ مُّبِينٌ﴾ ، وأضاف البعض الآخر إلى قوله تعالى: ﴿إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ أضاف جملة أخرى ليست من كتاب الله ولا من سنة رسوله ﷺ ، ونقل البعض الهدف من الكتاب ووضعها في أول صفحة، وأدخل عبارة (من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) أدخلها داخل الكتاب في الهامش، وكتب البعض على الكتاب (حقوق الطبع محفوظة) والكتاب مكتوب عليه العبارة السابقة (من أراد أن يطبعه...) وقام البعض بجمعه مرة أخرى -جزاه الله خيرا- ولكن مع وقوع أخطاء كثيرة، وجزى الله خيرا كل تاجر يسر على الناس وصول الكتب الشرعية إليهم ورفق بهم.



## خير فاتحة في التفسير مقدمة تفسير ابن كثير

قال الشيخ الحافظ (عماد الدين أبو الضياء إسماعيل بن كثير) رحمه الله تعالى ورضي عنه:

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾. وافتتح خلقه بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿٢﴾﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ذكر مآل الجنة وأهل النار: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾. فله الحمد في الأولى والآخرة، أي: في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، ولهذا يلهم أهل الجنة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾﴾. والحمد لله الذي أرسل رسوله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿١٠١﴾﴾ وختمهم بالنبي الأمي، العربي المكي، الهادي لأوضح السبل، أرسله لجميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّابِعَهَا أَتَى النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴿١٠٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿لَا نُنذِرُكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ ﴿١٠٣﴾﴾ وقال رسول الله ﷺ: «بعثت إلى الأحمر والأسود» فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقليين: الإنس والجن، مبلغًا عن الله ﷻ ما أوحاه إليه من الكتاب العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿١٠٤﴾﴾.

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ فدم الله أهل الكتاب بإعراضهم عن كتاب الله، وإقبالهم على الدنيا وجمعها.

فعلينا أن نتبهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهمه قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴿١٠٩﴾﴾ الآية.

ففي ذكره تعالى لهذه الآية تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يحيي القلوب بالإيمان، ويلينها بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المستول أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكانٍ فإنه قد فسر في موضع آخر.

فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦).

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»<sup>(١)</sup>. يعني: السنة المطهرة.

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن من القرآن، فإن لم تجده فمن السنة، وإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رج منا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماءهم وكبرائهم كالخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود، فقد قال ابن مسعود: «والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

ومنهم عبد الله بن عباس الحبرُ البجرُ، ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن بركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».

وقد قال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس».

وقد مات ابن مسعود رضي الله عنه في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّرَ بعده ابن عباس ستاً

وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟

ولهذا غالب ما يرويه السُّدِّيُّ الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس. ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

(١) هذا جزء من حديث أخرجه أبو داود عن المقدم بن معديكرب.

(٢) رواه ابن جرير الطبري عن مسروق عن عبد الله بن مسعود.

(٣) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجاوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

## فصل

إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين ك (مجاهد بن جبير) فإنه كان آية في التفسير فقد قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»، ولهذا قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. وك (سعيد بن جبير) و (عكرمة مولى ابن عباس) و (عطاء بن أبي رباح) و (الحسن البصري) و (مسروق بن الأجدع) و (سعيد بن المسيب) و (قتادة) و (الضحاك) وغيرهم من التابعين ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ، حسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً، وليس كذلك فليفتن اللبيب لذلك، والله الهادي.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن برأيه، أو بما لا يعلم، فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup>. ولقوله ﷺ: «من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ»<sup>(٢)</sup>. أي لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

وروى أنس عن عمر بن الخطاب أنه قرأ على المنبر ﴿وَفَكَهَأَ أَبَا﴾ فقال: هذه الفاكة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وروى ابن جرير بسنده عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، وعن هشام بن عروة قال: ما سمعتُ أبي يؤول آية من كتاب الله قط، وسأل محمد بن سيرين (عبيدة السلماني) عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في

(١) رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

التفسير بما لا علم لهم فيه، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ لِلنَّاسِ وَالآلِئَاتِ كَتْمُونٌ﴾ \* ولما جاء في الحديث الشريف: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة [صحيح - انظر صحيح الجامع].

## مقدمة مفيدة

## تذکر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة

قال أبو بكر بن الأنباري: نزل في المدينة من القرآن (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وعشر من التحريم، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله) هؤلاء السور نزلت في المدينة وسائر السور بمكة. انتهى من تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى.

طريقة بحث كتاب «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» والذي قد استمد منه كتاب «كلمات القرآن الكريم»، كما جاء على لسان الشيخ الجليل / أبي بكر جابر الجزائري.

هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي:

- ١- الوساطية بين الاختصار المخل، والتطويل الممل.
- ٢- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات.
- ٣- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية<sup>(١)</sup>.

- (١) الأئمة الأربعة على جلالة قدرهم رحمهم الله جميعاً يرون وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آرائهم المخالفة له.
- ١- الإمام أبو حنيفة: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» ابن عابدين في الحاشية، «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه» ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء».
- ٢- الإمام مالك بن أنس: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ» ابن عبد البر في «الجامع» وأورده تقي الدين السبكي في «الفتاوى» من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ثم قال: «وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منهما مالك ﷺ واشتهرت عنه»، قال أحد العلماء المحققين: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في مسائل الإمام أحمد: سمعت أحمد يقول: «ليس أحد...».
- ٣- الإمام الشافعي: «إذا صح الحديث فهو مذهبي». النووي في «المجموع» وابن القيم في «إعلام الموقعين». «كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي» الهروي ١/٤٧ و١/٤٧ في «إعلام الموقعين» ٢/٣٦٣.
- ٤- الإمام أحمد: «لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذوا من حيث أخذوا» الفلاني، وابن القيم في «إعلام الموقعين».

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمته الله كما في تعليقه على «إيقاظ الهمم» ما يلي: فالواجب على كل من بلغه أمر رسول الله ﷺ وعرفه أن يبينه للناس ويوضح لهم ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدى به من رأي أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم على كل مخالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد لا بغضاً له، بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر

- ٤- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها. إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».
- ٥- إغفال الخلافات التفسيرية.
- ٦- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا أخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.
- ٧- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية.
- ٨- عدم التعرض للقراءات إلا نادراً جداً للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصر على الصحيح والحسن منها دون غيرهما، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادراً.
- ٩- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح. حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جلييلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم.
- ١٠- التزمت في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقاً وعملاً لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وقضاء وحكماً، فلذا أخليت من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن، أو يصرف عن العمل إلى القول والجدل<sup>(١)</sup>.

غيره، فأمر الرسول أولى أن يقدم ويتبع، ولا يمنع ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ﷺ بخلافه.

قلت: أنا أبو ذر القلموني أعود بالله من هذه الكلمة مادحاً، ما حملني على كتابة هذا التعليق إلا حبي للأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ولأهل الحديث أثناهم الله تعالى، فلا ينبغي أن ينكر جهد هؤلاء وفضل أولئك، وإن مثل أهل الحديث بعد الأئمة الأربعة، والأئمة الأربعة - ولا تزكي على الله أحداً - كمثل الهدهد عندما قال لسليمان عليه السلام: ﴿أَحْطُتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾، ومع ذلك فإن الهدهد هو الهدهد وسليمان هو سليمان، غير أن المسلم ينبغي له أن يتعصب للحق بغض النظر عن من هو قائله لأن في هذا سلامة القلب. قال ابن القيم رحمه الله كما في «زاد المعاد» (ج ٢/ ٤٧١) فصل في ألفاظ كان ﷺ يكره أن تقال: (ومنها: الدعاء بدعوى الجاهلية، والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلى القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها على بعض بالهوى والعصبية، وكونه متسبباً إليه، فيدعو إلى ذلك، ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية).

لم أرجع إلى مصادر هذه الأقوال مباشرة وإنما أخذت هذه المقتطفات من أقوال الأئمة الأربعة، وقول ابن رجب الحنبلي من كتاب لأحد علماء الحديث أثناه الله تعالى.

(١) قال الشيخ الجزائري في هامش ص ٨ ج ١: تنبيه: مراجع هذا التفسير أربعة وهي: جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجلالين المحلي والسيوطي، تفسير المراغي، تيسير الكريم الرحمن لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمهم الله أجمعين. وقد كنت سأضع أسماء هذه المصادر على الغلاف لكنني قد التزمت بطريقة الأصل.

## طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير»:

أسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجهه خالصة ولا يجعل لأحد فيها شيئاً. يرجع الفضل في جمع هذا الكتاب لله وحده، ثم لمحبتني في الله الشيخ أبا بكر الجزائري، فلقد رأيت في الرؤيا يصعد سلمًا أمام قبر النبي ﷺ معتمًا - أثابه الله - بعمامة بيضاء تصل ذؤابتها قريبًا من نصف ظهره وقد علاه الوقار، ثم ذهبت إلى الروضة بمسجد النبي ﷺ إلى آخر الرؤيا. ومن المعلوم عند علماء تأويل الأحلام أن الارتفاع في الرؤيا عن الأرض رفعة عند الله تعالى فازداد حبي لهذا الرجل، كما ازداد عند قراءتي من قبل لكتابه القيم «منهاج المسلم». فما أن ظهر كتاب «أيسر التفاسير» له أثابه الله تعالى إلا وقرأته بفضل الله تعالى في فترة يسيرة للغاية (يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك) ولكني رأيت أن الكتاب مازال حجمه كبيرًا يحتوي على أربعة مجلدات<sup>(١)</sup>، كل مجلد منها يحتوي على سبعمئة صفحة أو يزيد، فرأيت أن الكتاب بهذه الصورة يعد سيرًا بالنسبة لأهل العلم ولكنه غير ذلك بالنسبة لعامة المسلمين، وكانت طريقته - أثابه الله تعالى - في تأليف الكتاب: أنه يأتي ببيان معاني الكلمات أولاً، ثم يأتي بعد ذلك ببيان معنى الآيات، ثم يتكلم في النهاية عن هداية الآيات، فقامت باستخارة الله تعالى، واكتفيت بأخذ معاني الكلمات والتي يسميها أثابه الله: شرح الكلمات، وأضفت إليها القرآن كاملاً، وكنت في البداية سأكتفي بذكر معاني الكلمات مجردة ولكني رأيت أن ذلك سيكون سيرًا على حملة القرآن شاقًا على غيرهم فتم ما اختاره الله تعالى، وهي طريقة جديدة تعين على فهم كتاب الله تعالى في أقل وقت ممكن خاصة وأن من علامات الساعة نزع البركة من الوقت. وكنت أحيانًا أضيف بعض المعاني والهوامش من معنى الآيات<sup>(٢)</sup> عند الضرورة وذلك في إطار ضيق.

وأحيانًا كنت أقوم بإيراد بعض التعليقات من تفسير ابن كثير إتمامًا للفائدة وإن كان تفسير ابن كثير يكاد يكون قريبًا من تفسير ابن جرير رحمهما الله تعالى.

هذا وإني لم أرسل إلى الشيخ الجزائري - أثابه الله تعالى - لاستثذانه في عملي هذا؛ لأنني قد أخذت الإذن من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآئِنَ آجَرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ ففي كل كتبي التي قد سبقت هذا الكتاب كتبت عليها تلك الآية السابقة، وأيضًا قد كتبت عليها (هذا الكتاب من أراد أن يطبعه فليطبعه دون إذن وليتق الله فيه) وإني على يقين - إن شاء الله تعالى - أنه سيسر بهذا العمل بمجرد قراءة فضيلته له وإن قلوبنا ستلتقي كما التقت أرواحنا، فما خرج من القلب وصل

(١) بعد صدور الكتاب ظهرت الطبعة الجديدة ذات المجلدات الخمس، وقد روعيت في هذه الطبعة المنقحة بفضل

إلى القلب وما خرج من اللسان لم يجاوز الأذان<sup>(١)</sup>.

وقد قمت بتقسيم الكتاب إلى سبعة أبواب كل باب منها يمثل حزباً من أحزاب القرآن السبعة مثلما فعلت في كتابنا «عون الرحمن في حفظ القرآن»، إحياء لسنة قد هجرت - إلا ما رحم الله - قد أشار إليها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في مقدمة تفسير سورة «ق» بقوله: «هذه السورة هي أول المفصل على الصحيح، وقيل من الحجرات، والدليل على ذلك ما رواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال: قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ فقالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده (بيانه: ثلاث: البقرة وآل عمران والنساء، وخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة، وسبع...) انتهى».

الهدف من وراء هذا الكتاب:

أن يتقبله الله تعالى صدقة جارية لكل مسلم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، وأن يجنبنا الله تعالى هجر القرآن خاصة هجر التفسير، فهناك هجر التلاوة وهجر التفسير وهجر العمل... قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ سائلاً به الله ﷻ أن يجعلنا من عباد الرحمن الذين قال في شأنهم سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا ضَمًا وَعُمِيَانًا﴾ ﴿٧٢﴾.

وفي النهاية أقول: إن الكمال لله وحده، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وإنه لو كانت الذنوب تعمي البصر ما استطعت أن تنظر في كلامي. وإنني لا أطمع إلا في رحمته سبحانه، التي لا يملكها إلا هو. وإني أطلب منك الدعاء بظهر الغيب، خصوصاً أن يجعلني الله وإياك وسائر المسلمين من عتقائه من النار، ويا حظ من زحزح عن النار وأدخل الجنة: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّثْرُورٌ﴾ ﴿١٨٥﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



(١) ومن فضل الله تعالى أنه أثناء قيامي بمراجعة الكتاب رأيت الشيخ الجزائري في الرؤيا وهو يعطي درساً بأحد المساجد، وفي أثناء الدرس توقف فضيلته وطلب مني أن أكمل الدرس مكانه، فوقع في ذهني أن أتكلم عن محبة الله تعالى، أخبرني الأخ حامل الكتاب - بعد صدوره - إلى الشيخ الجزائري أنه سُر عند رؤية الكتاب. تنبيه: لم أقحم المخترعات العلمية ضمن هذا الكتاب.

## بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير

التفسير لغة: الشرح والبيان.

واصطلاحًا: شرح كلام الله ليفهم مراده تعالى منه فيطاع في أمره ونهيه، ويؤخذ بهدياته وإرشاده، ويعتبر بقصصه، ويتعظ بمواعظه.

السورة: السورة<sup>(١)</sup> قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر. وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها البقرة وأقصرها «الكوثر».

الفاتحة: فاتحة كل شيء بدايته، وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين. ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن. والسبع المثاني<sup>(٢)</sup>. وأم الكتاب<sup>(٣)</sup>، والصلاة<sup>(٤)</sup>.

مكية: المكي من السور: ما نزل بمكة، والمدني منه ما نزل بالمدينة، والسور المكية غالبها يدور على بيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها، وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالى في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ، وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة، والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

الآيات: جمع آية وهي لغة: العلامة. وفي القرآن: جملة من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالاتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه، وعلى نبوة محمد ﷺ ورسالته، وآيات القرآن الكريم ستة آلاف ومائتا آية وزيادة<sup>(٥)</sup>. وآيات الفاتحة سبع<sup>(٦)</sup> بدون البسملة.



(١) لفظ السورة مشتق إما من سورة البلد لارتفاعها وعلو شأنها، أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالى أي قطعة منه، وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولى.

ويشهد لذلك قول الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تثنى أي تكرر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لاشتغالها على أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبي ما سأل فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره.

(٥) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلى أربعين آية على خلاف بين القراء.

(٦) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة

ليست آية، فالآية السابعة هي: ﴿عَبْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْحَابِ﴾ ويكون ﴿مِرْطَ الَّذِينَ أَمْسَتْ عَلَيْهِمُ﴾ الآية السادسة.

## الاستعاذة (١)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

الاستعاذة: قول العبد: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

أَعُوذُ: أستجير وأتحصن.

يَاللَّهِ: برب كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين.

مِنَ الشَّيْطَانِ: إبليس لعنه الله.

الرَّجِيمِ: المرموم المبعد المطرود من كل رحمة وخير.



## البسمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

البسمة: قول العبد: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

بِسْمِ: الاسم: لفظ جُعل علامة على مسمى يعرف به ويتميز عن غيره.

اللَّهِ: اسم علم على ذات الرب تبارك وتعالى يُعرف به.

الرَّحْمَنِ: اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرة الرحمة.

الرَّحِيمِ: اسم وصفة لله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرة الرحمة وإفاضتها على الخلائق (٢).



(١) العياذ بالله تعالى يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللياذ بالله تعالى يكون لطلب المحبوب. يشهد لهذا قول الشاعر:

يا من السود به فيما أومله      ومن أعوذ به ممن أحاذره  
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره      ولا يهضون عظمًا أنت جابره

(٢) معنى البسمة:

أبتدى قراءتي متبركًا بسم الله الرحمن الرحيم مستعينًا به بِسْمِ اللَّهِ.

ويقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارئ يقول: أبتدى قراءتي، والكاتب يقول: أبتدى كتابتي، والأكل يقول: أبتدى أكلي وهكذا.

## ١ - سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ: الوصف بالجميل، والشاء به على المحمود ذي الفضائل والفضائل<sup>(١)</sup>. كالممدح والشكر<sup>(٢)</sup>.

لَهُ: اللام حرف جر ومعناه الاستحقاق أي: أن الله مستحق لجميع المحامد، والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى.

رَبِّ: الرب: السيد المالك المصلح المعبود بحق ﷻ.

الْقَلَمِيبِ: جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وعالم الحيوان.  
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

مَلِكٍ: المالك: صاحب الملك المتصرف كيف شاء.

مَلِكٍ<sup>(٣)</sup>: الملك ذو السلطان الأمر الناهي المعطي المانع بلا ممانع ولا منازع.

يَوْمِ الدِّينِ: يوم الجزاء وهو يوم القيامة حيث يجزي الله كل نفس بما كسبت.

إِيَّاكَ: ضمير نصب يخاطب به الواحد.

تَعَبُدُ<sup>(٤)</sup>: نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب ﴿وَإِيَّاكَ﴾.

نَسْتَعِينُ: نطلب عونك لنا على طاعتك، وعلى كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه.

أَهْدِنَا: أرشدنا وأدم هدايتنا.

الصِّرَاطِ: الطريق الموصل إلى رضاك وجنتك وهو الإسلام لك.

الْمُسْتَقِيمِ: الذي لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى.

صِرَاطِ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: هم النبيون والصدقيون والشهداء والصالحون، وكل من أنعم الله عليهم.

بالإيمان به تعالى ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

عَبَّرَ: لفظ يستثنى به كإلّا.

(١) الفواضل: النعم.

(٢) الشكر: الثناء باللسان على المنعم بما أولى من النعم فهو أخص من الحمد موردًا وأعم متعلقًا.

(٣) قرأ حفص ﴿مَلِكٍ﴾ باسم الفاعل وقرأ نافع (ملك) بدون ألف وهما قراءةان سبعيتان.

(٤) العدول عن نعبدك ونستعينك إلى ﴿إِيَّاكَ تَعَبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لإفادة الاختصاص والحصص.

الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ: من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وإفسادهم في الأرض كاليهود.  
وَلَا الضَّالِّينَ<sup>(١)</sup>: من أخطئوا طريق الحق فعبدوا الله بما لم يشره كالنصارى.

تنبيه أول: كلمة آمين ليست من الفاتحة ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم والمنفرد كذلك؛ لقول الرسول ﷺ: «إذا أمن الإمام فأمنوا»<sup>(٢)</sup> أي: قولوا آمين بمعنى اللهم استجب دعاءنا.

تنبيه ثان: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة، أما المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك، وأما المأموم فإن الجمهور من الفقهاء على أنه يسن له قراءتها في السرية دون الجهرية لحديث: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة»<sup>(٣)</sup>، ويكون مخصصاً لعموم حديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»<sup>(٤)</sup>.



(١) الضلال هو الانحراف والبعد عن الهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ، والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه عز وجل بما لم يشره قرينة، ولا ينجو من هذا الضلال إلا من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) حسن (م-هـ) عن جابر (انظر صحيح الجامع) (قل).

(٤) متفق عليه (انظر صحيح الجامع) (قل).

الباب الأول  
سورة البقرة



## ٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ

«مَدَنِيَّةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرّ: هذه هي الحروف المقطعة تكتب ﴿المرّ﴾. وتقرأ هكذا: ألف لام ميم. والسور المفتوحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها «البقرة» هذه وآخرها «القلم» (ن)، ومنها الأحاديث مثل ﴿ص﴾، و﴿ق﴾، و﴿ن﴾، ومنها الثنائية مثل ﴿طه﴾، و﴿يس﴾، و﴿حمر﴾، ومنها الثلاثية والرابعة والخماسية. ولم يثبت في تفسيرها عن النبي ﷺ شيء. وكونها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه أقرب إلى الصواب، ولذا يقال فيها: ﴿المرّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين: الأولى: أنه لما كان المشركون يمنعون سماع<sup>(١)</sup> القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف (حم، طس، ق، كهيعص) وهو منطوق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفى بهذه الفائدة من فائدة. والثانية: لما أنكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدي لهم كأنها تقول لهم: إن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا أنتم مثله. ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالباً نحو: ﴿المرّ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ﴿١﴾، ﴿المرّ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ ﴿٢﴾، كأنها تقول: إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به فتلحوا.

ذَلِكَ: هذا وإنما عدل عن لفظ هذا إلى ذلك. لما تفيد الإشارة بلام البعد من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

الْكِتَابِ: القرآن الكريم الذي يقرؤه رسول الله ﷺ على الناس.

لَا رَيْبَ فِيهِ: لا شك في أنه وحى الله وكلامه أوحاه إلى رسوله.

فِيهِ هُدًى: دلالة على الطريق الموصل إلى السعادة والكمال في الدارين.

لِلْمُتَّقِينَ: المتقين عذاب الله بطاعته بفعل أو امره واجتناب نواهي.

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ: يصدقون تصديقاً جازماً بكل ما هو غيب لا يدرك بالحواس كالرب تبارك

وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: يديمون أداء الصلوات الخمس في أوقاتها مع مراعاة شرائطها وأركانها وسننها

ونوافلها الراتبه وغيرها.

(١) دليله قوله تعالى من سورة فصلت: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ: من بعض ما آتاهم من مال ينفقون وذلك بإخراجهم لزكاة أموالهم وبيانفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم والديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ: يصدقون بالوحي الذي أنزل إليك أيها الرسول وهو الكتاب والسنة. وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ: ويصدقون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل قبلك كالطورا والإنجيل والزبور.

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ: وبالحياء في الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون في شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ: الإشارة إلى أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار عنهم بأنهم بما هداهم الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال هم متمكنون من الاستقامة على منهج الله المفضي إلى الفلاح.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ: الإشارة إلى أصحاب الهداية الكاملة والإخبار عنهم بأنهم هم المفلحون الجديرون بالفوز الذي هو دخول الجنة بعد النجاة من النار. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: الكفر لغة: التغطية والجحود، وشرعاً: التكذيب بالله وبما جاءت به رسله عنه كلاً أو بعضاً.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ: بمعنى مستوٍ إنذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم. ءَأَنْذَرْتَهُمْ: الإنذار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد. ﴿أَمْ لَمْ نُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) ﴿١﴾ خَسَمَ اللَّهُ: طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف. حتى لا يعلم ما فيه ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير. ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ حتى لا تفقه ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾: على آذانهم حتى لا تسمع.

وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ: حتى لا تبصر. الغطاء يغشى به ما يراد منع وصول شيء إليه. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ: العذاب، الألم يزيل عذوبة الحياة ولذاتها. وَمِنَ النَّاسِ: من بعض الناس، وهم المنافقون.

مَنْ يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ: صدقنا بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه.

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ: صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة. ﴿وَمَا هُمْ بِيُؤْمِنِينَ﴾ (٨) ﴿٢﴾.

يُخَذِّعُونَ اللَّهَ: بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر. ﴿وَالَّذِينَ ءَأَمَّنُوا﴾.

وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ: إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على

(١) فهو بمعنى مستوٍ أي: استوى إنذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا يؤمنون وإنما من كتبت عليهم الشقوة أزلأ كأي لهب وأبي جهل وعقبة والعاصي والنضر وغيرهم.  
(٢) يدعون الإيمان بأنفسهم، ويغترون الكفر في قلوبهم وهم المنافقون.

المؤمنين.

وَمَا يَشْعُرُونَ : لا يعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم.

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : في قلوبهم شك ونفاق وألم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على

أيديهم.

فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا : شكًا ونفاقًا وألمًا وخوفًا حسب سنة الله في أن السيئة لا تعقب إلا سيئة.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : موجع شديد الوقع على النفس. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا<sup>(١)</sup> : الفساد: الكفر وارتكاب المعاصي فيها.

فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ<sup>(٢)</sup> : الإصلاح في الأرض يكون بالإيمان الصحيح والعمل

الصالح وترك الشرك والمعاصي.

الْأَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ : لا يدرون ولا يعلمون.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ : جمع سفيه خفيف العقل لا يحسن

التصرف والتدبير ﴿الْأَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٣﴾ .

وَإِذَا لَقُوا : اللقاء والملاقاة: المواجهة وجهًا لوجه.

الَّذِينَ ءَامَنُوا : الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم

المؤمنون حقًا. ﴿قَالُوا ءَامِنًا﴾ .

وَإِذَا حَلَوْا : الخلو بالشيء، الانفراد به.

إِلَى شَيْطَانِهِمْ : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان

والمراد بهم هنا رؤسائهم في الشر والفساد.

قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ<sup>(٣)</sup> : الاستهزاء: الاستخفاف والاستسخار بالمرء.

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ : الطغيان مجاوزة الحد في الأمر والإسراف فيه.

يَعْمَهُونَ : العمه للقلب كالعمى للبصر: عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى : استبدلوا بالهدى الضلالة أي تركوا الإيمان وأخذوا

الكفر.

فَمَا رَحِمَتْ خَيْرَتَهُمْ : التجارة دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه، والمنافقون هنا دفعوا رأس

مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزًّا وغنى في الدنيا ففسدوا ولم يربحوا إذ ذلوا

وعذبوا، وافتقروا بكفرهم.

(١) أصل الإفساد: جعل منفعة الشيء مضرّة لإفساد الطعام ونحوه بما يُلْقَى فيه.

(٢) قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ لا ذم فيه وإنما جاء الذم من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون.

(٣) أي: يستهزئون ويسخرون من محمد وأصحابه.

وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ : المهتدي: السالك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريد في أقرب وقت وبلا عناء، والضال خلاف المهتدي وهو السالك سبيلاً غير قاصدة فلا تصل به إلى مراده حتى يهلك قبل الوصول.

مَثَلُهُمْ : صفتهم وحالهم.

كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدُوا نَارًا<sup>(١)</sup> : أوقد ناراً. ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ .

صُمُّ بَيْكُمُ عُنَى : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون. ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٨) أي: لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان.

أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ : الصيب المطر.

فِي ظُلْمَتٍ : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

وَرَعْدٌ : الصوت القاصف يسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر.

وَبَرْقٌ : ما يلعب من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر. ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ حتى

لا يسمعون صوت الصواعق حذراً أن تنخلع قلوبهم فيموتوا.

مِنَ الصَّوَاعِقِ : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل أثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله تعالى بها

من يشاء.

حَدَرَ الْمَوْتِ : توقياً للموت.

وَاللَّهُ مُحِيطٌ : المحيط المكتنف للشيء من جميع جهاته. ﴿بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) .

يَكَادُ الْبَرْقُ : يغرب.

يَخْطَفُ : يأخذه بسرعة.

أَبْصَرَهُمْ : جمع بصر وهو العين المبصرة. ﴿كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠) .

يَأْتِيهَا : يا: حرف نداء للبعيد وينادى بها القريب تعظيماً له، نحو يا الله يا رب، وهو تعالى

أقرب من جبل الوريد.

أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه (أل) نحو أيها الناس.

ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادى.

النَّاسُ : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

أَعْبُدُوا : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب والتعظيم.

(١) عدل عن لفظ: ذهب الله بنارهم. إلى قوله: نورهم إشارة إلى أن الإسلام نور يهدي لا نار تحرق.

رَبِّكُمْ: خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق.  
 الَّذِي خَلَقَكُمْ: أوجدكم من العدم بتقدير عظيم. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ: تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد  
 ترك الشرك والمعاصي. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ﴾.  
 فِرَاشًا: وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها.  
 وَالسَّمَاءَ بِنَاءً: منبئة كقبة فوقكم.  
 وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ: جمع ثمرة وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر  
 وتخرجه الأشجار من فواكه.

رِزْقًا لَكُمْ: قوتًا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلى أجلها.  
 فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا: جمع ند: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب  
 تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿أَنْهَا لَا تَخْلُقُ وَلَا تَرْزُقُ﴾ (١).  
 وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ: الريب: الشك مع اضطراب النفس وقلقها.  
 مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا: محمد ﷺ.

فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ: مثل القرآن ومثل محمد في أميته.  
 وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ: أنصاركم وأهتكم التي تدعون أنها تشهد لكم عند الله وتشفع.  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ: ما تتقد به  
 وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله ﷻ.

أَعِدَّتْ: هيئت وأحضرت.  
 لِلْكَافِرِينَ: الجاحدين لحق الله تعالى في العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه.  
 وَبَشِّرِ: التبشير: الإخبار السار وذلك يكون بالمحجوب للنفس. الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: تجري الأنهار من خلال أشجارها وقصورها،  
 والأنهار هي أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهار الخمر وأنهار العسل. ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا  
 قَالَُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

وَأَتُوا بِهِمْ مُمْتَلِكًا: أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضًا في اللون مختلف في الطعم.  
 وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ: من دم الحيض والنفاس (٢) وسائر المعائب والنقائص.  
 وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ: باقون فيها لا يخرجون منها أبدًا.

(١) صفوة التفاسير.

(٢) وكذا البول والغائط.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ۚ لَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ ﴾<sup>(١)</sup> من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوض أو أصغر منها كجناحها كالذرة.

أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا : أَنْ يَجْعَلَ شَيْئًا مَثَلًا لِأَخْرَجَ يَكْشِفُ عَنْ صِفَتِهِ وَحَالِهِ فِي الْقَبِيحِ أَوْ الْحَسَنِ.  
مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا<sup>(٢)</sup> : (مَا) نَكْرَةٌ بِمَعْنَى شَيْءٍ أَوْ شَيْءٍ كَانَ يَجْعَلُهُ مَثَلًا، أَوْ زَائِدَةً، وَبَعُوضَةٌ الْمَفْعُولُ الثَّانِي. وَبَعُوضَةٌ وَاحِدَةُ الْبَعُوضِ وَهُوَ صَغَارُ الْبَقِ.  
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ .

الْحَقُّ : الْوَاجِبُ الثَّبُوتِ الَّذِي يَحِيلُ الْعَقْلَ عَدَمَ وُجُودِهِ. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ بَاطِلٌ بِهِ ۚ كَثِيرٌ وَأَيُّهُدَىٰ بِهِ ۚ كَثِيرٌ ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> : الْفُسُوقُ الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالْفَاسِقُونَ هُمُ التَّارِكُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَبِتَرْكِ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي.

الَّذِينَ يَفْقَهُونَ : النِّقْضُ الْحُلَّ بَعْدَ الْإِبْرَامِ.

عَهْدَ اللَّهِ : مَا عَاهَدَ بِهِ إِلَى النَّاسِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ لَهُ وَلِرَسُولِهِ.

مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ : مِنْ بَعْدِ إِبْرَامِهِ وَتَوْثِيقِهِ بِالْحَلْفِ أَوْ الْإِشْهَادِ عَلَيْهِ.

وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ : مِنْ إِدَامَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ.

وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ : الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ يَكُونُ بِالْكَفْرِ وَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ : الْكَامِلُونَ فِي الْخَسْرَانِ بَحِيثٍ يَخْسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ : الْاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ مَعَ التَّفْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ لِعَدَمِ وُجُودِ مَقْتَضَى

لِلْكَفْرِ.

وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ<sup>(٤)</sup> : هَذَا بَرَاهَانٌ عَلَىٰ بَطْلَانِ كُفْرِهِمْ، إِذْ كَيْفَ يَكْفُرُ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَهُوَ

الَّذِي خَلَقَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكْ شَيْئًا.

ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ : إِنْ إِمَاتَةَ الْحَيِّ وَإِحْيَاءَ الْمَيِّتِ كِلَاهُمَا دَالٌ عَلَىٰ وُجُودِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ

وَقُدْرَتِهِ.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ : يَرِيدُ بَعْدَ الْحَيَاةِ الثَّانِيَةِ وَهُوَ الْبَعْثُ الْآخِرُ.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا : أَيُّ أَوْجَدَ مَا أَوْجَدَهُ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ كُلِّ ذَلِكَ

لَأَجْلِكُمْ كَمَا تَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي حَيَاتِكُمْ.

ثُمَّ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ : عَلَا وَارْتَفَعَ فَهَرَأَ لَهَا فَكُونَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ.

(١) الحياء: تغير وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب أو يذم، والله يوصف بالحياء على الوجه اللائق به؛

صفحة الحياء عنده تعالى لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه تعالى.

(٢) كالفراشة والجرادة.

فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ : أتم خلقهن سبع سموات تامات.

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ : إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شيء، وتدلليل على قدرته وعلمه ووجوب

عبادته.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ : جمع ملاك ويخفف فيقال ملك وهم خلق من عالم الغيب أخبر

النبي ﷺ أن الله تعالى خلقهم من نور<sup>(١)</sup>.

إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً : الخليفة: من يخلف غيره والمراد به هنا آدم ﷺ.

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا : الإفساد في الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصي<sup>(٢)</sup>.

وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ : يسيل الدماء بالقتل والجراح.

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ : نقول سبحان الله وبحمده، والتسبيح: التنزيه عما لا يليق بالله تعالى.

وَنُقَدِّسُ لَكَ : فننزهاك عما لا يليق بك. والتقديس: التطهير والبعد عما لا ينبغي. واللام في

لَكَ ( لك ) زائدة لتقوية المعنى إذ فعل قدس يتعدى بنفسه فيقال: قدسه. ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٠).

وَعَلَّمَ آدَمَ : نبي الله أبو البشر ﷺ.

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والإنسان.

ثُمَّ عَرَّضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ : عرض المسميات أمامهم، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم،

وإلا لقال عرضها.

فَقَالَ أَنبِيُّيَ : أخبروني.

بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ : المعروفين عليهم من سائر المخلوقات. ﴿ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢١).

قَالُوا سُبْحَانَكَ : تنزيها لك وتقديسا. ﴿ لَا أَعْلَمُ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴾.

الْحَكِيمُ : الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه ولا يفعل ولا يترك إلا لحكمة. ﴿ قَالَ يَتَّخِذُمْ

أَنبِيئَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴾.

إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : ما غاب عن الأنظار في السموات والأرض.

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ : تظهرون من قولهم: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ الآية.

وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ : تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم

طاعته. ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾.

أَسْجُدُوا لِآدَمَ : السجود: هو وضع الجبهة على الأرض، وقد يكون بانحناء الرأس دون

(١) خلق الملائكة من النور صح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم.

(٢) إذ هو سؤال استعمال واستكشاف عن الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض على الله أبدا.

وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع<sup>(١)</sup>.

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أي: أيأسه من كل خير ومسخه شيطاناً.

أَبَى : امتنع ورفض السجود لآدم.

وَأَسْتَكْبَرَ : تعاطف في نفسه فمنعه الاستكبار والحسد من الطاعة بالسجود لآدم.

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ : جمع كافر من كذب بالله تعالى أو كذب بشيء من آياته أو بواحد من رسله أو أنكر طاعته. ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ﴾.

رَعْدًا : العيش الهني الواسع يقال له الرغد. حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا.

هَذِهِ الشَّجَرَةُ : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرماً أو تيناً أو غيرها وما دام الله تعالى

لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ : لأنفسهما بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا<sup>(٢)</sup> : أو قعهما في الزلل، وهو مخالفتهما لنهي الله تعالى لهما عن الأكل

من الشجرة. ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾.

مُسْتَقَرٌّ : المستقر: مكان الاستقرار والإقامة.

وَمَنْعَ إِلْحَاقِ : الحين الوقت مطلقاً قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ : أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة.

كَلِمَاتٍ : هي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّا تَعْفُرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف: ٢٣].

فَنَابَ عَلَيْهِ : وفقه للتوبة فتاب وقبل توبته، لأنه تعالى تواب رحيم. ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا : انزلوا من الجنة إلى الأرض لتعيشوا فيها متعادين<sup>(٣)</sup>. ﴾

(١) وهو هنا سجد تحية وإكرام وقد ذكر القرطبي في تفسيره: أن السجود الذي أمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة لله والاستقبال للمقام. وقد أجمع أهل الإسلام قاطبة أن السجود لا يكون إلا لله تعالى.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ يصح أن يكون الضمير في قوله ﴿ عَنْهَا ﴾ عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام فأزلهما أي ففاحهما، ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين وهو الشجرة فيكون معنى الكلام ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أي: من قبل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ أي بسببها، كما قال تعالى: ﴿ بُوْءَكَ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴾ أي يصرف بسبه من هو مأفوك، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ أي من اللباس والمنزلة والرحب والرزق الهنيء. الراحة. اهـ (قل).

(٣) أي: إبليس وذريته، وآدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكنٍ منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالى وكانت

فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي جَاءْتُكُمْ بِالْبُرْهَانِ وَالْحَقِّ وَالْهُدَىٰ: إن يجتكم من ربكم هدى: شرع ضمنه كتاب وبينه رسول. فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ: أخذ بشرعي فلم يخالفه ولم يحد عنه. فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ: جواب شرط فمن تبع هداي، ومعناه اتباع الهدى يفضي بالبعد إلى أن لا يخاف ولا يحزن لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: كفروا: جحدوا شرع الله، وكذبوا رسوله. أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ: أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها. يَسْبِقِ إِسْرَائِيلَ: إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وبنوه هم اليهود لأنهم يعودون في أصولهم إلى أولاد يعقوب الاثني عشر<sup>(١)</sup>.

أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ: النعمة هنا اسم جنس بمعنى النعم، ونعم الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة ستمر أفرادها في الآيات القرآنية الآتية<sup>(٢)</sup>.

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي: الوفاء بالعهد إتمامه وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به. أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ: أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها. وَإِنِّي فَازَهُوِينَ: اخشوني ولا تخشوا غيري.

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ: القرآن الكريم. مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ<sup>(٣)</sup>. وَلَا تَشْرِكُوا بِيَأْتِي: لا تتعاضوا عن بيان الحق في أمر محمد صلى الله عليه وسلم. ثَمَنًا قَلِيلًا: متاع الحياة الدنيا.

وَإِنِّي فَاقْتُونُ: واتقون وحدي في كتمانكم الحق وجحدكم نبوة نبي محمد أن أنزل بكم نعمتي. وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ: أي لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به، وذلك قولهم: محمد نبي ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بني إسرائيل. ﴿وَتَكُونُوا أَلْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (٤١) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ ﴿﴾.

الرَّكْعَيْنِ: الركوع الشرعي: انحناء الظهر في امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين والمراد هنا: الخضوع لله والإسلام له صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

العداوة على أشدها.

(١) هم يوسف عليه السلام وإخوته يهوذا، وبنيامين وغيرهما.

(٢) منها إنجاؤهم من فرعون، وتحررهم من سلطانه، ومنها إهلاك عدوهم، وإنزال المن والسلوى عليهم.

(٣) لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني إسرائيل، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم، فأول كافر به؛ أي: منهم، وهو اليهود.

(٤) وجائز أن يُراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه؛ إذ الخطاب لليهود المدينة بصورة خاصة، ولا

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا الإيمان بمحمد ﷺ والدخول في الإسلام.

وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ : النسيان: مقابل الذكر، وهو هنا الترك.  
وَأَنْتُمْ تَنْتَلُونَ الْكِتَابَ : قراءته، والكتاب هنا التوراة التي بأيدي اليهود.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ : العقل: قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد.  
وَأَسْتَعِينُوا : الاستعانة: طلب العون للقدره على القول والعمل. ﴿بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ .  
بِالصَّبْرِ : حبس النفس على ما تكره. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ : الخشوع: حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه (١) .

الَّذِينَ يَظُنُّونَ : يوقنون (يطلق الظن ويراد به اليقين، لا الظن المقابل للشك أفاده ابن جرير في تفسيره).

أَنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ : بالموت.  
وَأَنَّهُم بِالْيَوْمِ يُرْجَعُونَ : أي يوم القيامة. ﴿يَبْنِي إِسْرَاءَ بِلْ أذْكَرُوا نَعْمَى الْبِئِ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ .  
وَأَنِّي مَخَصَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢) : آتاهم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك في عهد موسى ﷺ وفي أزمنة صلاحهم واستقامتهم.  
وَأَتَّقُوا يَوْمًا : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به، واتقاؤه هو اتقاء ما يقع فيه من الأحوال والعذاب، وذلك بالإيمان والعمل الصالح (٣) .

لَا تَجْرَى نَفْسٌ : لا تغني نفس عن نفس أخرى أي غنى. ما دامت كافرة. ﴿عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ .  
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ : هذه النفس الكافرة إذ هي التي لا ينفعها شفاعة الشافعين (٤) .  
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ : على فرض أنها تقدمت بعدل وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها.

منافاة بين ما شرحت به الآية، وبين ما ذكر هنا تعليقاً، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة. وفي اللغة دليل تأكيد صلاة الجماعة.

(١) الجمهور على تفسير الضمير في ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ بالصلاة وخالفهم في ذلك لوجود من قال: إنها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة. اهـ. والحق ما ذهب إليه الجمهور (قل) .

(٢) المراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

(٣) وترك الشرك، والمعاصي.

(٤) الشفاعة: ضم جاء إلى جاء ليحصل النفع للمشفوع.

ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين اثنين: الأول: أن يخون الشافع قد أذن الله تعالى له في الشفاعة، والثاني: أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو مؤمن الموحد.

وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ : بدفع العذاب عنهم.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ<sup>٤</sup> : إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيناكم، اذكروا إذ فرقنا بكم البحر... إلخ الخلاص من الهلكة، كالخلاص من الغرق. والخلاص من العذاب. مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ : أتباع فرعون<sup>(١)</sup>. وفرعون ملك مصر على عهد موسى ﷺ. يَسْؤُمُونَكُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ : ييغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه. ﴿يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَ كُفٍّ﴾.

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُفٍّ : يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا.

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ : ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق.

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ : صيرناه فرقتين، وما بينهما ييس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا والبحر هو بحر القلزم (الأحمر). ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿

ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ : عجل من ذهب صاغه لهم السامري ودعاهم إلى عبادته فعبده أكثرهم، وذلك في غيبة موسى عنهم. ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾. لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : الشكر: إظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته. ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ : الكتاب: التوراة، والفرقان: المعجزات التي فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل<sup>(٢)</sup>.

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ : إلى معرفة الحق في كل شئونكم من أمور الدين والدنيا. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوُّوا إِلَيْكُمْ﴾.

ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ : ظلم النفس: تدسيثها بسيئة الجريمة.

بِأَخْذِكُمُ الْعِجْلَ : بجعلكم العجل الذي صاغه السامري من حلي نساءكم إليها عبدتموه.

فَتَوَّأُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ : البارئ: الخالق ﷻ.

فَأَقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ : أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وجعل ذلك توبتهم ففعلوا ذلك؛ فتاب عليهم بقبول توبتهم. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٦)</sup> وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴿

(١) ممن هم على دين الباطل، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أبعاد.

(٢) الفرقان: لفظ عام يطلق على كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

حَقِّقْ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً : نراه عيانًا .

فَأَخَذَتْكُمْ الصَّيْقَةُ : نار محرقة كالتي تكون مع السحب والأمطار والرعود. ﴿وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾  
ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ : أحييناكم. ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ .

وَوَدَّعْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ : سحب رقيق أبيض .

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى : المن : مادة لزجة حلوة كالعسل، والسلوى : طائر يقال له السمانى .

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ : الطيبات : الحلال. ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ .  
وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ : مدينة القدس. ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ .

رَغَدًا : عيشًا واسعًا هنيئًا. وَادْخُلُوا الْبَابَ .

سُجَّدًا : ركعًا متطامنين لله خاضعين شكرًا لله على نجاتهم من التيه .

وَقُولُوا حِطَّةً : حطة كفعلة مثل ردة، وحدة من رددت وحددت، أمرهم أن يقولوا حطة بمعنى احطط

عنا خطايانا، ورفع (حِطَّةً) على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دخولنا الباب سجدًا حطةً لذوننا .

نَعْفِرْ لَكُمْ : نمنح ونستر .

حَطَّيْتُكُمْ : الخطايا جمع خطيئة: الذنب يقترفه العبد. ﴿وَسَارِعِذُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ : غيروا القول الذي قيل لهم قولوه وهو حطة

فقالوا: حبة في شعيرة .

فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ : وباء الطاعون. ﴿يَمَا كَانُوا﴾ .

يَفْسُقُونَ : يخرجون عن طاعة الله ورسله إليهم .

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ : طلب لهم من الله تعالى السقيا أي الماء للشرب وغيره.﴾ ﴿فَقُلْنَا

أَضْرِبْ﴾ .

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ : عصا موسى التي كانت معه منذ خرج من بلاد مدين . والحجر هو حجر

مربع الشكل من نوع الكذبان، رخو كالمدر. وهل هو الذي فر بثوب موسى في حادثة معروفة<sup>(١)</sup>

كذا قيل أو هو حجر من سائر الأحجار<sup>(٢)</sup> ؟ الله أعلم .

فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهَا اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا : الانفجار: الانشقاق. فانفجرت: انشقت من العصا العيون .

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ .

مَشْرَبُهُمْ : موضع شربهم. ﴿كُلُواوَأَشْرَبُوا﴾ .

مِنْ رِزْقِ اللَّهِ : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذية .

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ ، من سورة الأحزاب الآية ٦٩ (قل) .

(٢) كون (أل) في (الْحَجَرِ) لبيان الجنس وأن أي حجر يضربه موسى يتفجر منه الماء أظهر في المعجزة وأدل على قدرة الله تعالى .

وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ: العنى والعثي: أكبر الفساد وفعله عثى كرضي يعثى كيرضى وعثا يعثو كعدا يعدو.

الإفساد: العمل بغير طاعة الله ورسوله في كل مجالات الحياة. ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجَدِ قَادِحٌ لَّنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ﴾.

بَقْلِهَآ: البقل: وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها. وَقَشَائِهَآ: القشاء: الخيار والقثّة ونحوهما.

وَقُوبِهَآ: القوم: الحنطة وقيل الثوم لذكر البصل بعده. ﴿وَعَدَسِهَآ وَبَصَلِهَآ﴾.

قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ: الاستبدال: ترك شيء وأخذ آخر بدلاً عنه.

الَّذِي هُوَ آذَنٌ: أقل صلاحًا وخيرية ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالقوم والبقل. ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

أَهْبَطُوا مِصْرًا: مدينة من المدن قيل لهم هذا وهم في التيه كالتعجيز لهم والتحدي؛ لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فأصيبوا بالتيه وحرّموا خيرات مدينة القدس وفلسطين. ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَأْسًا لَّنتُمْ﴾.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ<sup>(١)</sup>: أحاطت بهم ولازمتهم الذلة وهي الصغار والاحتقار.

وَالْمَسْكَنَةُ: والمسكنة هي الفقر والمهانة.

وَبَاءٌ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ: رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم

وبس ما رجعوا به.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ذلك إشارة إلى ما أصابهم<sup>(٢)</sup>. من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أي بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

الاعتداء: مجاوزة الحق إلى الباطل، والمعروف إلى المنكر والعدل إلى الظلم.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا: هم المسلمون آمنوا بالله ووحده وآمنوا برسوله واتبعوه.

وَالَّذِينَ هَادُوا: هم اليهود سموا يهودًا لقولهم: إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا.

وَالضَّرِيّينَ: الضليبيون سموا نصاريّين إما لأنهم يتناصرون أو لتزول مريم بولدها عيسى قرية

الناصرية، والواحد نصران أو نصراني وهو الشائع على الألسنة.

وَالضَّالِّينَ: أمة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله<sup>(٣)</sup>. ويقرءون الزبور. ليسوا يهودًا ولا

(١) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مُقيدًا بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم.

(٢) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية، ومن قبلهم، ومن يأتي بعدهم، لأن التعليل كان بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، والكل موافق راضي بهذه الجرائم، وعصيانهم واعتداؤهم مُلازم لهم ما فارقهم إلى اليوم.

(٣) ﴿وَالضَّالِّينَ﴾: قرئ بالتخفيف (الصابين) وهي قراءة ورش عن نافع.

نصارى واحدهم صابئ، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله إلا الله صابئ أي: مائل عن دين  
آبائه إلى دين جديد وحد فيه الله تعالى<sup>(١)</sup>. ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ: الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ﴾

الطُّورَ: أي جبل أو هو الجبل الذي ناجى الله تعالى عليه موسى ﷺ. ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾

بِقُوَّةٍ: بجد وحزم وعزم. ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ: رجعتم عما التزمت القيام به من العمل بما في التوراة. ﴿مَنْ بَعَدَ ذَلِكَ فَلَؤَلَا فَضَّلَ  
اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحِمْتُهُ. لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ: تجاوزوا الحد فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه  
فصادوا. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾

كُونُوا قِرَدَةً: القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين في السبت على نحوه.

خَاسِرِينَ: مبعدين عن الخير ذليلين مهانين.

فَعَلْنَاهَا نَكَالًا: عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه.

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا: لما بين يدي العقوبة من الناس، ولمن يأتي بعدهم.

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ: يتعظون بها فلا يقدمون على معاصي الله ﷻ. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾

أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً: قطع الودجين والمارن.

البقرة: واحدة البقر والذكر ثور والأُنثى بقرة.

قَالُوا أَلَننَحْذَرُوهَا؟ الهزؤ: السخرية واللعب. ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ﴾

مِنَ الْجَاهِلِينَ: الجاهل الذي يقول أو يفعل ما لا ينبغي قوله أو فعله<sup>(٣)</sup>. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ

يَبِينْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ﴾

لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْتِكَ: الفارص: المسنة، والبكر الصغيرة التي لم تلد بعد.

(١) قال ابن كثير ﷺ: وأما الصابئون فقد اختلف فيهم... إلى أن قال: وأظهر الأقوال والله أعلم. قول مجاهد ومتابعيه ووهب بن منبه: أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، ولهذا كان المشركون يبنذون من أسلم بالصابئ، أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك، وقال بعض العلماء: الصابئون الذين لم تبلغهم دعوة نبي والله أعلم (قل).

(٢) من فضل الله تعالى عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم، ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلى عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٣) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فأفسد وأساء.

والعوان: النصف وسط بين المسنة والصغيرة. ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ ﴿٦٩﴾

صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا: يقال أصفر فاقع شديد الصفرة كأحمر قانٍ وأبيض ناصع. ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لِنَارِكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالِ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لِذُلُولٍ: الذلول: الرخصة التي زالت صعوبتها فأصبحت سهلة متقادة. تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ: تقلبها بالمحراث فيثور غبارها. بمعنى أنها لم تستعمل في الحرث ولا في سقاية الزرع أي لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.

مُسَلَّمَةٌ: سليمة من العيوب كالعور والعرج.

لَا شَيْءَ فِيهَا: الشية العلامة. أي لا يوجد فيها لون غير لونها من سواد أو بياض. ﴿قَالُوا أَتَقْنَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴿٧١﴾

وَإِذْقَلْتُمْ نَفْسًا: نفس الرجل الذي قتله وارثه استعجالاً للإرث.

فَأَذْرَبْهُ ثُمَّ فِيهَا: تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول: قتلها القبيل الآخر. ﴿وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ: من أمر القاتل سترًا عليه دفعا للعقوبة والفضيحة. ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ﴾

بِبَعْضِهَا: ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلا. ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَتَسَفَّوْنَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿أَفَنظَمُونَ: الهمزة للإنكار الاستبعادي، والطمع تعلق النفس بالشيء رغبة فيه.

أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ: يتابعوكم على دينكم الإسلام. وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ

كَلِمَ اللَّهِ: في كتبه كالتوراة والإنجيل والقرآن<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ يَحْرِفُوهَ: التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه كما قالوا في نعت الرسول

ﷺ في التوراة: أكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه قالوا: طويل أزرق العينين سبط

الشعر. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٤﴾

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَ مُنَافِقُو الْيَهُودِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالُوا ءَأَمَّنَّا بَنِيكُمْ وَدِينِكُمْ. ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾

أَتَحَدِّثُونَهُمْ: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبي في التوراة.

بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: إذا خلا منافقو اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم إخبارهم المؤمنين بنعوت

(١) ويدخل في الجملة: الذين سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسى وخرج بهم إلى الطور طلباً لتوبتهم.

النبي ﷺ في التوراة، وهو مما فتح الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله. ﴿أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ : الأمي: المنسوب إلى أمه كأنه ما زال في حجر أمه لم يفارقه فلذا هو لم يتعلم الكتابة والقراءة. ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا﴾ .

أَمَانِي : الأمانى جمع أمنية وهي إما ما يتمناه المرء في نفسه من شيء يريد الحصول عليه، وإما القراءة من تمنى الكتاب إذا قرأه. ﴿وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ .

فَوَيْلٌ : الويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة أو عذاب.

لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبونه إلى الله تعالى ليتوصلوا به إلى أغراض دنية من متاع الدنيا القليل. ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا﴾ .

مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : ينسبون ما كتبوه بأيديهم إلى التوراة بوصفها كتاب الله ووحيه إلى موسى ﷺ. ﴿لَيْسَتْ رُؤْيَاهُ، ثُمَّ قَلِيلًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ .

وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ : الكسب يكون في الخير، وهو هنا في الشر فيكون من باب التهمك بهم. وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً : أربعين يومًا وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الإسلام.

قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ : الهمزة للاستفهام الإنكاري، والعهد: الوعد المؤكد. ﴿أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً : هذه سيئة الكفر، والكذب على الله تعالى.

وَأَحْطَطَ بِهِ خَطِيئَتُهُ : الإحاطة بالشيء، الالتفاف به والدوران عليه.

الخطيئة: واحدة الخطايا وهي الذنوب عامة. ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا﴾ .

خَالِدُونَ : الخلود البقاء الدائم الذي لا تحول معه ولا ارتحال. ﴿وَإِذَا خَذْنَا

مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي (١) الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا﴾ .

لِلنَّاسِ حُسْنًا : حسن القول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ .

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ : رجعتم عما التزمت به مصممين على أن لا تتوبوا. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ <sup>(١)</sup> لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ : سفك الدماء: إراقتها وصبها بالقتل والجراحات. ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> ثُمَّ أَنْتُمْ <sup>(٣)</sup> هَتُولَاءُ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ <sup>(٣)</sup> .

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ : قرئ تظاهرون، وتظاهرون بناء واحدة ومعناه تتعاونون.

بِالْإِيمَانِ وَالْعُدْوَانِ : الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى : جمع أسير. من أخذ في الحرب.

تَقْتُلُوهُمْ : إن أتاهم يهودي أسيرًا فدوه بالغالي والرخيص. ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ <sup>(٥)</sup> .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى : موسى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل.

الْكِتَابَ : التوراة.

وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ : أرسلناهم يقفو بعضهم بعضًا أي واحد بعد واحد.

بِالرُّسُلِ : جمع رسول: ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾

عِيسَى : معرب يسوع أو يشوع لأن عيسى أخف منهما.

الْبَيِّنَاتِ : المعجزات وآيات الله في الإنجيل.

وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ : جبريل <sup>(٦)</sup> . ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ <sup>(٧)</sup> .

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعوننا إليه، أو هي أوعية للعلم فلا

نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك. ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٨)</sup> وَلَمَّا جَاءَهُمْ <sup>(٩)</sup> .

كُتِبَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : القرآن الكريم. ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ <sup>(١٠)</sup> .

يَسْتَفْتِحُونَ : يطلبون الفتح أي النصر. ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ <sup>(١١)</sup> .

(١) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة.

(٢) أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والإنكار عليهم.

(٣) قوله تعالى: ﴿تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ وقوله: ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل دمه، وإنما لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يقتل بعضهم بعضًا لأنكم أمة واحدة.

فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ﴿٨٩﴾ ﴿١﴾ .

بِسْمَا : بس كلمة ذم، ضدها نعم فإنها للمدح، ﴿أَشْتَرُوا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ .

بَعِيًا : حسدًا وظلمًا. ﴿أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ .

فَبَاءُ وَبِعَضْبٍ عَلَىٰ عَضْبٍ : رجعوا. والغضب ضد الرضا، ومن غضب الله عليه أبعدته ومن رضي عنه قربته وأدناه. ﴿وَاللَّكْفِرِيْنَ﴾ .

عَذَابٌ مُّهِينٌ : عذاب فيه إهانة وصغار وذلل للمعذب به. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ : من القرآن. ﴿قَالُوا نُوْمِنُ﴾ .

بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا : التوراة. ﴿وَيَكْفُرُوا۟ بِمَا وَرَأَهُۥ﴾ ﴿٢﴾ .

وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ : القرآن الكريم مقرر لأصول الأديان الإلهية كالتوحيد والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخرة. ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩١﴾ .

﴿وَلَقَدْ جَاءَ كُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ : المعجزات.

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِ : يريد إلها عبدتموه في غيبة موسى ﷺ. ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ .  
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خَدُّوٓا۟ مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمَعُوا۟ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ ﴿٣﴾ .

وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرِهِمْ : أي حب العجل الذي عبده بدعوة السامري لهم بذلك. ﴿قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِۦٓ إِيمٰنُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ .

الدَّارُ الْآخِرَةُ : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأولياؤه.

عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنۢ دُونِ النَّاسِ : خاصة لا يدخلها أحد سواكم.

فَتَمَنَّوْا۟ الْمَوْتَ : تمنوه في نفوسكم واطلبوه بالستكم فإن كانت له الدار الآخرة لا خير له

في بقائه في الدنيا.

إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ : أي في دعوى أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم. ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ .

(١) لم يقل الله تعالى: فلعنة الله عليهم، وإنما قال: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ﴾ ﴿٨٩﴾ إشارة إلى سبب اللعنة وهو

الكفر لا الجنس أو العرق وليعم كل كافر أيضًا.

(٢) أي: بما سواه وهو القرآن الكريم دل عليه السياق.

(٣) قوله: ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ليس المراد السماع بالحاسة، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء: فلان لا يسمع

كلامي، فإن معناه لا يمثل أمري ولا يطيعني. كما أن قوله: ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ليس معناه النطق بلفظ معين وإنما

معناه أنهم لم يمثلوا الأمر الصادر إليهم.

وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمُ الْعَالَمِينَ: التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة.

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: هم غير أهل الكتاب من سائر الكفار.

يُؤَذُّ: يحب. ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يَمَرُّ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ﴾.

يَمُرُّ حَرْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ: بمبعده من العذاب.

أَنْ يَمَرَ: تعميمه ألف سنة. ﴿وَاللَّهُ بِصِيْرَاتِهِمْ بَالِغٌ﴾ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا﴾.

لِجَبْرِئِيلَ: روح القدس الموكل بالوحي ينزل به على رسول الله ﷺ.

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَىٰ قَلْبِكَ: نزل جبريل بالقرآن على قلب رسول الله ﷺ. ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: القرآن مصدق لما في الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة

به، ومن التوحيد ووجوب الإسلام لله تعالى. ﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ: ميكال وميكائيل: ملك من أعظم

الملائكة، وقيل معناه: عبيد الله. ﴿فَأَنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ: هي آيات القرآن الكريم الواضحة فيما تدل عليه من معان.

وَمَا يَكْفُرُ بِهَا: يجحد بكونها كتاب الله ووحيه إلى رسوله محمد ﷺ.

إِلَّا الْفَاسِقُونَ: الخارجون عما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان والإسلام له ظاهرًا وباطنًا.

أَوْ كَلَّمَا عَلَيْهِمْ: الهمة للاستفهام الإنكاري، والواو عاطفة على تقديره أكفروا بالقرآن

ونبيه وكلماهم عاهدوا إلخ..

عَهْدًا: العهد: الوعد الملزم. ﴿بِنَذْرِهِمْ مِنْهُمْ﴾.

بِنَذْرِهِ: طرحه وألقاه غير آبه به ولا ملتفت إليه.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ: التنكير للتعظيم والرسول هو

محمد ﷺ، ومن قبله عيسى ﷺ.

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ: من نعت الرسول ﷺ وتقرير نبوته، وسائر أصول الدين في التوراة. ﴿بِنَذْرِهِمْ

فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

كِتَابَ اللَّهِ (١): التوراة لدلالاتها على نبوة محمد ﷺ وصحة دين الإسلام.

وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ: أي أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه لمنافاته لما هم معروفون عليه من الكفر

بالنبي محمد ﷺ.

كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ: مع أنهم يعلمون حق العلم.

(١) وجائز أن يكون القرآن الكريم، فقد نبذوه أيضًا بعد علمهم بأنه الحق مُصَدِّقًا لما معهم.

وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر <sup>(١)</sup> .  
 عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه . ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾  
 وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا : جمع شيطان وهو من خَبُثٍ وتمررد ولم يبق فيه قابلية للخير .  
 يَعْلَمُونَ النَّاسَ ﴿

السِّحْرُ : هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير في أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم .  
 ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ ملكان <sup>(٢)</sup> وجدا للفتنة . ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قِسْمَةٌ﴾

فَلَا تَكْفُرُ : لا تتعلم منا السحر لتضرب به فتكفر بذلك . ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ﴾  
 بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ : بين الرجل وامراته . ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِيَاذِنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾

وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ : اشترى السحر بتعلمه والعمل به .  
 مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ : الخلاق . النصيب والحظ .  
 وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ : ما باعوا به أنفسهم . ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ  
 ءَامَنُوا ﴿

وَأَتَقُوا لَمَثُوبَةَ : ثواب وجزاء . ﴿وَتَن عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٥﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا : أمهلنا وانظرنا حتى نعي ما تقول ونحفظ . ﴿وقولوا﴾  
 أَنْظَرْنَا <sup>(٣)</sup> : أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ . ﴿وَأَسْمِعُوا﴾

وَاللَّكْفِيرِينَ : الجاحدين المكذبين لله ورسوله .  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ : كثير الألم شديد الإيلاج . ﴿مَّا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾  
 مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ : اليهود والنصارى والوثنيون من العرب وغيرهم . ﴿أَن يُنَزَّلَ  
 عَلَيْكُمْ﴾

مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ : من الوحي الإلهي المشتمل على التشريع المتضمن لكل أنواع الهداية

(١) يخبر تعالى أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريبها بنبوته محمد ﷺ وتأكيد ما لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُفَى وعزائم وكانوا يحدثون بها، ويدعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التي كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ .

(٢) لم يكن إنزالاً بمعنى الوحي الإلهي، ولكن كان إلهاماً لهما فبرعا فيه وتفوقا على غيرهما .

(٣) معنى ﴿أَنْظَرْنَا﴾ : هو معنى ﴿رَاعِنَا﴾ ولكن لما استعملها اليهود وصاروا ينون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك أرشد الله المسلمين إلى كلمة انظر .

وطرق الإسعاد والإكمال في الدين. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ : الفضل: ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه، والله عَزَّوَجَلَّ هو صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو في غنى عنه ولا حاجة به إليه أبداً.  
﴿مَا نَسَخَ : ببدل أو نغير.

مِن آيَةٍ : من آيات القرآن: جملة كلمات تحمل معنى صحيحاً كالتحريم أو التحليل أو الإباحة.  
أَوْ نُسِيهَا : نمحها من قلب النبي ﷺ. ﴿نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

أَلَمْ تَعْلَمَ : الاستفهام للتقرير. ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُوْبِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ : حافظ يحفظكم بتولي أموركم.  
وَلَا نَصِيرٍ : ناصر يدفع عنكم المكروه.

أَمْ تُرِيدُونَ : بل أتريدون، إذ (أم) هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل والهمزة، وما سُئله موسى هو قول بني إسرائيل له: (أرنا الله جهرة). ﴿أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ﴾.

سَوَاءَ السَّبِيلِ : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق.

وَدَّ : أحب.

كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : اليهود والنصارى. ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾.

كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ : الحسد تمنى زوال النعمة على من هي به. ﴿مِن بَعْدِ مَا﴾.

بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ : عرفوا أن محمداً رسول الله وأن دينه هو الدين الحق.

فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم، إذ العفو ترك العقاب، والصفح الإعراض عن

المدنب.

حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ : أي الإذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير

وبنو قريظة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾﴾.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن.

وَأَتُوا الزَّكَاةَ : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزيك أنفسكم من الطاعات.

﴿وَمَا نَقَدُوا لَأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ يَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ : دار النعيم وتسمى دار السلام وهي فوق السماء السابعة.

إِلَّا مَن كَانَ هُودًا : يهوداً.

أَوْ نَصْرَىٰ : صليبيين مسيحيين.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ : جمع أمنية. ما يتمناه المرء بدون ما<sup>(١)</sup> يعمل للفوز به فيكون غرورًا. قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ : البرهان: الحجة الواضحة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾ . بَلَى : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام غالبًا نحو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨﴾ بلى أي هو أحكم الحاكمين، ولما ادعى اليهود والنصارى أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا قال تعالى: بلى: أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها.

مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ : أي عبد آمن فصدق وعمل صالحًا فأحسن. ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ : أي من الدين الحق. ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ . وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ : أي التوراة والإنجيل. ﴿كَذَلِكَ قَالَ﴾ .

الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ : هذا اللفظ صادق على مشركي العرب، وعلى غيرهم من أمم جاهلة سبقت. ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَهُ يُحْكِمُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقًا. ﴿مَنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ .

وَسَعَى فِي خَرَابِهَا : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذ هذا من خرابها أيضًا. ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ . خَزْيٌ : الخزي. الذل والهوان. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تَوَلَّوْا .

فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ : هناك الله تعالى إذ الله <sup>عز وجل</sup> محيط بخلقه، فحيثما اتجه العبد شرقًا أو غربًا شمالًا أو جنوبًا وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه، وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها ويقرر هذا قوله:

إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ : إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء؛ لأنه محيط بكل شيء. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ .

سُبْحَانَ اللَّهِ : تنزهه وتقديسه عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد. ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ﴾ .

(١) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ هو أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارًا، وأن يدخلوا الجنة وحدهم دون غيرهم.

قَدِينُونَ : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه.

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : مبدعها أي: موجدتها على غير مثال سابق.

وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا : حكمه بإيجاده. ﴿فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٧٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴿١﴾

أَوْ تَأْتِينَا آيَةً : كآيات موسى وعيسى في العصا وإحياء الموتى. ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١٧٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا .

وَلَا تَسْتَلْ : قرئ بالتاء للمجهول، ولا نافية والفعل مرفوع، وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم. ﴿عَنْ أَصْحَابٍ﴾ .

الْجَحِيمِ : دركة من دركات النار وهي أشدها عذابًا. ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ .

بِلَهْمٍ : دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ . اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

اليهود والنصارى من بدعة اليهودية والنصرانية. ﴿وَلَمَّا تَبِعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ .

مَالِكٍ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِلْيٍ وَلَا نَصِيرٍ : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك، والنصير من ينصرك ويدفع عنك

الأذى. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ .

يَتْلُونَهُ حَتَّىٰ تَلَوتِهِ ۗ ﴿٢﴾ : لا يحرفون كلمه عن مواضعه ولا يكتمون الحق الذي جاء فيه من نعت

الرسول محمداً ﷺ وغيره. ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ . وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة.

يَدْعِي إِسْرَائِيلَ : إسرائيل: لقب يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام. وبنو إسرائيل هم اليهود.

﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ .

عَلَى الْعَالَمِينَ : البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقاً. ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ .

لَا تَجْرِي نَفْسٌ : لا تقضي ولا تغني. ﴿عَنْ نَفْسٍ سَيِّئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا﴾ .

عَدْلٌ : العدل: الفداء. ﴿وَلَا تُنْفَعُهَا﴾ .

شَفَعَةٌ : وساطة أحد. ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ (١٧٣) .

﴿وَإِذْ أَنْتَ عَلَىٰ الْإِسْحَاقَ : اخترت بتكليفه بأمر شاقه عليه. ﴿إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ .

بِكَلِمَةٍ : متضمنة أوامر ونواهي.

(١) لولا: بمعنى لعل التحضيضية.

(٢) هم أصحاب رسول الله ﷺ ، وتابعوهم بإحسان كان أحدهم إذا مر بآية رحمة سألها الله تعالى وإذا مر بآية عذاب

تعوذ بالله من العذاب.

فَأَتَمَّهُنَّ : قام بهن وأداهن على أكمل الوجوه وأتمها. ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا : قدوة صالحة يقتدى بها في الخير والكمال. ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ : الكافرين والمشركين والفاسقين المعتدين على الناس. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ : الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة. مَثَابَةً لِّلنَّاسِ : مرجعًا يثوب إليه العمار والحجاج. وَأَمْنَا : مكانًا آمنًا يأمن فيه كل من دخله.

وَأَخْبَدُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ : الحجر الذي كان قد قام عليه إبراهيم أيام كان يبني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عالٍ يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجاء به هذا الحجر فقام عليه فسميَ مقام إبراهيم.

مُصَلًى : مكانًا يصلى فيه أو عنده أو إليه. وَعَهْدَنَا : وصينا وأمرنا.

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِي : تطهير البيت: تنزيهه من الأقدار الحسية كالدماء والأبوال والمعنوية كالشرك والبدع والمفاسد. ﴿لِلظَّالِمِينَ وَالْمُكَفِّرِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ : أجهته مكرها إلى العذاب. ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَيَسِّرِ الْمَصِيدَ ﴿١٢٦﴾.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ : إذ: ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره اذكر وقت كذا وكذا. أَلْقَوَاعِدَ : جمع قاعدة ما يبني على الجدار من أساس ونحوه. مِنَ الْبَيْتِ : الكعبة حماها الله وطهرها. ﴿وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا اتَّخِذْنَا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ : هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما. ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا

مُسْلِمِينَ لَكَ : منقادين لك خاضعين لأمرك ونبيك راضيين بحكمك عابدين لك. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ

وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا : علمنا كيف نحج بيتك، تنسكًا وتعبدًا لك.

وَتُبَّ عَلَيْنَا : وقفنا للتوبة إذا زللنا واقبلها منا. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ : هذا الدعاء استجابته الله، ومحمد ﷺ هو ما طلبناه. ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ : القرآن.

وَالْحِكْمَةَ : السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها.

وَيَرْزُقِهِمْ : يظهر أرواحهم ويكمل عقولهم، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب

والحكمة، وما بينه لهم من ضروب الطاعات.

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ: العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم في صنعه وتدبيره بوضع كل شيء في موضعه.

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ: الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه، وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده بما شرع لعباده.

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ: لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد جهل قدر نفسه فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكمالها وإسعادها وهي الإسلام.

وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا: اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا مقامه. ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٢) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ ﴿

أَسْلِمُ﴾: انقذ لأمرنا ونهينا فاعبدنا وحدثنا ولا تلتفت إلى غيرنا. ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ بَنِيَّ ﴿

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ: اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم. ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٣) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴿

إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ: يعقوب: هو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف وإخوته. ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ: جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلى الدار الآخرة.

لَهَا مَا كَسَبَتْ: أجر ما كسبته من الخير.

وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ: من خير أو غيره. ﴿وَلَا تُنْتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴿

تَهْتَدُوا: تصيبوا طريق الحق.

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: دين إبراهيم الذي كان عليه.

حَنِيفًا: مستقيماً على دين الله تعالى موحداً فيه لا يشرك بالله شيئاً. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ ﴿(١)

مُوسَى: التوراة.

وَعِيسَى: أوتي الإنجيل. ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

(١) ﴿وَالْأَسْبَاطَ﴾: أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولدًا، يوسف وبنيامين وهودا ولكل واحد منهم أمة من الناس. الواحد سبط والجمع أسباط والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل عليه السلام وسماوا الأسباط من السبط وهو التابع لأنهم متابعون.

مُسْلِمُونَ (١) ﴿١٦٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ

في شِقَاقٍ: خلاف و فراق و عداة لك و حرب عليك. ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

﴿١٦٧﴾﴾ (٢)

صِبْغَةَ اللَّهِ: دينه الذي طهرنا به ظاهرًا و باطنًا فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على

الثوب المصبوغ. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ: أتجادلوننا في دينه و الإيمان به و برسوله، و الاستفهام للإنكار. ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَا أَعْمَلْنَا وَلكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَنَحْنُ﴾

لَهُ مُخْلِصُونَ: مخلصون العبادة له، لا نشرك غيره فيها، و أنتم مشركون. ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَفَرَ﴾

شَهَادَةٌ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ: المراد بهذه الشهادة ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان بالنبى

محمد ﷺ عند ظهوره.

وَمَا اللَّهُ يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ: الغافل: من لا يتفطن للأمر لعدم مبالاته بها. ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ: السُّفَهَاءُ: جمع سفیه و هو من به ضعف عقلي لتقليده، و إعراضه

عن النظر نجم عنه فساد خلق و سوء سلوك.

مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا: ما صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة بمكة.

القبلة: الجهة التي يستقبلها المرء و تكون قبالته في صلاته.

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا: وسط كل شيء خياره، و المراد منه أن أمة محمد ﷺ خير الأمم و أعدلها. ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ: يرجع إلى الكفر بعد الإيمان.

وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً: شاقة على النفس صعبة لا تطاق إلا بجهد كبير و هي التحويلة من قبلة

مألوفة إلى قبلة حديثة. ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ

إِيْمَانَكُمْ: صلاتكم التي صليتموها إلى بيت المقدس قبل التحول إلى الكعبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ﴾

(١) أي: لا تؤمن ببعض و تكفر ببعض كصنيع اليهود و النصارى.

(٢) الآية: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ...﴾ و كان ابن عباس يقرؤها: (فإن آمنوا بالذي آمتم به) و هو تفسير لا قراءة، و عليه فمثل: زائدة، نظيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾؛ أي: ليس كهو شيء.

لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ: يدفع عنكم الضرر ويفيض عليكم الإحسان.

قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ: تردده بالنظر إليها مرة بعد أخرى انتظاراً للنزول الوحي.

فَلَنَوَيْتُكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا: لنحولنك إلى القبلة التي تحبها وهي الكعبة.

قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: حول وجهك جهة المسجد الحرام بمكة.

الحرام: بمعنى المحرم لا يسفك فيه دم ولا يقتل فيه أحد. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾

شَطْرَهُ: الشطر: هنا الجهة، واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت في المسجد

الحرام، لأن الشطر لغة: النصف أو الجزء مطلقاً. ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ﴾

أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ: أي تحول القبلة جاء منصوفاً عليه في الكتب السابقة. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا

يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

بِكُلِّ آيَةٍ: حجة وبرهان. ﴿مَا تَعْبُوهَا قِبْلَتِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ

وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ

الْكِتَابَ﴾

يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ: يعرفونه: الضمير: عائد إلى رسول الله ﷺ أي: يعلمون أنه نبي الله

ورسوله لما في كتبهم من صفاته الواضحة القطعية. ﴿وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ﴾

مِنَ الْمُتَرَدِّينَ ﴿١٤٧﴾: الشاكين، والامتراء الشك وعدم التصديق.

وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا: التنوين في (كل) دال على محذوف، هو لكل أهل ملة في الإسلام

واليهودية والنصرانية قبله يولون وجوههم لها في صلاحهم.

فَأَسْبَغُوا الذِّخْرَاتِ: البر والطاعة لله ورسوله. ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ ﴿١﴾

حُجَّةٌ: الحجة: الدليل القوي الذي يظهر به صاحبه على من يخاصمه. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ

فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾

وَلَا تَمَّ يَمَتِّي عَلَيْكُمْ: نعم الله كثيرة وأعظمها نعمة الإسلام وإتمامها بمواصلة التشريع والعمل

به إلى نهاية الكمال، وكان ذلك في حجة الوداع بعرفات حيث نزلت آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

(١) قال ابن كثير والقرطبي قبله: استدل مالك بقول الله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن المصلي ينظر

أمامه لا إلى موضع سجوده كما هو مذهب الجمهور، أبي حنيفة والشافعي وأحمد والذي أراه يحقق المطلوب

من الآية هو أن ينظر المصلي أولاً أمامه امتثالاً لأمر الله تعالى ثم بعد ذلك ينظر إلى موضع سجوده.

وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١٥٠﴾ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥١﴾﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ: هو محمد ﷺ والتكثير به للتعظيم. ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾. ﴿وَرَزَقْنَاكُمْ﴾: يظهركم من الذنوب والأخلاق السيئة والملكات الرديئة. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾.

وَالْحِكْمَةَ: السنة وهي كل قول صالح لا ينتهي صلاحه ونفعه بمرور الزمن. ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

فَأَذْرُوبِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي: الشكر إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله تعالى لعباده.

وَلَا تَكْفُرُونَ: الكفر: جحد النعمة وإخفاؤها وصرافها في غير ما يحب الله تعالى. يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ: الاستعانة: طلب المعونة والقدرة على القول أو العمل. الصبر: حمل النفس على المكروه وتوطئتها على احتمال المكاره. ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ﴿١٥٤﴾.

بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ: الشعور: الإحساس بالشيء المفضي إلى العلم به. وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ: الابتلاء: الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف. ﴿شَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾.

وَنَقِصَ مِنَ الْأَمْوَالِ: جمع مال وقد يكون ناطقاً وهي المواشي ويكون صامتاً وهو النقدان. ﴿وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ: ما يصيب العبد من ضرر في نفسه أو أهله أو ماله. ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ﴾.

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ: جمع صلاة وهي من الله تعالى هنا المغفرة لعطف الرحمة عليها. وَرَحْمَةٌ: الرحمة الإناجية وهو جلب ما يسر ودفع ما يضر، وأعظم ذلك دخول الجنة بعد النجاة من النار.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ: إلى طريق السعادة والكمال بإيمانهم وابتلاء الله تعالى لهم وصبرهم على ذلك.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ: الصفا: جبل مقابل البيت في الجهة الشرقية الجنوبية، والمروة جبل آخر مقابل الصفا من الجهة الشمالية والمسافة بينهما قرابة ٧٦٠ ذراعاً. مِّن سَعَائِرِ اللَّهِ: أعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة على عبادة الله تعالى، فالسعي بين الصفا والمروة شعيرة لأنه؛ دال على طاعة الله تعالى.

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ: الحج: زيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تسمى نسكاً.

أَوْ أَعْتَمَرَ: العمرة: زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعي بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ: الجناح: الإثم وما يترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهي عنه. أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا: يسعى بينهما ذاهباً جائئاً. ﴿وَمَنْ تَطَّوَّعَ﴾.

خَيْرًا: الخير اسم لكل ما يجلب المسرة ويدفع المضرة، والمراد به هنا العمل الصالح. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٨).

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ: يخفون ويغفون حتى لا يظهر الشيء المكتوم ولا يعرف فيؤخذ به.

مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ: جمع بيينة وهي ما يثبت به النبي المراد إثباته، والمراد به هنا ما يثبت نبوة محمد ﷺ من نعوت وصفات جاءت من كتاب أهل الكتاب.

وَأَهْدَى: ما يدل على المطلوب الصحيح ويساعد على الوصول إليه، والمراد به هنا ما جاء به رسول الله من الدين الصحيح المفضي بالأخذ به إلى الكمال والسعادة في الدنيا والآخرة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة والإنجيل. ﴿أُولَئِكَ﴾.

يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ: اللعنة: الطرد والبعد من كل خير ورحمة.

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ: من يصدر عنهم اللعن كالملائكة والمؤمنين. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ (١).

وَأَصْلَحُوا: ما أفسدوه من عقائد الناس وأمور دينهم بإظهار ما كتموه والإيمان بما كذبوا به وأنكروه. ﴿وَيَبَيِّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ﴾.

عَنَّهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ: أي بأن يمهلوا ليعتذروا، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَدُّ لَهُمْ فِعْلَهُمُ الْفَاعِلُونَ﴾ (١١).

وَالنَّهْكَرُ: الإله: المعبود بحق أو بباطل، والله ﷻ هو الإله الحق المعبود بحق.

إِلَهُ وَاحِدٌ: في ذاته وصفاته وفي ربوبيته فلا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون والحياة إلا هو، وفي

الوهيته أي: في عبادته فلا معبود بحق سواه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: بوجود

أحدهما وغياب الثاني لمنافع العباد بحيث لا يكون النهار دائماً ولا الليل دائماً. ﴿وَالْفَلَكَ أَلَّتِي

تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: و فرق في الأرض ونشر فيها من سائر أنواع الدواب.

(١) ﴿تَابُوا﴾: أي رجعوا إلى الإيمان والدخول في الإسلام، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾: أي ما أفسدوه من عقائد الناس وأخلاقهم وأرواحهم، ﴿وَيَبَيِّنُوا﴾: أي ما كتموه من العلم الواجب بيانه والمحرم كتمانه.

وَتَصْرِيْفِ الرِّيحِ : باختلاف مهاجها مرة صبا، ومرة دبورًا، ومرة شمالية، ومرة غربية أو مرة ملقحة ومرة عقيماً. ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَنْجُذُ مِن دُونِ اللَّهِ .

أندادًا : جمع ند وهو المثل والنظير والمراد بالأنداد هنا الشركاء يعبدونها بحبها والتقرب إليها بأنواع العبادات كاللجوء لها والنذر والحلف بها. ﴿يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (١٦٥) .  
إِذْ تَبَرَّأَ : التبرؤ: التنصل من الشيء والتباعد عنه بكرهه.  
الَّذِينَ اتَّبَعُوا : المعبودون والرؤساء المضلون.  
مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا : المشركون والمقلدون لرؤسائهم في الضلال. ﴿وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمْ﴾ .

الْأَسْبَابُ : جمع سبب وهي لفة الحبل ثم استعمل في كل ما يربط بين شيئين وفي كل ما يتوصل به إلى مقصد وغرض خاص. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَاكُمْ كَرَّةً : رجعة وعودة إلى الحياة الدنيا. ﴿فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ .  
حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ : جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يخسر صاحبه فيقعده به عن الحركة والعمل. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (١٦٧) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الأَرْضِ .  
حَلَاكًا : ما انحلت عقدة الحظر عنه وهو ما أذن الله تعالى فيه.  
طَبِيبًا : ما كان طاهرًا غير نجس ولا مستقذر تعافه النفوس. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ .  
حُطُوتِ الشَّيْطَانِ : الخطوات جمع خطوة وهي المسافة بين قدمي الماشي، والمراد بها هنا مسالك الشيطان وطرقه المفضية بالعبد إلى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم.  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ : عداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبونا آدم وحواء من الجنة، وأكثر الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوساوسه وإغوائه.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ : كل ما يسوء النفس ويصيبها بالحزن والغم ويدخل فيها سائر المعاصي.  
وَالْفَحْشَاءَ : كل خصلة قبيحة كالزنا واللواط والبخل وسائر المعاصي ذات القبح الشديد. ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا : وجدنا. ﴿عَلَيْهِ ءَايَاتٌ نَّآ أُولُو كَات ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٦٩) .  
وَمَثَلٌ : المثل الصفة والحال. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْيِ .  
يَتَّبِعُ : يصيح. والاسم التعيق وهو الصياح ورفع الصوت. ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ (١٧٠) إِلَّا

(١) التعيق: دعاء الراعي، وتصويته بالغنم، فشبه الكفار بالشيء من الغنم يسوقها راعيها حيث شاء، فإذا نطق بها داعيًا

دُعَاءٌ : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يا رب. يا رب.

وِنْدَاءٌ : طلب البعيد كأذان الصلاة.

صُمٌّ : جمع أصم فاقد حاسة السمع فهو لا يسمع.

بُكْمٌ : جمع أبكم فاقد حاسة النطق فهو لا ينطق. ﴿عُنَى﴾ .

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ : لا يدركون معنى الكلام ولا يميزون بين الأشياء لتعطل آلة الإدراك عندهم

وهي العقل.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمَاتٍ مِنْ طَيِّبَاتٍ : جمع طيب وهو الحلال. ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ .

وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ : اعترفوا بنعم الله عليكم واحمدوه عليها واصرفوها في مرضاته.

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ : إن كنتم مطيعين لله متقادين لأمره ونهيه.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : حظر ومنع.

الْمَيْتَةَ : ما مات من الحيوان حتف أنفه بدون ذكاة.

وَالدَّمَّ : المسفوح السائل، لا المختلط باللحم.

وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ : حيوان خبيث معروف بأكل العذرة ولا يغار على أنثاه.

وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ : الإهلال: رفع الصوت باسم من تُذبح له من الآلهة<sup>(١)</sup>

فَمَنْ أَضْطَرَّ : ألجئ وأكره بحكم الضرر الذي لحقه من الجوع أو الضرب.

غَيْرِ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ : الباغي الظالم الطالب لما لا يحل له، والعادي المعتدي المجاوز لما له إلى

ما ليس له.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ : الإثم: أثر المعصية في النفس بالظلمة والتدسية. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧٢)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ : يجحدون ويخفون.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ : الكتاب التوراة وما أنزل الله فيه من صفة النبي ﷺ والأمر بالإيمان

به. ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ - مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيَّتِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ .

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لسخطه عليهم ولعنه لهم.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ : لا يطهرهم من ذنوبهم لعدم رضاه عنهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٤) أَوْلِيَّتِكَ

لها أجبته ولو كان دعاؤه إياها لذبحها، وكذا إذا ناداها بأن كانت بعيدة أجبته وهي لا تدري لم نوديت؟ إذ هي

لا تسمع ولا تفهم إلا مجرد الصوت الذي ألقته بالتقليد الطويل والاتباع بدون دليل.

وهناك معنى آخر للآية قاله الطبري وهو أن المراد مثل الكافرين في دعائهم ألهمهم كمثل الذي ينطق بشيء بعيد فهو

لا يسمع من أجل البعد فليس للناس من ذلك إلا النداء الذي يُعْبِه وينصبه. وما فسرناه به أصح وأمثل.

(١) هذه أصول المحرمات الأربعة، وأما المنخقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على

النصب فهي متفرعة عن تلك الأصول وهي مذكورة في أول المائة.

الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ: العماية المانعة من الهداية إلى المطلوب. ﴿بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (١٧٥) ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿

وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفوا في الْكِتَابِ (١) فِي شِقَاقٍ: التنازع والعداء حتى يكون صاحبه في شق ومنازعه في آخر.

بَعِيدٍ: يصعب إنهاؤه والوفاق بعده.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ اسم جامع لكل خير وطاعة لله ورسوله محمد ﷺ. ﴿أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ: البر الحق بر من آمن بالله.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ: إلى آخر الصفات.

وَأَتَى أَلْمَالَ عَلَىٰ حَيْبِهِ: أعطى المال حين تعين إعطاؤه مع شدة حبه له فأثر ما يحب الله على ما يحب.

دَوَى الْقُرْبَى: أصحاب القرباب، الأقرب فالأقرب.

وَالْيَتَامَى: جمع يتيم وهو من مات والده وهو لم يبلغ الحنث.

وَالْمَسْكِينِ: جمع مسكين، فقير معدم أسكتته الحاجة فلم يقدر على التصرف.

وَأَبْنِ السَّبِيلِ: المسافر البعيد الدار المنقطع عن أهله وماله.

وَالسَّائِلِينَ: جمع سائل الفقير المحتاج الذي أذن له في السؤال لدفع غائلة الحاجة عن

نفسه (٢).

وَفِي الرِّقَابِ: الرقاب جمع رقبة والإنفاق منها معناه في عتقها. ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ: البأساء: شدة البؤس من الفقر، والضراء: شدة الضر أو المرض.

وَحِينَ الْبَأْسِ: عند القتال واشتداده في سبيل الله تعالى.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا: أي في دعوهم الإيمان والبر والبرور. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) يَتَابَعُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿

(١) اليهود والنصارى ويدخل في هذا مشركو العرب فقد اختلفوا في القرآن فقالوا: شعر، وقالوا: سحر، وقالوا: أساطير.

(٢) قرأ حفص: ﴿الْبِرُّ﴾ بالنصب على أنه خير ليس مقدماً والاسم أن وما دخلت عليه والتقدير: تولية وجوهكم، وقرأ غيره ﴿الْبِرُّ﴾ مرفوعاً على أنه الاسم، والخبر: أن وما دخلت عليه.

(٣) قال رسول الله ﷺ: «من سأل شيئاً وعنده ما يغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم، قالوا: وما يغنيه؟ قال: قدر ما يغديه ويعشيه».

(صحيح): مم، د، حب، ك، عن سهل بن الحنفية - انظر صحيح الجامع (قل).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ : كتب: فرض والقصاص<sup>(١)</sup> ، إذا لم يرض ولي الدم بالدية ولم يعف.  
 فِي الْقَتْلِ : الفاء سببية أي: بسبب القتل والقَتْلَى جمع قتيل وهو الذي أزهدت روحه فمات  
 بأي آلة.

الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ : الحر خلاف العبد، والعبد هو الرقيق المملوك. وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى<sup>(٢)</sup>  
 فَمَنْ عُنِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ : فمن تنازل له ولي الدم عن القود إلى الدية أو العفو.  
 فَأَنْبِئَ بِالْمَعْرُوفِ : فالواجب أن تكون مطالبة الدية بالمعروف والرفق واللين.  
 وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ : وأن يكون أداء الدية بإحسان خاليًا من المماطلة والتقص.  
 ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ : أي ذلك الحكم العادل الرحيم وهو جواز أخذ الدية بدلًا من  
 القصاص تخفيف عنكم من ربكم إذ كان في شرع من قبلكم القصاص فقط أو الدية فقط، وأنتم  
 مخيرون بين العفو والدية والقصاص.

فَمَنْ أَعْدَى بَعْدَ ذَلِكَ : يريد من أخذ الدية ثم قتل فإنه يتعين قتله لا غير. ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾  
 ﴿١٧٨﴾

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ : المساواة في القتل والجراحات وفي آلة القتل أيضًا.  
 حَيَوةٌ : إبقاء شامل عميم، إذ من يريد أن يقتل يذكر أنه سيقتل فيترك القتل فيحيا، ويحيا من  
 أراد قتله، ويحيا بحياتها خلق كثير وعدد كبير.

يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ : أصحاب العقول الراجعة، واحد الأبواب: لبٌ وهو في الإنسان العقل.  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ : ليعدكم بهذا التشريع الحكيم لاتقاء ما يضر ولا يسر في الدنيا والآخرة.  
 كُتِبَ : فرض وأثبت. ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ﴾  
 حَيْرًا : مالا نقدًا أو عرضًا أو عقارًا.

الْوَصِيَّةُ : الوصية ما يوصى به من مال وغيره. ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾  
 بِالْمَعْرُوفِ : ما تعارف عليه الناس كثيرًا أو قليلًا بحيث لا يزيد على الثلث<sup>(٣)</sup>. ﴿حَقًّا عَلَى  
 الْمُتَّقِينَ﴾  
 ﴿١٧٩﴾

فَمَنْ بَدَّلَهُ : التبديل: التغيير للشيء بأخر. ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ، فَإِنَّمَا أَتَمَّهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ، إِنْ أَلَّفَهُ سَمِعَهُ عَلَيْهِمْ

(١) القصاص: مأخوذ من قص الأثر إذا تبعه ومنه القاص لأنه يتبع الأخبار والآثار والقاتل كأنه سلك طريقًا فقص  
 أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك.

(٢) ذهب أبو حنيفة إلى أن الحر يقتل بالعبد مخالفًا للجمهور لعدم آية المائدة: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾.

(٣) نسخ الله هذا الحكم بآية الموارث وهي ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِهِ لِلرَّجُلِ مِثْلُ مِمَّا لِلنِّسَاءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. لا وصية  
 لوارث» رواه أصحاب السنن وغيرهم وهو صحيح الإسناد، ونسخ الوجوب، وبقي الاستحباب ولكن لغير  
 الوالدين والأقربين الوارثين [حسب شروط الوصية].

﴿فَمَنْ خَافَ﴾

مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا: الجنف: الميل عن الحق خطأ، والإثم: (١) تعمد الخروج عن الحق والعدل. ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨٢﴾  
يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ: فرض وأثبت.

الصِّيَامُ: لغة الإمساك، والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس (٢). ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٨٣﴾  
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ: تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا بحسب شهر رمضان، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾

فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ: فعلى من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام آخر بعدد الأيام التي أفطر فيها.

وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ: أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجى برؤه.  
فَذِيَّةٌ طَعَامٌ لِلسَّكِينِ: قالوا وجب على من أفطر لعذر مما ذكر أن يطعم على كل يوم مسكينًا، ولا قضاء عليه.

فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا: أي زاد على المدين أو أطمع أكثر من المساكين. ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾  
وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ: الصيام على من يطيقه ولو بمشقة خير من الإفطار مع الطعام. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨٤﴾

شَهْرُ رَمَضَانَ: هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية، ولفظ الشهر مأخوذ من الشهرة، ورمضان مأخوذ من رمض الصائم؛ إذ حر جوفه من العطش.

الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: هذه آية فضله على غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن وذلك في ليلة القدر منه لآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾، وآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾  
أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل نجمًا بعد نجم، وابتدئ نزوله على رسول الله ﷺ في رمضان أيضًا.

هُدًى لِلنَّاسِ: هاديًا للناس إلى ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين.

وَيَسِّرَتِ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ: البيئات جمع بيته، والهدى الإرشاد، والمراد أن القرآن نزل هاديًا للناس ومبينًا لهم سبيل الهدى، موضحًا طريق الفوز والنجاة فارقًا لهم بين الحق والباطل في كل شئون الحياة.

(١) من أوصى بما لا يجوز الانتفاع به أو تناوله واستعماله كمن أوصى بخمر أو بناء قبة على ميت أو إحياء بدعة مولد ونحوه فإنه يجوز تبديله بما هو جائز ولا يصح إمضاؤه.

(٢) أي بنية امتثال أمر الله تعالى به أو بنية التقرب إليه ﷻ.

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ : حضر الإعلان عن رؤيته. ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ .  
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ : فعلية القضاء بعدد الأيام التي أظفرها مريضًا أو مسافرًا. ﴿رِيدَ اللَّهُ  
بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ .

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ : وجب القضاء من أجل إكمال عدة الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا.  
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ : وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلى العودة  
من صلاة العيد، والتكبير مشروع وفيه أجر كبير، وصفته المشهورة: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله،  
الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : فرض عليكم الصوم وندبكم إلى التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين  
لله تعالى على نعمه لأن الشكر هو الطاعة. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ﴾ .  
الِدَّاعِ إِذَا دَعَانِ : السائل ربه حاجته.

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي : أي يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك  
المنهي والتقرب إلي بفعل القرب وترك ما يوجب السخط. ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ .  
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ : بكمال القوتين: العلمية والعملية إذ الرشد هو العلم بمحباب الله  
ومساخطه، وفعل المحباب وترك المساخط، ومن لا علم له ولا عمل فهو السفیه الغاوي والضال  
الهالك.

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ : الليلة التي يصبح العبد بعدها صائمًا.

الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ : الجماع.

هُنَّ لِيَاسُكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ : كناية عن الاختلاط ببعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن.

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ : بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب  
بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ .

فَأَنْتُمْ بَشِيرُوهُمْ : جامعوهم، أباح لهم ذلك ليلاً.

وَأْتَبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ : اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم<sup>(١)</sup>، ولا يكن الجماع

لمجرد الشهوة. ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ﴾ .

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ : الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان.

مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ : سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تمامًا.

مِنَ الْفَجْرِ : انتشار الضوء أفقيًا ينسخ سواد الخيط الأسود ويعم الضياء الأفق كله. ﴿ثُمَّ أَمَرُوا

الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْلِ وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ﴾ .

(١) ويحتمل اللفظ معاني أخرى مثل: ما أبيع لكم، وليلة القدر، والرخصة، والتوسعة.

عَدِكُمْ فِي الْمَسْجِدِ: منقطعون إلى العبادة في المسجد تقريباً إلى الله تعالى.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا: جمع حد وهو ما شرع الله تعالى من الطاعات فعلاً أو تركاً.

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ: أي كما بين أحكام الصيام بين أحكام سائر العبادات من أفعال وتروك ليهيئهم للتقوى التي هي السبب المورث للجنة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١٧٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ

بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ: الباطل: خلاف الحق.

وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكْمِ: الإدلاء بالشيء إلقاءه، والمراد هنا إعطاء القضاة والحكام الرشوة

ليحكموا لهم بالباطل حتى يتوصلوا إلى أموال غيرهم.

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا: أي طائفة وقطعة من المال. ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾

بِالْإِثْمِ: المراد هنا بالرشوة وشهادة الزور، واليمين الفاجرة أي: الحلف بالكذب ليقضي

القاضي لكم بالباطل في صورة حق. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٧٨)

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾: جمع هلال وهو القمر في بداية ظهوره في الثلاثة الأيام الأولى من

الشهر لأن الناس إذا رأوه رفعوا أصواتهم الهلال الهلال. ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾

وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَى: البر الموصل إلى رضوان الله بر عبد اتقى الله تعالى بفعل أو امره

واجتناب نواهي، فليس البر دخول البيوت من ظهورها. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾

وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ: الفلاح الفوز وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإسلام والمراد إعلاء كلمة

الإسلام.

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ: المشركون الذين يبدءونكم بالقتال.

وَلَا تَعْتَدُوا: لا تجاوزوا الحد فتقتلوا النساء والأطفال ومن اعتزل القتال. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٧٩)

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُونَهُمْ: تمكثتم من قتالهم. ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ﴾

وَالْفَنَاءُ: الشرك. أشد من القتل ولا تقبلوهم عند.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: المراد به مكة والحرم ومن حولها. ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (١٨١) فَإِنْ نَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ: حتى لا يكون شرك.

(١) يدخل في هذا النهي كل محرّم كالهيئة وتحريق الأشجار وقتل الحيوان.

وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ : بأن لم يبق من يعبد غير الله تعالى.  
فَإِنْ أَنْتَهُوْا فَلَاعْدُوْنَ : أي لا اعتداء بالقتل والمحاربة.  
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ : أما من أسلم فلا يقاتل.

الشَّهْرُ الْحَرَامُ : الأشهر الحرام فيها القتال والأشهر الحرم أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد، فالثلاثة هي : القعدة والحجة ومحرم، والرابع الفرد : رجب. ﴿يَا شَهْرُ الْحَرَامِ﴾ .  
وَالْمُرْمُتُ قِصَاصٌ : جمع حرمة كالشهر الحرام، والبلد الحرام، والإحرام. ﴿فَمَنْ آغَدَّيْ عَلَىكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آغَدَّيْ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا﴾ (١)

أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ : المتقون هم المؤمنون الذين يتقون معاصي الله تعالى ومخالفة سننه في الحياة، وكونه تعالى معهم : يسددهم ويعينهم وينصرهم. ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ : الهلكة والهلاك مثلها.

وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ : الإحسان : إتقان الطاعة وتخليصها من شوائب الشرك وفعل الخير أيضاً (٢)

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ : فإتمامهما أن يحرم بهما من الميقات وأن يأتي بأركانها وواجباتها على الوجه المطلوب من الشارع، وأن يخلص فيهما لله تعالى.

فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ : الحصر والإحصار أن يعجز الحاج أو المعتمر عن إتمام حجه أو عمرته إما بعدو يصدّه عن دخول مكة، أو مرض شديد لا يقدر معه على مواصلة السير إلى مكة (٣).

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ : أي فالواجب على من أحصر ما تيسر له من الهدى شاة أو بقرة أو بعير.  
وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ : لا يتحلل المحصر من إحرامه حتى يذبح ما تيسر له من

(١) لهذه الآية نظيرها وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ وقوله: ﴿وَيَحْرُكُوا سَبْتَهُ سَبْتَهُ﴾ وهي بالنسبة إلى الأمة قد نسخت بآيات الجهاد، أما بالنسبة للأفراد فالجمهور على أن الفرد لا يعاقب بنفسه ولكن بواسطة الحاكم، ولكن يرى بعضهم كالإمام الشافعي، أن الفرد إذا لم يتوصل إلى أخذ حقه إلا بالمعاقبة فليظنر إذا كان يمكنه أن يأخذ بقدر ما أخذ منه مساواة بلا زيادة فلا بأس أن يأخذ بشرط أن يأمن من نسبته إلى السرقة حتى لا يتعرض إلى إقامة الحد عليه.

(٢) روي أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت فينا معاشر الأنصار، وذلك أنه لما نصر الله رسوله وأظهر دينه قلنا: هلّم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية والإلقاء باليد في التهلكة أن نقيم في أموالنا. [رواه أبو داود والترمذي والنسائي واللفظ لأبي داود].

(٣) قال الألباني في مناسك الحج والعمرة ١٣، ١٤: (وإن أحب قرن مع تلبيته الاشتراط على ربه تعالى خوفاً من العارض من مرض أو خوف، فيقول: «اللهم محلي حيث حبستني» متفق عليه. فإنه إن فعل ذلك فحبس أو مرض جاز له التحلل من حجته وعمرته، وليس عليه دم وحج من قابل إلا إذا كانت حجة الإسلام فلا بد من قضائها) (قل).

الهدى فإن ذبح تحلل بحلق رأسه. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾<sup>١</sup>  
فَفِدْيَةٌ: فالواجب هو فدية. ﴿مَنْ صِيَامًا أَوْ صَدَقَةً أَوْ شُكًّا فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾<sup>٢</sup>

فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَيْحِ: فمن أحرم بعمره في أشهر الحج وتحلل وبقي في مكة ينتظر الحج وحج  
فعلًا فالواجب. ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾<sup>٣</sup>  
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ صِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ: فمن تمتع بالعمرة ولم يجد هديًا لعجزه عنه فالواجب صيام عشرة  
أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع.

في الْحَيْحِ: في مكة.

وَسَبْعًا إِذَا رَجَعْتُمْ: في بلده. ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾<sup>٤</sup>

ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ: حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: أي ما وجب من الهدى أو الصيام عند العجز وهو  
لغير أهل الحرم، أما سكان مكة والحرم حولها وهو أهل الحرم فلا يجب عليهم شيء إن  
تمتعوا<sup>(١)</sup>. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(١٦٦)</sup>  
الْحَيْحُ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ: هي شوال والقعدة وعشر ليالٍ من الحجة هذه هي الأشهر التي يحرم  
فيها بالحج.

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِمْ الْحَيْحُ: نوى الحج وأحرم به.

فَلَا رَفَثَ الرِّفَثُ الجماع ومقدماته.

وَلَا تُسُوفُ: الفسق والفسوق الخروج من طاعة الله بترك واجب أو فعل حرام.  
وَلَا جِدَالَ فِي الْحَيْحِ: الجدال: المخاصمة والمنازعة. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾<sup>٥</sup>  
وَتَكَرَّرُوا فِيهِ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى وَأَتَقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴿الجناح:  
الإثم.

أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ: تطلبوا ربحًا في التجارة من الحج.

فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ: الإفاضة من عرفات تكون بعد الوقوف بعرفة يوم الحج وذلك  
بعد غروب الشمس من يوم التاسع من شهر الحجة. فَادَّكُرُوا اللَّهَ.

عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ: مزدلفة وذكر الله تعالى عندها صلاة المغرب والعشاء جمعًا بها  
وصلاة الصبح. ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾<sup>(١١٨)</sup> ثُمَّ أَفِيضُوا  
مِنْ حَيْثُ أَفْكَضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾

فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ: أديتم وفرغتم منها.

مَنْسِكِكُمْ: جمع منسك وهي عبادات الحج المختلفة. ﴿فَادَّكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾

(١) بل عليهما أن يحملا على نعش ويوقف بهما بعرفة ويطاف بهما وهما على النعش.

ءَابَاءَكُمْ<sup>(١)</sup> أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠﴾

خَلَقَ: الخلاق: الحظ والنصيب. ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ: حسنة الدنيا كل ما يسر ولا يضر من زوجة صالحة وولد صالح وورق حلال، وحسنة الآخرة النجاة من النار ودخول الجنان.

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ: احفظنا ونجنا من عذاب النار. أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ: حظ وقسط من أعمالهم الصالحة ودعائهم الصالح. ﴿بِمَا كَسَبُوا<sup>٢</sup> وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾

﴿وَأَذْكُرُوا<sup>٣</sup> اللَّهُ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ: أيام التشريق الثلاثة بعد يوم العيد فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ: رمى يوم الأول والثاني وسافر. ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ<sup>٤</sup> وَمَن تَأَخَّرَ: رمى الأيام الثلاثة كلها.

فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ: أي لا ذنب في التعجل ولا في التأخر. لِمَن اتَّقَى: للذي اتقى ربه بعدم ترك واجب أو فعل حرام حرمه. ﴿وَأَتَّقُوا<sup>٥</sup> اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنكُم إِلَيْهِ<sup>٦</sup> ﴿٢٢﴾

تُحْشَرُونَ: تجمعون للحساب والجزاء يوم القيامة.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ: يروق لك وتستحسنه.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: إذا تحدث في أمور الدنيا. ﴿وَيُشْهِدُ<sup>٧</sup> اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ<sup>٨</sup> ﴿٢٣﴾

وَهُوَ الذَّاخِرُ: قوي الخصومة شديدا لذلقة لسانه.

وَإِذَا تَوَلَّى: رجع وانصرف، أو كانت له ولاية. ﴿سَكَنَى<sup>٩</sup> فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ<sup>١٠</sup> ﴿٢٤﴾

الْحَرَّتْ وَالنَّسْلُ: الحرث: الزرع، والنسل: الحيوان. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ<sup>١١</sup> الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ<sup>١٢</sup>

اللَّهِ<sup>١٣</sup> ﴿٢٦﴾

أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ: أخذته الحمية والأنف بذنوبه فهو لا يتقي الله. ﴿فَحَسْبُ<sup>١٤</sup> جَهَنَّمَ وَلَيْسَ

الْمِهَادُ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ ﴿٢٨﴾

مَن يَشْرِي<sup>١٥</sup> نَفْسَهُ: يبيع نفسه لله تعالى بالجهاد في سبيله بنفسه وماله. ﴿أَتَبِعَاءَ<sup>١٦</sup> مَرْضَاتِ اللَّهِ

وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٩﴾

يَتَابِعُهَا<sup>١٧</sup> الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ: الإسلام.

(١) على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم وأحساب أجدادهم.

(٢) روي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الأيام المعدودات: أيام التشريق، والأيام المعلومات: أيام العشر من أول الحجة.

كَافَّةً : جميعًا لا يتخلف عن الدخول في الإسلام أحد، ولا يُترك من شرائعه ولا من أحكامه شيء حتى لا يبقى مشروع ما يعمل به أو لا يبقى فرد لا يدخل فيه.  
وَلَا تَسْبِعُوا حُطُوبَ الشَّيْطَانِ : مسالكه في الدعوة إلى الباطل وتزيين الشر والقيح. ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٧٨).

فَإِنْ رَكَعْتُمْ : وقعتم في الزلل وهو الفسق والمعاصي.

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَكْمَ الْبَيْتِ : الحجج والبراهين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٩).

هَلْ يَنْظُرُونَ : ما ينظرون: الاستفهام للنفي. ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ

مِنَ الْعَمَاءِ : السحاب الرقيق الأبيض. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَفِي الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٣١).

سَلَّ : أسأل: سقطت منه الهمزتان للتخفيف.

بَنِي إِسْرَائِيلَ : ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب. ﴿كَمْ أَتَيْنَهُمْ

مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : خارقة للعادة كعصا موسى تدل على أن من أعطاه الله تلك الآيات هو رسول الله

حقًا، وآيات بني إسرائيل التي آتاهم الله تعالى منها فلق البحر لهم، وإنزال المن والسلوى في التيه

عليهم. ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ

نِعْمَةَ اللَّهِ (١) : ما يهبه لعبده من خير يجلب له المسرة ويدفع عنه المضرة ونعم الله كثيرة. ﴿مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣١) رُبَّنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

وَيَسْحَرُونَ : يحتقرون ويستهزئون. ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣١).

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً : كانوا قبل وجود الشرك فيهم أمة واحدة على الإسلام والتوحيد وذلك

قبل قوم نوح.

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ : جمع نبي والمراد بهم الرسل إذ كل نبي رسول بديل

رسالتهم القائمة على البشارة والندارة والمستمدة من كتب الله تعالى المنزلة عليهم.

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ : اسم جنس يدخل فيه كل الكتب الإلهية. ﴿وَالْحَقُّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا

اختلفوا فيه﴾ (٤١).

وَمَا اختلف فيه إلا الذين أوتوه : أعطوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ﴾ (٤١).

الْبَيِّنَاتُ : الحجج والبراهين تحملها الرسل إليهم وتورثها فيهم شرائع وأحكامًا وهدايا

(١) فسرت نعمة الله هنا: بالإسلام وهو كذلك فإن الإسلام أكبر نعمة لما يجلبه من السعادة والكمال وما يدفعه من العذاب والعقاب في الدارين.

عامة.

بَغِيًّا بَيْنَهُمْ: البغي الظلم والحسد. ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا<sup>(١)</sup> لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِاِذْنِهِ﴾. والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ: الإسلام المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال في الحياتين.

أَمْ حَسِبْتُمْ: أظننتم، (أم) هي المنقطعة فتفسر ب(بل) والهمزة، والاستفهام إنكاري ينكر عليهم ظنهم هذا لأنه غير واقع موقعه. ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾. وَلَمَّا: بمعنى (لم) النافية.

يَأْتِيَكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ: صفة وحال الذين من قبلكم. مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا: البأساء: الشدة من الحاجة وغيرها، والضراء: المرض والجراحات والقتل. ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾.

مَنْ نَصَرَ اللَّهَ: الاستفهام للاستبطاء. ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٦٤) يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ: قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ: من مال إذ المال يطلق عليه لفظ الخير. قَالُوا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ: كالأخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم والأخوال والخالات وأولادهم. ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾.

وَمَا تَقَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ: ما: شرطية ومن: بيانية والخير هنا لسائر أنواع البر والإحسان<sup>(٢)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ: الجملة علة لجواب الشرط المحذوف والمقدر يشكم عليه. كَتَبَ عَلَيْكُمْ: فرض فرضاً مؤكداً حتى لكانه مكتوب كتابة. الْقِتَالُ: قتال الكافرين بجهادهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية. وَهُوَ كَرُهُ لَكُمْ: مكروه في نفوسكم طبعاً.

وَعَسَى: هذا الفعل معناه الترجي والتوقع أعني: أن ما دخلت عليه مرجو الحصول متوقع لا على سبيل الجزم، إلا أنها إن كانت من الله فتفيد اليقين. ﴿أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٥) يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ: أَلْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ: أي المحرم. قتال بدل اشتمال من الحرام، إذ السؤال عن القتال في الشهر الحرام (رجب).

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ: أي ذنب عظيم.

(١) أي من أمة محمد ﷺ وهم المسلمون هداهم للإيمان بكل الكتب وسائر الرسل ونجاهم مما اختلف فيه من قبلهم، والحمد لله.

(٢) الآية في نفقة التطوع وقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ إشارة إلى أن ما ينفق يجب أن يكون طيباً لا خبيثاً إذ لفظ الخير يدل على ذلك ويرمز له: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾.

وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : وصرف عن دين الله .

وَكُفْرًا بِهِ : كفر بالله تعالى .

وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : مكة والمسجد الحرام فيها .

وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ : النبي ﷺ والمهاجرون .

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ : أعظم وزرا .

وَالْفِتْنَةُ : الشرك واضطهاد المؤمنين ليكفروا . ﴿ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ

عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ .

فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ : بطل أجرها . فلا يثابون<sup>(١)</sup> عليها لردتهم . ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١٧٧) .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا : تركوا ديارهم خوف الفتنة والاضطهاد في ذات الله .

﴿ وَجَنَّهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٨) .

﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ : كل ما خامر العقل وغطاه فأصبح شاربه لا يميز ولا يعقل، ويطلق

لفظ الخمر على عصير العنب أو التمر أو الشعير وغيرها .

وَالْمَيْسِرُ : القمار؛ وسمي ميسرًا لأن صاحبه ينال المال في يسر وسهولة .

قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ : الإثم كل ضار فاسد يضر بالنفس أو العقل أو البدن أو المال أو

العرض .

وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ<sup>(٢)</sup> : جمع منفعة وهي ما يسر ولا يضر من سائر الأقوال والأفعال والمواد .

﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ .

وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ : العفو هنا: ما فضل وزاد عن حاجة الإنسان من المال .

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ ﴾ .

تَتَفَكَّرُونَ : فتعرفون ما ينفع في كل منهما فتعملون لديناكم ما يصلحها وتعملون لآخرتكم ما

يسعدكم فيها، وينجيكم من عذابها . ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لِمَنْ خَيْرٌ ﴾ .

(١) على هذا مالك وأبو حنيفة خلافاً للشافعي إذ يرى ﷺ أن من ارتد ثم تاب يعود إليه كل عمل صالح عمله قبل الردة فلا يعيد الحج إذا حج، والراجح ما قررناه في التفسير إذ أقل ما يقال: عليه إعادة الحج طمعاً في مغفرة ذنوبه وعدم مؤاخذته . أما من مات كافراً فالإجماع على خلوده في النار، ودليل الجمهور قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ أَشْرَكَ لِي حِطَّةٌ عَمَّا كَفَرَ ﴾ الآية وحمله الشافعي على أنه مطلق مقيد بأية الموت على الكفر فما دام لم يمت كافراً فإن أعماله قبل الردة لا تبطل، والله أعلم .

(٢) والنفع الذي هو الربح إذ كانوا يشترونها من الشام بالرخص وبـ حنثها بالغلاء في ديارهم كان في الجاهلية أما بعدما حرمها الله تعالى وحرم بيعها فلم يبق فيها نفع البتة .

وَإِنْ تَخَاطَبُوهُمُ: تَخْلُطُونَ مَالَهُمْ مَعَ مَالِكُمْ لِيَكُونَ سِوَاءً. ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴿﴾.

لَأَعْتَبَتْكُمْ: العنت المشقة الشديدة يقال: أعتته إذا كلفه مشقة شديدة (١). ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

﴿٣٣﴾

وَلَا تَنْكِحُوا: لا تزوجوا. ﴿الْمُشْرِكِ حَتَّىٰ يَؤْمِنَ﴾.

وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ: الأمة خلاف الحرة. ﴿حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾.

وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ: أي أعجبكم حسننها وجمالها. ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَعَلَبَدٌ مُّؤْمِنٌ

حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ: بحالهم ومقالهم وأفعالهم. ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ

وَيُبَيِّنُ﴾.

ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ: أحكام دينه ومسائل شرعه. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ: مكان الحيض وزمنه، والحيض دم يخرج من رحم المرأة إذا خلا

من الجنين (٢)

قُلْ هُوَ أَدْنَى: ضرر يضر المجامع في أيامه.

فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ: اتركوا جماعهن أيام الحيض.

وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ: أي لا تجامعوهن حتى ينقطع دم حيضهن (٣)

فَإِذَا تَطَهَّرْنَ: أي إذا انقطع دم حيضهن واغتسلن منه.

فَأَنفُسُهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ: أي جامعوهن في قبلهن، وهن طاهرات متطهرات. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ: يريد مكان إنجاب الأولاد فشبه النساء بالحرث لأن الأرض إذا حرثت

أنبتت الزرع، والمرأة إذا وطئت أنبتت الولد بإذن الله تعالى.

(١) مفعول المشيئة محذوف كما هو الغالب فيه والتقدير: ولو شاء الله عتتكم لأعتتكم؛ أي: كلفكم ما فيه العنت والمشقة ولكنه لم يفعل ذلك رحمة بكم ولطفًا بحالكم.

(٢) يطلق على الحيض أيضًا لأنه مصدر حاضت المرأة حيضًا ومحاضًا ومحيضًا فهي حائض وقد يقال حائضه وعليه قول الشاعر:

كحائضه يزني بها غير طاهر

والحيضة المرة الواحدة والحيضة بكسر الحاء الاسم والحيضة أيضًا الخرقه تستنفر بها الحائض قالت عائشة: يا ليتني كنت حيضة ملاقاة، واشتقاق الكلمة من السيلان ومنه الحوض؛ لأن الماء يسيل إليه.

(٣) إذا قيل: لا تقرب بفتح الراء فمعناه لا تتلبس بالشيء، وإن قيل: لا تقرب بضم الراء فمعناه: لا تدن ولذا جاز للزوج أن يقرب من زوجته الحائض أو النفساء ويباشرها في غير الفرج.

فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ : إذن جماع المرأة مقبلة أو مدبرة إذا كان ذلك في القبل الذي هو منبت الزرع، وهي طاهرة من الحيض والنفاس.

وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ : يريد الأعمال الصالحة، ومنها إرادة تحصين النفس والزوجة بالجماع وإرادة إنجاب الأولاد الصالحين الذين يوحدون الله ويدعون لوالديهم طوال حياتهم. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَلَا تَجْعَلُوا عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ : العرضة: ما يوضع مانعاً من شيء، واليمين يحلفها المؤمن أن لا يفعل خيراً، والأيمان: جمع يمين نحو والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلن كذا.

أَنْ تَبْرَأُوا : البرور: الطاعة وفعل البر. ﴿وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللُّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ : اللغو: الباطل، ما لا خير فيه. ولغو اليمين أن يحلف العبد على الشيء يظنه كذا فيبين خلافه، أو ما يجري على لسانه من أيمان من غير إرادة الحلف. وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ : ما تعمد القلب وقصد اليمين لأجله لفعله حتماً أو منعه. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نَسَائِهِمْ : الإيلاء: الحلف على عدم وطء الزوجة.

تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : التربص: الانتظار والتمهل.

فَإِنْ قَاءُوا : رجعوا إلى وطء نساءهم بعد الامتناع عنه باليمين. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ : فك رابطة الزوجية وحلها بقوله هي طالق أو مطلقة أو طلقتك. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ﴾.

وَالْمُطَلَّقَاتُ : جمع مطلقة وهي المرأة تسوء عشرتها فيطلقها زوجها أو القاضي.

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ : ينتظرن.

ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ : القرء إما مدة الطهر، أو مدة الحيض. ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ﴾.

مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَنْحَامِهِمْ : من الأجنة فلا يحل للمطلقة أن تكتم ذلك. ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ﴾.

وَيُعَوَّلُنَّ : أزواجهن واحد البعولة: بعل كفحل ونخل.

أَحَى بَرْدِهِمْ فِي ذَلِكَ : أي في مدة التربص والانتظار. ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾.

وَلهنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ : يريد على الزوجة حقوق لزوجها، ولها حقوق على زوجها. ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ : هي درجة القوامه أن الرجل شرعاً هو القيم على المرأة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ﴾.

الطَّلُقُ<sup>(١)</sup> : الاسم من طلق وهو أن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق أو طلقتك.

مَرَّتَانٍ : يطلقها، ثم يردها، ثم يطلقها ثم يردها، أي يملك الزوج الإرجاع في طلقتين، أما إن طلق الثالثة فلا يملك ذلك ولا ترجع حتى تنكح زوجاً غيره. ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ<sup>(٢)</sup> أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَاتِيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ : حسن العشرة فإن خافت المرأة أو خاف الزوج أن لا يؤدي حقوق الزوجية جاز الفداء وهو دفع مال للزوج ليخلي سبيل المرأة تذهب حيث شاءت، ويسمى هذا خلعاً. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ : ما يجب أن ينتهي إليه العبد من طاعة الله فلا يتجاوزه. ﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾.

وَمَنْ يَعْتَدْ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ : الظالم المتجاوز لما حد الله تعالى، والظلم وضع الشيء

في غير موضعه.

فَإِنْ طَلَّقَهَا : الطلقة الثالثة.

فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ : إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره<sup>(٣)</sup>

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا : أي لا إثم ولا حرج عليهما في الزواج من جديد.

أَنْ يَرْجِعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ : أن يرجع كل منهما لصاحبه بعقد جديد وبشرط أن يظنا

إقامة حدود الله فيهما، وإلا فلا يجوز نكاحهما. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَنْتُنَّجَهُنَّ : أجل المطلقة مقارنة انتهاء أيام عدتها.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ : تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضي

عدتها وتبين من زوجها.

وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا : مضارة لها وإضراراً بها.

لِيُعْتَدُوا : لتتجاوزوا حد الإحسان إلى الإساءة. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

وَلَا تَنْجِدُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُرُوعًا<sup>(٥)</sup> : لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها.

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : نعمة الله هنا هي الإسلام.

وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ : السنة النبوية.

(١) الطلاق شرعاً: هو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين بألفاظ مخصوصة منها: أنت طالق، والطلاق مباح لرفع الضرر عن أحد الزوجين أو عن كليهما.

(٢) الخطاب هنا للزوج وفي قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ للحكام وولاية الأمور.

(٣) ويكون النكاح صحيحاً وبيني بها الزوج الثاني لحديث «حتى تدوقي عسيلته ويدوق عسيلتك» [متفق عليه].

(٤) لا خلاف بين أهل العلم أن من طلق هازلاً أن الطلاق يلزمه لحديث أبي داود أن النبي ﷺ قال: «ثلاث جدهن

جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة» [حسن-انظر صحيح الجامع].

يَعْظُرُ بِهِ: بالذي أنزله من أحكام الحلال والحرام، لشكروه تعالى بطاعته. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ: أي انتهت عدتهن.

فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ: أي لا تمنعهن من التزوج مرة أخرى بالعودة إلى الرجل

الذي طلقها ولم يراجعها حتى انقضت عدتها.

إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ: إذا رضي الزوج المطلق أن يردها إليه ورضيت هي بذلك.

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ، مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: أي النهي عن العضل يكلف به أهل الإيمان

إذ هم القادرون على الطاعة.

ذَلِكَ أَرْكَبُ لَكُمْ وَأَطْهَرُ: أي ترك العضل خير لكم من العضل وأطهر لقلوبكم، إذ العضل قد

يسبب ارتكاب الفاحشة. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ عَامِينَ. كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾.

وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ: أي على الأب. ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾.

بِالْمَعْرُوفِ: بحسب حاله يسارًا وإعسارًا.

لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا: طاقتها وما تقدر عليه.

لَا تُضَارُّ وَوَلَدَهُ بِوَلَدِهَا: أي لا يحل أن تؤذي أم الولد بمنعها من إرضاع<sup>(١)</sup> ولدها، أو بمنعها

الأجرة على إرضاعه، هذا في حال طلاقها أو موت زوجها.

وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ: أي ولا يضار الوالد كذلك بأن يجبر على إرضاع الولد من أمه المطلقة

أو يطالب بأجرة لا يطيقها.

وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلَ ذَلِكَ: الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال، وإلا فعلى من يكفله من

عصبته.

فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا: فطامًا للولد قبل نهاية العامين. ﴿عَنْ تَرَاصٍ مِنْهَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ

تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءً أَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ: يوفيهم الله تعالى ما كتب لهم من العمر فيموتون.

(١) في الآية دليل على أن الأم أحق بالحضانة إذا طلقت أو مات الوالد ولا خلاف في ذلك ما لم تتزوج فإن حضانتها تسقط بذلك؛ لقول الرسول ﷺ لمن شكت إليه: «أنت أحق به ما لم تنكحي» [أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وصححه].

واختلف في مدة الحضانة، فمالك يرى أنها إلى بلوغ الغلام وتزوج الجارية، ورأى الشافعي أنها إلى ثمان سنوات ثم يخير الولد بين أبيه وأمه فأيهما اختار فله ذلك والبنات كذلك فقد صح أن النبي ﷺ خیر الولد بين أبيه وأمه.

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا: يتركون زوجات لهم.

يَرِيضَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا: يتظرن حتى انقضاء عدتهن وهي أربعة أشهر<sup>(١)</sup> وعشر

ليال.

فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ: بلغن انتهاء العدة.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ: لا حرج عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في

أنفسهن من مس الطيب والتجمل والتعرض للخطاب. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ: لا إثم عليكم في التعريض دون التصريح

بالخطبة.

أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ: كما لا إثم في إضمار الرغبة في النفس.. ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ

وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾<sup>(٢)</sup> وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ ﴿

حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ: أي حتى تنتهي العدة. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ: الجناح: الإثم المترتب على المعصية.

مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ: ما لم تجامعوهن.

أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً: تقدروا لهن مهراً.

وَمِعْوُهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ: ذو الوسع في المال وقدره: ما يقدر عليه ويستطيعه.

وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ: الضيق والعيش. ﴿مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِصْفٌ مَّا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا ﴿

الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ: وهو الزوج.

وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبٌ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ: أي المودة والإحسان. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ: بأدائها في أوقاتها في جماعة مع استيفاء شروطها وأركانها وسننها.

(١) قال ابن كثير: ولا يخرج من ذلك إلا المتوفي عنها زوجها وهي حامل، فإن عدتها بوضع الحمل، ولو لم تمكث

بعده سوى لحظة لعموم قوله: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾، وكذلك يستثنى من ذلك الزوجة إذا

كانت أمة، فإن عدتها على النصف من عدة الحرة على قول الجمهور، لأنها لما كانت على النصف من الحرة في

الحد فكذلك في العدة، ومن العلماء من يسوي بين الزوجات الحرائر والإماء في هذا المقام لعموم الآية، ولأن

العدة من باب الأمور الجبلية، التي تستوي فيها الخليفة. اهـ باختصار (قل).

(٢) سراً: هذا اللفظ هو الدال على تحريم خطبة المعتدة من وفاة أو من طلاق بائن [لكن يجوز التعريض مثل إنني

راغب في الزواج دون التصريح] أما الطلاق الرجعي فلا يصح الخطبة فيه تعريضاً ولا تصريحاً لأنها في حكم

الزوجة.

وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَى: صلاة العصر، أو الصبح فتجب المحافظة على كل الصلوات وخاصة العصر والصبح لقول الرسول ﷺ: «من صلى البردين - العصر والصبح - دخل الجنة». صحيح. وَفُؤُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ: خاشعين ساكنين.

فَإِنْ حَفِظْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا: مشاة على أرجلكم أو ركبانًا على الدواب وغيرها مما يركب. ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣١) وَالَّذِينَ يُتَوَقَّاتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا ﴿

إِلَى الْحَوْلِ: الحول: العام. ﴿عَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (١).

فَإِنْ حَرَجْنَ: من بيت الزوج المتوفى قبل نهاية السنة. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١٣٢).

وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ: أي متعة لا مبالغة فيها ولا تقصير.

حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ: متعينا على المطلقين الأتقياء. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٣).

﴿الْم تَر: ألم ينته إلى علمك. فالرؤية قلبية والاستفهام للتعجب.

إِلَى الَّذِينَ حَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ: جمع ألف وهي صيغة كثرة فهم إذا عشرات الألوف. ﴿حَدَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١٣٤).

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الطريق الموصل إلى مرضاته وهو طاعته بامثال أمره واجتتاب نهيهِ، ومن ذلك جهاد الكفار والظالمين حتى لا تكون فتنة. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٣٥).

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: يقطع شيئاً من ماله وينفقه في الجهاد لشراء السلاح وتسيير المجاهدين. ﴿فِيضْلِعْفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (١٣٦).

وَاللَّهُ يَقْضِي وَبِضْطٍ: يضيق ويسط ويوسع، يقبض ابتلاءً، ويسط امتحاناً. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١٣٧).

الْم تَر إِلَى أَلْمَلَا: أشراف الناس من أهل الحل والعقد بينهم، إذا نظر المرء إليهم ملثوا عينه

(١) اختلف في توجيه هذه الآية فمن قائل بنسخها وأن الناسخ لها الآية التي قبلها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّاتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ومن قائل بنسخها آية الموارث، والمتوفى عنها زوجها إن لم يكن للزوج ولد فلها الربع من التركة، ومن قائل - وهو مجاهد ورجحه ابن جرير الطبري - بعدم النسخ وأنه رحمة بالمؤمنة المتوفى عنها زوجها إذا أتمت عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً يسمح لها بالبقاء في بيت زوجها الهالك إلى نهاية السنة وهذا حسب اختيارها ورغبتها فكانت هذه الوصية وصية رحمة مندوباً إليها وهذا الذي رجحته في تفسير الآية فليتأمل.

رواء وقلبه هيبه. ﴿مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهِمْ أَعْتَبْنَاكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالُوا هَلْ

عَسَيْتُمْ : عسى : كلمة توقع وترجّح. ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ أَلْتَمَلُوكُمُ الْقِتَالِ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۗ

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ : فرض ولزم. ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ ۗ

إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا : يسوسهم في السلم والحرب.

قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا : الاستفهام للإنكار بمعنى كيف يكون له الملك. ﴿وَوَحْنٌ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ : فضله عليكم واختاره لكم.

وَزَادَهُ سَبْطَةً فِي أَعْيُنِنَا : أي طولاً زائداً يعلو به من عداه. ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : شمويل.

إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ : علامة أن الله تعالى ملكه عليكم.

أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ : صندوق خشبي فيه بقية من آثار آل موسى وآل هارون.

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ : طمأنينة القلب وهدوء نفسي.

وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آدَمُ وَنُوحٌ وَآلُ هَارُونَ : بقية الشيء ما تبقى منه بعد ذهاب أكثره وهي هنا

رضاض من الألواح التي تكسرت، وعصا موسى وشيء من آثار أنبيائهم.

تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ : من أرض العمالقة فتضعه بين يدي بني إسرائيل في مخيماتهم.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ : أي في إتيان التابوت الذي أخذه العدو بالقوة منكم في رده إليكم

علامة قوية على اختيار الله تعالى لطالوت ملكاً عليكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٨﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ : انفصل من الديار وخرج يريد العدو.

بِالْجُنُودِ : العسكر وتعداده كما قيل : سبعون ألف مقاتل.

قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ : مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن. ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ

فَلَيْسَ مِنِّي ۗ

وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ : لم يشرب منه. ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي ۗ ﴿١٦٩﴾

إِلَّا مَنْ أَغْرَقَ غُرُقَةً بِيَدَيْهِ : الغرفة بالفتح المرة وبالضم الاسم من الاغتراف. ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا

(١) أي : ليس من أصحابي في هذه الحرب ولم يرد الخروج من الإيمان.

قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ ۖ ﴿١﴾

هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ: هم الذين لم يشربوا من النهر<sup>(١)</sup>. ﴿فَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا أَيَّومَ  
بِجَالُوتَ وَجُثُودِهِ ۖ ﴿٢﴾

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ<sup>(٢)</sup> أَي: يوم القيامة فهم يؤمنون بالبعث الآخر.  
كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ: كم للتكثير والفئة: الجماعة يفىء بعضها إلى بعض. ﴿عَلَبَتْ فِئَةٌ  
كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ ۖ ﴿٣﴾

وَاللَّهُ مَعَ الصَّكِرِينَ: يسددهم ويعينهم وينصرهم.  
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُثُودِهِ: ظهروا في ميدان المعركة، وجالوت قائد قوات العمالقة.  
قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا: اصعب الصبر في قلوبنا صبرًا حتى تمتلئ فلم يبق للخوف  
والجزع موضع.

وَكَيْتَ أَقْدَامَنَا: في أرض المعركة حتى لا ننهزم وذلك بتقوية قلوبنا والشد من عزائمنا.  
﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾

فَهَزَمُوهُمْ بِآذِنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ: داود هو نبي الله ورسوله داود وكان يومئذ غير  
نبي ولا رسول في جيش طالوت.

وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ: كان ذلك بعد موت شمویل النبي وموت طالوت  
الملك<sup>(٣)</sup>

وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ: فعلمه صنعة الدروع، وفهم منطق الطير هو وولده سليمان ﷺ.  
وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ: بالجهاد والقتال.

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ: وذلك بغلبة أهل الشرك على أهل التوحيد، وأهل الكفر على أهل  
الإيمان. ﴿وَلَوْ كُنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزُلُهَا عَلَيْكَ  
بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ: أولئك الرسل الذين قص الله تعالى على رسوله بعضًا  
منهم وأخبره أنه منهم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ في الآية قبل هذه.

مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ: كموسى ﷺ.  
وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ: وهو محمد ﷺ حيث فضله تفضيلًا على سائر الرسل.

(١) أو شرب الواحد منهم المأذون به وهو غرقة واحدة.

(٢) الظن هنا بمعنى اليقين أو يكون الظن على بابه وليس هو في لقاء الله تعالى وإنما هو في الموت في هذه الحرب  
هل يقتلون فيلحقوا الله أو لم يقتلوا؟

(٣) فسر ابن كثير الحكمة بالنبوة لقريظة الملك، إذ جعله الله تعالى ملكًا نبيًا كولد سليمان عليهما السلام.

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ: المعجزات الدالة على صدق عيسى في نبوته ورسالته.  
 وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ: جبريل عليه السلام كان يقف دائماً إلى جانب عيسى يسدده ويقويه إلى أن  
 رفعه الله تعالى إليه. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ  
 ائْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾.  
 مَا أَقْتَلْتُمْ: قتل بعضهم بعضاً. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾  
 يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ: النفقة الواجبة وهي الزكاة، ونفقة التطوع المستحبة.  
 ﴿مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾.

لَا يَبِيعُ فِيهِ: لا يشتري أحد نفسه بمال يدفعه فداءً لنفسه من العذاب.  
 وَلَا حُلَّةٌ: أي صداقة تنفع صاحبها.  
 وَلَا شَنْعَةٌ: تقبل إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى.  
 وَالْكَافِرُونَ: يمنع الزكاة والحقوق الواجبة لله تعالى ولعباده. ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾  
 اللَّهُ: علم على ذات الرب تبارك وتعالى.  
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: الإله المعبود، ولا معبود بحق إلا الله، إذ هو الخالق الرزاق المدبر بيده كل  
 شيء وإليه مصير كل شيء، وما عداه من الآلهة فعبادتها بدون حق فهي باطلة.  
 الْحَيُّ: ذو الحياة العظيمة التي لا تكون لغيره تعالى، وهي مستلزمة للقدره والإرادة والعلم  
 والسمع والبصر والكلام.

الْقِيَوْمُ: القائم بتدبير الملكوت كله علويه وسفليه، القائم على كل نفس بما كسبت.  
 لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ: السنة: النعاس يسبق النوم. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي  
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.  
 وَسِعَ كُرْسِيُّهُ: الكرسي: موضع القدمين، ولا يعلم كنهه إلا الله تعالى.  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُؤْذُهُ: يثقله ويشق عليه. ﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾  
 لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: لا يكره العبد على الدخول في الدين، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.  
 فَدَبَّبِينَ الرُّشْدَ: الهدى الموصول إلى الإسماعاد والإكمال.  
 مِنَ النَّعِيِّ: الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران.  
 فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما.  
 وَيَوْمٍ مِنْ يَوْمٍ: بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى<sup>(١)</sup>: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراف  
 المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾، أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك

لَا أَنْفِصَامَ لَهَا : لا تنفك ولا تنحل بحال من الأحوال. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦)

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا : متوليهم بحفظه ونصره وتوفيقه.

يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ : ظلمات الجهل والكفر.

إِلَى النُّورِ : نور الإيمان والعلم.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ : المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان.

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ : فأخرجوهم من الإيمان إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥٧)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ : ألم ينته إلى علمك يا رسولنا، والاستفهام يفيد التعجب من الطاغية المحجج

لإبراهيم.

حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ : جادل ومارى وخاصم إبراهيم.

فِي رَبِّهِ : في شأن ربه من وجوده تعالى وربوبيته وألوهيته للخلق كلهم.

أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ : أعطاه الحكم والسيادة على أهل بلاده وديار قومه.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : إبراهيم: هو أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان هذا الحجاج قبل هجرة

إبراهيم إلى أرض الشام. ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ : انقطع عن الحججة متحيراً مدهوشاً ذاك الطاغية الكافر وهو نمرود البابلي.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٥٨)

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ : مدينة لم يذكر الله تعالى اسمها فلا يبحث عنها لعدم جدوى معرفتها.

وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا : فارغة من سكانها ساقطة عروشها على مبانيها وجدرانها.

قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ : كيف يحيي الله.

بَعْدَ مَوْتِهَا : بعد خوائها وسقوطها على عروشها. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾

قَالَ كَمْ لَبِثْتُ : مكثت وأقمت. ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾

لَمْ يَتَسَنَّهٖ : لم يتغير بمر السنين عليه. ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾

بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد، ولهذا قال: ﴿فَكَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ الآية، قال مجاهد: العروة الوثقى يعني الإيمان، وقال السدي: هو الإسلام، وقال سعيد بن جبير والضحاك: يعني ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. وعن أنس بن مالك: العروة الوثقى القرآن، وعن سالم ابن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله، وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها. اهـ باختصار (قل)

وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ : علامة على قدرة الله على بعث الناس أحياء يوم القيامة.

وَأَنْظُرَ إِلَى أَعْظَامِهِ كَيْفَ نُنشِزُهَا : في قراءة ورش (نشرها) بمعنى نحيتها بعد موتها. ونشزها نرفعها ونجمعها لتكون حمارًا كما كانت. ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : هو خليل الرحمن أبو الأنبياء ﷺ. ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُ تَوَمِّنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّا يَظُنُّونَ ﴿١﴾ لِيُظْمِنَ قَلْبِي﴾ : يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفية. قَالَ فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ لِيَلِكَ : أملهن واضمهن إليك وقطعهن أجزاء. ﴿ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَيْكُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنُكَ سَعِيًّا : مشيًا سريعًا وطيرونًا.

وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ : غالب لا يمتنع عنه ولا منه شيء أرادته بحال من الأحوال.

حَكِيمٌ ﴿١٦٦﴾ : لا يخلق عبثًا ولا يوجد لغير حكمة، ولا يضع شيئًا في غير موضعه اللائق به.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ : صفتهم المستحسنة العجيبة.

أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : كل ما يوصل إلى مرضاة الله تعالى من الإيمان وصالح الأعمال.

﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ﴾.

مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ : يزيد ويكثر حتى يكون الشيء أضعاف ما كان. ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا﴾.

مَنَّا : المن: ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه على وجه التفضل عليه.

وَلَا أَدَى : الأذى: التناول على المتصدق عليه وإذلاله بالكلمة النابية أو التي تمس كرامته

وتحط من شرفه. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ : كلام طيب يقال للسائل المحتاج نحو: الله يرزقنا وإياكم، الله كريم، الله يفتح

علينا وعليك.

وَمَغْفِرَةٌ : ستر على الفقير بعدم إظهار فقره، والعفو عن سوء خلقه إن كان كذلك. ﴿خَيْرٌ مِّن

صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى﴾.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ : غنى ذاتي لا يفتقر معه إلى شيء أبدًا.

حَلِيمٌ ﴿١٦٩﴾ : لا يعاجل بالعقوبة بل يعفو ويصفح.

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ : إبطال الصدقة: الحرمان من ثوابها.

(١) هذا السؤال والله ما كان عن شك من إبراهيم أبدًا وكيف وقد قال رسول الله ﷺ : «نحن أحق بالشك من إبراهيم» [كما في الصحيحين] أي: لو شك إبراهيم لكننا نحن أحرى بذلك لضعفنا ولكن ما شك إبراهيم، وكل ما طلبه زيادة اليقين برؤية كيفية الإحياء كيف تتم، فسلام على إبراهيم الخليل وعلى محمد في العالمين.

يَالْمَنِّ وَالْأَذَى : تقدم معناهما.

كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ : مراعاة لهم ليكسب محمديهم، أو يدفع مذمتهم. ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ : حجر أملس. ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾.

فَأَصَابَهُ، وَأَيْلٌ : مطر شديد.

فَتَرَكَهُ صَلْدًا : أملس ليس عليه شيء من التراب.

لَا يَقْدِرُونَ : يعجزون عن الانتفاع بشيء من صدقاتهم الباطلة. ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٦٤).

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ : المثل : الصفة.

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ : طلباً لرضاء الله تعالى.

وَتَشْبِيهًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ : تحقيقاً وتيقناً بثبوت الله تعالى لهم على إنفاقهم في سبيله.

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ : بستان كثير الأشجار بمكان مرتفع. ﴿أَصَابَهَا وَأَيْلٌ﴾.

فَقَالَتْ أَكُلْهَا ضَعْفَيْنِ : مضاعفاً مرتين، أو ضعفي ما يثمر غيرها.

فَإِنْ لَمْ يَبْسُفْهَا وَأَيْلٌ : الوابل : المطر الغزير الشديد.

فَطَلٌ : الطل : المطر الخفيف. ﴿وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٦٥) أَحَدَكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ

نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَانُ فَأَصَابَهَا﴾.

إِعْصَارٌ : ريح عاصف فيه سموم. ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٦).

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ : من جيد أموالكم وأصلحها.

وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ : من الحبوب، وأنواع الثمار.

وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ : لا تقصدوا الرديء تنفقون منه.

وَلَسْتُمْ بِأَخَذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْضُوا فِيهِ : إلا أن تغضوا أبصاركم عن النظر (١) في رداءته فتأخذوه

بتساهل منكم وتسامح.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ حَكِيمٌ (٦٧) : محمود في الأرض والسماء، في الأولى والأخرى لما أفاض

ويفيض من النعم على خلقه.

(١) يقال أغمض الرجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز، وما في التفسير فهو مأخوذ من تغميض العين لعدم رؤية العيب والرداءة، وقراءة الجمهور تشهد للمعنيين: التجاوز، وتغميض العين.

السَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ: يخوفكم من الفقر ليمنعكم من الإنفاق في سبيل الله.

وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ<sup>١</sup>: يدعوكم إلى ارتكاب الفواحش ومنها البخل والشح<sup>(١)</sup> ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ<sup>٢</sup>: الحكمة: فهم أسرار الشرع، وحفظ الكتاب والسنة. ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا﴾.

أَوْلُوا الْأَلْبَابِ<sup>(٣)</sup>: أصحاب العقول الراجحة المفكرة فيما ينفع أصحابها.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ: يريد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الرديء.

أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ: النذر التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع، كأن يقول: لله علي أن أتصدق بألف، أو أصوم شهرًا أو أصلي كذا ركعة، أو يقول: إن حصل لي كذا من الخير أفعّل كذا من الطاعات<sup>(٢)</sup>. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ: أي تظهروها.

فَنِعْمًا هِيَ: فنعم تلك الصدقة التي أظهرتموها ليقتمدى بكم فيها. ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وَيُكْفِرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ: يكفر بمعنى يسترها ولا يطالب بها، و(من) للتبويض إذ حقوق العباد لا تكفرها الصدقة. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ: هدايتهم إلى الإيمان وصالح الأعمال. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ: من مال.

فَلَا تَنْفُسُكُمْ<sup>٤</sup>: ثوابه العاجل بالبركة وحسن الذكر، والآجل يوم القيامة عائد على أنفسكم. ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا لَأَنْتَ بَعْدَهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ: يرد أجره كاملاً لا ينقص منه شيء. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ﴾.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: حبسوا ومنعوا من التصرف؛ لأنهم هاجروا من

بلادهم.

لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ: أي سيرا فيها لطلب الرزق بالتجارة وغيرها لحصار العدو لهم. ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾.

(١) لفظ الفحشاء لم يطلق في القرآن إلا على فاحشة الزنى واللواط اللهم إلا في آية واحدة وهي ﴿السَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ

الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإن الفاحشة هنا بمعنى البخل يمنع الزكاة.

(٢) هذا النوع الثاني من النذر مكروه؛ لأنه نذر معلق لكن عليه الوفاء به (قل).

مِنَ التَّعَفُّفِ : ترك سؤال الناس، والكف عنه.

تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ : علامات حاجاتهم من رثاء الثياب وصفرة الوجه.

لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا<sup>١</sup> : إلحاحًا وهو ملازمة السائل من يسأله حتى يعطيه. ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢٧٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٣﴾

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا : يأخذونه ويتصرفون فيه بالأكل في بطونهم، وبغير الأكل، والربا هنا ربا النسئثة: وحقيقتها أن يكون لك على المرء دين فإذا حل أجله ولم يقدر على تسديده تقول له: آخر وزد؛ فتؤخره أجلًا وتزيد في رأس المال قدرًا معينًا، هذا هو ربا الجاهلية، والعمل به اليوم في البنوك الربوية، فيسلفون المرء مبلغًا إلى أجل ويزيدون قدرًا آخر نحو العشر أو أقل، والربا حرام بالكتاب والسنة والإجماع وسواء كان ربا فضل<sup>(١)</sup> أو ربا نسئثة.

لَا يَقُومُونَ : من قبورهم يوم القيامة.

إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ : يضربه الشيطان ضربًا غير منتظم.

مِنَ الْمَسِّ : المس الجنون، يقال: بفلان مس من جنون. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ : أمر أو نهي بترك الربا.

فَأَنْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ : ليس عليه أن يرد الأموال التي سبقت توبته. ﴿وَأَمْرُهُ﴾

إِلَى اللَّهِ : إن شاء ثبته على التوبة فنجاه، وإن شاء خذله لسوء عمله وفساد نيته فأهلكه. ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥)

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا : أي يذهبه شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى منه شيء كمحاق القمر آخر الشهر.

وَيُرِي الصَّدَقَاتِ : يبارك في المال الذي أخرجت منه، ويزيد فيه، ويضاعف أجرها أضعافًا كثيرة.

وَاللَّهُ لَا يُجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ : الكفار: شديد الكفر، يكفر بكل حق وعدل وخير. أثيم: منغمس

في الذنوب لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا ارتكبها.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ : خافوا عقابه بطاعته بأن تجعلوا طاعته وقاية تقيكم غضبه وعقابه.

(١) راجع تفسير الآية (١٣٠) من سورة آل عمران ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا...﴾

وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا: اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربوية. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المنهزمون الهالكون.

وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُوَيْسُ أَمْوَالِكُمْ: بعد التوبة ما لكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا. ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (٢٧٩)

وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ: العسرة: الشدة والضائقة المالية.

فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ: أي انتظار للمدين إلى أن ييسر الله عليه فيعطيك رأس مالكم الذي أخذه منكم.

وَأَنْ تَصَدَّقُوا: وأن تتصدقوا على المعسر بترك ما لكم عليه فذلك.

خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ: دابن بعضكم بعضًا في شراء أو بيع أو سلم أو قرض.

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى: وقت محدد بالأيام أو الشهور أو الأعوام.

فَأَكْتَبُوهُ وَيَكْتُبُ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ: بلا زيادة ولا نقصان ولا غش أو احتيال بل بالحق والإنصاف.

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ: لا يمتنع الذي يحسن الكتابة أن يكتب. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾

فَلْيَكْتُبْ ﴿٢٨٢﴾

وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ: لأن إملاءه اعتراف منه وإقرار بالذي عليه منه الحق. ﴿وَلِيَسْتَقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾

وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا: لا يتقص من الدين الذي عليه شيء ولو قل كفلس وليذكره كله.

فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا: السفية: الذي لا يحسن التصرفات المالية، والضعيف العاجز عن الإملاء كالأخرس أو الشيخ الهرم. ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾

فَلْيُمْلِلْ وَيُلِهُ بِالْعَدْلِ من يلي أمره ويتولى شؤونه لعجزه وقصوره.

وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ: أي المسلمين الأحرار دون العبيد والكفار. ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾

مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَصَلَّ إِحْدَهُمَا: تنسى أو تخطى لقصر إدراكها. ﴿فَتُدْكَرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةَ إِذَا مَدَّعَوْا﴾

وَلَا تَسْعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ: لا تضجروا أو تملوا من الكتابة، ولو كان الدين صغيرًا مبلغه.

ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ: أعدل في حكم الله وشرعه.

وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ: أثبت لها وأكثر تقديراً؛ لأن الكتابة لا تنسى والشهادة تنسى أو يموت الشاهد أو يغيب.

وَأَدْفَعُ الْأَلْتَرَاتِبُ: أقرب أن لا تشكوا بخلاف الشهادة بدون كتابة.

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ: أي تتعاطونها، البائع يعطي البضاعة والمشتري

يعطي النقود.

فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُوبُوهَا: فلا حاجة إلى كتابتها ولا حرج أو إثم يترتب عليها.

وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ: إذا باع أحدًا دارًا أو بستانًا أو حيوانًا يشهد على ذلك البيع.

وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ: بأن يكلف ما لا يقدر عليه بأن يدعى ليشهد في مكان بعيد يشق عليه

أو يطلب إليه أن يكتب زورًا أو يشهد به.

وَأِنْ تَعَلَّوْا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بَيْنَكُمْ: أي خروج عن طاعة ربكم لاحق بكم إثمه وعليكم تبعته يوم

القيامة.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ: في أوامره فافعلوها، وفي نواهيه فاتركوها.

وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ: وكما علمكم هذا يعلمكم كل ما تحتاجون فاحمدوه بألستكم واشكروه

بأعمالكم وسيجزىكم بها. ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾ (٢٨٢)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ: السفر: الخروج من الدار والبلد ظاهرًا بعيدًا بمسافة أربعة برد فأكثر (١).

وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا: من يكتب لكم، أو لم تجدوا أدوات الكتابة من دواة وقلم.

فَرَهْنٌ مَقْبُوضَةٌ: فاعتاضوا عن الكتابة الرهن فليضع المدين رهناً لدى الدائن.

فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ: فلا حاجة إلى الرهن.

فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمْنَتَهُ: أي فليعط الدين الذي أوتمن عليه حيث تعذرت الكتابة ولم يأخذ

دائنه منه رهناً على دينه. ﴿وَلَيْسَ لِلَّهِ رِبْءٌ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾

وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ: لأن الكتمان من عمل القلب فنسب الإثم إلى القلب. ﴿وَاللَّهُ

يَمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ﴾ (٢٨٣) ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٨٤)

ء آمن: صدق جازماً بصحة الخبر ولم يتردد أو يشك فيه قط.

الرَّسُولُ: نبينا محمد ﷺ. ﴿يَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» ج ١/ ٤٨١: (ولم يحذ الله ﷻ لأمته مسافة محدودة للقصر والفطر، بل أطلق لهم

ذلك في مطلق السفر والضرب في الأرض، كما أطلق لهم التيمم في كل سفر، وأما ما يروى عنه من التحديد باليوم،

أو اليومين، أو الثلاثة، فلم يصح عنه منها شيء البتة، والله أعلم). أي يقصد بذلك ﷻ السفر العرفي (قل).

﴿كُلٌّ مِنْ الرُّسُلِ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَمَّنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿لَا تَفْرِقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾: نؤمن بهم جميعاً ولا نكون كاليهود والنصارى نؤمن ببعض ونكفر ببعض.

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا: سَمَاعٌ فَهْمٌ وَاسْتِجَابَةٌ وَطَاعَةٌ.

عُفْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾: المرجع أي: رجوعنا إليك يا ربنا فاغفر لنا.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا: التكليف الإلزام مما فيه كلفة ومشقة تحتل.

إِلَّا وَسْعَهَا: إِلَّا مَا تَسَعُ لَهَا طَاقَتَهَا وَيَكُونُ فِي قَدْرَتِهَا <sup>(١)</sup>.

لَهَا مَا كَسَبَتْ: مِنَ الْخَيْرِ.

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ: مِنَ الشَّرِّ.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا: لَا تَعَاقِبْنَا.

إِنْ نَسِينَا: فتركنا ما أمرتنا به أو فعلنا ما نهيتنا عنه نسياناً منا غير عمد.

أَوْ أَخْطَأْنَا: فعلنا غير ما أمرتنا خطأ منا بدون إرادة فعل منا له ولا عزيمة.

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا: تَكْلِيفًا شَاقًّا يَثْقُلُ عَلَيْنَا وَيَأْسِرُنَا فَيُحْبِسُنَا عَنِ الْعَمَلِ. ﴿كَمَا

حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا لَاقَاةَ لَنَا بِهِ﴾ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴿﴾

أَنْتَ مَوْلَانَا: مَالِكُنَا وَسَيِّدُنَا وَمَتَوْلِي أَمْرِنَا لَا مَوْلَى لَنَا سِوَاكَ. ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ <sup>(٢)</sup>.



(١) قال القرطبي: نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا

وهي في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه وبنيته ( ج ٣ ص ٤٩).

ومقتضى كلام القرطبي ﷺ أن الله لم يأمرك ولم ينهك إلا وهذا الأمر وهذا النهي داخلان في طاقتك، فلا يتخلف

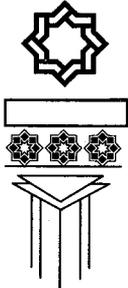
رجل عن صلاة الصبح جماعة في المسجد بدون عذر. ثم يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لأن هذا

الصلاة داخله في طاقته أصلاً (قل).

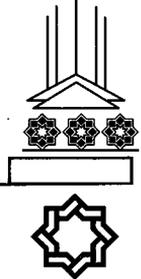
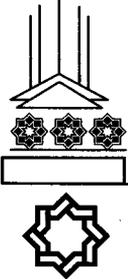
(٢) قال ابن كثير ﷺ: (قال ابن جرير عن أبي إسحاق: إن معاذاً رضي الله عنه كان إذا فرغ من هذه السورة ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ قال: آمين (قل).





**الباب الثاني**  
**من سورة «آل عمران»**  
**إلى سورة «التوبة»**





## ٣ - سُورَةُ الْعَمْرَانِ

«مَجْنِيَّةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلَمْ (١) : تقدم الكلام على مثله من سورة «البقرة» فليرجع إليه هناك.

اللَّهُ : المعبود بحق.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق سواه.

الْحَيُّ : ذو الحياة المستلزمة للإرادة والعلم والسمع والبصر والقدرة.

الْقَيُّومُ (٢) : القيم على كل مخلوقاته بالتربية والرعاية والحفظ.

زَلَّ عَلَيْكَ الْكَتَبَ : القرآن.

بِالْحَقِّ : متلبساً به إذ كل ما فيه حق وصدق لا باطل فيه بأي وجه من الوجوه.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ : من الكتب السابقة لا يخالفها ولا يبطلها لأن مصدر الجميع واحد هو الله

تعالى.

وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ : كتاب موسى ﷺ ومعناه بالعبرية الشريعة (١).

وَالْإِنْجِيلَ (٣) : كتاب عيسى ﷺ ومعناه باليونانية: التعليم الجديد (٢).

مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) : ما فرق الله به بين الحق والباطل من الحجج القرآنية

والمعجزات الإلهية والعقول النيرة البشرية التي لم يغلب عليها التقليد والجمود والهوى (٣) ﴿إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ (٥) ﴿

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ (٤)﴾ التصوير: أي إيجاد الصورة للشيء لم تكن له من

قبل والأرحام، جمع رحم: مستودع الجنين. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ مِنْهُ ﴿

(١) وهي عند اليهود خمسة أسفار: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشرع.

(٢) ويطلق الإنجيل على أربعة كتب: إنجيل يوحنا ومرقس ولوقا وبرنابا.

(٣) وفسر الفرقان بالقرآن وهو حق لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾؛ وسمي فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل.

(٤) أي من حسن وقبح وسواد وبياض وطول وقصر، وعامة وسلامة وسعادة وشقاء.

ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ : الظاهرة الدلالة البينة المعنى التي لا تحتمل إلا معنى<sup>(١)</sup> واحداً، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

هُنَّ أَمْ الْكُنُوبُ : وهذه معظم آي الكتاب وهي أمه وأصله.

وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَةٌ : غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعانٍ يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب، ومثل قول الله تعالى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ . النساء، وكقوله : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ الأنعام.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ : الزيف: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ : أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ : طلباً لتأويله ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ : وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : هم أهل العلم اليقين في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلون ولا يَشْتَطُونَ في شبهة أو باطل.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا : أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ (٧) : أصحاب العقول الراجحة والفهوم السليمة.

رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا : أي لا تمل قلوبنا عن الحق بعدما هديتنا إليه وعرفتنا به فعرفناه.

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً : أعطنا من عندك رحمة. ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَآ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعَيْدَ (٩) ﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : هم وفد نجران ويهود المدينة والمشركون والمنافقون.

لَنْ نُنْفِكَ عَنْهُمْ : لن تجزي عنهم ولن تقيهم عذاب الله إذا حل بهم. ﴿ آمَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ﴾ .

وَأُولَئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ (١٠) : الوقود ما توقد به النار من حطب أو فحم حجري أو غاز.

كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : كعادتهم وستتهم في كفرهم وتكذيبهم وما حل بهم من عذاب في الدنيا والآخرة. ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) ﴾ .

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : هم يهود المدينة بنو قينقاع. ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَسَّاتُ الْعِهَادُ (١٢) ﴾ .

فَدَكَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : علامة واضحة، والفتتان: المسلمون وقريش التقتا في بدر.

(١) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: المحكمات أي في القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما لم.

(٢) هذه الجملة ليست من كلام الراسخين؛ ولكنها من كلام الله تعالى فهي تذييل للكلام السابق سبقت للثناء عليهم.

﴿وَعَةُ تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾.

يُرُونَهُمْ مِثْلَهُمْ <sup>(١)</sup> رَأَى الْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصَرَهُ: يُقْوِي. ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾: العبرة العظة وما يعبر به ذو البصيرة مواضع

الخطر فينجو.

زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ: جعل حبها مستحسنًا في نفوسهم لا يرون فيه قبحًا ولا دمامة.

والشهوات: جمع شهوة بمعنى المشتهى طبعًا وغريزة كالطعام والشراب اللذيذين.

مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ: القنطار ألف ومائة أوقية فضة، والمنقطرة الكثيرة

بعضها فوق بعض. ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ: ذات السمات الحسان والمعدة للركوب عليها للغزو والجهاد.

وَالْأَنْعَامِ: الإبل والبقر والغنم وهي الماشية.

وَالْحَرَثِ: الزروع والحقول وسائر النباتات النافعة.

ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي ذلك المذكور من النساء والبنين إلخ متاع الحياة الدنيا يريد

يستمتع به فيها ويموت صاحبها ويتركها. ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ <sup>(٢)</sup>

﴿قُلْ أُوْنَيْتُكُمْ: أخبركم بنبي عظيم لأن النبا لا يكون إلا بالأمر العظيم.

بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ: أي المذكور في الآية السابقة من النساء والبنين إلخ.

لِلَّذِينَ اتَّقَوْا: خافوا ربهم فتركوا الشرك به ومعصيته ومعصية رسوله.

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: من خلال قصورها وأشجارها أنهار الماء، وأنهار اللبن

وأنهار العسل وأنهار الخمر.

خَالِدِينَ فِيهَا: مقيمين فيها إقامة لا يرحلون بعدها أبدًا.

وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ: زوجات هي الحور العين نقيات من دم الحيض والبول وكل أذى وقذر.

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ <sup>(٥)</sup> الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَفْغَرْنَا دُونَنَا

وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾.

الضَّالِّينَ: على الطاعات لا يفارقونها، وعلى المكروه لا يتسخطون، وعن المعاصي لا

يقاربونها.

(١) الضمير عائد على المسلمين على أسلوب الالتفات، والأصل ترونهم مثليكم، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على المشركين، ولكن الصواب أنه عائد على المؤمنين، لأن الله تعالى قتل المشركين في أعين المؤمنين ليقدموا على قتالهم، إذ كان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وكان عدد المشركين رابياً على التسعمائة مقاتل.

(٢) المآب: المرجع والمراد المآب: ما أعده الله تعالى لأولياته من النعيم المقيم في دار السلام.

وَالصَّادِقِينَ : في إيمانهم وأقوالهم وأعمالهم.  
وَالْقَانِئِينَ : العابدين المحسنين الداعين الضارعين.  
وَالْمُنْفِقِينَ : المؤدين الزكاة والمتصدقون بفضول أموالهم.  
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٧٧﴾ : السائلين ربهم المغفرة في آخر الليل وقت السحور.  
شَهِدَ اللَّهُ : أخبر عن علم بحضوره الأمر المشهود به.  
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء إلا الله تبارك وتعالى.  
وَالْمَلَائِكَةَ وَأَوْلِيَ الْعِلْمِ : أصحاب العلم الصحيح المطابق للواقع وهم الأنبياء والعلماء.  
قَائِمًا بِالْقِسْطِ : العدل في الحكم والقول والعمل.  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ : الغالب ذو العزة التي لا تغلب، الحكيم في كل خلقه وفعله  
وسائر تصرفاته.

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ : ما يدين الله تعالى به أي : يطاع فيه ويخضع له به من الشرائع والعبادات.  
الْإِسْلَامُ : الانقياد لله بالطاعة والخلوص من الشرك والمراد به هنا ملة الإسلام. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ  
الدِّينَ أَوْ تَوَاتُوا الْكِتَابَ﴾

إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَيِّنًا بَيْنَهُمْ : ظلماً وحسداً.  
وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّيَنَتِ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾  
فَإِنْ حَاجُّوكَ : جادلوك وخاصموك بحجج باطلة واهية.  
فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ : أخلصت كل أعمالي القلبية والبدنية لله وحده لا شريك له.  
وَمَنْ اتَّبَعَنِي : كذلك أخلصوا لله كل أعمالهم له وحده لا شريك له.  
وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : اليهود والنصارى.  
وَالَّذِينَ آمَنُوا : العرب المشركون سُئِمُوا بِالْأَمِينِ لِقَلَّةِ مَنْ يقرأ ويكتب فيهم.  
ءَأَسْلَمْتُمْ : الهمزة الأولى للاستفهام والمراد به الأمر أي : أسلموا خيراً لكم لظهور الحق  
وانبلاج نوره بينكم بواسطة كتاب الله ورسوله ﷺ.

فَإِنْ آمَنُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا : فإن أجابوك وأسلموا فقد اهتدوا إلى سبيل النجاة.  
وَإِنْ تَوَلَّوْا : أدبروا عن الحق بعد رؤيته وأعرضوا عنه بعد معرفته فلا يضرك أمرهم.  
فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ : إذ ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت. ﴿وَاللَّهُ بِصِيْرَتِكُمْ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠﴾  
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ : يجحدون ويكذبون. يَتَّيَنَتِ اللَّهُ .

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ : جمع نبي وهو ذكر من بني آدم أوحى إليه الله تعالى.  
وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ : العدل والحق والخير والمعروف. ﴿مِنَ النَّاسِ﴾  
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ : أخبرهم إخباراً يظهر أثره على بشرته وجوههم الماء وحسرة.

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : بطلت وذهبت لم يجنوا منها شيئاً ينفعهم ويهلكون بذلك ويعدمون الناصر لهم؛ لأن الله خذلهم وأراد إهلاكهم وعذابهم في جهنم. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٢٢).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا<sup>(١)</sup> مِنَ الْكِتَابِ : أعطوا حظاً وقسطاً من التوراة. يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ : يُطَلَّبُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَتَحَاكَمُوا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ إِلَى كِتَابِهِ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُوَ التَّوْرَةُ فَيَأْبُونَ وَيَعْرَضُونَ. ثُمَّ يَتَوَكَّلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ : يرجع وهو مصمم على عدم العودة إلى الحق. ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴿

لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ : هذا قول اليهود ويعنون بالأيام الأربعين يوماً تلك التي عبدوا فيها العجل بعد غياب موسى ﷺ عنهم. وَعَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ : يكذبون. فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَارِبِّ فِيهِ : هو يوم القيامة. وَوَقَّيْتِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ : ما عملت من خير أو شر.

وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿٢٥﴾ : بأن يعذبوا بدون مقتضى لعذابهم من الشرك والكفر والمعاصي. قُلِ اللَّهُمَّ : يا الله حذف حرف النداء «يا» وعوض عنه الميم المشددة وهو خاص بنداء الله تعالى.

مَلِكٍ : المالك: الحاكم المتصرف يفعل في الملك ما يشاء ويحكم ما يريد لعظم سلطانه وقوة إرادته.

أَلْمَلِكِ : المملوك: والمقصود به ما سوى المالك ﷺ، من سائر الكائنات. تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ : السلطان والتصرف في بعض الملكوت. ﴿مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٦). تَوَلَّيْتُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ : تدخل الليل في النهار فلا يبقى ليل. وَتَوَلَّيْتُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : فلا يبقى نهار.

وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ : أي تخرج جسمًا حيًّا من جسم ميت في المحسوسات كالدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، ومن المعنويات يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ : بغير عدد ولا حد لواسع فضله وغناه عما سواه.

(١) التنكير للتقليل وليس للتعظيم؛ لأن السياق في ذمهم وتقبيح سلوكهم.

لَا يَتَّخِذْ : لا يجعل. ﴿الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾.

أَوْلِيَاءَ : جمع ولي يتولونهم بالنصر والمحبة والتأييد. من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ<sup>(١)</sup> : أي برئ الله تعالى منه، ومن برئ الله منه فقد هلك

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً : وقاية باللسان وهي الكلمة المليئة للجانب، المبعدة للبغضاء.

﴿وَيُحَذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَحْفَظُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَحْجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ .

مِنْ خَيْرٍ مُخْتَصِرًا : حاضرًا يوم القيامة، ﴿وماعملت من سوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه﴾ .

أمدًا بعيدًا : مدى و غاية بعيدة.

﴿وَيُحَذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ : أي يخوفكم عقابه إن عصيتموه. ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٣٠﴾ .

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ : لكمال ذاته وإنعامه عليكم.

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ : لطاعتكم إياه، وطهارة أرواحكم بتقواه.

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ : يسترها عليكم ولا يؤاخذكم بها. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ .

فَإِنْ تَوَلَّوْا : أعرضوا عن الإيمان والطاعة. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ : اختار. وآدم هو أبو البشر﴾ . ﴿وَنُوحًا﴾ .

وَعَالِ إِسْرَائِيلَ : آل الرجل أهله وأتباعه على دينه الحق.

وَعَالِ عِمْرَانَ : رجل صالح من صلحاء بني إسرائيل في عهدهم الأخير هو زوج حنة وأبو مريم

﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ : هم الناس المعاصرون لهم. ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ .

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ : حنة.

رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي : ألزمت نفسها أن تجعله لله يعبده ويخدم بيته الذي هو بيت

المقدس.

مُحَرَّرًا : خالصًا لا شركة فيه لأحد غير الله بحيث لا تنتفع به أبدًا. ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ .

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ : في باب الخدمة في بيت المقدس فلذا هي آسفة جدًا<sup>(٢)</sup>.

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ : خادمة الرب تعالى.

وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِلَيْكِ وَدَرَيْتَهَا : أحصنها واحفظها بجناحك وذريتها. ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٣٦﴾

(١) هذا نحو: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية على حذف مضاف كذلك: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ليس في ولاية الله وحزبه في شيء.

(٢) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾: أي في القوة والعبادة، وخدمة المسجد الأقصى (قل).

فَنَقَبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴿١٠٠﴾ .

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا : زكريا أبو يحيى عليه السلام وكانت امرأته أختًا لحنة <sup>(١)</sup> .

كَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ : مقصورة ملاصقة للمسجد. وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا .

قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا : من أين لك هذا، أي: من أين جاءك؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠١﴾ .

هَذَا لَكَ : ثُمَّ عِنْدَمَا رَأَى كِرَامَةَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ عليها السلام .

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ : زكريا: أحد أنبياء بني إسرائيل ورسلمهم .

قَالَ رَبِّ هَبْ لِي : أعطني .

مِنْ لَدُنْكَ : من عندك .

ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً : أولادًا أطهارًا صالحين. ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّعَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي

الْمِحْرَابِ أَنْ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِحَيِّئٍ ﴿١٠٢﴾ .

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ : هي عيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُنْ» .

وَسَيِّدًا وَحَصُورًا : شريفًا ذا علم وحلم، ولا رغبة له في النساء لقلته مائه .

وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ .

لِي عَلَمٌ : ولد ذكر .

وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرَ وَأَمْرًا نِي عَاقِرٌ : عقيم لا تلد لعقمها، وعقرها. ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ

﴿١٠٣﴾ .

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً : علامة أستدل بها على بداية الحمل لأشكر نعمتك. ﴿قَالَ آيَتُكَ آلَا

تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا ﴿١٠٤﴾ : إلا إشارة بالرأس أو باليد يفهم منها ما يفهم من الكلام .

وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسِيحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿١٠٥﴾ : أول النهار، والعشي آخره .

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : اذكر لو فد نصارى نجران ما قالت الملائكة فإن ذلك دليل على صحة

نبوتك وصدقك في أمر التوحيد وعدم ألوهية عيسى .

يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ : اختارك لعبادته وحسن طاعته .

وَوَطَّهَرَكَ : من الذنوب وسائر النقائص المخلة بالولاية لله تعالى .

وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ : أي فضلك على نساء العالمين بما أهلك له من كرامة

ولادة عيسى من غير أب .

(١) قال ابن كثير رحمته الله: (وقوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية، أي: جعله كافلًا

لها) (قل) .

يَمْرِيْمُ أَقْبَتِي لِرَبِّكَ: أطبعي ربك واقنتي له واخشعي. ﴿وَأَسْجُدِي﴾.  
 وَأَرْكَعِي مَعَ الرُّكَّعَاتِ ﴿١٣﴾: اشهدي صلاة الجماعة في بيت المقدس (١)  
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ: أي ما ذكرت من قصة مريم وزكريا من أخبار الغيب. تُوْحِيْدِي إِلَيْكَ.  
 وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ: عندهم وبينهم.  
 إِذْ يَقُولُ أَقْلَهُمْ: جمع قلم وهو ما يكتب به والقاوها لأجل الاقتراع بها على كفالة مريم.  
 أَيُّهُمْ يَكْمُلُ مَرِيْمَ: أيهم يكمل مريم.

وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٤﴾: في شأن كفالة مريم.  
 إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرِيْمَ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ: يخبرك بخبر سار مفرح لك.  
 بِكَلِمَةٍ مِنْهُ: هو المسيح ﷺ وسمي كلمة لأنه كان بكلمة الله تعالى «كُنْ».  
 اسْمُهُ الْمَسِيْحُ: (٢) لقب عيسى ﷺ ومن معانيه الصدق. ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.  
 وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: الوجه: ذو الجاه والقدر والشرف بين الناس. ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿١٥﴾.  
 وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ (٣): المههد مضجع الصبي وهو رضيع.  
 وَكَهْلًا: الكهل سن ما بين الشباب والشيخوخة (٤) ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ  
 لِي وَوَلَدٌ﴾.

وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ: تريد لم يقر بها ذكر لا للوقاع ولا لغيره. وذلك لعقمها وبُعْدِهَا عَنِ الرِّجَالِ  
 الْأَجَانِبِ. ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.  
 إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا: أَرَادَهُ وَحُكْمَ بوجوده. ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٧﴾.  
 وَيَعْلَمُ الْكِنَافَ: الخط والكتابة.  
 وَالْحِكْمَةَ: العلم الصحيح والإصابة في الأمور وفهم أسرار التشريع الإلهي. ﴿وَالْتَوَدَّ﴾  
 وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾.  
 وَرَسُولًا: أي وأبعثه رسولًا.  
 إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِرَبِّي: علامة دالة على رسالته وصدق نبوته. ﴿مِنَ رَبِّكُمْ﴾.

(١) قدم السجود على الركوع في الذكر وإن كان مؤخرًا في الفعل؛ لأنه ألصق بالشكر، والمقام مقام شكر.  
 (٢) اختلف في سبب تليق عيسى بالمسيح، والمشهور أنه لقب تشريف كالفاروق مثلًا أو الملك أو الصديق، وأما  
 عيسى فهو معرب أيشوع ومعناه السيد، وهل المسيح مشتق من المسح؟ وهل هو بمعنى الماسح أو الممسوح  
 خلاف.  
 (٣) لقد تكلم في المههد غير واحد، منهم شاهد يوسف، وصاحب جريج. وكلام عيسى في المههد هو قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ  
 اللَّهِ أَنْتَنِي الْكِتَابَ﴾ الآية في سورة مريم.  
 (٤) ذكر الكهولة هنا تظمين لأنه لا يموت صغيرًا وتكليمه في الكهولة يكون بعد نزوله من السماء لأنه عليه  
 السلام رفع مع نهاية سن الشباب وهو ثلاث وثلاثون سنة لا غير.

أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ: أي أصور لكم، لا الخلق الذي هو الإنشاء والاختراع إذ ذاك لله تعالى.  
مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ: كصورة الطير. ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِمْ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.  
وَأُنزِلُ الْأَكْمَةَ: الذي ولد أعمى.

وَالْأَبْرَصَ: ذو البرص وهو مرض عيأ عجز عنه الطب القديم والحديث. والبرص بياض  
يصيب الجلد البشري. ﴿وَأَحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَأَنْتِشُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ: تحبسونه وتخفونه عن أطفالكم من الطعام  
وغيره. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٤٩)

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ: من قبلي. ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَالْحَدِيثِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ (١)  
وَجَسَّتْكُمْ بَيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٥) ﴿٢﴾

إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ: إلهي وإلهكم. ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥١)

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ: علم منهم الكفر به وبما جاء به وهمهم بأذيته. ﴿قَالَ مَنْ  
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

قَالَ الْخَوَارِثُونَ: جمع حواري، والمراد بهم أصفياؤه وأصحابه. ﴿مَنْ أَنْصَارُ اللَّهِ.

ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ (٥٢): متقادون لأمر الله ورسوله مطيعون. ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا  
بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾: أي عيسى عليه السلام.

فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣): الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، ويعبدونه بما يجب أن يعبد به.  
وَمَكَرُوا: دبروا القتل للمسيح عليه السلام.

وَمَكَرَ اللَّهُ: دبر تعالى لإنجائهم وخيبهم فيما عزموا عليه.

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ (٥٤): أحسن المدبرين لإنقاذ أوليائه وإهلاك أعدائه.

إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ: متمم لك ما كتبت لك من أيام بقائك مع قومك (٣).

(١) هو ما حرمه الله عليهم على عهد موسى من أكل الشحوم ونحوها، أما ما كان محرماً أصلاً لضرورة فلا يحله لهم  
وذلك كالسرقة والقتل والزنى والربا فإنه لا يحله لهم أبداً.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَجَسَّتْكُمْ بَيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وخذ آية وهي آيات لأنها جنس كنعمة بمعنى جنس النعم والمراد من  
الآية ما تقدم في قوله: ﴿أَنِّي قَدْ جَسَّتْكُمْ بَيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ﴾ الخ.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: (اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة: هذا من المقدم  
والمؤخر تقديره إني رافعك إلي ومتوفيك، يعني بعد ذلك، وقال ابن عباس: إني متوفيك أي: مميتك، وقال  
وهب بن منبه: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، قال مطر الوراق: إني متوفيك من الدنيا  
وليست بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم كما قال  
تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا﴾  
الآية، وكان رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا» الحديث. وعن الحسن أنه

وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ : إلى جوارى في الملكوت الأعلى.

وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مِنَ النَّصِيرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ .

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ : ذلك المذكور من أمر عيسى نقرؤه عليك من جملة آيات القرآن الحكيم.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۗ : المثل: الصفة المستغربة البديعة. ﴿خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ (١)

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَي مَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ فِي شَأْنِ عِيسَىٰ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ مِنْ رَبِّكَ (٢)

فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ : الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ : جادلِكَ بالحجج. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ فَقُلْ تَقَالُوا نَدْعُ آبَاءَنَا نَا وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ .

ثُمَّ نَبْتَلِ : نلتعن.

فَنَجْعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ : أي نلعن الكاذب منا.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۗ : ما قصه الله تعالى هو القصص الثابت الذي لا شك فيه. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ : الذين يعملون بمعاصي الله تعالى في الأرض من الشرك

وكبائر الذنوب.

قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ : اليهود والنصارى لأن اليهود عندهم التوراة والنصارى عندهم الإنجيل. ﴿تَقَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ .

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا : الكلمة السواء هي العادلة وهي أن نعبد الله وحده لا شريك له.

قال في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه. وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: برفعي إياك إلى السماء. اهـ (قل).

(١) المماثلة الحاصلة بين آدم وعيسى عليهما السلام في شيء واحد وهو: أن كلاً منهما خلق من غير أب وخلق بكلمة التكوين وهي كن.

(٢) وهو أن الله أرسل تعالى جبريل ﷺ فنفخ في كم درع مريم فسرت النفخة فيها فحملت بعيسى وولده في ساعة من نهار وتكلم بعد وضعها له وطمان والدته وأرشدتها إلى ما تقوله لمن يتصدى لها يعيها. وحاصله أنه كان بكلمة التكوين وهي كن كما كان آدم بها فلا أب له ولا أم.

وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ : الأرباب جمع رب وهو المألوه المطاع بغير طاعة الله تعالى.

فَإِن تَوَلَّوْاْ : أعرضوا عن التوحيد.

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ : اعلما علم رؤية ومشاهدة بأننا مسلمون.  
يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ : تجادلون بحجج باطلة. ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ .

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا : لم يكن إبراهيم على ملة اليهود، ولا على ملة النصارى.  
وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُّسْلِمًا : مائلا عن الملل الباطلة إلى ملة الحق وهي الإسلام. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ .

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ : أحق بالنسبة إلى إبراهيم وموالاته للذين اتبعوه على التوحيد. ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ : متولي أمرهم وناصرهم.

وَدَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أحببت فرقة وهم الأحرار والرؤساء فيهم.

لَوْ يُضِلُّونَكُمْ : أي تمنوا إيقاعكم في الضلال لتشقوا وتهلكوا مثلهم.

وَمَا يُضِلُّونَ ﴿٦٩﴾ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي وما يدرون ولا يعلمون بأنهم بمحاولة إضلال المؤمنين إنما هم يضلون أنفسهم حيث يتوغلون في الشر فيضاعف لهم العذاب. ﴿يَكْأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ .

يَتَأَهَّلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ : لبس الحق بالباطل : خلطه به فكأنما كسا الباطل ثوب الحق وكسا الحق ثوب الباطل حتى لا يعرف فيؤخذ به، ويهتدى عليه.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَأَمْثُلُ الَّذِينَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ : أوله وهو الصباح.

وَأَكْفُرُوا ءَأَخْرَهُ : وهو المساء. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ : أي إلى استقبال الصخرة بدلًا عن الكعبة، والغرض هو بلبلة أفكار المسلمين وإدخال الشك عليهم ﴿٧٤﴾ .

(١) الإضلال يكون بمعنى الهلاك كما هو هنا تقدم أنهم من يهود المدينة وأن العبرة بعموم اللفظ؛ لذا فإن هذا النوع

ما زال إلى اليوم يود إضلال المسلمين.

(٢) وهذا لا يمنع أن يكون قولهم: ﴿ءَأَمْثُلُ الَّذِينَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ إظهارًا منهم للدخول في الإسلام، والاعتراف به في أول النهار مكرًا وخديعة، فإذا ولّى النهار أظهروا رجوعهم عنه ليظن من رآهم أنهم يريدون الحق ولذلك أسلموا فلما تبين لهم بطلان الإسلام وعدم صحته رجعوا عنه.

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ : أي لا تصدقوا إلا من كان على ملتكم (١).

قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ : البيان الحق والتوفيق الكامل بيان الله وهداه لا ما يخلط اليهود

ويلبسون تضليلاً للناس.

أَنْ يُؤْفَقَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ : أن يعطى أحد نبوة ودينًا وفضلًا.

أَوْ بِعَاجِزٍ عِنْدَ رَبِّكُمْ : يخاصموكم يوم القيامة عند ربكم.

قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ : قل إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله لا بيد غيره.

يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ (٧٦) : ذو سعة بفضله، عليهم بمن يستحق فضله فيمن عليه.

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٦) .

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ : ائتمنه على كذا وضعه عنده أمانة وأمنه عليه فلم يخفه.

بِقِطَارٍ : وزن معروف والمراد هنا أنه من ذهب بدليل الدينار. ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ

بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ .

إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا : أي ملازمًا له تطالبه به ليل نهار. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا

فِي الْأُمِّيَّتِينَ : العرب المشركين.

سَبِيلٌ : أي لا يواخذنا الله إن نحن أكلنا أموالهم لأنهم مشركون. ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ .

بَلَىٰ : أي ليس الأمر كما يقول يهود من أنه ليس عليهم حرج ولا إثم في أكل أموال العرب

المشركين بل عليهم الإثم والمواخذة. ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ۖ وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُجِبُ الْمُتَّقِينَ (٧٦)﴾ إِنَّ الَّذِينَ

يَشْرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴿ : أي لا حظ ولا نصيب لهم في

خيرات الآخرة ونعيم الجنان. ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُرَكِّبُهُمْ : لا يظهرهم من ذنوبهم ولا يكفرها عنهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(٧٧)﴾ .

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا : طائفة من اليهود المعاصرين للنبي ﷺ بالمدينة النبوية.

يَلُودُونَ أَلَسْتُمْ بِالْكَتِبِ : يحرفون ألسنتهم بالكلام كأنهم يقرءون الكتاب.

لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ : وليس هو من الكتاب. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ .

وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ : أي يكذبون على الله لأغراض مادية.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) : أنه كذب على الله.

(١) هذا نهي من يهود خيبر إلى إخوانهم من يهود المدينة.

مَا كَانَ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ (١).

أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ : الكتاب: وحي الله المكتوب، والحكم: بمعنى الحكمة وهي الفقه في أسرار الشرع. والنبوة: ما يشرف الله تعالى عبده من إنبائه بالغيب وتكليمه بالوحي. ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا﴾ .

رَبِّئِنِّي : جمع رباني: من ينسب إلى الرب لكثرة عبادته وجزارة علمه، أو إلى الربان وهو الذي يرب الناس فيصلح أمورهم ويقوم عليها. ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧١) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ﴾ .

أَرْبَابًا : جمع رب بمعنى السيد المعبود.

أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ : الاستفهام للإنكار، والكفر هنا الردة عن الإسلام. ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ .

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين.

لَمَّا آتَيْتُكُمْ : مهما آتيتكم. ﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ .  
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ : لتصدقن برسالته (٢) ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ .

قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ : الهزمة الأولى للاستفهام التقريري وأقررتم بمعنى اعترفتم.  
وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي : عهدي وميثاقي. ﴿قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ أَفْشَهُدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ : رجع عما اعترف به وأقر.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

أَفْعَبُوا دِينَ اللَّهِ يَجْعُونَ : الاستفهام للإنكار، ويغيثون بمعنى يطلبون.

وَلَهُ أَسْلَمَ : انقاد وخضع لمجاري أقدار الله وأحكامه عليه. ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٢) قُلْ ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

وَأَلْأَسْبَاطُ : جمع سبط والسبط الحفيد، والمراد بالأسباط هنا أولاد يعقوب الاثنا عشر

(١) لفظ البشر: يطلق على الواحد والجمع لأنه كالمصدر والمراد به هنا عيسى عليه السلام. أي: لا يجتمع لنبي إتيان النبوة مع قوله: ﴿كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وإنما الذي يجتمع له مع إتيان النبوة هو قوله: ﴿كُونُوا رَبِّئِنِّي﴾ إلخ.

(٢) روى ابن كثير عن علي وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وهذا غير مناف لما قال قتادة وغيره: إن الله أخذ من النبيين ميثاقهم إن يصدق بعضهم بعضاً.

والأسباط في اليهود كالقبائل في العرب. ﴿وَمَا أَوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤).

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا : يطلب ويريد دينًا غير الدين الإسلامي. ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ .  
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ (٨٥) : الهالكين بالخلد في نار جهنم والذين خسروا كل شيء حتى أنفسهم.

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا (١) الاستفهام هنا للاستبعاد، والهداية الخروج من الضلال. ﴿كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ .

أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ : الحجج من معجزات الرسل وآيات القرآن المبينة للحق في المعتقد والعمل.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) : المتجاوزين الحد في الظلم المسرفين فيه حتى أصبح الظلم وصفًا لازماً لهم. ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ .

وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ (٨٧) : طرد الله لهم من كل خير، ولعنة الملائكة والناس دعاؤهم عليهم بذلك. ﴿خَلَّيْنِ فِيهَا﴾ .

لَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) : ولا هم يمهلون، من (أنظره) إذا أمهله ولم يعجل بعذابه.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا : أصلحوا ما أفسدوه من أنفسهم ومن غيرهم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٨٩).

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : الكفر: الجحود لله تعالى والتكذيب لرسوله وما جاء به من الدين والشرع.

بَعْدَ إِيمَانِهِمْ : أي ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر. ﴿ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ (٩٠).

وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩١) : المخطئون طريق الهدى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ﴾ .

(١) الاستفهام للنفي والاستبعاد إذ هو بمعنى لا يهدي الله قوماً... إلخ.

(٢) أورد هنا القرطبي سؤالاً وهو: أن ظاهر الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ دال على أن من كفر بعد إسلامه لا يهديه الله وكثير من الظالمين تابوا من الظلم؟ وأجاب بقوله: إن معنى (لا يهديهم) ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم ولا يقبلون على الإسلام، فأما إن أسلموا وتابوا فقد وفقهم الله لذلك والله أعلم. اهـ كلامه.

(٣) أورد القرطبي إشكالاً عن قوله تعالى: ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ مع العلم أن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر كما صح في الخبر وكيف وهو القائل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ وذكر ثلاثة أجوبة الأول: أنه لا يقبل توبتهم عند الموت كما هو نص الآية ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ...﴾ .

الثاني: أنها لا تقبل توبتهم التي كانت قبل كفرهم إن الكفر محبط للعمل.

والثالث: أنها لا تقبل وهم مصرون على الكفر. قلت: وهذا أمثلها وهو ما ذكرته في تفسير الآية. والله أعلم.

مِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا: ما يملؤها من الذهب.  
 وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ: ولو قدمه فداء لنفسه من النار ما قبل منه. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
 نَّاصِرِينَ﴾ (٩١) ﴿٩١﴾

لَنْ نَنَالُوا: لن نحصلوا عليه وتظفروا به.  
 أَلِيمٌ: كلمة جامعة لكل خير، والمراد به هنا ثوابه وهو الجنة.  
 حَتَّى تُنْفِقُوا: تصدقوا.  
 مِمَّا يُحِبُّونَ: من المال الذي تحبونه لأنفسكم وهو أفضل أموالكم عندكم.  
 وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ: يريد قل أو كثر.  
 فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾: لازمه أنه يجزيكم به حسب كثرته أو قلته.  
 ﴿كُلُّ الطَّعَامِ: اسم لكل ما يطعم من أنواع المأكولات.  
 كَانَ حِلًّا: الحل: الحلال، وسمي حلالاً لانحلال عقدة الحظر عنه.  
 لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أو لاد يعقوب الملقب بإسرائيل المنحدرون من أبنائه الاثنى عشر إلى يومنا هذا.  
 إِلَّا مَا حَرَّمَ: حظر ومنع. ﴿إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (١) ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ ﴿٩٣﴾  
 قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ: كتاب أنزل على موسى ﷺ وهو من ذرية إسرائيل.  
 فَأَتَلُوهَا: اقرءوها على رءوس الملائكة لتبين صحة دعواكم من بطلانها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿٩٢﴾ ﴿٩٢﴾  
 قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: دينه وهي عبادة الله تعالى بما شرع، ونبذ الشرك والبدع.  
 حَنِيفًا: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥) ﴿٩٥﴾  
 إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ: مكة. ﴿مُبَارَكًا﴾  
 وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾: للناس أجمعين.  
 فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ: يريد في المسجد الحرام دلائل واضحات.  
 مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ: آية من الآيات وهو الحجر الذي قام عليه أثناء بناء البيت فارتسمت قدماه وهو  
 صخر فكان هذا آية.

وَمَنْ دَخَلَهُ: الحرم الذي حول البيت بحدوده المعروفة.  
 كَانَ آمِنًا: لا يخاف على نفس ولا مال ولا عرض (٢).  
 وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ: الحج: قصد البيت للطواف به وأداء بقية المناسك.

(١) من لحمان الإبل والباها.

(٢) صورة اللفظ خبر ومعناه الإنشاء أي الأمر بمعنى: فمن دخله فأمناه. هكذا قال بعضهم. ولا منافاة بين القولين؛ فإن الحرم كان آمناً في عهد الجاهلية قروناً بما ألقى الله في قلوب العرب من حرمة الحرم.

مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا: طريقًا والمراد القدرة على السير إلى البيت والقيام بالمناسك.  
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾: الكفر: الجحود. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

لَمْ تَكْفُرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ: ما أنزل تعالى من الحجج والبينات في القرآن المقررة لنبوة محمد ﷺ  
وما أنزله تعالى في التوراة والإنجيل في صفات النبي ﷺ ونعوته الموجبة للإيمان به واتباعه على  
دين الحق الذي جاء به وهو الإسلام.

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾: عليم به مطلع عليه، وما يعملونه هو الكفر والشر والفساد. ﴿قُلْ  
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّنْ ءَامَنَ: تصرفون الناس ممن آمن منكم ومن العرب عن الإسلام  
الذي هو سبيل الله تعالى المفضي بأهله إلى سعادة الدارين.

تَبْعُونَهَا عِوَجًا: تطلبون لها العوج حتى تخرجوا بها عن الحق والهدى فيضل سالكها وذلك  
بالتحريف والتضليل.

وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ: بعلمكم بأن الإسلام حق، وأن ما تبغونه له من الإضلال لأهله والتضليل هو  
كفر باطل. ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطَيَّرُوا قَرِيبًا: طائفة من المحاقدين على الإسلام العاملين على الكيد له  
والمكر به وبأهله. ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾

يُرَدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿٢٠﴾: يرجعوكم إلى الكفر بعد إيمانكم.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ: الاستهزام للإنكار والتعجب من كفرهم بعد إيمانكم.

وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ: يتمسك بشدة. ﴿فَقَدْ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ: باستفراغ الوسع في امتثال أمره، واجتناب نهيه، وتقاته هي  
تقواه. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا: كتابه القرآن ودينه الإسلام؛ لأن الكتاب والدين هما الصلة التي  
تربط المسلم بربه، وكل ما يربط ويشد شيئًا بآخر هو سبب وحبل. ﴿وَلَا تَقْرَفُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ: جمعها على أخوة الإيمان ووجد بينها بعد الاختلاف والنفرة. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ  
بِعِمَّتِهِ إِخْوَانًا﴾

وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ: شفا الحفرة: حافتها وطرفها بحيث لو غفل الواقف عليها وقع  
فيها.

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا: بهدایتكم إلى الإسلام وبذلك أنجاكم من النار. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ﴾

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴿١﴾

وَلَتَكُنَّ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ: الأمة: أفراد من البشر أو غيرهم تربطهم رابطة جنس أو لغة أو دين ويكون أمرهم واحداً، والمراد بالأمة هنا: المجاهدون وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ: الإسلام وكل ما ينفع الإنسان في حياته الأولى والآخرة من الإيمان والعمل الصالح.

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: المعروف كل ما عرفه الشرع فأمر به لنفعه وصلاحه للفرد أو الجماعة. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ: ضد المعروف، وهو ما نهى عنه الشرع لضرر وإفساد للفرد أو الجماعة. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٤﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١﴾  
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ (٢): هذا يوم القيامة. فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ ﴿١﴾

فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾: رحمة الله هنا: الجنة جعلنا الله تعالى من أهلها. آمين. تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ: هذه آياتنا نقرؤها عليك متلبسة بالحق لا باطل فيها أبداً. وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾: فلا يعذب إلا بعد الإعذار والإنذار. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿١﴾

وَالِإِلَهِ اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٩﴾: إلى الله تصير الأمور فيقضي فيها بما يشاء، ويحكم بما يريد فضلاً وعدلاً.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ: وجدتم أفضل وأبرك أمة، وجدت على الأرض.

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ: أظهرت وأبرزت لهداية الناس ونفعهم.

﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿١﴾

لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى: الأذى: الضرر اليسير.

وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ: ينهزمون فيفرون من المعركة مولينكم أديبارهم أي ظهورهم.

(١) نهاهم تعالى عن التفرق والاختلاف وقد وقع ما نهاهم عنه وثبت ما أخبر به رسول الله ﷺ فقد قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح وفعلاً فقد وجدت ست فرق وهي: الحرورية - والقدرية - والجمهية - والمرجئة - والرافضة - والجبرية. انقسمت كل فرقة من هذه إلى اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا أهل السنة والجماعة.

(٢) تبيض وجوه المؤمنين المتقين، وتسود وجوه الكافرين والمبتدعين من أصحاب الأهواء.

ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾: على المسلمين.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَنْ مَا ثَمَّرُوا: أحاطت بهم المذلة ولصقت بهم حتى لا تفارقهم.  
إِلَّا يَجِدُ مِنَ اللَّهِ وَحِيلَ مِنَ النَّاسِ ﴿١١٢﴾ وَيَأْتُ وَيَعْصِبُ مِنَ اللَّهِ: رجعوا من رحلتهم الطويلة في الكفر

وعمل الشر بغضب الله.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ: ذلة الفقر والفاقة.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: ذلك: إشارة إلى ما لصق بهم من الذلة والمسكنة وما عادوا به من غضب الله تعالى ما تبعه من عذاب. (فالباء) في ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ سببية أي: بسبب فعلهم كذا وكذا. ﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بِأَيَّتِ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴿١١٣﴾.

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٤﴾: الاعتداء مجاوزة الحد في الظلم والشر والفساد.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾: غير متساوين (٣)

مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ: جماعة قائمة ثابتة على الإيمان والعمل الصالح (٤)

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ: يقرءون القرآن.

ءَانَاءَ اللَّيْلِ: ساعات الليل جمع أنى.

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٥﴾: يصلون. ﴿يَوْمِئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وَيُسِرُّوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ: يبتدرونها خفية الفوات. ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٦﴾.

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا: فلن يجحدوه بل يعترف لهم به ويجزون به وافيًا. ﴿وَاللَّهُ

عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١١٧﴾.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: كذبوا بالله ورسوله وشرعه ودينه.

لَنْ نَعْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا: لن تجزي عنهم يوم القيامة أموالهم، ولا

أولادهم من عذاب الله شيئًا، إذ لا مال يومئذ ينفع، ولا بنون. ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

﴿١١٨﴾.

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: مثل: أي صفة وحال ما ينفقونه لإبطال دعوة الإسلام أو

(١) هذه الآية مخصصة لعموم آية الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مِنَ يَوْمِ إِسْمَاعِيلَ سِوَى الْعَذَابِ﴾ إلا في حال إسلامهم أو ارتباطهم بمعاهدة دولة قوية.

(٢) الحبل مستعار هنا للعهد أي المعاهدة التي تربطهم بدولة قوية.

(٣) يرى بعضهم أن الكلام تم عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي ليس المسلمون وأهل الكتاب سواء ثم استأنف فقال: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلخ، وما ذكرته في التفسير أصح وأوضح.

(٤) المراد بهم: عبد الله بن سلام، وأخوه وعمته وسعية أو سبعة بن غريض، وثعلبة بن سعية وأسد القرظي، وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم، في دنيا الإسلام والمسلمين إلى اليوم.

للتصديق به.

كَعَمَلِ رِيحٍ فِيهَا صُرٌّ : الصر: الريح الباردة الشديدة البرد التي تقتل الزرع وتفسده.

أَصَابَتْ حَرَّتْ قَوْمٍ : ما تحرث له الأرض وهو الزرع.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْتَهُ : حيث دنسوها بالشرك والمعاصي فعرضوها للهلاك والخسار.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْجِدُوا بِطَانَةِ : بطانة الرجل الذين يطلعهم على باطن أمره الذي يخفيه

على الناس للمصلحة.

مِنْ دُونِكُمْ : من غيركم أي من غير المسلمين كالكفار وأهل الكتاب.

لَا يَأْتُونَكُمْ : لا يقصرون في إفساد الأمور عليكم <sup>(١)</sup>

خَبَالًا : فسادًا في أمور دينكم ودنياكم.

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ : أحبوا عنتكم أي مشقتكم.

قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ : ظهرت شدة بغضهم لكم. ﴿مِنْ أَقْوَاهِمَ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ

الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ <sup>(٢)</sup>

هَآتَيْنَهُمْ آيَاتٍ : هؤلاء حذفت منه هاء التنبيه لوجودها في ها أنتم قبلها. ﴿حُبُّونَهُمْ وَلَا يَجِدُونَهُمْ﴾ .

وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ : أي بالكتب الإلهية كلها. ﴿وَإِذَا الْقَوْمُ قَالَُوا آمَنَّا﴾ .

وَإِذَا حَلَوْا حَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنْوَاعَ مِنَ الْغَيْظِ : من شدة الغيظ عليكم، لأن المغتاض إذا اشتد به الغيظ يعض

أصبعه على عادة البشر، والغیظ شدة الغضب. ﴿قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ .

إِنْ تَمَسَّسْتُمْ حَسَنَةً : ما يحسن من أنواع الخير كالنصر والتأييد والقوة والخير. ﴿سَوَّاهُمْ﴾ .

وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ : ما يسوءكم كالهزيمة أو الموت أو المجاعة. ﴿يَفْرَحُوا بِهَا﴾ .

وَإِنْ تَصِدُّوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا : مكرهم بكم وتبیت الشر لكم.

إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ : علمًا به وقدرة عليه، إذ هم واقعون تحت قهره وعظيم سلطانه.

وَإِذْ عَدُوٌّ : أي واذكر إذ عدوت، والغدو: الذهاب أول النهار.

مِنْ أَهْلِكَ : أهل الرجل وزوجه وأولاده، و(من) لابتداء الغاية إذ خرج ﷺ صباح السبت من بيته

إلى أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء.

(١) قيل لعمر ﷺ: إن ها هنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا

أأخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أبو موسى الأشعري بحساب نصارى لعمر فانتهره وقال: لا تدنهم، وقد

أفصاهم الله، ولا تكرمهم وقد آهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

(٢) استدلل أهل العلم بهذه الآية على أن شهادة العدو لا تصح على عدوه وكيف به إذا كان كافراً؟

تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ<sup>١</sup> : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

إِذْ هَمَّتْ : حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجهت إرادتها إلى ذلك.  
طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ : هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار.

أَنْ تَفْشَلَا : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم.  
وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا<sup>٢</sup> : متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلَيتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ : بدر اسم رجل وسمي المكان به؛ لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة بنحو من مائة وخمسين ميلاً «كيلو متر»<sup>(١)</sup>

وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ : لقلة عددكم وعدوكم وتفوق العدو عليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ<sup>(٤)</sup> : الاستفهام إنكاري أي ينكر عدم الكفاية ومعنى يكفيكم يسد حاجتكم.

أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ : أي بالملائكة عوناً لكم على قتال أعدائكم المتفوقين عليكم بالعدد والعتاد.  
بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ<sup>(٥)</sup> : واحدهم ملاك، وهم عباد الله مكرمون مخلقون من نور لا يعصون الله ما أمرهم.

بَلَى<sup>٦</sup> : حرف إجابة أي: يكفيكم. ﴿إِنْ نَصَبُوا وَتَتَّقُوا﴾<sup>(٦)</sup>.  
وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا : أي من وجههم في وقتهم هذا<sup>(٣)</sup> ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾<sup>(٤)</sup>.

مُسَوِّمِينَ<sup>(٥)</sup> : معلمين بعلامات تعرفونهم بها.  
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ : الخبر السار الذي يتهلل له الوجه بالبشر والطلاقة.  
وَلِنُظْمِيقِ قُلُوبِكُمْ بِهِ<sup>(٦)</sup> : اطمئنان القلوب سكونها وذهاب الخوف والقلق عنها. ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

(١) كانت غزوة بدر في السابع عشر من رمضان يوم جمعة وكان جيش العدو بها ما بين التسعمائة إلى الألف، وجيش المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، وغزوة بدر أول غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

(٢) ذهب بعض إلى أن الاستفهام هنا تقريري لأنه مجاب بـ ﴿بَلَى﴾، وجائز أن يكون للاستفهام معنيان في آن واحد لدلالة اللفظ عليهما معاً فتأمل!

(٣) أي المشركون من أصحاب كرز.

(٤) ذهب بعض المفسرين كمجاهد وعكرمة وغيرهما أن قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلخ كان يوم أحد فهو وعد لهم بالمدد المذكور من الملائكة على شرط الصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا كما هو معلوم لم يمددهم بالعدد المذكور من الملائكة، وما ذهبنا إليه في التفسير أقرب إلى الواقع، والله أعلم.

عند الله العزيز الحكيم ﴿١٣٦﴾.

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا: الطرف: الطائفة، يريد ليُهْلِكَ من جيش العدو طائفة.

أَوْ يَكْبِتَهُمْ: أي يخزيهم ويدلهم.

فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٣٧﴾: يرجعوا إلى ديارهم خائبين لم يحرزوا النصر الذي أملوه.

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ: الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم.

شَيْءٌ: شيء نكرة متوغلة في الإبهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به.

أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ: أو هنا بمعنى حتى أي فاصبر حتى يتوب عليهم أو يعذبهم. ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ

ظَلْمُوتٍ ﴿١٣٨﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي ملكًا وخلقًا وعبيدًا يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد.

﴿يَعْرِفُ لِمَنِ نَسَاءٌ وَيَعْدِبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾.

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان

أكلًا أو شربًا أو لباسًا، والربا: لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل:

يكون في الذهب، والفضة، والبر، والشعير، والتمر، والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل،

أي الزيادة ويحرم التأخير، وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم

يجد سدادًا لدينه فيقول له: أخرنى وزد في الدين <sup>(١)</sup>.

أَضَعَفًا مُّضَعَفَةً: لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف،

وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح

أضعافًا كثيرة <sup>(٢)</sup>.

وَأَنذَرُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤٠﴾: تنجون من العذاب، وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة.

وَأَنذَرُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾: هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله ﷺ.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٤٢﴾: لترحموا فلا تعذبوا بما صدر منكم من ذنب

المعصية.

(١) ربا البنوك اليوم شر من ربا الجاهلية هو أن يبيع الرجل أخاه شيئًا إلى أجل فإذا حل الأجل ولم يجد سدادًا قال له آخر وزد، أما ربا البنوك فإنه يبيعه نقدًا بنقد إلى أجل بزيادة فورية يسجلها عليه.

(٢) وعليه فآية تحريم الربا هي معترضة في سياق الحديث عن غزوة بدر وأحد، وفي هذا الاعتراض جماله وحسن وقعه في النفوس، ومن فوائده دفع السامة عن السامع إذا استمر الكلام في موضوع واحد. اهـ

قلت: بل الأرجح أن الربا من أكبر أسباب هلاك الأمة وبالتالي هزيمتها لذا حذر الله منه، خاصة إذا أضيف إليه الزنى؛ لقول النبي ﷺ: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» [صحيح] (طب، ك) عن

ابن عباس انظر صحيح الجامع (قل).

﴿ وَسَارِعُوا: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخٍ. إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ: المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذه بها، والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: «ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له» أخرجه الطبراني. وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ: الجنة دار النعيم فوق السموات والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات.

أُعِدَّتْ: هيئت وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾: المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا بفعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فورًا. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ: السراء الحال المسرة وهي اليسر والغنى، والضراء الحال المضرة وهي الفقر<sup>(١)</sup>

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ: كظم الغيظ: حبسه، والغيظ ألم نفسي يحدث إذا أودى المرء في بدنه أو عرضه أو ماله، وحبس الغيظ: عدم إظهاره على الجوارح بسبب أو ضرب ونحوهما للتشفي والانتقام. وَالْمُكَافِئِينَ عَنِ النَّاسِ: العفو عدم المؤاخذه للمسيء مع القدرة على ذلك.

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾: المحسنون هم الذين يبرون ولا يسيئون في قول أو عمل. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً: الفاحشة: الفعلة القبيحة الشديدة القبح كالزنى وسائر الذنوب. أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ: بترك واجب أو فعل محرم فدنسوها بذلك فكان هذا ظلمًا لها. ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ﴾

وَكَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا: أي يسارعوا إلى التوبة، لأن الإصرار هو الشد على الشيء والربط عليه مأخوذ من الصر، والصرة معروفة.

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾: أي أنهم مخالفون للشرع بتركهم ما أوجب، أو بفعلهم ما حرم. ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَعْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

وَيَنعَمُ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٣٦﴾: الذي هو الجنة.

قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ: خلت: مضت.

سُنَّةٌ: جمع سُنَّة وهي السيرة والطريقة التي يكون عليها الفرد أو الجماعة، وسنن الله تعالى في خلقه قانونه الماضي في الخلق.

(١) قيل في السراء والضراء: الرخاء والشدة، وقيل في السراء: العرس والولائم، والضراء: النوائب والمآثم وما فرسنا به الآية أعم وأحسن.

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : الأمر للإرشاد، للوقوف على ديار الهالكين الغابرين لتعتبروا.  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ : عاقبة أمرهم وهي ما حل بهم من الدمار والخسار  
ععاد وشمود.

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ : أي ما ذكر في الآيات بيان للناس به يتبينون الهدى من الضلال، وما لازمهما  
من الفلاح، والخسران.

وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ : الموعظة الحال التي يتعظ بها المؤمن فيسلك سبيل النجاة.  
وَلَا تَهِنُوا : لا تضعفوا. ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ .

إِنْ يَمَسَّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ : القرح: أثر السلاح في الجسم كالجراح، وتضم  
القاف فيكون بمعنى الألم.

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ : جمع يوم والليالي معها والمراد بها ما يجريه الله من تصريف  
الحياة من خير وغيره وإعزاز وإذلال.

وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ : جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله، وشاهد  
وهو من يشهد على غيره. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ .

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا : ليخلص المؤمنين من أدران المخالفات وأوصار الذنوب.  
وَيَمَحِّقَ الْكُفْرِيَّةَ ﴿١٤١﴾ : يمحو ويذهب آثار الكفر والكافرين <sup>(١)</sup>

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ : بل أظنتم فلا ينبغي أن تظنوا هذا الظن والاستفهام إنكاري.  
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ : ولم يبتلكم بالجهاد حتى يعلم علم ظهور من يجاهد منكم  
ممن لا يجاهد كما هو عالم به في باطن الأمر وخفيه. ﴿وَيَعْلَمُ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ تَلْفَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴿١٤٤﴾ .

فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ : أي مضت من قبله الرسل بلغوا رسالتهم وماتوا.

أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ : ينكر تعالى على من قال عندما أشيع أن النبي قتل قال: ( هيا بنا نرجع إلى  
دين قومنا) فالاستفهام منصب على قوله: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ لا على ﴿أَفَأَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾  
وإن دخل عليها.

انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ : رجعتم عن الإسلام إلى الكفر. ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا  
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ .

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَلًّا : كتب تعالى آجال الناس مؤقتة بمواقيتها فلا

(١) قال ابن كثير في ﴿وَيَمَحِّقَ الْكُفْرِيَّةَ﴾: أي: فإنهم إذا ظفروا بغوا ويطروا، ويكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم،  
ومحققهم وفنائهم.

تتقدم ولا تتأخر، وفي كتاب المقادير «اللوح المحفوظ».  
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا : الثواب: الجزاء على النية والعمل معاً. وثواب الدنيا  
الرزق.

وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا : ثواب الآخرة الجنة.  
وَسَنَجَرِي الشُّكْرِينَ ﴿١١٥﴾ : الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكراً لله، وما يجزيهم به هو  
الجنة ذات النعيم المقيم، وذلك بعد موتهم.

وَكَانَ مِنْ نَجِيٍّ : كثير من الأنبياء. وتفسر كآين بـ (كم) وتكون حينئذٍ للتكثير.  
فَقَتَلَ مَعْسَرِيَّتُونَ كَثِيرٌ : رذيون علماء وصلحاء وأتقياء عابدون.  
فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : ما ضعفوا عن القتال ولا انهزموا لأجل ما أصابهم من قتل  
وجراحات.

وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَاثُوا : ما خضعوا ولا ذلوا عدوهم. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّعِيفِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴿﴾

وَإِسْرَافًا فِي أَمْرِنَا : مجاوزة الحد في الأمور ذات الحدود التي ينبغي أن يوقف عندها. ﴿وَتَبَّتْ  
أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١١٧﴾

فَعَانَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا : أعطاهم الله تعالى ثواب الدنيا: النصر والغنيمة. وَحَسَنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ  
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٨﴾ : الذين يحسنون نياتهم يخلصون أعمالهم لله. ويحسنون أعمالهم فيأتون  
بها موافقة لما شرعت عليه في كفياتها وأعدادها وأوقاتها.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا : المراد من طاعة الكافرين قبول قولهم  
والأخذ بإرشاداتهم (١)

يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ : يرجعوكم إلى الكفر بعد الإيمان.  
فَتَسْقِلُوا خَسِرِينَ ﴿١١٩﴾ : فاقدين لكل خير في الدنيا، ولأنفسكم وأهلكم يوم القيامة.  
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ : بل أطيعوا الله ربكم ووليكم ومولاكم فإنه خير من يطاع وأحق من  
يطاع. ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾

سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ : شدة الخوف من توقع الهزيمة والمكروه. ﴿بِمَا  
أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ﴿١٢١﴾  
وَمَا أَوْلَهُمُ النَّارُ : مقر إيوائهم ونزلهم.

(١) لفظ الكافرين شامل لكل ما أولت الآية به من المشركين والمنافقين واليهود، وهذا أمر لا ينكر فإن طاعة الكافرين لا تنفي بمن أطاعهم إلا إلى الخيبة والخسران في الدارين.

وَيَسَّسَ مَثْوَى: المَثْوَى مكان الثَّوِي وهو الإقامة والاستقرار.

الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾: المشركين الذين أطاعوا غير الله تعالى وعبدوا سواه.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ: أنجزكم ما وعدكم على لسان رسوله بقوله للرماة: اثبتوا

أماكنكم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم.

إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ: تقتلونهم إذ الحس القتل يقال حسه إذا قتله فأبطل حسه.

بِأَذْنِهِ: بإذنه لكم في قتالهم وبإعانتة لكم على ذلك.

حَتَّىٰ إِذَا قَسَيْتُمْ: ضعفتم وجبتتم عن القتال. ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مِّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ (١) وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾.

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾: تذهبون في الأرض فارين من المعركة يقال: أصدع إذا ذهب في صعيد

الأرض.

وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ: لا تلوون رءوسكم على أحد تلتفتون إليه.

وَالرَّسُولَ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ: أي يناديكم من خلفكم إلي عباد الله ارجعوا إلي عباد

الله ارجعوا.

فَأَثْبِتْكُمْ عَمَّا يَعْزِمُ: جزاكم على معصيتكم وفراركم غمًا على غم. والغم ألم النفس

وضيق الصدر، وسبب الغم الأول: فوات النصر والغنيمة، والثاني: القتل والجراحات وخاصة

جراحات نبيهم، وإذاعة قتله.

لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ: من الغنائم.

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ: من الموت والجراحات والآلام والأتعاب. ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

﴿١٥٣﴾.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِ أَمْنَةً نَّعَاسًا: الأمنة: الأمن، والنعاس: استرخاء يصيب الجسم قبل

النوم.

يَعْتَنِي طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ: يصيب المؤمنين ليستريحوا، ولا يصيب المنافقين.

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ: أي لا يفكرون إلا في نجاة أنفسهم غير مكثرين بما أصاب

رسول الله ﷺ وأصحابه (٢)

(١) إرادة الدنيا وحدها غير معصية، ولكن ما ترتب عنها من ترك طاعة رسول الله ﷺ، فطالب الدنيا اليوم إذا طلبها من حلها ولم يُخَلَّ طلبه بواجب، ولم يحمله على فعل حرام، لا يأثم ولا يلام.

(٢) حدثهم أنفسهم بما يدخل الهمَّ عليهم وهو تكذيبهم بالقدر، والحرص على نجاتهم وحزנם على ما فاتهم من الغنيمة وهذه كلها موجبات الهم والغم.

يُظَنُّونَ بِاللَّهِ عِبْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ : هو اعتقادهم أن النبي ﷺ قتل أو أنه لا ينصر .  
يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ : أي ما لنا من الأمر من شيء ، ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ .

مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ : أي ما لا يظهرون لك .

يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ .

لَبَرَزَ الَّذِينَ : لخرجوا من المدينة ظاهرين ليلقوا مصارعهم هناك .

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ : يريد كتب في كتاب المقادير .

إِلَى مَضَاجِعِهِمْ : جمع مضجع وهو مكان النوم والاضطجاع والمراد المكان الذي صرعوا فيه قتلى .

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ : ليختبر .

وَلِيَمْحَصَّ مَا فِي قُلُوبِكُمْ : التمهيص: التمييز وهو إظهار شيء من شيء كإظهار الإيمان من

النفاق، والحب من الكره. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥١﴾

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجَمْعَانِ جمع المؤمنين وجمع الكافرين بأحد .

إِنَّمَا أَسَدَلْتُمْ الشَّيْطَانَ بَعْضَ مَا كَسَبُوا : أوقعهم في الزلل، وهو الخطيئة والتي كانت الفرار

من الجهاد. ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٢﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا : صدقوا الله ورسوله فيما أخبر به من وعد ووعد<sup>(١)</sup> . ﴿لَا تَكُونُوا ﴿

كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ : هذه أخوة العقيدة لا أخوة النسب وهي هنا أخوة النفاق .

إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ : ضربوا في الأرض بأقدامهم مسافرين للتجارة غالباً<sup>(٢)</sup> .

أَوْ كَانُوا غُرَى : جمع غازٍ وهو من يخرج لقتال ونحوه من شؤون الحرب. ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا

مَاتُوا وَمَاقْتُلُوا ﴿

لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ : الحسرة: ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوات مرغوب أو فقد

محبوب<sup>(٣)</sup> . ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعْفَرَةٍ مِّنَ

اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحْشِرُونَ ﴿١٥٨﴾

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ رَفِيقًا بِهِمْ تَعَامَلَهُمْ بِالرَّفْقِ وَاللِّطْفِ .

(١) الصحيح أن تكون العبارة هكذا: صدقوا الله ورسوله فيما جاء به من وعد ووعد(قل) .

(٢) وقد يكون السفر لمصالح المسلمين .

(٣) والحسرة: شدة الأسف؛ أي: الحزن .

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا <sup>(١)</sup>: حشناً في معاملتك شرساً في أخلاقك وحاشاه ﷺ.

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ: تفرقوا وذهبوا تاركيك وشأنك.

فَاعْفُ عَنْهُمْ: يريد إن زلوا أو أخطئوا. ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ: اطلب مشورتهم في الأمر ذي الأهمية كمسائل الحرب والسلام. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مَنْ بَعْدَهُ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴿١٦٠﴾.

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ: أي يأخذ من الغنيمة خفية، إذ الغل والغلول بمعنى السرقة من الغنائم

قبل قسمتها. ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾: تجزى ما كسبته في الدنيا وأيضاً تاماً يوم

القيامة.

أَفَمَنْ أَنْبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ: المراد به ما يوجب رضواناً من الإيمان والصدق والجهاد.

كَمْ بَاءٍ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ: غضبه الشديد على الفاسقين عن أمره المؤذنين لرسوله ﷺ. ﴿وَمَا أُوذِيَ

جَهَنَّمَ وَيَسِّرُ الْمَصِيرَ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾.

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ: أنعم وتفضل. ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ﴾.

رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ: هو محمد ﷺ.

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ: بما يرشدهم إليه من الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة

والآداب العالية.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ: كل قول صالح نافع أبداً ومنه السنة النبوية. ﴿وَإِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾.

أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ: المصيبة أحد المصائب: ما يصيب الإنسان من سوء وأسوؤها

مصيبة الموت.

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا: ضعفيها إذ قتلوا في بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين <sup>(٢)</sup>.

قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا: أي من أين أتانا هذا الذي أتانا من القتل والهزيمة. ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ: أي بإرادته تعالى وتقديره بربط المسببات بأسبابها.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: (ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ والفظ الغليظ: والمراد به هنا:

غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك

وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تاليفاً لقلوبهم). اهـ (قل).

(٢) اعتبر الأسير قتيلاً لأن الأسر له يملك قتله متى شاء، فلذا قال تعالى: ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾.

﴿وَلْيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ علم انكشاف وظهور كما هو معلوم له في الغيب وباطن الأمور.

﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾: أظهروا من الإيمان ما لا يبتغون من الكفر.

وقيل لهم تعالوا قتلوا في سبيل الله أو ادفعوا: أي ادفعوا العدو عن دياركم وأهلكم وأولادكم، إن لم تريدوا ثواب الآخرة. ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ﴿

لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرءُوا: أي ادفعوا.

عَنْ أَنْفُسِكُمْ أَلَمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾ في دفع المكروه بالحدز.

وَلَا تَحْسَبَنَّ: ولا تظنن.

الَّذِينَ قُتِلُوا: استشهدوا.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٩﴾: يحسون ويتنعمون في نعيم الجنة بالطعام

والشراب.

فَرِحِينَ: مسرورين. ﴿وَمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاسْتَشِيرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾

الْأَخَوْفُ عَلَيْهِمْ: لما وجدوا من الأمن التام عند ربهم.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٠﴾: على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لما نالهم من كرامة في الجنة.

﴿يَسْتَشِيرُونَ﴾: يفرحون. بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ.

وَفَضْلٍ: وزيادة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ: أجابوا الدعوة وقبلوا الأمر.

مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ: ألم الجراحات.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ: أعمالهم، وأقوالهم أتوا بها وفق الشرع وأحسنوا إلى غيرهم.

وَأَتَقُوا: ربهم فلم يشركوا به ولم يعصوه فيما أمرهم به أو نهاهم عنه. ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ: جمعوا الجيوش لقتالكم.

فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ: يكفيننا ما أرادونا به من الأذى.

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٢١﴾: نعم الوكيل الله نوكل إليه أمورنا ونفوضها إليه.

فَانْقَلَبُوا: رجعوا من حمراء الأسد إلى المدينة.

بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ: نعمة الإيمان والإسلام والنصر.

وَفَضْلٍ: حيث أصابوا تجارة في طريق عودتهم. ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو

فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ<sup>(١)</sup>: أهل طاعته والاستجابة إليه فيما يدعوهم إليه من الشر والفساد. ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾.

وَلَا يَحْزَنكَ: الحزن: غم يصيب النفس لرؤية أو سماع ما يسوءه ويكرهه. الَّذِينَ يُسْرِعُونَ: يبادرون.

فِي الْكُفْرِ<sup>٢</sup>: الكفر تكذيب الله تعالى ورسوله فيما جاء به الرسول وأخبر به. ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرِؤُا اللَّهَ شَيْئًا﴾.

يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا: نصيبًا. ﴿فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٦﴾.

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ: اعتاضوا الكفر عن الإيمان. ﴿لَن يَصْرِؤُا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٧﴾.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ<sup>٣</sup>: الإملاء: الإمهال والإرخاء بعدم البطش بهم وترك الضرب على أيديهم بكفرهم<sup>(٢)</sup>.

إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا: الإثم: كل ضار قبيح ورأسه: الكفر والشرك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾.

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ: ليرك المؤمنين. ﴿عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

حَتَّىٰ يَمِيزَ: يميز ويبين.

الْحَيِّتُ: من خبثت نفسه بالشرك.

مِنَ الطَّيِّبِ: من طهرت نفسه بالإيمان والعمل الصالح.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ: ما غاب فلم يدرك بالحواس.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ وَيُصْطَفِي. ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ

أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧٩﴾.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْطُلُونَ: يمتنعون ويصنون. ﴿بِمَاءِ أَنفُسِهِمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ

سَيَطُوفُونَ مَا بِحُلُومِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يجعل طوقاً في عنق أحدهم.

وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ.

بِعَيْرِ حَقِّي وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿١٨١﴾: هو عذاب النار المحرقة تحرق أجسادهم.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ: أي قلنا لهم: ذوقوا بسبب ما قدمته أيديكم من الجرائم. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(١) معنى: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾؛ أنه يخوف المؤمنين بأوليائه وهم المشركون وذلك على لسان نعيم بن مسعود الذي

آجره أبو سفيان ليخوف المؤمنين بعزم أبي سفيان على الكرة عليهم لاستئصالهم وإبادتهم.

(٢) فسر الإملاء بطول العمر ورغد العيش، وهو كذلك مع إضافة عدم معاجلتهم بالعقوبة إنظاراً لهم لا إمهالاً.

لَيْسَ يَظْلَمُ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٧٦﴾

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا : أمرنا ووصانا في كتابنا التوراة.

أَلَا تَوَدُّونَ لِرَسُولٍ : أي لا تتابعه، على ما جاء به ولا نصدقه في نبوته.

حَقٌّ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ : القربان: ما يتقرب به إلى الله تعالى من حيوان وغيره يوضع في

مكان فتنزل عليه نار بيضاء من السماء فتحرقه.

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات والمعجزات.

وَبِالَّذِي قُلْتُمْ : أي من القربان.

فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٧﴾ : الاستفهام للتوبيخ، وممن قتلوا من الأنبياء زكريا

ويحيى عليهما السلام. ﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾

وَالزُّبُرِ : جمع زبور وهو الكتاب كصحف إبراهيم.

وَالكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١٧٨﴾ : الواضح البين كالتوراة والزبور والإنجيل.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ : أي ذائقة موت جسدها أما هي فإنها لا تموت.

وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : تعطون جزاء أعمالكم خيرا أو شرا وافية لا نقص

فيها.

فَمَنْ رُحِّحَ عَنِ النَّارِ : نُجِّي وأبعد.

وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ : نجا من مرهوبه وهو النار، وظفر بمرغوبه وهو الجنة.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٧٩﴾ : المتاع كل ما يستمتع به، والغرور: الخداع فشبهت

الدنيا بمتاع خادع غار صاحبه لا يلبث أن يضمحل ويذهب.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ : لتُخْتَبَرُنَّ في أموالكم بأداء الحقوق الواجبة فيها،

أو بذهاها وأنفسكم بالتكاليف الشاقة كالجهاد، والحج، أو المرض والموت.

وَلَسَّمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ : اليهود والنصارى.

وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : العرب. ﴿أَذَى كَثِيرًا﴾

وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٠﴾ : يريد أن الصبر والتقوى من الأمور

الواجبة التي هي عزائم وليس فيها رخص ولا ترخيص بحال من الأحوال.

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : الميثاق: العهد المؤكد باليمين، أو توا الكتاب: اليهود

والنصارى.

لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَوْلَا تَكْتُمُونَهُ، الْكَيْمَانَ : إخفاء الشيء وجحوده حتى لا يرى ولا يعلم.

فَسَبَّوهُ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ : ألقوه وطرحوه ولم يلتفتوا إليه وهو ما أخذ عليهم العهد والميثاق فيه

من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به عن الإسلام.

وَأَسْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : اعتاضوا عنه حطام الدنيا ومتاعها الزائل إذ كتموه، إبقاء على منافعهم الدنيوية، ﴿فَيْتَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧).

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا آتَا وَهُمْ وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا : أي يثنى عليهم ويذكروا بخير وهم لم يفعلوا ما يوجب لهم ذلك.

فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَقَارِفٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) : بمنجاة من العذاب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩).

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي في وجودهما من العدم.

وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ : تعاقبهما هذا يجيء وذاك يذهب، هذا مظلم وذاك مضيء.

لَأَيَّتِ : دلائل واضحة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته.

لِأُولَى الْأَلْبَابِ (١٩٠) : أصحاب العقول التي تدرك بها الأشياء وتفهم بها الأدلة. ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

رَبَّنَا : يقولون ربنا.

مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا : لا لشيء مقصود منه، وإنما هو من باب اللعب.

سُبْحَانَكَ : تنزيهاً لك من العبث واللعب، وعن الشريك والولد.

فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) : أجرنا واحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا للأعمال الصالحة وتجنبتنا

الأعمال الفاسدة الموجبة لعذاب النار.

رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ : أذلته وأشقيته. ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصَارٍ﴾ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا

مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ : والمنادي هو القرآن الكريم والرسول ﷺ. ﴿أَن ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا

فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ : استر وامح عنا سيئاتنا.

وَتُوفِنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) : جمع بر أو بار وهم المتمسكون بالشرعية.

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ : على السنة رسلك من النصر والتأييد.

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ (١٩٤) : الوعد. ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنَّى لَا أُوْصِعُ عَمَلٍ

مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾.

فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ : تركوا بلادهم وديارهم وأموالهم وأهلهم فراراً بدينهم.

وَأُودُوا فِي سَبِيلِي : آذاهم المشركون من أجل الإيمان بي ورسولي وطاعتنا. ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

قَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ : أي أجراً جزاء كائناً من عند الله وهو الجنات بعد تكفير السيئات. ﴿وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١٩٥).

لَا يَغُرُّكَ : لا يكن منك اغترار، المخاطب رسول الله ﷺ والمراد أصحابه وأتباعه.

تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١٦﴾ : تصرفهم فيها بالتجارة والزراعة والأموال والمآكل والمشارب.

مَتَعٌ قَلِيلٌ : تصرفهم ذلك هو متاع قليل يتمتعون به أعوامًا ويتتهي.  
ثُمَّ مَا وَدَّعْتُمْ جَهَنَّمَ : مآلهم بعد التمتع القليل إلى جهنم يأوون إليها فيخلدون فيها أبدًا.  
﴿وَيَسَّسَ الْإِهَادِ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾  
نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : النزل: ما يعد للضيف من قرى: طعام وشراب وفراش.  
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾ : جمع بار وهو المطيع لله ولرسوله الصادق في طاعته. ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ : القرآن والسنة.

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ : التوراة والإنجيل.

خَاشِعِينَ لِلَّهِ : مطيعين مخبتين له ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾.

لَا يَشْتَرُونَ بِعَائِدَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا : لا يجحدون أحكام الله وما أمر ببيانه للناس مقابل منافع تحصل لهم. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٩﴾﴾  
يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا <sup>(١)</sup> : الصبر: حبس النفس على طاعة الله ورسوله،

والمصابرة: الثبات والصمود أمام العدو.

وَرَايَطُوا : المرابطة: لزوم الثغور منعا للعدو من التسرب إلى ديار المسلمين.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٠﴾ : تفوزون بالظفر المرغوب، والسلامة من المرهوب في الدنيا

والآخرة.



(١) المصابرة: هي الصبر في وجه العدو الصابر، ومن هنا كانت المصابرة أشد من الصبر لأنها صبر في وجه عدو صابر، فأيهما لم يثبت على صبره هلك، وأصبح النجاح لأطولهما صبرا.

## ٤ - سُورَةُ النَّسَاءِ

«مَدِينَةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ : البشر، واحد الناس من غير لفظه وهو إنسان.

اتَّقُوا رَبَّكُمْ : خافوه أن يعذبكم فامثلوا أمره واجتنبوا نهيه.

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ : هي آدم عليه السلام.وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا : خلق حواء من آدم من ضلعه <sup>(١)</sup>.

وَبَنَىٰ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً : نشر وفرق في الأرض من آدم وزوجه رجالاً ونساءً كثيراً.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ : كقول الرجل لأخيه أسألك بالله أن تفعل كذا.

وَالْأَرْحَامَ : الأرحام: جمع رحم، والمراد من اتقاء الأرحام صلتها وعدم قطعها.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ : الرقيب الحفيظ العليم.

وَمَا تَوْأَمْتُنَّ لِلَّذِينَ آمَنُوا حُرْمٌ : جمع يتيم ذكرًا كان أو أنثى وهو من مات والده وهو غير بالغ الحلم <sup>(٢)</sup>.

وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ : الحَيْث الحرام والطيب الحلال، والمراد بها هنا الرديء والجيد. ﴿وَلَا

تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾.

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ : الحوب: الإثم الكبير العظيم.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا : أن لا تعدلوا. ﴿فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

مَشَىٰ وَتَلَثَ وَرَبَعَ : أي اثنتين أو ثلاث أو أربع إذ لا يحل الزيادة على الأربع. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا

فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعْمَلُوا ﴿٣﴾ : أقرب أن لا تجوروا بترك العدل بين الزوجات.

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً : جمع صدقة وهي الصداق والمهر، ونحلة بمعنى فريضة واجبة. ﴿فَإِنْ

طَهَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَمَا تَسَاقَطُوا﴾.

هَيْبَتًا : الهنيء: ما يستلذ به عند أكله.

(١) الفصح: هو لفظ زوج، ولذا لم يرد في القرآن بالتاء قط، وتساهل فيه الفقهاء لأجل التفرقة بين الرجل والمرأة ولهذا يقولون: للزوج كذا وللزوجة كذا.

(٢) ولإيتاء التيامن أموالهم صورتان: الأولى: غذاؤهم وكساؤهم ما داموا تحت الولاية، والثانية: دفع أموالهم إليهم وذلك عند البلوغ والرشد.

مَرِيئًا ﴿١﴾: المريء: ما تحسن عاقبته بأن لا يعقب آثارًا سيئة.  
وَلَا تُؤْتُوا: لا تعطوا.

السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمْ: جمع سفيه وهو من لا يحسن التصرف في المال.  
الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا: القيام: ما يقوم به الشيء فالأموال جعلها الله تعالى قيامًا أي: تقوم عليها  
معاش الناس ومصالحهم الدنيوية والدينية أيضًا. ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾.  
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾: أي قولًا تطيب به نفسه فلا يغضب ولا يحزن<sup>(١)</sup>.  
وَابْتَلُوا الْيَتَامَى: أي اختبروهم كي تعرفوا هل أصبحوا يحسنون التصرف في المال.  
حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ: أي سن الزواج وهي البلوغ<sup>(٢)</sup>.  
فَإِنِ عَسَمْتُمْ مَتَهُمْ رِشْدًا: أبصرتهم الرشد في تصرفاتهم. ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.  
وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا: الإسراف الإنفاق في غير الحاجة الضرورية والبدار:  
المبادرة والمسارعة إلى الأكل منه قبل أن ينقل إلى اليتيم بعد رشده<sup>(٣)</sup>.  
وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ: أي يعف بمعنى يكف عن الأكل من مال يتيمة.  
وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ: أي بقدر الحاجة الضرورية. ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا  
عَلَيْهِمْ﴾.

وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾: شاهداً للقرينة فأشهدوا عليهم.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ: الحظ المقدر في كتاب الله.

مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ: الأب والأم.

وَالْأَقْرَبُونَ: جمع قريب وهو هنا الوارث بنسب أو مصاهرة أو ولادة. ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ

الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾.

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَىٰ ﴿٤﴾: أصحاب القرابات الذين لا يرثون لبعدهم عن عمودي

النسب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾.

فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ: أعطوهم شيئاً يرزقونه.

(١) كقولوه لولد: مالي إليك صائر، وكان يدعو لهم: (بارك الله فيكم) أو يقول: هذا مالكم أحفظه لكم لتأخذوه يوم  
ترشدون.

(٢) يعرف البلوغ بالاحتلام وإنبات شعر العانة أو بلوغ ثمانية عشر سنة، هذا للغلام، أما الجارية فتزيد بعلامة أخرى  
هي الحيض والحمل.

(٣) دفع مال اليتيم إليه يتم بشرطين: الرشد والبلوغ فإن وجد أحدهما دون الآخر فلا يتم تسليم المال.

(٤) الجمهور على أن هذه الآية منسوخة بآية ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية وقال ابن عباس: إنها محكمة،  
وعلى أنها غير منسوخة شرحناها في التفسير فليتأمل.

وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ : لا إهانة فيه ولا عتاب، ولا تأفيف.  
وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ أَي بعد موتهم. ذُرِّيَّةً ضِعْفًا : الخشية: الخوف في موضع  
الأمن. ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

فَلْيَسْقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ : عدلاً صائبًا. أي: فليخشوا هذه الحال على أولاد  
غيرهم ممن حضروا وفاته، كما يخشون على أولادهم؛ إذن فعليهم أن يتقوا الله في أولاد غيرهم؛  
وليقولوا لمن حضروا وفاته ووصيته قولاً سديداً.

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا : بغير حق يخول لهم أكل مال اليتيم.  
إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ : سيدخلون سعيراً ناراً مستعرة يشوون  
فيها ويحرقون بها.

يُوصِيكُمُ اللَّهُ : يعهد إليكم.

فِي أَوْلَادِكُمْ : في شأن أولادكم والولد يطلق على الذكر والأنثى.

لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ : الحظ: الحصصة أو النصيب.

فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً : بنات كبيرات أو صغيرات. ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ﴾.

ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ : الثلث واحد من ثلاثة، والثلثان من ثلاثة. ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾.

وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ : السدس: واحد من ستة.

إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ : ذكرًا كان أو أنثى، أو كان له ولدٌ ولدٌ أيضًا ذكرًا كان أو أنثى فالحكم واحد.

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَّثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾.

فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ : اثنان فأكثر. ﴿فِلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾.

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ : أي يخرج الدين ثم الوصية ويقسم الباقي على الورثة ﴿يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ

ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ (١).

لَا تَدْرُونَ : لا تعلمون. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة.

فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ : فرض الله ذلك عليكم فريضة (٢).

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ : عليماً بخلقهم وما يصلح لهم، حكيماً في تصرفه في شؤون خلقه

وتدبيره لهم.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ : الأزواج هنا الزوجات.

إِنْ لَوْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ : المراد هنا بالولد ابن الصلب ذكرًا كان أو أنثى وولد الولد مثله.

(١) يرى الإمام الشافعي أن من مات وعليه زكاة أو حج الفرض أن يخرج ذلك من ماله قبل قسمة التركة، وقال

مالك: إن أوصى به تفذ وصيته، وإن لم يوص فالمال للورثة وهو أمره إلى الله تعالى.

(٢) الفرائض ست وهي النصف، والرابع، والثلثان، والثلث، والسدس.

فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ ۖ وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ. ﴿١٢٠﴾ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينَ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ ۖ ﴿١٢١﴾

وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً: الكلاله أن يهلك هالك ولا يترك ولدًا ولا والدًا ويرثه إخوته لأمه. ﴿١٢٢﴾ وَأَوْ أَمْرًا ۖ ﴿١٢٣﴾

وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ: أي من الأم. ﴿١٢٤﴾ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۖ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينَ ۖ ﴿١٢٥﴾

غَيْرُ مُضَارٍّ: بهما - أي الوصية والدين - أحد من الورثة.

وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢٦﴾: لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ: تلك اسم إشارة أشير به إلى سائر ما تقدم من أحكام النكاح وكفالة اليتامى وتحريم أكل مال اليتيم وقسمة التركات. وحدود الله وهي ما حده لنا وبينه من طاعته وحرم علينا الخروج عنه والتعدي له (١). وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢٧﴾: وهو النجاة من النار ودخول الجنة

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ۖ﴾

وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٢٨﴾: العذاب المهين: ما كان فيه إهانة للمعذب بالتقريع والتوبيخ

ونحو ذلك.

وَأَلَّتِي: جمع التي اسم موصول للمؤنث المفرد واللاقي للجمع المؤنث.

يَأْتِيَنَّ الْفَدْحَةَ: المراد بها هنا الزنا.

مِنْ نِسَائِكُمْ: المحصنات. ﴿فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي

أَبْشُوتٍ حَتَّىٰ يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ ۖ﴾

أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٢٩﴾: طريقًا للخروج من سجن البيوت.

(١) يرى بعضهم أن الإشارة لأقرب مذكور وهو قسمة الموارث، وما فسرنا به أولى لأنه أعم يشمل كل ما تقدم من أحكام الشريعة.

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَلَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَدْحَةَ﴾ يعني: الزنى ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ...﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ؛ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحكم كذلك فأنزل الله سورة النور فمسحها بالجلد أو الرجم، وكذا روي عن عكرمة... أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه وقد روى مسلم وغيره قول الرسول ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والشيب بالشيب جلد مائة والرجم». اهد بتصرف من ابن كثير (قل).

وَالَّذِينَ يَأْتِيَنهَا مِنْكُمْ : الضمير عائد إلى الفاحشة المتقدم ذكرها. ﴿فَقَادُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا﴾ : اتركوا أذيتهما بعد أن ظهرت توبتهما. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ .  
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ : أصل التوبة الرجوع وحققتها الندم على فعل القبيح أي : إنما ثبتت لهم التوبة من الله.

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ : كل ما أساء إلى النفس والمراد به هنا السيئات.  
 يَجْهَلُونَ : لا مع العمد والإصرار وعدم المبالاة. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَى اللَّهِ : أُولَئِكَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ .

أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ : أعدنا وهبنا.  
 عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) : موجعا شديدا الإيذاء. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ .  
 أَنْ تَرْتَابُوا لِلنِّسَاءِ كَرَاهًا : بدون رضاهن.

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ : العضل : المنع بشدة كأنه إمساك بالعضلات أو من العضلات.  
 لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ : أي من المهور.

إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ : الفاحشة : الخصلة القبيحة الشديدة القبح كالزنا، مبينة : ظاهرة واضحة ليست مجرد تهمة أو مقالة سوء.

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ : ما عرفه الشرع واجبا أو مندوبا أو مباحا. فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩) وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا أَوْ مِنْ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ مَهْرًا وَصَدَاقًا. ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ .

أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) : أي كذبا وافتراء، وإثما حراما لا شك في حرمة لأنه ظلم.  
 وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ : أي خلص الزوج إلى عورة الزوجة والزوجة كذلك.

وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) : هو العقد وقول الزوج : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ : لا تتزوجوا امرأة الأب أو الجد.  
 إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ : إلا ما قد مضى قبل هذا التحريم.

إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً : أي زواج نساء الآباء فاحشة شديدة القبح.  
 وَمَقْتًا : ممقوتا مغوضا للشارع ولكل ذي فطرة سليمة.

وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢) : أي قبح نكاح أزواج الآباء طريقا يسلك.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ : جمع أم فالأم محرمة ومثلها الجدة وإن علت. ﴿وَبَنَاتُكُمْ

وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَتَاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴿١٢٢﴾

وَرَبِّبَاتِكُمْ : الربائب جمع ربيسة وهي بنت الزوجة.

الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنَ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ : فإن نكح الرجل الزوجة وبنى بها فلا يحل له الزواج من ابنتها، أما إذا عقد فقط ولم يبن فإن البنت تحل له.

وَخَالَاتُكُمُ الْأَخْتَيْنِ مِمَّنْ أَصَلَبْتُمُ : الحلائل : جمع حليلة وهي امرأة الابن من الصلب. ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ (١) إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٣﴾ .

﴿وَأَلْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ : جمع محصنة والمراد بها هنا المتزوجة.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ : المملوكة بالسبي والشراء ونحوهما.

كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ : أي ما حرم الله من المناكح قد كتبه على المسلمين كتابًا وفرضه فرضًا فلا

يجوز إهماله.

وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ : أي ما عداه أي ما عدا ما حرم عليكم.

أَن تَتَّبِعُوا مَوْلَاكُمْ مُحْصِنِينَ : حسب شروط النكاح.

غَيْرِ مُسْفِحِينَ : المسافح : الزاني، لأن السفاح هو الزنا.

فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً : أي إذا أعطى الرجل المرأة المهر كاملاً فلا

حرج عليها أن تسقط من مهرها لزوجها أو تهبه له كله أو بعضه. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا رَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٢٤) .

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا : سعة وقدرة على المهر.

أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ : العفيفات المؤمنات. ﴿فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِن

فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ ﴿١٢٥﴾ .

وَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ : مهورهن. ﴿بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ ﴿١٢٦﴾ .

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ : الخدين الخليل الذي يفجر بالمرأة سرًا تحت شعار الصداقة.

فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ : أي الإماء بأن أسلمن أو تزوجن إذ الإحصان يكون بهما. ﴿فَإِن آتَيْنَ بِفَحْشَةٍ

فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿١٢٧﴾ .

ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ : العنت الضرر في الدين والبدن. أي خاف على نفسه الزنا.

وَأَن تَصْرُوا : على العزوبة.

(١) وحرّم بالسنة المتواترة الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

حَيْرَ لَكُمْ: من زواج الإمام. ﴿وَاللَّهُ عَزُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٥).

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُخَيِّنَ لَكُمْ: يريد الله أن يبين لكم بما حرم عليكم وأحل لكم ما يكملكم ويسعدكم في دنياكم وأخراكم.

وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء والصالحين لتهتجوا نهجهم فتطهروا وتكملوا وتفعلوا مثلهم.

وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ: يرجع بكم عما كنتم عليه من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام. ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (٦٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ.

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ: من اليهود والنصارى والمجوس والزناة.

أَنْ يَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (٦٧): تحيدوا عن طريق الطهر والصفاء إلى طريق الخبث والكدر بارتكاب المحرمات من المناكح وغيرها فتبتعدوا عن الرشد بعدًا عظيمًا.

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٦٨): لا يصبر عن النساء فلذا رخص تعالى لهم في الزواج من الفتيات.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا: صدقوا الله والرسول.

لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ: بغير حق يبيع أكلها.

إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَيْعًا وَشِرَاءً فَيَحِلُّ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ الْمَالِ: لا يأخذ النقود ويحل لصاحب

النقود أخذ البضاعة، إذا لا باطل. ﴿عَنْ تَرَاوِضٍ مِنْكُمْ﴾.

وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ: أي تزهقوا أرواح بعضهم بعضًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٩).

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا: اعتداء يكون فيه ظالمًا (١).

فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا: ندخله نار جهنم يحترق فيها. ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٧٠).

إِنْ جَحْتَبْنُوا: تبتعدوا لأن الاجتناب ترك الشيء عن جنب بعيدًا عنه لا يقبل عليه ولا يقربه.

كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَا عَنْهُ: الكبائر: ضد الصغائر، والكبيرة تعرف بالحد لا بالعد، فالكبيرة ما

توعد الله ورسوله عليها، أو لعن الله ورسوله فاعلها، أو شرع لها حد يقام على صاحبها، وقد جاء

في الحديث الصحيح بيان العديد من الكبائر، وعلى المؤمن أن يعلم ذلك ليجتنبه.

نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ: نغط ونستر فلا نطالب بها ولا نؤاخذ عليها.

وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا (٧١): المدخل الكريم هنا: الجنة دار المتقين.

وَلَا تَتَمَنَّوْا: التمني: التشهي والرغبة في حصول الشيء، وأداته: ليت ولو، فإن كان مع زوال

المرغوب فيه عن شخص ليحصل للمتمني فهو الحسد.

(١) أي لم يكن سهواً منه ولا خطأ وهو معنى ﴿عُدْوَانًا﴾ ولا بحق كقصاص وهو معنى ﴿وِظْلَمًا﴾.

مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ: أي ما فضل الله به أحداً منكم فأعطاه علماً أو مالاً أو جاهاً أو سلطاناً.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا: أي حصة وحظ من الثواب والعقاب بحسب الطاعة والمعصية. ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣٢).

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَى: الموالي من يلون التركة ويرثون الميت من أقارب. ﴿وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ (٣٣).

وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ: أي حالفتموهم وتآخيتم معهم مؤكدين ذلك بالمصافحة واليمين.

فَكَانُواهُمْ نَصِيبُهُمْ: من الرفدة والوصية والنصرة لأنهم ليسوا ورثة. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٣٤).

الرِّجَالِ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ: جمع قوام: وهو من يقوم على الشيء رعاية وحماية وإصلاحاً. بما فضّل الله بعضهم على بعض: بأن جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة. وَمِمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ: وهذا عامل آخر مما ثبتت به القوامة للرجال على النساء فإن الرجل بدفعه المهر وقيامه بالنفقة على المرأة كان أحق بالقوامة التي هي الرئاسة. فَالضَّلِيلِ حَتَّى: جمع صالحة: وهي المؤدية لحقوق الله تعالى وحقوق زوجها. قَنِينَتُكَ: مطيعات الله ولأزواجهن.

حَفِظْتُ لِّلْعَيْبِ: حافظات لزوجهن وأموال أزواجهن.

بِمَا حَفِظَ اللَّهُ: بحفظ الله لها وإعانتها لها.

وَالَّذِي تَخَافُونَ سُخُورَهُمْ: النسوز: الترفع عن الزوج وعدم طاعته.

فَعِظُوهُنَّ: بالترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية.

وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ: في الفراش.

وَأَضْرِبُوهُنَّ: ضرباً غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عظماً.

فَإِنْ أَطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا: أي لا تطلبوا لهن طريقاً تتوصلون به إلى ضربهن بعد

أن أطعنكم. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٣٥).

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا: الشقاق: المنازعة والخصومة حتى يصبح كل واحد في شق مقابل.

فَاتَّبِعُوا حُكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا: الحكم: الحاكم، والمحكم في القضايا للنظر

والحكم فيها. ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾ (٣٥).

وَاعْبُدُوا اللَّهَ: الخطاب للمؤمنين ومعنى اعبدوا: أطيعوه في أمره ونهيه مع غاية الذل

والحب والتعظيم له ﷺ.

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: أي لا تعبدوا معه غيره بأي نوع من أنواع العبادات التي تعبد الله تعالى بها من دعاء وخشية وذبح ونذر وركوع وسجود وغيرها.

وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا بِذِي الْقُرْبَىٰ: أصحاب القرباب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾.

وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا بِذِي الْقُرْبَىٰ: أي القريب لنسب أو مصاهرة.

وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْجُنُبِ: أي الأجنبي مؤمناً كان أو كافراً.

وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ: الزوجة، والصدیق الملازم كالتلميذ والرفیق في السفر.

وَأَبْنِ السَّبِيلِ: المسافر استضاف أم لم يستضيف.

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: من الأرقاء العبيد فتيان وفتيات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ﴾.

مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾: الاختيال: الزهو في المشي، والفخر الافتخار بالحسب والنسب والمال

بتعداد ذلك وذكره.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ: يمتنعون الواجب بذله من المعروف مطلقاً. ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ

بِالْبُخْلِ﴾ (١).

وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ: يجحدون ما أعطاهم الله من علم ومال تفضلاً منه

عليهم. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ ﴿٣٨﴾

قَرِينًا ﴿٣٨﴾: القرين: الملازم الذي لا يفارق صاحبه كأنه مشدود معه بقرن أي: حبل.

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: أي أي شيء يضرهم أو ينالهم

بمكروه إن هم آمنوا؟

وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ: المِثْقَال: الوزن مأخوذ من الثقل فكل ما يوزن فيه ثقل، والذرة: أصغر حجم في

الكون حتى: قيل إنه الهباء أو رأس النملة.

وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً: الحسنة: الفعلة الجميلة من المعروف.

يُضْعَفُهَا: يزد فيها ضعفها.

وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ: من عنده.

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾: جزاء كبيراً وثواباً عظيماً.

(١) البخل المذموم شرعاً: هو الامتناع من أداء الحقوق الواجبة، والشح: بخل مع حرص وهو شر من مجرد البخل.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ <sup>(١)</sup>: الشاهد على الشيء لعلمه به. ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿١١﴾

يَوْمَئِذٍ يُؤَذُّ: يحب. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾

لَوْ شِئْنَا لَمَسَّوْا الْأَرْضَ: يكونوا ترابًا مثلها.

وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿١٢﴾: أي لا يخفون كلامًا.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ: لا تدنوا كناية عن الدخول فيها، أو لا تدنوا من

مساجدها.

وَأَنْتُمْ سُكَرَى: جمع سكران وهو من شرب مسكرًا فستر عقله وغطاه.

حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ: لزوال السكر عنكم بعد شربه عن وقت الصلاة. وهذا كان قبل تحريم

الخمير وسائر المسكرات.

وَلَا جُنْبًا: العجب: من به جنابة وللجنابة سببان: جماع، أو احتلام <sup>(٢)</sup>.

إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ: مارين بالمسجد مرورًا بدون جلوس فيه. ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَجَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴿١٣﴾

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ: المكان المنخفض للتغوط: أي التبرز فيه.

أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ: جامعتموهن. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا: اقصدوا ترابًا طاهرًا. ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٤﴾: عفوا: لا يؤاخذ على كل ذنب، غفورًا: كثير المغفرة لذنوب عباده

التائبين إليه.

أَلَمْ تَرَ: ألم تبصر أي بقلبك أي تعلم.

إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ: حظًا وقسطًا.

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ: أي الكفر بالإيمان. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿١٥﴾

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ: الأعداء: جمع عدو وهو من يقف عنك بعيدًا يود ضرك ويكره نفعك.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿١٦﴾

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود قيل لهم ذلك لقولهم: ﴿إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا ورجعنا.

يُحَرِّفُونَ: التحريف: الميل بالكلام عن معناه إلى معنى باطل للتضليل.

(١) هو رسولها الذي أرسل إليها.

(٢) من موجبات الغسل كما قال العلماء: خروج المنى بشهوة في النوم واليقظة من الذكر أو الأنثى وهذا التعريف -

والله أعلم - أعم حيث يندرج تحته غير هذين السببين. (قل).

أَلِكَلِمَ: الكلام وهو كلام الله تعالى في التوراة. ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: إنهم كانوا يقولون: سمعنا قولك، وعصينا أمرك. وَأَسْمَعَ غَيْرُ مُسْمَعٍ: أي اسمع ما تقول لا أسمعك الله. وهذا كفر منهم صريح. وَرَدَعْنَا: وهي كلمة ظاهرها أنها من المراعاة وباطنها الطعن في رسول الله ﷺ إذ اليهود يعدونها من الرعونة يقولونها لرسول الله ﷺ سبًا وشتمًا له، قبحهم الله ولعنهم وقطع دابرتهم. لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ: أي يلوون ألسنتهم بالكلمة التي يسبون بها حتى لا تظهر عليهم، ويطعنون بها رسول الله ﷺ.

وَطَعْنَا فِي الدِّينِ: سبهم للرسول ﷺ هو الطعن الأعظم في الدين. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا: وأمهلنا حتى نسمع فنهم. لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ: أعدل وأصوب. وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ: طردهم من رحمته وأبعدهم من هداة بسبب كفرهم برسول الله ﷺ. ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ: اليهود والنصارى والمراد بهم هنا اليهود لا غير. ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ: القرآن. مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا: نذهب آثارها بطمس الأعين وإذهاب أحداقها. فَتَرُدُّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا: نجعل الوجه قفا، والقفا وجهًا. أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ النَّبِيِّ: لعنهم مسخهم قردة، خزيًا لهم وعذابًا مهينًا. وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٧): أمر الله: مأموره كائن لا محالة لأنه تعالى لا يعجزه شيء. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ: لا يمحو ولا يترك المؤاخذة. أَنْ يُشْرَكَ بِهِ: أي يعبد معه غيره تأليها له بحبه وتعظيمه وتقديم القرابين له، وصرف العبادات له كدعائه والاستعانة به والذبح والنذر له.

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ: أي ما دون الشرك والكفر من سائر الذنوب والمعاصي التي ليست شركًا ولا كفرًا.

لِمَنْ يَشَاءُ: أي لمن يشاء المغفرة له من سائر المذنبين بغير الشرك والكفر. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (١٨): افتري: اختلق وكذب كذبًا بنسبته العبادة إلى غير الرب تعالى، والإثم: الذنب العظيم الكبير. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ: تزكية النفس: تبرئتها من الذنوب والآثام. بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ: يظهر من الذنوب من يشاء من عباده بتوفيقه للعمل بما يزكي النفس، وإعانتة عليه.

وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَانًا ﴿١١٦﴾ : الفتيل: الخيط الأبيض يكون في وسط النواة، أو ما يفتله المرء بأصبعه من الوسخ في كفه أو جسمه وهو أقل الأشياء وأتفهها.

أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبَ : الكذب: عدم مطابقة الخبر للواقع. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَبِ وَالطَّلَعُوتِ : الحجب: اسم كل ما عبد من دون الله (١) وكذا الطاغوت سواء كانا صنمين أو رجلين. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . هَتُولاَءَ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ : أكثر هداية في حياتهم وسلوكهم. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَٰنٌ يُجَدِّ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ .

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ : النقيير: ثغرة في ظهر النواة يضرب بها المثل في صغرها.

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ : الحسد: تمنى زوال النعمة عن الغير والحرص على ذلك.

فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ : السداد في القول والعمل مع الفقه في أسرار التشريع الإلهي. ﴿وَأَتَيْنَهُمُ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا : ندخلهم نارا يحترقون بها.

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ : اشتوت فتهرت وتساقت. ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ .

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ : ليستمر لهم العذاب مؤلما.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ : غالبا، يعذب من يستحق العذاب. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ﴾ .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : تجري من خلال أشجارها وقصورها الأنهار.

خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا أَيْدٌ أَبْدًا لَهُمْ فِيهَا أَرْوَاحٌ مُّطَهَّرَةٌ : من الأذى والقذى مطلقا.

وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ : الظل الظليل: الوارف الدائم لا حرق فيه ولا يبرده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا : أداء الأمانة تسليمها إلى المؤمن، والأمانات جمع أمانة وهي ما يؤتمن عليه المرء من قول أو عمل أو متاع (٢)﴾ .

وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ : العدل: ضد الجور والانحراف بنقص أو زيادة.

(١) وقيل الحجب: الساحر بلغة الحبشة، والطاغوت: الكاهن عن ابن عباس، وابن جبير وأبي العالية، وقال عمر رضي الله عنه: الحجب: السحر، والطاغوت: الشيطان، وقال مالك: الطاغوت: ما عبد من دون الله، وقيل: هما كل ما عبد من دون الله أو مطاع في معصية الله وهذا حسن وهو ما ذكره في التفسير.

(٢) الإجماع على وجوب رد الأمانات لأصحابها كفازا أو مؤمنين. جازا أو أبرارا.

إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ : نعم شيء يعظكم أي يأمركم به أداء الأمانات والحكم بالعدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ : أولو الأمر: هم الأمراء والعلماء من المسلمين.

فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ : اختلفتم فيه كل فريق يريد أن ينتزع الشيء من يد الفريق الآخر.  
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ : أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.  
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ : أحسن عاقبة، لأن تأويل الشيء ما يؤول إليه في آخر الأمر.  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ : يقولون كاذبين.  
أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ : القرآن.  
وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ : التوراة.

يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة، والمراد به هنا كعب بن الأشرف اليهودي أو كاهن من كهان العرب. ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾.  
رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ : جمع منافق: وهو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان خوفًا من المسلمين.  
يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ : يعرضون عنك ويصرفون غيرهم كذلك.  
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ يُمْسِكُ بِمَنْعَتِهَا أَيْدِيَهُمْ : عقوبة بسبب كفرهم ونفاقهم. ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾.

إِنْ أَرَدْنَا : أي ما يريدون.

إِلَّا أَحْسَنَّا : أي صلحًا بين المتخاصمين.

وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ : جمعًا وتأييفًا بين المختلفين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ : أي اصفح عنهم فلا تؤاخذهم، أي لا تؤاخذهم فيما يبطنونه من الكفر ما داموا لم يظهره علنًا.

وَعَظُّهُمْ : مرهم بما ينبغي لهم ويجب عليهم.

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ : كلامًا قويًا يبلغ شغاف قلوبهم بللاغته وفصاحته.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ : إذن الله: إعلامه بالشيء وأمره به.

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا : بالتحاكم إلى الطاغوت وتركهم التحاكم إلى رسول الله ﷺ.

أَنْفُسَهُمْ جَاءَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ : طلبوا منه أن يغفر لهم بلفظ اللهم اغفر لنا، أو استغفروا

الله. ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لُوَجْدًا وَاللَّهُ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾.

فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ : يجعلوك حكمًا بينهم ويفوضوا الأمر إليك.

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ : أي اختلفوا فيه لاختلاط وجه الحق والصواب فيه بالخطأ والباطل.

ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا: تضييقًا وتحرجًا.  
مِمَّا فَضَيْتَ: حكمت فيه.

وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴿٦٥﴾: أي يدعونا لقبول حكمك ويسلموا به تسليمًا تامًا.

وَلَوْ أَنَا كُنْنَا عَلَيْهِمْ: فرضنا عليهم وأوجبنا.

أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ: أي قتل أنفسهم.

أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ: مهاجرين في سبيل الله.

مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ: أي ما فعل القتل إلا القليل منهم.

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ: أي ما يؤمرون به وينهون عنه.

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيْئًا ﴿٦٦﴾: أي للإيمان في قلوبهم. ﴿وَإِذَا لَا تَنبَلُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا

﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ ﴿٦٩﴾

وَالصَّادِقِينَ: جمع صديق: وهو من غلب عليه الصدق في أقواله وأحواله لكثرة ما يصدق

ويتحرى الصدق.

وَالشُّهَدَاءَ: جمع شهيد: من مات في المعركة ومثله من شهد بصحة الإسلام بالحجة

والبرهان.

وَالصَّالِحِينَ: جمع صالح: من أدى حقوق الله تعالى وأدى حقوق العباد وصلحت نفسه

وصلح عمله وغلب صلاحه على فساده. ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٧١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٢﴾﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ: الحذر والحدَر: الاحتراس والاستعداد لدفع المكروه

بحسبه.

فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ <sup>(١)</sup>: النفور: الخروج في اندفاع وانزعاج، والثبات: جمع ثبة وهي الجماعة. ﴿أَوْ

أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧٣﴾﴾

وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ يُبْتَاطِئُ: أي يتباطأ في الخروج فلا يخرج.

فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ: قتل أو جراحات وهزيمة. ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ ﴿٧٤﴾﴾

شَهِيدًا ﴿٧٥﴾: أي حاضرًا الغزوة معهم.

وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ: نصر وغنيمة.

(١) حمل مجاهد وقادة وابن جريج الآية على المنافقين، وحملها بعضهم على ضعفة الإيمان، وحملها على الجميع أقرب إلى الصحة والصواب، والله أعلم.

لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ : صحبة ومعرفة مستلزمة للمودة<sup>(١)</sup> .

يَلِيَّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ : نجاة من معرة التخلف عن الجهاد، والظفر  
بالسلامة والغنيمة.

﴿فَلْيَقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : الطريق الموصلة إلى إعلاء كلمة الله تعالى بأن يعبد وحده، ولا  
يضطهد مسلم في دينه، ولا من أجل دينه.

الَّذِينَ يَشْرُونَ : يبيعون، إذ يطلق الشراء على البيع أيضًا. ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ  
يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧٤﴾ .

وَمَا لَكُمْ لَأَنْ تُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ : المستضعف: الذي قام به عجز فاستضعفه غيره  
فآذاه لضعفه. ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ .

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ : القرية في عرف القرآن المدينة الكبيرة الجامعة، والمراد بها  
هنا مكة المكرمة. ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يَقْتُلُونَ  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٧٦﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ : أي في نصرة الشرك ومساندة الظلم والعدوان ونشر الفساد.  
﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٧٦﴾ .

الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ : أي عن القتال وذلك قبل أن يفرض. ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا  
الزَّكَاةَ﴾ ﴿٧٧﴾ .

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ : فرض عليهم. ﴿إِذَا فَرَغُوا مِنْهُمْ﴾ .

يَخَافُونَ النَّاسَ : يخافون. ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ﴾ .

لَوْلَا أَخَّرْنَا هَلَّا أَخَّرْنَا. ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ (٢) قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وَلَا تَظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴿٧٧﴾ : الفتيال خيط يكون في وسط النواة. ﴿أَيَّمْنَا تَكُونُوا يَدْرِكِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ  
فِي﴾ .

بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ : حصون مشيدة بالشيد وهو الجص. ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ  
تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾

يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ : الحسنة ما سر، والسيئة ما ضر (٣). ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ

(١) إن كان صاحب من ضعفة الإيمان فهو كذلك، وإن كان منافقاً فإن المودة هنا بمعنى مجرد الصحبة لا غير، لأن  
المنافق لا يحب المؤمن إلا نادراً.

(٢) المراد من التأخير إلى أجل قريب هو أن يتم استعدادهم للقتال بتوفر المال والرجال، والعتاد لا إلى أجل الموت فإنه  
غير وارد في قولهم هذا ولا معنى له، وهل قولهم كان في أنفسهم أو صرحوا به؟ كلاهما وارد وجائز الوقوع.

(٣) انظر (ص ١١٨-١٢٥).

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴿٨٠﴾

وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨١﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها. وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ: أَي أَمْرُنَا طَاعَةٌ لَكَ.

فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ: خَرَجُوا.

بَيَّنَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ: بَدَل طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاعْتَزَمُوهُ دُونَ الَّذِي وَاْفَقُوا عَلَيْهِ أَمَامَكَ. ﴿٨٢﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨٣﴾

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ: تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ قِرَاءَةَ الْآيَةِ أَوْ الْآيَاتِ وَإِعَادَتِهَا الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ لِيَفْقَهُهُ مَرَادَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهَا.

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِذًا مَّا كَثِيرًا ﴿٨٤﴾

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ: أَفْشَوْهُ مَعْلَنِينَ لِلنَّاسِ.

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

الَّذِينَ يَسْتَنظِرُونَ، مِنْهُمْ: يَسْتَخْرِجُونَ مَعْنَاهُ الصَّحِيحَ. ﴿٨٥﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ

الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٦﴾

فَقَلِيلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ: حَثَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ وَحَرَضَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا: قُوَّتَهُمُ الْحَرْبِيَّةَ.

وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٧﴾: أَقْوَى تَنْكِيلًا وَالتَّنْكِيلُ: ضَرْبُ الظَّالِمِ بِقُوَّةٍ حَتَّى يَكُونَ

عِبْرَةً لِمِثْلِهِ فَيَنْكُلُ عَنِ الظُّلْمِ.

مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نُصِيبٌ مِّنْهَا: الشَّفَاعَةُ: الْوَسَاطَةُ فِي الْخَيْرِ أَوْ فِي الشَّرِّ إِنْ كَانَتْ

فِي الْخَيْرِ فَهِيَ الْحَسَنَةُ وَإِنْ كَانَتْ فِي الشَّرِّ فَهِيَ السَّيِّئَةُ. وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً:

سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا: نَصِيبٌ مِنْهَا.

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٨﴾ مَقْتَدِرًا عَلَيْهِ وَشَاهِدًا عَلَيْهِ حَافِظًا لَهُ.

وَإِذَا حُجِمْتُمْ بِحِجَّتِهِ: تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ هِيَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا: أَي يَقُولُ وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ (١).

(١) فمن قال: السلام عليكم فليقل الراءد: وعليكم السلام ورحمة الله، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله فليرد

عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تعليقًا على الآيتين ٧٨، ٧٩ ما مختصره: ( هذه الآية: ذكرها الله في سياق الأمر

بالجهاد، واذم الناكثين عنه).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَاتَّقُوا ثِيَابًا أَوْ أَنْفُسًا جَمِيعًا ﴾ (٧٩) الآيات. إلى أن ذكر صلاة الخوف،

وقد ذكر قبلها طاعة الله وطاعة الرسول، والتحاكم إلى الله وإلى الرسول. ورد ما تنازع فيه الناس إلى الله وإلى الرسول. وذم الذين يتحاكمون ويردون ما تنازعوا فيه إلى غير الله والرسول.

فكانت تلك الآيات: تبييناً للإيمان بالله وبالرسول؛ ولهذا قال فيها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٧٥﴾.

ثم قال: ﴿أَيَّمَاتٍ كُتِبُوا بِذِكْرِكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسَيِّدَةٍ وَإِن نُّصَبْكُمْ حَسَنَةً يَّقُولُوا هَٰذِهِ مَن عِنْدَ اللَّهِ وَإِن نُّصَبْكُمْ سَيِّئَةً يَّقُولُوا هَٰذِهِ مَن عِنْدَكُ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿٧٨﴾.

فالضمير في قوله: ﴿وَإِن نُّصَبْكُمْ﴾ يعود إلى من ذكر. وهم (الذين يخشون الناس) أو يعود إلى معلوم، وإن لم يذكر. كما في مواضع كثيرة.

وقد قيل: إن هؤلاء كانوا كفاراً من اليهود. وقيل: كانوا منافقين. وقيل: بل كانوا من هؤلاء وهؤلاء. والمعنى يعم كل من كان كذلك. ولكن تناوله لمن أظهر الإسلام وأمر بالجهاد: أولى.

ثم إذا تناول الذم هؤلاء: فهو للكفار الذين لا يظهرن الإسلام أولى وأحرى. والذي عليه عامة المفسرين: أن «الحسنة» و«السيئة» يراد بهما النعم والمصائب. ليس المراد: مجرد ما يفعله الإنسان باختياره، باعتباره من الحسنات أو السيئات.

ولفظ «الحسنات» و«السيئات» في كتاب الله: يتناول هذا وهذا؛ قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿إِن تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن نُّصَبْكُمْ بِمِثْلِ مَا قُتِلْتُمْ لَتَنُفِرُنَّ بَلَاغًا مُّبِينًا﴾ ﴿١٠٧﴾.

وأما الأعمال المأمور بها، والمنهي عنها: ففي مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلَاتٍ وَلَمْ يَجَأْ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾

وهنا قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِنَّا إِلَيْهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَنَنْسِفْكَ﴾ ولم يقل: وما فعلت، وما كسبت. كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾

فلهذا كان قوله: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ متناولاً لما يصيب الإنسان، ويأتيه من النعم التي تسره، ومن المصائب التي تسوءه فالآية متناولة لهذا قطعاً وكذلك قال عامة المفسرين.

المعصية الثانية: قد تكون عقوبة الأولى. فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل.

قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً».

وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية: قد تكون من عقوبة الأولى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا﴾ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٦٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت - وهي مضرّة - جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات وهي بذنوب تقدمت.

وعلى كل تقدير: فالذنوب التي يعملها: هي من نفسه وإن كانت مقدرة عليه، فإنه إذا كان الجزاء الذي هو مسبب عنها من نفسه فعمله الذي هو ذلك الجزاء: من نفسه بطريق الأولى. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا».

وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية: قد تكون من عقوبة الأولى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا﴾ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٦٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت - وهي مضرّة - جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات وهي بذنوب تقدمت.

وعلى كل تقدير: فالذنوب التي يعملها: هي من نفسه وإن كانت مقدرة عليه، فإنه إذا كان الجزاء الذي هو مسبب عنها من نفسه فعمله الذي هو ذلك الجزاء: من نفسه بطريق الأولى. وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: «نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا».

وقد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية: قد تكون من عقوبة الأولى. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَبَتُّلًا﴾ ﴿١٦٦﴾ وَإِذَا لَأْتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٦٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وإذا كانت السيئات التي يعملها الإنسان قد تكون من جزاء سيئات تقدمت - وهي مضرّة - جاز أن يقال: هي مما أصابه من السيئات وهي بذنوب تقدمت.

وقال له أبو بكر رضي الله عنه: علمني دعاء. فقال: «قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت. أعوذ بك من شر نفسي. وشر الشيطان وشركه، وأن أقترب على نفسي سوءاً. أو أجره إلى مسلم. قلّه إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فقد بين أن قوله: ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ يتناول العقوبات على الأعمال ويتناول الأعمال، مع أن الكل بقدر الله وقد ظن طائفة: أن في الآية إشكالاً، أو تناقضاً في الظاهر حيث قال: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ثم فرق بين الحسنات والسيئات. فقال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِئَانَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرِئَانَ نَفْسِكَ﴾

وهذا من قلة فهمهم، وعدم تدبرهم الآية. وليس في الآية تناقض لا في ظاهرها، ولا في باطنها، لا في لفظها ولا معناها. فإنه ذكر عن المنافقين. والذين في قلوبهم مرض، الناكسين عن الجهاد، ما ذكره بقوله: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَدِيرِينَ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذا يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي: بسبب ما أمرتنا به من دينك، والرجوع عما كنا عليه: أصابتنا هذه السيئات، لأنك أمرتنا بما أوجبهنا. فالسيئات: هي المصائب والأعمال التي ظنوا أنها سبب المصائب: هو أمرهم بها.

وقولهم: ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ تتناول مصائب الجهاد التي توجب الهزيمة؛ لأنه أمرهم بالجهاد، وتتناول أيضاً مصائب الرزق على جهة التشاؤم، والتطير. أي: هذا عقوبة لنا بسبب دينك، كما كان قوم فرعون يتطيرون بموسى وبمن معه، وكما قال أهل القرية للمرسلين: ﴿إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وكما قال الكفار من ثمود لصالح، ولقومه: ﴿أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَيَمِينَ مَعَكَ﴾ فكانوا يقولون عما يصيبهم من الحرب، والزلازل والجراح والقتل، وغير ذلك مما يحصل من العدو: هو منك؛ لأنك أمرتنا بالأعمال الموجبة لذلك. ويقولون عن هذا، وعن المصائب السماوية: إنها منك، أي بسبب طاعتنا لك، واتباعنا لدينك: أصابتنا هذه المصائب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول، وفعل ما بعث به: مسبباً لشر أصابه: إما من السماء. وإما من آدمي. وهؤلاء كثيرون.

لم يقولوا: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بمعنى: أنك أنت الذي أحدثتها، فإنهم يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدث شيئاً من ذلك، ولم يكن قولهم ﴿مِنْ عِنْدِكَ﴾ خطاباً من بعضهم لبعض. بل هو خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم. ومن فهم هذا تبين له أن قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِئَانَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرِئَانَ نَفْسِكَ﴾ لا يناقض قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ بل هو محقق له. لأنهم - هم ومن أشبههم إلى يوم القيامة - يجعلون ما جاء به الرسول، والعمل به: سبباً لما قد يصيبهم من مصائب. وكذلك من أطاعه إلى يوم القيامة.

وكانوا تارة يقدرحون فيما جاء به ويقولون: ليس هذا مما أمر الله به، ولو كان مما أمر الله به: لما جرى على أهله هذا البلاء.

وتارة لا يقدرحون في الأصل. لكن يقدرحون في القضية المعينة. فيقولون: هذا بسوء تدبير الرسول، كما قال عبد الله بن أبي ابن سلول يوم أحد - إذ كان رأيه مع رأي النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يخرجوا من المدينة فسأله صلى الله عليه وسلم ممن كان لهم رغبة في الجهاد أن يخرج فوافقهم، ودخل بيته ولبس لأمته. فلما لبس لأمته ندماوا، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أنت أعلم. فإن شئت أن لا نخرج، فلا نخرج. فقال: « ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن ينزعها؛ حتى يحكم الله بينه وبين عدوه» يعني: أن الجهاد يلزم بالشروع، كما يلزم الحج. لا يجوز ترك ما شرع فيه منه إلا عند العجز بالإحصار في الحج.

## \* فصل:

والمفسرون ذكروا في قوله: ﴿وَأِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ هذا وهذا. فعن ابن عباس، والسدي، وغيرهما: أنهم يقولون هذا، تشاؤماً بدينه. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. قال: بسوء تدبيرك - يعني كما قاله عبد الله بن أبي وغيره يوم أحد - وهم كالذين ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾.

فيكل حال: قولهم «من عندك» هو طعن فيما أمر الله به ورسوله: من الإيمان والجهاد. وجعل ذلك: هو الموجب للمصائب التي تصيب المؤمنين المطيعين، كما أصابتهم يوم أحد، وتارة تصيب عدوهم، فيقول الكافرون: هذا بشؤم هؤلاء، كما قال أصحاب القرية للمسلمين ﴿إِنَّا نَطَرْنَا بِكُمْ﴾ وكما قال تعالى عن آل فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُمُومًا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾﴾ وقال تعالى عن قوم صالح: ﴿قَالُوا أَطَرْنَا بِكَ وَيَمُنُّ مَعَكَ ۗ قَالَ طَلَيْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٧٢﴾﴾، ولما قال أهل القرية: ﴿إِنَّا نَطَرْنَا بِكُمْ لِيَنْتَهَوْا لَتَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ قَالُوا طَلَيْتُكُمْ مَعَكُمْ ۗ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

قال الضحاك في قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُمُومًا عِنْدَ اللَّهِ﴾، يقول: الأمر من قبل الله. ما أصابكم من أمر فمن الله، بما كسبت أيديكم.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: معاييكم.

وقال قتادة: عملكم عند الله.

وفي رواية غير علي: عملكم عند الله ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ أي: تبتلون بطاعة الله ومعصيته، رواها ابن أبي حاتم وغيره.

وعن ابن إسحاق قال: قالت الرسل: ﴿قَالُوا طَلَيْتُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي أعمالكم.

فقد فسروا الطائر بالأعمال وجزائها، لأنهم كانوا يقولون: إن ما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل وأتباعهم.

فبين الله سبحانه: أن طائرهم وهو الأعمال وجزاؤها هو عند الله وهو معهم، فهو معهم؛ لأن أعمالهم وما قدر من جزائها معهم كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَةٌ طَلَيْتُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ وهو من الله، لأن الله تعالى قدر تلك

المصائب بأعمالهم. فمن عنده تنتزل عليهم المصائب، جزاء على أعمالهم، لا بسبب الرسل وأتباعهم.

وفي هذا يقال: إنهم إنما يجزون بأعمالهم، لا بأعمال غيرهم. ولذلك قال في هذه الآية - لما كان المنافقون والكفار ومن في قلبه مرض يقول: هذا الذي أصابنا هو بسبب ما جاء به محمد، عقوبة دينية وصل إلينا - بين سبحانه: أن ما أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم.

ففي هذا رد على من أعرض عن طاعة الرسول ﷺ لثلاث تصيبه تلك المصائب. وعلى من انتسب إلى الإيمان بالرسول، ونسبها إلى فعل ما جاء به الرسول، وعلى من أصابته مع كفره بالرسول ونسبها إلى ما جاء به الرسول.

## \* فصل:

والمقصود: أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس سبباً لشيء من المصائب. ولا تكون طاعة الله ورسوله قط سبباً لمصيبة، بل طاعة الله ورسوله لا تقتضي إلا جزاء أصحابها بخيري الدنيا والآخرة. ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله مصائب، بسبب ذنوبهم. لا بما أطاعوا فيه الله والرسول، كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم، لا بسبب طاعتهم الله ورسوله ﷺ.

وكذلك ما ابتلوا به في السراء، والضراء والزلازل: ليس هو بسبب نفس إيمانهم وطاعتهم، لكن امتحنوا به ليتخلصوا

مما فيهم من الشر، وفتنوا به كما يفتن الذهب بالنار، ليميز طيبه من خبيثه، والنفوس فيها شر، والامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر، الذي في نفسه. قال تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فِيْهِ فِتْنَةٌ فَكُلُّ مَنَّا لَمَسُّهَا وَلَئِن لَّمْ يَأْتِكُم مِّنَ النَّاسِ مَخْبَرٌ فَذُرِّ الْكُفْرِيْنَ﴾ ﴿١٣٦﴾ قال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ولهذا قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿طَبِّئْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بُقْتُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾.

ولهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين، وبالصبر عليها ترتفع درجاتهم، وما أصابهم في الجهاد من مصائب بأيدي العدو، فإنه يعظم أجرهم بالصبر عليها.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «ما من غازية يغزون في سبيل الله، فيسلمون ويغنمون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، وإن أصيبوا وأخفقوا تم لهم أجرهم».

وأما ما يلحقهم من الجوع والعطش والتعب: فذاك يكتب لهم به عمل صالح. كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفْرَانَ وَلَا يُنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِعُّ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾.

وشاهد هذا كثيرة.

\* فصل:

والمقصود: أن قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنَّا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإنهم جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول. وكانوا يقولون: النعمة التي تصيبنا هي من عند الله، والمصيبة من عند محمد. أي: بسبب دينه وما أمر به. فقال تعالى: قل هذا وهذا من عند الله. لا من عند محمد. محمد لا يأتي لا بنعمة ولا بمصيبة ولهذا قال بعد هذا: ﴿فَقَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ بِفَقْهِنَا حَدِيثًا﴾ ﴿١٣٩﴾ قال السدي وغيره: هو القرآن. فإن القرآن إذا هم فقها ما فيه؛ تبين لهم أنه إنما أمرهم بالخير، والعدل، والصدق والتوحيد، لم يأمرهم بما يكون سبباً للمصائب، فإنهم إذا فهموا ما في القرآن علموا أنه لا يكون سبباً للشر مطلقاً.

وهذا مما يبين أن ما أمر الله به: يعلم بالأمر به حسنه ونفعه، وأنه مصلحة للعباد، وليس كما يقول من يقول: قد يأمر

الله العباد بما لا مصلحة لهم فيه إذا فعلوه، بل فيه مضرة لهم.

فإنه لو كان كذلك لكان قد يصدقه المتطهرون بالرسول وأتباعهم.

ومما يوضح ذلك: أنه لما قال: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ قال بعدها: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنِّي بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١٤٠﴾ فإنه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات. وإذا شهد الله له كفى به شهيداً، ولم يضره جحد هؤلاء لرسالته بما ذكروه من الشبه التي هي عليهم لا لهم بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حجة على إبطال رسالته. والله تعالى قد شهد له أنه أرسله للناس رسولاً. فكان ختم الكلام بهذا إبطاً لقولهم: إن المصائب من عند الرسول. ولهذا قال بعد هذا: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿١٤١﴾.

\* فصل:

فإن قيل: إذا كانت الطاعات والمعاصي مقدره، والنعم والمصائب مقدره فما الفرق بين الحسنات التي هي النعم،

والسيئات التي هي المصائب؟ فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان؟

قيل: لفرق بينهما:

الفرق الأول: أن نعم الله وإحسانه إلى عباده يقع ابتداء بلا سبب منهم أصلاً. فهو ينعم بالعافية والرزق والنصر، وغير ذلك على من لم يعمل خيراً قط. وينشئ للجنة خلقاً يسكنهم فضول الجنة، وقد خلقهم في الآخرة لم يعملوا خيراً. ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل. وأما العقاب: فلا يعاقب أحداً إلا بعمله.

الفرق الثاني: أن الذي يعمل الحسنات إذا عملها، فنفس عمله الحسنات، هو من إحسان الله، وبفضله عليه بالهداية والإيمان كما قال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: « يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

فنفس خلق الله لهم أحياء، وجعله لهم السمع والأبصار والأفئدة: هو من نعمته، ونفس إرسال الرسول إليهم، وتبليغه البلاغ المبين الذي اهدوا به: هو من نعمته.

والهامهم الإيمان، وهدايتهم إليه، وتخصيصهم بمزيد نعمة حصل لهم بها الإيمان دون الكافرين: هو من نعمته. كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَىٰكُمْ الْإِيمَنُ وَرَبَّنَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَزَهْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾

﴿فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾.

فجميع ما يتقلب فيه العالم من خيرى الدنيا والآخرة: هو نعمة محضة منه بلا سبب سابق يوجب لهم حقاً. ولا حول ولا قوة لهم من أنفسهم إلا به. وهو خالق نفوسهم، وخالق أعمالها الصالحة، وخالق الجزاء.

فقوله: ﴿مَا أَصَابَكُم مِّنْ حَسَنَةٍ مِّنْ اللَّهِ﴾ حق من كل وجه، ظاهراً وباطناً على مذهب أهل السنة، وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد، وذنبه من نفسه، وهو لم يقل: إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه. بل ذكر للناس ما ينفعهم.

\* فصل:

فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله، فزاده الله من فضله عملاً صالحاً، ونعماً يفيضها عليه، وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه: استغفر وتاب. فزال عنه سبب الشر؛ فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً، فلا يزال الخير يتضاعف له، والشر يندفع عنه. كما كان النبي ﷺ يقول في خطبته: «الحمد لله» فيشكر الله، ثم يقول: «نستعينه ونستغفره» نستعينه على الطاعة، ونستغفره من المعصية. ثم يقول: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا» فيستعيذ به من الشر الذي في النفس، ومن عقوبة عمله، فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه. فيستعيذ بالله من شر النفس: أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا. ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله، ومن عقوبات عمله. فاستعانه على الطاعة وأسبابها. واستعاذ به من المعصية وعقابها.

فعلم العبد أن ما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه: يوجب له هذا وهذا؛ فهو سبحانه فرق بينهما هنا، بعد أن جمع بينهما في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

فبين أن الحسنات والسيئات: النعم والمصائب، والطاعات والمعاصي، على قول من أدخلها في: ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

ثم بين الفرق الذي ينتفعون به، وهو أن هذا الخير: من نعمة الله فاشكروه يزدكم، وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَنَابَةٍ رَّاكِبَةٍ فَلَمَّا بَلَغُوا نَجْدًا بَازِغُوا بِهَا رُءُوسَهُمْ فَأَكْبَرُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

والمذنب إذا استغفر ربه من ذنبه فقد تأسى بالسعداء من الأنبياء والمؤمنين، كآدم وغيره. وإذا أصر، واحتج بالقدر:

فقد تأسى بالأشقياء، كإبليس ومن اتبعه من الغاوين.

فكان من ذكره: أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه، بعد أن ذكر: أن الجميع من عند الله، تنيبها على الاستغفار والتوبة، والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله، والدعاء بذلك في الصباح والمساء، وعند المنام، كما أمر رسول الله ﷺ بذلك أبا بكر الصديق، أفضل الأمة، حيث علمه أن يقول: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه. وأن أترف على نفسي سوءاً، أو أجره إلى مسلم».

فيستغفر مما مضى: ويستعيز مما يهتقب. فيكون من حزب السعداء.

وإذا علم أن الحسنة من الله - الزناء والعمل - سأله أن يعينه على فعل الحسنات. بقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُكَ﴾ ﴿١٠﴾ ويقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١١﴾ وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْ فُلُوقَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ونحو ذلك.

وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط، ولم يذكر الفرق فإنه يحصل من هذا التسوية، فأعرض العاصي والمذنب عن ذم نفسه وعن التوبة من ذنوبها، والاستعاذة من شرها، بل وقام في نفسه: أن يحتج على الله بالقدر. وتلك حجة داحضة، لا تنفعه، بل تزيد عذاباً وشقاء كما زادت إبليس لما قال: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١٢﴾ وقال: ﴿رَبِّ بِمَا أُغْوِيَنِي لِأُرْسِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾. وكالذين يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ أَنَّكَ اللَّهُ هَدَيْتَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. وكالذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاءَنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾.

فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدهاه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة، فهذا من فوائد ذكر الفرق بين الجمع.

\* فصل:

الفرق الثالث: أن الحسنة يضاعفها الله وينميها، ويشيب على الهمم بها، والسيئة لا يضاعفها، ولا يؤاخذ على الهمم بها، فيعطي صاحب الحسنة: من الحسنات فوق ما عمل، وصاحب السيئة: لا يجزيه إلا بقدر عمله، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلًا هَيَّاهُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٤﴾.

الفرق الرابع: أن الحسنة مضافة إليه، لأنه أحسن بها من كل وجه، كما تقدم، فما من وجه من وجوها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه.

وأما السيئة: فهو إنما يخلقها بحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط. بل فعله كله حسن وحسان، وفعله كله خير.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «والخير بيدك والشر ليس إليك» فإنه لا يخلق شرًا محضًا، بل كل ما يخلقه، ففيه حكمة، هو باعتبارها خير. ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، وهو شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق: فالرب منزه عنه. وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

وأما الشر الجزئي الإضافي: فهو خير باعتبار حكمته. ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردًا قط بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

وإما أن يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿١٥﴾.

وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٦﴾.

\* فصل:

والمقصود هنا: الكلام على قوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾. وأن هذا يقتضي أن العبد لا

يزال شاكرًا مستغفرًا.

وقد ذكر: أن الشر لا يضاف إلى الله، إلا على أحد الوجوه الثلاثة، وقد تضمنت الفاتحة للأقسام الثلاثة: هو سبحانه: الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «أنه أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وقد سبقت وغلبت رحمته غضبه، وهو الغفور الودود الحليم الرحيم.

فإرادته: أصل كل خير ونعمة، وكل خير ونعمة فمنه: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾.

وقد قال سبحانه: ﴿ نَحْنُ عِبَادٌ خِيفٌ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٩) ثم قال: ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٧٨) فالمغفرة والرحمة من صفاته المذكورة بأسمائه فهي من موجب نفسه المقدسة، ومقتضاها ولوازمها.

أما العذاب: فمن مخلوقاته، الذي خلقه بحكمة، هو باعتبارها حكمة ورحمة، فالإنسان لا يأتيه الخير إلا من ربه وإحسانه وجوده، ولا يأتيه الشر إلا من نفسه، فما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه.

وقوله: ﴿ مَا أَصَابَكَ ﴾ إما أن تكون كاف الخطاب له ﷺ كما قال ابن عباس وغيره - وهو الأظهر: لقوله بعد ذلك: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾.

وإما أن تكون لكل واحد من آدميين، كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦).

لكن هذا ضعيف، فإنه لم يتقدم هنا ذكر الإنسان ولا مكانه، وإنما تقدم ذكر طائفة قالوا ما قالوه: فلو أريد ذكرهم: لقليل: ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة.

لكن خوطب الرسول بهذا، لأنه سيد ولد آدم، وإذا كان هذا حكمه؛ كان هذا حكم غيره بطريق الأولى والأحرى، كما في مثل قوله: ﴿ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٠٥) وقوله: ﴿ فَإِن كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أُنزِلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِّ إِلَيْنَا لِنُبَيِّنَ لَكَ بِقُرْآنِ الْكِتَابِ مِمَّا يَكُنُّ مِنَ الْكَلِمَاتِ ﴾.

ثم هذا الخطاب نوعان: نوع يختص لفظه به لكن يتناول غيره بطريق الأولى، كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ بِنَبِيِّكَ مَرَضَاتٍ أَرْزَأَكَ ﴾ ثم قال: ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمُ الْكُفْرَ لِحُلَّةِ أَيْمَانِكُمْ ﴾.

ونوع: قد يكون خطابه خطابًا به لجميع الناس، كما يقول كثير من المفسرين: الخطاب له والمراد غيره.

وليس المعنى: أنه لم يخاطب بذلك، بل هو المقدم فالخطاب له خطاب لجميع الجنس البشري، وإن كان هو لا يقع منه ما نهي عنه، ولا يترك ما أمر به. بل هذا يقع من غيره، كما يقول ولي الأمر للأمر: سافر غداً إلى المكان الفلاني: أي أنت ومن معك من العسكر. وكما ينهى أعز من عنده عن شيء فيكون نهيًا لمن دونه. وهذا معروف من الخطاب.

فقوله: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ الخطاب له ﷺ، وجميع الخلق داخلون في هذا الخطاب بالعموم، وبطريق الأولى، بخلاف قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ فإن هذا له خاصة. ولكن من يبلغ عنه يدخل في

معنى الخطاب كما قال ﷺ: « بلغوا عني ولو آية » وقال: « نضر الله امرأ سمع منا حديثًا فبلغه إلى من لم يسمعه » وقال: « ليلبلغ الشاهد الغائب » وقال: « إن العلماء ورثة الأنبياء » وقد قال تعالى في القرآن: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَتَذِّرَكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾.

والمقصود هنا: أن الحسنة مضافة إليه سبحانه من كل وجه، والسيئة مضافة إليه لأنه خلقها. كما خلق الحسنة فلماذا قال: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾. ثم إنه إنما خلقها لحكمة. ولا تضاف إليه من جهة أنها سيئة، بل تضاف إلى النفس

التي تفعل الشر بها لا لحكمة، فتستحق أن يضاف الشر والسيئة إليها فإنها لا تقصد بما تفعله من الذنوب خيرا، يكون فعله لأجله أرجح. بل ما كان هكذا فهو من باب الحسنات. ولهذا كان فعل الله حسنا، لا يفعل قبيحا ولا

سيئا قط. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ. أبو ذر القلموني.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ : محاسبًا على العمل مجازيًا به خيرًا كان أو شرًّا<sup>(١)</sup> .  
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : لا معبود بحق إلا هو. ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ .

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَفِينِ فَتَنِينَ﴾ : جماعتين الواحدة فئة أي جماعة.  
 وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا : الارتكاس: التحول من حال حسنة إلى حال سيئة كالكفر بعد الإيمان أو الغدر بعد الأمان وهو المراد هنا. ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ .  
 وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ : أي طريقًا إلى هدايتهم. ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَابُوا لِسَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ .  
 وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَاوِيَاءَ وَلَا تَصْرُخُوا ﴿٨٩﴾ : الولي: من يلي أمرك، والنصير: من ينصرك على عدوك.  
 إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ : أي يتصلون بهم بموجب عقد معاهدة بينهم.  
 بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ : عهد.

أَوْ جَاءَهُمْ وَكَمْ حَصَرْتُمْ صُدُورَهُمْ : ضاقت. ﴿أَن يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ<sup>٤</sup> وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ .

فَإِن اعْتَرَضْتُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ : الاستسلام والانقياد. ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ<sup>(٢)</sup> وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ .  
 كُلُّ مَارِدٍ وَالْإِنْتِنَى : الشرك. ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَرِ لَوْكُمْ وَيُقْبَلُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا﴾ .  
 أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ<sup>٥</sup> : وجدتموهم متمكنين منهم.  
 وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ : حجة بينة على جواز قتالهم.  
 وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَاقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً : أي إلتقاء خطأ وهو أن لا يتعمد قتله كأن يرمي صيدًا فيصيب إنسانًا.

وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً : أي مملوك عبدًا كان أو أمة.  
 وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ : مؤداة وافية.

إِلَّا أَن يَضَدَّ قَوْمًا : أي يتصدقوا بها على القاتل فلا يطالبوا بها ولا يأخذوها منه. ﴿فَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ .

وَإِن كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ : عهد مؤكد بالإيمان. ﴿فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ . وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فَمَنْ لَّمْ<sup>(٣)</sup> يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ

(١) حاسب هنا؛ بمعنىك محاسب وحفيظ فلا يضع حسنات العبد.

(٢) سَتَجِدُونَ ﴿الوجدان هنا بمعنى الاطلاع والعثور أي: ستطلعون على قوم آخرين وصفهم كذا أو كذا.

(٣) فمن لم يجد: فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين.

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣٢﴾ .

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدًّا : مريدًا قتله وهو ظالم له. ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٣٣﴾ .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : خرجتم تضربون الأرض بأرجلكم غزاة ومساافرين. فَتَبَيَّنُوا : فتبينوا حتى لا تقتلوا مسلمًا تحسبونه كافرًا.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ : الاستسلام والانقياد. ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ .

تَبْتَغُونَ : تطلبون. ﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾ .

كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلْفَىٰ اللَّهُ عَلَيْكُمْ : بالهداية فاهتديتم وأصبحتم مسلمين.

فَتَبَيَّنُوا : أي مستقبلاً ولا تقتلوا أحداً حتى تتأكدوا من كفره. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَبِيرًا﴾ ﴿١٣٤﴾ .

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ : هم الاميان والعرج والمرضى. ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ .

فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً : منزلة عالية في الجنة.

وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ : الجنة. ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٣٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً

وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٣٦﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ : تقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم.

ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ : بتركهم الهجرة وقد وجبت عليهم.

قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ : في أي شيء كنتم من دينكم؟ ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١٣٧﴾ : ماوى ومسكنًا. ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ

الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ وهي الزمانة، وتكون بالعرج والعمى والشلل ونحوها.

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٣٨﴾ : قدرة على التحول. ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ

اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٣٩﴾ .

﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا : مكانًا ودارًا لهجرته يرغم به من كان يؤذيه في

داره.

وَسَعَةً : في رزقه. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ <sup>(١)</sup> *إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَدْخُلْهُ الْمَوْتُ﴾ .*

(١) الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام وهي فريضة من فرائض الإسلام، وهي هجر متعددة منها الهجرة من بلاد البدعة، قال مالك: لا يحل لمؤمن أن يقيم بأرض يسب فيها السلف الصالح. ومنها الخروج من أرض غلب عليها الحرام، إذ طلب الحلال فريضة، ومنها أن يؤذى المسلم في دينه أو عرضه أو ماله، ومنها الخوف من المرض ما لم يكن طاعونًا، فإنه يحرم الفرار منه، ومنها أن لا يكون في بلدة من يعرف أحكام الشريعة فيها جرح لطلب ذلك.

فَقَدَّوَعَ أَجْرَهُ عَلَى اللَّهِ: وجب أجره في هجرته على الله تعالى. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ: أي مسافرين مسافة قصر وهي أربعة برد أي ثمانية وأربعون ميلاً<sup>(٢)</sup>.  
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ: بأن تصلوا الظهرين ركعتين ركعتين والعشاء ركعتين  
لطولها.

إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا: هذا خرج مخرج الغالب، فليس الخوف بشرط في القصر وإنما  
الشرط السفر.

إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمُ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ  
وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا  
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا.

حَدَرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ: الحيطه والأهبة لما عسى أن يحدث من العدو.  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَعَفَّلُوا عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ<sup>(٣)</sup>: جمع سلاح ما يقاتل به من أنواع  
الأسلحة. ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ: أي لا تضيق  
عليكم ولا حرج في وضع الأسلحة للضرورة. ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ: أديتموها وفرغتم منها. ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُفِعْتُمْ وَوَعُدُّوا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾.  
فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ: أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن. ﴿فَأَقِمْوهُ الصَّلَاةَ﴾.  
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١٢﴾: فرضاً ذات وقت معين تؤدي فيه لا تقدمه ولا  
تأخر عنه.

وَلَا تَهِنُوا: أي لا تضعفوا.

فِي آتِعَاءِ الْقَوْمِ: في طلب العدو لإنزال الهزيمة بهم.

إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ: تتألمون. ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾.

وَرَجُوعٍ مِنَ اللَّهِ: النصر. ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ: أي بما علمك به بواسطة الوحي.

(١) راجع تفسير الآية ٢٨٣ من سورة البقرة (الهامش) وقول ابن القيم رحمه الله: ولم يحده رحمه الله لأمته مسافة محددة للقصر  
والفطر... (قل).

(٢) الأمتعة: جمع متاع كالأثاث، والعروض وما له علاقة بالسلاح في حالة الحرب.

وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٥﴾ : أي مخاصمًا بالغًا في الخصومة مبلغًا عظيمًا. وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَا تُجَدِلْ ﴿١٧﴾ .

عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ : يحاولون خيانة أنفسهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ .

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ : يطلبون إخفاء أنفسهم عن الناس.

وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ : بعلمه تعالى وقدرته.

إِذْ يَبْتَئِنُونَ : يدبرون الأمر في خفاء ومكر وخديعة<sup>(١)</sup> ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٨﴾ هَذَا تَمَّ هَتُورًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٩﴾ : الوكيل من ينوب عن آخر في تحقيق غرض من الأغراض.

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا : السوء : ما يسيء إلى النفس أو إلى الغير.

أَوْ يَظْلِمَ نَفْسَهُ : ظلم النفس : بغشيان الذنوب وارتكاب الخطايا. ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾ .

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا : الإثم : ما كان ضارًا بالنفس فاسدًا. ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿٢١﴾ .

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا يَرَوْهَا بَدِيحًا : البريء : من لم يعجن جنابة قد اتهم بها.

فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا : تحمل بهتانًا : وهو الكذب المجبر لمن رمي به. ﴿وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَوَلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَصُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ﴿٢٣﴾ .

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ : الكتاب : القرآن، والحكمة : السنة. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

تَعْلَمُ﴾ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ .

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ : النجوى : المسارة بالكلام، ونجواهم : أحاديثهم : التي

يسرها بعضهم إلى بعض.

إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ : المعروف : ما عرفه الشرع فأباحه أو استحبه أو أوجبه. ﴿أَوْ

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ : أي طلبًا لمرضاة الله أي للحصول على

رضا الله ﴿بِعَزَائِكُمْ﴾ .

فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾ : نعطيهِ . والأجر العظيم : الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

(١) وهو ما قام به طعمة من سرقة الدرع ووضعها لدى اليهودي ثم اتهمهم اليهودي، وحلفهم على براءة أخيهم وكان الله بما يعملون محيطًا؛ إذ كل ذلك جرى تحت علمه تعالى فسبحانه من إله عليم عظيم.

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ : يحاده ويقاطعه ويعاده. كمن يقف في شق والآخر في شق. ﴿مَنْ بَعْدَ مَا  
بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾

وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ : أي يخرج عن إجماع المسلمين (١).

تَوَلَّوْهُ مَا تَوَلَّى : نخذله فنتركه وما تولاه من الباطل والشر والضلال حتى يهلك به.  
وَتَضَلَّ بِهِ جَهَنَّمَ : أي ندخله النار ونحرقه فيها. ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٦)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ : أن يعبد معه غيره من مخلوقاته بأي عبادة كانت. ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ  
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١١٧)

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ : أي ما يدعون.

إِلَّا أَنْتَ : جمع أنتي لأن الآلهة مؤنثة، أو أمواتا لأن الميت يطلق عليه لفظ أنتي بجامع عدم

النفع.

وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الشَّيْطَانَ مَرِيدًا (١١٧) : بمعنى مارد على الشر والإغواء للفساد.

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخَدِّعُكَ نَصِيْبًا مَفْرُوضًا (١١٨) : حظًا معينًا. أو حصة معلومة.

وَأَصْلُنَهُمْ وَلَا تُمَيِّدُهُمْ وَلَا تُرْتَبِئُهُمْ فَلْيَبْتَكَرَنَّ : ليقطعن. ﴿ءَأَذَانَ الْأَنْعَامِ﴾

وَلَا تُرْتَبِئُهُمْ فَلْيَغْرِزْ : مخلوق الله : مخلوق الله أي : ما خلقه الله تعالى.

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) : الشيطان:

الخبيث الماكر الداعي إلى الشر سواء كان جنيا أو إنسيا.

يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ : يجعلهم يتمنون كذا وكذا ليلهم عن العمل الصالح. ﴿وَمَا يَعِدُهُمْ

الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢٠)

﴿أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يُخَدُّونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ (١٢١) : معدلا أو مهربا.

وَالَّذِينَ آمَنُوا : صدقوا بالله ورسوله.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : الطاعات إذ كل طاعة لله ورسوله هي عمل صالح. ﴿سَكَدَ خَلْفَهُمْ

جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾

وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) : أي قولا.

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ : جمع أمنية: وهي ما يقدره المرء في نفسه ويشتهيها مما يتعذر غالبا تحقيقه.

وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ : اليهود والنصارى.

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا : كل ما يسيء من الذنوب، والخطايا. ﴿يُحْزِرُ بِهِ﴾

(١) هذه الآية هي دليل حرمة الخروج على جماعة المسلمين، روي أن الشافعي طلب دليلا على صحة الإجماع فقرأ القرآن مرات حتى عثر على هذه الآية وقرر أنها دليل الإجماع. وهو كذلك.

وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا: يتولى أمره فيدفع عنه المكروه. ﴿وَلَا تَصِيرُوا﴾ (١٣٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا﴾ (١٣٧): النقيض: نقرة في ظهر النواة. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾

وَاتَّبَعَ مَلَائِكَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيْفًا: عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه الله تعالى. وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٤٥﴾: الخليل: المحب الذي تخلل حبه مسالك النفس فهو أكبر من الحبيب (١).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٤٦﴾: علمًا وقدرة؛ إذ الكون كله تحت قهره ومدار بقدرته وعلمه.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ: يطلبون منك الفتيا في شأن النساء وميراثهم. قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ: يقرأ عليكم في القرآن. ﴿فِي يَتَمَنَّى النِّسَاءَ الَّتِي لَا تُوَفُّوهُنَّ﴾

مَا كُتِبَ لَهُنَّ: ما فرض لهن من المهور والميراث. ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ﴾

وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ: بالعدل. ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (١٤٧). وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ (٢) مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا: ترفعًا وعدم طاعة. ﴿أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾

وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ: جبلت النفوس على الشح فلا يفارقها أبدًا. ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٤٨) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ: ﴿تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾

فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ: فتركوها كالمعلقة ما هي بالمزوجة، ولا المطلقة. ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٤٩) وَإِنْ يَنْفَرَا: ﴿يُعِينُ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ: في رزقه الواسع.

وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ (١٥٠): واسع الفضل حكيمًا يعطي فضله حسب علمه وحكمته.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي خلقًا وملكا وتصرفًا وتدبيرًا. وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ: عهدنا إليهم بذلك أي بالتقوى والذين أوتوا

(١) وقد شرف بالخلة محمد ﷺ ففي الصحيحين أنه ﷺ خطبهم آخر خطبة فقال: «أما بعد أيها الناس فلو كنت

متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر ابن أبي قحافة خليلًا ولكن صاحبكم خليل الله».

(٢) خافت: أي توقعت وليس بمعنى تيقنت.

الكتاب: اليهود والنصارى. ﴿وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا جَمِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٦﴾ : الوكيل: من يفوض إليه الأمر كله ويقوم بتدبيره على أحسن الوجوه. ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٦﴾.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا : جزاء العمل لها.

فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : جزاء العمل لها وهو الجنة.

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٦﴾ : سميعًا: لأقوال العباد، بصيرًا: بأعمالهم وسيجزئهم بها خيرًا أو

شرًا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِينَ﴾ : جمع قوام: وهو كثير القيام بالعدل.

بِالْقِسْطِ : بالعدل وهو الاستقامة والتسوية بين الخصوم.

شُهَدَاءَ لِلَّهِ : جمع شهيد: بمعنى شاهد. ﴿وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ

فَقِيرًا فَلِلَّهِ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾.

فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ : ميل النفس إلى الشيء ورغبتها فيه. أَنْ تَعْدِلُوا <sup>(١)</sup>.

وَإِنْ تَلَّوْا : أي أَلَسْتُمْ بِاللَّفْظِ تَحْرِيفًا لَهُ حَتَّى لَا تَتِمَّ الشَّهَادَةُ عَلَىٰ وَجْهَهَا.

أَوْ تُعْرَضُوا : تتركوا الشهادة أو بعض كلماتها ليبطل الحكم. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ

كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾.

بَشِيرٍ الْمُتَّقِينَ : البشارة: الخبر الذي تتأثر به بشرة من يلقي خبرًا خيرًا كان أو شرًا، والمنافق:

من يبطن الكفر ويظهر الإيمان تقيّة ليحفظ دمه وماله. ﴿يَأْنِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾.

الَّذِينَ يَخِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : يوالونهم محبة ونصرة لهم على المؤمنين.

أَيَّبَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ : العلبة والمنعة. ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا

سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾.

وَيُسَنَّهُرُ بِهَا : يذكرونها استخفافًا بها وإنكارًا وجحودًا لها.

فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ : يتكلموا في موضوع آخر من موضوعات الكلام.

﴿إِنكُرُوا إِذَا مَتَلَّهُمْ﴾ : أي في الكفر والإثم. ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾.

(١) فلا يحملنكم غنى الغني ولا فقر الفقير على تحريف الشهادة أو كتمانها.

الَّذِينَ يَرْتَبِصُونَ بِكُمْ: ينتظرون متى يحصل لكم انهزام أو انكسار: فيعلنون عن كفرهم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾.

وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ: أي من النصر وعبر عنه بالنصيب القليل؛ لأن انتصارهم على المؤمنين نادر.

قَالُوا أَلَمْ نَسْتَوْذِعْكُمْ: أي نستول عليكم.

وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: إن قتلوكم. ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾: أي طريقاً إلى إزلالهم واستعبادهم والتسلط عليهم.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ يَخْذِعُونَ اللَّهَ: بإظهارهم ما يحب وهو الإيمان والطاعات وإخفائهم الكفر والمعاصي.

وَهُوَ خَدِيعُهُمْ: بالتستر عليهم وعدم فضيحتهم، وبعدم إنزال العقوبة بهم.

وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ: أي يظهرون الطاعات للمؤمنين كأنهم مؤمنون

وما هم بمؤمنين. ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾.

مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ: أي يترددون بين المؤمنين والكافرين فأى جانب

عز كانوا معه. ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لِغَيْرِهِ سَبِيلًا﴾ ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾.

أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٥﴾: حجة واضحة لتعذيبكم.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ: الدرك: كالطابق، والدركة كالدرجة ﴿١﴾ ﴿وَلَنْ نَجْعَدَ لَهُمْ

نَصِيرًا﴾ ﴿١٤٥﴾.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا: ما كانوا قد أفسدوه من العقائد والأعمال.

وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ: تمسكوا بدينه وتوكلوا عليه.

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ: تخلوا عن النفاق والشرك. ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ﴾ ﴿٢﴾ مِنَ الْقَوْلِ: ما يسوء إلى من قيل فيه أو فعل به. ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾: سميعاً للأقوال عليمًا بالأعمال.

(١) إلا أن المتفق عليه أن الجنة بالدرجات والنار بالدركات، وإن كان يجوز إطلاق لفظ الدرجات على كلتا الدارين

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩]. (قل).

راجع كتابنا: وصف الدور الثلاثة من تفسير ابن كثير. الدنيا دار الغرور، النار دار الثبور. الجنة: دار السرور.

(٢) كالسب والشتم والغيبة والنميمة والدعاء بالشر وألفاظ البذاء وكلمات الفحش.

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا: تظهروا ولا تخفوا. ﴿أَوْ تَخْفُوهُ﴾ .

أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ: أي لا تؤاخذوا به. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ: الرسل جمع رسول وهم جم غفير قيل، عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رسولاً. ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٥٦): أي طريقاً بين الكفر والإيمان، وليس ثم إلا طريق واحد وهو الإيمان أو الكفر، فمن آمن بكل الرسل فهو المؤمن، ومن آمن ببعض وكفر بالبعض فهو الكافر كمن لم يؤمن بأحد منهم. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (١٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿ .

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ: كما فرق اليهود فآمنوا بموسى وكفروا بيسى ومحمد ﷺ وكما فرق النصارى آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بمحمد ﷺ فهم لذلك كفار.

أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ: أجر إيمانهم برسول الله وعملهم الصالح وهو الجنة دار النعيم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٥٦) يَسْتَأْذِنُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ﴿ .

فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً: عياناً نشاهده ونراه بأبصارنا.

فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ: صوت حاد ورجفة عنيفة صعقوا بها.

يُظْلِمُهُمْ: بسبب ظلمهم بطلبهم ما لا ينبغي (١).

ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ: أي إلهاً فعبدوه. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ .

وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (١٥٦): حجة واضحة وقدرة كاملة قهر بها أعداءه.

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ: أي جبل الطور بسيناء. بِمِثْقَلِهِمْ.

وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا: أي راكعين متواضعين خاشعين لله شكرًا للنعمة عليهم.

وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ: لا تعتدوا أي: لا تتجاوزوا ما حد لكم فيه من ترك العمل إلى

العمل فيه.

وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٦): عهداً مؤكداً بالإيمان.

فِيمَا نَقَضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ: الباء سببية أي: فبسبب نقضهم ميثاقهم، والنقض: الحل بعد الإبرام.

وَكُفِّرِهِمْ بِتَابِتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَعْدَ حَتَّى: أي بدون موجب لقتلهم، ولا موجب لقتل الأنبياء قط.

وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ: جمع أغلف وهو ما عليه غلاف يمنعه من وصول المعرفة (٢) والعلم

(١) ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ الباء سببية أي: سبب ظلمهم، وليس المراد من ظلمهم طلب رؤية الله تعالى؛ إذ هذا طلبه موسى

أيضاً، ولكن ظلمهم: كونهم اشتروا لإيمانهم بموسى حتى يريهم الله جهرة.

(٢) ﴿غُلْفٌ﴾ قد يكون جمع غلاف ومعناه حَيْثُئِذٍ: أن قلوبهم أوعية للعلم فلا حاجة بهم إلى علم سوى ما عندهم،

إليه. ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٥٥).

ويكفّرهم وقولهم على مريم بهتتنا عظيماً (١٥٦) : البهتان الكذب الذي يجرح من قيل فيه، والمراد هنا رميمهم لها بالزنا.

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه : أي لم يصلبوه والصلب الشد على خشبة وقتله عليها. ﴿ولكن شبههم﴾ (١) وإن الذين اختلفوا فيه لئني شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً (١٥٧) بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨).

وإن من أهل الكذب : أي وما من أحد من أهل الكتاب.

إلا ليؤمنن به قبل موته : عند حضور الموت أن عيسى عبد الله ورسوله فما هو ابن زنى ولا ساحر كما يقول اليهود، ولا هو الله ولا ابن الله كما يقول النصارى.

ويوم القيمة يكون عليهم شهيداً (١٥٩) فظلم : الباء سببية أي فبسبب ظلمهم.

من الذين هادوا : اليهود إذ قالوا : إنا هدنا إليك.

حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم : هي كل ذي ظفر وشحوم البقر والغنم.

وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً (١٦٠) : وذلك بجحودهم الحق وتحريفهم كلام الله.

وأخذهم الربوا وقد هؤأعته : قبوله والتعامل به وأكله. ﴿وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين

منهم عذاباً أليماً﴾ (١٦١).

لكن الراسخون في العلم منهم : أصحاب القدم الثابتة في معرفة الله وشرائعهم ممن علومهم راسخة في نفوسهم ليست ظنيات بل هي يقينيات. ﴿والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمؤمنات الصلوة والمؤتات الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ (١٦٢).

﴿إنا أوحينا إليك : الوحي : الإعلام السريع الخفي، ووحى الله تعالى إلى أنبيائه إعلامهم بما يريد أن يعلمهم به من أمور الدين وغيره. ﴿كما أوحينا﴾ (١) إلى نوح والتيتن من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق﴾.

ولا منافاة بين المعنيين في «النهر، وأيسر التفاسير».

(١) هذا إخبار من الله تعالى بحقيقة أخرى وهي أن الذين طوقوا منزل المسيح وهجموا عليه ليلقوا عليه القبض من أجل أن يقتلوه هؤلاء اختلفوا في هل الرجل الذي ألقي عليه شبه عيسى هو عيسى أو غيره؟ إنهم لم يجزموا أبداً بأن من ألقوا عليه القبض وأخرجوه فصلبوه وقتلوه هو المسيح ﷺ.

وذكر القرطبي للاختلاف عدة وجوه كلها سائغة وما ذكرناه في التفسير أولى. ومن بين الوجوه قولهم : إن كان هذا صاحبنا فأين عيسى، وإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟

(٢) قدم نوح في الذكر باعتباره أول رسول حارب الشرك، إذ لم يظهر الشرك على عهد من سبقه كإدريس وشيث من قبله، فلما ظهر الشرك أرسل الله تعالى نوحاً ﷺ، وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ.

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسَاطِيطَ: أولاد يعقوب عليه السلام. ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ﴾  
 وَسَلْيَمِينَ وَأَيَّتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾: الزبور أحد الكتب الإلهية أنزله على نبيه داود عليه السلام.  
 وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ: ورد منهم في سورة «الأنعام» ثمانية عشر رسولاً وسبعة  
 ذكروا. في سور أخرى وهم محمد صلى الله عليه وسلم وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس وآدم.  
 ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ  
 لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ عيب.

حُجَّةٌ: عذر يعتذرون به إلى ربهم صلى الله عليه وسلم. ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٦٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا  
 أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا: جحدوا بنبوذة محمد صلى الله عليه وسلم.

وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ: صرفوا الناس عن الإيمان به صلى الله عليه وسلم. ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٦٧﴾.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا: جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظلموا ببقائهم على جحودهم بغيا منهم  
 وحسدا للعرب أن يكون فيهم رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور. ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا  
 لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾.  
 يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ: هو محمد صلى الله عليه وسلم الكامل في رسالته الصادق في دعوته.  
 بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ: أي يكون إيمانكم خيرا لكم. ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧٠﴾.

يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ: المراد بهم النصارى <sup>(١)</sup>.  
 لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ: الغلو <sup>(٢)</sup>: تجاوز الحد للشيء فعيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فغلو فيه  
 فقالوا هو الله. ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.  
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ: المسيح: هو عيسى عليه السلام ولقب بالمسيح؛ لأنه  
 ممسوح من الذنوب أي لا ذنب له قط.  
 وَكَلِمَتُهُ: أي قول الله تعالى له كن فكان.

(١) صدوا عن سبيل الله بقولهم: إنا لا نجد صفة محمد في كتابنا، وإنما النبوة في ولد هارون، وداود، وإن في التوراة  
 أن شرع موسى لا ينسخ.

واللفظ يتناول اليهود أولاً، ويعم كل من كفر بالله ورسوله وصد عن سبيله الذي هو الإسلام.

(٢) النصارى غلوا في عيسى فتجاوزوا حد الإفراط حيث ألوهوه أي جعلوه إلهاً وعبدوه، واليهود غلوا في التفريط في  
 عيسى إذ قالوا: ساحر، وابن زنى والعباد بالله.

(٣) الغلو: مشتق من غلوة السهم وهي منتهى اندفاعه، ويطلق الغلو في الشرع على الزيادة على المطلوب في الاعتقاد  
 والقول والعمل.

الْقَهَّاءَ إِلَى مَرِيَمَ : أوصلها لها وأبلغها إياها وهي قول الملائكة لها: إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم.  
وَرُوحٌ مِّنْهُ : أي عيسى كان بنفخة جبريل روح الله في كم درعها. ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup> سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَكَيْلًا ﴿١٧١﴾ : حفيظًا وشاهدًا عليماً.

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ : لا يرفض عبوديته لله تعالى أنفة وكبراً. ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾

وَيَسْتَكْبِرْ : يرى نفسه كبيرة فوق ما طلب منه أن يقوله أو يفعله إعجاباً وغروراً.  
﴿فَسِحْرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ : أي لا يجدون يوم القيامة ولياً يتولى الدفاع عنهم ولا نصيراً ينصرهم حتى لا يدخلوا النار ويعذبوا فيها.  
يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمُ : البرهان: الحجة والمراد به هنا محمد ﷺ.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ : هو القرآن الكريم.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ : أي تمسكوا بالقرآن، وبما يحمله من الشرائع.  
فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ : الجنة.

وَفَضَّلِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ : طريقاً يفضي بهم إلى جوار ربهم في دار الكرامة.  
يَسْتَفْتُونَكَ : يطلبون فتياك في كذا.

قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ : يبين لكم ما أشكل عليكم من أمر الكلاله.

فِي الْكَلْبَلَةِ : أن يهلك الرجل ولا يترك ولدًا ولا ولد ولد وإنما يترك أختاً أو أختاً. ﴿إِنْ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا أُخْتَيْنِ فَلَهُمَا النِّصْفَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجُلًا وَرِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾ : الحظ: النصيب.

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا : كيلا تضلوا أي تخطئوا في قسمة التركة. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿١٧٦﴾



(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد من التثليث: الله تعالى وصاحبه وابنه، والأقانيم عند بعضهم هي الأب، والابن، وروح القدس، وعند بعضهم هي الوجود، والحياة، والعلم.

## ٥- سُورَةُ الْبُرُوجِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ : العقود: هي العهود التي بين العبد والرب تعالى وبين العبد وأخيه، والوفاء بها: عدم نكثها والإخلال بمقتضاها.  
أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ : هي الإبل والبقر والغنم.  
إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرٌ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ : أي محرمون بحج أو عمرة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْصِمُ مَا يُرِيدُ﴾ (١).  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبِيرَ اللَّهِ : جمع شعيرة وهي هنا مناسك الحج والعمرة، وسائر  
أعلام دين الله تعالى.

وَلَا النَّهْرَ الْحَرَامَ : رجب وهو شهر مضر الذي كانت تعظمه.  
وَلَا الْهَدْيَ : ما يهدى للبيت والحرم من بهيمة الأنعام.  
وَلَا الْفَلَاحِيذَ : جمع فلاة، ما يقلد الهدى، وما يتقلده الرجل من لحاء شجر الحرم ليأمن.  
﴿وَلَا ءَامِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾.

مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا : قاصدين البيت الحرام يطلبون ربح تجارة أو رضوان الله تعالى.  
وَإِذَا حَلَلْتُمْ : أي من إحرامكم. ﴿فَأَصْطَادُوا﴾ (٢).  
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ : أي لا يحملنكم بغضاء قوم أن تعتدوا عليهم.  
أَنْ صَدَّوْكُمْ : أي لأجل أن صدوكم. ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾.  
وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ : البر: كل طاعة لله ورسوله، والتقوى: فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه الله ورسوله.

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٣) : الإثم: سائر الذنوب، والعدوان: الظلم وتجاوز الحدود.  
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) : أي عقابه شديد لا يطاق ولا يحتمل.  
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ : ما مات من بهيمة الأنعام حتف أنفه أي بدون تذكية (٤). ﴿وَالدَّمُ وَالْحَمُّ

(١) إلا ما يتلَىٰ عليكم: وهي الآية في آية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُوا﴾ الإجماع على أن الأمر هنا للإباحة وليس للوجوب، وهذه قاعدة أصولية: كل أمر بعد حظر فهو للإباحة.

(٣) فالزنى وإثم، والزوجة الخامسة مع وجود الأربع تحت عصمة الرجل عدوان.

(٤) ومن غيرها من مأكول اللحم كالغذاء والأرانب، وأنواع الصيد باستثناء ما ذكر عليه اسم الله حال صيده فإن ما

الْحَنْزِيرِ ﴿١﴾ .

وَمَا أَهْلٌ لغيرِ اللَّهِ بِهِ : أي ما ذكر عليه اسم غير اسم الله تعالى مثل المسيح، أو الولي، أو صنم.  
وَالْمُنْحَنَةُ : أي بحبل ونحوه فماتت .

وَالْمَوْقُودَةُ : أي المضروبة بعضا أو حجر فماتت به .

وَالْمَرْدِيَّةُ : الساقطة من عالٍ إلى أسفل مثل السطح والجدار والجبل فماتت .

وَالنَّطِيحَةُ : ما ماتت بسبب نطح أختها لها بقرونها أو رأسها .

وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ : أي ما أكلها الذئب وغيره من الحيوانات المفترسة .

إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ : أي أدركتم فيه الروح مستقرة فذكيتموه بذبحه أو نحره .

وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ : أي ما ذبح على الأصنام المنصوبة التي تمثل إلها أو زعيما أو عظيما،

ومثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء وقبورهم وعلى الجان .

وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ : أي وحرّم عليكم ما تحصلون عليه بالاستقسام بالأزلام ومثله ما

يأخذه صاحب الكهانة والشوافة وقرعة الأنبياء، والحروز الباطلة التي فيها طلسم وأسماء الجن

والعفاريت .

وما حرم بالسنة وهو كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور؛ لثبوت ذلك في

الصحاح .

ذَلِكُمْ فَسُقُ : أي ما ذكر من أكل الميتة إلى الاستقسام<sup>(١)</sup> بالأزلام خروج عن طاعة الله تعالى

ومعصية له ﷺ ﴿الْيَوْمَ يَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٢)</sup> .

فَمَنْ أَضْطَرَّ : أي من ألجأته ضرورة الجوع فخاف على نفسه الموت فلا بأس أن يأكل مما

ذكر .

فِي مَحْبَصَةٍ : المخبصة: شدة الجوع حتى يضمم البطن لقلّة الغذاء به .

غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ : غير مائل لإثم يريد غير راغب في المعصية بأكل ما أكل من الميتة، وذلك

بأن يأكل أكثر مما يسد به رمقه ويدفع به غائلة الجوع المهلك . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

مات منه يؤكل ولو لم يذك ولا يقال فيه: ميتة .

(١) هي ثلاثة أزلام كتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: مهمل لم يكتب عليه شيء ويجعلها في خريطةه فإذا خرج أمرني مضى في عمله، وإذا خرج نهاني ترك ما أراد فعله، وإذا خرج المهمل أعاد الضرب في الخريطة، وهناك نوعان من الاستقسام غير ما ذكرنا .

(٢) ووجه إكمال الدين أنه كان قبل الهجرة مقصوراً على الشهادتين، والصلاة، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة أخذ التشريع ينزل يوماً بعد يوم حتى كمل وأعلن عنه الرب تعالى في حجة الوداع بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ الخ .

يَسْتَأْذِنُكَ مَاذَا أُجِلَّ لَكُمْ قُلْ أُجِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ : ما أذن الله تعالى في أكله وأباحه لعباده المؤمنين .

وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ : جمع جارحة بمعنى كاسبة تجرح بمعنى تكسب .

مُكَلِّبِينَ : أي مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة كلباً أو طيراً<sup>(١)</sup> . ﴿تَعَلَّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ<sup>(٢)</sup> وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقْنُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾ الْيَوْمَ أُجِّلَ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ ﴿٦﴾ .

وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتُبَ : ذبائح اليهود والنصارى . حِلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَكُمْ .

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ : جمع محصنة وهي العفيفة الحرة من النساء . ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿٧﴾ .

إِذَا مَا تَنَبَّهْنَ أَجُورَهُنَّ : مهورهن وصداقهن .

مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفَحِينَ : غير مجاهرين بالزنا .

وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ : جمع خدن وهو الخليل والصاحب السري .

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ : أي يرتد عن الإيمان، فالباء بمعنى عن إذ يقال ارتد عن كذا .

فَقَدْ حِطَّ عَمَلُهُ : بطل كل ما قدمه من الصالحات فلا يثاب عليه . ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨﴾﴾ .

﴿٥﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ : أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون أي

على غير وضوء .

فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ : أي بعد غسل الكفين ثلاثاً والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ثلاثاً ثلاثاً

ليبيان رسول ﷺ ذلك . ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ ﴿٩﴾﴾ .

وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ : أي واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين إلا أن يكون عليها خف ساتر

فإنه يجوز المسح عليه دون حاجة إلى نزع وغسل الرجلين، وذلك إن لبسه بعد وضوء ولم يمض

على لبسه أكثر من يوم وليلة إن كان مقيماً، أو ثلاثة أيام إن كان مسافراً بهذا جاءت السنة<sup>(٣)</sup> .

(١) المكلب : هو معلم الكلاب، ومدربها على الصيد، ويقال للصائد مكلب، وعليه فقوله : ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ يكون بمعنى : صائدين .

(٢) ﴿مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ على هنا بمعنى اللام، أي مما أمسكن لكم ولاجلكم كقولهم : سجن على كذا، وضرب الصبي على قوله كذا .

(٣) قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ فِي رسالة المسح على الجوربين تقديم العلامة أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ وَتَحْقِيقُ الْأَبَانِي ص ٤١، ٤٢ : (إذا علمت ذلك فمسألتنا هذه (مسألة المسح على الجوربين أصلها في الكتاب الكريم إما من عموم المسح في آية الرضوء، وإما من عمومات آخر . فأما العموم الأول، فسنده قراءة الجر في قوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فإن ظاهرها أن الفرض في الرجلين هو المسح كما روى ذلك عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وقتادة وجعفر الصادق وعلماء سلالته رضي الله عنهم

وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا : الجنب من قامت به جنابة وهي شيثان: غياب رأس الذكر في الفرج، وخروج  
المني بلذة في نوم أو يقظة.  
فَأَطْهَرُوا : يعني فاغتسلوا، والغسل هو غسل سائر الجسد بالماء. ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ  
أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ﴾ .  
مِّنَ الْغَائِطِ : كناية عن الخارج من أحد السبيلين من عذرة أو فساء أو ضراط، أو بول أو  
مذي (١) .

أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ : ملامسة النساء كناية عن الجماع، كما أن من لامس امرأة ليتلذذ بها أو  
لامسها لغير قصد اللذة ووجد اللذة فقد انتقض وضوءه ومن هذا مس الفرج باليد؛ لأنه مظنة اللذة  
لذا قال الرسول ﷺ : «من أفضى منكم بيده إلى فرجه فليتوضأ» (٢) .  
فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا : اقصدوا ترابًا أو حجرًا أو رملاً أو سبخة مما صعد على  
وجه الأرض.

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ .

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ : الحرج: المشقة والعسر والضيق. ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ  
لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .  
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ : أي ميثاق الله تعالى وهو عهده الموكل  
والمراد به هنا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إذ بها وجب الالتزام بسائر التكاليف  
الشرعية. ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ .  
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ : جمع قوام وهو كثير القيام لله تعالى بحقوقه، وما وجب  
له تعالى، وبحقوق الغير أيضًا لا يفرط في شيء من ذلك.

=

أجمعين. فعلى مذهب هؤلاء الأئمة يكون مفاد الآية وجوب المسح على الرجلين مباشرة أو بما عليها من  
خف أو جورب أو تساخين فيظهر أن الآية مأخذًا للسنة على هذه القراءة (أقل) .  
(١) أصل الغائط أنه المكان المنخفض، ولما كان من يريد قضاء حاجته يأتي المكان المنخفض ليستتر عن أعين  
الناس، أطلق لفظ الغائط على ما يحل فيه من بول وعذرة.  
(٢) المقصود بمس الفرج باليد أي: من غير ساتر، فإن كان بساتر فلا ينتقض وضوءه، وأيضًا إن كان بغير ساتر وبغير  
عمد، سئل الإمام ابن تيمية رحمته الله ج ٢١، ص ٢٣١: (عن رجل وقعت يده بباطن كفه وأصابه على ذكره: فهل  
ينتقض وضوءه أم لا؟ فأجاب: إذا لم يتعمد ذلك لم ينتقض، وضوءه) وسئل رحمته الله عن مس النساء: هل ينتقض  
الوضوء أم لا؟ فأجاب: فيه ثلاثة أقوال للفقهاء: والصحيح في المسألة أحد قولين: أما الأول وهو عدم النقض  
مطلقًا. وأما القول الثاني: وهو النقض إذا كان بشهوة، وأما وجوب الوضوء من مجرد مس المرأة لغير شهوة  
فهو أضعف الأقوال ولا يعرف هذا القول عن أحد من الصحابة. ج ٢١، ص ٢٣٥، ٢٣٦. (أقل) .

شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ : جمع شهيد بمعنى شاهد، والقسط العدل.  
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ : أي لا يحملنكم.

شَتَانُ قَوْمٍ : بغض وعداوة قوم.

عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا : العدل: خلاف الجور، وهو المساواة بلا حيف ولا جور.

أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ : أي العدل أقرب للتقوى من الجور. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ ﴿١١﴾

عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ : أرادوا وعزموا على إنفاذ آرائهم. والقوم هم يهود بني النضير.

أَنْ يَسْطُورَ إِلَيْكُمْ أَيَدِيَهُمْ : أي ليقتلوا نبيكم ﷺ

فَكَفَّ أَيَدِيَهُمْ عَنْكُمْ : لم يمكنهم مما أرادوه من قتل النبي ﷺ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١)

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ : الميثاق: العهد المؤكد بالإيمان.

بَنِي إِسْرَائِيلَ : اليهود.

وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا : نقيب القوم: من ينقب عنهم ويبحث عن شؤونهم ويتولى أمورهم. ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾

وَعَزَّزْتُمُوهُمْ : أي نصرتموهم ودافعتم عنهم معظمين لهم.

وَأَفْرَضْتُمْ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا : أي أنفقتم في سبيله ترجون جزاء منه تعالى على نفقاتكم في

سبيله.

لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ : أسترها ولم آخذكم بها. ﴿وَلَا دَخَلْنَاكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾

فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ : أخطأ طريق الهدى الذي يفلح سالكه بالفوز بالمحبوب والنجاة

من المرهوب.

فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ : نقض الميثاق: حله بعدم الالتزام بما تضمنه من أمر ونهي.

لَعَنَّاَهُمْ : طردناهم من موجبات الرحمة ومقتضيات العز والكمال.

وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ عَن مَّوَاضِعِهَا : يبدلون الكلام ويؤولون معانيه

لأغراض فاسدة، والكلم من الكلام.

وَكَسَبُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ : تركوا قسطًا كبيرًا مما ذكرهم الله تعالى به، أي: أمرهم به في

كتابهم.

وَلَا تَرَأَىٰ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِبَةٍ مِنْهُمْ : خيانة أو طائفة خائبة منهم.

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ ۗ أَي لَا تَوَازِجْهُمْ وَاصْرِفْ وَجْهَكَ عَنْهُمْ مُحَسِّنًا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ. ﴿١٣﴾

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَائِي: أَي ابْتَدَعُوا بَدْعَةَ النَّصْرَانِيَّةِ فَقَالُوا: إِنَّا نَصْرَائِي. ﴿١٤﴾ أَخَذْنَا مِثْقَلَهُمْ فَسَوَّاهُمْ حَقًّا وَمَا ذَكَرُوا بِهِ. ﴿١٥﴾

فَأَعْرَضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الإغراء: التحريش<sup>(١)</sup> والمراد أوجدنا لهم أسباب الفرقة والخلاف إلى يوم القيامة بتدبيرنا الخاص فهم أعداء لبعضهم البعض أبدًا. ﴿١٤﴾ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ: هنا هم اليهود والنصارى معًا.

قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا: محمد ﷺ.

يُنَبِّئُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ: الكتاب: التوراة والإنجيل، وما يخفونه صفات النبي ﷺ وبعض الأحكام عن المخالفين يجحدونها خوف المعرفة كالرجم مثلاً.

وَيَعْقُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ<sup>(٢)</sup> وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾: النور محمد ﷺ والكتاب القرآن الكريم. ﴿١٧﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿١٨﴾

بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٩﴾: الإسلام وهو الدين الحق الذي لا نجاة إلا به. والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ: لأنهم جحدوا الحق وقالوا كذبًا: الله هو المسيح ابن مريم.

المسيح: لقب لعيسى بن مريم عبد الله ورسوله ﷺ.

مريم: بنت عمران من صلحا بني إسرائيل والدة عيسى ﷺ.

قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ: يميت ويبيد. ﴿٢٠﴾ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٢١﴾

(١) من الجائر أن يقال: أغرينا بينهم العداوة والبغضاء هو عائد على اليهود والنصارى؛ لأن العداوة بينهم ثابتة إلا أن السياق هو في النصارى فظوائفهم متعددة ومتعادية متباغضة كما أخبر تعالى. والفرق بين العداوة والبغضاء: أن العداوة من العدوان فقد ينتج عنها أذى بالضرب أو القتل. وأما البغضاء فهي من البغض القلبي فلا يتوقع من أصحابها أذى.

(٢) واللفظ صالح لأن يكون المراد بالنور الإسلام، فالنبي ﷺ نور والإسلام نور إذ كل منهما يهدي إلى دار السلام في الآخرة وإلى الطهر والصفاء والسعادة والكمال في دار الدنيا.

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ : قادر على إيجاد وإعدام كل شيء أراد إيجاداه أو إعدامه. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَانِيُّ نَحْنُ﴾ .

أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ : الأحباء: واحده حبيب كما أن الأبناء واحده ابن. ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ .

يَتَأَهَّلُ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَرَرٍ مِّنَ الرُّسُلِ : الفترة زمن انقطاع الوحي لعدم إرسال الله تعالى رسولا.

أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ : البشير (١) : المبشر بالخير، والنذير: المنذر من الشر. وهو رسول الله ﷺ، يبشر المؤمنين وينذر الكافرين. ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ .

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : منها نجاتهم من فرعون وملائته. إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ : منهم موسى وهارون ﷺ.

وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا : أي مالكين أمر أنفسكم بعد الاستعباد الفرعوني لكم (٢). وَءَاتَكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ : المعاصرين لهم والسابقين لهم.

يَنْقُورُ أَذْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ : المطهرة التي فرض الله عليكم دخولها، والسكن فيها بعد طرد الكفار منها وهي هنا أرض فلسطين.

وَلَا تَرُدُّوا عَلَىٰ آذَانِكُمْ : أي ترجعوا منهزمين إلى الورا. ﴿فَنَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ : عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا. ﴿وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ .

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ : مخالفة أمر الله تعالى ومعصية رسوله.

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا : أي بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لما دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها، وهما يوشع وكالب من النقباء الاثني عشر. ﴿أَدْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ .

قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا : أي المدينة التي أمروا بمهاجمة أهلها والدخول عليهم فيها. ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قَالَ رَبِّي إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴿٢٥﴾﴾ .

(١) ﴿مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، وزيادتها لغرض المبالغة في نفي المجيء، وتكثير بشير ونذير للتقليل أي: ما جاءنا أقل بشير وأقل نذير.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان الرجل مر بني إسرائيل إذا كان له الزوجة والخادم والدار سمي ملكًا) (قل).

فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٥﴾: أي عن أمر الله ورسوله بتركهم الجهاد جبناً وخوفاً.  
 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ: أي تحريماً كونياً قضائياً لا شرعياً تعبدياً.  
 أَرْبَعِينَ سَنَةً يَدِيَهُمْ فِي الْأَرْضِ: أي في أرض سيناء متحيرين فيها لا يدرون أين يذهبون مدة أربعين سنة.

فَلَا تَأْسَ: أي لا تحزن ولا تأسف. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾.  
 ﴿وَأَتَلُّ عَلَيْهِمْ: وقرأ على اليهود الذين هموا بقتلك وقتل أصحابك.  
 نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ: خبر ابني آدم هابيل وقابيل.  
 إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا: القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى كالصلاة والصدقات (١).  
 فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ (٢).  
 لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي: مددت إلي يدك. ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ  
 الْمَعْلَمِينَ﴾ ﴿١٨﴾.

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ: ترجع إلى الله يوم القيامة بإثم قتلك إياي، وإثمك في معاصيك.  
 ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٩﴾.  
 فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ: شجعتة على القتل وزينته له حتى فعله. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ: طائرًا أسود معروفًا يضرب به المثل في السواد.  
 لِرَبِّهِ، كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ: يستر بالتراب جسد أخيه، وقيل: فيه سوءة، لأن النظر إلى الميت  
 تكرهه النفوس، والسوءة: ما يكره النظر إليها. ﴿قَالَ يَوَيْلَئِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ  
 فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٢١﴾.

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ: أي بسبب ذلك القتل.  
 كَتَبْنَا: أوحينا. ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ  
 نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ: أي فوراً وقصاصاً.  
 أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ: بحربه لله ورسوله والمؤمنين. ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾

(١) قيل: كان قربان قابيل حزمة من سنبل؛ لأنه صاحب زرع واختارها من أردأ زرعه حيث إنه وجد فيها سنبله طيبة  
 ففرحها وأكلها، وأما قربان هابيل فكان كبشاً لأنه صاحب غنم واختاره من أجود غنمه.

(٢) إن قيل: كيف عرف القبول من عدمه؟ فالجواب: إن سنة الله تعالى فيمن سبق أن من قرب لله تعالى قرباناً فقبله  
 أرسل عليه نارا من السماء فأحرقته ومن لم يتقبله لم يفعل به ذلك، ويشهد له حديث الصحيح في غنائم بني  
 إسرائيل إذ كانت محرمة عليهم ولم تحل إلا لامة الإسلام، إذ أخبر النبي ﷺ أن نارا تنزل من السماء على  
 الغنائم فتحرقها.

وَمَنْ أَحْيَاهَا : قدر على قتلها وهي مستوجبة له فتركها. ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ .  
وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ : الآيات الواضحات حاملة للشرائع والدلائل. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا  
مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

لَمُسْرِفُونَ ﴿٢٣﴾ : مكثرون من المعاصي والذنوب.  
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : بالخروج عن طاعتها وحمل السلاح<sup>(١)</sup> على المؤمنين  
وقتلهم وسلب أموالهم والاعتداء على حرمتهم.  
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا : بإخافة الناس وقطع طرقهم وسلب أموالهم والاعتداء على  
أعراضهم.

أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يَكْلَبُوا : يشدوا على أعواد الخشب ويقتلوا، أو بعد أن يقتلوا.  
أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ : بأن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى والعكس.  
أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ : أي من أرض الإسلام.  
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا : ذل ومهانة.  
وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ : عذاب جهنم. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ .  
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ : أي تتمكنوا منهم بأن فروا بعيدًا ثم جاءوا مسلمين. ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ : خافوا عذابه فامثلوا أمره وأمر رسوله  
واجتنبوا نهيها<sup>(٢)</sup>.

وَأَتَّغُوا إِلَيْهِ : اطلبوا.

الْوَسِيلَةَ : تقربوا إليه بفعل محابه وترك مساخطه تظفروا بالقرب منه.  
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ : أنفسكم بحملها على أن تتعلم وتعمل وتعلم، وأعداؤه بدعوتهم إلى  
الإسلام وقتالهم على ذلك.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ : تنجون من النار وتدخلون الجنة. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَن لَّهُمْ  
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَيَفْتَدُوا بِهِ. مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نُقِيلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾

(١) الجمهور على أن اللص كالمحارب يناشد بالله تعالى أن يكف وينصرف وإن أبى يقاتل ويقتل ومن قتله اللص  
فهو في الجنة وإن قتل اللص فهو في النار لحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ  
قال: أرأيت يا رسول الله إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله.  
قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد. قال: فإن قتلته؟ قال: هو في النار».

(٢) روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله  
ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ: «س الخطيب أنت قل: ومن يعص الله ورسوله»  
(قل).

يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾: دائم لا يبرح ولا يزول.  
 وَالسَّارِقُ: الذي أخذ مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.  
 وَالسَّارِقَةُ: التي أخذت مالاً من حرز خفية يقدر بربع دينار فأكثر.  
 فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا: أي اقطعوا من سرق منهما يده من الكوع.  
 جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ: عقوبة من الله تجعل غيره ينكل أن يسرق.  
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾: عزيز: غالب لا يحال بينه وبين مراده، حكيم: في تدبيره وقضائه.  
 فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ: بعد ظلمه لنفسه بمعصية الله تعالى بأخذ أموال الناس. ﴿وَأَصْلَحَ﴾.  
 فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ: أي يقبل توبته، ويغفر له ويرحمه إن شاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾.  
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: خلقاً وملكاً وتدبيراً.  
 يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ: أي تعذيبه لأنه مات عاصياً لأمره كافرًا بحقه.  
 وَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ: ممن تاب من ذنبه وأتاب إليه ﴿عَلَىٰ﴾. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾.  
 ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ: الحزن ألم النفس يسببه خوف فوات محبوب.  
 الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ: بمعنى يسرعون فيه إذ ما خرجوا منه كلما سنحت فرصة للكفر أظهره.  
 مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ<sup>(١)</sup>: هؤلاء هم المنافقون. ﴿وَلَمْ تَوْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.  
 وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود.  
 سَمِعُوا لِلْكَذِبِ: أي كثير و الاستماع للكذب.  
 سَمِعُوا لِقَوْمِهِمْ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ: لليهود آخرين لم يأتوك وهم يهود خبير.  
 يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ: يبدلون الكلام ويغيرونه ليوافق أهواءهم.  
 يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ: أي أعطيتم. أي إن أفتاكم في الزاين المحصنين بالجلد  
 والتحميم بالفحم فاقبلوا ذلك.  
 وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَاحْذَرُوا: وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا قبول ذلك.  
 وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ: أي ضلاله لما سبق له من موجبات الضلال. ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾.  
 لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ: من الكفر والنفاق.  
 لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَزَنٌ: ذل. ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾.  
 سَمِعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّحْتِ: كثير و الأكل للحرام كالرشوة والربا<sup>(٢)</sup>.

(١) من: بيانية أي: بينت أن المسارعين في الكفر هم من المنافقين واليهود.

(٢) يرى مالك والشافعي أن اليهود إذا رفعوا للإمام قضية دم أو مال أو عرض حكم بينهم بما أنزل الله، وإن كان ما رفعوه لا يتعلق بالمال أو الدم أو العرض تركهم معرضاً عنهم، وأبو حنيفة يرى الحكم بينهم مطلقاً.

فَإِنْ جَاءَهُ وَكَذَلِكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ : أي لا تحكم بينهم. ﴿وَإِنْ تَعَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ .

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَتَوَلَّوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ .  
وَمَا أَوْلَيْتِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ : أي صدقًا وحقًا وإن ادعوه نطقًا.  
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ : كتاب موسى ﷺ .

فِيهَا هُدًى وَنُورٌ : الهدى: ما يوصل إلى المقصود، والنور: ما يهدي السائر إلى غرضه.  
﴿يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ .  
لِلَّذِينَ هَادُوا : اليهود (١) .

وَالرَّبَّانِيُّونَ : جمع رباني: العالم المرابي الحكيم.

وَالْأَخْبَارُ : جمع خبر: العالم من أهل الكتاب. ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ .

وَكَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا : فرضنا عليهم وأوجبنا في التوراة. ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ .  
وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ : مساواة.

فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ : أي تصدق على الجاني بالعفو عنه. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ .

وَقَفَيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ : أتبعناهم. ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٥١﴾ : الخارجون عن طاعة الله ورسوله.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ : القرآن الكريم.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ : اسم جنس بمعنى الكتب السابقة قبله كالتوراة

والإنجيل.

وَمُهَيِّئْنَا عَلَيْهِ : حاكمًا عليه أي: محققًا للحق الذي فيه، مبطلًا للباطل الذي التصق به.  
﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ .

لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا : شريعة تعلمون به وسبيلًا تسلكونه لسعادتكم، كما لكم من

(١) قد تكون (اللام) هنا بمعنى (على) أي: على الذين هادوا، وقد تكون على بابها ويكون لفظ عليهم محذوفًا أي: يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وعليهم فحذف (عليهم).

سنن الهدى.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً: لا اختلاف بينكم في عقيدة ولا في عبادة ولا في قضاء. ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾.

فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ: أي بادروا فعل الخيرات ليفوز السابقون. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١٨) ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٩) ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتَنُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ: يضلوك عن الحق.

فَإِن تَوَلَّوْا: أعرضوا عن قبول الحق الذي دعوتهم إليه وأردت حكمهم به.

فَاعْلَمْ أَنبَاءَ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٢١)

أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ بَعْثُونَ: هو ما عليه أهل الجاهلية من الأحكام القبلية التي لا تقوم على وحي الله تعالى وإنما على الآراء والأهواء. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٥) ﴿٤﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: صدقوا الله ورسوله ووعده.﴾ ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلْيَهُودِ وَالنَّصْرَى﴾.

أَوْلِيَاءَ: لكم تولوهم بالنصرة والمحبة.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ: أي اليهود ولي أخيه اليهودي، والنصراني ولي أخيه النصراني. ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١): الذين يوالون أعداء الله ورسوله ويتكون موالاته الله ورسوله

والمؤمنين.

فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: نفاق وشك وشرك.

يُسْكَرُونَ فِيهِمْ: أي في البقاء على موالاتهم أي: موالاته اليهود والنصارى.

يَقُولُونَ نَحْنُ أَنْ نُصِيبَنَا آيَةٌ: أي تدور علينا من جذب أو انتهاء أمر الإسلام.

فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ: نصر المؤمنين على الكافرين، والقضاء لهم بذلك كفتح مكة. ﴿أَوْ أَمْرٍ

مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِصِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ﴾ (٥٢) ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٥٣)

أَهْوَآءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أقصاها وأبلغها. ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾.

(١) هل هذه الآية ناسخة للتخيير السابق؟ أو لا نسخ ويقدر بعدها جملة - إن شئت - لتقدم ذكر التخيير، وما تقدم من توجيه في آية ﴿فَأَحْكَمَ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ يحدد معنى هذه الآية.

(٢) وقد أصابهم فأجلوا من الحجاز وقتل بنو قريظة وضربت عليهم الجزية في ديار الإسلام.

(٣) ﴿فَأَحْكَمَ﴾ منصوب يبيغون أي: أيغون حكم الجاهلية، إذ أهل الجاهلية من العرب يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضع، واليهود يقيمون الحدود على الضعفاء والفقراء دون الأقبوياء والأغنياء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي: يتكر أن يكون هناك حكم أحسن من حكم الله تعالى.

(٥) فسر الحسن قوله تعالى: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بأنه إظهار أمر المنافقين والإخبار بأسمائهم والأمر بقتلهم، وهو

حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ : بطلت وفسدت فلم ينتفعوا منها بشيء؛ لأنها ما كانت لله تعالى. ﴿فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَيْدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ : أي يرجع إلى الكفر بعد إيمانه. ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ .

أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ : أرقاء عليهم رحماء بهم.

أَعْرَضَ عَلَى الْكَافِرِينَ : أشدء غلاظ عليهم.

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ : عدل عادل. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِعُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

فَإِنْ حَرَبَ اللَّهُ : أنصار الله تعالى. ﴿هُمُ الْعَلِيلُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا : الهزاء: ما يهزأ به ويسخر منه واللعب ما يلعب به.

مِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكُتُبَ مِنْ قَبْلِكُمْ : هم اليهود في هذا السياق.

وَالْكَفَّارَ : المشركون.

أَوْلِيَاءَ : أنصارًا وأحباء وأحلافًا. ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ .

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ : أذنتم لها. ﴿اتَّخِذُواهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

قُلْ يَأْتِهَلَّ الْكُتُبِ هَلْ تَنْقُصُونَ مِنَّا : أي ما تنقصون منا، ومعنى: تنقصون هنا تنكرون منا وتعيبون

علينا. ﴿إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ .

وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ : خارجون عن طاعة الله تعالى. بالكفر والمعاصي.

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً : جزاء. ﴿عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ﴾ .

وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ : جمع قرد جبان معروف مجبول على التقليد والمحاكاة.

وَالْحَنَازِيرَ : جمع خنزير حيوان خبيث معروف محرم الأكل.

وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ : أي وجعل منهم عبد الطاغوت وهو الشيطان.

أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا : أي منزلة يوم القيامة في نار جهنم. ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا

ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦١﴾ : أي يضمرون في نفوسهم ويخفونه فيها (١).

وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ : الإثم كل ضار وفساد وهو ما حرمه الله تعالى من اعتقاد

(١) أي أنهم ما آمنوا قط ولم يخالط الإيمان قلوبهم طرفة عين فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين.

أو قول أو عمل، والعدوان: الظلم (١).

وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ: المال الحرام كالرشوة والربا، وما يأخذونه من مال مقابل تحريف الكلم وتأويله. ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٣).

لَوْلَا يَنْهَاهُمْ: لم لا ينهاهم.

الرَّيْبُوتُونَ وَالْأَحْبَارُ: الربانيون هنا العباد المربون كمشايخ التصوف عندنا (٢). والأخبار: العلماء. ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنَّمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٦٣).

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ: يريدون أنه تعالى ضيق عليهم الرزق ولم يوسع عليهم.

عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ: دعاء عليهم بأن يحرموا الإنفاق في الخير وفيما ينفعهم.

وَلِعُونًا قَالُوا: طردوا من رحمة الله بسبب وصفهم الرب تعالى بالبخل.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ: لا كما قالوا لعنهم الله: يد الله مغلولة أي: ممسكة من الإنفاق. ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ

يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ﴾.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا: طغيانًا: تجاوزًا لحد الاعتدال في قولهم الكاذب وعملهم الفاسد.

وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمْ: أي بين اليهود والنصارى (٣). ﴿الْعُدْوَةَ وَالْبَعْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ: أي نار الفتنة والتحريش والإغراء والعداوات للحرب. ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٦٤).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ: اليهود والنصارى. ﴿ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١٦٥) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِحْسَانَ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ: كناية عن بسط الرزق عليهم.

مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ: معتدلة لا غالية مُفْرطة، ولا جافية مُفْرطة (٤). ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءٌ﴾.

مَا يَعْمَلُونَ (١٦٦): أي ساء ما يعملون من أعمال الكفر والشرك والشر والفساد.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ: ذكر من بني آدم أوحى إليه شرع وأمر بتبليغه وهو هنا محمد ﷺ﴾.

بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: من التوحيد والشرائع والأحكام. ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

(١) الرؤية هنا بصرية والخطاب عام لكل من يسمع ويرى والمعنى: أن حالهم لا تخفى على أحد ذي بصر.

(٢) مع توافر شرطي الصواب والإخلاص إلا أنهم بالنسبة لشرط الصواب يدعون إلى الله تعالى دون معرفة الدليل في الغالب (قل).

(٣) الكلام صالح لأن يكون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراد بهم اليهود أنفسهم كقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ وأن يكون المراد بين اليهود والنصارى لتقدم ذكرهم معاً في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ والواقع شاهد.

(٤) لم تغل ولم تغف فلم تغل في عيسى: إنه ابن الله ولا ابن زنى؛ ولكن قالت: عبد الله ورسوله.

وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ: يحفظك حفظاً لا يصل إليك معه أحد بسوء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَبَدُّوا كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَعَيْنًا وَكُفْرًا ﴿١٨﴾

فَلَا تَأْسَ: لا تأسف ولا تحزن. ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا: اليهود.

وَالصَّابِقُونَ<sup>(١)</sup>: جمع صابئ وهم فرقة من أهل الكتاب. ﴿وَالصَّابِقُونَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ: الميثاق: العهد المؤكد باليمين. ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولًا﴾

يَمَّا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ: بما لا يحبونه ولا تميل إليه أنفسهم المريضة.

قَرِيبًا كَذَبُوا: أي كذبوا طائفة من الرسل.

وَقَرِيبًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾: وقتلوا طائفة أخرى.

وَحَسِبُوا أَنَّ أَتْكَوْتَ فَتَنَةً: أي أن لا يتلوا بذنوبهم بالشدائد والمحن.

فَعَمُوا وَصَمُوا: عموا عن العبر وصموا عن سماع المواعظ. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا

وَصَمُوا كَثِيرًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿٧٢﴾

إِنَّهُ: من يُشْرِكُ بِاللَّهِ: أي يشرك بالله تعالى غيره من سائر الكائنات فيعبده مع الله بأي نوع من أنواع العبادات.

فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ: حكم بمنعه من دخولها أبداً إلا أن يتوب من الشرك. ﴿وَمَا أَوْلَاهُ النَّارُ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٣﴾

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ: الثلاثة هي الأب والابن وروح القدس: وكلها إله واحد. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٤﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾

﴿٧٦﴾

﴿٧٧﴾

﴿٧٨﴾

﴿٧٩﴾

(١) في ذكر المؤمنين وهم المسلمون مع اليهود والصابئين والنصارى إشارة أبلغ من عبارة وهي أن العبرة ليست بالأنساب ولا الانتساب ولا بزمان أو مكان، وإنما النجاة من النار ودخول الجنة متوقفان على الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح الذي جاء به كتاب الله ورسوله محمد ﷺ.

(٢) اختلف في إعراب: ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ على أقوال نكتفي بقول منها وهو أن تكون مبتدأ وخبرها محذوف تقديره: والصابئون كذلك وتقدير الكلام إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ : مضت قبله رسل كثيرون.  
وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ : أي مريم كانت صديقة كثيرة الصدق في قولها وعملها. ﴿كَانَا يَا كُنَّ لَانَ  
الطَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نَبِئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ .

ثُمَّ أَنْظَرَ أَنِّي يُؤْفِكُوكَ ﴿٧٥﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق وقد ظهر واضحًا.  
قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ .  
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ : الغلو: الإفراط في الشيء ومجاوزة الحد  
فيه فمثلاً: أمرنا بغسل اليدين في الوضوء إلى المرفقين فغسلهما إلى الكتفين غلو، أمرنا بتعظيم  
الرسول ﷺ فدعاؤه غلو في الدين.

وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ : جمع هوى، وصاحب الهوى هو الذي يعتقد  
ويقول بما يهواه لا بما قامت به الحجة وأقره الدليل من دين الله تعالى.  
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا : أي أضلوا عددًا كثيرًا من الناس بأهوائهم وأباطيلهم.  
وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ : سواء السبيل<sup>(١)</sup> : وسط الطريق العدل الذي لا ميل فيه إلى يمين  
ولا إلى يسار.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ : دعي عليهم باللعنة التي هي الإبعاد من الخير  
والرحمة وموجباتها. ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ .  
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ : أي بسبب عصيانهم لرسولهم، واعتدائهم في دينهم.  
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ : أي لا ينهئ بعضهم بعضًا عن ترك المنكر.  
لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾<sup>(٢)</sup> : قبح عملهم من عمل وهو تركهم الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر<sup>(٣)</sup>.

تَرَكْنَا كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا : يوادونهم ويتعاونون معهم دون المؤمنين.  
﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ .  
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ : أي لو كانوا صادقين في إيمانهم بالله والنبي محمد ﷺ .  
وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ .

مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ : ما اتخذوا المشركين في مكة والمدينة من المنافقين أولياء. ﴿وَلَكِنَّ

(١) سواء السبيل هنا المراد به: الإسلام، لأنهم ضلوا في دينهم قبل مجيء الإسلام، ثم ضلوا عن الإسلام بعد مجيئه.  
(٢) اللام: لام القسم جيء بها لتدل عليه وتؤكد الذم بصورة فظيعة.  
(٣) نقل القرطبي عن ابن عطية رحمهما الله تعالى، أن الاجماع منعد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه  
وأمن الضرر على نفسه وعلى غيره من المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه.

كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَيُفُونَ ﴿٨١﴾ ﴿١﴾.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا: العداوة: بغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو. ﴿ أَلَيْهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾.﴾

﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا: المودة: حب نفسي يجعل صاحبه يتقرب إلى من يوده بالخير ودفع الشر. ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ﴾.﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ: جمع قسيس: وهو الرئيس الديني لعلمه عند النصارى.

﴿ وَرَهَبَانًا: الرهبان: جمع راهب: مشتق من الرهبة وهو الرجل في النصارى يتبتل وينقطع للعبادة في دير أو صومعة. ﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾.﴾

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ: الرسول محمد ﷺ وما أنزل إليه آيات القرآن الكريم الدالة على شريف عيسى ووالدته مريم ﷺ، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن مريم صديقة.

﴿ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴿١﴾ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاكُفِّبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾: جمع شاهد: من شهد الله بالوحدانية وللنبي محمد بالرسالة واستقام على ذلك. ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾.﴾

﴿ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾: جمع صالح: وهو من أدى حقوق الله تعالى كاملة من الإيمان به وشكره على نعمه بطاعته، وأدى حقوق الناس كاملة من الإحسان إليهم، وكف الأذى عنهم.

﴿ فَأَنبَهُهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا: جزاهم بما قالوا من الإيمان ووفقوا له من العمل. ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾.﴾

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُونَ: التحريم: المنع أي: لا تمنعوا.

﴿ طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ: أي ما أباحه لكم وأذن لكم فيه من نكاح وطعام وشراب. ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾.﴾

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا: مباحاً غير مستقدر ولا مستخبت. ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَشْرَبَكُمْ بِهِ.﴾

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ: لا يعاقبكم الله باللغو الذي هو ما كان بغير قصد اليمين.

(١) أي: كافرون إذ فسقوا عن دين الله وخرجوا عنه باليهودية الباطلة، وخرجوا عن الإسلام بالنفاق فهم كفرة منافقون يهود ملعونون.

(٢) تفيض أعينهم من الدمع أي بالدمع: وحروف الجر تتناوب.

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ : عزمتم عليها بقلوبكم بأن تفعلوا أو لا تفعلوا. ﴿فَكَفَّرْنَاهُ﴾  
إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ ﴿

مِنْ أَوْسَطٍ : أغلبه ولا هو من أعلاه ولا هو من أدناه.

مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ : من زوجة وولد. ﴿أَوْ كَسَوْتُهُمْ﴾

أَوْ تَحْرِيرِ رَقَبَةٍ : عتقها من الرق القائم بها. ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>

وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ<sup>(٢)</sup> : المتضمنة لأحكام دينه من واجب وحلال

وحرام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ : الخمر: كل مسكر كيفما كانت مادته وقلت أو كثرت،

والميسر: القمار.

وَالْأَنْصَابُ : الأنصاب: جمع نصب. ما ينصب للتقرب به إلى الله أو التبرك به، أو لتعظيمه كتماثيل

الرؤساء والزعماء في العهد الحديث.

وَالْأَزْلَمُ : جمع زلم: وهي عيدان يستقسمون بها في الجاهلية لمعرفة الخير من الشر والريح من

الخسارة، ومثلها قرعة الأنبياء، وخط الرمل والحساب بالمسبحة.

رَجَسٌ : الرجس: المستقذر حسًا كان أو معنى، إذ المحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة.

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ : أي مما يزينه للناس ويحببه إليهم ويرغبهم فيه ليلضلمهم.

فَأَجْتَنِبُوهُ : اتركوه جانبًا فلا تقبلوا عليه بقلوبكم وابتعدوا عنه بأبدانكم.

لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٤﴾ : تكملون وتسعدون في دنياكم وآخرتكم. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾

وَيُضِلُّكُمْ : أي يصرفكم. ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ ﴿٥﴾ : أي انتهوا والاستفهام للأمر لا للاستخبار<sup>(٤)</sup>. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

(١) هذا إذا لم يستثن بأن يقول: إلا أن يشاء الله، أما من استثنى فلا كفارة عليه إذ لا إثم مع الاستثناء ولا بد للاستثناء من النطق يقول: إلا أن يشاء الله ولا يتم إلا بتحريك لسانه وشفهته.

(٢) وفي الآية وجه آخر ذكره القرطبي وهو أن يبادر إلى إخراج الكفارة إذا حث وهذا حفظها من النسيان ظاهرًا.

(٣) قال العلماء: الأيمان أربعة: يمينان يكفر فيهما إذا حث ويمينان لا كفارة فيهما: فالأولان أن يقول: والله لأفعلن كذا ثم

يحث والثاني أن يقول: والله لا أفعل كذا ويحث، واللذان لا كفارة فيهما: الأولي: لغو اليمين وهو أن يحلف على

الشيء يظنه كذا فيظهر خلافه، والثانية: أن يجري على لسانه الحلف وهو غير قاصد نحو: لا والله، بلى والله،

والخامسة: اليمين الغموس، وهو أن يحلف متعمدًا بالكذب وكفارتها التوبة لا غير وإن كفر مع التوبة فحسن.

(٤) هذه الآية نزلت بعد وقعة أحد وكانت في السنة الثالثة من الهجرة أي في آخرها، ولكنها وقعت هنا في سورة

المائدة بعد نزولها وهذه الآية هي الناسخة لإباحة الخمر.

وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ ﴿١٦٩﴾

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا: أي إثم فيما شربوا من الخمر وأكلوا من الميسر قبل تحريم ذلك. ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٠﴾

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ: ليختبرنكم.

بَشَىءٍ مِّنَ الصَّيْدِ: ما يصاد.

تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ: كبيض الطير وفراخه.

وَرِمَاحُكُمْ: جمع رمح، ما ينال به هو الحيوان على اختلافه (١).

لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ: ليظهر الله تعالى بذلك الاختبار من يخافه بالغييب (٢) فلا يصد (حين

حرم الله عليهم الصيد وهم حرم).

فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ: أي بعد التحريم بأن صاد بعدما بلغه التحريم. ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ: جمع حرام والحرام: المحرم لحج أو عمرة ويقال: رجل حرام وامرأة حرام. ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾

مِنَ النَّعَمِ: النعم: الإبل والبقر والغنم.

يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ: أي صاحب عدالة من أهل العلم. ﴿هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامًا مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾: ثقل جزاء ذنبه حيث صاد والصيد حرام. ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَنَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نِقَامٍ ﴿١٧٢﴾﴾

أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ، مَتَّعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ: المسافرين يتزودون به في سفرهم. وطعام البحر ما يقذف به إلى الساحل. ﴿وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا ذَمَّهُ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ: الكعبة كل بناء مربع والمراد بها هنا بيت الله الحرام.

فِيمَا لِلنَّاسِ: يقوم به أمر دينهم بالحج إليه والاعتماد، وديناهم بأمن داخله وجبي ثمرات كل شيء إليه.

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ: أي المحرم والمراد به الأشهر الحرم الأربعة: رجب وذو القعدة والحجة ومحرم. وأهدى: ما يهدى إلى البيت من أنواع الهدايا.

(١) قوله: ﴿تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ﴾ يريد صغار الصيد، وفراخه وبيضه. ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ هو كبار الصيد الذي لا يؤخذ باليد ولكن بألة الصيد.

(٢) أي ليظهر ذلك لهم إقامة للحجة عليهم أما هو ﴿فَعَلِمَهُ﴾ بذلك أزلني سابق.

وَالْقَلْبُدُ : جمع قلادة ما يقلده البعير أو البقرة المهدى إلى الحرم. ﴿ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٧) ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨).

مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ : بلاغ ما أمره سبحانه بإبلاغه.  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٨﴾ : أي ما تظهرون وما تخفون.  
فَلَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ : الخبيث: مقابل الطيب وهو الحرام وهو عام في المحسوسات والمعقولات.

فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْتِي الْأَلْبَابَ : أصحاب العقول. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ (١٩) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا سَأَلُوا عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَدَأَ لَهُمْ لَكُمْ تَسْوَأٌ﴾ (١) : تظهر لكم تضركم. ﴿وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا (٢) حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ ابْدَأْ لَهُمْ﴾ (٢).

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا : سكت عنها فلم يذكرها أو لم يؤخذكم بها. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١١).

فَدَسَّأَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ : طلبها غيركم من الأمم السابقة. ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾ (١٢).  
مَا جَعَلَ اللَّهُ : أي ما شرع.

مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ : البحيرة (٣) : الناقة تبحر أذنبا: أي تشق، والسائبة: الناقة تسبب.  
وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ : الوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثى، والحام: الجمل يحمى ظهره للآلهة. ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٣).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ : من الحق والخير. ﴿وَأِلَى الرَّسُولِ﴾ (١٤).  
قَالُوا حَسْبُنَا : يكفيننا.

مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا : من الباطل والضلال. ﴿أُولَئِكَ أَنْبَاءُ آبَائِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٤).  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا : صدقوا الله ورسوله واستجابوا لهما بفعل المأمور وترك المنهي.  
عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ : ألزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها.  
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ : إلى معرفة الحق ولزوم طريقه.  
إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا : ضللاً ولا مهتدين.

(١) بعد انقطاع الوحي أمن الناس من نزول ما قد يسوء ومع هذا فإن سؤال التنطع والتعنت مكروه دائماً وفي الحديث الصحيح: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

(٢) إن قيل: ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: «وإن تسألوا عنها...» إلخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف كما قدمناه فتأمل.

(٣) وذلك إذا نتجت خمسة أبطن فإن كان الخامس ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنبا أي شقوها وكانت حراماً على النساء لحمها ولبنها، والسائبة: بعير يسيب بنذر ينذره أحدهم للآلهة إن حصل له كذا سبب كذا وترك فلا تمنع من رعي ولا ماء ولا يركبها أحد.

فِيَنبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾: يخبركم بأعمالكم ويجازيكم بها.  
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ: الشهادة: قول صادر عن علم حاصل <sup>(١)</sup> بالبصر أو البصيرة،  
وبينكم: أي شهادة بعضكم على بعض. ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ  
أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾.

إِن أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ: أي بأن كنتم مسافرين. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مَّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.  
تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ: صلاة العصر.

فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِن آَرَبْتُمْ: شككتكم في سلامة قولهما وعدالته. ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا  
نَكْتُمُ شَهِدَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لِّمِنَ الْآثِمِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

فَإِن عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا: أي وقف على خيانة منهما فيما عهد به إليهما حفظه. ﴿فَأَخْرَجَ  
يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ﴾ <sup>(٢)</sup> فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا  
أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لِّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾.  
ذَلِكَ آدَتِي: أقرب.

أَن يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَىٰ وَجْهَيَّ: أي صحيحة كما هي لا نقص فيها ولا زيادة. ﴿أَوْ يَخَافُونَ أَن تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ  
بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا﴾.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾: الذين لم يلتزموا بطاعة الله ورسوله في الأمر والنهي.  
﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾: أي اذكر يوم يجمع الله الرسل وذلك ليوم القيامة. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ  
قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾: أي: لا علم لنا بباطن ما أجاب به أئمتنا.

إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْعُيُوبِ ﴿١٩﴾: جمع غيب: وهو ما غاب عن العيون فلا يدرك بالحواس. ﴿إِذْ قَالَ  
اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ﴾

أذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَاوَدْتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ: قويتك ونصرتك.  
يُرُوجُ الْقُدْسِ: جبريل عليه السلام.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: اشتملت هذه الآية على حكم عزيز، قيل: إنه منسوخ، وقال آخرون وهم الأكثرون. بل هو  
محكم، ومن ادعى نسخه فعليه البيان - قاله ابن جرير رحمته الله. اهـ (قل).  
وقال الجزائري أتابه الله:

هذا بناء على أن الآية غير منسوخة وهو قول الأقلية كأحمد بن حنبل رحمته الله وهو الراجح والآية دلالتها قوية عليه،  
وأما التخوف من قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فلا داعي إليه مع وجود ضرورة السفر وانعدام وجود  
المسلم، كما لا محذور من تحليف الشاهد إذا حامت حوله ريبة أو شك في عدالته لا سيما في ظروف تقل فيها  
العدالة لفساد أحوال الناس؛ ولهذا ذهبت في تفسير الآية على أنها محكمة والعمل بها جائز.

(٢) واحد الأوليان: الأولى بمعنى الأجدر والأحق، وعرفا باللام العهدية لأنه معهود للمخاطب ذهبا، والأوليان:  
الأحقان بالشهادة لقربتهما من الميت، قال أهل العلم: إن هذه الآية في غاية الصعوبة إعرابًا ونظمًا وحكمًا.

تُكَبِّرُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ : سرير الطفل الرضيع.

وَكَهْلًا : الكهل: من تجاوز سن الشباب أي ثلاثين سنة.

وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ : الخط والكتابة.

وَالْحِكْمَةَ : فهم أسرار الشرع، والإصابة في الأمور كلها. ﴿وَالْتَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي : أي توجد وتقدر هيئة كصورة الطير. ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا

فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾.

وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي : الأكمة: من ولد أعمى، والأبرص: من به مرض البرص.

وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي : أي أحياء من قبورهم.

وَإِذْ كَفَفْتُ : أي منعت. ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا

إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١١﴾﴾.

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ <sup>(١)</sup> : جمع حواري: وهر صادق الحب في السر والعلن. ﴿أَنْ آمِنُوا

بِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ <sup>(٢)</sup> : هل يطيع ويرضى.

أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ : المائدة الخوان وما يوضع عليه، أو الطعام. والمراد به هنا

الطعام. ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ مَوْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾.

وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا : أي تسكن بزيادة اليقين فيها. ﴿وَنَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾.

وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ : أي نشهد أنها نزلت من السماء.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ .

تَكُونُ لَنَا عِيدًا : أي يومًا يعود علينا كل عام نذكر الله تعالى فيه ونشكره. ﴿لأَوْلَانَا وَآخِرِنَا﴾.

وَأَيَّةٌ مِنْكَ : علامة منك على قدرتك ورحمتك، ونبوة نبيك. ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ : فمن يكفر بعد نزول المائدة منكم أيها السائلون

(١) الوحي يكون بمعنى الإلهام لغير الرسول، أما الرسول فطرق الوحي إليهم جاءت في آخر سورة الشورى.

(٢) اضطربت نفوس المؤمنين في توجيه هذه العبارة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ...﴾ كيف يقول هذا أنصار الله الحواريون وهو دال دلالة واضحة على جهل بالله تعالى وعدم معرفة الأدب مع نبيه عيسى عليه السلام، فمن قائل: أن يستطيع بمعنى: يطيع أي: هل يطيعك ربك في هذا؟، ومن قائل: إن قراءة ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالتاء، وربك معمول أي: هل تقدر على سؤال ربك أن ينزل إلخ، ومن قائل: إن هذا كان منهم في أول أمرهم قبل أن يتعلموا، ومن قائل: إن هذا صدر ممن كان مع الحواريين ولم يكن من الحواريين، وما ذكرته في التفسير أولى لانسجامه مع السياق إذ قول عيسى لهم: اتقوا الله، وقولهم: ونعلم أن قد صدقتنا دال على جهلهم بالله ومقام عيسى عليه السلام، وقد يكون أصحاب هذا القول ليسوا من فضلاء الحواريين، ولكن كالذين قالوا لرسول الله ﷺ اجعل لنا ذات أنواط، وكالذين قالوا للموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والله أعلم.

للمائدة: ﴿وَإِنِّي أَعَذُّبُهُ عَذَابًا﴾ .

لَا أَعَذُّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ : أي من الناس أجمعين. ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> يَلْعَسِي ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَأُمَّي﴾ .

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ : معبودين تعبدان من دوني.

قَالَ سُبْحَانَكَ : تنزيهاً لك وتقديساً.

مَا يَكُونُ لِي : ما ينبغي لي ولا يتأتى لي ذلك. ﴿أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ

تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ .

أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِدًا <sup>(٢)</sup> : رقيباً: ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ : الحفيظ. ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ .

إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ : أي بنارك فإنهم عبادك تفعل بهم ما تشاء.

وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ : أي تستر عليهم وترحمهم بأن تدخلهم جنتك.

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ : العزيز: الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده. الحكيم: الذي

يضع كل شيء في موضعه فيدخل المشرك النار، والموحد الجنة.

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ : جمع صادق: وهو من صدق ربه في عبادته وحده. ﴿لَهُمْ

جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ : لأنه أثابهم بأعمالهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿١١٩﴾﴾ .

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ : أي على فعل أي شيء تعلقت به إرادته

وأراد فعله فإنه يفعل ولا يعجزه بحال من الأحوال.



(١) هذا مثل ﴿أَنْتَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ، أتى بصيغة الماضي لتحقق الوقوع وكذلك هناك ﴿وَإِذْ قَالَ﴾ فهو بمعنى: يقول، اذكر إذ يقول الله يا عيسى... إلخ.

(٢) شهيداً: أي رقيباً أراعي أحوالهم، وأدعوهم إلى العمل بطاعتك، وأنهاهم عن مخالفتك.

## ٦- سُورَةُ الْأَنْعَامِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ: الثناء باللسان على المحمود بصفات الجمال والجلال.  
 الَّذِي خَلَقَ: أنشأ وأوجد. ﴿١﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ  
 يَعْدِلُونَ ﴿٢﴾: يسوون به غيره فيعبدونه معه. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلَكُمْ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ: الأجل: الوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه، والأجل  
 الأول أجل كل إنسان، والثاني أجل الدنيا.  
 ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٣﴾: تشكون في البعث الآخر والأجزاء، كما تشكون في وجوب توحيد عبادته  
 وحده دون غيره.

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ: أي معبود في السموات وفي الأرض.  
 يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٤﴾: أي من خير وشر، وصلاح وفساد.  
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ: المراد بالآية هنا آيات القرآن الكريم الدالة على توحيد الله  
 تعالى والإيمان برسوله ولقائه يوم القيامة (١).  
 إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾: غير ملتفتين إليها ولا مفكرين فيها.  
 فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: الحق هنا هو النبي ﷺ وما جاء به من الدين الحق.  
 فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. ﴿مَا كَانُوا بِهِ  
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾﴾.

أَمْ يَرَوْنَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ: أي أهل قرن من الأمم السابقة، والقرن مائة سنة.  
 مَكَتْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين.  
 وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا: مطرًا متواصلًا غزيرًا. ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾  
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ يَذُوبِينَ: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسوله.  
 وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين.  
 وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ: القرطاس: ما يكتب عليه جلدًا أو كاغذًا.  
 فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ: مسوه بأصابعهم ليتأكدوا منه. ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ ﴿٧﴾﴾.

(١) وجائز أن يراد بالآية أيضًا المعجزة كانشقاق القمر ونحوها.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ : الملك أحد الملائكة.

وَلَوْ أُنزِلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ : أي أهلكوا وانتهت حياتهم.

ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿١٥﴾ : لا يمهلون.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ : ولو جعلنا الرسول إليهم ملكاً لإنكارهم البشر ﴿١٥﴾ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا .

وَلَلْبَسَنَّا عَلَيْهِمْ : خلطنا عليهم. ﴿مَائِلِيْسُونَ﴾ ﴿١٦﴾ .

وَلَقَدْ أَسْنَهَزَيْ : سخر وتهكم واستخف. ﴿رُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

فَحَاقَ بِالذِّبْنَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٧﴾ : حاق: نزل بهم العذاب وأحاط بهم

فأهلكوا. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٨﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ .

كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ : أي أوجب على نفسه رحمة خلقه.

لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ : لا شك في مجيئه وحصوله في أجله المحدد له.

الذِّبْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ : حيث لوثوها بأوضاع الشرك والمعاصي فلم ينتفعوا بها. ﴿فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٩﴾ .

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ : أي ما استقر فيها من ساكن ومتحرك: أي له كل شيء. ﴿وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٠﴾ .

قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا لِيَا : أحبه وأنصره وأطلب نصرته ومحبته وولايته. ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

يُطْعَمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ .

مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ : أي من العذاب بمعنى يبعد عنه.

فَقَدْ رَجَعْنَاهُ : وذلك الفوز المميين ﴿٢٣﴾ : أي الواضح إذ النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز

العظيم.

وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ : يصبك.

يُضْرَبُ : الضرب: ما يؤلم الجسم أو النفس كالمرض والحزن.

فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بَحِيرٌ : الخير: كل ما يسعد الجسم أو الروح. ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٤﴾ .

وَهُوَ الْقَاهِرُ : الغالب المذل المعز. ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَيُّ ﴿٢٥﴾ .

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً : الشهادة إخبار العالم بالشيء عنه بما لا يخالفه.

قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ شَهِادَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِي بِالْبُيُوتِ إِحْيَاؤُهُ لِي بِهَذَا الْقُرْآنِ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ ۖ لَا أَخُوفُكُمْ بِمَا فِيهِ مِنْ وَعِيدِ اللَّهِ لِأَهْلِ عِدَاوَتِهِ.

وَمَنْ بَلَغَ ۖ وَأُنذِرُ كُلَّ مَنْ بَلَغَهُ وَسَمِعَ بِهِ. ﴿١٧٧﴾ أَيُنْذِرُكُمْ لِتَشْهَدُوا أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ ۖ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٧٨﴾ أَي: مِنَ الشَّرْكِ وَالشُّرَكَاءِ مَعًا. الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ: عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

يَعْرِفُونَهُ: يَعْرِفُونَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولًا لَهُ. ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: اخْتَلَقَ الْكُذْبَ وَزَوَّرَهُ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ. أَوْ كَذَّبَ بِتَايَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨٠﴾: لَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا﴾

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرْنَاكُمْ ۖ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخِي لَهُمْ. الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٨١﴾: تَدْعُونَ أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ يَشْفَعُونَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ اظْهَرُ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٨٣﴾: غَاب عَنْهُمْ وَلَمْ يَحْضُرْهُمْ مَا كَانُوا يَكْذِبُونَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً: جَمَعَ كِنَانًا مَا يَكُنْ فِيهِ الشَّيْءُ كَالْغِطَاءِ. أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا: ثِقْلًا وَصَمًّا فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا بِآيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بُحْبُوحُهَا يَخْتَصِمُونَ. يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾: جَمَعَ أَسْطُورَةً: مَا يَكْتُبُ وَيُحْكِي مِنْ أَخْبَارِ السَّابِقِينَ.

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ: يَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ. وَيَنْعَتُونَ عَنْهُ: أَيِ وَيَعْبُدُونَ عَنْهُ فَلَا إِيْمَانَ وَلَا مَتَابَعَةَ. ﴿وَإِنْ يَهْلِكُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُونَ عَلَى النَّارِ وَقَالُوا بَلَيْتْنَا نَزْدُ وَلَا تَكْذِبُ تَايَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمُ: بَلْ ظَهَرَ لَهُمْ. ﴿مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَاجَاتُنَا الدُّنْيَا: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا. وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٨٩﴾: بَعْدَ الْمَوْتِ أَحْيَاءُ كَمَا كُنَّا قَبْلَ أَنْ نَمُوتَ.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ تُفْعَلُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ: جِيءَ بِهِمْ وَوَقَفُوا عَلَىٰ قَضَائِهِ وَحُكْمِهِ تَعَالَىٰ فِيهِمْ.

قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا: أَي إِنَّهُ لِلْحَقِّ وَاللَّهُ. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢٤) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ: أَي خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً: سَاعَةُ: الْبَعْثُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَغْتَةً: أَي فَجَاءَةً.

قَالُوا يُحَسِّرُنَا: الْحَسْرَةُ: التَّوَدُّعُ وَالتَّحَسُّرُ عَلَىٰ مَا فَاتَ، ينادون حَسْرَتَهُمْ زِيَادَةً فِي التَّوَدُّعِ وَالتَّحَسُّرِ. ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّرْنَا بِهَا﴾.

وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ: أَحْمَالُ ذُنُوبِهِمْ إِذِ الْوِزْرُ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ. ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ﴾.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهَوًى: اللَّعِبُ: الْعَمَلُ الَّذِي لَا يَجْلِبُ دَرَاهِمًا لِلْمَعَاشِ وَلَا حَسَنَةً لِلْمَعَادِ. وَاللَّهُوُ: مَا يَشْغَلُ الْإِنْسَانَ عَمَّا يَعْنِيهِ مِمَّا يَكْسِبُهُ خَيْرًا أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ ضَيْرًا. ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّ الَّذِينَ يَنْقُوتُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٢٥).

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ: أَي لِيُوقِعَكَ فِي الْحُزَنِ الَّذِي هُوَ أَلَمُ النَّفْسِ مِنْ جِرَاءِ فَقْدِ مَا تُحِبُّ مِنْ هِدَايَتِهِمْ أَوْ مِنْ أَجْلِ مَا تَسْمَعُ مِنْهُمْ مِنْ كَلِمِ الْبَاطِلِ كَتَكْذِيبِكَ﴾ (١).

﴿فَأَنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ: أَي لَا يَنْسُبُونَكَ إِلَى الْكُذْبِ فِي بَوَاطِنِهِمْ وَمَجَالِسِهِمُ السَّرِيَّةِ لَعَلَّمَهُمُ الْيَقِينَ أَنَّكَ صَادِقٌ. ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتَ اللَّهُ بِحُجُودِهِمْ﴾ (٢٦).

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ أَي كَذَّبَتْهُمُ أَقْوَامُهُمْ وَأُمَمُهُمْ كَنُوحَ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿فَصَبْرًا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا﴾ وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ: الَّتِي تَحْمِلُ وَعَدَهُ بِنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ وَإِهْلَاكِ أَعْدَائِهِ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٧): أَي أَخْبَارِهِمْ فِي دَعْوَاتِهِمْ مَعَ أُمَّمِهِمْ. وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ: عَنْ دَعْوَتِكَ وَعَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِهَا.

﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ: تَطْلُبُ سِرْبًا تَحْتَ الْأَرْضِ.

أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ: أَي مُصْعِدًا تَصْعَدُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

﴿فَتَأْتِيهِمْ بَيَاتٍ: أَي خَارِقَةٌ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ وَهِيَ الْمِعْجَزَاتُ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢٨): أَي فَلَا تَقِفُ مَوْقِفَ الْجَاهِلِينَ بِتَبْدِيرِ

اللَّهِ فِي خَلْقِهِ (٢).

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ: أَي لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الَّتِي دَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيؤْمِنُ وَيَهْتَدِي.

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَجْعَلُهُمُ اللَّهُ: أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ (٢٩).

(١) ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾: كَسَرَتْ إِنْ فِي ﴿إِنَّهُ﴾ لِدُخُولِ اللَّامِ فِي ﴿لَيَحْزَنُكَ﴾ وَلَوْلَا هَا لَفَتَحَتْ نَحْوَ أَنَّهُ يَحْزَنُكَ.

(٢) جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مِنَ الْجَهْلِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْعِلْمِ، وَالْجَهْلُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْحِلْمِ وَيُنَاسِبُ الْأَوَّلُ قَوْلُهُ ﴿وَلَوْ

شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ وَالثَّانِي قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾ الْآيَةُ.

وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ هَلَا أَدَاةٌ تَحْضِيضٌ لَّا «لَوْلَا» الشرطية. آية: خارقة تكون علامة على صدقه.

﴿قُلْ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ آيَةٌ ۗ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾ : أي ما يترتب على إيتائها مع عدم الإيمان بعدها من هلاك ودمار.

وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ <sup>(١)</sup> : الدابة كل ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان. ﴿وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالِكُمْ ۗ﴾

مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ : كتاب المقادير أم الكتاب واللوح المحفوظ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ <sup>(٢)</sup>

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا صُؤْمٌ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ ۗ : صم: لا يسمعون، وبكم: لا ينطقون، في الظلمات لا يبصرون. مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ

وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ : هو الدين الإسلامي المفضي بالآخذ به إلى سعادة الدارين.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ أَخْبَرُونِي.

﴿إِنْ أَنْتُمْ عَدَابُ اللَّهِ ۗ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ : يوم القيامة.

﴿أَعْيُرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾ .

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ ۗ : يزيل ويبعد وينجي. ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُنْشَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ ﴿٣﴾ .

فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ۗ : البأساء: الشدائد من الحروب والأمراض والضراء: الضر.

لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ ﴿٤٢﴾ : يتذللون في الدعاء خاضعين. ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ

فُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ

شَيْءٍ حَتَّىٰ ۗ﴾

إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ۗ : فجأة وعلى حين غفلة.

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ : آيسون قانطون متحسرون حزنون.

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۗ : آخرهم أي أهلكوا من أولهم إلى آخرهم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ : الثناء بالجميل والشكر لله دون سواه.

(١) قال القرطبي: القول بحشر البهائم هو الصحيح، والبهائم وإن كان القلم لا يجري عليها في الأحكام ولكن فيها بينها تواخذ به.

(٢) قيل في ﴿يُحْشَرُونَ﴾ : إن حشرها الموت، وقيل: حشرها: هو بعثها يوم القيامة حية وهذا أصح.

(٣) أي أرسلنا رسلاً: فرسلاً مضمر، وهناك إضمار آخر تقديره: فكذبوهم فأهلكناهم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أخبروني وفي هذه الصيغة نوع من التعجب .  
 إِنَّ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ : أي أصمكم وأعماكم . ﴿ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ : جعلها لا تعي ولا تفهم .

مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ : نوع الأساليب لزيادة البيان والإيضاح .  
 ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿١٦٦﴾ : يعرضون (١) .  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً : بغتة : بدون إعلام ولا علامة سابقة ، والجهر : ما كان بإعلام وعلامة تدل عليه .

هَلْ يُهْلِكُ : أي ما يهلك . ﴿ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿١٦٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ  
 فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ .

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ : جمع خزانة أو خزينة ما يخزن فيه الشيء ويحفظ (٣) .  
 وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ : ما غاب عن العيون وكان محصلاً في الصدور وهو نوعان : غيب حقيقي ، وغيب إضافي ، فالحقيقي ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، والإضافي ما يعلمه أحد ويجعله آخر . ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنْ مَلَكَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٧٠﴾ .  
 وَأَنْذِرْ بِهِ : خوف به : أي بالقرآن . ﴿ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٧١﴾ .

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .  
 وَالْعِشِيِّ : من صلاة العصر إلى غروب الشمس . ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ .

فَتَطْرُدْهُمْ : أي تبعدهم من مجلسك . ﴿ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ .  
 وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ : ابتلينا بعضهم ببعض الغني بالفقير والشريف بالوضيع .

(١) وفسر بغتة وجهره بـ(ليلاً ونهاراً) والكل صالح وصحيح .

(٢) ﴿ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدرين تبشيرهم وإنذارهم ، وفيهما معنى التعليل للإرسال ، والتبشير : الأصل فيه الإخبار بالأمر السار ، والإنذار : الإخبار بالخير الضار دنيوياً أو آخروياً ، والمراد هنا بكل من البشارة والندارة نعيم الآخرة وعذابها .

(٣) هذا رد على المشركين في اقتراحاتهم المتعددة المتنوعة فأمر تعالى رسوله أن يرد عليهم بأنه لا يملك خزائن الله التي فيها الأرزاق حتى يعطيهم ما يطلبون ويقترحون ، ولا هو يعلم الغيب حتى يخبرهم بموعدهم العذاب الذي ينتظرهم ، ولا هو ملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ، وإنما هو بشر يوحى إليه الخبر من ربه فيخبر به ويعمل به ليس غير .

لِقُولُوا أَهْوَلَاءَ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا : أَي أَعْطَاهُمْ الْفَضْلَ فَهَدَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ دُونَنا .  
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٦﴾ : الْمُسْتَوْجِبِينَ لِفَضْلِ اللَّهِ وَمِنْتَهُ بِسَبَبِ إِيمَانِهِمْ وَصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ .  
 وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا : دَعَاءٌ بِالسَّلَامِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ، وَهِيَ تَحِيَّةُ  
 الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ .

كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ : أَي أَوْجِبَ الرَّحْمَةَ عَلَى نَفْسِهِ فَلِذَا لَا يَعْذِبُ إِلَّا بَعْدَ الْإِنذَارِ ،  
 وَيَقْبَلُ تَوْبَةً مِنْ تَابٍ .

أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا : أَي ذَنْبًا أَسَاءَ بِهِ إِلَى نَفْسِهِ .

بِجَهْلَتِهِ : الْجَهَالَةُ أَنْوَاعٌ مِنْهَا : عَدَمُ تَقْدِيرِ عَاقِبَةِ الذَّنْبِ ، وَنَسِيَانُ عَظْمَةِ الرَّبِّ . ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ .  
 وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٥٧﴾ .

وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَنْبِيَاءَ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ : تَنْضَحُ وَتَظْهَرُ .

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ : أَي نَهَانِي رَبِّي أَي : زَجَرَنِي عَنْ عِبَادَةِ أَصْنَامِكُمْ .

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . ﴿ قُلْ لَا أُنَبِّئُكُمْ قَدِ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا  
 مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٥٩﴾ .

قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي : الْبَيِّنَةُ : الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ الْعَقْلِيَّةُ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُكْمِ بِالْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ .

وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ، مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ : أَي مِنَ الْعَذَابِ .

إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ : أَي مَا الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ .

يُقْضَى الْحَقُّ : أَي يَخْبَرُ بِالْحَقِّ .

وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ ﴿٦٠﴾ : الْفَصْلُ فِي الشَّيْءِ : الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ فِيهِ ، وَالْفَاصِلُ فِي الْقَضِيَّةِ : الْحَاكِمُ

فِيهَا وَمَنْهِيهَا . ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ، لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِالظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦١﴾ .

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ <sup>(١)</sup> : الْمَفَاتِحُ : جَمْعُ مِفْتَاحٍ بِفَتْحِ الْمِيمِ أَي الْمَخْزَنِ .

لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : الْبَرُّ ضِدُّ الْبَحْرِ ، وَهُوَ الْيَابِسُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْبَحْرُ مَا  
 يَغْمُرُهُ الْمَاءُ مِنْهَا .

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ : وَاحِدَةُ الْوَرَقِ وَالْوَرَقُ لِلشَّجَرِ كَالسَّعْفِ لِلنَّخْلِ .

إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ : وَاحِدَةُ الْحَبِّ مِنْ ذُرَّةٍ أَوْ بَرٍّ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ غَيْرِهَا .

فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ : الرُّطْبُ ضِدُّ الْيَابِسِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَلَا يَأْسِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٢﴾ : أَي فِي الْوَلُوحِ الْمَحْفُوظِ كِتَابِ الْمَقَادِيرِ .

(١) الْمِفْتَاحُ وَالْجَمْعُ مَفَاتِيحُ ، وَالْمِفْتَاحُ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَا يَحُلُّ مَغْلَقًا مَحْسُوسًا كَالْقِفْلِ لِلْبَابِ ، أَوْ مَعْقُولًا كَالنَّظَرِ .

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ : أَي يُنِيمُكُمْ بِاسْتِئْذَانِ الْأَرْوَاحِ وَحُجْبِهَا عَنِ الْحَيَاةِ كَالْمَوْتِ .  
 وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمُ : أَي كَسِبْتُمْ بِجَوَارِحِكُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ .  
 بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى : أَي يُوقِظُكُمْ لِتُتَوَلَّاهُمُ الْعَمَلُ إِلَىٰ نِهَايَةِ الْأَجْلِ الْمَسْمُومِ لَكُمْ . ﴿١٠٦﴾ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ .  
 وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً : الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ .  
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا : مَلِكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ .  
 وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١١١﴾ : أَي لَا يَضِيعُونَ وَلَا يَقْصِرُونَ . ﴿١١٢﴾ ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١١٣﴾ .

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : يَخْلُصُكُمْ مِمَّا تَخَافُونَ .  
 تَدْعُوهُ نَصْرًا وَخَفِيَّةً : التَّضَرُّعُ : الدُّعَاءُ بِتَذَلُّلٍ ، وَخَفِيَّةً بِدُونِ جَهْرِ الدُّعَاءِ .  
 لَنْ أَنْجِنَا مِنْ هَذِهِ : أَي الْهَلَكَةِ .

لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ : الْمَعْتَرِفِينَ بِفَضْلِكَ الْحَامِدِينَ لَكَ عَلَىٰ فِعْلِكَ .  
 قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ : الْكَرْبُ : الشَّدَّةُ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُزْنِ وَالْمُجَسِّمُ وَالنَّفْسِ .  
 ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿١١٥﴾ : أَي بِهِ تَعَالَىٰ بِدُعَائِهِمْ أَصْنَامَهُمْ وَتَقْرِبِهِمْ إِلَيْهَا بِالذَّبَائِحِ .  
 قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ : كَالْحِجَارَةِ وَالطُّوفَانَ وَالصَّوَاعِقَ .  
 أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ : كَالزَّلْزَالِ وَالْخَسْفِ وَنَحْوَهُمَا .

أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَاقًا : أَي يَخْلُطُ عَلَيْكُمْ أَمْرًا فَتَخْتَلِفُوا شَيْعًا وَأَحْزَابًا .  
 وَيَذِيغُ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَابِ بَعْضٍ : أَي يَقْتُلُ بَعْضَكُمْ بَعْضًا فَتَذِيغُ كُلُّ طَائِفَةٍ الْأُخْرَىٰ أَلَمِ الْحَرْبِ .  
 أَنْظِرْ كَيْفَ نَصْرُكَ الْأَيُّدِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿١١٦﴾ : مَعَانِي مَا نَقُولُ لَهُمْ .  
 وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ : أَي قَرِيشٌ .

وَهُوَ الْحَقُّ : أَي الْقُرْآنُ .

قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٧﴾ : الْوَكِيلُ : مَنْ يُوَكَّلُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ أَوْ الْأَمْرُ يَدْبِرُهُ ، وَالْمَعْنَىٰ : لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ فَأَخَافُ مِنْ تَبِعَةِ عَدَمِ إِيمَانِكُمْ وَتَوْحِيدِكُمْ .

لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَفْتَرٌّ : الْمُسْتَفْتَرُّ : مَوْضِعُ الْاسْتِقْرَارِ وَالنَّبَأُ : الْخَبْرُ الْعَظِيمُ . ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ . قَدْ أَنْبَأْتُمْ بِالْعَذَابِ ، وَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ يَوْمَ يَحِلُّ بِكُمْ ، وَقَدْ اسْتَفْتَرَ نَبُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .  
 وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا : يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقُرْآنِ طَعْنًا فِيهِ وَنَقْدًا لَهُ وَلَمَّا جَاءَ فِيهِ .  
 فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ : قَمِ مَحْتَجًّا عَلَىٰ صَنِيعِهِمُ الْبَاطِلِ ، غَيْرَ مُلْتَمِثٍ إِلَيْهِمْ . ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ ﴿١١٨﴾ .  
 وَإِنَّمَا يُسِيطِرُ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ : أَي بَعْدَ التَّذَكُّرِ . ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ .

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ: من تبعه ولا مسئولية<sup>(١)</sup>. وَلَكِنْ ذَكَرْنِي: أي موعظة لهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾<sup>(٦٦)</sup>.

وَذَرَّ الَّذِينَ: أي اترك الكافرين.

أَتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَعْبٍ وَلَهُوَ: كونه لعباً لأنه لا يجنون منه فائدة قط، وكونه لهواً لأنهم يتلهون به وشغلهم عن الدين الحق الذي يكملهم ويسعدهم<sup>(٢)</sup>.

وَعَزَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ: أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ: أي تسلم فتؤخذ فتحبس في جهنم. ﴿بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

وَأَنْ تَعْدِلَ كُلُّ عَدْلٍ: العدل هنا: الفداء. ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾.

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا: حبسوا في جهنم بما كسبوا من الشرك والمعاصي.

لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ: الحميم الماء الشديد الحرارة الذي لا يطاق.

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ: أي شديد الألم والإيذاء وهو عذاب النار. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾<sup>(٦٧)</sup>.

قُلْ أَدْعُوا: أي نعبد. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾: أي ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضررنا لو أراد ذلك لنا.

وَنُرْدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ: أي نرجع كفاراً بعد أن كنا مؤمنين.

كَأَنِّي أَسْتَهْوَتُهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ: أي أضلته في الأرض فهو فيها تائه حيران لا يدري أين يذهب.

﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَيْنَمَا قُلْنَا قُلْ إِنَّكَ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٦٨)</sup>.

وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةً: أي اتقوا الله بتوحيده في عبادته وترك معصيته. ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(٦٩)</sup>.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ: أي في يوم القيامة. ﴿قَوْلَهُ الْحَقُّ﴾<sup>(٧٠)</sup>.

(١) ولكن إذا خاضوا في الباطل فقوموا ليكون ذلك ذكراً لهم فيكفون عن الخوض في آيات الله وهذا كان بمكة قبل قوة الإسلام، ونزل بالمدينة النهي عن الجلوس مع الكافرين والمنافقين إذا خاضوا في آيات الله (كما في الآية ١٤٠ من سورة النساء).

(٢) اختلف في الدين الذي اتخذه المشركون لهواً ولعباً، والظاهر أنه الإسلام الذي جاءهم الرسول ﷺ به إذ لا دين لله سواه وبعث الله تعالى إليهم رسوله به فهو دينهم ومع الأسف رفضوه واتخذوه لهواً ولعباً يسخرون ويستعزبون به.

(٣) قال القرطبي: ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بكلمة الحق يعني قوله ﴿كُنْ﴾ وهو كما قال إلا أن القول أن بالحق بمعنى بحكمة أي لم يخلقها لهواً أو لعباً هذا أوضح وأهم.

وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ<sup>(١)</sup> : بوق كالقرن ينفخ فيه إسرئيل عليه السلام.

عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ : في أفعاله الخير بأحوال عباده.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : هُوَ إِبراهيم خليل الرحمن ابن آزر من أولاد سام بن نوح عليه السلام .  
لِأبيه آزرَ اتَّخَذَ أَصْنَامًا : جمع صنم تمثال من حجر.  
ءَالِهَةً : جمع إله بمعنى المعبود.  
إِنِّي أُرِيدُكَ وَوَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ : عدول عن طريق الحق.  
وَكَذَلِكَ نُرِي<sup>(٢)</sup> إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ : ملك. ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ .  
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ : أظلم.  
رَأَى الْكُوفَةَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ : أي غاب. ﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ .  
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا : طالعا والبروز الطلوع. ﴿ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي  
لَأَكُونَنَّ ﴿٧٧﴾ .  
مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ : العادلين عن طريق الحق إلى طريق الباطل.  
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمِرُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ .  
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ : أقبلت بقلبي على ربي وأعرضت عما سواه.  
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا : مائلا عن الضلال إلى الهدى. ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ .  
وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ<sup>(٣)</sup> : جادلوه وحاولوا غلبه بالحجة، والحجة: البينة والدليل القوي.  
قَالَ أَتُحْجَوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي : أتجادلونني في توحيد الله وقد هداني إليه، فكيف أتركه وأنا منه  
على بينة.  
وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي<sup>(٤)</sup> شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾  
وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ .  
مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا : حجة وبرهان.  
فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ<sup>(٥)</sup> : خلاف الخوف.

(١) الصور القرن والناخ في إسرئيل عليه السلام والمراد بالنفخة هنا نفخة الفناء، والنفخة التالية لها نفخة البعث، وهناك نفخة الصعقة وهم في ساحة القضاء، ونفخة رابعة وهي التي يقومون فيها لفصل القضاء.

(٢) نوري هو بمعنى أرينا الماضي.

(٣) قال هذا احتياطاً منه للتوحيد إذ من الجائز أن يعثر في حجر أو تشوكة شوكة أو يمرض بسبب وآخر فيقولون: هذه ألهمتنا قد أصابتك لأنك تسبها فهذا وجه الاستثناء هنا.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ : أَي لَمْ يَخْلَطُوا إِيمَانَهُمْ بِشُرْكَ. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ : أَعْطَيْنَاهُ تَكْرَمًا مِنَّا وَإِفْضَالًا.

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَيَعْقُوبُ وَلَدُ إِسْحَاقَ وَيَلْقَبُ بِإِسْرَائِيلَ.

كُلًّا هَدَيْنَا : أَي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا هَدَاهُ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ <sup>(١)</sup> : أَي ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ.

دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ : دَاوُدُ الْوَالِدُ وَسُلَيْمَانُ الْوَلَدُ وَكُلُّ مِنْهُمَا مَلِكٌ وَرَسُولٌ. ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى

وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى : زَكَرِيَّا الْوَالِدُ وَيَحْيَى الْوَلَدُ وَكُلُّ مِنْهُمَا كَانَ نَبِيًّا رَسُولًا. ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا ﴿٨٦﴾﴾

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ : أَي عَالَمِي زَمَانِهِمْ لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُ

الأنبياء.

وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ : أَي مِنْ بَعْضِ الْآبَاءِ وَالذَّرِيَّةِ وَالْإِخْوَةِ لَا الْجَمِيعِ.

وَأَجْنِبَيْنَاهُمْ : اخْتَرْنَا لَهُمُ لِلنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ : إِلَى الْإِسْلَامِ.

ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ : الْهَدْيُ ضِدُّ الضَّلَالِ، وَهَدَى اللَّهُ مَا يَهْدِي إِلَيْهِ مَن أَحَبَّ

مِن عِبَادِهِ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْإِسْتِقَامَةُ.

وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ : أَي بَطَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَمْ يَثَابُوا عَلَيْهَا بِقَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ <sup>(٢)</sup> وَالنُّبُوَّةَ : الْفَهْمُ لِلْكِتَابِ مَعَ الْإِصَابَةِ فِي الْأُمُورِ وَالسَّدَادَ فِيهَا.

فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُؤُلَاءَ : يَجْحَدُ بِهَا أَي بِدَعْوَتِكَ الْإِسْلَامِيَّةِ هُؤُلَاءَ : أَي أَهْلُ مَكَّةَ.

فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ : هُمُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَهُ : اقْتَدَى : أَي اتَّبَعَ وَزِيدَتْ الْهَاءُ لِلسَّكْتِ.

فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا : أَي إِبْلَاجُ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ مَقَابِلُ الْإِبْلَاجِ <sup>(٣)</sup>.

(١) يصح عود الضمير على نوح كما يصح عوده على إبراهيم قاله غير واحد من أهل التفسير؛ لأن ذكرهم قد مر معاً.

(٢) قال القرطبي: والحكم العلم والفقه وهو كذلك إلا أن ما في التفسير أوسع وأولى بالاعتماد عليه.

(٣) أي جعلاً على القرآن.

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾: الذكرى: ما يذكر به الغافل والناسي فيتعظ.  
 وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: ما عظموه التعظيم اللائق به ولا عرفوه حق معرفته.  
 إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ: أي إنسان من بني آدم.  
 قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ: التوراة. ﴿تُورًا وَهَدَىٰ لِلنَّاسِ﴾.  
 تَجْعَلُونَهُ قُرْطُبِسَ: جمع قرطاس: وهو ما يكتب عليه من ورق وغيره<sup>(١)</sup>.  
 تَبْدُونَهَا: تظهرونها.

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُكُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَن تَسْأَلُوا آبَاءَكُمْ قُلِّ اللَّهُ: هذا جواب: من أنزل الكتاب؟  
 ثُمَّ ذَرَهُمْ: اتركهم. فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾: أي ما يخوضون فيه من الباطل.  
 وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ: أي مبارك فيه فخيره لا ينقطع، وبركته لا تزول.  
 مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ: أي مصدقًا لما بين يديه من الكتب كالنوراة والإنجيل أنزلناه ليؤمنوا به.  
 وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا: أم القرى مكة المكرمة.

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup> يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾: يؤدونها بطهارة في أوقاتها  
 المحددة لها في جماعة المؤمنين.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: اختلق على الله كذبًا، قال عليه ما لم يقل، أو نسب له ما هو منه  
 براء..

أَوْ قَالَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ: الوحي: الإعلام السريع الخفي بواسطة الملك وبغيره. ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ  
 سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ: شدائده عند نزع الروح.

وَأَلْمَلَتْ يَدَاكَ بِأَسْطُورٍ أَيْدِيَهُمْ: للضرب وإخراج الروح.

أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ: يقال لهم هذا توبيخًا لهم وتقريعًا أي خلصوها من هذا  
 العذاب إن أمكنكم.

عَذَابَ الْهُونِ: أي عذاب الذل والمهانة.

يَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾.

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ: واحدًا واحدًا ليس مع أحدكم مال ولا رجال.

(١) جعلها اليهود قرطيس يبدون بعضها ويخفون، بعضها حسب أهوائهم وأطماعهم، هذا وقد فسرت الآية على قراءة يجعلونه بالياء وكذلك يبدون ويخفون أما على قراءة تجعلون بالتاء فإن الخطاب يكون لليهود والسورة مكية فلذا رجح ابن جرير قراءة الياء.

(٢) يريد أتباع محمد ﷺ.

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ: ما أعطيناكم من مال ومتاع. وَرَأَى ظُهُورَكُمْ: أي في دار الدنيا. ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

وَصَلَّ عَنْكُمْ: أي غاب.

مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٧﴾: تدعون كاذبين.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾: شاق الحب كحب البر ليخرج منه الزرع، والنوى واحد نواة

وشقها ليخرج منها الفسيلة (النخلة الصغيرة).

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ: الدجاجة من البيضة.

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴿١٨﴾: البيضة من الدجاجة.

ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْوُفُوكُونَ ﴿١٩﴾: كيف تصرفون عن توحيد الله الذي هذه قدرته إلى عبادة الجمادات.

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ: الإصباح: بمعنى الصبح، وقلقه: شقه ليتفجر منه النور والضياء.

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا: يسكن فيه الناس ويخلدون للراحة.

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا: أي حسابًا بهما تعرف الأوقات والليالي والشهور والسنون.

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٠﴾: أي إيجاد وتنظيم العزيز الغالب على أمره العليم بأحوال وأفعال

عباده.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ: أي ليهتدي بها المسافرون في معرفة

طرقهم في البر والبحر.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ: هي آدم أبو البشر ﷺ.

فَمُسْتَقَرٌّ: أي في الأرحام. ﴿٢٢﴾.

وَمُسْتَوْدَعٌ: أي في أصلاب الرجال.

(١) ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ فيخرج الزرع الحي من الحب الميت ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فيخرج الحب من الزرع الحي، والنخلة والشجرة من النواة الميتة أي يخرج النطفة الميتة من الحي وهو الإنسان ويخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة.

(٢) قال عبد الله بن مسعود: لها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها وهذا على قراءة مستقر، بفتح القاف بمعنى: لها مستقر، وأكثر المفسرين على ما جاء في التفسير أن المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب قال سعيد بن جبيرة: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ فقلت: لا. قال: فإن الله عز وجل يستخرج من ظهره ما استودعه فيه. أما قوله تعالى: ﴿وَلَكُرِّي فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ فالمستقر هو القبر مودع فيه الإنسان إلى يوم القيامة.

قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾ : أسرار الأشياء وعلل الأفعال فيهدون لما هو حق

وخير.

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا : هو أول ما يخرج

من الزرع ويقال له: القصيل الأخضر.

تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا : أي بعضه فوق بعض وهو ظاهر في السنبلة.

وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْحِهَا : طلع النخل: زهرها.

فِتْوَانٌ : واحدة قنو وهو العذق وهو العرجون بلغة أهل المغرب.

دَائِبَةٌ ﴿١٩﴾ وَجَدَّتْ مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَعَيْرٌ مُشْتَبِهٌ : من اللون وغير مشتبه في الطعم.

أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ : أي نضجه واستوائه.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴿٢١﴾ جمع شريك في عبادته تعالى.

الْجِنَّ : عالم كعالم الإنس إلا أنهم أجسام خفية لا ترى لنا إلا إذا تشكلت بما يرى.

وَخَلَقَهُمْ ﴿٢٢﴾ وَخَرَفُوا لَهُ : اختلقوا وافتاتوا.

بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْيِرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٣﴾ : من صفات العجز بنسبة الولد

والشريك إليه.

يَدْبِعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : مبدع خلقهما حيث أوجدهما على غير مثال سابق.

أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ : أي كيف يكون له ولد؟ كما يقول المبطلون.

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً : أي زوجة. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ يَكِلُ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢٥﴾ .

لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ : لا تراه في الدنيا، ولا تحيط به في الآخرة.

وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ : أي محيط علمه بها.

(١) هذا قصار النخل إذ يجني ثمارها لمدة عشر سنوات والمرء يتناول منها بيديه وهو واقف عندها وبعد ذلك ترتفع

وتطول فيرقى إليها.

(٢) صور اتخاذهم الجن شركاء ثلاث: الأولى: أنهم أطاعوا الجن فجعلوهم بطاعتهم لهم شركاء لله؛ إذ المطاع

الحق هو الله تعالى، والثانية: قولهم: الملائكة بنات الله مع عبادتهم لهم فذلك معنى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾

لأن الملائكة لا يرون، كالجن قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ فسمى الملائكة جنًا لاجتنابهم

واستتارهم عن عيون الناس، والثالثة: أن الزنادقة قالوا: الله خالق الماء والنور والدواب والأنعام وإبليس خالق

الظلمة والسباع والحيات والعقارب.

(٣) قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ يصح عود الضمير فيه على العادلين كما في التفسير، ويصح عوده على الجن الذين

اتخذوهم شركاء لله يعبدونهم معه.

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤٦﴾ : اللطيف: الذي ينفذ علمه إلى بواطن الأمور وخفايا الأسرار فلا يحجبه شيء، وفسر اللطيف بالرفيق بعباده.

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ : البصائر جمع بصيرة: والمراد بها هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة لصاحبها.

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٤٧﴾ : وكيل مسئول.

وَكَذَلِكَ نَصْرُ الْآيَاتِ : نجرىها في مجازٍ مختلفة تبياناً للحق وتوضيحاً للهدى المطلوب.

وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ : أي تعلمت وقرأت لا وحياً أوحى إليك. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٥﴾ أتبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٤٦﴾

وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤٦﴾ (١) : أي لا تلتفت إليهم وامض في طريق دعوتك.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا : أي لو شاء الله أن يحول بينهم وبين الشرك حتى لا يشركوا لفعّل وما أشركوا. ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿١٤٧﴾

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ : ولا تشتموا آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله تعالى.

عَدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ : ظلمًا بغير علم.

كَذَلِكَ زَيْنَ الْكُلِّ أُمَّةٌ عَمَلُهُمْ : حسناهم لهم خيرًا كان أو شرًا حتى فعلوه.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنشِئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : أي غاية اجتهادهم في حلفهم بالله.

لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ : معجزة لإحياء الموتى ونحوها. ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهَا قَلِيلٌ إِنْهَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿١٤٩﴾

وَمَا يُشْعِرُكُمْ : وما يدرىكم. ﴿أَنهَذَا إِذْ جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٤٩﴾

وَنَقَلِبُ أَفْدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْفُسِ الَّتِي كَفَرُوا فِيهَا وَنَذَرْنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥٠﴾ : حيارى يترددون.

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ : أجسام نورانية يعمرن السموات عباد مكرمون لا يعصون الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة.

وَكَلَّمَهُمُ الْمُوتَى : جمع ميت: من فارقت الحياة أي: خرجت منه روحه.

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ : جمعنا.

كُلُّ شَيْءٍ قَبْلًا : معاينة (٢) ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ﴿١٥٠﴾

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١٥١﴾ : عظمة الله وقدرته وتدبيره وحكمته.

(١) هذا منسوخ بآية الجهاد.

(٢) أي شيئًا سأله وطلبوه.

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَبِيحِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ: شياطين: جمع شيطان: وهو من خبث

وتمرد من الجن والإنس.

يُوحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: يعلم بطريق سريع خفي بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>.

رُحِرَفَ الْقَوْلِ: الكذب المحسن والمزين.

عُرُورًا: للتغريب بالإنسان.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾: يكذبون.

وَلِنَصِّغِيَ إِلَيْهِ: تميل إليه.

أَفِيْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَيَقَرِّفُوا مَا هُمْ مُقَرِّفُونَ ﴿١١٣﴾: وليرتكبوا الذنوب

والمعاصي.

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي: أطلب، أغير منصوب بـ(أبتغي) أي أبتغي غير الله؟

حَكْمًا: الحكم: هو من يتحاكم إليه الناس.

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ: أي أنزله لأجلكم لتهتدوا به فتكملوا عليه وتسعدوا.

مُفْضَلًا: مبيئاً لا خفاء فيه ولا غموض.

وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ: أي علماء اليهود والنصارى.

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾: الشاكين، إذ الامتراء: الشك.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا: صدقاً في الأخبار فكل ما أخبر به القرآن هو صدق، وعدلاً في

الأحكام فليس في القرآن حكم جور وظلم أبداً بل كل أحكامه عادلة.

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ: أي لا مغير لها لا بالزيادة والنقصان، ولا بالتقديم والتأخير.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾: السميع لأقوال العباد العليم بأعمالهم ونياتهم وسيجزئهم بذلك.

وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: الإسلام؛ إذ هو المفضي بالمسلم إلى

رضوان الله تعالى والكرامة في جواره.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾: يكذبون الناتج عن الحرز والتخمين.

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ: بمن يضل.

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾: في سيرهم إلى رضوان الله باتباع الإسلام الذي هو سبيل الله.

فَكُلُّوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أي قيل عند ذبحه أو نحره: باسم الله والله أكبر. ﴿١١٨﴾: إن كنتم بياكبه مؤمنين

﴿١١٨﴾

(١) يوحى بمعنى يلقي إليه الباطل المزين بطريق الوسواس فيفهمهم؛ إذ الإيهام بالإعلام السريع الخفي.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا <sup>(١)</sup> وَمَا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ : أي بين لكم ما حرم عليكم مما أحل لكم وذلك في سورة «النحل» .

إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ : أي ألجأتكم الضرورة وهي خوف الضرر من الجوع . ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ <sup>(٣)</sup> : المتجاوزين الحلال إلى الحرام، والحق إلى الباطل .  
وَذَرُوا ظَهْرَ الْأَثَرِ وَبَاطِنَهُ <sup>(٤)</sup> : اتركوا الإثم الظاهر والباطن وهو كل ضار فاسد قبيح .  
إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ <sup>(٥)</sup> : يكسبون الآثام والذنوب .  
وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ <sup>(٦)</sup> : أي الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه فسق عن طاعة الله تعالى .

وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُحُونَ إِبْرَاهِيمَ لِيَجْذُبَهُمْ لَوْ كُمْ : أي من الإنس ليخاصموكم في ترك الأكل من الميتة .  
وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ <sup>(٧)</sup> : حيث أحلوا لكم ما حرم عليكم فاعتقدتم حله فكتتم بذلك عابديهم، وعبادة غير الله تعالى شرك .

أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا : الميت : فاقد الروح، والمراد : روح الإيمان .  
فَأَحْيَيْنَاهُ : جعلناه حيًّا بروح الإيمان <sup>(٨)</sup> .  
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا : صفته ونعته امرؤ في الظلمات ليس بخارج منها .

كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ <sup>(٩)</sup> وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ : مدينة كبيرة .  
أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَمْكُرُوا فِيهَا : بفعل المنكرات والدعوة إلى ارتكابها بأسلوب الخديعة والاحتيال .

وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ : لأن عاقبة المكر تعود على الماكر نفسه لآية ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

وَمَا يَشْعُرُونَ <sup>(١٠)</sup> وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ <sup>(١١)</sup> : أي من القرآن الكريم تدعوهم إلى الحق . ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ

(١) أي ما المانع لكم من أكل ما سميت عليه ربكم وإن قتلتموه بأيديكم؟

(٢) إذ قال المشركون للرسول والمؤمنين : ما ذبح الله بسكينه خير مما ذبحتم أنتم بسكاكينكم .

(٣) الآية دليل على أن من استحل شيئاً مما حرم الله تعالى صار به مشركاً وقد حرم الله سبحانه الميتة نصّاً فإذا قبل تحليلها من غيره فقد أشرك . وقال ابن العربي : إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً - إذا أطاعه في الاعتقاد . أما إن أطاعه في الفعل وعقيدته سليمة مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص غير كافر .

(٤) الآية عامة في كل كافر ومؤمن، والموت قد يطلق أيضاً على الجهل . فالجاهل ميت وحياته بالعلم .

(٥) هذه مقالة بعضهم قال الوليد بن المغيرة لرسول الله ﷺ : لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأي أكبر سنّاً

حَتَّى تُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴿١٩٢﴾: الصغار: الذل والهوان.

وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٩٤﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ: شرح الصدر توسعته لقبول الحق وتحمل الوارد عليه من أنوار الإيمان، وعلامة ذلك: الإجابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزوله.

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ضَيِّقًا لَا يَتَسَّعُ لِقَبُولِ الْحَقِّ، وَلَا لِنُورِ الْإِيمَانِ. كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ: يصعب عليه قبول الإيمان حتى كأنه يتكلف الصعود إلى السماء. كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ: النجس وما لا خير فيه كالشيطان. عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ: بينها وأوضحناها غاية البيان والتوضيح.

لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٩٦﴾: يذكرون فيتعظون.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: الجنة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى فهي مضافة إلى الله تعالى. وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩٧﴾: من الصالحات.

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا مِمَّا عَشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ: أي من إضلال الإنس وإغوائهم. وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ: انتفع كل منا بصاحبه أي: تبادلنا المنافع بينما حتى الموت.

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا: أي الوقت الذي وقت لنا وهو أجل موتنا فمتنا.

قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا: مأواكم ومقر بقائكم وإقامتكم.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿١٩٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٨﴾: حكيم في وضع كل شيء في موضعه فلا يخلد أهل الإيمان في النار، ولا يخرج أهل الكفر منها، وعليم بأهل الإيمان وأهل الكفران. وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا: أي نجعل بعضهم أولياء بعض بجماع كسبهم الشر والفساد. بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٩٩﴾: أي من الظلم والشر والفساد.

وأكثر منك مالا. وقال أبو جهل: والله لا نرضى به أبداً ولا نتبعه إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.

(١) هو استثناء لبيان إرادة الله تعالى المطلقة التي لا يقيدتها شيء، إذ لو شاء أن يخرجهم من النار لأخرجهم أي ليس هو بعاجز عن ذلك، ومن الجائر أن يكون هذا الاستثناء المراد به من كان منهم من أهل التوحيد ودخل النار بالفسق والفجور وكبير الذنوب بإغواء الشياطين له فإنه يخرج من النار بإيمانه. اهـ. من أيسر التفاسير. وذكر الإمام ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: (وقد روى ابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٨﴾: قال: إن هذه الآية آية ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا ناراً) (قل).

بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤٩﴾ : أي من الظلم والشر والفساد.

يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِينَ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ : الاستفهام للتوبيخ، والرسل جمع رسول من أوحى الله تعالى إليه شرعه وأمره بإبلاغه للناس، هذا من الإنس أما من الجن فمنهم من يتلقون عن الرسل من الإنس ويبلغون ذلك لإخوانهم من الجن ويقال لهم (النذر).  
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي : يخبرونكم بما فيها من الحجج متبعين ذلك حتى لا يتركوا شيئاً إلا بلغوكم إياه وعرفوكم به.

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا : أي يخوفونكم بما في يومكم هذا، وهو يوم القيامة من العذاب

والشقاء.

قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ <sup>(١)</sup> وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ ﴿١٥١﴾ : لم تبلغهم دعوة تعرفهم برهم وطاعته وما لهم عليها من جزاء.

وَلِكُلِّ <sup>(٢)</sup> دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ : عن كل ما

سواه، فغناه تعالى ذاتي ليس بمكتسب كغنى غيره.

ذُو الرَّحْمَةِ : صاحب الرحمة العامة التي تشمل سائر مخلوقاته والخاصة بالمؤمنين من

عباده.

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ : أي ينشئ خلقاً آخر يخلفون الناس في

الدنيا. ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾

إِنْ مَاتُوا عَدُونَ لَاتٍ : إن ما وعد الله تعالى به عباده من نعيم أو جحيم لآتٍ لا محالة.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٥٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ : أي على ما أنتم متمكنون منه من

حال صالحة أو فاسدة.

إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ : أي الدار الدنيا هي سعادة الآخرة

القائمة <sup>(٣)</sup> على الإيمان والعمل الصالح.

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٥٥﴾ : أي لا يفوز الظالمون بالنجاة من النار ودخول الجنان؛ لأن

ظلمهم يوبقهم في النار.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ : مما خلق.

(١) الباء في يظلم سببية أي بسبب ظلمهم، وجملة وأهلها غافلون حالية.

(٢) لكل عامل أي: من الإنس والجن.

(٣) العاقبة لغة آخر الأمر وأثر عمل العامل، فعاقبة كل شيء هي ما ينجلي عنه الشيء من نتيجة وأثر، وتأنيث العاقبة

بالنظر إلى تأويلها بالحالة والحالة مؤنثة.

مِنَ الْحَرثِ وَالْأَنْعَمِ: الحرث كل ما يحرث له الأرض من الزروع، والأنعام: الإبل والبقر والغنم.

نَصِيْبًا<sup>(١)</sup>: حظًا وقدرًا معينًا.

فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْعِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا: شركاؤهم أوثانهم التي أشركوها في عبادة الخالق ﷻ. ﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٧٦﴾: قبح حكمهم في ذلك إذ آثروا أوثانهم على الله.

وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ: اللام لام العاقبة ومعنى يردوهم: يهلكوهم. وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ<sup>(٢)</sup> لِيَخْلَطُوا عَلَيْهِم دِينَهُمْ. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ جِبْرٌ: أي ممنوعة على غير من لم يأذنوا له في أكلها.

لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ طُهُورُهَا: أي لا يركبونها ولا يحملون عليها. وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَقْبَاءَ عَلَيْهِ: أي كذبنا على الله ﷻ. ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا.

وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا: أي إناثنا.

وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ: أي إن ولد ما في بطن الحيوان ميتًا فهم فيه شركاء الذكور والإناث سواء.

سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ<sup>(٣)</sup> إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلَيْهِمُ ﴿١٧٩﴾.

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ: حمقًا وطيشًا وعدم رشد وذلك لجهلهم<sup>(٤)</sup>. وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ: مما سبق ذكره.

(١) في الكلام إيجاز إذ حذف منه المقابل وهو وجعلوا لألهتهم نصيبًا، وحذفه كان لدلالة ما بعده عليه.

(٢) فإن قيل: وهل كان لهم دين حق؟ الجواب! نعم كان لهم دين حق وهو ما جاءهم به إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وبطول الزمان وفتنة الشيطان فسد عليهم.

(٣) أي كذبهم وقيل في الوصف كذب؛ لأنهم وصفوا بعض الأجنة بالحرمة وبعضًا آخر بالحلية وهو كقوله تعالى من سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾.

(٤) قال الجزائري أثابه الله تحت عنوان هداية الآيات ج ١، ص ٦٦٦ تعليقًا على هذه الآية: (حرمة قتل النفس لأي سبب، وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر) ١. هـ. يقصد أثابه الله تعالى حرمة قتل النفس لأي سبب كان إلا بالحق لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة» (قل).

أَفْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ: كذباً عليه. ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٤٠).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ : خلق جنات جمع جنة وهي البستان (١).  
مَعْرُوشَتٍ : ما يعمل له العريش من العنب.

وَعَبْرَ مَعْرُوشَتٍ : ما لا يعرش له من سائر الأشجار (٢).

وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ: أي ثمره الذي يؤكل منه.

وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا : في الورق.

وَعَبْرَ مُتَشَابِهٍ : في الحب والطعم.

كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ: ما وجب فيه من الزكاة.

يَوْمَ حَصَادِهِ: يوم حصاده إن كان حباً وجذاده إن كان نخلاً (٣).

وَلَا تَشْرَبُوا: في إخراجها أي: بأن لا تبقوا لعيالكم منه شيئاً.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً: الحمولة ما يحمل عليها من الإبل.

وَقَرَشًا: الفرش: الصغار من الحيوان.

كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ: مسالكه في التحريم والتحليل للإضلال

والغواية.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ: وهما الكبش والنعجة.

وَمِنَ الْمَعْرَآتَيْنِ: وهما التيس والعنزة.

قُلْ ءَالِدَكَرْبَيْنِ (٤) حَرَّمَ أَرِ الْأَنْثَيْنِ أَمَا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ: أنثى الضأن وأنثى الماعز

ذكرًا كان أو أنثى.

نَبَّؤُنِي بِعَمَلٍ: خبروني بأيهما حرم يعلم صحيح لا بوسواس الشياطين. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَكَرْبَيْنِ (٥) حَرَّمَ أَرِ الْأَنْثَيْنِ أَمَا اسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ

الْأَنْثَيْنِ ﴿٦﴾

(١) الجنات: جمع جنة وهي البستان وسمي البستان جنة؛ لأنه لكثرة أشجاره يجن أي يستر الكائن فيه، وسمي

الجنين في البطن جنينًا لاجتنانه واستتاره ببطن أمه.

(٢) وقيل: المعروشات ما يعنى به من الشجر على اختلافه، وغير المعروشات وهو شجر البوادي والجبال، وما في

التفسير أولى لقوة دلالة اللفظ عليه.

(٣) كان قبل فريضة الزكاة يتعين على من حصد أو جد ثمره وأتاه المساكين أن يعطيهم شيئًا مما بين يديه قل أو كثر،

ولما فرضت الزكاة وحددت مقاديرها خصص هذا بها حيث بين الحق المجمع هنا.

(٤) الاستفهام للإنكار أي ينكر عليهم أن يكون الله حرم ذلك.

(٥) إبطال لما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي.

(٦) إبطال لقولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ﴾

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا: أَي حاضرين وقت تحريمه تعالى ذلك عليكم إن كان قد حرمه كما تزعمون. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤) قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ: ﴿محظورًا ممنوعًا على أكل يأكله.

إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا: الميتة: ما مات دون تذكية، والدم المسفوح: المصبوب صبًّا لا المختلط باللحم والعظام.

أَوْ لَحْمٍ خَيْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ: نجس وقذر قبيح محرّم.

أَوْ فَسَقًا أَهْلٌ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ: الفسق الخروج عن طاعة الله، والمراد ما ذبح ولم يذكر اسم الله عليه وإنما ذكر عليه اسم الأصنام أو غيرها، والإهلال رفع الصوت باسم المذبوح له.

فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَانٍ: اضطر: ألجأته الضرورة وهي خوف الهلاك، والباغي: الظالم

والعادي: المجاوز للحد.

فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا: اليهود.

حَرَّمَ مَا كَلَّ ذِي ظُفْرِ: صاحب ظفر وهو الحيوان الذي لا يفرق أصابعه كالإبل والنعام (١) ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَ مَا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا﴾ أي الشحم العالق بالظهر، والحوايا: المباعر والمصارين والأمعاء (٢).

أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ: أي عفا لهم عن الشحم المختلط بالعظم كما عفا عن الحوايا والعالق

بالظهر.

ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا بِهِمْ: أي بسبب ظلمهم. ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (١٤٦) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿٣﴾

وَلَا يُرْدُبْ أَسْهُ: بطشه وعذابه.

وهما الناقة والجمال، ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ وهما الثور والبقرة ﴿قُلْ عَالِدُكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾، فهل حرم الذكرين أو الأنثيين. هذه الأزواج الأربعة فإن حرم الذكرين فسائر الذكور محرمة، وإن حرم الأنثيين فسائر الإناث محرمة، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين وحيثئذ يكون كل مولود منهما محرماً ذكراً كان أو أنثى، وبهذا تبين أنكم كاذبون على الله مفترون؛ فالله تعالى لم يحرم من هذه الأزواج الثمانية شيئاً، وإنما حرم الميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه.

(١) لبط والأوز في ذي الظفر تفاسير أرجحها ما في التفسير وهو ما ليس بمنفرج الأصابع وقيل: الإبل خاصة، وقيل: كل ذي حافر من الدواب.

(٢) إلا ما حملت ظهورها وأباح لهم من الشحوم ما حملته البقرة أو الشاة على ظهرها.

(٣) كليل: إن المراد بالمكذبين المشركون، وقيل: اليهود وكلاهما مكذب وكافر واللفظ يصدق عليهما معاً.

عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا: أَي جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ لَهُ يَعْبُدُونَهُمْ مَعَهُ.  
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ: أَي مِمَّا حَرَمَهُ مِنَ الْبَحَائِرِ وَالسَّوَابِغِ  
وَالْوَسَائِلِ وَالْحَامَاتِ.

كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ: أَي عَذَابِنَا.  
قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾: تَكْذِبُونَ (١).  
قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ: الدليل القاطع للدعوى الباطلة.  
فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدَآءُكُمْ: أَي أَحْضَرُوهُمْ. ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾  
فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا (٢) ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾.  
وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَدَّعُونَ ﴿١٥٠﴾: أَي بِهِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَسَائِرِ الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ.  
﴿قُلْ تَكَاوَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: أَقْرَأُ.  
مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ:

من فقر.  
تَحْنُ نَزْدُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ جَمْعُ فَاحِشَةٍ كُلُّ مَا قَبِحَ وَاشْتَدَّ قَبِيحُهُ كَالزُّنَى  
وَالْبَخْلِ.  
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ: أَي حَرَمَ قَتْلَهَا وَهِيَ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا نَفْسَ  
الْكَافِرِ الْمُحَارَبِ.

إِلَّا بِالْحَقِّ: وَهُوَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَزِنَى الْمُحْصَنِ، وَالرَّوْدَةِ.  
ذَلِكَ وَمَنْعَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أَي بِالْخِصْلَةِ الَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ.

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ: الْإِحْتِلَامُ مَعَ سَلَامَةِ الْعَقْلِ.  
وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ: أَي بِالْعَدْلِ.  
لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا: طَاقَتَهَا وَمَا تَسَعُّ لَهَا. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَوَعَدَ  
اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ﴾.  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾: تَذَكَّرُونَ فَتَتَعَزَّوْنَ.  
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ جَمْعُ سَبِيلٍ وَهِيَ الطَّرِيقُ وَالْمَقْصُودُ الْأَمْرُ

(١) ﴿إِنْ﴾ فِي الْمَوْضِعِينَ نَافِيَةٌ بِمَعْنَى (مَا) كَمَا هِيَ فِي التَّفْسِيرِ.

(٢) أَي كَذَّبَهُمْ وَاعْلَمَ بِأَنَّهُمْ شَهِدَاءُ زُورٍ فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ مَعْنَاهُ كَذَّبَهُمْ وَلَا تَقْرَهُمْ فَإِنَّهُمْ شَهِدَاءُ زُورٍ

باتباع الإسلام والبعد عن غيره من الملل. ﴿فَنفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٢﴾ .

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : التوراة.

تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ : تحتاج إليه أمة بني إسرائيل في عقائدها وعباداتها وفضائلها وأحكامها. ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ .

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ : القرآن الكريم.

مُبَارَكٌ : خيريته ونفعه وبركته دائمة.

فَاتَّبَعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٧٤﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا : اليهود

والنصارى.

وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَنِيْلِينَ ﴿١٧٦﴾ : أي قراءتهم لكتبهم؛ لأنها بلسانهم ونحن لا نفهم ذلك. ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُفْرًا مِن رَّبِّكَمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا : أعرض عنها ولم يلتفت إليها.

سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا أَيُّنَا سَوْءَ الْعَذَابِ : أي سيعى العذاب وهو أشده. ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ

﴿١٧٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ .

أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بِعَظْمٍ آيَاتِ رَبِّكَ : أي علامات الساعة منها طلوع الشمس من مغربها. ﴿يَوْمَ

يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَأَنْفَعَ نَفْسًا لِّمَنِ آلَتْ تُكْفُرَ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ .

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : من الطاعات والقربات.

قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ : جعلوه طرائق ومذاهب تتعادي.

وَكَانُوا شِعْمًا : طوائف وأحزابًا.

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ : أي أتى يوم

القيامة بالحسنة التي هي الإيمان بالله والإقرار بوحدانيته والعمل بطاعته وطاعة رسوله.

فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : أي بالشرك بالله ومعاصيه.

فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا : أي مستقيمًا.

مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ : أي دين إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام.

خَيْرِيًّا : مائلاً عن الضلالة إلى الهدى.

وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي : ذبحي تقريباً إلى الله تعالى (١).

(١) قيل: المراد من الصلاة هنا صلاة العيد لمناسبة النسك وهو الذبح تقريباً وقيل: صلاة نافلة والعموم أولى. وكذا النسك يطلق على الذبح تقريباً وهو مراد هنا ويطلق على سائر العبادات من الفرائض والنوافل لأن النسك هو التعبد.

وَحَيَايَ : حَيَاتِي. ﴿وَمَمَافٍ<sup>(١)</sup> لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾.

قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَيُّ رَبًّا : أطلب ربًّا : إلها معبودًا أعبده.

وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا : الخير والشر عليها.

وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ : أي لا تحمل نفس وازرة أي: آثمة.

وَزَرٌ أُخْرَى : أي إثم نفس أخرى. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مَّخَلِّفَ الْأَرْضِ : أي يخلف بعضكم بعضًا جيل يموت وآخر يحيا إلى نهاية

الحياة.

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ : أي ليختبركم فيما أعطاكم من الصحة

والمرض والمال والفقر والعلم والجهل. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾.



(١) وقال القرطبي. في الآية: وما أوصي به بعد وفاتي وهو حسن ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَنَكَّسْتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾.

## ٧- سُورَةُ الْأَعْرَافِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّصَّ (١): هذه أحد الحروف المقطعة ويقرأ هكذا: ألف لام ميم صاد. والله أعلم بمراده بها. كِتَابٌ: أي هذا الكتاب.

أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ: ضيق.

لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢): تذكرة بها يذكرون الله وما عنده وما لديه فيقبلون على طاعته.

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ: رؤساؤهم في الشرك.

فَلِيلاً مَا تَدْكُرُونَ (٣): أي تتعظون فترجعون إلى الحق.

وَكَمْ مِنْ قَرِيْبٍ: أي كثيرا من القرى.

أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءََهَا بِأَسْنَابَيْتًا: عذابنا ليلا وهم نائمون.

أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤): أي نائمون بالقبيلولة (١) وهم مستريحون.

فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَابٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥): أي ما كان دعاؤهم إلا قولهم إنا كنا

ظالمين.

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ: هم الأمم والأقوام. ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾

فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ عَيْلَهُمْ: فلنخبرنهم بأعمالهم متبعين لها فلا نترك منها شيئا.

وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٦): أي عنهم أيام كانوا يعملون.

وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ: أي العدل.

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ: أي بالحسنات.

فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨): بدخول الجنة.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ: فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ: بدخولهم النار والاصطلاء بها أبدا. ﴿بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ (٩)

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعْيِشًا: جمع معيشة بمعنى: العيش الذي يعيше

الإنسان والمعنى جعلها قارة ممهدة لا تضطرب ولا تتحرك فيفسد ما عليها.

(١) من النوم إلى الظهيرة، وهي إما قبل الظهر أو بعده.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾: أي شكرًا قليلًا والشكر: ذكر النعمة للمنعم وحده والثناء بها عليه والطاعة بفعل محابه وترك مكارهه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ: أي خلقنا<sup>(١)</sup> أباكم آدم أي: قدرناه من الطين، ثم صورناه على الصورة البشرية الكريمة التي ورثها بنوه من بعده إلى نهاية الوجود الإنساني. ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا: أي سجدوا تحية لآدم ﷺ.

إِلَّا إِبْلِيسَ: أبو الشياطين من الجن وكنيته أبو مرة، وهو الشيطان الرجيم. ﴿لَوْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾. قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾: جمع صاغر: الذليل المهان. ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾.

قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي: أي فبسبب إضلالك لي. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّ فِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾. قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا: ممقوتًا مذمومًا مطرودًا. ﴿لَنْ نَبْعَثَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٨﴾.

وَيَتَادَمُّ أَسْكُنُ أَنْتَ وَرَوْحُكَ: هي حواء التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر. الْجَنَّةُ: دار السلام التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج. ﴿فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾.

فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾: أي لأنفسهم. فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: الوسوسة: الصوت الخفي، وسوسة الشيطان لابن آدم إلقاء معانٍ فاسدة ضارة في صدره مزينة؛ ليعتقدها أو يقول بها أو يعملها. لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا: ليظهر لهما ما ستر عنهما. مِنْ سَوَاءٍ رَيْبًا: من عوراتهما. ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾.

وَقَاسَمَهُمَا: حلف لكل واحد منهما. ﴿إِنِّي لَكُمَا لَوْنُ النَّاصِحِينَ﴾ ﴿٢١﴾.

(١) ويصح أن يقال: خلقناكم نطقًا ثم صورناكم، وما في التفسير أولي بالآية وأصح بدليل قوله: ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

(٢) معناه: لأصدقهم عن الحق، وأرغبهم في الدنيا وأشكهم في الآخرة وهذا غاية الضلال، وقال بعضهم: المراد من قوله: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من آخرتهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ يعني حسناتهم، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ يعني سيئاتهم.

فَذَلَّهِمَا يَبُورِي<sup>٤</sup> : أي أدناهما شيئاً فشيئاً بخداعه وتغيره حتى أكلتا من الشجرة. ﴿قَلَمَّا ذَاقَا الشَّجِرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا﴾.

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ<sup>٥</sup> : وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما. وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجِرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَاغِدٌ وَمُتَمِينٌ<sup>٦</sup>.

قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا : أي بأكلهما من الشجرة.

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ<sup>٧</sup> : الذين خسروا دخول الجنة والعيش فيها. قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ : مكان استقرار وإقامة.

وَمَتَّعُوكَ إِنَّا جِنٌّ : تمت بالحياة إلى حين انقضاء آجالكم. ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾<sup>٨</sup> (١).

يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ تَكْم : يستر عوراتكم.

وَرِدْيًا : لباس الزينة والحاجة.

وَلِبَاسَ الْقَوِي ذَلِكَ خَيْرٌ : خير في حفظ العورات والأجسام والعقول والأخلاق.

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ : دلائل قدرته. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾<sup>٩</sup>.

يَبْنِي ءَادَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ : أي لا يصرفنكم عن طاعة الله الموجبة لرضاه ومجاورته في

الملكوت الأعلى.

كَمَا أَخْرَجَ آدَمَ مِنْ جَنَّةِ بَدْنِهِ : من الجنة ينزع عنهم لباسهما ليريهما سوءتهما<sup>١٠</sup>.

إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ : جنوده من الجن. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>١١</sup>.

وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً : خصلة قبيحة شديدة القبح كالطواف بالبيت عراة. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>١٢</sup>.

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ : العدل في القول والحكمة والعمل<sup>١٣</sup>.

وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ : أي اخلصوا العبادة لله واستقبلوا بيته.

وَأَدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ<sup>١٤</sup> : كما بدأ خلقكم أول مرة يعيدكم بعد الموت

أحياء. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : يوالونهم محبة ونصرة وطاعة من غير الله تعالى.

﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾<sup>١٥</sup>.

(١) أي: للحساب والجزاء على الكسب في الدنيا من خير وشر.

(٢) القسط: العدل، وهو وسط بين الشرك والإلحاد. ولذا قال ابن عباس: القسط: لا إله إلا الله أي: بأن يعبد الله

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتَكَرْ عِنْدَكَرِ مَسْجِدٍ: أَي البسوا ثيابكم عند الدخول في الصلاة. وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا: في أكل ولا شرب، والإسراف مجاوزة الحد المطلوب في كل شيء. إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ: التحريم: المنع، والزينة: ما يترزين به من ثياب وغيرها (١). وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ: جمع طيب وهو الحلال غير المستحبث. قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ: لا يشاركهم فيها الكفار، لأنهم في النار. كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ: جمع فاحشة والمراد بها هنا: الزنى واللواط السري كالعلمي.

وَالْإِثْمَ: كل ضار قبيح من الخمر وغيرها من سائر الذنوب.

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ: الظلم بغير قصاص ومعاقبة بالمثل.

وَأَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ: أي الشرك بالله وهو عبادة غير الله تعالى.

مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا: السلطان: الحجة التي تثبت بها الحقوق المختلف فيها أو المتنازع عليها.

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ: وقت محدد تنتهي إليه. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ: أصل إما (إن الشرطية وما زائدة) لتقوية الكلام أدغمت فيها إن فصارت إما.

رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي: يتلونها عليكم آية بعد آية مبينين لكم ما دلت عليه من أحكام الله

وشرائعه، ووعدته وعيده.

فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ: أي الشرك فلم يشرك وأصلح نفسه بالأعمال الصالحة.

فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ: في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾﴾: على ما تركوا وراءهم أو فاتهم الحصول عليه من أمور الدنيا. ﴿وَالَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولذا المشرك

ظالم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها حيث عبد بها من لا يستحقها.

أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُتُبِ: ما قدر لهم في كتاب المقادير.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ: المراد بهم ملك الموت وأعوانه.

﴿قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا: غابوا عنا فلم نرهم ولم نجدهم. ﴿وَشَهِدُوا عَلَيَّ

(١) الزينة: هنا الملبس الحسن من غير ما حرم كالذهب والحريز على الرجال، ويطلق لفظ الزينة أيضًا على مطلق

اللباس ولو لم يكن حسنًا.

أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ .

قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمُرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ : أي في جملة أمم. كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا : أي تداركوا أو لحق بعضهم بعضًا حتى دخلوها كلهم.

قَالَتْ أَخْرَبْتُهُمْ وَلَاؤْلَهُمْ : الأتباع قالوا للرؤساء في الضلالة وهم المتبعون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَجَاءِنَاهُمْ عَذَابًا بَعْضًا مِمَّنِ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَهُمْ لِأَخْرَبْتُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ .

فَدُؤِفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ : من الظلم والشر والفساد. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْخِحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ .

حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ : أي يدخل الجمل في ثقب الإبرة<sup>(١)</sup> .

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ : الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك والمعاصي. لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ : فراش يمهدهونه من النار.

وَمِنْ قُوْفِهِمْ عَوَاشِرٌ : أغطية تغطون بها من النار كذلك. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا : طاقتها وما تتحملة وتقدر عليه من العمل.

أَوْ لِيُكَلِّمَ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا : أي أقلعنا وأخرجنا.

مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ : أي من حقد وعداوة.

نَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا : أي للعمل الصالح في الدنيا الذي هذا جزاؤه وهو الجنة.

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوا أَنْ تَكْفُرُوا بِالْجَنَّةِ أَوْ رِشْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ : أي بسبب أعمالكم الصالحة من صلاة وصيام وصدقات وجهاد. ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ .

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ : أي أعلن بأعلى صوته.

أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ : أي أمره بطرد الظالمين من الرحمة إلى العذاب.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : سبيل الله هي الإسلام والصد الصريف، فهم صرفوا أنفسهم وصرفوا غيرهم.

وَيَبْغَوْنَهَا عَوَجًا : يطلبون الشريعة أن تميل مع ميولهم وشهواتهم فتخدم أغراضهم. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

﴿٤٥﴾ كَفِرُونَ .

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ : أي بين أهل الجنة وأهل النار حاجز فاصل وهو سور الأعراف.

وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ : سور بين الجنة والنار قال تعالى في سورة الحديد: ﴿فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بُسُورًا﴾ .  
يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسَمِيئِهِمْ : أي كل من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ لَمَّا دَخَلُواهَا وَهُمْ يُطْمَعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ : أي نظروا إلى الجهة التي فيها أصحاب النار.﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا جَعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ .

وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسَمِيئِهِمْ : السيماء العلامة الدالة على من هي فيه.

قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ : أي للمال وللرجال كالجيوش. ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَكِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ .  
أَهْوَلَاءَ : إشارة إلى ضعفاء المسلمين وهم في الجنة. ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَتَمُّ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ . ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء .

أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ : أي من الطعام بعد الشراب.

قَالُوا إِنْ لَئِنِ اللَّهُ حَرَمَهُمَا : منعهما. ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّبَتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿٥١﴾ .

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ : أي أهل مكة أولاً ثم سائر الناس.

بِكِتَابٍ : القرآن العظيم.

فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ : بيناه على علم منا فيينا حلاله وحرامه ووعده ووعيده وقصصه ومواعظه وأمثاله.  
﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ : تأويل ما جاء في الكتاب من وعد ووعيد أي عاقبة ما أنذروا به. ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ . يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل .

قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ : أي ذهب ولم يعثروا عليه.

مَا كَانُوا يَفْرَتُونَ ﴿٥٣﴾ : من أن آلهتهم وأولياءهم يشفعون لهم فينجونهم من النار ويدخلونهم الجنة. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .

(١) اختلف في القائل: والراجع أنه الله تعالى، وذلك بعد استقرار أهل الجنة فيها وأهل النار في النار ولم يبق إلا أصحاب الأعراف فيقول لهم الرب تبارك وتعالى: ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ﴾ .

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ<sup>(١)</sup>: هي الأحد إلى الجمعة.

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ: يغطي كل واحد منهما الآخر عند مجيئه.  
يَطْلُبُهُ، حَيْثُ مَا: سريعاً بلا انقطاع.

وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ: مذلات.

بِأَمْرٍ<sup>٥٤</sup> أَلَا: أداة استفتاح وتنبية.

لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ: أي له المخلوقات والتصرف فيها وحده لا شريك له<sup>(٢)</sup>.

بَارَكَ اللَّهُ: أي عظمت قدرته، وجلت عن الحصر خيراته وبركاته.

رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>٥٥</sup>: كل ما سوى الله تعالى فهو عالم أي علامة على خالقه وإلهه الحق.

أَدْعُوا رَبَّكُمْ: سلوه حوائجكم الدنيوية والأخروية فإنه ربكم فلا تستحيوا من سؤاله.

تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً: أي حال كونكم ضارعين متذللين، مخفي الدعاء غير رافعين أصواتكم به.

إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ<sup>٥٦</sup>: أي في الدعاء وغيره، والاعتداء في الدعاء أن يسأل ما لم تجر

ستته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره، كل (أن) يسأل أن يكون نبياً أو أن يرد طفلاً أو صغيراً، أو يرفع صوته بالدعاء.

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: أي بالشرك والمعاصي.

بَعْدَ إِصْلَاحِهَا: بالتوحيد والطاعات.

وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ<sup>(٣)</sup> مِنَ الْمُحْسِنِينَ<sup>٥٧</sup>: الذين يحسنون أعمالهم

ونياتهم بمراقبتهم الله تعالى في كل أحوالهم.

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ: جمع ريح وهو الهواء المتحرك.

بُنْتَرًا: جمع بشير: أي مبشرات بقرب نزول المطر، قرئ نَشْرًا أي تنشر السحاب للأمطار.

بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ: أي رحمة الله تعالى وهي المطر.

حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا: أي حملت سحاباً ثقالاً مشبعاً ببخار الماء.

(١) أصل ستة: سدسة فأرادوا إدغام الدال في السين فالتقيا عند مخرج التاء فغلبت عليها فصارت ستة ولذا تصغر على سديسة وتجمع على أسداس، والجمع والتصغير يردان الأسماء إلى أصولها، ويقال: جاء فلان سادس ستة.

(٢) وقال ابن عيينة: فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر إذ قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ فالخلق غير الأمر فمن قال: الأمر مخلوق فقد كفر.

(٣) عدم تأنيث قريب مع أنه خبر عن مؤنث، تكلم فيه كثيراً وأحسن ما قيل في مثله أن لفظ قريب وبعيد إذا أطلق على النسب تعين التذكير والتأنيث بحسب المخبر عنه نحو: زيد قريب عمر، وعائشة قريبة بكر مثلاً، وما كان لغير النسب جاز تذكيره وتأنيثه قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ وقال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ فذكر في الموضوعين مع أن الوصف عائد على مؤنث.

سُقْنُهُ لِبَلَدٍ مَّيْتٍ: لا نبات به ولا عشب ولا كلاً. ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾

كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى: أي كذلك نحیی الموتى ونخرجهم من قبورهم أحياء.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾: تذكرون فتؤمنون بالبعث والجزاء.

وَالْبَلَدُ الظَّيْبُ: أي الطيب التربة.

يُخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي حَبَتْ: أي خبثت تربته بأن كانت سبخة.

لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكْدًا: أي إلا عسراً<sup>(١)</sup>.

كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ: أي ننوعها ونخالف بين أساليبها ونذكر في بعضها ما لم نذكره في

بعضها للهداية والتعليم.

لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾: لأنهم هم الذين ينتفعون بالنعيم يشكرها بصرفها في محاب الله تعالى.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ: هذا أول الرسل، هذا العبد الشكور هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن

أخنوخ أي: إدريس عليه السلام، أحد أولي العزم الخمسة من الرسل عاش داعياً وهادياً ومعلماً ألفاً

ومائتين وأربعين سنة، ومدة الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بعدها عاشها هادياً ومعلماً

للمؤمنين. ﴿فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾: هو عذاب يوم القيامة.

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ: أشرف القوم ورؤساؤهم الذين يمثلون العين والمجلس. ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي

ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ: أريد لكم الخير لا غير.

وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعِجَّتُمْ: الاستهفام للإنكار، وعجبتهم الواو عاطفة

والمعطوف عليه جملة هي كذبتهم أي أكذبتهم وعجبتهم.

أَنْ جَاءَهُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ: أي العذاب المترتب على الكفر والمعاصي.

وَلِنُنْفِقُوا وَلِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾: أي الله تعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته فترحمون فلا تعذبون.

فَكَذَّبُوهُ فَأَجْجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ: هم المؤمنون من قومه والفلك: هي السفينة التي صنعها

بأمر الله تعالى وعونه.

وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾: جمع عم وهو أعمى البصيرة أما

أعمى العينين فيقال فيه: أعمى<sup>(٢)</sup>.

﴿وَالَّذِي عَلِمَ﴾: أي ولقد أرسلنا إلى عاد، وعاد أبو القبيلة وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن

(١) النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير من الناس، وشبهه به البلد الخبيث التربة كذات الحجارة أو السبخة.

(٢) ﴿عَمِينَ﴾: أي: عن الحق وعن معرفة الله وقدرته ولطفه، وإحسانه يقال: رجلٌ عم بكذا أي: جاهل به لا يعرفه.

نوح عليه السلام.

أَخَاهُمْ هُودًا<sup>١</sup>: أخاهم في النسب لا في الدين. وهود هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح

عليه السلام.

قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ<sup>٢</sup> أَفَلَا تَنْفَعُونَ<sup>٣</sup>: أي أتصرون على الشرك فلا تتقون عذاب

الله بالإيمان به وتوحيده، والافتقار إلى غيره، والافتقار إلى غيره أي ينكر عليهم عدم تقواهم لله عليه السلام.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّكَ لَنزَلِكٌ فِي سَفَاهَةٍ: السفاهة كالسفه وهو خفة العقل،

وقلة الإدراك والحلم. ﴿وَإِنَّا لَنظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ<sup>٤</sup>﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّي الْعَلِيِّينَ<sup>٥</sup>.

أَتْلَعُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ<sup>٦</sup>: لا أخونكم ولا أغشكم ولا أكذبكم، كما أني

مأمون على رسالة لا أفرط في إبلاغها. ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ<sup>٧</sup>﴾.

وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً: أي طولاً في الأجسام، إذ كانوا عمالق من عظم أجسادهم وطولها.

فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ: نعمه، واحدها إلى والجمع آلاء.

لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ<sup>٨</sup>: بالنجاة من النار في الآخرة، والهلاك في الدنيا.

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ: أي نترك.

مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئْنَا بِمَا نَعْبُدُنَا: أي من العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ<sup>٩</sup>﴾.

قَالَ قَدِ وَقَعَ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup> مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ<sup>(٢)</sup>: سخط موجب للعذاب.

وَعَصَبٌ أَتَجِدُونَنِي: أي أتخاصمونني.

فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ<sup>(٣)</sup> وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ: أي من حجة ولا برهان

يثبت أنها تستحق العبادة. ﴿فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ<sup>(٤)</sup>﴾.

فَأَجِئْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا: دابر القوم: آخرهم؛ لأنه إذا

هلك آخر القوم هلك أولهم بلا ريب. ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ<sup>(٥)</sup>﴾.

وَإِلَى ثَمُودَ: أي أرسلنا إلى ثمود، وثمرود قبيلة سميت باسم جدها وهو ثمود بن عابر بن إرم

بن سام بن نوح.

أَخَاهُمْ صَالِحًا<sup>٦</sup>: أي في النسب وصالح هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر

(١) ﴿قَدِ وَقَعَ﴾ بمعنى: وجب، يقال: وقع الحكم أو القول إذا وجب.

(٢) وفسر الرجس بالعذاب أو الرين على القلوب بزيادة الكفر.

(٣) ﴿أَنْتُمْ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: في الأصنام التي أطلقوا عليها أسماء كالكالات، والعزى ومناة عند قريش

ومشركي العرب، فأطلق الاسم وأريد به المسمى.

ابن ثمود. ﴿قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ﴾  
هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ : علامة على صدقي في أني رسول الله إليكم (١) فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي  
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي  
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ۗ  
وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ : أنزلكم فيها منازل تحيون فيها.

نَنخِذُوكَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ۖ وَنَنجِثُونَ الْجِبَالَ يَوْمًا : تنجرون الحجارة في الجبال لتتخذوا

منازل لكم لتسكنوها.

فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ : نعم الله تعالى وهي كثيرة.

وَلَا تَعْتُوا : أي لا تفسدوا. ﴿فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٦﴾

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : عتوا وطفخوا وتكبروا فلم يقبلوا الحق ولم يعترفوا به. ﴿مِنْ  
قَوْمِهِ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صُلَيْحًا مَرَّ سَلْمًا مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ  
مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ : نحروها بعد أن عقروا قوائمها أي قطعوها، والناقة هي الآية.

وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ : تمردوا عن الأمر وعصوا فلم يطيعوا.

وَقَالُوا يَصْلِحُ أَمْرُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ : المرة من رجف إذا

اضطرب، وذلك لما سمعوا الصيحة أخذتهم الرجفة.

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ : باركين على الركب كما يجثم الطير أي هلكى على ركبهم

أصل الجثوم للأرانب وما شابهها.

فَتَوَلَّى عَنْهُمْ : بعد أن هلكوا نظر إليهم صالح وهم جاثمون وقال رائيًا لحالهم.

وَقَالَ يَبْقَوْمِ لَقَدْ أَتَلَقْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ ثم أعرض

(٣)

عنهم وانصرف .

وَلُوطًا : أي وأرسلنا لوطًا ولوط هو لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم ﷺ ولد في بابل

(٤)

العراق .

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَجْشَةَ : هي الخصلة القبيحة وهي إتيان الرجال في أدبارهم.

(١) إضافة الناقة إلى الله تعالى للتشريف والتخصيص إذ كل ما في الكون هو لله عز وجل.

(٢) أي: ليس عليكم رزقها ومثونها.

(٣) من الجائز أن يكون قد قال هذا وهم أحياء قبل موتهم كالأيس منهم وكونه قاله بعد موتهم أقرب كما في التفسير.

(٤) أرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وعمورة قرب بحيرة لوط بالأردن، وهو المعروف بالبحر الميت، ويقال له:

مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾: أي من الناس. ﴿إِنَّكُمْ لَنَاتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ  
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٧﴾ وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ  
إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٨﴾

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٩﴾: الباقيين في العذاب.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا: أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر فأهلكتهم.

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٩٠﴾: أي المفسدين للعقائد والأخلاق والأعراض.

وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا: مدين أبو القبيلة وهو مدين بن إبراهيم الخليل وشعيب من أبناء

القبيلة فهو أخوهم في النسب حقيقة إذ هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين. ﴿قَالَ يَنْفَرُوا  
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٩١﴾ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوا الناس قيم سلعتهم  
وبضائعهم، إذ كانوا يفعلون ذلك. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾

وَلَا تُفْعَدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعَدُونَ: طريق، وتوعدون تخيفون المارة وتأخذون عليهم  
المكوس أو تسلبونهم أمتعتهم (٢).

وَتَضُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْجُوهَا عِوَجًا: أي تريدون سبيل الله -وهي  
شريعته- معوجة حتى توافق ميولكم. ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾

وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٣﴾: هم الذين يعملون بالمعاصي في البلاد. ﴿وَإِنْ  
كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾

فَأَصْرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا: يفصل بيننا فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين. ﴿وَهُوَ خَيْرٌ  
الْحَاكِمِينَ ﴿٩٤﴾

﴿قَالَ الْمَلَأُ: أشرف القوم الذين يمثلون المجلس إذا جلسوا، والعين إذا نظر إليهم.

الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: تكلفوا الكبر وهم حقيرون، حتى لا يقبلوا الحق.

مِنْ قَوْمِهِ لَخَرَجَتْكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا: مدينتنا.

(١) من الجائر أن يكون الله تعالى قد أعطى نبيه شعيباً آية ولم تذكر في القرآن، والراجح أنها حجة قوية فهرهم بها ولم  
يتمكنوا من ردها.

(٢) قال ابن عباس ومجاهد وقادة: كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعدون من أراد المجيء  
إليه ويصدون عنه ويقولون: إنه كذاب فلا تذهب إليه، كما كانت قريش تفعله مع النبي ﷺ.  
ومثله الضرائب الفادحة التي تضرب على المسلمين في بلادهم والمكوس التي في الأسواق وغيرها مما اقتدى  
فيه المسلمون بالكافرين.

أَوْ لَتَعُودَنَّ <sup>(١)</sup> فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَاهِنِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ: في دينكم. بعد إذ بجننا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسيع ربنا كل شيء وعلماً ﴿٨٩﴾ (٢).  
على الله توكلنا: أي فوضنا أمرنا واعتمدنا في حمايتنا عليه.

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا: أي يا ربنا احكم بيننا.

وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاحِشِينَ ﴿٩١﴾: أي وأنت خير الحاكمين.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَبِئْسَ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا: أي على ما جاء به من الدين والهدى. ﴿٩٢﴾ إِنْ كُنَّا إِذَا

لَاخِيسِرُونَ ﴿٩٣﴾

فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ: الحركة العنيفة كالزلزلة.

فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾: باركين على ركبهم ميتين.

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا: أي كأن لم يعمروها ويقيموا فيها زمناً طويلاً (٣).

الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾: إذ هلكوا في الدنيا وأدخلوا النار في الآخرة.

فَنَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأْتُمْ: أي أحزن أو أسف

شديد الأسف. ﴿٩٦﴾ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٧﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ: القرية: المدينة الجامعة لأعيان البلاد ورؤسائها وهي المدينة، وفي

الجملة إضمار تقديره: وما أرسلنا في قرية من نبي فكذب أهلها إلا أخذناهم.

إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ: بالشدّة كالقحط والجوع والحروب.

وَالضَّرَاءِ: الحالة المضرة كالأمراض والغلاء وشدّة المؤونة.

لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ ﴿٩٨﴾: يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ليكشف عنهم السوء.

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ: أي بدل الغلاء الرخاء، وبدل الخوف الأمن، وبدل المرض

الصحة.

حَتَّى عَفَوْا: كثرت خيراتهم ونمت أموالهم، وأصبحت حالهم كلها حسنة.

وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً: أنزلنا بهم العقوبة فجأة.

(١) ﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ﴾: إما أن يراد به أتباع شعيب المؤمنون إذ كانوا قبل إيمانهم على دين قومهم، وإما أن يراد بكلمة ﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ﴾: لتصيرن إذ تكون عاد بمعنى: صار.

(٢) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا الاستثناء كان من شعيب تأديباً مع الله تعالى بتفويض الأمر إلى مشيئته، وعودة غيره من أمته ممكنة ولكن عودته هو مستحيلة، وهذا الاستثناء منقطع بمعنى لكن أي: ما يقع منا العودة إلى الكفر لكن إن شاء الله ذلك كان، والله لا يشاء ذلك فهو إذاً كقولك: لا أكلمك حتى يبيض الغراب أو ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.

(٣) وفسر القرطبي الغنى: بالمقام يقال: غني القوم في دارهم أي: طال مقامهم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا : أي آمنوا بالله ورسوله ووعده الله ووعيده واتقوه تعالى بطاعته وعدم معصيته .

لَفَنَحْنًا عَلَيْهِمْ بِبَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : جمع بركة وهي دوام الخير وبقاؤه والعلم والإلهام . والمطر من بركات السماء، والنبات والخصب والرخاء والأمن والعافية من بركات الأرض .  
وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ : من الشرك والمعاصي .

أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا<sup>(١)</sup> بِيَنَاءٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٧﴾ : أي ليلاً وهم نائمون . ﴿ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ .

أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ : استدراجه تعالى لهم بإغداق النعم عليهم من صحة الأبدان ورخاء العيش حتى إذا آمنوا مكره تعالى بهم، أخذهم بغتة .

فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ : أي أو لم يبين لهم بمعنى يتبين لهم .  
لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ : أي بسبب ذنوبهم . ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ .

تِلْكَ الْقُرَىٰ : الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .  
نَقُضَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا : أي من أخبارها .

وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج والبراهين الدالة على توحيد الله وصدق رسله .  
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ<sup>(٢)</sup> : أي من قبل خلقهم ووجودهم إذ علم الله تعالى تكذيبهم فكتبه عليهم في كتاب المقادير . ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾ .

وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ : أي لم نجد لأكثرهم وفاء بعهودهم<sup>(٣)</sup> التي أخذت عليهم يوم أخذ الميثاق .

وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ : أي من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب .

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب معاً، ومكر الله تعالى: إيهالهم وإغداق الخير عليهم مع شركهم وكفرهم، إذ المكر: أن يظهر المرء الإحسان لمن يمكر به ليأخذه فجأة، والأمن من مكر الله تعالى زيادة على أنه كبيرة من كبائر الذنوب فإنه يؤدي بالأمن إلى هلاكه دنيا وأخرى .

(٢) اختلف في المضاف إليه المحذوف في قوله: ﴿ بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ هل المراد: من قبل خروجهم للحياة الدنيا وهم في عالم الأرواح حيث أمروا بالإيمان فكذبوا فكتب الله عليهم ذلك فلن يكون إلا هو، أو لو أحييناهم بعد إهلاكهم بذنوبهم لما آمنوا بما كذبوا به فكان سبب هلاكهم، أو سألو المعجزات ليؤمنوا فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا من قبل رؤيتهم المعجزات، والراجع من هذه المقولات ما هو في التفسير إذ هو قول ابن جرير إمام المفسرين .

(٣) وجائز أن يكون ما أخذ عليهم من قبل الأنبياء أن يعبدوا الله وحده ويطيعوه ولا يعصوه .

مُوسَى : هو موسى بن عمران من ذرية يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.  
يَايَاتِنَا : هي تسع آيات: العصا، واليد، والسنون المجذبة، والدم، والظوفان، والجراد،  
والقمل، والضفادع، والطمس على أموال فرعون.

إِلَى فِرْعَوْنَ : أي بعث موسى الرسول إلى فرعون وهو الوليد بن مصعب بن الريان، ملك مصر.  
وَمَلَأْنِيهِ : أي أشرف قومه وأعيانهم من رؤساء وكبراء.

فَظَلَمُوا بِهَا : أي ظلموا أنفسهم بالآيات وما تحمله من هدى حيث كفروا بها. ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٣) وَقَالَ مُوسَى يَفِرْعَوْنَ <sup>(١)</sup> إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ حَقِيقٌ <sup>(٢)</sup> عَلَى أَنْ لَا  
أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿١٥﴾ .

قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنِي مِنْ رَبِّكُمْ : حجة قاطعة وبرهان ساطع على أي رسول الله إليكم. ﴿فَأَرْسِلْ  
مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (١٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ  
تُعَبَّانٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ .

وَنَزَعَ يَدَهُ : أخرجها بسرعة من جيبيه. ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (١٨) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿١٩﴾ .

إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ : أي ذو علم بالسحر خبير به ليس مجرد مدع.

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ : أي من بلادكم ليستولي عليها ويحكمكم.

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٢١﴾ : أي أشيروا بما ترون الصواب في حل هذا المشكل.

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ : أي أمهله وأخاه ولا تعجل عليه قبل اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات.

وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ : مدن المملكة الفرعونية.

حَشْرِينَ ﴿٢٢﴾ : رجالاً يجمعون السحرة الخبراء في فن السحر للمناظرة. ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ

عَلِيمٍ﴾ (٢٣) .

(١) فرعون: علم جنس لمن يملك مصر في القديم ككسرى: لكل من يملك فارساً وقيصر: لكل من يملك الروم  
ونمرود: لمن ملك الكنعانيين، والنجاشي: للأحباش، وتبع: لحمير، ونداء موسى له بقول يا فرعون، فيه نوع  
احترام، إذ ناداه بعنوان الملك والسلطان.

(٢) قرأ نافع: (حقيق علي) بياء الضمير المشددة وهي بمعنى: واجب علي خبر ثانٍ لأن في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾ وقرأ غيره (علي) حرف جر أي: محقوق بأن لا أقول على الله إلا الحق، فحقيق: فاعيل بمعنى مفعول  
كقتيل بمعنى مقتول.

(٣) حيث كان الملوك وأشبهاهم يقربون السحرة منهم للسيطرة بهم على الناس، روى الإمام أحمد في حديث قصة  
أصحاب الأخدود أن رسول ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر..» وقد ذكره ابن كثير رحمته الله  
بطوله في تفسيره لسورة البروج. ومن أعظم أنواع وسائل السحر في عصرنا هذا تلك الأجهزة المرئية  
(التلفزيون) والتي للأسف قد غزت كثيراً من بيوت المسلمين حتى بعض الملتزمين منهم (إننا لله وإننا إليه  
راجعون). (قل).

وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ : السحرة: جمع ساحر هو من يتقن فن السحر ويؤثر في أعين الناس

بسحره.

قَالُوا إِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾: أي ثواباً من عندك أي: أجزاً تعطيناها إن نحن غلبنا. ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى﴾

إِمَّا أَنْ تُلْفَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقَيْنِ ﴿١١٥﴾: لعصينا. ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾

فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ : حيث صار النظارة في الميدان يشاهدون عصي السحر

وحيالهم يشاهدونها حيات وثمانين تملأ الساحة.

وَأَسْرَهُبُهُمْ : أي أدخلوا الرعب والرعب في قلوب الناس من قوة أثر السحر في عيونهم.

﴿وَجَاءَ وَيَسْحَرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ : تأخذ بسرعة فائقة وحقق عجيب.

مَا يَأْكُفُونَ ﴿١١٧﴾ : ما يلقبون بسحرهم وتمويههم.

فَوَقَعَ الْحَقُّ : ثبت وظهر. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ : ذليلين.

وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ : ساقطين على وجوههم سجداً لربهم رب العالمين. ﴿قَالُوا ءَأَمَّا

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (٢)

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنْتُمْ بِهِ : أي صدقتموه فيما جاء به ودعا إليه. ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ﴾

إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ : أي حيلة احتلتموها وتواطأتم مع موسى على ذلك. ﴿فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا

مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ : بأن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس.

ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَصْحَابِ ﴿١٢٤﴾ : التصليب: الشد على خشبة حتى الموت.

قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ : أي راجعون.

وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ ءَأَمْنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا : أي وما تكره منا وتكر علينا إلا إيماننا بآيات

(١) قال القرطبي: تأدبوا مع موسى إذ استشاروه فيمن يبدأ بالإلقاء فضعهم الله بأدبهم مع نبيه فأسلموا وسعدوا برضوان الله تعالى.

(٢) قالوا: أمنا برب العالمين حال هويهم للسجود إعلاماً منهم أنهم ما سجدوا لفرعون كما يفعل الأقباط، وإنما سجدوا لله رب العالمين رب موسى وهارون.

(٣) لم يرد في القرآن ما يدل على أن فرعون نفذ وعيده في السحرة أو لم ينفذه، وعدم ذكر القرآن له لأنه خال من الفائدة، وذكر القرطبي بصيغة التمرير فقال: قيل: إن فرعون أخذ السحرة وقطعهم على شاطئ النهر وأنه آمن بموسى عند إيمان السحرة ستمائة ألف، والله أعلم.

ربنا لما جاءتنا.

رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا: أي أفض علينا صبراً قوياً حتى نثبت على ما توعدنا فرعون من العذاب ولا نرتد بعد إيماننا. ﴿وَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ﴾ (١٣٦).  
 وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فرعون: أي لفرعون.  
 أتذر موسى: أي أترك موسى.  
 وقومه: أي بني إسرائيل.

لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ: أي في البلاد بالدعوة إلى مخالفتك، وترك طاعتك.  
 وَيَذُرْكَ وَءِ الْهَتَّكَ: أصناماً صغاراً وضعها ليعبدها الناس وقال: أنا ربكم الأعلى وربها.  
 قَالَ سَنُقَدِّمُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَجِيءُ. (١) نِسَاءَهُمْ: نبيي على نسائهم لا نذبهن كما تذبح الأطفال الذكور. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٣٧) قَالَ موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عسى (٢) رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴿١٣٩﴾ وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي يجعلكم خلفاء فيها تخلفون الظالمين بعد هلاكهم.  
 ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٠).

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فرعونَ بِاللِّسَنِينَ: أي عاقبناهم بسني الجذب والقحط.  
 وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ: بالجوائح تصيبها، وبعدم صلاحيتها. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٤١).  
 فَإِذَا جَاءَ تَهُمُ الْحَسَنَةُ: ما يحسن من خصب ورخاء وكثرة رزق وعافية.  
 قَالُوا لَنَا هَذِهِ: نحن مستحقوها وجدديرون بها.  
 وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ: ضد الحسنة وهي الجذب والغلاء والمرض.  
 يَطْرُقُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ: أي يتشاءمون بموسى وقومه. ﴿أَلَا إِنَّمَا طَرَقَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٢) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾  
 فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ: الطوفان: الفيضانات المغرقة، والجراد: معروف بأكل الزرع والثمار، والقمل: جائز أن يكون القمل المعروف وجائز أن يكون سوساً في الحبوب، والضفادع: جمع ضفدعة حيوان يوجد في المياه والمستنقعات.  
 وَالْدَّمَ: والدم معروف قد يكون دم رعاف أو نزيف، أو تحول الماء ماء الشراب إلى دم عييط

(١) آس قومه بهذه الجملة من الكلام وأذهب عنهم روح الهزيمة، ولم يقل: سنقتل موسى؛ لعلمه أنه لا يقدر عليه ولما أصابه من الرعب منه حتى قيل: إنه كان إذا رآه يبول من شدة الخوف منه وهي آية موسى عليه السلام.

(٢) عسى من الله واجب أي ليست للرجاء فقط بل ما يذكر معها يقع لا بد ولا يتخلف، ولذا قد تحقق ما ذكر معنا هنا كاملاً لا نقص فيه.

في أوانيهم وأفواهم آية لموسى عليه السلام. ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾.

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٦﴾: حيث لم يؤمنوا بهذه الآيات، أي: مفسدين حيث حكم

بإهلاكهم.

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ: العذاب وهو الخمسة المذكورة في آية (١٣٣) الأنفة الذكر. ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ ۗ (١) عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ﴾.

إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٧﴾: المراد من الأجل أنهم كانوا إذا سألوا موسى أن يدعو ربه ليرفع عنهم العذاب ويعدونه بالإيمان وإرسال بني إسرائيل معه فيرفع الله عنهم العذاب فيمكثون زمناً، ثم يطالبهم موسى بالإيمان وإرسال بني إسرائيل فيأبون عليه ذلك وينكثون عهدهم.

فَأَنْفَقْنَا مِنْهُمْ: أي أنزلنا بهم نعمتنا.

فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي آيَةِ: الذي هو البحر. ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ: هم بنو إسرائيل.

مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا: هي أرض مصر والشام <sup>(٢)</sup>. ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾.

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ: هي وعده تعالى لهم في قوله: ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ من سورة «القصص». ﴿بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ﴾.

وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾: أي يرفعون من مباني الدور، والقصور العالية.

وَجَوَوزًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ: أي قطعنا بهم فاجتازوه إلى ساحله. ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾.

يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ: يجلسون إلى تماثيل بقر منحوتة من حجر.

قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ: أي معبوداً يريدون تماثلاً كالذي شاهدوا.

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾: أي العبادة لا تكون إلا لله تعالى.

إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمُ فِيهِ: هالك خاسر لا يكسبهم خيراً ولا يدفع عنهم شراً. ﴿وَيَطَّلُ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾

(١) ﴿بِمَا عَهِدْتُمْ عِنْدَكَ﴾ الباء لتعدية فعل الدعاء، وما موصولة بهم أي: ادعه بما علمك ربك من وسائل إجابة دعائك عنده ليكشف عنا الرجز.

(٢) كما يصدق هذا على أرض الشام إذ لها مشارق ومغارب، ومن بينها الأرض المقدسة أرض فلسطين يصدق أيضاً على أرض مصر وغيرها إذ مملكة بني إسرائيل على عهد سليمان كانت قد انتظمت المعمورة كلها.

قَالَ أَعَزَّ اللَّهُ أَنْبِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ﴿١٤٠﴾ : أي غير ربي عَزَّ وَجَلَّ أطلب لكم إلهاً تعبدونه دون الله ما لكم أين يذهب بعقولكم؟ وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : أي واذكروا نعم الله عليكم بإنجائه إياكم من آل فرعون. يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ : يوردونكم موارد الردى والهلاك بما يصيبونكم به من عذاب. ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ .

وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ <sup>(٢)</sup> : أي اختبار وامتحان قاس شديد. ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ : أي لمناجاة الله تعالى له بجبل الطور. ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ . فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً : الميقات: الوقت المعين. وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي : أي كن خليفتي فيهم. وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ <sup>(٣)</sup> : الذين يعملون بالمعاصي. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نَنْظُرُ إِلَى الْجَبَلِ﴾ . فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ : ثبت ولم يتحول. ﴿فَسَوْفَ تَرِنِّي فَلَمَّا تَجَلَّى <sup>(٤)</sup> رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ . وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا : سقط على الأرض. فَلَمَّا أَفَاقَ : ذهب عنه الإغماء وعاد إليه وعيه. ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تَبَّتْ <sup>(٥)</sup> إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>(٦)</sup> .

قَالَ يٰمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ : اخترتك. ﴿عَلَى النَّاسِ بِرِسْلَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ <sup>(٧)</sup> وَكَتَبْنَا لَهُ، فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ <sup>(٨)</sup> ﴿١٤١﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ <sup>(٩)</sup> .

(١) هذا التفضيل خاص بزمانهم الذي كانوا فيه مع أنبيائهم وهم صالحون.

(٢) تجلَّى معناه ظهر، واندكالك الجبل على قوة بنيته وعظيم جسمه كان لعجزه عن رؤية الرب تبارك وتعالى وهذا كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادْنَا هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَشْيَعًا مُتَّصِدًا عَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ .

(٣) الإجماع على أن توبة موسى هذه لم تكن من ذنب وإنما هي بمعنى الإنابة إلى الله تعالى وعدم طلب مثل هذا الذي طلب.

(٤) دار الفاسقين: نار جهنم. اهـ.

قال ابن كثير رحمه الله: أي سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والنباب، قال ابن جرير: وإنما قال: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غداً إلى ما يصير إليه حال من خالف أمري على (وجه التهديد) والوعيد لمن عصاه وخالف أمره، وقيل: منازل قوم فرعون، والأول أولى لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه، والله أعلم (قل).

الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : يعلون ويرفعون فيمنعون الحقوق ويحتقرون الناس .  
﴿وَأِنْ يَرَوْا كَلَّآءِ يَأْتِيَهُمْ لَآئِيَةٌ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ .

وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ : طريق الحق القائم على الإيمان والتقوى . ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ .  
وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِثْرِ : طريق الضلال القائم على الشرك والمعاصي . ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ .

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ : لا يلتفتون إليها ولا ينظرون فيها ولا يتفكرون فيما تدل عليه وتهدى إليه . ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ .

حَظَّتْ أَعْمَالُهُمْ : فسدت فلا يتفعون بها؛ لأنها أعمال مشرك والشرك محبط للعمل . ﴿هَلْ يُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾ .

وَأَخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ : جمع حلي وهو ما تتحلّى به المرأة لزوجها من أساور ونحوها من ذهب .<sup>(١)</sup>

عَجَلًا جَسَدًا : العجل ولد البقرة والجسد أي ذاتا لا مجرد صورة على ورق أو جدار .  
لَهُ خَوَارٌ : الخوار<sup>(٢)</sup> صوت البقر كالرغاء صوت الإبل . ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٤٨﴾ .

وَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ : أي ندموا على عبادته لأنها عبادة باطلة . ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾<sup>(٣)</sup> .

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ : أي من جبل الطور بعد مرور أكثر من أربعين يوما .  
غَضِبْنَا سِيفًا : أي حزينا شديدا الحزن والغضب . ﴿قَالَ يَسْمَاعِيلُ خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ .  
أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ : أي استعجلتم .

وَأَلْفَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ : أي هارون شقيقه .  
يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ : أصلها يا ابن أُمي؛ فقلبت الياء ألفا نحو يا غلاما، ثم حذف، وهارون شقيق موسى وإنما ناداه بأمه لأنه أكثر عطفًا وحنانًا . ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ .  
فَلَا تُشْمِتُكَ الْأَعْدَاءُ : أي لا تجعل الأعداء يفرحون بإهانتك أو ضربك لي . ﴿وَلَا تَجْعَلَنِي

(١) وقد جمعها السامري بحجة واهية، والسامري نسبة إلى قرية تسمى: سامرة، واسمه: موسى بن ظفر، ولد عام قتل الأبناء كموسى عليه السلام .

(٢) الخوار: صوت العجل، والجوار: مثله، وفعل الخوار خار يخور خوارًا، وفعل الجوار جأر يجأر جوارًا، وأما خور يخور خورًا فمعناه: جبن وضعف .

(٣) أي: عادوا إلى الحق فتضرعوا إلى الله تعالى ودعوه معترفين بخطئهم مستغفرين ربهم؛ رجاء أن ينجيهم من الخسران .

مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٧﴾

إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَجَلَ: أي إلهها عبده. ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وِذْلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وَكذَلِكَ بَحْرَى الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٦﴾: الكاذبين على الله تعالى بالشرك به أي بجعل شريك له. ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ: أزال غضبه وسكنت نفسه من القلق والاضطراب.

أَخَذَ الْأَلْوَابُ: أي من الأرض بعد أن طرحها فتكسرت.

وَفِي سُخْرِيهَا: أي وفيما نسخه منها بعد تكسرها نسخة فيها. ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ .

لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٦﴾: يخافون ربهم ويخشون عقابه فلا يعصونه.

وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا: أي أخذ خيار قومه وهم سبعون رجلاً.

لِمِيقَاتِنَا: أي للوقت الذي حددناه له لياتينا مع سبعين رجلاً.

فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الصاعقة التي رجفت لها القلوب. ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ

وَأِنِّي﴾ .

أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا: جمع سفيه: وهو الذي لا رشد له في سائر تصرفاته، وهم من عبدوا

العجل كمن سألوا رؤية الله تعالى.

إِنَّ هِيَ إِلَّا أَلْفَانَاكَ: أي ما هي إلا فنتتك: أي اختبارك لأهل الطاعة من عبادك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ

وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ .

أَنْتَ وَلِيْنَا: أي المتولي أمرنا وليس لنا من ولي سواك. ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾

﴿وَاصْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ .

إِنَّا هَدَانَا إِلَيْكَ: أي رجعنا إليك وتبنا. ﴿قَالَ عَدَائِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ

﴿١﴾ فَسَأَلْتُنَّهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزُّكُوتَ وَالَّذِينَ هُمْ بِتَابِينَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٦﴾ .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ: الذي لا يقرأ ولا يكتب. ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ

فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ

عَنِ الْمُنْكَرِ: المعروف ما عرفه الشرع والمنكر: ما أنكره الشرع.

وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ: أي ياذن الله والخبائث: جمع خبيثة: كالميتة

مثلاً.

(١) أي لم تضق عن مخلوق من المخلوقات التي أراد الله رحمتها. يحكى أن إبليس عليه لعائن الله لما سمع هذه

الآية قال: أنا شيء. فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَلْتُنَّهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ﴾ فقالت اليهود والنصارى: نحن متقون. فقال

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ فخرجوا وبقيت لهذه الأمة وحدها.

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ<sup>(١)</sup> وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ: الإصر: العهد، والأغلال: الشدائد في الدين.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ: أي دوه مع توقيره وتعظيمه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾  
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ: القرآن الكريم.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾ الفائزون أي: الناجون من النار الداخلون في الجنة. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: أي لا معبود بحق إلا الله. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ: المنبئ عن الله والمنبأ من قبل الله تعالى، والأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب نسبة إلى الأم لأنه ما زال لم يفارق أمه فلم يتعلم بعد.  
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ: الذي يؤمن بالله ربًا وإلهًا، وبكلماته التشريعية والكونية القدرية.

وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧٨﴾ ترشدون إلى طريق كمالكم وسعادتكم في الحياتين.  
وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ: أي جماعة يهدون أنفسهم وغيرهم بالدين الحق، بواسطة ما شرع لهم وهداهم به من الوحي الذي أنزل على رسله وأنزل به كتبه.  
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٧٩﴾ في قضائهم وحكمهم على أنفسهم وعلى غيرهم إنصافًا وعدلًا لا جور ولا ظلم.

وَقَطَّنَهُمْ<sup>(٢)</sup> أَثْنَتَى عَشْرَةَ أَشْبَاطًا أُمَمًا: جمع سبط وهو بمعنى القبيلة عند العرب ﴿أُمَمًا﴾ بدل من ﴿أَشْبَاطًا﴾ وفائدته: الإخبار بأنهم باركهم الله تعالى فأصبح أهل كل سبط أمة كاملة والسبط أصله شجر يقال له السبط تعلقه الإبل.  
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ: أي طلبوا منه الماء لعطشهم.  
أَبِ أَضْرِبِ بَعْضَكَ الْحَجَرَ فَأَنْجَسَتْ مِنْهُ: فانفجرت منه. ﴿أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ﴾

وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى: المن: حلو كالعسل تنزل على أوراق الأشجار، والسلوى:

(١) تقدم لفظ الإصر وهو دال على جمع لأنه مصدر يقع على الواحد والجمع ولذا عطف عليه الأغلال، وجمع الإصر: أصرار، ومعناه الثقل الذي يصعب معه التحرك، والأغلال جمع غل، وهو إطار من حديد يجعل في عنق الأسير، والمراد من الأصار والأغلال التكاليف الشرعية الشاقة التي اشتملت عليها التوراة منها: ترك العمل يوم السبت قيل: ومن أشدها عدم مشروعية التوبة من الذنوب، وعدم استتابة المجرم.  
(٢) التقطيع: الشدة في القطع والمراد به التقسيم إلى اثنتي عشرة فرقة كل فرقة بمنزلة القبيلة العربية حيث تنسب إلى أبيها الأعلى أي الأول.

طائر لذيذ لحمه (١)

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٦﴾ (٢)

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ: هي حاضرة فلسطين. ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾

اسم القرية: أريحا، وكلمة فلسطين عامة في القطر كله.

وَقُولُوا حِطَّةٌ: أي احطط عنا خطايانا بمعنى الإعلان عن توبتهم. ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفْعًا لَكُمْ حَظِيَّتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجًّا مِنَ السَّمَاءِ: أي عذابًا من عند الله تعالى. ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١٦٨﴾

وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ: أي على شاطئه وهي مدينة من مدن أرض القدس (٣)

إِذْ يَعَدُونَ فِي السَّبْتِ: أي يعتدون وذلك بالصيد المحرم عليهم فيه.

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانَهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ: أي يوم راحتهم من أعمال الدنيا وهو يوم السبت. والذي قد حرم الصيد فيه.

شَرَعًا: جمع شارع أي: ظاهرة بارزة تغريهم بنفسها.

وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ: أي في باقي أيام الأسبوع. ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ إذا هم مبتلون.

كَذَلِكَ بَنَلُوهُمْ: أي نمتحنهم ونختبرهم بالتشديد عليهم فيما يشرع لهم.

بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾: أي بسبب ما أعلنوه من الفسوق وهو العصيان. ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾

قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ: أي ننهاهم فإن انتهوا فذاك؛ وإلا فنهيها يكون عذرًا لنا عند ربنا.

وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ ﴿١٧٠﴾ فيتوبوا ويتركوا هذا الاعتداء.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ: أي أهملوه وتركوه فلم يمتثلوا ما أمروا به ولا ما نهاوا عنه، ومعنى نسوا تركوا ولم يلتفتوا إلى وعظ إخوانهم لهم بعدم الصيد يوم السبت.

(١) يقال له: السمان، بضم السين وفتح النون على وزن حبارى.

(٢) أو ما ظلمونا بتمردهم وعدم طاعتهم لربهم حتى نزل بهم ما نزل من البلاء ولكن ظلموا أنفسهم فعرضوها للبلاء، أما الله تعالى فمحال أن يبلغ العبد ظلمه أو ضره.

(٣) يقال لها «أيلة» والمسماة اليوم بالعقبة على ساحل البحر الأحمر.

(٤) قيل للحسين بن الفضل: هل تجد في كتاب الله تعالى أن الحلال لا يأتيك إلا قوتًا وإن الحرام يأتيك جزفًا جزفًا يعني: بكثرة كاثرة، قال: نعم في قصة داود وأيلة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانَهُمْ...﴾ الآية.

أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ: السوء هو كل ما يسيء إلى النفس من سائر الذنوب والآثام.  
 وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ: أي ذي بأس شديد. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١)  
 فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ: أي ترفعوا وطمغوا فلم يبالوا بالنهي.  
 قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴿١٣٦﴾: القرودة جمع قرد معروف، وخاسئين: ذليلين حقيرين أخساء  
 أي لم يلبثوا ممسوخين حتى هلكوا والعياذ بالله.  
 وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ: أعلم، وأعلن، وأذن وأذن بمعنى واحد.  
 لِيَبْتَلِيَ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ: أي ليلسطن عليهم.  
 مَنْ يَسُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ: أي يذيقهم ويوليههم سوء العذاب، كالذلة والمسكنة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ  
 لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٣٧).  
 وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَمًا: أي فرقناهم جماعات جماعات. ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ  
 دُونَ ذَلِكَ﴾.  
 وَيَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ: اختبرناهم بالخير والشر أو النعم والنقم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٣٨)

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ: الخلف بإسكان اللام: خلف سوء، وبالتحريك خلف خير (٢).  
 وَرَبُّوا الْكِتَابَ: أي التوراة.  
 يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى: أي حطام الدنيا الفاني وهو المال. ﴿وَيَقُولُونَ سَيَعْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ  
 مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ  
 لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٩).  
 وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ: أي يتمسكون بما في التوراة فيحلون ما أحل الله فيها ويحرمون ما  
 حرم. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٤٠).  
 ﴿وَإِذْ نَنْقُضُ الْجَبَلِ فَوْقَهُمْ: أي رفعناه من أصله فوق رؤوسهم (٣).  
 كَانَهُ ظِلَّةً وَطَنُوا أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ: أي ساقط عليهم.  
 خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ: أي التزموا بالقيام بما عهد إليكم من أحكام التوراة بقوة.

(١) اختلف في هل الفرقة القائلة: لم تعظون قوماً.. إلخ نجت من العذاب أو لا؟ وقد روي أن ابن عباس كان يرى أنها لم تنج حتى أقنعه تلميذه عكرمة فقال بنجاتها مع الفرقة الناهية، لأن ترك النهي من الفرقة التي لم تنج كان ليأسهم من استجابة الظالمين.

(٢) الخلف بسكون اللام: الأولاد، الواحد والجمع فيه سواء، والخلة: بفتح اللام البدل ولذا كان أو غيره، وقيل الخلف بالفتح: الصالح وبالجزم: الطالح.

(٣) أي: كأنه لا ارتفاعه سحابة تظل.

وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ : أي لا تنسوا ما التزمتم به من النهوض بأحكام التوراة. وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ : أي أخذهم من ظهر آدم <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ بأرض نعمان من عرفات، قال ابن عباس: بيطن نعمان وإد إلى جنب عرفة.

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَمْ : أي بأنه تعالى ربهم وإلههم ولا رب لهم غيره ولا إله لهم سواه. ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ .

أَفَنُكِّنُكُمْ مَا فَعَلَ الْمُظِلُّونَ ﴿١٧٣﴾ : العاملون بالشرك والمعاصي إذ كلها باطل لا حق فيه. وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ : نبينها ونوضحها بتنوع الأساليب وتكرار الحجج وضرب الأمثال وذكر القصص. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ .

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ : اقرأ عليهم. نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا . فأنسلخ منها : كفر بها وتركها وراء ظهره مبتعداً عنها. فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ : لحقه وأدركه.

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ : من الضالين غير المهتدين الهالكين غير الناجين. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ .

وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ : مال إلى الدنيا وركن إليها وأصبح لا هم له إلا الدنيا. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ .

إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ : اللهث: التنفس الشديد مع إخراج اللسان من التعب والإعياء. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ . سَاءَ : قبح.

مَثَلًا : أي صفة. ﴿الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ : خلقنا لجهنم أي: للتعذيب بها والاستقرار فيها. ﴿كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ . هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا : كلام الله ولا كلام رسوله. وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا : آيات الله في الكون. وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا : الحق والمعروف.

(١) إن الله تعالى أخرج من صلب آدم ذريته فأنطقها بقدرته التي لا يعجزها شيء فنطقت وعقلت الخطاب واستشهدا فشهدت، وخاطبها ففهمت وأمرها فالتزمت، وهذا العهد العام الذي أخذ على بني آدم، وسوف يطالبون به يوم القيامة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ...﴾ .

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ : البهائم في عدم الانتفاع بقلوبهم وأبصارهم وأسماعهم. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (١).  
 أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧١﴾ : أي عن آيات الله وما خلقوا، وما يراد لهم وبهم.  
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا : الأسماء جمع اسم والحسنى مؤنث الحسن، والأسماء الحسنى  
 لله خاصة دون غيره فلا يشاركه فيها أحد من مخلوقاته.  
 وَذَرُوا : اتركوا.

الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ : يميلون بها إلى الباطل. ﴿سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧٢).  
 وَمِمَّنْ خَلَقْنَا : أي من الناس. ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٧١).  
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا : أي بآيات القرآن الكريم.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٢﴾ : أي نستميلهم وهم هابطون إلى هوة العذاب درجة بعد  
 درجة حتى يتتهوا إلى العذاب. وذلك بإدراج النعم عليهم مع تماديهم في التكذيب والعصيان حتى  
 يبلغوا الأجل المحدد لهم ثم يؤخذوا أخذة واحدة.

وَأَمَلِ لَهُمْ إِيَّاكَ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٧٣﴾ : أي أمهلهم فلا أعجل بعقوبتهم حتى يتتهوا إليها بأعمالهم  
 الباطلة، وهذا هو الكيد لهم وهو كيد متين شديد.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنَ جَنَّةٍ : صاحبهم هو محمد ﷺ، والجنة الجنون، والمتحدث  
 عنهم كفار قريش. ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٧٤).

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ملك السموات إلا أن لفظ الملكوت أعظم من  
 لفظة الملك. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾.

فِإَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ: يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٥﴾ : أي بعد القرآن العظيم.

مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَيِّ هَادِي لَهُ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ : أي يتركهم في كفرهم وظلمهم.

يَعْمَهُونَ ﴿١٧٦﴾ : حيارى يترددون لا يعرفون مخرجاً ولا سبيلاً للنجاة.

يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ : أي الساعة: بمعنى الوقت الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا بالفناء التام.

إِنَّا نُرْسِلُهَا : أي متى وقت قيامها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قُبَّهَا إِلَّا هُوَ﴾ : أي لا يظهرها في  
 وقتها المحدد لها إلا هو ﷻ.

تَقَلَّتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ثقل أمر علمها عند أهل السموات والأرض.

لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً : أي فجأة بدون توقع أو انتظار.

يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا : أي ملحف مبالغ في السؤال عنها حتى أصبحت تعرف وقت مجيئها.

﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٧٧) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) قال عطاء: الأنعام تعرف الله والكافر لا يعرفه، وقيل: الأنعام: بعة لله، والكافر غير مطيع.

وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ: الغيب ما غاب عن حواسنا وعن عقولنا فلم يدرك بحاسة، ولا بعقل. والمراد به هنا: ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد. وَمَا مَسْنَى السُّوءِ: كل ما يسوء العبد في روحه أو بدنه. إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ: أي ما أنا إلا نذير وبشير فلست بإله يدبر الأمر ويعلم الغيب. ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٨٨).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: هي نفس آدم ﷺ.

وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا: أي خلق منها زوجها وهي حواء خلقها من ضلع آدم الأيسر. لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا: أي ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه. فَلَمَّا تَعَشَّهَا: أي وطئها.

حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ: أي ذاهبة جائئة تقضي حوائجها لخفة الحمل في الأشهر

الأولى.

فَلَمَّا أَثَقَلَتْ: أي أصبح الحمل ثقيلاً في بطنها.

دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا: أي ولدا صالحا ليس حيوانا بل إنسانا. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ (١٨٩).

جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا: أي سمّوه عبد الحارث وهو عبد الله ﷺ، حيث سمته حواء عبد الحارث بتغيير (١) من إبليس، إذ اقترح عليهما هذه التسمية، وهي من الشرك الخفي المعفو عنه نحو لولا الطيب هلك فلان.

فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾: أي أهل مكة حيث أشركوا في عبادة الله أصناما. ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾.

وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى: أي الأصنام. ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاهُ عَلَيْكُمْ﴾: ادْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمْتُونَ ﴿١٩٣﴾.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ: أي مملوكون مخلوقون أمثالكم لمالك واحد هو الله رب العالمين. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٩٤) أَلْهَمَ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴿١٩٥﴾.

قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ: أصنامكم التي تشركون بها.

ثُمَّ كِيدُونِ: بما استطعتم من أنواع الكيد.

فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾: أي فلا تمهلون لأنني لا أبالي لكم.

(١) رواه أحمد والترمذي والحاكم في المستدرک، قال ابن كثير: وهذا الحديث معلول وقد رجح ﷺ كونه موقوفاً على الصحابي وبين أنه غير مرفوع، وضعف ما ورد من آثار كما قال ذلك محقق مختصر ابن كثير.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ: أي المتولي أموري وحمايي ونصرتي الله. ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (١٨٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ ﴿١٨٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ﴿١٨٨﴾.

وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ: أي وترى الأصنام المنحوتة على شكل رجال ينظرون إليك، إذا قابلتهم لأن أعينهم مفتوحة دائماً. ﴿وَهُمْ لَا يَصِيرُونَ﴾ (١٨٨) ﴿، وهل تبصر الصور والتمثيل؟﴾ (١).

حُدِّ الْعَمَىٰ: ما كان سهلاً لا كلفة فيه وهو ما يأتي بدون تكلف.

وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ: أي المعروف في الشرع بالأمر به أو الندب إليه.

وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٨٩﴾: الجاهلون: هم الذين لم تستر قلوبهم بنور العلم والتقوى، والإعراض عنهم بعدم مواخذتهم على سوء قولهم أو فعلهم (٢).

وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ: نزغ الشيطان: أي وسوسته بالشر.

فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٩٠﴾: أي قل أعوذ بالله يدفعه عنك إنه أي: الله سميع عليم.

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي الشرك والمعاصي.

إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ: أي ألم بهم شيء من وسوسته.

تَذَكَّرُوا: أمر الله ونهيه ووعده ووعيده. ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢١).

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ: أي إخوان الشياطين من أهل الشرك والمعاصي يمدونهم في

الغي.

﴿ثُمَّ لَا يَفْقِرُونَ﴾ (٢٢) ﴿: أي لا يكفون عن الغي الذي هو الضلال والشر والفساد.

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ: كما طلبوا.

قَالُوا لَوْلَا آجَبْتَيْتَهُمْ: أي اخترعتها واختلقتها من نفسك وأتيتنا بها (٣). ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنشِئُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

مِنْ رَبِّي﴾.

هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ: أي هذا القرآن حجج وبراهين وأدلة على ما جئت به وأدعوكم إليه

فهو أقوى حجة من الآية التي تطالبون بها. ﴿وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٣).

وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَعِذُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا: أي اطلبوا سماعه وتكلفوا له وأنصتوا عند ذلك

(١) وجائز أن يكون المراد بـ ﴿وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ المشركون أنفسهم، وكونهم ﴿لَا يَصِيرُونَ﴾ لأنهم لم يتفعلوا بأبصارهم.

(٢) الإعراض عن الجاهلين يكون بعد دعوتهم إلى الحق وإقامة الحجة عليهم فإن لم يستجيبوا يعرض عنهم آذوه أو لم يؤذوه.

(٣) وجائز أن يكون المراد من الآية: آية قرآنية يمدحهم فيها ويمدح أصنامهم و﴿لَوْلَا﴾ هنا أداة تحضيض مثل هلا ولا يليها إلا الفعل ظاهراً أو مضمراً.

أي: اسكتوا حتى تسمعوا سماعاً ينفعكم <sup>(١)</sup>. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ (٢٤) واذكر ربك في نفسك تضرعاً ﴿وَخِيفَةً: أي خوفاً. ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾  
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ: الغدو: أول النهار، والآصال: أواخره.  
 وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٥): أي عن ذكر الله تعالى.  
 إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ: أي الملائكة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾  
 وَيَسْبِحُونَهُ: ينزهونه بألسنتهم بنحو سبحان الله ويحمده <sup>(٢)</sup>. ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٢٦)



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظافاً له واحتراماً، لا كما يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِنَدَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ﴾ الآية، ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة). (قل).  
 (٢) تسييح الملائكة معناه: تعظيمهم لله تعالى وتزيههم له عز وجل عن الشريك والولد.

## ٨ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ

«مَدْيَنِيَّةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ : جمع نفل بتحريك الفاء: ما يعطيه الإمام لأفراد الجيش تشجيعاً لهم.  
﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ : أي حقيقة بينكم، والبين الوصلة والرابطة التي تربط  
بعضكم ببعض من المودة والإخاء. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ : أي الكاملون في إيمانهم.

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ : أي خافت، إذ الوجل: هو الخوف لا سيما عند ذكر وعيده  
ووعده. ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ زَادَتْ بِهِمْ إِيمَانًا﴾

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) : على الله وحده يعتمدون ولأمرهم يفوضون. الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ : أي أعطيناهاهم. ﴿يُنْفِقُونَ﴾ (٣)

أُولَئِكَ : أي الموصوفون بالصفات الخمس السابقة. ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ : منازل عالية في الجنة.

وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) : أي عطاء عظيم من سائر وجوه النعيم في الجنة.

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ : أي المدينة النبوية.

بِالْحَقِّ : متلبساً به حيث خرجت بإذن الله.

وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ (٥) : أي الخروج للقتال. ﴿يَجِدُوا لَكُمْ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيْنَ كَانَمَا

يَسْأَلُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٦)

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ : العير القافلة أو النفير: نفير قريش وجيشها.

وَقَوَّدُوهُنَّ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ (١) : السلاح في الحرب. ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ

الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧)

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ : أي يظهر بطلانه بقمع أهله وكسر شوكتهم وهزيمتهم.

(١) ﴿وَقَوَّدُوهُنَّ﴾ أي تحبون أن تكون ﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ وهي عير أبي سفيان ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ وذلك لأنها  
مغنم بلا مغرم لقله عددها وعُددها.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٠﴾ : كفار قريش المشركون.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ : أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على أعدائكم. ﴿فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

أَيُّ مِيدَانٍ يَأْتِي مِنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١١﴾ : أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين.  
وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى : أي الإمداد بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر. ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إِذْ يُغِيثُكُمُ الثُّعَاسَ : أي يغطيكم به، والنعاس: نوم خفيف جدًا.

أَمَنَةٌ : أي أمانًا من الخوف الذي أصابكم لقتلكم وكثرة عدوكم (١).  
مِنَهُ : أي من الله تعالى. ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

وَيُدْهَبُ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ : وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم.

وَلِيُرِيْبَطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ : أي يشد عليها بالصبر واليقين.

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٢﴾ : أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال (٢). ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأِكَةِ أِنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ : الخوف والفرع. ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾.

وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ : أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب

والمشي.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله. ﴿وَمَنْ

يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١٣).

ذَلِكَ فِدْوَقُهُ : أي العذاب فذوقوه.

وَأَنْتَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابُ النَّارِ ﴿١٤﴾ : أي في الآخرة. ﴿يَنَالُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

رَحَقًا : أي زاحفين لكثرتهم ولبطء سيرهم كأنهم يزحفون على الأرض.

فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ : أي لا تنهزموا فتفروا أمامهم فتولوهم أديباركم.

وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ : أي مائلًا من جهة إلى أخرى ليتمكن من ضرب

العدو وقتاله.

أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَى فِتْنَةٍ : أي يريد الانحياز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل.

(١) ذكر ابن القيم رحمته الله كلامًا عن أحد السلف معناه: (النوم عند الخوف وعند القتال من الرحمن، والنوم عند العلم وعند تلاوة القرآن من الشيطان). (قل).

(٢) هذا عائد على الماء الذي شد دهن أرض الوادي، ويصح أن يكون عائدًا إلى ربط القلوب، فيكون تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في الحرب.

فَقَدْ بَاءَ بِعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ: أي رجع من المعركة مصحوبًا بغضب من الله تعالى لمعصيته إياه. ﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وَلِيَسْبِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا: أي لينعم عليهم بنعمة النصر والظفر على قلة عددهم فيشكروا. ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾: موهن: أي مضعف.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا: والخطاب للمشركين: أي تطلبوا الفتح وهو القضاء بينكم وبين محمد ﷺ. فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ: وهي هزيمتهم في بدر.

وَإِنْ تَنْهَوُا: أي تكفوا عن الحرب وتدخلوا الإسلام.

فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوْا: للحرب والكفر. ﴿نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ﴾.

فِتْنَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ: أي مقاتلتكم من رجالكم الكثيرين. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ: أي لا تعرضوا عن طاعته إذا أمركم أو نهاكم. وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾: كأنكم لا تسمعون. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُيُوتِ﴾: أي شر ما يدب على الأرض الكافرون. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ: لجعلهم يسمعون أو لرفع المانع عنهم فسمعوا واستجابوا. ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ: اسمعوا وأطيعوا.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ: أي لما فيه حياتكم ولما هو سبب في حياتكم كالإيمان والعمل الصالح والجهاد. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وَأَتَّقُوا فَتْنَةَ: أي عذابًا تفتنون به كالحقن أو المرض أو تسلط العدو.

لَا تُضَيِّبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً: أي بلاء يعم الصالح والطالح وذلك بسبب عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَكِيدُ الْعُقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ: أي ضعفاء أمام أعدائكم يرونكم ضعفاء فينالون منكم. ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ﴾.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ: جمع طيب من سائر المحللات من المطاعم والمشارب وغيرها.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾: رجاء أن تشكروه تعالى بصرف النعمة في مرضاته.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ : أي بإظهار الإيمان والطاعة ومخالفتها في الباطن.  
وَتَحْنُوا أَمْنَتِكُمْ : أي ولا تخونوا أمانتكم التي يأتين عليها بعضكم بعضًا. ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

﴿٢٧﴾

وَعَلِمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ : أي الاشتغال بذلك يفتنكم عن طاعة الله ورسوله.  
﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَقَوُّوا اللَّهَ : أي بامتنال أمره واجتناب نهيهِ في المعتقد والقول والعمل.  
يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا : نورًا في بصائرهم تفرقون به بين النافع والضار والصالح والفساد.  
وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ : أي يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه.  
وَيَغْفِرَ لَكُمْ : أي ذنوبكم نغطيها فنسترها عليكم فلا يفضحكم بها ولا يؤاخذكم عليها. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي يبيتون لك ما يضرك.

لِيُثْبِتُوكَ : أي ليحبسوك مثبتًا بوثاق حتى لا تفر من الحبس. ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾  
أَوْ يُخْرِجُوكَ : أي ينفوك بعيدًا عن ديارهم.

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ : أي يدبرون السوء ويبتون لك المكروه، والله تعالى يدبر لهم ما يضرهم  
أيضًا ويثبت لهم ما يسوءهم. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا : آيات القرآن الكريم. ﴿فَالْوَأَقْدَ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾

إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ : الأساطير: جمع أسطورة ما يدون ويسطر من أخبار  
الأولين.

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ : أي يا الله حذف ياء النداء من أوله وعوض عنها الميم من آخره.

إِنْ كَانَتْ هَذَا : أي الذي جاء به محمد ويخبر به.

هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا : أنزل علينا. ﴿حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ آسِئٍ﴾ ﴿٣٢﴾  
وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يُعَذِّبُهُمْ  
اللَّهُ. ﴿٣٤﴾

وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : يمنعون الناس من الدخول إليه للاعتمار. ﴿وَمَا كَانُوا  
أَوْلِيَاءَهُ؛ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً : تصفيرًا.

وَتَصَدِيدَةً : تصفيقًا. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي كذبوا بآيات الله ورسالة رسوله محمد ﷺ من قريش. ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

لِيُصَدِّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

فَسَيَفْقُوْنَهَا ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً : أي شدة ندامة.

ثُمَّ يُعْلَبُوْنَ : أي يهزمون. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٦)

لِيَمِيزَ اللَّهُ : أي ليميز كل صنف من الصنف الآخر.

الْحَيْثُ : هم: أهل الشرك والمعاصي.

مِنَ الطَّيِّبِ : هم: أهل التوحيد والأعمال الصالحة. ﴿وَيَجْعَلُ الْحَيْثُ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

فَيَرْكُمُهُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ : أي يجعل بعضه فوق بعض في جهنم. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ

الْخٰسِرُونَ﴾ (٣٧)

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوْا : عن الكفر بالله ورسوله و حرب الرسول والمؤمنين.

يُعَفِّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ : أي ماضي من ذنوبهم من الشرك و حرب الرسول والمؤمنين.

وَإِنْ يَعْودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ : في إهلاك الظالمين.

وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُوْنُ فِتْنَةٌ : أي شرك بالله واضطهاد وتعذيب في سبيل الله.

وَيَكُوْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ : أي حتى لا يعبد غير الله. ﴿فَإِنِ أَنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

بَصِيْرٌ﴾ (٣٩)

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوْا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ : متولي أمركم بالنصر والتأييد. ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيْرُ

﴿٤٠﴾

﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوْا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ : أي ما أخذتموه من مال الكفار قهراً لهم وغلبة قليلاً كان أو

كثيراً.

فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَلِلرَّسُوْلِ : أي خمس الخمسة الأقسام يكون لله وللرسول.

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ : هم قرابة الرسول ﷺ من بني هاشم وبني المطلب. ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِيْنَ

وَأَبْنِ السَّبِيْلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا : أي من الملائكة والآيات.

يَوْمَ الْفُرْقَانِ : أي يوم بدر وهو السابع عشر من رمضان، إذ فرق الله بين الحق والباطل.

يَوْمَ أَلْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ : جمع المؤمنين وجمع الكافرين ببدر. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ (٤١)

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّيَارِ : العدو: حافة الوادي، وجانبه، والدنيا: أي القريبة إلى المدينة.

وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوْىِ : أي البعيدة من المدينة إذ هي حافة الوادي من الجهة الأخرى.

وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ : أي ركب أبي سفيان وهي العير التي خرجوا من أجلها. أسفل

منكم مما يلي البحر. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ﴾

وَلَكِنْ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا : أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر

للقتال لاختلقتم لأسباب تقتضي ذلك، منها أنكم قلة وهم كثرة.

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ: أي بالكفر.

عَنْ بَيْنَةٍ: أي حجة ظاهرة. ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيًّا عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرْنٰكُهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ﴾.

وَلَنَنْزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ: أي اختلفتم. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُ عَلَيْهِ بُدَاتِ الْأُصْدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمَيَّنْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾.

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ: هذا قبل الالتحام أما بعد فقد رأوهم مثلهم حتى تتم الهزيمة لهم. ﴿يَقْضِي اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَيْسَتْ فَتًى: طائفة مقاتلة.

فَأَتَبَتُوا: لقتالهم واصمدوا.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا: مهللين مكبرين راجين النصر طامعين فيه سائلين الله تعالى ذلك.

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾: تفوزون بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة في الدنيا والنار في الآخرة. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وَلَا تَتَنَزَّعُوا فَنَفْسُوا: أي لا تختلفوا وأنتم في مواجهة العدو أبدًا.

وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ: أي قوتكم بسبب الخلاف. ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا: أي للبطر الذي هو دفع الحق ومنعه.

﴿وَرِضَاءِ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنُ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾.

وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ: أي مجير لكم ومعين على عدوكم.

فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئْتَانِ: أي التقتا ورأى كل منهما عدوه.

نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ: أي رجع إلى الوراء هاربًا، لأنه جاءهم في صورة سراقه بن مالك. ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾.

إِنِّي أَرَبِي مَا لَا تَرَوْنَ: من الملائكة. ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ: أي ضعف في إيمانهم وخلل في اعتقادهم.

غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ: وإلا لما خرجوا لقتال قريش وهي تفوقهم عددًا وعدة فكان قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ: أي يقبض أرواحهم لإماتتهم.

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ: أي يضربونهم من أمامهم ومن خلفهم (١). ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ

(١) يقال لهم عند قبض أرواحهم، إذ بمجرد أن تقبض الروح يلقى بها في جهنم، كما يقال لهم يوم القيامة ذلك من

الْحَرِيقِ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ﴿٥٨﴾

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٩﴾: أي ليس بذئ ظلم للعبيد كقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٥٩﴾ كَدَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴿٦٠﴾: أي دأب كفار قريش كدأب آل فرعون في الكفر والتكذيب، والدأب العادة. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَعَمَّهَا عَلَى قَوْمٍ: تغيير النعمة بتدليلها بنقمة بالسلب أو تعذيب أهلها. ﴿حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بَانَ لَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾

كَدَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴿٦٠﴾: هم كل من كان على دينه من الأقباط مشاركا له في ظلمه وكفره. ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلًّا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ: من إنسان أو حيوان الذين ذكر الله وصفهم وهم بنو قريظة. الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾: لما علم الله تعالى من حالهم أخبر أنهم يموتون على الكفر. الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ: أي يحلونه ويخرجون منه فلا يلتزمون بما فيه. فِي كُلِّ مَرْوَةٍ: أي عاهدوا فيها. ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

فَأِمَّا تَشْتَقِيهِمْ: أي إن تجدنهم، و(ما) مزيده أدغمت فيه إن الشرطية. ﴿فِي الْحَرْبِ﴾ ﴿٥٩﴾ فَشَرَّ دِيْبِهِمْ: أي فرق وشتت. ﴿مَنْ حَلَفَهُمْ﴾ ﴿٥٩﴾

لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾: أي يتعظون. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ ﴿٥٧﴾ فَأُنذِرْ الْبَنِيَّةَ: أي اطرح عهدهم.

عَلَىٰ سِوَاءٍ: أي على حال من العلم تكون أنت وهم فيها سواء، أي كل منكم عالم بنقض المعاهدة، وذلك يكون جهرا لا سرا.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخَافِينَ ﴿٥٨﴾: الغادرين بعهودهم.

وَلَا يُحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا: أي فاتوا الله ولم يتمكن منهم ﴿٥٩﴾. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ: هيثوا وأحضروا. مَا اسْتَطَعْتُمْ: ما قدرتم عليه.

مِنْ قَوْمٍ: أي حربية من سلاح على اختلاف أنواعه. ﴿وَمِنْ رَبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿٥٩﴾ يَوْفَ إِلَيْكُمْ: أي أجره وثوابه. ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾

قبل الملائكة.

(١) وجائز أن يكون المراد: ﴿كَدَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أي في تعذيبهم عند قبض أرواحهم، وفي قبورهم ويوم القيامة.

(٢) أي: من أفلت من وقعة بدر سبق إلى الحياة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: أي في الدنيا حتى يظفرك الله بهم.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ : أَي مَالُوا إِلَى عَدَمِ الْحَرْبِ وَرَغَبُوا فِي ذَلِكَ .﴾ فَاجْتَحَ لَهَا وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ : أَي يَكْفِيكَ شَرُّهُمْ وَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ .﴾ هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِتَصْرُوهِ وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ .

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ : أَي جَمَعَ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَنْصَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُتَنَافِرَةً مُخْتَلِفَةً .﴾ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴿٦٣﴾ .

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ : أَي غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، حَكِيمٌ فِي فِعْلِهِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ : أَي كَافِيكَ اللَّهُ كُلَّ مَا يَهْمُكَ مِنْ شَأْنِ أَعْدَائِكَ وَغَيْرِهِمْ .

﴿وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ : أَي اللَّهُ حَسْبُهُمْ كَذَلِكَ أَي : كَافِيهِمْ مَا يَهْمُهُمْ مِنْ أَمْرِ أَعْدَائِهِمْ .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ : أَي حَثَّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ مَرغَبًا لَهُمْ مَرغَبًا .

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبَرُونَ : أَي عَلَى الْقِتَالِ فَلَا يَضَعْفُونَ وَلَا يَنْهَضُونَ بَلْ يَشْتُونَ وَيَقَاتِلُونَ .

﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٦٦﴾ .

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٧﴾ : أَي لَا يَعْرِفُونَ أَسْرَارَ الْقِتَالِ وَنَتَائِجَهُ بَعْدَ فَنُونِهِ وَحَذَقَ أَسَالِيهِه .

﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ ﴿٦٨﴾ .

﴿وَعَلِمَ أَنْتَ فِيكُمْ ضَعْفًا : حَيْثُ لَا يَقْوَى الْوَاحِدُ عَلَى قِتَالِ عَشْرَةٍ وَلَا الْعَشْرَةُ عَلَى قِتَالِ مِائَةٍ

فَنَسَخَ الْحُكْمَ الْأَوَّلَ بِالثَّانِي الَّذِي هُوَ قِتَالُ الْوَاحِدِ لِثَلَاثِينَ، وَالْعَشْرَةُ لِلْعَشْرِينَ وَالْمِائَةُ لِلْمِائَتِينَ

وَالْأَلْفُ لِلْأَلْفِينَ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ

أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿١﴾ .

﴿مَا كَانَتْ لِيَنْبَغَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى : جَمَعَ أَسِيرٌ وَهُوَ مَنْ أَخَذَ فِي الْحَرْبِ يَشُدُّ عَادَةَ بِإِسَارٍ وَقِيدٍ مِنْ

جِلْدٍ فَأَطْلَقَ لَفْظَ الْأَسِيرِ عَلَى كُلِّ مَنْ أَخَذَ فِي الْحَرْبِ .

﴿حَتَّى يُتَخَرَّجَ فِي الْأَرْضِ : أَي تَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ يَرْهَبُ بِهَا الْعَدُو .

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا : أَي الْمَالَ لِأَنَّهُ عَارِضٌ وَيَزُولُ فَلَا يَبْقَى .﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ .

﴿لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ : وَهُوَ كِتَابُ الْمَقَادِيرِ؛ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَلَّ لِنَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْغَنَائِمَ .

﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ : أَي بِسَبَبِ مَا أَخَذْتُمْ مِنْ فِدَاءِ أَسْرَى بَدْرٍ .﴾ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ .

(١) روى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة»

[صححه الألباني في صحيح الجامع].

والمراد أن الغلب إن حصل لن يكون سببه قلة العدد وإنما يكون لأمر آخر كعدم الصبر أو عدم الأخذ بأسباب

النصر التي يتم بها النصر حسب سنة الله.

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا: الحلال هو الطيب فكلمة طيباً تأكيد لحلية اقتضاها المقام، وهذا الإذن واقع بعد تخميس الغنيمة لا على إطلاقه.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ: أي بطاعته و طاعة رسوله في الأمر والنهي. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾  
يَتَأَيَّمُوا لِنَبِيِّهِمْ قُلُوبُهُمْ مِمَّا أُسْرِيَ: أسرى بدر الذين أخذ منهم الفداء كالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا: أي إيماناً صادقاً وإخلاصاً تاماً.

يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ: من مال الفداء. ﴿وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾  
وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ: أي: الأسرى.

فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ: أي من قبل وقوعهم في الأسر وذلك بكفرهم في مكة.

فَأَمَّا كُنْتُمْ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ: أي أمكنكم أنتم أيها المؤمنون منهم فقتلتموهم وأسرتموهم.  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾: عليم بخلقه، حكيم في صنعه وتدييره.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا: صدقوا الله ورسوله وآمنوا بقاء الله وصدقوا بوعده ووعدته.

وَهَاجَرُوا: أي تركوا ديارهم والتحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية.

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي من أجل أن يعبد الله ولا يعبد معه غيره وهو الإسلام.

وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا: أي آووا المهاجرين فضموهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم.

﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَدَّعِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾

وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ: أي طلبوا منكم نصرتهم على أعدائهم. ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾

إِلَّا عَلَى قَوْمٍ مَبِيتٌ وَسَبْحٌ: عهد أي: معاهدة سلم وعدم اعتداء. ﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾

﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.

إِلَّا تَفْعَلُوهُ: أي إن لم توالوا المسلمين وتقاطعوا الكافرين. ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ ﴿١﴾ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ: أي الأقارب من ذوي النسب.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ: في التوارث أي: يرث بعضهم بعضاً. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾﴾



(١) محنة الحرب وما يتبع ذلك من الغارات والجلاء والأسر، وما إلى ذلك من ويلات الحروب، والفساد الكبير: هو ظهور الشرك. اهـ. قال ابن كثير رحمته الله: أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل. اهـ. (قل).

## ٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ

«مدنية»

بِرَاءةً<sup>(١)</sup> : أي هذه براءة بمعنى تبرؤ وتباعد وتخلص. ﴿مَنْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .  
إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ : أي جعلتم بينكم وبينهم عهدًا وميثاقًا. ﴿مَنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ .  
فَيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : أي سيروا في الأرض طالبين لكم الخلاص.  
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ : تبدأ من يوم الإعلان عن ذلك وهو يوم عيد الأضحى. ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزُّ مَعْجِزِي اللَّهِ﴾ .

وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ<sup>(٢)</sup> : مذل الكافرين ومهينهم.

وَأَذَّنُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : إعلان منه تعالى ورسوله. ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ .

يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ : أي يوم عيد<sup>(٣)</sup> النحر. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ . فَإِنْ بُتِمْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزُّ مَعْجِزِي اللَّهِ<sup>(٤)</sup> وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(٥)</sup> إِلَّا الَّذِينَ  
عَاهَدْتُمْ .

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوكُمْ شَيْئًا : أي من شروط المعاهدة وبنود الاتفاقية.

وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا : أي لم يعينوا عليكم أحدًا. ﴿فَأَعْلَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ<sup>(٦)</sup> إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّقِينَ﴾ .

فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ : انقضت وخرجت الأشهر الأربعة التي أمتتم فيها المشركين.

فَأَقْبَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ : أي في أي مكان لقيتموهم في الحل أو الحرم<sup>(٧)</sup> .

وَخَذُواهُمْ : أي أسرى.

وَاحْضَرُوهُمْ : أي حاصروهم حتى يسلموا أنفسهم.

وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ : أي اقعدوا لهم في طرقاتهم وارصدوا تحركاتهم<sup>(٨)</sup> .

فَإِنْ تَابُوا : أي آمنوا بالله ورسوله. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ .

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عليًّا رضي الله عنه : لِمَ لَمْ يَكْتُبْ فِي بَرَاءَةِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ: لَأَنَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَانٌ، وَبِرَاءَةٌ نَزَلَتْ بِالسَّيْفِ لَيْسَ فِيهَا أَمَانٌ. هَذَا أَحَدُ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ فِي عَدَمِ كِتَابَةِ الْبِسْمَةِ فِي بَرَاءَةِ وَهُوَ أَوْجُهٌ.

(٢) وقيل: إنه يوم عرفة، والصحيح ما ذكرناه في التفسير وأنه يوم النحر.

(٣) وليس المراد بالأشهر الحرم الثلاثة السرد، والواحد الفرد التي هي القعدة والحجة والمحرم ورجب بل المراد منها ما هو مبين في التفسير، ومعنى كونها حرمًا أنه يحرم قتال المشركين فيها والتعرض لهم بالسوء والأذى.

(٤) المرصد: مكان الرصد، والرصد: المراقبة وتبعية النظر.

فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ: أي اتركوهم فلا حصار ولا مطاردة ولا قتال. ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).  
وَأِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ: أي طلب جوارك أي: حمايتك. ﴿فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ (١).

ثُمَّ آتَيْنَاهُ مَائِمَةً: أي المكان الذي يأمن فيه. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) كَيْفَ يَكُونُ  
لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿٢﴾.  
فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ: أي لم ينقضوا عهدهم ولم يخلوا بالاتفاقية. ﴿فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ  
الْمُتَّقِينَ﴾ (٧).

كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ: أي يغلبوكم.  
لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ: أي لا يراعوا فيكم ولا يحترموا.  
إِلَّا وَلَا ذِمَّةً: أي لا قرابة، ولا عهد فالإل: القرابة، والذمة: العهد. ﴿يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى  
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٨).

أَشْرَوْا بِعَايِنَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا: أي باعوا آيات الله وأخذوا بدلها الكفر.  
فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ: أي أعرضوا عن سبيل الله التي هي الإسلام كما صدوا غيرهم أيضًا.  
إِنَّهُمْ سَاءٌ: أي قبيح. ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩).  
لَا يَرْقُبُونَ: أي لا يراعون. ﴿فِي مُؤْمِنِينَ﴾.

إِلَّا وَلَا ذِمَّةً: الإل: الله، والقرابة والعهد وكلها صالح هنا. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١٠).  
فَإِنْ تَابُوا: أي من الشرك والمحاربة. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ  
وَنَفَضَلُ الْأَيْمَنِ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ﴾ (١١).

وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ: أي نقضوا وغدروا. ﴿مَنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ﴾.  
وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ: أي انتقدوا الإسلام في عقائده أو عباداته ومعاملاته.  
فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ: أي رؤساء الكفر المتبعين والمقلدين في الشرك والشر والفساد. ﴿إِنَّهُمْ  
لَا آيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (١٢).

الْأَتَقَاتِلُونَ قَوْمًا: ألا أداة تحضيض.

نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ: نقضوها وحلوا فلم يلتزموا بها.

وَهُمْ أَيْخِرَاجُ الرَّسُولِ: من دار الندوة، إذ عزموا على واحدة من ثلاث: الحبس أو النفي أو القتل.

(١) الآية دليل على أن ما يسمع من صوت القارئ للقرآن هو كلام الله تعالى فيقول العبد: سمعت كلام الله حقًا وصدقًا.

(٢) ﴿كَيْفَ يَكُونُ﴾ إلخ كيف: للتعجب نحو قولك: كيف يسبقني فلان؟! في الآية إضمار كلمة غدر أي كيف

يكون لهم عهد مع إضمارهم الغدر بكم؟

وَهُمْ بَدَأُوا وَاكْرَمُوا مَرَّةً: أي في بدر وفرصاء الهجير؛ حيث أعانت قريش بني بكر على خزاعة. ﴿اتَّخَذْتَهُمْ فِتْنَةً أَلَّا يَحْسَبُوا أَنَّ مَحْسُوتَهُمْ إِذْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾. بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ: أي يذلهم ويهينهم. ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ: أي يذهب الغيظ الذي كان بها على المشركين الظالمين. ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا: أي بدون امتحان بالتكاليف كالجهاد<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وَلِجَنَّةٍ: أي دخيلة وهي الرجل يدخل في القوم<sup>(٢)</sup> وهو ليس منهم ويطلعونه على أسرارهم وبواطن أمورهم. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ: أي ليس من شأنهم أو مما يتأتوا بهم. ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾.

أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ: أي بطلت فلا يثابون عليها ولا ينجحون فيها. ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ: أي بالعبادة فيها، وصيانتها وتطهيرها. ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾.

وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ: أي لم يخف أحداً غير الله تعالى.

فَعَسَىٰ أُولَئِكَ: عسى من الله تعالى كما هي هنا تفيد التحقيق أي: هدايتهم محققة<sup>(٣)</sup>.

أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾: أي إلى سبيل النجاة من الخسران والظفر بالجنان.

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ: مكان يوضع فيه الماء في المسجد الحرام ويسقى منه الحجاج مجاناً. وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ: هنا عبارة عن بنائه وصيانته وسدانة البيت فيه.﴾ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(١) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أم: هي المنقطعة بمعنى بل إضراباً عما سبق من الكلام وانتقالاً إلى آخر، والاستفهام للإنكار، والحسبان بمعنى الظن والمعنى كيف تظنون أنكم تتركون بعد فتح مكة دون جهاد لأعداء الله ورسوله، وهم ما زالوا يتآمرون ويتجمعون لقتالكم.

(٢) الوليجة: البطانة، من الولوج في الشيء وهو الدخول فيه، والمراد من هذا الرجل يتخذ من أعداء الإسلام صديقاً يدخل عليه ويدخله عليه؛ فيطلع على أسرار المسلمين للنكاية بهم والتسلط عليهم لإضرارهم وإفسادهم وهلاكهم.

(٣) قالت العلماء: «عسى من الله واجبة أي: ما يرجى بها واجب الوقوع، وقيل: هي هنا بمعنى: خليق، أي: فخليق أن يكونوا من المهتدين».

لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ: إذ عمارة المسجد الحرام مع الشرك والكفر لا تساوي شيئاً.  
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾: أي المشركين لا يهديهم لما فيه كمالهم وسعادتهم. ﴿الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَائِمُونَ ﴿١٢﴾ يُبَشِّرُهُمْ  
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

وَرِضْوَانٍ: أي رضا الله ﷻ عنهم.

وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿١١﴾: أي دائم لا يزول ولا ينقطع. ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ  
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ﴿١١﴾.

أُولِيَاءَ: جمع ولي وهو من تتولاه بالمحبة والنصرة ويتولاك بمثل ذلك.

إِنْ أَسْتَجَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ: أي أحبوا الكفر على الإيمان.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، ومن

أحب من لا تجوز محبته فقد وضع شيئاً في غير موضعه فهو ظالم. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ  
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾.

وَعَشِيرَتُكُمْ: أي قرابتكم من النسب كالأعمام الأبعد وأبنائهم.

وَأَمْوَالٌ أَقْرَبْتُمُوهَا: أي اكتسبتموها.

وَبِحِجْرَةٍ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا: بوارها وعدم رواجها. ﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾.

فَتَرَبَّصُوا: أي انتظروا.

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ: أي بعقوبة هذه المعصية وهو فتح مكة. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ: المواطن جمع موطن بمعنى الوطن وهو محل إقامة

الإنسان، ويطلق على موضع الحرب وموقعها.

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ: وادٍ على بعد أميال مسيرة من الطائف.

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ: أي كثرة عددكم حتى قال من قال: لن تغلب اليوم من قلة.

فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا: أي لم تجز عنكم شيئاً - من الأجزاء - إذ انهزمتم في أول اللقاء.

وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ: أي لم تعرفوا أين تذهبون، وكيف تتصرفون كأنكم

محصورون في مكان ضيق.

بِمَارْحَبَتٍ: أي على رحابتها وسعتها. ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْرِبِينَ ﴿١٥﴾﴾.

(١) لم يذكر الأبناء؛ لأن العادة أن الأبناء تبع لأبائهم وذكر الآباء والإخوان ذكر لأقوى القرابة.

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ: أَي الطَّمَأِينَةَ فِي نَفْسِهِمْ، فَذَهَبَ الْقَلْقُ وَالْاضْطْرَابُ.

وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا: أَي مِنَ الْمَلَائِكَةِ. ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾.

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ: أَي ذُوو نَجَسٍ؛ وَذَلِكَ لِخَبْثِ أَرْوَاحِهِمْ بِالشَّرْكِ. فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا: عَامُ تِسْعَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ.

وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً: أَي فَقْرًا وَفَاقَةً وَحَاجَةً. ﴿فَسَوْفَ يُعْطِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢٨)</sup>.

فَتَبَلَّغُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: أَي إِيمَانًا صَحِيحًا يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوَافَقَةِ

الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ.

وَلَا يُحْرِمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: أَي كَالْخَمْرِ وَالرِّبَا وَسَائِرِ الْمَحْرَمَاتِ.

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ: أَي الْإِسْلَامَ إِذْ هُوَ الدِّينُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ دِينًا سِوَاهُ.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى.

حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ: أَي الْخِرَاجَ الْمَعْلُومَ الَّذِي يَدْفَعُهُ الذَّمِي كُلِّ سَنَةٍ.

عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَغِيرُونَ<sup>(٢٩)</sup>: أَي يَقْدَمُونَ بِأَيْدِيهِمْ لَا يَنْبِيُونَ فِيهِمْ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ صَاغِرُونَ: أَي أَذْلَاءُ

مُنْقَادُونَ لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ هَذَا<sup>(١)</sup>.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ أَيْنُ اللَّهِ: هُوَ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ، وَالْيَهُودُ<sup>(٢)</sup> يَسْمُونَهُ: عِزْرًا.

وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ: هُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ

بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

يُضَاهِيُونَ: أَي يَشَابَهُونَ.

قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ: أَي مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمُ الْمَاضِينَ<sup>(٣)</sup>.

قَسَلَهُمُ اللَّهُ: أَي لَعَنَهُمْ لِأَجْلِ كُفْرِهِمْ.

أَنْ يُؤْفَكُوا<sup>(٤)</sup>: أَي كَيْفَ يَصْرِفُونَ عَنِ الْحَقِّ.

(١) وفسر قوله: ﴿عَنْ يَدٍ﴾ بالقوة على دفع الجزية بأن يكون المطالب بها قادرًا على أدائها لغناه وعدم فقره، وهو تفسير حق لأن الفقير منهم لا يطالب بالجزية في حال فقره، وما في التفسير أصح.

(٢) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ هو كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ..﴾ فهو لفظ عام، والمراد بالخصوص إذا ما كل اليهود قالوا بهذه القولة ولا كل الناس وإنما بعضهم.

(٣) أي: شابه قولهم قول الكافرين من قبلهم وهم أسلافهم الذين قلدوهم أو قول العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن البنت والولد علوًا كبيرًا.

اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ : الأخبار جمع: خبر علماء اليهود، والرهبان جمع راهب عابد النصارى.

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ : أي آلهة يشرعون لهم فيعملون بشرائعهم من حلال وحرام. ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾﴾

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ : أي الإسلام لأنه هادٍ إلى الإِسعاد والكمال في الدارين. بِأَفْوَاهِهِمْ : أي بالكذب عليه والطعن فيه وصرف الناس عنه. ﴿وَيَأْتِيكَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُسَمِّرَ نُورَهُ. وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ : محمدًا ﷺ. ﴿إِلَّاهُدَىٰ وَبَيْنَ الْحَقِّ لِظُهُورِهِ عَلَى الَّذِينَ كُفِرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ : أي بدون حق أباح لهم أكلها.

وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ : أي يصرفون أنفسهم وغيرهم عن الإسلام الذي هو السبيل المفضي بالعبد إلى رضوان الله تعالى.

وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ : يجمعون المال ويدفنونه حفاظًا عليه ولا يؤدون حقه.

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ : هما النقدان المعروفان.

وَلَا يُفْقَهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي حيث رضا الله كالجهاد وإطعام الفقراء والمساكين.

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ : أي أخبرهم بعذاب أليم: أي موجع.

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ : لأنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها ثم تكوى بها جباههم. ﴿فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾

هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ : أي يقال لهم عند كيهم بها: هذا ما كنزتم لأنفسكم توييخًا لهم وتقريبًا. ﴿فَلَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

إِنَّ عَذَابَ : أي عدد.

الشُّهُورِ : جمع شهر والشهر تسعة وعشرون يومًا أو ثلاثون يومًا. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾

أَتَانَا عَشْرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ : أي كتاب المقادير: اللوح المحفوظ. ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ : هي رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، الواحد منها حرام والجمع

حرم.

ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ : أي الشرع المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ : أي لا ترتكبوا في الأشهر الحرم المعاصي فإنها أشد حرمة.  
وَقِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً : أي جميعاً وفي كل الشهور حلالها وحرامها. ﴿٢٤٣﴾ كَمَا  
يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً ﴿٢٤٣﴾ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤٣﴾ : أي بالتأييد والنصر، والمتقون هم الذين لا يعصون الله تعالى.  
إِنَّمَا النَّسِيءُ : أي تأخير حرمة شهر المحرم إلى صفر. ﴿٢٤٣﴾ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ  
كَفَرُوا ﴿٢٤٣﴾ .

يُجْلُونَهُ، عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ، عَامًا : أي النسبيء عامًا يحلونه وعامًا يحرمونه.  
لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ : أي ليوافقوا عدد الشهور المحرم وهي أربعة. ﴿٢٤٣﴾ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿٢٤٣﴾ .  
زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِيهِمْ : أي زين لهم الشيطان هذا التأخير للشهر الحرام وهو عمل  
سئ؛ لأنه افتيات على الشارع واحتيال على تحليل الحرام. ﴿٢٤٣﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٣﴾ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ : أي أي شيء ثبت لكم من الأعذار.

إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا : أي اخرجوا مستعجلين مندفعين.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَاتِلُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ : أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً. ﴿٢٤٣﴾ أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ  
الَّذِينَ مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٤٣﴾ إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٤٣﴾ .  
إِلَّا نَضُرُّوهُ : أي الرسول محمدًا ﷺ ﴿٢٤٣﴾ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٤٣﴾ .  
ثَانِي أَثْنَيْنِ : أي هو وأبو بكر ﷺ .

إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ : غار ثور أي: في جبل يقال له: ثور بمكة.

إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هو أبو بكر الصديق ﷺ. ﴿٢٤٣﴾ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا ﴿٢٤٣﴾ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ : أي طمأنينته. ﴿٢٤٣﴾ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ، يَجْتَوِدُ لَمْ تَرَوْهَا ﴿٢٤٣﴾ .

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا : هي الدعوة إلى الشرك.

السُّفْلَى: أي مغلوبة هابطة لا يسمع لها صوت.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلْيَا : أي دعوة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» هي العليا

الغالبة الظاهرة. ﴿٢٤٣﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٣﴾ .

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا: الخفاف: جمع خفيف، وهو الشاب القوي البدن ذا الجدة من زاد

ومركوب، والثقال: جمع ثقل: وهو الشيخ الكبير والمريض والفقير. الذي لا جدة عنده.

﴿٢٤٣﴾ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٢٤٣﴾ .

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ : أي الجهاد بالمال والنفس خير من الثاقل إلى الأرض وترك الجهاد حالاً ومالاً. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤١).

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا : غنيمة في مكان قريب غير بعيد.

وَسَفَرًا قَاصِدًا : أي معتدلاً لا مشقة فيه.

لَا تَتَّبِعُوا وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ : الطريق الطويل الذي لا يقطع إلا بمشقة وعناء (١).  
﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَظَفْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٤٢).

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ : لم يؤاخذك. ﴿لَمْ أَذَنْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣).

لَا يَسْتَعِذُّكَ : أي لا يطلبون منك إذناً بالتخلف عن الجهاد. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّابَتْ قُلُوبُهُمْ : أي شكت في صحة ما تدعو إليه من الدين الحق.

فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ : أي في شكهم.

يَرْتَدِّدُونَ ﴿٤٥﴾ : حيارى لا يشنون على شيء.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً﴾ : لهيئوا له ما يلزم من سلاح وزاد ومركوب.

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أُنْيَعَانَهُمْ : أي خروجهم معكم.

فَتَبَطَّهْمُ : ألقى في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا. ﴿وَقِيلَ  
أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٤٦).

لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ : أي مندسين بين رجالكم.

مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا : الفساد في الرأي والتدبير.

وَلَا وَضَعُوا خَلْلَكُمْ : أي لأسرعوا بينكم بالنميمة والتحرش والإثارة لإبائكم في الفتنة.

يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ : أي بينكم من يكثر السماع لهم والتأثر بأقوالهم المثيرة

الفاسدة. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧).

لَقَدْ اسْتَعَاذَ الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ : أي عند مجيئك المدينة مهاجرًا.

(١) الشقة: بالضم: السفر إلى أرض بعيدة وهي هنا تبوك.

(٢) هؤلاء قوم منافقون قالوا: نستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن لم يأذن لنا قعدنا، أما غير هؤلاء فقد رخص له في الإذن لمن شاء في قوله: ﴿فَأَذِنَ لِمَنْ شَاءَ﴾ من سورة النور.

(٣) القاعدون هم أولو الضرر، والعميان والزمني، والنساء والأطفال

والقاتل لهم أقعدوا هو الرسول ﷺ لما طلبوا منه الإذن بالقعود وجائز أن يكون قاله بعضهم لبعض أو قاله الرسول ﷺ حال غضبه عليهم، أو هو تمثيل لخلق الله تعالى داعية القعود في قلوبهم حتى لا يخرجوا فيفسدوا.

وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ: بالكيد والمكر والاتصال باليهود والمشركين والتعاون معهم.  
حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ: بأن فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا.  
وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤٨﴾: أي لمجيء الحق وظهور أمر الله بانتصار دينه.

وَمِنْهُمْ: أي من المنافقين وهو الجذ بن قيس.  
مَنْ يَكْفُرْ أَشَدَّنْ لِي: أي في التخلف عن الجهاد.

وَلَا نَفْتِي: أي لا توقعني في الفتنة بدعوى أنه إذا رأى نساء الروم لا يملك نفسه.  
أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا: وأي فتنة أعظم من الشرك والنفاق. ﴿وَأَن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ  
بِالْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٩﴾.

إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ: الحسنة كل ما يحسن من نصر وغنيمة وعافية، ومعنى  
تسؤهم أي يكرهون لها ويحزنون. ﴿وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾

يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ: أي احتطنا للأمر ولذا لم نخرج معهم. ﴿وَيَسْتَوْلُوا﴾ ﴿٥١﴾ وَهُمْ  
فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَاسْتَوَكِلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾.

قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: الأولى الظفر بالعدو والاتصار عليه، والثانية:  
الشهادة المورثة للجنة. ﴿وَمَنْ نَرَبَّصْ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾

فَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾: أي انتظروا فإننا معكم من المنتظرين (٢).  
قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا: أي وأنتم طائعون أو أنتم مكرهون على الإنفاق. ﴿لَنْ يُقْبَلَ مِنْكُمْ﴾

إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾: الجملة علة لعدم قبول نفقاتهم. ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ  
نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى (٣): متشاقلون لعدم إيمانهم في الباطن بفائدة الصلاة. ﴿وَلَا  
يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ﴾ ﴿٥٤﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ: أي لا تستحسنوا أيها المسلمون ما عند المنافقين من مال وولد.  
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ: أي تفيض وتخرج من أجسامهم. ﴿وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَخَالِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ

(١) ﴿وَيَسْتَوْلُوا﴾ أي: راجعين إلى بيوتهم ومجالسهم وهم كافرون، فهم متولون في الحقيقة عن الإيمان ﴿فَرِحُونَ﴾ أي: معجبون بنجاحهم المؤقت.

(٢) ﴿فَرَبَّصُوا﴾ هذا الأمر للتهديد والوعيد، كأنما يقول لهم: انتظروا مواعيد الشيطان فإننا منتظرون مواعيد الرحمن وشتان بين ما تنتظر وما تنتظرون!

(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان في جماعة صلى وإذا انفرد لم يصل. أي: المنافق لأنه لا يرجو على الصلاة ثوابًا، ولا يخشى على تركها عقابًا وهذا منشأ الكسل في الصلاة وغيرها من سائر العبادات.

لَيْمِنَكُمْ ﴿١﴾ .

وَمَا هُمْ مِنْكُمْ : أي في باطن الأمر؛ لأنهم كافرون، ووجوههم وقلوبهم مع الكافرين .

وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ : أي يخافون خوفاً شديداً منكم .

لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً : أي مكاناً حصيناً يلجئون إليه .

أَوْ مَعْرَآتٍ : جمع مغارة وهي الغار في الجبل .

أَوْ مَدَخَلًا : أي سرباً في الأرض يستتر فيه الخائف الهارب .

لَوْلَوْ إِلَيْهِ وَهَمَّ يَمْجَحُونَ ﴿٥٧﴾ : يسرعون سرعة تتعذر مقاومتها وإيقافها .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ : أي يعيبك في شأن توزيعها ويطعن فيك . ﴿فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا﴾ .

وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير راضين . ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ﴾ أي من الصدقات (جواب لو محذوف تقديره: لكان خيراً لهم) .

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ : أي كافينا كل ما يهمنا . ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ .

إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ : إلى الله وحده راغبون أي: طامعون راجون .

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ : جمع صدقة: وهي هنا الزكاة المفروضة في الأموال .

لِلْفُقَرَاءِ : جمع فقير وهو من ليس له ما يكفيه من القوت ولا يسأل الناس .

وَالْمَسْكِينِ : جمع مسكين وهو فقير ليس له ما يكفيه ويسأل الناس ويذل نفسه بالسؤال . [راجع

هامش قوله تعالى: ﴿...وَالسَّائِلِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهِمْ : أي على جمعها وجبايتها وهم الموظفون لها .

وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمُ : هم أناس يرجئ إسلامهم أو بقاؤهم عليه إن كانوا قد أسلموا وهم ذوو شأن

وخطر ينفع الله بهم إن أسلموا، وحسن إسلامهم .

وَفِي الرِّقَابِ : أي في فك الرقاب أي: تحريرها من الرق فيعطى المكاتبون ما يسددون به نجوم أو

أقساط كتابتهم . وَالْعَنِينَ ﴿٢﴾ .

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي الجهاد لإعداد العدة وتزويد المجاهدين بما يلزمهم من نفقة .

وَأَبْنِ السَّبِيلِ : أي المسافر المنقطع عن بلاده ولو كان غنياً ببلاده .

فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ : أي فرضها الله تعالى فريضة على عباده المؤمنين . ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ

(١) لأنهم يتخذون أيمانهم الكاذبة وقاية يتقون بها ما يخافونه من بطش المؤمنين بهم إذا عرفوا أنهم كافرون كما قال تعالى في سورتهم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ .

(٢) الغارمين: جمع غارم، وهو من ترتبت عليه ديون بسبب ما أنفق في طاعة الله تعالى على نفسه وعائلته. ولم يكن لديه مال لا نقد ولا عرض يسدد به ديونه.

(١) ﴿٦﴾

وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ: أي الرسول محمدًا ﷺ، والأذى: المكروه يصيب الإنسان كثيرًا أو يسيرًا.

وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ: أي يسمع من كل من يقول له ويحدثه وهذا من الأذى.

قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ: أي هو يسمع من كل من يقول له لا يتكبر، ولكن لا يقر إلا الحق ولا يقبل إلا الخير والمعروف فهو أذن خير لكم إذا لا أذن شر مثلكم أيها المنافقون.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أي يصدق المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار، أما غيرهم فإنه إن يسمع منهم لا يصدقهم؛ لأنهم كذبة فجرة. ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ ﴿﴾.

وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ: أي الله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه. ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) ﴿﴾.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ: أي يعادهما، ويقف دائماً في حدّ وهما في حدّ فلا ولاء ولا موالاة أي: لا محبة ولا نصرة. ﴿فَأَن تَارَ جَهَنَّمَ خَلْدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) ﴿﴾.

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ: أي يخافون ويحترسون.

أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ: أي في شأنهم فتفضحهم بإظهار عيبتهم.

نُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ: أي تخبرهم بما يضمرونه في نفوسهم.

قُلْ أَسْتَهْزِئُ: الأمر هنا للتهديد.

إِن آتَى اللَّهُ مَخْرَجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾: أي مخرجه من نفوسهم؛ مظهره للناس أجمعين. ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ: أي نخوض في الحديث على عادتنا ونلعب لا نريد سباً ولا طعناً.

قُلْ أَيْلَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٥﴾: أي تسخرون وتحتقرون. ﴿لَا تَعْتَدُوا فَذَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَدْتُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (١٦) ﴿﴾.

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ: أي الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بالاستتھم ويسترون الكفر في قلوبهم.

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ: أي متشابهون في اعتقادهم وقولهم وعملهم فأمرهم واحد، في الخروج عن

الدين، أو هم متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

(١) قال القرطبي: فائدة الخلاف في الفقراء والمساكين تظهر فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فمن قال: هما صنف واحد يكون الثلث الموصى به نصفه لفلان ونصفه الآخر للفقراء، ومن قال: هما صنفان يقسم الثلث الموصى به بينهم أثلاثاً.

يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ: أي ما ينكره الشرع لضرره أو قبحه وهو الكفر بالله ورسوله. وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ: أي ما عرفه الشرع نافعاً فأمر به من الإيمان والعمل الصالح. وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ: أي يمسكونها عن الإنفاق في سبيل الله (١).

سَأَلُوا اللَّهَ فَفَسَّخَهُمْ: أي تركوا الله فلم يؤمنوا به وبرسوله فتركهم من توفيقه وهدايته. ﴿لَا تَرْكِبُوا الْمُنَافِقِينَ هُمْ أَفْسِسُونَ﴾ (١٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ (٢) نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ (٣).

وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌ (١٨): أي دائم لا يزول ولا يبديد. ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾.

فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ: أي بنصيبتهم وحظهم من الدنيا. ﴿فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾.

وَحُضِّمُوا: أي في الكذب والباطل. ﴿كَالَّذِي حَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ (٤) نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ (٥) وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ ﴿.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ: أي المتقلبات حيث صار عاليها سافلها وهي ثلاث مدن (٦).

أَنْتَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: الآيات الدالة على صدقهم في رسالاتهم إليهم. ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٧).

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ: أي الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ: أي يتولى بعضهم بعضاً في النصرة والحماية والمحبة والتأييد. ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ: أي يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ: أي يخرجون زكاة أموالهم الصامته كالدرهم والدنانير والمعشرات،

(١) أي: وصفهم بالبخل والشح كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ كما أن امتناعهم عن الخروج إلى الجهاد يعتبر قبضاً لأيديهم.

(٢) الأصل أن الوعد يكون في الخير والإيعاد يكون في الشر، وإطلاق الوعد على الوعيد كما هو هنا تهكم بهم.

(٣) ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر ومعناه: أنها كافية ووفاء لجزاء أعمالهم.

(٤) الاستفهام للتقرير، والتحذير بمعنى: ألم يسمعوا بإهلاكنا الكفار من قبلهم.

(٥) هم نمرود بن كنعان وقومه.

(٦) هي: سدوم، وعمورة، وأرمة، وكانت مدناً متاخمة بعضها قريب من بعض، والراء قوم لوط عليه السلام.

والناطقة كالأنعام، والإبل والبقر والغنم. ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (١) أُولَئِكَ سَرَّحْنَهُمْ (٢) اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ ﴿٧٧﴾

فِي جَنَّتِ عَدْنٍ: أي إقامة دائمة لا يخرجون منها ولا يتحولون عنها.

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ: أي رضوان الله الذي يحله عليهم أكبر من كل نعيم في الجنة. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٦)

يَتَأَيَّمَا النَّبِيُّ جِهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ: ابذل غاية جهدك في قتال الكفار والمنافقين، ويدخل في هذا الخطاب أمته ﷺ.

وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ: أي في القول والفعل أي شدد عليهم ولا تلتن (٣) لهم. ﴿وَمَا أَوْهَنَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (٧٣)

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ: أي كلمة يكفر بها من قالها وهي قول الجلاس بن سويد: إن كان ما جاء به محمد حقًا لنحن شر من الحمير.

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا: أي هموا بقتل النبي ﷺ في مؤامرة دنيئة وهم عائدون من تبوك.

وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ: أي ما أنكروا أو كرهوا (٤) من الإسلام ورسوله إلا أن أغناهم الله بعد فقر أعلى مثل هذا يهمون بقتل رسول الله؟ ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٧٤)

﴿وَمِنْهُمْ: أي من المنافقين.

مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَكُمْ فَأَتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ: أي ما لا كثيرًا. ﴿لِنَصَّدَّقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ: أي منعه فلم يؤدوا حقه من زكاة وغيرها. ﴿وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧٦)

(١) أي: يؤدون الفرائض والسنن فعلاً ويجتنبون المنهيات والمكروهات تركاً.

(٢) السين في ﴿سَرَّحْنَهُمْ﴾ للتأكيد وتحمل معنى الخوف والرجاء وهما جناحا المؤمنين لا يطيرون في سماء الكمالات إلا بهما.

(٣) هذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصفح اللذين كان الرسول ﷺ يؤمر بهما إزاء المشركين والمنافقين [وهي تسمى بآية السيف].

(٤) أي: ليس يتقنون شيئاً إلا أنهم كانوا فقراء فأغناهم الله بما كان الرسول ﷺ يعطيهم من الغنائم، قيل لأحدهم: هل تجد في القرآن نظير قولهم اتق شر من أحسنت إليه؟ قال: نعم هو قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ : أي فأورثهم البخل نفاقًا ملازمًا لقلوبهم لا يفارقها.  
إِلَى يَوْمٍ بَلَّغُونَهُ : أي يلقون الله تعالى.

بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ : أي بسبب إخلافهم ما وعدوا الله تعالى به. ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾  
﴿٧٧﴾ .

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ : أي ما يسرونه في نفوسهم ويخفونه، وما يتناجون به فيما بينهم.

وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٨﴾ : يعلم كل غيب في الأرض أو في السماء.  
الَّذِينَ يَلْمِزُونَ : أي يعيبون ويطنعون.

الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ : أي المتصدقين بأموالهم زيادة على الفريضة.  
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ : إلا طاقتهم وما يقدرون عليه فيأتون به.

فَيَسْتَخِرُّونَ مِنْهُمْ : أي يستهزئون بهم احتقارًا لهم. ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ .  
أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ : أي: اطلب لهم المغفرة أو لا تطلب. ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

وَأَلَّا لَا يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ : أي إني ما فيه خيرهم وسعادتهم وذلك لتوغلهم في العصيان.  
فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ : أي سر الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله ﷺ. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ : أي قال المنافقون بعضهم لبعض: لا تخرجوا للغزو في الحر.  
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ : أي لو كانوا يفقهون أسرار الأمور وعواقبها ونتائجها لما قالوا: لا تنفروا في الحر ولكنهم لا يفقهون.

فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا : أي في الدنيا، وليبكوا كثيرًا في الدار الآخرة. ﴿جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ .

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ : أي من المنافقين.

فَأَسْتَأْذِنُكَ لِلْخُرُوجِ : معك لغزو وجهاد. ﴿فَقُلْ لَنْ نَخْرُجََا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ .

فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ : أي المتخلفين عن تبوك من النساء والأطفال وأصحاب الأعدار.  
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا : أي صلاة الجنازة.

وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ : أي لا تتول دفته والدعاء له كما تفعل مع المؤمنين. ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .  
وَمَا تَأْتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ : أي خارجون عن طاعة الله ورسوله. ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ .

وَتَرْهَقَ أَنْفُسَهُمْ: أي تخرج أرواحهم بالموت. ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ٨٥ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ أَمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ ﴿

أَسْتَدْنَكَ: أي طلبوا إذنك لهم بالتخلف.

أَوْلُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ: أي أولو الثروة والغنى.

وَقَالُوا أَذْرَبًا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾: أي تركنا مع المتخلفين من العجزة والمرضى والأطفال والنساء.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ: أي مع النساء جمع خالفة المرأة تخلف الرجل في البيت إذا غاب.

وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ: أي توالى ذنوبهم على قلوبهم فأصبحت طابعا عليها فحجبها المعرفة. ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ٨٧ لَنْ كِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴿

وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ: أي في الدنيا بالنصر والغنيمة وفي الآخرة بالجنة والكرامة فيها.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾: أي الفائزون بالسلامة من المخوف والظفر بالمحسوب. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٨٩ ﴿

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ: أي المعتذرون. ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدِّنَهُمْ ﴿

وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي ولم يأت إلى طلب الإذن بالعودة عن الجهاد منافقو

الأعراب. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٩٠ ﴿

لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ: أي كالشيوخ.

وَلَا عَلَى الْمَرْضَى: كالعمي والزمنى. ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ ﴿

حَرْجٌ: أي إثم على التخلف.

إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ: أي لا حرج عليهم في التخلف إذا نصحوا لله ورسوله وذلك بطاعتهم لله

ورسوله مع تركهم الإرجاف والشيط.

مَاعَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ: أي من طريق إلى مواخذتهم. ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٩١ ﴿

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَمْ يُحْمَلْهُمْ: أي على راحل يركبونها. ﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا

أَجْمَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴿

تَوَلَّوْا: أي رجعوا إلى بيوتهم.

وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ: أي تسيل بالدموع الغزيرة حزنا على عدم الخروج. ﴿حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ﴾ ٩٢ ﴿

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ: أي الطريق إلى المعاقبة. ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَدِينُونَ﴾ ٩٣ ﴿

وَهُمْ أَغْنِيَاءُ: واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ: أي النساء والأطفال والعجزة. ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ ٩٤ ﴿

يَعْتَدِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً.  
قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ : أي لن نصدقكم فيما تقولون. ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ  
وَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾.

ثُمَّ تَرُدُّونَ : أي يوم القيامة. ﴿إِلَىٰ عِلْمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَقِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٤﴾.  
سَيَطْلُبُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ : أي رجعتم من تبوك.  
لِتَعْرِضُوا عَنْهُمْ : أي لا تعاقبوا. ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾.

إِنَّهُمْ رَجَسٌ : أي نجس لخبث بواطنهم. ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٥﴾  
يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾.  
الْأَعْرَابُ : جمع أعرابي؛ وهو من سكن البادية.

أَشَدُّ كُفْرًا وَفِسَاقًا : أي من كفار ومنافقي الحاضرة.

وَأَجْدَرُ : أي أحق وأولى.

أَلَا يَعْلَمُونَ أُحُدًا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ : أي بشرائع الإسلام. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٩٧﴾.

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا : أي غرامة وخسرانًا.

وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ : أي ينتظر.

الدَّوَائِرُ : جمع دائرة؛ ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرههم وهي الهلاك. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ : جمع قرابة؛ وهي المنزلة المحمودة.

وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ : أي دعاءه لهم بالخير. ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سَيَدْخُلُهَا اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٩﴾.

وَالسَّيْفُورُ الْأَوَّلُونَ : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد. ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾.

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَأْخِضُونَ : أي في أعمالهم الصالحة.

رَضُوا بِاللَّهِ عَنْهُمْ : بسبب طاعتهم وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه.

وَرَضُوا عَنْهُ : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظام المنن. ﴿وَأَعَدَّهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾.

وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ : أي حول المدينة من قبائل العرب.

وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ : مرقوا وحذقوه وعتوا فيه. ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَهُمْ﴾.

سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ : الأولى: قد تكون فضيحتهم بين المسلمين، والثانية: عذاب القبر. ﴿ثُمَّ

يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً: مَا لَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا: أَي طَهَّرَهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَتَزَكَّيَهُمْ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ بِهَا بِدَعَائِكَ لَهُمْ وَثَنَاتِكَ عَلَيْهِمْ.

وَصَلِّ عَلَيْهِمْ: أَي ادْعُ لَهُمْ بِالْخَيْرِ.

إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ: أَي دَعَاكَ رَحْمَةً. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ﴿١٣﴾ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ: يَتَقَبَّلُهَا. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤﴾﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَى عِلِّيِّ الْعَالِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَكِرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

وَأَخْرُوكَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ: مُؤَخَّرُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ. ﴿وَأَيُّهَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾: أَي بِخَلْقِهِ نِيَاتٍ وَأَمْوَالًا وَأَعْمَالًا، حَكِيمٌ فِي قَضَائِهِ وَشَرْعِهِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا: أَي لِأَجْلِ الْإِضْرَارِ. ﴿وَكُفْرًا وَتَقَرُّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا: أَي لِأَجْلِ الْإِضْرَارِ. ﴿وَكُفْرًا وَتَقَرُّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا: أَي لِأَجْلِ الْإِضْرَارِ. ﴿وَكُفْرًا وَتَقَرُّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا: أَي لِأَجْلِ الْإِضْرَارِ. ﴿وَكُفْرًا وَتَقَرُّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى: أَي بَنِيَ عَلَى التَّقْوَى وَهُوَ مَسْجِدُ قِبَاءَ. ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ (١)

فِيهِ رِجَالٌ: هُمُ بَنُو عَامِرِ بْنِ عَوْفٍ. ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَطَّهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ: أَي عَلَى خَوْفٍ.

وَرِضْوَانٍ: أَي رِجَاءِ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ: أَي عَلَى طَرَفِ جُرْفٍ مَشْرُوفٍ عَلَى السَّقُوطِ، وَهُوَ

مَسْجِدُ الضَّرَارِ. ﴿فَأَنْهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ: أَي شَكًّا فِي نَفْسِهِمْ.

إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ: أَي تَفْصَلَ مِنْ صُدُورِهِمْ فَيَمُوتُوا. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ

الْجَنَّةَ: هِيَ دَارُ السَّلَامِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ.

(١) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي فِي جُوفِ الْمَدِينَةِ هُوَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، وَهَذَا صَحِيحٌ وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ الْآيَةِ وَبَيْنَ هَذَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَسْجِدُ قِبَاءَ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ، فَمَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِطَرِيقِ الْأُولَى وَالْآخِرَى؛ وَلِهَذَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ... وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (قُلْ).

يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي الكفار والمشركين. ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾  
وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا: أي وعدهم وعدًّا حَقًّا.

فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ: أي مذكورًا في التوراة والإنجيل والقرآن.

وَمَنْ أَوْفَى بَعْدَهُ مِنْ اللَّهِ: أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى.

فَأَسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾: أي ذلك البيع هو الفوز العظيم.  
التَّيْمُونُ: أي من الشرك والنفاق والمعاصي.

الْعَكِيدُونَ: أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له. الْحَمِيدُونَ.

﴿السَّكِينُونَ﴾: أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد  
لأعدائه. ﴿الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ﴾.

الْأَمِيرُونَ بِالْمَعْرُوفِ: أي بعبادة الله تعالى وتوحيده فيها.

وَالسَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ: أي عن الشرك والمعاصي.

وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ: أي القائمون عليها العاملون بها.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي بالجنة دار السلام. ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أَنْ يَسْتَفْهَرُوا لِلْمُشْرِكِينَ: أي يسألوا الله تعالى لهم المغفرة.

وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى: أصحاب قرابة كالأبوة والبنوة والأخوة. ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا

عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ: أي وعد وعده به. ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾.

تَبَرَّأ مِنْهُ: أي قال: إني بريء منك.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾: الأواه: كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى، والحليم الذي لا

يغضب ولا يؤاخذ بالذنب. ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ﴾.

حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ: أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلونه أو لا يتركونه. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكْفُلُ

شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ وَلِيٍّ: الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك. ﴿وَلَا نَصِيرَ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴿١﴾

وَالْمُهَاجِرِينَ: الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.

وَالْأَنْصَارِ: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ.

الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ: هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه! منافقين في القعود دليله قوله تعالى: ﴿عَمَّا أَتَتْكَ لَمْ أُذِنَ لَهُمْ﴾؟ وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه.

مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ: أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف.  
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. ومعنى خلفوا. أرجئوا بالبت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾: فقد تخلفت توبتهم لخمسين يوماً.

حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ: أي على اتساعها، ورحابتها. ﴿وَضَاقتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾.  
وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه: أي إذ لا مكان للجوء فيه والهرب إليه. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

يَكَايِبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا آتَمُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾: في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، والصدق ضد الكذب.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِمَّنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ: وهم: مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم.  
أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ: أي يطلبوا لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ: أي عطش.

وَلَا نَصَبٌ: أي ولا تعب.

وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي مجاعة شديدة.

وَلَا يَطَّوئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ: أي يصيبهم غيظ في نفوسهم يحزنهم.

وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا: أي منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو. ﴿إِلَّا كِتَابٌ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً.\*

وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا: الوادي: سيل الماء بين جبلين أو مرتفعين. ﴿إِلَّا كِتَابٌ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً﴾: أي يخرجوا للغزو والجهاد جميعاً.

فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ: أي جماعة معدودة.

لِيَسْتَفْهَمُوا فِي الدِّينِ: أي ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه.

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ: أي ليخوفهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله.

إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾: أي عذاب الله تعالى بالعلم والعمل.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده.

فَتَلْبُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ: أي يلون بلادكم وحدودها.

مِنَ الْكُفَّارِ: (من) بيانية، أي الكافرين.

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً: أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم.  
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧٢﴾: أي بنصره وتأييده، والمتقون: هم الذين اتقوا الشرك  
والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.  
وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ: أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها  
وحدودها.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا: أي السورة قوت إيمانه وزادت فيه؛ لأنها كالغيث  
النافع. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

وَهُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿١٧٤﴾: فرحين بفضل الله تعالى عليهم.  
وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شك ونفاق وشرك.

فَرَّادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ: أي نجسنا إلى نجس قلوبهم ونفوسهم. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾  
﴿١٧٥﴾

أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ: أي يمتحنون. ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾.  
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾: أي لا يتعظون لموات قلوبهم. ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ  
إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَكُمْ مِنْ آخِذٍ أَنْصَرَفُوا﴾.

صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ: دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه.  
يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٧٧﴾: أي لا يفهمون أسرار الخطاب سنمة قلوبهم وخبث نفوسهم.  
لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: أي محمد بن عبد الله ﷺ من جنسكم عربي.

عَرَبٌ بَرٌّ عَلَيْهِ: أي شاق صعب.  
مَا عَنِتُّمْ: أي ما يشق عليكم وصعب تحمله.  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ: أي حريص على هدايتكم وما فيه خيركم وسعادتكم.  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ: شفيق.

رَجِيمٌ ﴿١٧٨﴾: يريق ويعطف ويرحم.  
فَإِنْ تَوَلَّوْا: أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى.  
فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ: أي كافي الله.  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ: أي لا معبود بحق إلا هو.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ: أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه.  
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٧٩﴾: عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه ﷻ إذ كرسيه تعالى  
وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلمة ملقاة في أرض فلاة.



**الباب الثالث**  
**من سورة «يونس»**  
**إلى سورة «النحل»**



## ١٠ - سُورَةُ يُونُسَ

﴿مكية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر: هذه السورة الرابعة من السور المفتحة بالحروف المقطعة تكتب «الر» وتقرأ ألف. لام. را. تلك آيات الكتاب: أي القرآن العظيم.

الحكيم (١): القائل بالحكمة، والقرآن مشتمل على الحكم فهو حكيم ومحكم أيضًا.

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا: العجب ما يتعجب منه.

أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ: هو محمد ﷺ. أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا.

أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ<sup>(١)</sup>: أي أجرًا حسنًا بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال.

قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٢): وفي قراءة (لسحر مبین): أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل.

(هذه قراءة نافع).

إِنْ رَبِّكُمْ اللَّهُ: أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: أي أوجدها من العدم حيث كانت عدمًا فأصبحت عوالم.

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: هي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ: أي استوى استواء يليق بذاته ﷻ فلا يقال.. كيف؟

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ<sup>(٣)</sup> مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ: أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له.

ذٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٤): أي أستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون. ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ سَبَدُوا الْخَلْقَ﴾.

ثُمَّ يُعِيدُهُ: أي بعد الفناء والبلوى وذلك يوم القيامة. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ: أي من ماء أحمر عليه وغلي حتى أصبح يشوي الوجوه.

﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مِّمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (٥).

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً: أي جعلها تضيء على الأرض.

وَالْقَمَرَ نُورًا: أي جعل القمر ينور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر.

(١) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قَدَمٌ صَدَقَ﴾ أقوالاً متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدموه ومنها: يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنى متقارب.

وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك.

لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْأَجْسَابِ : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب. ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ﴿

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَقُونَ﴾ (٦) : أي مسأخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة، معناه

أنهم لا يطلبونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقاباً أخروياً ولا ثواباً.

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة.

وَأَطْمَأَنَّنُوهُمْ : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ (٧) : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها.

أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ : أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواه. ﴿يَمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ﴾ (٨).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ : أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً

يهتدون به إلى الجنة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (٩).

دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ : أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم. ﴿وَوَحَّيْنَاهُمْ فِيهَا سَلَامًا﴾ (١٠).

وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١) : أي أخرج دعائهم الحمد لله رب العالمين.

الدعوى هنا بمعنى الدعاء.

﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْبَجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ : الشر﴾ (١٢) : كل ما فيه ضرر في العقل أو

الجسم أو المال والولد، والخير عكسه: ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد.

لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ : لهلكوا وماتوا.

فَنذُرٌ : أي نترك. ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ (١٣).

فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (١٤) : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان.

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ : المرض وكل ما يضر في جسمه أو ماله أو ولده. ﴿دَعَانَا لِجَنَّةٍ ءَأُو

قَاعِدًا أَوْ قَابِئًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ﴾ (١٥).

مَرَكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره.

كذلك : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه.

رُزِينَ لِلْمُتْسِرِّينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) : أي إسرافهم في الظلم والشر.

(١) فسر الشر بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلاً أو آجلاً، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه.

وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ : أي أهل القرون. ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ .

وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم. ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾

كَذَلِكَ نَحْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ .

ثُمَّ جَعَلْنَاكَمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ : خلائف: أي لهم، تخلفونهم بعد هلاكهم. ﴿لِنَنْظُرَ

كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَإِذَا تَنَلْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ

لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة. ﴿أَتَيْتَ بِشَرٍّ آيَاتِنَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلُومًا

يَكُونُ لِي أَنْ أَسْأَلَهُ﴾ .

مِنْ تَلْفَازِي نَفْسِي : أي من جهة نفسي. ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ

يُؤِزُّ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٩﴾ .

قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ : أي لا أعلمكم به.

فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ : أي أربعين سنة قبل أن يوحى إلي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿٢٠﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ .

الْمُجْرِمُونَ ﴿٢١﴾ : المفسدون لأنفسهم بالشرك، والمعاصي.

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ : أي إن لم يعبدوه.

وَلَا يَنْفَعُهُمْ : أي إن عبدوه. ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ .

قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ : أي تعلمون وتخبرون الله. ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ .

سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى : أي تنزيها له.

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٢﴾ : أي به معه من الأصنام.

وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على دين واحد هو الإسلام.

فَاخْتَلَفُوا : أي تفرقوا بأن بقي بعض على التوحيد وبعض على الشرك.

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا

أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ .

آيَةٌ مِنْ رَبِّيهِ : خارقة كناية صالح ﴿الَّذِي﴾ .

فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ : أي إن أمر الآية ما هي مني تأتي من الغيب، والغيب لله وحده فلا أنا ولا

أنتم تعلمون إذا. ﴿فَأَنْتَظِرُونَ إِيَّايَ مِنْكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

وَإِذَا آذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً : أي مطرا بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة.

مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ : حالة من الضر بالمرض والجذب والفقير.

إِذَا لَهُمْ مَكْرُوفٌ آيَاتِنَا : أي استهزاء بها وتكذيب.

قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا : أي الحفظة من الملائكة. ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ .

هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: أي يجعلكم تسبِّحون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب. ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾.

وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ: أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم.  
وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ: أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه. ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾: أي أحدق بهم البلاء من كل جهة. ﴿دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَئِن آجَعْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٢٦٢﴾ فَلَمَّا آجَعْتَهُمْ ﴿٢٦٢﴾.

إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: أي يظلمون مجانين للحق والاعتدال. ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيَكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٦٣﴾.  
إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي صفتها المنطبقة عليها المتئفة معها.  
كَمَا: أي مطر. ﴿أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ: أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض. واختلط النبات بالمطر أي: شرب منه فتندى وحسن واخضر.

مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ: كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر.

وَالْأَنْعَامُ: أي من الكلال والعشب عادة وإلا فقد يعلف الحيوان الشعير.

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا: أي نضرتها وبهجتها.

وَأَزْيَنْتَ: أي تجملت بالزهور.

وَطَرَبَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا: أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية.

أَتَتْهَا أَمْرُنَا: أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها. ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾.

فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا: أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم.

كَانَ لَمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ: أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس.

كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَلْيَتِ: أي نبينها. ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٦٤﴾.

وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ: الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي. ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٦٥﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: الحسنى: الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

وَلَا يَرَهُمْ وَجُوهَهُمْ: أي لا يغشى وجوههم.

فَقَرَّ غَبْرَةٌ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَزَنِ. ﴿وَلَا ذَلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦٦﴾.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ: جمع سيئة ما يسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي. ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِلُهَا وَتَرَهَقُهَا ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِقٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهَهُمْ قِطْعَانِ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿٢٦٧﴾.

مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ : أي التزموا مكانكم لا تفارقوه.

فَزِيلْنَا بَيْنَهُمْ : فرقنا بينهم. ﴿٢٨﴾ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٩﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٣٠﴾

هُنَالِكَ : أي ثم.

تَبَلَّوْا كُلُّ نَفْسٍ : أي تختبر.

مَا أَسْأَلَتْ : أي ما قدمت. ﴿٣١﴾ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقَّ ﴿٣٢﴾

وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٣﴾ : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون.

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ : أي بالغيث والمطر.

وَالْأَرْضِ : أي بالنبات والحبوب والثمار.

أَمْ نَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ : أي يملك أسماعكم وأبصاركم: إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها

منكم.

وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ : أي الجسم الحي من جسم الميت.

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ : أي والعكس كذلك.

وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع.

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾

قُلْ أَفَلَا نُنْفِقُ ﴿٣٤﴾ : أي الله فلا تشاركوا به شيئاً ولا تعصوه في أمره ونهيه. ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ

فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾

فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٥﴾ : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟! والحق هو أنه لا إله إلا الله.

كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ : أي وجبت.

عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ : وذلك لبلوغهم حداً لا يتمكنون معه من التوبة البتة.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالى.

مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ : أي ينشئ الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه. ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ

يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾

فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٧﴾ : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته؟ ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾

أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي : أي لا يهتدي. ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾ : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه؛ لأنه لا

يهدي. ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ : أي افتراء لم يكن هذا القرآن افتراء.

وَلَكِنَّ تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل .  
وَتَقْصِيلَ الْكُتُبِ لَا رَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل  
لها وما حرم .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ : أي اختلقه من نفسه وتقوله من عنده . ﴿قُلْ فَأَنزَلْنَا سُورَةَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ .

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ (١) : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب .

وَلَمَّا بَأْتَاهُمْ تَأْوِيلُهُ : أي ولما يأتيهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب .

كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم . ﴿فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً . ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا  
يُؤْمِنُ بِهِ﴾ .

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ : وهم دعاة الضلال الذين يفسدون العقول والقلوب، والعجلة تهديد  
لهم .

وَإِنْ كَذَّبُوكَ : أي استمروا على تكذيبك . ﴿فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ (٢) أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا  
بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ : أي إذا قرأت القرآن . ﴿فَأَنْتَ تَسْمَعُ اللَّصْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلى معرفة  
أنك رسول الله؛ لأن الله تعالى حرمه ذلك . ﴿فَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ : أي يبعثهم من قبورهم ويجمعهم لساحة فصل القضاء .

كَانَ لَمْ يَلْبَسُوا : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم . ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ  
خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِفَقْدِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ .

وَإِنَّا رَبَّنَا كَذَّبُوا بِفَقْدِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ : أي نمتك قبل ذلك . ﴿فَالْيَتَا مَرَجَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ  
﴿٤٦﴾ .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ : أي في عرصات يوم القيامة .

(١) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَأْتَاهُمْ تَأْوِيلُهُ﴾ . هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين : الأول : هو ما في

التفسير، والثاني : المراد بما لم يحيطوا بعلمه : القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا

به عن جهل مع العناد والمكابرة (فما) في قوله : ﴿بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ اسم موصول المراد به : القرآن الكريم

أما على المعنى الأول فإن المراد به العذاب الذي كذبوا به، ولم يحل بهم بعد .

(٢) أي لي ثواب عملي على التبليغ والطاعة لله تعالى، ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب .

قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (٤٧) ﴿

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٨) أي: متى العذاب، أو متى القيامة التي يعدنا بها

محمد ﷺ.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يعني الله تعالى.

وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعًا إذا لم يرده الله تعالى لي.

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ : أي وقت معين لهلاكها.

إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً : أي عن ذلك الأجل.

وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ (٤٩) : أي عليه ساعة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي قل لهم: أخبروني. ﴿إِن أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾

﴿٥٠﴾

أَمْزُ إِذَا مَا وَقَعَ : أي حل العذاب. ﴿ءَأَمِنْتُمْ بِهِ ۗ أَلَنْتُمْ وَفَدَّكُمْ بِهِ يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٥١) ﴿

ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه. ﴿هَلْ تُجْرُونَ﴾

إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥٢) ﴿القائلون هم خزنة جهنم.

﴿وَسْتَسْتَجِيبُونَ﴾ : أي ويستخبرونك: أي المشركون.

أَحَقُّ هُوَ : أي عذاب يوم القيامة.

قُلْ إِي وَرَبِّي : أي نعم وربِّي. ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥٣) : أي بفاتنين العذاب ولا ناجين منه.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ : لقدمته فداء لها.

وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح. ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾

عند معاينة العذاب، وقبل الدخول فيه، والندامة: الحسرة على وقوع مكروه أو فوات محبوب.

وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ : أي حكم الله بينهم بالعدل. ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (٥٤) ﴿الآن إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١)

الآن إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقا. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) ﴿هُوَ يُحْيِي

وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥٦) ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾

مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ : أي وصية من ربكم بالحق والخير وباجتناب الشرك والشر (٢).

وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر. ﴿وَرَحْمَةٌ

(١) ﴿آلَا﴾ : كلمة استفتاح وتنبية يؤتى بها في أول الكلام، معناها: انتبهوا لما أقول لكم.

(٢) والمراد بالموعظة وما بعدها من الصفات: القرآن الكريم، إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنما عطف المذكورات

لتأكيد المدح.

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٧﴾

قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِجْهَهُ (١) : ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الشرك والمعاصي. ﴿فِيذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾

هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ : أي من المال والحطام الفاني.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ (٢) : أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام. ﴿فَجَعَلْتُمْ سِنَّةَ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾

قُلْ هَآءِ آيَاتُ لَكُمْ : أي في التحريم حيث حرمتم البحرية والسائبة، وفي التحليل حيث أحللتهم الميتة. ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ : أي يختلقون الكذب تزويرًا في أنفسهم.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ما ظنهم يوم القيامة أيغفر لهم ويعفى عنهم؟ بل يلعنون وفي النار هم خالدون.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ : أي في أمر عظيم. ﴿وَمَا تَلَوْا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ﴾

والخطاب للرسول ﷺ والأمة معه وقدم لعلو شأنه وسمو مقامه ﷺ.

شُهُودًا (٣) إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ : أي تأخذون في القول أو العمل فيه.

وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ : أي يغيب.

مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ : أي وزن ذرة؛ والذرة أصغر نملة. ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا

أَكْبَرَ﴾

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ : أي اللوح المحفوظ، ومبين أي واضح.

أَلَا : أداة استفتاح وتنبية.

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ : جمع ولي وهو المؤمن التقى بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من

الله.

لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ : أي لا يخافون عند الموت ولا بعده.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ : على ما تركوا بعد موتهم.

(١) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته: الإسلام، وصحت الإشارة به (ذلك) إلى الاثنين؛ لأن العرب تشير به (ذلك) إلى المفرد والمثنى والجمع.

(٢) وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأن أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة على المطر النازل من السماء حتى سُمي العرب ببني ماء السماء. وشاهده قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ لِمَ لَمْ يَأْتِ بِسَاءٍ...﴾ الآية.

(٣) شهودًا: أي حضورًا.

الَّذِينَ آمَنُوا : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ .  
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ : أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل محرم .  
 لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا  
 الصالحة يراها أو ترى له .  
 لَا نَبْدِلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين ؛ لأن الوعد بالكلمة، وكلمة الله  
 لا تبدل .

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٦٤﴾ : النجاة من النار ودخول الجنة .  
 وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ : أي لا يجعلك قولهم تحزن .  
 إِنَّ الْوَيْزَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا : العزة: الغلبة والقهر. ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦٥﴾﴾ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٦٦﴾ .  
 وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعبادتهم  
 خيرًا أو يدفعون عنهم ضرًا .

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : الظن أضعف الشك .  
 وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٦٧﴾ : أي يحزرون ويكذبون .  
 هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ : أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة .  
 وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا : أي مضيئًا ترى فيه الأشياء كلها .  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ : أي من جعله تعالى الليل سكنًا والنهار مبصرًا .  
 لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ ﴿١٦٨﴾ : أي سماع إجابة وقبول .  
 قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ : أي تنزهه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد .  
 هُوَ الْعَنِيُّ : أي الغني المطلق بحيث لا يفقر إلى شيء . ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ .  
 إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ : أي ما عندكم من حجة ولا برهان .  
 يَهْدَىٰ : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى . ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ .  
 قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَقْلِحُونَ ﴿١٧٠﴾ .

مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون كل شيء .  
 ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ﴿١٧١﴾ .  
 يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٧٢﴾ : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى، وعبادتهم غير الله ﷻ .  
 ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ : أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير .  
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْتُرُونَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي : أي عظم عليكم مقامي بينكم أَدْعُو إِلَىٰ رَبِّي .  
 ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ .

فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ: أي اعزموا عزمًا أكيدًا. ﴿وَشُرَّكَاءَ كُفْرًا لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.  
عَمَّةٌ: أي خفاء ولبسا لا تهتدون منه إلى ما تريدون.

ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيْكَ: أي انفذوا أمركم ما حكمتكم به علي من قتلي إن أردتم ذلك.  
وَلَا تُنظِرُونَ ﴿٧٦﴾: أي ولا تمهلوا رحمة بي أو شفقة علي.

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ: أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد. ﴿فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ آجْرٍ إِنْ آجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَجَبَّحْتَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ: أي في السفينة.

وَجَعَلْنَاهُمْ حَتَّافٍ: أي خلف الآخر الأول جيلًا بعد جيل. ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عِقَابُ الْمُذْبِحِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴿٧٩﴾.

إِلَى قَوْمِهِمْ فَأَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ: أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما يدعون إليه من  
توحيد الله تعالى. ﴿فَمَا كَانُوا لِلْيَوْمِئَاتِ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

كَذَلِكَ نَطْبَعُ: الطبع على القلب عبارة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا يجد الإيمان إليه  
طريقًا<sup>(١)</sup>.

عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٦﴾: الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع. ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا  
مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾.

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا: الآيات التي جاء بها موسى ﷺ وهي تسع. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
مُؤْتَمِرٌ﴾ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾.

قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَلَفَنَّا: لتصرفنا وتحول وجوهنا. ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾.

وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ: أي العلو والسيادة والملك على الناس. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

﴿٧٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٦﴾: أي ذي سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن.

فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَقْبُوا مَا أَنْتُمْ مُقْتُولُونَ ﴿٨٠﴾: أي ارموا في الميدان لما تريدون إلقاءه  
من ضروب السحر. ﴿فَلَمَّا أَقْبُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُكُمْ بِالسَّحْرِ﴾.

إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ: أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٨١﴾.  
وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ: أي يقرر الحق ويثبتته.

بِكَلِمَتِهِ: أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون.

وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾: أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون،

(١) ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم، إذ الختم والطبع واحد، والطبع يكون بالخاتم.

يريد فرعون وملأه.

فَمَا أَمَّنَ لِمُوسَى: أي لم ينقذ له ويتبعه.

إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ: أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل.

عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ: أي أشرفهم ورؤسائهم.

أَنْ يَفْلِتَهُمْ: أي يضطهدهم ويعذبهم.

وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ: قاهر مستبد. ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١) ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ

بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا ﴿﴾

إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٨﴾: مدعنين منقادين لأمره ونهيه. ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا

فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢): أي لا تفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا

كفراً. ﴿وَجَنَابِ رَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٣) ﴿٨٩﴾

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بَيْوتًا تَبَوَّءُونَ إِلَيْهَا

وترجعون.

وَجَعَلُوا بَيْوتَكُمْ قِبَلَةً: أي مساجد تصلون فيها (٤). ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا ﴿﴾

إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً: أي حليًا وحللًا ورياشًا ومتاعًا.

وَأَمْوَالًا: أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا ﴿﴾

لِيُضِلُّوا (٣) عَنْ سَبِيلِكَ: أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذا.

رَبَّنَا أَطْمِئِنَّ عَلَى أَمْوَالِهِمْ: أي أزل أثرها من بينهم بإذهاها.

وَأَسَدَّدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ: اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى

يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٤) ﴿٩٠﴾

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ: أي استجابها الله تعالى (٤).

فَأَسْتَقِيمَا: على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

(١) ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾: أي المجاوزين الحد في الكفر؛ لأنه كان عبدًا فادعى الربوبية.

(٢) في هذا جمع بين رأيين: الأول: أن المراد من كلمة قِبَلَةً: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة ليتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٣) في هذه اللام أقوال: أصحابها: أنها لام العاقبة، والصورورة، أي: يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالاً ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلى ضلالهم.

(٤) كان موسى يدعو، وهارون يؤمن أي: يقول: آمين؛ فاعتبر داعيًا مع أخيه لأن قول آمين معناه: اللهم استجب دعاءنا.

وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ : أي طريق الجهلة الذين لا يعرفون محاب الله  
ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التي أنزل لعباده.

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه.

الْبَحْرَ : بحر القلزم.

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدْوًا : أي بغيًا على موسى وهارون واعتداء عليهما. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا  
أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ .

ءَأَمَنْتُ : أي في هذا الوقت تقر بالوحدانية وتتعرف له بالذلة؟ ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ .

فَأَلْوَمُ نَسِيحِكَ بِدَعْوِكَ : أي بجسدك لا روح فيه.

لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ

النَّاسِ عَنْ ءَابِينَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ .

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقَ : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً<sup>(١)</sup> طيباً مرضياً.

وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

فَمَا ائْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ : وهو معرفتهم أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي<sup>(٢)</sup> .

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ : يحكم بينهم.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة

والكافرين النار.

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ : مقابل التصديق فالشاك غير المصدق.

مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم<sup>(٣)</sup> .

فَسَبَّلَ الَّذِينَ يَفْرءُونَ الْكِتَابَ : أي التوراة والإنجيل. ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ : أي لا تكونن من الشاكين. ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح

المحفوظ. ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ ﴾ .

حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ : أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا

ينفع الإيمان.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قيل: هو بلاد مصر والشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه (قل) .

(٢) بإذن ربه (قل) .

(٣) هذا وجه من جملة أوجه فسرت بها الآية.

فَلَوْلَا : أداة «تحضيض» هنا بمعنى هلاً وفيها معنى التوبيخ والنفي.  
كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ : أي أهل قرية آمنوا. ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَنَهَا﴾.

إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ : هو يونس بن متى نبي الله ورسوله. ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعْدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٧١﴾ : أي إلى وقت انقضاء آجالهم. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾.

أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ : أي إنك لا تستطيع ذلك. ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾  
وَمَلَكَاتٍ لِتَفْسِّرُنَّ : أي يرادته وقضائه.

وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ : أي العذاب. ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾.

قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ : أي من عجائب المخلوقات وباهر الآيات.  
وَمَا تَعْنِي الْأَيُّمُ وَالنُّذُرُ : أي ما تغني أي إغناء.

عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧٤﴾ : إذا كان القوم لا يؤمنون.

فَهَلْ يَنْظُرُونَ : أي ما ينتظرون.

إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة (١).

قُلْ فَانظُرُوا : أي العذاب. ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾.

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا : أي من العذاب المنتظر.

كَذَلِكَ : أي كذلك الإنجاء. ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ رَبِّي : أي الإسلام في أنه حق. ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ

الَّذِي بَنَىٰ بَنَاتِكُمْ : أي يقبض أرواحكم فيميتكم. ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾.

وَأَنْ أَقِفَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي أمرني ربي أن أقيم وجهي.

حَنِيفًا : للدين الإسلامي حنيفًا أي مائلًا عن كل الأديان إليه دون غيره. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾.

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين

وأوثانهم.

فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٩﴾ : أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم.

وَإِنْ يَمَسُّسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ : أي لا مزيل للضرر ومبعده عن أصابه إلا هو ﴿عَبَّادُ بَنَاتِهِ﴾.

(١) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بأيام العرب أي: ما جرى فيها من أحداث ومنه قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَهُمْ بِأَنسِمِ اللَّهِ﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها.

وَأَنْ يُّرَدَّكَ بِخَيْرٍ: أي بالفضل والرحمة. ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾  
 وَهُوَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾: أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين.  
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أي يا أهل مكة.  
 قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ: أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾  
 فَمَنْ أَهْتَدَى: أي آمن بالله ورسوله وعبد الله تعالى موحدًا له. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾  
 وَمَنْ ضَلَّ: أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان.  
 فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَ: أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي.  
 وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٨﴾: أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير. ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ  
 إِلَيْكَ﴾  
 وَأَصْدِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ: أي في المشركين بأمره.  
 وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٩﴾: أي رحمة وعدلًا وإنفاذًا لما يحكم به لعظيم قدرته.



## ١١ - سُورَةُ هُودٍ

(مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر : هذا أحد الحروف المقطعة: يكتب الر ويقرأ ألف، لام، را.  
 كَتَبَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ: أي نظمت نظماً متقناً ورصفت ترصيفاً لا خلل فيه.  
 ثُمَّ قُضِلَتْ: أي بيان الأحكام، والقصص والمواعظ، وأنواع الهدايا.  
 مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١): أي من عند حكيم خبير وهو الله ﷻ. ﴿الَّذِينَ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢) وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴿

يُمْنِعَكُمْ مِنْ غَاسِقَاتٍ: أي بطيب العيش وسعة الرزق.

إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى: أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له.

وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ: أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل (١).

وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣): هو عذاب يوم القيامة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤)

شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)

إِلَّا أَنَّهُمْ يَنْتَوْنُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ: أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في

(٢)

زعمهم .

أَلَا جِنَّةً يَنْسَخُونَ بِيَاهِهِمْ: يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل.

﴿يَعْلَمُ مَا تُبْشِرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٥)

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا فِي يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ أَي: يمشي من إنسان وحيوان.﴾ (٦) ﴿إِلَّا عَلَىٰ

اللَّهِ رِزْقُهَا﴾

وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا: أي مكان استقرارها من الأرض.

وَمُسْتَوْدَعَهَا: أي مكان استئدياعها قبل استقرارها كأصلاص الرجال وأرحام النساء.

كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦): أي اللوح المحفوظ.

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أي الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء

والخميس والجمعة.

(١) هذا كقوله تعالى: ﴿لِجَزَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فالفضل الأول من العبد، وهو العمل الصالح والفضل الثاني من الرب وهو دخول الجنة.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه.

وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ: إذ لم يكن قد خلق شيئاً من المخلوقات سواه، والماء على الهواء.

لِيَسْتَلُوكُمْ: أي ليختبركم ليرى. ﴿أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup> وَلَئِن قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾  
 وَلَئِن أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ: أي إلى طائفة من الزمن معدودة ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾.

وَحَاقَ بِهِمْ: أي نزل وأحاط بهم. ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾<sup>(٨)</sup>  
 وَلَئِن أَدَقْنَا لِلإِنْسَانِ مِنَّا رَحْمَةً: أي أنلناه رحمة أي: غنى وصحة.  
 ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ: أي سلبناها منه.  
 إِنَّهُ لَيَكُوفُ كَكُوفِ الْكُفْرِ: أي كثير اليأس أي: القنوط شديد الكفر.  
 وَلَئِن أَدَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْبِهِ مَسْتَه: أي خيراً بعد شر.  
 لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي: جمع سيئة وهي ما يسوء من المصائب.  
 إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾: كثير الفرح والسرور والبطر.  
 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا: أي على الضراء والمكاره. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ﴾  
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ: أي لذنوبهم.

وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾: أي الجنة دار الأبرار.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ: فلعلك: للاستفهام الإنكاري أي لا يقع منك ترك ولا

يضيق صدرك.

وَصَاحِقٌ فِيهِ صَدْرُكَ: أي بتلاوته عليهم كراهية أن يقولوا كذا وكذا. ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابٌ كَذَّبُ: مال كثير تنفق منه على نفسك وعلى أتباعك. ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾  
 وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾: أي رقيب حفيظ.  
 أَمْ يَقُولُونَ أَفْقَرَبَهُ: اختلقه وكذبه. ﴿قُلْ فَأَنزِلُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلَهُ مُفْتَرِينَ﴾  
 وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ: من قدرتم على دعائهم لإعانتكم. ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١٣)</sup>

(١) قال الفضيل: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. وهو كما قال.

(٢) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والأمة تستعمل في القرآن في معانٍ متعددة: فيراد بها الأمد كقوله في هذه الآية: ﴿إِلَّا أُمَّةٌ مَعْدُودَةٌ﴾ وقوله في يوسف: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾<sup>(١٧)</sup> وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله: ﴿إِنْ إِنْزِيلَهُ كَانَتْ أُمَّةٌ﴾ وتستعمل في الملة والدين كقول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ مَلَكٍ مُّنْتَهَىٰ﴾ وتستعمل في الجماعة كقوله: ﴿وَمِمَّنْ عَلَّمَهُ أُمَّةٌ مِنَ النَّكَايِ يَسْتَفْتُونَ﴾ وتستعمل في الفرقة والطائفة كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ أُمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَيَسْأَلُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> اهـ (قل).

فَالَّذِي يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لِلَّهِ الْإِلَهَ الْأَهُ ﴿١﴾ .

فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ : أي أسلموا لله بمعنى انقادوا لأمره وأذعنوا له.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا : المال والولد وأنواع اللباس والطعام والشراب.

تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ ﴿٢﴾ فِيهَا : نعطيهم نتاج أعمالهم وأثابها.

﴿١٥﴾ : أي لا ينقصون ثمرة أعمالهم. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا

النَّارُ﴾ .

وَحَيْطٌ : أي بطل وفسد. ﴿مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَمِينٍ مِّن رَّبِّهِ ﴿٣﴾ : أي على علم يقيني.

وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ : أي يتبعه.

وَمِن قِبَلِهِ كُتُبٌ مُّوسَىٰ : أي التوراة. ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ .

وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِّنَ الْأَحْزَابِ : أي بالقرآن.

فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ : أي مكان وعده به فهو لا محالة نازل به.

فَلَا تَكُ فِي مَرْيَبٍ مِّنْهُ : أي في شك منه. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : أي لا أحد فالاستفهام للنفي.

أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ : أي يوم القيامة.

وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : جمع شاهد وهم هنا الملائكة ﴿٤﴾. ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ .

إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ : أي طرده وإبعاده.

عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ : أي المشركين.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي الإسلام.

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا : أي معوجة. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ .

(١) العلم: الاعتقاد اليقيني، أي: فأيقنوا أن القرآن ما أنزل إلا بعلم الله أي: ملاسًا له.

(٢) لفظ ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ يشمل الأعمال الخيرية والأعمال الدنيوية كصلة الرحم، وقرئ الضيف، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، فهذه لا يحرمها الكافر بل يجد جزاءها في الدنيا، بركة في ماله وولده وحياته، وأما الأعمال الدنيوية كالصناعة والزراعة والتجارة فهذه يوفي قدر جهده فيها، فيقدر ما يبذل من طاقة يحصل له من الكسب والربح والإنتاج، فكفره لا يمنعه نتاج عمله بقدر ما يبذل فيه.

(٣) اختلف في عود الضمائر في هذه الآية اختلافًا كثيرًا، وقد اخترنا في التفسير عودها إلى النبي ﷺ ولا مانع من عودها على كل مؤمن صادق الإيمان، بقريته الخبر وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وهم الفريق الذين أسلموا لما شاهدوا الحجج والبراهين.

(٤) ومن الأشهاد: الأنبياء والعلماء والمبلغون لدعوة الله تعالى لعباده وفي صحيح مسلم: «وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم».

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ : أي الله ﷻ أي فائتين بل هو قادر على أخذهم في أية لحظة.

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ : أي أنصار يمنعونهم من عذاب الله. ﴿يُضَعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ .  
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٣٠﴾ : ذلك لفرط كراهيتهم للحق فلا يستطيعون سماعه ولا رؤيته. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ .

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣١﴾ : أي غاب عنهم ما كانوا يدعونهم من شركاء لله تعالى.  
لَا جِرْمَ : أي حقاً وصدقاً. ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ .  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ : أي تطامنوا أو خشعوا لربهم بطاعته وخشيته. ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ .

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ : أي فريق المؤمنين وفريق الكافرين. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ .

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ : أي تتعظون فتستغفروا ربكم ثم تتوبوا إليه؟  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا : هو العبد الشكور أبو البشرية الثاني نوح ﷺ .  
إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣٥﴾ : أي مخوف لكم من عذاب الله بين النذارة. ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ .

عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ ﴿٣٦﴾ : هو عذابه يوم القيامة (١).  
فَقَالَ الْمَلَأُ : الأشراف وأهل الحل والعقد في البلاد. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ أَتْبَعَكَ﴾ .

إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا : جمع أزدل؛ وهو الأكبر حسة ودناءة.  
بَادِيَ الرَّأْيِ : أي ظاهر الرأي، لا عمق عندك في التفكير والتصور للأشياء. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ بَلْ نَنظُرُكُمْ كَذِبًا﴾ ﴿٣٧﴾ .  
قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي : أي على علم علمنيه الله فعلمت أنه لا إله إلا الله. ﴿وَأَنْتَ رَبِّي رَحْمَةٌ﴾ .  
مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِيتْ عَلَيْكُمْ : أي خفيت عليكم فلم تروها.  
أَنْزَلْنَا مَكُونَهَا : أي أجبركم على قبولها؟ ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا أَشْتَلِكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ .

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي بمبعدهم عني ومن حولي. ﴿إِنَّهُمْ مُلْكُؤُا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا

(١) وجائز أن يكون ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْيُسْرِ﴾ في الدنيا وهو عذاب الطوفان وقد كان.

تَجْهَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يُضْرِبُنِي مِنَ اللَّهِ إِنَّ طَرْفَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ ﴿٢٨﴾

عندي خزائن الله : التي فيها الفضل والمال. ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ : تَحْتَقِرْ أَعْيُنُكُمْ﴾. ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قَالُوا يَا نوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدًا ﴿٣٠﴾ أَي خَاصَمْتَنَا تَرِيدُ إِسْقَاطَنَا وَعَدَمَ اعْتِبَارِنَا فِي دِينِنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ.

فَأَيْنَمَا تَعِدُّنَا : أَي مِنَ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ نُوْمِنْ بِمَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ.

إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ : أَي فِي دَعْوَاكَ النَّبُوَّةَ وَالْإِخْبَارَ عَنِ اللَّهِ ﷻ. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٢﴾ : أَي بِغَالِبِينَ وَلَا فَائِتِينَ اللَّهُ تَعَالَى مَتَى أَرَادَ عَذَابَكُمْ.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ : أَي بِتَخْوِيفِي إِيَّاكُمْ عَذَابِ رَبِّكُمْ إِنْ بَقِيتُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِهِ وَبَلْقَاةِ وَرَسُولِهِ. ﴿إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾

إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ : أَي يُوقِعْكُمْ فِي الضَّلَالِ وَيَبْقِيَكُمْ فِيهِ فَلَا يَهْدِيكُمْ أَبَدًا. ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾﴾

أَمْ يَقُولُونَ : أَي بَلْ يَقُولُونَ.

أَفْتَرَسَ : أَي اخْتَلَقَهُ وَقَالَ مِنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يُوْحَ بِهِ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup>.

قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَى إِجْرَامِي : أَي عَاقِبَةُ الْكُذْبِ الَّذِي هُوَ الْإِجْرَامُ تَعُودُ عَلَيَّ لَا عَلَى غَيْرِي. وَأَنَا بَرِيءٌ : أَي أَبْتَرَأُ وَأَتَنَصَّلُ مِنْ إِجْرَامِكُمْ فَلَا أَتَحْمَلُ مَسْئُولِيَّتَهُ.

مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٤﴾ : أَي عَلَى أَنْفُسِكُمْ بِإِفْسَادِهَا بِالشَّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالْعَصِيَانِ.

وَأُوْحِيَ إِلَى نُوحٍ : أَي أَعْلِمَ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ الَّذِي هُوَ الْإِعْلَامُ السَّرِيعُ الْخَفِيُّ. ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّ آمَنَ﴾

فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ : لَا تَحْزَنْ وَلَا يَشْتَدِ بِكَ الْحُزْنُ فَإِنِّي مُنْجِيكُمْ وَمَهْلِكُهُمْ.

وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ : أَي السَّفِينَةَ الَّتِي أَمْرُنَاكَ بِصَنْعِهَا لِحَمْلِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا. ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبَنَّ فِي آلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ﴾

وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ : أَي اسْتَهْزَءُوا بِهِ كَقَوْلِهِمْ : تَحْمِلُ هَذَا الْفُلَّكَ إِلَى

(١) فسرت الآية في التفسير بالقول الراجح وهو: أن المراد بمن يقول افتراء: النبي ﷺ. والآية معترضة أحاديث قصة نوح وذهب بعضهم نقلًا عن ابن عباس أنها من محاوره نوح عليه السلام مع قومه: واستظهروها من أجل السياق السابق واللاحق، والله أعلم.

البحر أو تحمل البحر إليه. ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٢٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾  
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي يذله ويهينه.

وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ﴿٢٩﴾ : أي وينزل به عذاب النار يوم القيامة فلا يفارقه.

حَوْثٌ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ : أي خرج الماء وارتفع من التنور وهو مكان طبخ الخبز.

فَلَمَّا أَحْرَجْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئْتَيْنِ : أي من كل ذكر وأنثى من سائر أنواع المخلوقات اثنين.

وَأَهْلَكَ : أي زوجتك وأولادك.

إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ : أي بالإهلاك كما مرته وولده كنعان. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾

﴿٤٠﴾

﴿وَقَالَ أَرْكَبْ أَوْفِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَجْرُهَا وَأَمْرُ سَنَهَا : أي إجراؤها وإرساؤها.﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾

وهي تجرى بهم في موج كالجبال : الموج ارتفاع ماء البحر وكونه كالجبال أي في الارتفاع.

وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ : أي في معزل<sup>(١)</sup> من السفينة حيث رفض الركوب. ﴿يَبْنَئُ

أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤٢﴾

قَالَ سَآوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ : يمنعني من الماء أن يغرقني. ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ

أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ ﴿٤٣﴾

وقيل يتأرض أبلعي ماءك وتكسماة أقلبي وغيص الماء : أي نقص بنضوبه في الأرض.

وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ : أي فوق جبل الجودي وهو جبل بالجزيرة غرب الموصل.

وقيل بعدا للفقور الظالمين ﴿٤٤﴾ : أي هلاكاً لهم. ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي بَنِي مِنْ أَهْلِي : أي من جملة أهلي من أزواج وأولاد.

وَأَنَّ وَعَدَكَ الْحَقُّ : أي الثابت الذي لا يخلف. ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَبْنُوهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ : أي الذين وعدتك بإنجائهم<sup>(٢)</sup>.

إِنَّهُ سَمِعَ عِبْرَ صَالِحٍ : أي إن سؤالك هذا إياي عمل غير صالح<sup>(٣)</sup>. ﴿فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾

إِنِّي أَعْظَمُكَ : أي أنهاك وأخوفك من أن تكون من الجاهلين.

أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ : أي من الذين لا يعرفون جلالتي وصدق وعدي ووفائي فتسألني ما

ليس لك به علم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ

الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنُوهُ أَهْرِطُ بِسَلْمِ مَنَا وَبَرَكْتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرٍ مَمَّنْ مَعَكَ ﴿٤٨﴾

(١) وقيل: في معزل أي: من دين أبيه.

(٢) لأنه غير دينك وعلى خلاف منهجك.

(٣) قرأ ابن عباس، وعروة، وعكرمة، ويعقوب، والكسائي: (إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ) أي: إن ابنك عمل عملاً غير صالح، وهو الكفر والتكذيب، وقرأ الباقون ﴿عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾ أي: ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف.

وَأَمُّ سَمْعَهُمْ: أي بالأرزاق والتمتع إلى نهاية آجالهم.

ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مَنَا عَذَابٍ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾: ثم يحل بهم عذابي وهم الكفرة. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ﴾.

إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾: أي الذين يتقون الله فيعبودونه ولا يشركون به شيئاً.

وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا: أي وأرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم في النسب لا في الدين أخاهم هوداً. وهود من قبيلة عاد وعاد من ولد سام بن نوح ﷺ.

قَالَ يَتَقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ: أي اعبدوه وحده ولا تعبدوا معه غيره.

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ: أي ليس لكم معبود بحق يستحق عبادتكم غيره.

إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾: أي ما أنتم في تأليه غير الله من الأوثان إلا كاذبون.

يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: أي لا أطلب منكم أجراً على بلاغي دعوة التوحيد إليكم.

إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي: أي خلقتني. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.

رُسُلِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا: أي كثيرة الدرور للمطر النازل منها.

وَيُرِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾: أي ولا تعرضوا عن دعوة التوحيد مجرمين

على أنفسكم بالشرك بالله.

قَالُوا يَا هُوَذَا مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ: أي بحجة وبرهان على صحة ما تدعوننا إليه من عبادة الله وحده.

وَمَا نَحْنُ بِشَارِكِيَّ الْهَيْئَتَا: أي عبادة الهتتنا.

عَنْ قَوْلِكَ: لأجل قولك: إنها لا تستحق أن تعبد. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ: أي أصابك.

بَعْضُ الْهَيْئَتَا سِوَى: أي بخبل فأنت تهذي وتقول ما لا يقبل ولا يعقل. ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ

وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِ﴾.

جَمِيعًا ثُمَّ لَا نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾: أي لا تمهلون. ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ربي وَرَبِّكُمْ مَأْمِنٌ دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ﴾.

ءاجِدُ يَنَاصِيحًا: أي مالكها وقاهرها ومتصرف فيها. فلا تملك نفعاً ولا ضرراً إلا بإذنه.

إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾: أي على طريق الحق والعدل.

فَإِنْ تَوَلَّوْا: أصلها تتولوا فعل مضارع حذف منه إحدى التائين ومعناه تدبروا. ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا

أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَخَّلْتُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾.

إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾: أي رقيب ولا بد أنه يجزي كل نفس بما كسبت.

وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا: أي بعذابهم وهي الريح الصرر.

نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا: أي بفضل منا ونعمة. ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ

عَادَ جَحْدُوا بِأَيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ

جَبَّارٍ عِنْدِهِ ﴿٥٩﴾ : أي مستكبر عن الحق لا يذعن له ولا يقبله.

وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمِ الْقِيَامَةِ : أي ولعنة يوم القيامة.

أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلْبَعْدَ إِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ : أي هلاكًا لعاد وإبعادًا لهم من كل رحمة،

والبعد: التباعد عن الخير أيضًا.

﴿وَالِى ثَمُودَ﴾ : أي وأرسلنا إلى قبيلة ثمود.

أَخَاهُمْ صَالِحًا : أي في النسب؛ لأنه من قبيلة ثمود بينه وبين ثمود أبي القبيلة خمسة أجداد.

﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾

مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا : أي جعلكم عمارة فيها تعمرونها بالسكن

والإقامة فيها. ﴿فَاسْتَغْفِرُوا ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ بِإِذْنِي﴾

قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ : أي من خلقه إذ العوالم كلها بين يديه، ومجيب: أي لمن سأله. ﴿قَالُوا وَيَصْلِحْ﴾

فَدَكُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا : أي قبل أن تقول ما قلت كنا نرجو أن تكون سيدًا فينا. ﴿أَنْتَهْتَنَا أَنْ

تُعْبُدَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني.

إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي : أي على علم بربي علمنيه ﷺ، فهل يليق بي أن أعبد غيره؟

وَأَنْتَ بِي مِنْهُ رَحْمَةٌ : وهي النبوة والرسالة. ﴿فَمَنْ يَضُرُّكَ مِنْ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾

فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ : أي خسار وهلاك.

وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَافَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ : أي علامة على صدقي فيما جئتكم به من أنه لا إله إلا الله.

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ : أي اتركوها ترع في المراعي غير المحمية لأحد.

وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ : أي كضربها أو قتلها، أو منعها من الماء الذي تشرب فيه. ﴿فِيَاخُذْكُمْ عَذَابٌ

قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾

فَعَقَرُوهَا : أي قتلوها بالعقر الذي هو قطع قوائمها بالسيف.

فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ : أي ابقوا في دياركم تأكلون وتشربون وتمتعون في الحياة. ﴿ثَلَاثَةَ

أَيَّامٍ﴾

ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ : أي صادق لم أكذبكم فيه ولم يكذبني ربي الذي وعدكم به.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَبَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ

الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

وَأَخْنَا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٦٧﴾ : أي ساقطين على ركبهم ووجوههم.

كَأَن لَّمْ يَنْتَوُوا فِيهَا : أي كأن لم يكونوا بها أمس ولم تعمر بهم يومًا. ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا

بَعْدَ الشُّمُودِ ﴿٦٨﴾

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى : أي بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. ﴿قَالُوا سَلَّمًا قَالَ سَلَّمَ﴾

فَمَا لَيْتَ : أي ما أبطأ.

أَنْ جَاءَ يَعِجَلِ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ : أي مشوي على الحجارة.  
فَلَمَّارَةٌ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ : أي لم يتناولوه فياكلوا منه.

نَكَّرَهُمْ : أي لم يعرفهم.

وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً : أي أحس بالخوف وشعر به. ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ﴾

لُوطٍ ﴿٧٠﴾ : هو ابن هاران أخي إبراهيم عليه السلام. ﴿وَأَمْرًا لَهُ، فَأَيَّمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَسَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ

إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

قَالَتْ يَوَيْلَئِي : أي يا ويلتي احضري هذا أوان حضورك. ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾

وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا : إشارة إلى إبراهيم إذ هو بعلمها أي زوجها.

إِنَّ هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ : أي أمر يتعجب منه استبعادًا له واستغرابًا. ﴿قَالُوا أَنْتَجِيبِينَ مِنْ أَمْرِ

اللَّهِ رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ : الفزع والخوف.

وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى : أي الخبر السار المفرح للقلب.

يُجَدِّلُنَا : أي يخاصمنا.

فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ : أي في شأن هلاك قوم لوط، ولوط هو رسول الله لوط بن هاران ابن عم

إبراهيم.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ : الحلِيم الذي لا يعاجل بالعقوبة، والأواه كثير التأوه مما يسيء

ويحزن، والمنيب: الراجع.

يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا : أي اترك الجدال في قوم لوط. ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ﴾

عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ : أي لا يستطيع أحد رده؛ لأن الله تعالى قد قضى به فهو واقع لا محالة.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا : أي حصل له غمٌ وهمٌ بمجيئهم إليه.

بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا : أي عجزت طاقته عن تحمل الأمر <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ : أي شديد لا يحتمل.

وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ : أي مدفوعين بدافع الشهوة يمشون مسرعين في غير اتزان.

(١) أي ضاق صدره بمجيئهم وكرهه.

وَمَنْ قَبِلْ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ : أي كباثر الذنوب إتيان الذكور. ﴿ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (١).

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزُنُوا فِي صَيْفِي : أي لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لضيفي.

أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ : أي ذو رشد وعقل ومعرفة بالأمر وعواقبها. ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقِّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ : أي إلى عشيرة قوية تمنعني منكم ولم تكن له عشيرة؛ لأنه من غير ديارهم. ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ﴾ .

فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ : أي اخرج بهم من البلد ليلاً.

يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ : أي بجزء وطائفة من الليل. ﴿ وَلَا يَلْفِطْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكَرًا إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ ﴾ .

إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ : وهو من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا .

جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا : أي عالي القرية سافلها.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ : أي من طين متحجر.

مَنْصُورٍ ﴿٨٢﴾ : أي منظم واحدة فوق أخرى بانتظام.

مُسَوَّمَةٌ : أي معلمة بعلامة خاصة.

عِنْدَ رَبِّكَ : أي معلمة من عند الله تعالى. ﴿ وَمَاهِي مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ ﴿٨٣﴾ .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا : أي أرسلنا شعيباً إلى أهل مدين. ﴿ قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ .

﴿ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ : أي إذا بعتم لأحد فلا تنقصوا المكيال والميزان. ﴿ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

عَذَابٌ يَوْمٌ مُّحِيطٌ ﴿٨٤﴾ : أي يحيط بكم من جميع جهاتكم فلا ينجو منه أحد منكم (٢).

وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ : أي بالعدل أي بالمساواة والتساوي في البيع

والشراء على حد سواء.

(١) أراد نساء الأمة إذ نبي القوم أب لهم شاهده قراءة ابن مسعود، وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم، الآية من سورة الأحزاب، لقد قيل: إنهم كانوا خطبوا بناته ولم يزوجهن بهن إذ ستهن أن الرجل إذا خطب المرأة ثم لم يعطها لا تحل له بعد ولذا قالوا: علمت ما لنا في بناتك من حق، وما في التفسير أوجه.

(٢) جائز أن يكون عذاب إبادة واستئصال وهو ما تم لهم بعد إصرارهم على الشرك والعصيان، وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة وهو كائن لا محالة.

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوهم حقوقهم التي هي لهم عليكم في الكيل والوزن وفي غير ذلك.

وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾: أي ولا تعتوا في الأرض بالفساد.

بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ <sup>(١)</sup>: أي ما يبقى لكم بعد توفية المكيال والميزان خير لكم من الحرام الذي حرم الله عليكم. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾: أي رقيب أراقب وزنكم وكيالكم وإنما أنا واعظ لكم وناصح لا غير.

قَالُوا يَنْشَعِبُ أَسْلُوتُنَا: أي كثرة الصلاة التي تصلبها هي التي أثرت في عقلك فأصبحت تأمرنا بما لا ينبغي من ترك عبادة آلهتنا والتصرف في أموالنا. ﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾.

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾: أي ذو الحلم والرشد، والحلم ضد الطيش، والرشد ضد السفه ولم يكن قولهم هذا مدحاً له وإنما هو استهزاء به. ﴿قَالَ يَقْوَرُ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.

وَمَا أُرِيدُ أَنَاخِلْفَتَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُم عَنْهُ: أي لا أريد أن أنهاكم عن الشيء لتركوه ثم أفعله بعدكم. إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ: أي ما أريد إلا الإصلاح لكم.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ: أي وما توفيقى للعمل الإصلاحي والقيام به إلا بفضل الله عليّ.

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾: أي أرجع في أمري كله.

﴿وَيَقْوَرُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾: أي لا

تكسبنكم مخالفتي أن يحل بكم من العذاب ما حل بقوم نوح والأقوام من بعدهم.

وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾: أي في الزمن والمكان إذ بحيرة لوط قريبة من بلاد مدين التي

هي بين معان والأردن. ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.

إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾: أي رحيم بالمؤمنين ودود محب للمؤمنين.

قَالُوا يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ: أي ما نفهم بدقة كثيراً من كلامك. ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِتْنًا

ضَعِيفًا﴾.

وَلَوْلَا رَهْطُكَ: أي أفراد عشيرتك. ﴿لَرَجَمَنَّكَ﴾ <sup>(٢)</sup>.

(١) قال مجاهد: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ يريد: طاعته، وقال الربيع: وصية الله وقال الفراء: مراقبة الله، وقال ابن زيد: رحمة الله، وقال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: حظكم من ربكم خير لكم، كل هذا بشرط الإيمان والتوحيد، وأرجح هذه الأقوال ما في التفسير.

(٢) وقولهم: لرجمناك جائز أن يراد به حقيقته وهو القتل رجماً بالحجارة؛ إذ كانوا يقتلون من أرادوا قتله كذلك، وجائز أن يكون لرجمناك بالقول سباً وشتماً.

وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينَ ﴿٩١﴾ : أي بقوي ممتنع. ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾  
وَأَتَّخِذْهُمْ وِرَاءَكَ وَرَاءَ كُمْ ظَهْرِيًّا : أي لم تأهبوا به ولا تلتفوا إليه كالشيء الملقى وراء الظهر. ﴿إِنَّ  
رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿٩٢﴾.

وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَا كَانَتْكُمْ : أي على ما أنتم عليه من حال التمكن والقدرة.  
إِنِّي عَمِلٌ : على تمكني من العمل الذي أعمله. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ  
وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَنْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ  
مِّنَّا ﴿٩٤﴾.

وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ : أي صيحة العذاب التي أخذتهم.

فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينٌ ﴿٩٥﴾ : أي على ركبهم.

كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا : أي كأن لم يقيموا بها يوماً.

أَلَا بَعْدَ الْمَدِينِ : أي هلاكاً لمدين قوم شعيب. ﴿كَمَا بَعَدَتْ نَمُودٌ﴾ ﴿٩٥﴾.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى : هو موسى بن عمران كليم الله ورسوله إلى بني إسرائيل.

بِآيَاتِنَا : هي التسع الآيات التي ذكر أكثرها في آية الأعراف، والآيات: التوراة.

وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ : أي بحجة قوية على عدو الله فرعون فهزمه بها.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ : أي أشرف رجال دولة فرعون. ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾.

وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ : أي بزدي رشد بل هو السفه كله.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي تقدمهم إلى النار. ﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾.

وَيُنْسُ أَلْوَرْدًا الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ : أي قبح وساء ورداً يورد النار.

وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً : أي ألحقتهم في دار الدنيا لعنة وهي غرقهم.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ : أي قبح الرغد الذي هو العطاء المرفود به أي المعطى

لهم، والمراد لعنة الدنيا ولعنة الآخرة.

ذَلِكَ : الإشارة إلى قصص الأنبياء الذي تقدم في السورة.

مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى : أي أخبار أهل القرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين

وفرعون. ﴿نَقُضُّهُ عَلَيْكَ﴾.

مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ : منها مدن بقيت آثارها كمدائن صالح، ومنها مدن لم يبق منها شيء

كديار عاد. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ﴾.

الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ : أي يعبدونها بالدعاء، وغيره كالذبيح لها والتذوق، والحلف بها.

﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾.

وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابُعٍ ﴿١٠١﴾ : أي تخسير وهلاك.

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِمَةٌ : أي عاقبها بذنوبها.

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٦١﴾ : أي موجع شديد الإيذاء.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ : أي علامة على أن الذي عذب في الدنيا قادر على أن يعذب في الآخرة. ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ﴾ .

وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٦٢﴾ : أي يشهد جميع الخلائق وهو يوم القيامة.

وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٦٣﴾ : أي أجل الدنيا المحدود الأيام والساعات.

يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ : أي إلا بإذن الله تعالى.

فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٦٤﴾ : أي فمن أهل الموقف من هو شقي أزلاً وسيدخل، النار ومنهم سعيد أزلاً وسيدخل الجنة. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ فِي النَّارِ﴾ .

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦٥﴾ : أي صوت شديد وهو الزفير وصوت <sup>(١)</sup> ضعيف وهو الشهيق. ﴿خَلِيلَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦٦﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَيُنَادُونَ فِي الْجَنَّةِ خَلِيلَيْنَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ .

عَطَاءً غَيْرَ مُجْدُوذٍ ﴿١٦٧﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ : أي في شك من بطلان عبادة هؤلاء المشركين. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمُ نَصِيحُهُمْ﴾ .

غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٦٨﴾ : ما قدر لهم من خير أو شر رحمة أو عذاب.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي: التوراة. ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ .

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ : أي لولا ما جرى به قلم القدر من تأخير الحساب والجزاء إلى يوم القيامة. ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ .

وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٦٩﴾ : أي موقع في الريب الذي هو اضطراب النفس وقلقها. ﴿وَإِنْ كَلَّا لَمَّا يُوقِنُ أَنَّ رَبَّهُمْ رُبُّكَ أَعْمَلُهُمْ إِنَّهُ يُعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿١٧٠﴾﴾ .

فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتِ : أي على الأمر والنهي كما أمرك ربك دون تقصير.

وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا : أي لا تجاوزوا حدود الله. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٧١﴾﴾ .

وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي لا تميلوا إليهم بموادة أو رضا بأعمالهم.

(١) اختلف في تحديد معنى كل من الزفير والشهيق وما في التفسير خلاصته وهما أصوات المحزونين، والزفير مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته، والشهيق النفس الطويل مأخوذ من قولهم جبل شاهق طويل، والصوتان متلازمان إذ هما كأول النهيق وآخره عند الحمار. اهـ.  
وقال ابن كثير: قال ابن عباس: الزفير في الحلق، والشهيق في الصدر، أي تنفسهم زفير وأخذهم النفس شهيق، لما هم فيه من العذاب (قل).

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ: أي تصيبكم ولازم ذلك دخولها. ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ: أي صل الصلاة المفروضة.

طَرَفِي النَّهَارِ: أي الصبح، وهي في الطرف الأول والظهر والعصر وهما في الطرف الثاني.

وَرُلُقًا مِّنَ اللَّيْلِ: أي ساعات الليل والمراد: صلاة المغرب وصلاة العشاء.

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ: أي حسنات الصلوات الخمس يذهبن صفائر الذنوب التي تقع

بينهن (١).

ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾: أي ذلك المذكور من قوله: ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ﴾ موعظة للمتعتبين.

وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾: أي الذين يحسنون نياتهم وأقوالهم وأعمالهم

بالإخلاص فيها لله وأدائها على نحو ما شرع الله وبين رسول الله ﷺ.

فَلَوْلَا: لولا كلمة تفيد الحض على الفعل والحث عليه (٢).

كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ: أي أهل القرون، والقرون: مائة سنة.

أُولَئِكَ بَقِيَّةُ آيَاتِنَا: أي أصحاب بقية أي دين وفضل. ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ آمَنَّا

مِنْهُمْ﴾

وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ: أي ما نعموا فيه من طعام وشراب ولباس ومتع.

وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾: أي لأنفسهم بارتكاب المعاصي ولغيرهم بحملهم على ذلك، وفي الآية

ذم الترف إن اتبعه صاحبه وانقطع به عن طاعة الله ورسوله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ: أي منه لها بدون ما ذنب اقترفته. ﴿وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ

﴾ ﴿١١٧﴾

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً: أي على دين واحد هو الإسلام.

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾: على أديان شتى من يهودية ونصرانية ومجوسية وأهل الدين الواحد

يختلفون إلى طوائف ومذاهب مختلفة.

(١) وكون الحسنات يذهبن السيئات يتناول أمرين: الأول وهو الظاهر أن الحسنات يمحو الله تعالى بها السيئات

وهي الصفائر، والثاني أن فعل الحسنات يمنع من فعل السيئات وهو إذاهاها.

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير، ينهون عما كان يقع بينهم

من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض، وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي قد وجد منهم من هذا الضرب قليل لم

يكونوا كثيرًا وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غضبه وفتنة نعمة، ولهذا أمر الله تعالى هذه الأمة الشريفة أن

يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اهـ (قل).

إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ : أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وأهل الرحمة للرحمة.  
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ .

وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ : أي وكل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل ناقصه عليك تثبيتاً  
لفؤادك.

مَا نُنِثُّ بِهِ فُؤَادَكَ : أي نقص عليك من القصص ما ثبت به قلبك لتصبر على دعوتنا  
وتبلغها.

وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ : أي هذه السورة الحق الثابت من الله تعالى كما جاءك في غيرها.

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ : أي وجاءك فيها موعظة وذكرى للمؤمنين إذ هم المتفعون بها.  
﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢٠﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ .

وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ما غاب علمه فيهما فالله يعلمه وحده وليس لغيره فيه علم.  
﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ .

فَاعْبُدْهُ : أي وحده في العبادة ولا تشرك به شيئاً.

وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ : أي فوض أمرك إليه وثق تمام الثقة به فإنه يكفيك. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ .



## ١٢ - سُورَةُ يُوسُفَ

(مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرّ: تكتب الر وتقرأ: ألف، لام، راء، والله أعلم بمراده بذلك.  
 تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾: أي القرآن المظهر للحق في الاعتقادات والعبادات والشرائع.  
 إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا: أي بلغة العرب العدنانيين، والقحطانيين سواء. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٢﴾

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ: نحدثك متتبعين آثار الحديث على وجه الذي كان عليه وتم به (١).

بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ: أي بإيحاتنا إليك فالوحي هو أداة القصص.

وإن كنت من قبله: أي من قبل نزوله عليك.

لِمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٣﴾: أي من قبل إيحاتنا إليك غافلاً عنه لا تذكره ولا تعلم منه شيئاً. ﴿إِذْ قَالَ

يُوسُفُ لِأَبِيهِ ﴿٤﴾: أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

يَتَأْتِبَنِي إِيَّيَّيْ رَأَيْتُ: أي في منامي.

أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا: أي من كواكب السماء.

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ ﴿٥﴾: أي نزل الكل من السماء وسجدوا ليوسف وهو طفل.

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَنَا نَقُصُّ رَأَيْتُ عَلَى إِخْوَتِكَ ﴿٦﴾

فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا: أي يحتالوا عليك بما يضرك.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٧﴾: أي بين العداوة ظاهرها.

وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ: أي يصطفيك له لتكون من عباده المخلصين.

وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ: أي تعبير الرؤيا.

وَيُسِّرُ نَعْمَتَهُ عَلَيْكَ: أي بأن يبتك ويبرسلك رسوله. ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

(١) قال القرطبي في تفسيره بعد ذكره عدة تأويلات في تسميتها أحسن القصص: (.. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص؛ لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة، انزل إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز، قيل: والملك أيضًا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبراً زياً الساقى، والشاهد فيما يقال، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير) (قل).

- ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ ﴾ (٧) : عبر للسائلين عن أخبارهم وما كان لهم من أحوال غريبة. ﴿ إِذْ قَالُوا ﴾ .
- لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : أي جماعة إذ هم أحد عشر رجلاً. ﴿ إِنَّ آيَاتَنَا لَبِيْ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٨) .
- أَقْنَلُوا يُوسُفَ وَأَوَاطِرْ حُورَهُ أَرْضًا : أي ألقوه في أرض بعيدة لا يعثر عليه.
- يَجُلُّ لَكُمْ وَجْهٌ أَيْكُمْ : أي من النظر إلى يوسف فيقبل عليكم ولا يلتفت إلى غيركم. ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْنَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمَ .
- فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ : أي ظلمة البئر، أي : في قعر البئر.
- يَلْقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ : أي المسافرين السائرين في الأرض. ﴿ إِنَّ كُنُوزَهُمْ فَخِطَانًا مَّا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ .
- وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿ ١١ ﴾ : لمشفقون عليه نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا.
- أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ : أي يأكل ويشرب ويلعب بالمسابقة والمناضلة. ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١٢) .
- قَالَ إِنِّي لَحَزْرَتِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ : أي يوقني في الحزن الذي هو ألم النفس أي ذهابكم به.
- وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ : حيوان مفترس خداع شرس. ﴿ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ .
- وَنَحْنُ عُصْبَةٌ : أي جماعة قوية.
- إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿ ١٤ ﴾ : أي ضعفاء عاجزون عرضة للخسران بفقدنا أخانا.
- فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا : أي أمرهم على إلقائه في غيابة الجب.
- أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ : أي في ظلمة البئر.
- وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ : أي أعلمناه بطريق خفي سريع. ﴿ لَتَلْبِثُنَّهِنَّ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٥) .
- وَجَاءَ وَآبَاؤُهُمْ عِشَاءً : أي بعد غروب الشمس أول الليل. ﴿ يَبْكُونَ ﴾ (١٦) .
- قَالُوا يَا بَنَاتَنَا إِنَّا دَهِبْنَا نَسْتَبِقُ : أي بالمناضلة.
- وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا : أي أمتعنا من ثياب وغيرها. ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ .
- وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا : أي بمصدق لنا. ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (١٧) .
- وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ : أي بدم مكذوب أي دم سخلة وليس دم يوسف.
- قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ : أي زينت وحسنت لكم. ﴿ أَمْرًا فَصَبْرًا حَسِيلًا ﴾ .
- وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿ ١٨ ﴾ : أي من الكذب.
- وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ : رُفْقَةٌ مِنَ النَّاسِ تَسِيرُ مَعِ بَعْضُهَا .

فَأَرْسَلُوهُمُ أَوَّارِدَهُمْ : أي الذي يرد لهم الماء .  
 فَأَدْلَى دَلْوَهُ : أي دلى دلوه في البئر . ﴿ قَالَ بَشِّرْهُنَّ هَذَا عَلِمْنَ ﴾ .  
 وَأَسْرُهُ بَضْعَةٌ : أي أخفوه كبضاعة من البضائع . ﴿ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾ .  
 وَشَرُّوهُ بِسَمِّ بَحْسٍ : أي باعوه بسمن ناقص . ﴿ ذَرَّهُمْ مَعْدُودَةً وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ ١٧ ﴾ .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنَ مِصْرَ : أي الرجل الذي اشتراه واسمه قطفير ولقبه العزيز .  
 لِأَمْرَائِهِ أَكْرَمِي مَوْتَهُ : أي أكرمي موضع إقامته بمعنى أكرمي وأحسني إليه .  
 عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخْذَهُ : أي نتبناه فقال ذلك ؛ لأنه لم يكن يولد له .  
 وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ : أي تأويل الأحاديث : أي تعبير الرؤيا . ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ .  
 عَلَىٰ أَمْرِهِ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ١٨ ﴾ .  
 وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ : أي قوته البدنية والعقلية <sup>(١)</sup> .  
 ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا : أي حكمة ومعرفة أي : حكمة في التدبير ، ومعرفة في الدين . ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾ .

وَرَوَدَتْهُ الْمَائِي هُوَ فِي بَيْتِهَا : أي طالبتة لحاجتها تريد أن ينزل عن إرادته لإرادتها وهو يأبى . ﴿ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ .

وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ : أغلقتها بالمغاليق .

وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ : أي تعال عندي <sup>(٢)</sup> .

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ : أي أعوذ بالله أي أتحصن وأحتمي به من فعل ما لا يجوز .

إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ : أي إقامتي <sup>(٣)</sup> في بيته . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾ .

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ : أي لتبطش به ضربًا .

وَهَمَّ بِهَا : أي ليدفع صوتها عليه .

لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَّ رَبِّيَ : ألهمه ربه أن الخير في عدم ضربها .

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ : السوء ما يسوء وهو ضربها ، والفحشاء الخصلة

القيحية .

(١) أي : ولينا حكم مصر فصار الحاكم فيها وآتيناها النبوة والعقل والفهم والعلم بالدين .

(٢) من أعظم أساليب القرآن أنه يتحدث عن مثل هذه الأمور دون إثارة للشهوات بل قد تذرف العينان من خشية الله ، وعليه فإن الخطيب البارع والكاتب الناجح هو الذي يهجع هذا النهج .. سبحانه الله : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (قل) .

(٣) يعني بقوله ﴿ رَبِّي ﴾ زوجها ؛ أي : سيده .

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٤﴾ (١): أي الذين استخلصناهم لولايتنا وطاعتنا ومحبتنا.  
 وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، مِنْ دُبُرٍ: أي قطعته من وراء.  
 وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ: أي وجدا العزيز زوجها وكانوا يطلقون على الزوج لفظ السيد؛ لأنه  
 يملك المرأة. ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴿١٦﴾.  
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا: أي ابن عمها.  
 إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ، قُدِّمَ مِنْ قُبُلٍ: أي من قدام. ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿١٧﴾.  
 وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ، قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ: أي من وراء أي من خلف. ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١٨﴾ فَلَمَّارًا  
 قَمِيصُهُ، قُدِّمَ مِنْ دُبُرٍ ﴿١٩﴾.  
 قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ: أي قولها، ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا (٢٠). ﴿إِنْ كَيْدُكُمْ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾.  
 يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا: أي عن هذا الأمر ولا تذكره لكيلا يشيع.  
 وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٢﴾: المرتكبين للخطايا الآثمين.  
 ﴿وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَدِينَةِ: أي عاصمة مصر يومئذ.  
 أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تَزُودُ فَتَنْهَعْنَ نَفْسَهُ: أي عبدها الكنعاني.  
 قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا: أي دخل حبه شغاف قلبها، أي: أحاط بقلبه فتملكه عليها.  
 إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾: أي في خطأ بين بسبب حبها إياه.  
 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ: أي بما تحدثن به عنها في غيبتها.  
 أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا: أي وأعدت لهن فراشا ووسائد للاتكاء عليها. ﴿وَأَنْتَ كُلِّ وَجِدَةٍ  
 مِّنْهُنَّ سَيِّئًا وَقَالَتْ خْرِجْنَ عَلَيْنَّ﴾ ﴿٢٤﴾.  
 فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ: أي أعظمته في نفوسهن. ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ (٢٥) مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا  
 مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٦﴾.

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ: أي قتلن كيف تحب عبدا كنعانياً.  
 وَلَقَدْ زَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعَصَمَ: أي امتنع مستمسكاً بعفته وطهارته. ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ﴾

(١) أرى - والله أعلم - أن من أعظم الأدعية الجالبة للإخلاص الصارفة للسوء والفحشاء خاصة العشق قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فهي آية من كتاب الله وكفى بها مزية، وهي من أدعية الكرب، ولكونها من القرآن إذا قرأها المؤمن جعل الله بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاً مستوراً، وهي على بعض الروايات اسم الله الأعظم، وهي تشمل على التوحيد والتسبيح والاستغفار، وهي أيضاً دعوة نبي (قل).

(٢) القائل هو الشاهد وقيل: الزوج، والراجح حسب السياق والعادة أنه الشاهد الذي أصبح حكماً بينهما. اهـ.  
 وقد رجح ابن كثير رحمته الله أنه الزوج وهو الحق، والله أعلم (قل).

(٣) حاش الله: أي: معاذ الله.

لَيْسَجَنَّ وَلَيْكُونَا ﴿٣١﴾

مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣١﴾: الدليلين المهانين. ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا نَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ﴾

أَصْبُ إِلَيْنَ: أمل إليهن.

وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٢﴾: أي المذنبين إذ لا يذنب إلا من جهل قدرة الله واطلاعه عليه. ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٣٢﴾

ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ: أي ظهر لهم.

مِن بَعْدِ مَا رَأَوْا آيَاتِنَا: أي الدلائل على براءة يوسف. ﴿ لَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ ﴿٣٦﴾

قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا: أي أعصر عنبًا ليكون خمرًا. ﴿ وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَاهُ إِلَّا نَبَأٌ كَمَا بَاتَا وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾

وَاتَّبَعْتُ مَلَّةَ: أي دين. ﴿ أَبَاءِ يَٰٓإِبْرَاهِيمَ ۖ وَسِحْقَ وَيَعْقُوبَ ﴾

مَا كَانُوا لَنَا: أي ما انبغى لنا ولا صح منا.

أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ: أي أن أشرك بالله شيئًا من الشرك وإن قل، ولا من الشركاء وإن عظموا أو حقروا.

ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا: أي ذلك التوحيد والدين الحق.

وَعَلَى النَّاسِ: إذ جاءتهم الرسل به.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾: أي ولكنهم ما شكروا فلم يتبعوا.

يَصْنَعِي السِّجْنَ: أي يا صاحبي في السجن وهما الفتيان: صاحب طعام الملك وصاحب شرايه.

ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ حَيْرٌ: أي آلهة متفرقون هنا وهناك أي في ذواتهم وصفاتهم وأماكنهم. ﴿ أَمْ رَبُّهُمُ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ ﴿٣٩﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ: أي من دون الله ﷻ

إِلَّا أَسْمَاءٌ: أي مجرد اسم إله، وإلا ففي الحقيقة هو ليس بإله إنما هو صنم. ﴿ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ<sup>(١)</sup>: أي لم يأمر الله تعالى بعبادتها بأي نوع من أنواع العبادة. ﴿إِنْ  
الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾.

يَصْحَجِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ<sup>(٢)</sup> خَمْرًا: أي يسقي سيده الذي هو ملك البلاد شراب  
الخمير.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ: يقتل مصلوبًا على خشبة كما هي عادة القتل عندهم. ﴿فَتَأْكُلُ الطَّرِيفُ مِنْ  
رَأْسِهِ﴾.

فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾: أي فرغ منه وبت فيه.  
وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا: أي أيقن أنه محكوم ببراءته. ﴿أَذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.  
فَأَنسَنَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ: أي أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه تعالى. ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ

يَضَعُ سِنِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.  
وَقَالَ الْمَلِكُ: ملك مصر الذي العزيز وزير من وزرائه واسمه الريان بن الوليد. ﴿إِنِّي أَرَى سَبْعَ  
بَقَرَاتٍ سَمَانٍ﴾.

يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ: هزال غير سمان. ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خَضْرٍ وَأَخْرَ يَابَسَتٍ﴾.  
يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ: أيها الأشراف والأعيان من رجال الدولة.  
أَفْتُونِي فِي رُءُوبِي: أي عبروها لي. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءُوفِ بَاتِعُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قَالُوا أَضَعَّتْ أَحْلَامُ: أي أخلاط أحلام كاذبة لا تعبير لها إلا ذلك. ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ  
﴾ ﴿٤٤﴾.

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ: أي وتذكر بعد حين من الزمن أي قرابة سبع سنين. ﴿أَنَا  
أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ﴿٤٥﴾.

يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ: أي يا يوسف أيها الصديق أي يا كثير الصدق؛ علم ذلك منه في السجن.  
﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خَضْرٍ وَأَخْرَ يَابَسَتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى  
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا: أي متابعة على عادتكم.  
فَأَحْصِدْهُمْ فِدْرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ: أي اتركوه في سنبله لا تدرسوه. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ ثم يأتي من  
بعْدِ ذَلِكَ ﴿﴾.

(١) أي: من حجة تحكم بمشروعية عبادتها كما تفعلون.

(٢) إطلاق لفظ الرب على السيد كان عند من قبلنا أما نحن أمة الإسلام، فقد نهينا عن ذلك، روى مسلم قوله ﷺ: «لا يقل أحدكم: اسق ربك أطعم ربك وضئ ربك، ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمّتي وليقل: فتاي، فتاتي، غلامي».

سَمِعُ شِدَادٌ: أي صعاب قاسية لما فيها من الجذب.

يَا لَكُنْ مَا قَدَّمْتُمْ لَكُنْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا حُصِّنُونَ ﴿٤٨﴾: أي تحفظونه وتدخرونه للبذر والحاجة.

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ: أي يغيثهم ربهم بالأمطار وجريان النيل.

وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾: أي ما من شأنه أن يعصر كالزيتون والعنب وقصب السكر.

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُونِي بِهِ: أي بيوسف.

فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ: أي مبعوث الملك.

قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ: أي سيدك.

فَسْتَلَّهُ مَا بَالَ النِّسْوَةَ: ما حالهن (١). ﴿الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ: ما شأنكم. ﴿إِذْ رَوَدْتَنَّهُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾.

قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ: أي تنزيهاً لله تعالى عن العجز أن يخلق بشراً عفيفاً. ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾.

الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ: وضح وظهر الحق (٢). ﴿أَنَّا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: أي كثيرة الأمر، والسوء هو ما يُسيء إلى النفس

البشرية مثل الذنوب.

إِلَّا مَا رَجَحَ رَبِّي: أي إلا من رَجَحَ اللَّهُ فَإِنَّ نَفْسَهُ لَا تَأْمُرُ بِالسُّوءِ لَطِيهًا وَطَهَارَتَهَا. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٥٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ﴾.

أَتُونِي بِهِ أَسْتَخَصِّصُ لِنَفْسِي: أ جعله من خلصائي من أهل مشورتني وأسراري. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ

الْيَوْمَ لَدَيْنَا﴾.

مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٣﴾: أي ذو مكانة تتمكن بها من فعل ما تشاء، أمين مؤتمن على كل شيء عندنا.

قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ: أي خزائن الدولة في أرض مصر.

إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾: أي أحافظ على ما تسنده إليّ وأحفظه، عليه بتدبيره.

(١) ذكر النسوة جملة؛ حتى لا يؤدي امرأة العزيز لو خصها بالذكر إكراماً منه وحلماً، وكماً خلقياً وإلا فالمراد زليخا امرأة العزيز، ونفس الحكمة في قوله تعالى: ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾.

(٢) قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ رجح ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى: أن القائل في الآيتين: هو امرأة العزيز، ورجح آخرون أنه يوسف عليه السلام (قل).

(٣) آيتان في كتاب الله قد انتظمتا آداب من يتولى أمراً من أمور المسلمين بعد كونه مسلماً لقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦١] أما الأولى فقوله تعالى هنا: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إِنِّي حَفِيفٌ عَلَيْهِ ﴿٥٤﴾. وأما الثانية فقوله تعالى في سورة القصص الآية ٣٦: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٦٦﴾﴾. نعم ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (قل).

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنهَا حَيْثُ يَشَاءُ : أي ينزل ويحل حيث يشاء بعدما كان في غيابة الجب وضيق السجن. ﴿ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْأَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ .

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ : من أرض كنعان لما بلغهم أن ملك مصر يبيع الطعام. ﴿ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ ﴾ . وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ : أي غير عارفين أنه أخوهم.

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ : أي أكرمهم وزودهم بما يحتاجون إليه في سفرهم بعدما كال لهم ما ابتاعوه منه.

قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ : هو بنيامين لأنه لم يجرى معهم؛ لأن والده لم يقدر على فراقه. ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ ﴾ .

وَأَنَا خَيْرٌ أَلْمُتَزِّلِينَ ﴿٥٩﴾ : أي خير المضيفين لمن نزل عليهم. ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ ﴿٦٠﴾ .

قَالُوا سَرَوْهُ عَنْهُ آبَاؤُهُ : أي سنجتهد في طلبه منه. ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ . وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ : أي غلامانه وخدمه.

اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ : أي دراهمهم التي جاءوا يمتارون بها. ﴿ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكَيْلُ : أي منع الملك منا الكيل حتى نأتيه بأخينا.

فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ : أي نحصل على الكيل المطلوب. ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ ﴾ .

عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ : أي كما أمنتكم على يوسف من قبل وقد فرطتم فيه. ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا .

مَا نَبِغِي : أي أي شيء نبغي. ﴿ هَذِهِ بِضَعَتُنَا رُدَّتْ ﴾ .

إِنِّي وَأَنْتُمْ بِأَهْلَانَا : الميرة: الطعام الذي يدخره الإنسان. ﴿ وَتَحْفَظُ أَحَانَا ﴾ .

وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٌ : أي بدل ما كنا عشرة نصبح أحد عشر لكل واحد حمل بعير.

ذَلِكَ كَيْلٌ نَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ : أي على الملك لغناه وطوله فلا يضره أن يزيدنا حمل بعير. ﴿ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ ﴾ .

مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ : أي عهدًا مؤكداً باليمين.

لَأَنْتُمْ بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ : أي تهلکوا عن آخرکم. ﴿ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ ﴿٦٦﴾

وَقَالَ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِدِّ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴿١﴾

وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ أَي أَرَادَ اللَّهُ خِلَافَهُ. ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿

إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَّهَا : هِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ عَنْ أَوْلَادِهِ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ. ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) ﴿

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوْيَتْ إِلَيْهِ أَخَاهُ : أَي ضَمَّهُ إِلَيْهِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ وَأَثْنَاءَ الْمَيْتِ.

قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ : أَي لَا تَحْزَنْ. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ : أَي صَاعَ الْمَلِكِ وَهُوَ مِنْ ذَهَبٍ كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ ثُمَّ جَعَلَهُ

مَكْيَالًا يَكِيلُ بِهِ.

فِي رَحْلِ أَخِيهِ : أَي بَنِيَامِينَ.

ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ : نَادَى مُنَادٍ.

أَيَّتَهَا الْعَيْرُ : أَي الْقَافِلَةَ. ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾ (٢٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيَّهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴿

قَالُوا نَفَقَدْ صَوَّعَ الْمَلِكُ : أَي صَاعَ الْمَلِكِ. فَالصَّاعُ وَالصَّوَّاعُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ

جَمَلٌ بَعِيرٌ ﴿

وَأَنَابَ بِهِ زَعِيمٌ ﴿٢٢﴾ : أَي بِالْحَمْلِ كَفِيلٍ.

قَالُوا تَاللَّهِ : أَي وَاللَّهِ. ﴿لَقَدْ عَلَّمْتُمْ ﴿

مَا حِجْتَنَا لِنُسَيْدٍ فِي الْأَرْضِ : أَي بَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَغَشْيَانِ الذُّنُوبِ.

وَمَا كُنَّا سَرِقِينَ ﴿٢٣﴾ : أَي وَلَمْ نَسْرِقِ الصَّوَّاعَ كَمَا أَنَا لَمْ نَسْرِقْ مِنْ قَبْلِ مَتَاعِ أَحَدٍ. ﴿قَالُوا فَمَا

(١) فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى مَا يَلِي :

أ- عَلَى التَّحَرُّزِ مِنَ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنُ حَقٌّ لِحَدِيثِ : «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلَ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ» وَلِتَعُوذَ الرَّسُولَ ﷺ مِنْهَا فِي غَيْرِ حَدِيثٍ.

ب- عَلَى الْمُسْلِمِ إِنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ أَنْ يُتْرَكَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «أَلَا بَرَكْتُ!» وَالتَّبْرِيكَ أَنْ يَقُولَ : تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِ. [أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ].

ج- إِذَا أَصَابَ الْعَبْدَ بَعِينُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْرِكْ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِالِاغْتِسَالِ وَيُجْبَرُ عَلَيْهِ.

د- إِذَا عَرَفَ الْمَرْءُ بِأَذَاهُ لِلنَّاسِ بِعَيْنِهِ يَبْعَدُ عَنْهُمْ وَجُوتًا.

ه- الْاِغْتِسَالُ مِنَ الْعَيْنِ : وَأَنْ يَغْسَلَ الْمَعَانَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَمَرْفُوقِهِ وَرُكْبَتَيْهِ، وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَ إِزَارِهِ فِي إِثْنَاءِ ثَمَّ يَصُبُّ عَلَى الْمَصَابِ بِالْعَيْنِ فَيُشْفَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. اهـ.

حَدِيثُ : الْعَيْنُ تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ... حَسَنٌ (عَدُّ، خَلُّ) عَنِ جَابِرٍ. (عَدُّ) عَنِ أَبِي ذَرٍّ [انظُرْ صَحِيحَ الْجَامِعِ]

وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدْرِ سَبَقْتَهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتَغْسَلْتُمْ فَاغْسَلُوا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَعَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ عِلَاجِ الْعَيْنِ مِنْ زَادِ الْمَعَادِ لِابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ جَاءَ (قُلْ).

جَزْوُهُ، إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٦﴾ .

قَالُوا جَزْوُهُ مِنْ وُجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزْوُهُ : أي يؤخذ بالسرقة رقيقاً .

كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ : أي في شريعتنا . ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ .

ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ : أي في وعاء أخيه الموجود في رحله .

كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ : أي يسرنا له هذا الكيد الذي توصل به إلى أمر محمود .

مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ : أي في شرعه إذ كان يضرب السارق ويغرم بمثل ما سرق .

﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ <sup>(١)</sup> مَنْ نَشَاءُ : أي كما رفع يوسف عليه السلام . ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

﴿ قَالُوا إِنْ سَرَقْ : أي يأخذ الصواع خفية من حرزه .

فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ : أي يوسف في صباه <sup>(٢)</sup> .

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ : أي أخفى هذه التهمة في نفسه <sup>(٣)</sup> .

وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ : أي لم يظهرها لهم .

قَالَ أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا : أي منزلة ممن رميتموه بالسرقة .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ : أي بحقيقة ما تصفون أي : تذكرون .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا : أي يعقوب عليه السلام . ﴿ فَخَذَّ أَحَدُنَا مَكَانَهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> إِنَّا نَرْنَكَ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ .

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ : أي نعوذ بالله من أن نأخذ .

إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ : من لم نجد متاعنا أي الصواع عنده . ﴿ إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٧٦﴾ .

فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ : أي يشبوا .

خَلَصُوا نَجِيًّا : أي اعتزلوا ينجي بعضهم بعضاً . ﴿ قَالَ كَيْدُهُمْ أَنْ تَقُولُوا لَا نَحْنُ بِمُذْئِقِيهِمْ ﴾ .

قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ : أي عهداً وميثاقاً لتأتين به إلا أن يحاط بكم .

وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ : أي ومن قبل إضاعتكم لبنيامين فرطتم في يوسف كذلك .

(١) أي : بالإيمان والعلم شاهده : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ﴾ .

(٢) كان يسرق الطعام ويعطيه للمساكين ، وسرق صنماً لأبي أمه فكسره حتى لا يعبدوه وليس هذا من السرقة المحرمة ولا المذمومة بل هي محمودة .

(٣) وجائز أن يكون : ﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ﴾ : أي أسر كلمة : ﴿ أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا ﴾ : أي أخفاها فلم يتلفظ بها إحساناً إليهم ثم جهر بقوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾ .

(٤) أي : خذ عبدًا لتسترقه لأنه سبق أن قيل : إن شريعة يعقوب عليه السلام أن السارق يسترق بالسرقة .

فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ <sup>(١)</sup>: أي لن أفارق الأرض، أي أرض مصر. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ لِيَ آيَاتٍ أَوْ يَخُكَّمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا ﴿﴾

وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٧﴾: أي لما غاب عنا ولم نعرفه حافظين.  
وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا: أي أصحاب القافلة <sup>(٢)</sup> التي جئنا معها وهم قوم كنعانيون. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿٨٨﴾

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا: أي زينت وحسنت لكم أمرًا ففعلتموه. ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾: أي بيوسف وأخويه بنيامين وروبير. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨٩﴾  
وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ: أي معرضًا عن حديثهم.

وَقَالَ يَكْسَفِي عَلَىٰ يُونُسَ: أي يا حزني احضر هذا أوان حضورك.

وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٩٠﴾: أي مغموم مكروب لا يظهر كربه.

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوْنَا تَذَكُرُ يُونُسَ: أي والله لا تزال تذكر يوسف.

حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا: أي مشرفًا على الهلاك لطول مرضك. ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ ﴿٩١﴾

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي <sup>(٣)</sup>: أي عظيم حزني إذ البتُّ الذي لا يصبر عليه حتى يبتَّ إلى الغير.  
﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٢﴾

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ: أي اطلبوا خبرهما بلطف حتى تصلوا إلى النتيجة.

وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ: أي من رحمة الله. ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ <sup>(٤)</sup>

وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْتَجَةٍ: أي بدراهم مدفوعة لا يقبلها الناس لرداءتها. ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ ﴿﴾

إِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٩٤﴾: أي يثيب المتصدقين بثواب الدنيا والآخرة. ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ﴾ ﴿﴾

يُونُسَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٩٥﴾: أي لا تعلمون ما يؤول إليه أمر يوسف. ﴿قَالُوا أءَأْتَاكَ لِأَنْتَ يُونُسَ﴾ ﴿﴾

قَالَ أَنَا يُونُسَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي أنعم علينا بأن جمع بيننا بعد افتراق طويل أتم سببه.

(١) بأن يطلق سراح أخي فأمضي معه إلى أبنينا، أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب حتى أخلص أخي، أو أغلب فأعذر إذ قال والدي: إلا أن يحاط بكم.

(٢) المراد: أهل القرية إذ العادة أن القرية لا تنطق، ولو قال أحد: كلم هنذا وهو يريد غلامها لما جاز.

(٣) البت: الهم الشديد.

(٤) أي: أصابهم الضر. من الجذب والقحط والمجاعة.

إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ: أي يتق الله فيخافه فلا يعصه ويصبر على ما يناله من وصب ونصب.  
﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠) ﴿

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي فضلك علينا بما عليه من الإنعام والكمال. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ (٩١) ﴿

قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومٌ: أي لا عتب عليكم ولا لوم (١). ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٩٢) أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٣) ﴿

وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ: أي خرجت من عريش مصر متوجهة إلى أرض فلسطين.

قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ: أشمها لأن الريح حملتها إليه بأمر الله تعالى.

لَوْلَا أَنْ تَفِدْتُهُنَّ (٩٤): أي تسفهون، لصدقتموني فياني وجدت ريح يوسف.

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥): أي خطتك يافراطك في حب يوسف.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ: هو يهوذا الذي حمل إليه القميص الملطخ بالدم الكذب.

أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَازْتَدَّ بَصِيرًا: أي رجع بصيرًا. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ﴾ (٩٦) قَالُوا يَا بَنِي آدَمُ اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِيئِينَ﴾ (٩٧) ﴿

قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي: أجل الاستغفار لهم إلى آخر الليل أو إلى ليلة الجمعة. ﴿إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٩٨) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ

﴿٩٩﴾

وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ: أي السرير.

وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا: أي سجدوا له تحية وتعظيمًا (٣). ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا

رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ (١٠٠) ﴿

وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ: أي البادية، بادية الشام.

مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ: أي أفسد. ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ (١٠١) ﴿

إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ: أي لطيف في تدبيره لمن يشاء من عباده كما لطف بيوسف. ﴿إِنَّهُ هُوَ

الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٢) ﴿

(١) لا يصح تعليق اليوم بـ ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ﴾ إذ لا يعلم الغفران متى يتم لهم؛ فكيف يصح أن يقال: يغفر الله لكم اليوم أو غدًا؛ بل يتعلق اليوم بكلمة لا تتريب.

(٢) أي: لفي ذهاب عن طريق الحق والصواب، والقائلون ليعقوب هذا هم أحفاده أو بعض الأقارب؛ لجهلهم بمقام يعقوب، وهي عبارة فيها خشونة لكن من الجائز أن تكون في عرفهم لا خشونة فيها ولا إساءة أدب.

(٣) على عادة أهل ذلك الزمان وهو سجد تحية لا عبادة.

﴿ رَبِّ: أي يارب خالقي ورازقي ومالك أمري ومعبودي الذي ليس لي معبود سواه. قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ: أي من بعض الملك إذ أصبح ملكاً لمصر فقط. وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ: تعبير الرؤى. فَاطْرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خالقهما على غير مثال سابق. أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: أي متولي أمري في الحياتين الدنيا والآخرة. ﴿ تَوْفَنِي مُسْلِمًا وَالْحَقَنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١١١)﴾

ذَلِكَ: إشارة إلى ما قص الله تعالى على رسوله من قصة يوسف وإخوته. مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ: أي أخبار الغيب. ﴿ تُوْجِهْ إِلَيْكَ ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ: أي لدى إخوة يوسف. إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ: أي اتفقوا على إلقاء يوسف في غيابة الجب. وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١١٢﴾: أي يحتالون على إخراجهم وإلقائه في الجب. ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ (١) وَمَا تَنْتَهُمُ عَلَيْهِ مِنْ آخِرٍ: أي على القرآن وإبلاغه من ثواب: أي مال. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾: أي ما هو إلا ذكر أي موعظة يتعظ بها المؤمنون. ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿١١٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١١٦﴾: أي يعترفون بأن الخالق الرازق هو الله ومع ذلك يعبدون معه غيره.

أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ: أي نعمة من نعمة تعالى تغشاهم أي تحوط بهم. أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً: فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم. ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١١٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي: أي دعوتي وطريقتي التي أنا عليها. أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ: أي على علم يقين مني. أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي. وَسُبْحَانَ اللَّهِ: أي تنزيهاً لله وتقديساً أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه. ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴿ رَدَّ عَلَى الْقَائِلِينَ: ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَلَكًا ﴾ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى: من أهل المدن والأمصار لا من أهل البوادي. ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٢)

(١) في الآية تسلية للرسول ﷺ إذا ألمه عدم إيمان قريش بعد أن سأله عن هذه القصة ليؤمنوا فلما قصها عليهم لم يؤمنوا فألمه ذلك.

(٢) ﴿ فَيَنْظُرُوا ﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة لأنبيائهم وما جاءهم به من الهدى ودين الحق من أجل هدايتهم، وسعادتهم.

وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا : أي الله تعالى بأداء فرائضه وترك نواهيه.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾ : أي أفلا يعقل هؤلاء المشركون هذا الذي يتلى عليهم ويبين لهم فيؤمنوا

ويوحّدوا.

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ : أي يسوا من نصرهم.

وَوَطَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا : أي ظن الأمم المرسل إليهم أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من

النصر. ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ﴾ (١)

وَلَا يَرُدُّ بَأْسَنَا : أي عذابنا الشديد.

عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ ﴿١٦٢﴾ : أي الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي وأجرموا على

غيرهم بصرفهم عن الإيمان.

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ : أي الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى : أي ما كان هذا القرآن حديثاً يختلق.

وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : أي ما قبله من الكتب الإلهية إذ نزل مصدقاً لها في الإيمان

والتوحيد. ﴿وَنَقْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٣) أي: مما يحتاج إليه البشر من

الحلال والحرام، والشرائع والأحكام.



(١) المراد بالنصر: النصر وهو الذي ذكره ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ. لا العذاب كما في أيسر التفاسير (قل).

## ١٣ - سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرء: هذه الحروف المقطعة تكتب المر وتقرأ ألف لام ميم را. والله أعلم بمرادها. ﴿تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ (١).  
 الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها: العمد جمع عمود أي: مرئية (١) لكم إذ الجملة نعت. ثم استوى على العرش: استواء يليق به ﴿تعالى﴾.

وسخر الشمس والقمر: أي ذللها بمواصلة دورانها لبقاء الحياة إلى أجلها. ﴿كل يحجر لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم يلقاها ربكم توفنون﴾ (٢).  
 وهو الذى مد الأرض: أي بسطها للحياة فوقها.

وجعل فيها رواسي: أي جبالاً ثوابت. ﴿وأنتهراً ومن كل الثمرات جعل فيها﴾.

زوجين اثنين: أي نوعين وضرابين كالحلو والحامض والأصفر والأسود مثلاً.  
 يغشى الليل النهار: أي يغطيه حتى لا يبقى له وجود بالضياء.

إن في ذلك لآيات: أي دلالات على وحدانية الله تعالى. ﴿لقوم يتفكرون﴾ (٣).

وفي الأرض قطع متجاورات: أي بقاع متلاصقات (٤). ﴿وجنت من أعنت وزرع﴾.  
 وتيئل صنوان: أي عدة نخلات في أصل واحد يجمعها، الصنو (٣) الواحد والجمع صنوان.  
 وغير صنوان يسقى بماء وحيد ونفضل بعضها على بعض﴾.

في الأكل: أي في الطعام هذا حلو، وهذا مر، وهذا حامض وهذا لذيذ وهذا خلافه. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ (٤).

﴿وإن تعجب: أي يأخذك العجب من إنكارهم نبوتك والتوحيد.

فعبج قولهم: أي فأعجب منه إنكارهم للبعث والحياة الثانية مع وضوح الأدلة وقوة

(١) قال ابن كثير رحمته: هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها؛ بل بإذنه وأمره وتسخيره، وضعف رحمته الرأي القائل: إن لها عمداً ولكن لا ترى. اهـ. بتصرف (قل).

(٢) أي: وأخرى غير متجاورات فحذفت على حد قوله: ﴿سربيل تقيكم الحر﴾ حيث حذف المقابل وهو: تقيكم البرد.

(٣) غير صنوان: كل نخلة قائمة على أصلها، والصنو: المثل.

الحجج.

أءِ ذَا كُنَّا تَرْبَاءَ نَأَلْفِي خَلْقِي جَدِيدًا: أي نرجع كما كنا بشرًا أحياء. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾  
 وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى فِي أَعْنَاقِهِمْ: أي موانع الإيمان والاهتداء في الدنيا، وأغلال تشد بها أيديهم  
 إلى أعناقهم في الآخرة. ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>  
 وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ: أي بالعذاب.

قَبْلَ الْحَسَنَةِ: أي الرحمة وما يحسن بهم من العاقبة والرخاء والخصب.  
 وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ: أي العقوبات واحداها مثلة التي قد أصابت المكذبين في  
 الأمم الماضية. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٦)</sup>  
 وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّى أَنْزِلَ عَلَيْهِ: أي هلا أنزل، ولولا أداة تحضيض ك(هلا).  
 عَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ: أي معجزة كعصا موسى وناقاة صالح مثلا.

إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ<sup>(٧)</sup>: أي نبي يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه وحده ولا يشركوا به غيره.  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى: أي من ذكر أو أنثى واحدا أو أكثر أبيض أو أسمر، ﴿كُلُّ أُنْثَى﴾  
 يفيد عموم كل أنثى في الإنسان والحيوان، وهو كذلك.

وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُ: أي تنقص من دم الحيض، وما تزداد منه، إذ غيضاها ينقص من  
 مدة الحمل وازديادها يزيد في مدة الحمل فقد تبلغ السنة أو أكثر، وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾  
 بِمِقْدَارٍ العادة أن انحباس الحيض دال على العلقوق أي: الحمل، وفيضان الدم دال على  
 عدم الحمل، وتفسير الآية بهذا حسن، فالله تعالى يعلم ما تغيض الأرحام من الدم،  
 لانشغال الرحم بالعلقة ثم بالجنين، وما تزداد من الدم حتى يفيض عنها، ويخرج، وهو دم  
 من لا حمل لها، وما في التفسير وجه وهذا الوجه أوضح.

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ<sup>(٨)</sup> عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ<sup>(٩)</sup> سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ  
 الْقَوْلِ وَمَنْ.

جَهَرَ بِهِ. وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ<sup>(١)</sup> وَسَارِبًا بِالنَّهَارِ<sup>(٢)</sup>: أي ظاهر في سره أي طريقه مكشوفًا  
 معلومًا لله تعالى.

لَهُ مَعْقَبَتٌ: أي ملائكة تتعقبه بالليل والنهار. ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ﴾<sup>(٣)</sup>  
 مِنْ أَمْرِ اللَّهِ: أي بأمر الله تعالى وعن إذنه وأمره<sup>(٣)</sup>.

(١) يمشي في ظلامه.

(٢) الحفظة: جمع حافظ: ملائكة مولكون بالعبد يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجن، والشياطين، فإذا جاء  
 أمر الله أي: قدره تخلوا عنه، والكتابة: جمع كاتب: ملك يكتب الحسنات وآخر يكتب السيئات.

(٣) ذكر القرطبي: أن العلماء رحمهم الله تعالى ذكروا أن الله ﷻ جعل أوامره على وجهين: أحدهما: قضى وقوعه

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقْوَمُ : أي من عافية ونعمة إلى بلاء وعذاب .

حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ : من طهر وصفاء وبالإيمان والطاعات إلى الذنوب والآثام . ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ﴾ .

دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ : أي وليس لهم من دون الله من يليي أمرهم فيدفع عنهم العذاب . ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْخِجُ الرِّعْدَ بِحَمْدِهِ﴾ .  
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ : أي من الخوف منه وهيبته <sup>(١)</sup> . ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ .

وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾ : أي القوة والمماحلة .

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ : أي الله تعالى الدعوة الحق أي فهو الإله الحق الذي لا إله إلا هو . ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ .  
لِيَبْلُغَ فَاهُ : أي الماء فمه . ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ﴾ .

وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ : أي في ضياع لا حصول منه على طائل . ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَهُمْ﴾ .

بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ : أي بالبُكر جمع بكرة، والعشايا جمع عشية . ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ .

فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا : أي بمقدار مائها الذي يجري فيها . ﴿فَاتَّخَذَتِ السَّيْلُ﴾ .  
زَيْدًا رَاطِبًا : أي غشاء عاليًا إذ الزبد: هو وَضْرُ غليان الماء أو جريانه في الأنهار .  
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ : أي كالذهب والفضة والنحاس .

أَتَبَعًا حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَّعَ : أي طلبًا لحلية من ذهب أو فضة أو متاع من الأواني .  
زَيْدٌ مِثْلُهُ : أي مثل زيد السيل <sup>(٢)</sup> . ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ .

وحلوله بصاحبه فهذا لا يدفعه أحد، والثاني: قضى مجيئه ولم يقض حلولة ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء والصدقة .

(١) والملائكة تسبح أيضًا من خوف الله تعالى .

(٢) هو معنى قوله تعالى: ﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ﴾ أي زيد ما يعلو الذهب والفضة والحديد كزيد ما يعلو ماء السيل .

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ أي ومما يوقد عليه الصاغة والحدادون ﴿أَتَبَعًا حَلِيَّةٍ﴾ أي طلبًا للحلية، ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ أي طلبًا لمتاع يتمتع به كالأواني؛ إذ الصائغ أو الحداد يضع الذهب أو الفضة أو النحاس في البوتقة وينفخ عليها بالكبير فيعلو ما كان فاسدًا غير صالح على صورة الزبد، وما كان صالحًا يبقى في البوتقة وهو الذي يصنع منه الحلية .

فَأَمَّا الزَّبَدُ : أي زيد السيل أو زيد ما أوقد عليه النار .  
 فَيَذَهُبُ جُفَاءً : أي باطلاً مرمياً به بعيداً إذ هو غثاء ووضر لا خير فيه .  
 وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ : أي يبقى في الأرض زمناً ينتفع به الناس . ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ﴾ (١٧) ﴿١﴾ .

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ أَحْسَنُ : أي للذين آمنوا وعملوا الصالحات الجنة .  
 وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ : أي لم يؤمنوا به ولم يطيعوه . ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ .  
 لَأَفْتَدُوا بِهِ : أي من العذاب .  
 أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ : وهي المؤاخذه بكل ذنب عملوه لا يغفر لهم منه شيء .  
 وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ لِلْهَادِثِينَ (١٨) : أي الفراش الذي أعدوه لأنفسهم وهو جهنم . ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا  
 أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ .

كَمَنْ هُوَ أَعْمَى : أي لا يرى الحق ولا يعلمه ولا يؤمن به .  
 إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْتَبِ (١٩) : أي أصحاب العقول . ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَلَيْتُقْضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) .  
 وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ : أي من الإيمان والتوحيد والأرحام . ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
 وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) . وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
 سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ : أي يدفون بالحلم الجهل، وبالصبر الأذى .  
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ (٢٢) : أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة (٢) .  
 جَنَّاتٍ عَدْنٍ : أي جنات إقامة دائمة . ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) . سَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ (٢٤) .

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ : أي يحلونه ولا يلتزمون به فلم يعبدوا ربهم وحده .  
 وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ : أي من الإيمان والأرحام .  
 وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ : أي بترك الصلاة ومنع الزكاة وبارتكاب السيئات وترك الحسنات،  
 وبصفة عامة بالشرك وارتكاب المعاصي .

أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَنَةُ : أي البعد من رحمة الله تعالى .

(١) أي مثل هذا المثل الذي ضربه للحق في بقائه والباطل في ذهابه وتلاشيهِ وإن علا وطغى في بعض الأوقات،  
 ﴿يَضْرِبُ﴾ أي يبين الأمثال، ليعلموا فيؤمنوا ويهدتوا فيكملوا ويسعدوا .

هذا مثل للحق والباطل إذا اجتماعاً فإنه لا ثبات للباطل ولا دوام له مثل الزبد مع الماء أو مع الحلية لا يبقى بل  
 يذهب ويتلاشى ويضمحل، والمراد من الحق والباطل: الإيمان والكفر، واليقين والشك .  
 (٢) جائز أن يكون معنى ﴿عَقَبَى الدَّارِ﴾: الجنة، وجائز أن يكون عَقَبَى الدَّارِ: دار الدنيا؛ إذ عَقَبَاها الدار الآخرة وفيها  
 الجنة، إذ كانوا في دار الدنيا يعملون الصالحات فورثهم الله الجنة فكانت عَقَبَى الدنيا؛ إذ عَقَبَى الدار بمعنى  
 عاقبتها .

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥): أي جهنم وبئس المهاد.

اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: أي يضيّق ويقتِر. ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾.

إِلَّا مَتَّعَ (٢٦): قدر يسير يتمتع به زماناً ثم ينقضى. ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ

قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَثَابٍ (٢٩): أي لهم طوبى شجرة في الجنة وحسن منقلب وهو دار السلام.

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ: أي مثل ذلك الإرسال الذي أرسلنا به رسولنا أرسلناك (١). ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلِهَا أُمَّمٌ﴾.

لَيْسَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أي لتقرأ عليهم القرآن تذكيراً وتعليماً ونذارة وبشارة.

وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ: إذ قالوا: وما الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا رحمان اليمامة. ﴿قُلْ هُوَ

رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (٣٠): أي توبتي ورجوعي.

وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُورِتٍ بِهِ الْجِبَالُ: أي نقلت من أماكنها.

أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ: أي سُقَّت فجعلت أنهاراً وعيوناً.

أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى: أي أحيوا وتكلموا (٢).

بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَلَمْ يَأْتِنِ: أي يعلم. ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَوْشَاهُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا

يُرَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ﴾.

بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً: أي داهية تفرع قلوبهم بالخوف والحزن وتهلكهم وتستأصلهم.

أَوْ تَحُلُّ قَرْبًا مِنْ دَارِهِمْ: أي القارعة أو الجيش الإسلامي.

حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ: نصر الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١) وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مَنْ قَبْلِكَ﴾.

فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا: أي أمهلتهم وأخرتهم مدة طويلة. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُوهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢)﴾.

أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ: أي حافظها ورزقها وعالم بها وبما كسبت ويجازيها

بعملها، وليس القيام هنا ضد القعود بل هو التولي لأمر الخلق بالحفظ والتدبير.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ: أي صِفُّوهم له من هم.

أَمْ تَتَّبِعُونَهُمْ: بما لا يعلم في الأرض: أي أتخبرونه بما لا يعلم في الأرض.

أَمْ يَبْظِهْرُونَ الْقَوْلَ: أي بظن باطل لا حقيقة له في الواقع. ﴿بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ

السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

(١) هذا تشبيه في الإنعام أي: شبه الإنعام على من أرسل إليهم محمد ﷺ بالإنعام على من أرسل إليه الأنبياء قبله.

(٢) أي لكان هذا القرآن، ولكن ليست الآيات هي التي تهدي بل الله الأمر جميعاً يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ: أي أشد.

وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٤﴾: أي مانع يمنعهم من العذاب.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾: أي صفتها التي نقصها عليك. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

أَكُلُوهَا دَائِبًا وَظِلُّهَا: أي ما يؤكل فيها دائم لا يفنى وظلها دائم لا ينسخ. ﴿ذَلِكَ عَطَى الَّذِينَ آتَقُوا وَعَقَى الْكٰفِرِينَ النَّارُ﴾ ﴿٢٥﴾.

وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ: أي كعبد الله بن سلام ومن آمن من اليهود.

يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ: أي يسرون به؛ لأنهم مؤمنون صادقون ولأنه موافق لما عندهم.

وَمِنَ الْأَحْزَابِ: أي من اليهود والمشركين.

مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ: أي بعض القرآن، فالمشركون أنكروا لفظ الرحمن وقالوا: لا رحمن إلا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب <sup>(١)</sup> ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿٢٦﴾.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا: أي بلسان العرب لتحكم به بينهم <sup>(٣)</sup>. ﴿وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا

جَاءَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٢٨﴾: أي لكل مدة كتاب كتبت فيه المدة المحددة.

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ: أي يمحو من الأحكام وغيرها ويثبت ما يشاء فما محاه هو

المنسوخ وما أبقاه هو المحكم.

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾: الذي حوى كل المقادير فلا يدخله تبديل ولا تغيير كالموت

والحياة والسعادة والشقاء <sup>(٤)</sup>.

(١) تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) أرجع في أموري كلها إليه دون غيره.

(٣) وقيل: المراد من ﴿حُكْمًا﴾ الحكمة كقوله: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْخُكُمَ صَيِّبًا﴾ أي: الحكمة، فالقرآن يحوي الحكم المعبر عنها بالعربية، وكونه من الحكم أولى لأنه يحكم به في الأمور كلها.

(٤) قال ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي لكل مدة مضمومة كتاب مكتوب بها وكل شيء عنده بمقدار، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ وكان الضحاك يقول: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي لكل كتاب أجل. يعني لكل كتاب أنزل من السماء مدة مضمومة عند الله ومقدار معين، فهذا ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ منها ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه، وقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ اختلف المفسرون في ذلك: فقال الثوري، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو الله ما يشاء، إلا الشقاء والسعادة والحياة والموت، وفي

وَأِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ : أي من العذاب .  
 أَوْ تَوَقَّيْتِكَ : أي قبل ذلك . ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ ﴿١﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴿٢﴾  
 نَنْفُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا : أي بلدًا بعد بلد بالفتح ودخول الإسلام فيها وانتهاء الشرك منها .  
 وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ : أي لا رادَّ له بحيث لا يتعقب حكمه فيطُل . ﴿ وَهُوَ سَرِيعٌ ﴾

رواية: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ ﴾ ﴿٣﴾ قال: كل شيء إلا الموت والحياة، والشقاء والسعادة، فإنه قد فرغ منهما (١)، وقال منصور: سألت مجاهدًا فقلت: رأيت دعاء أحدنا، يقول: اللهم إن كان اسمي في السعداء فأثبتته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم، واجعله في السعداء، فقال: حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر فسألته عن ذلك، فقال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبْرَكَةِ ﴾ ﴿٤﴾ الآيتين، قال: يقضي في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو معصية، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب السعادة والشقاوة فهو ثابت لا يغير، وقال الأعمش عن أبي وائل: إنه كان كثيرًا يدعو بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، وكتبتنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب (٢)، وقال ابن جرير، عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت ويكي: اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. فاجعله سعادة ومغفرة.

ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» (٣). وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر، وفي حديث آخر: «إن الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض». وقال الكلبي: يمحو من الرزق ويزيد فيه، ويمحو من الأجل ويزيد فيه، وقال العوفي عن ابن عباس: هو الرجل يعمل الزمان بطاعة الله، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلالة، فهو الذي يمحو، والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله وهو الذي يثبت، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ ﴾ ﴿٤﴾. وجملة ذلك عنده في أم الكتاب الناسخ، وما يبدل وما يثبت كل ذلك في كتاب، وقال مجاهد: قالت كفار قريش لما نزلت ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾: ما نرى محمدًا يملك شيئًا وقد فرغ من الأمر. فانزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا. ونحدث في كل رمضان، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء من أرزاق الناس ومصائبهم وما يعطيهم وما يقسم لهم. وقال الحسن البصري ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ﴾ قال: من جاء أجله يذهب ويثبت الذي هو حي يجري إلى أجله. وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رضي الله عنه، وقوله: ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ ﴾ ﴿٥﴾ قال: الحلال والحرام، وقال قتادة: أي جملة الكتاب وأصله، وقال ابن جرير عن ابن عباس: ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكُتُبِ ﴾ ﴿٦﴾ قال: الذكر اهـ (قل).

(١) وهذا قول مجاهد أيضًا حيث قال: (إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فإنهما لا يتغيران).

(٢) أخرجه ابن جرير.

(٣) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. [ضعيف - انظر ضعيف الجامع].

الْحِسَابِ ﴿١١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١﴾

فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا : أي إذا فلا عبرة بمكرهم ولا قيمة له فلا يرهب ولا يلتفت إليه. ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿١٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿١٣﴾

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٤﴾ : من مؤمني اليهود والنصارى.



(١) أي وقد مكرت أقوام قبل قريش وكفار مكة فكيف كان عاقبة مكرهم؟ أنها دمارهم أجمعين، أما يخشى رؤساء الكفر في مكة من عاقبة كهذه.

## ١٤ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

(المكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرّ: هذا أحد الحروف المقطعة تكتب الر وتقرأ ألف لام را، والتفويض فيها أسلم وهو قول: الله أعلم بمراده بذلك.

كَتَبَ: أي هذا كتاب عظيم.

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ: يا محمد ﷺ.

لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان<sup>(١)</sup>.  
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١): أي المحمود بالآله. ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (٢) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴿

وَيَصُدُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي الإسلام.

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا: أي معوجة. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُتَبَيَّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا: أي المعجزات التسع: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، ونقص الثمرات. ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿

وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ: أي ببلائه ونعمائه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: أي اذكر إذ قال موسى لقومه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿

يَسُوءُونَكُمْ: يذيقونكم. ﴿سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِثُونَ أَسْمَاءَكُمْ ﴿

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ: أي يستبقونهن للخدمة ولعدم الخوف منهن.

وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾: أي ابتلاء واختبار ويكون بالخير والشر.

وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجْسُكُمْ: أي أعلم ربكم. ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لِأَرْيَدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

(١) لتخرج الناس: أي: بالقرآن العظيم الذي أنزلناه عليك.

لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّكَ اللَّهُ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ قَوْمٌ نُّوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴿٩﴾

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ : بالحجج الواضحة على صدقهم في دعوة النبوة والتوحيد والبعث الآخر.

فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ : أي فرد الأمم أيديهم في أفواههم أي أشاروا إليهم أن اسكتوا. ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾

مُرِيبٌ ﴿١٠﴾ : موقع في الريبة.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده، إذ الاستفهام إنكاري. ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ﴾

ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي إلى أجل الموت. ﴿قَالُوا إِنَّا نَتَمَنَّاهُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن نُّصَدِّقُوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾

فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ : بحجة ظاهرة تدل على صدقكم. ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ﴾

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ : أي بالنبوة والرسالة على من يشاء (١) لذلك. ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾

وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا : أي طرقه التي عرفناه بها وعرفنا عظيم قدرته وعز سلطانه. ﴿وَلَنُصَبِّرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا : أي من ديارنا.

أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا : أو لتعودن في ديننا. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُلَاقَنَّكَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾

ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي : أي وقوفه بين يدي يوم القيامة للحساب والجزاء. وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾

وَأَسْفَتَحُوا : أي طلب الرسل الفتح لهم أي: النصر على أقوامهم الظالمين.

وَخَابَ : أي خسر وهلك.

كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ : أي ظالم يجبر الناس على مراده عنيد كثير العناد. ﴿مِن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ (٢)

وَسُقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ : أي هو ما يخرج سائلاً من أجواف أهل النار مختلطاً من قيح ودم

وعرق.

(١) ومما من الله به عليهم، الحكمة والمعرفة والهداية إلى ما بوجبه رضاه ومحبته.

(٢) لفظ وراء يطلق على ما كان خلفاً وما كان أماماً، لأن كل ما وري أي: استتر فهو وراء.

يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ: أي يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ولا يقارب ازدراره لقبحه ومرارته.

وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ: أي لشدة ما يحيط به من العذاب فكل أسباب الموت حاصلة. وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ: ولكن لا يموت. ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (١٧).  
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ: أي الصالحة منها: كصلة الرحم وبر الوالدين وإقراء الضيف وفك الأسير. والفاصلة: كعبادة الأصنام بالذبيح لها والنذر والحلف والعكوف حولها كرماد. ﴿أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾.

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ: أي لا يحصلون من أعمالهم التي كسبوها على ثواب وإن قل لأنها باطلة بالشرك. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبِكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩).  
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠): أي بصعب ممتنع عليه.

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا: أي برزت الخلائق كلها لله وذلك يوم القيامة. فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا: أي تابعين لكم فيما تعتقدون وتعملون. فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ: أي دافعون عنا بعض العذاب. ﴿قَالُوا لَوْ هَدَّنا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سِوَاهُ عِلْمِنَا أَجْرًا عَلَيْنَا أَمْ صَبْرًا﴾.

مَا لَنَا مِنْ مَّجِيصٍ (٢١): أي من ملجأ ومهرب أو منجى. وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ: بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ: أي بمغيبكم مما أنتم فيه من العذاب والكرب. ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِيَّايَ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٢) وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ: أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الأربعة: الماء واللبن والخمر والعسل. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ (٢٣).

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ: هي النخلة (١). ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤).

(١) الكلمة الطيبة هي لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن، والشجرة المضروب بها المثل هي النخلة، وفي الحديث الصحيح: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خيروني ما هي؟ قال: هي النخلة».

تُؤْتِي أَكْلَهَا : أي ثمرها الذي يؤكل منها. ﴿كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ .

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ : هي كلمة الكفر.

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ : هي الحنظل.

أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ : أي اقتلعت جثتها أي: جسمها وذاتها. ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ﴿١٦﴾ .

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ : هو لا إله إلا الله. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

وَفِي الْآخِرَةِ : أي في القبر فيجيب الملكين عما يسألانه عنه حيث يسألانه عن ربه ودينه

ونبيه. ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٧﴾ .

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا : أي بدلوا بالتوحيد والإسلام الجحود والشرك.

وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ ﴿١٨﴾ (١) : أي جهنم. ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنَسُّ الْقَرَارُ﴾ ﴿١٦﴾ .

وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا : أي شركاء. ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ .

أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٢١﴾ : هذا يوم القيامة لا بيع فيه ولا فداء ولا مخالفة تنفع ولا

صدقة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا﴾ .

لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ : أي السفن فلفظ الفلك دال على متعدد ويذكر ويؤنث. ﴿لِتَجْرِيَ

فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْآنْهَرَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ : جاريتين في فلكهما لا يفتران أبدًا حتى نهاية الحياة الدنيا.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ﴿٢٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ .

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ : كثير الظلم لنفسه ولغيره، كفارٍ عظيم الكفر، هذا ما لم

يؤمن ويهتد فإن آمن واهتدى سلب هذا الوصف منه.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا : أي اجعل مكة بلدًا آمنًا يأمن كل من دخله.

وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ : بعدني وبني.

أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ : عن أن نعبد الأصنام.

رَبِّ إِنِّي أَخْضَلْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ : أي بعبادتهم لها.

فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي : أي من اتبعني على التوحيد فهو من أهل ملتي وديني. ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ

(١) ﴿الْبَوَارِ﴾ : الهلاك.

(٢) ﴿مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ : أي: من كل مسئول سألتموه شيئًا فحذف مسئول لدلالة الكلام عليه، والمقابل محذوف أي: ومن كل ما لم تسألوه، فإن هناك أشياء لم يسألها الإنسان، وأعطاه الله تعالى إياها، وهذا الحذف كقوله: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ وسراييل تقيكم البرد: فحذف.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١٤﴾ (١).

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي : أي من بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر .  
بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ : أي مكة إذ لا مزارع فيها ولا حولها يومئذ . ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا  
الصَّلَاةَ﴾ .

فَأَجْعَلْ آفِئَّةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ : تمنُّ إليهم وتميل رغبة في الحج والعمرة . ﴿وَأَرْزُقْهُمْ  
مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِّنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي ﴿٣٩﴾ .

عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ : أي مع الكبر إذ كان سنه يومئذ تسعًا وتسعين سنة وولد له  
إسحاق وسنه مائة واثنتا عشرة سنة . ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣١) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٤٠﴾ .

رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ : هذا قبل أن يعرف موت والده على الشرك .  
وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ : أي يوم يقوم الناس للحساب .  
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا غَمًّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ : أي المشركون من أهل مكة وغيرهم .  
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ : أي تفتتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأحوال .  
مُهْطِعِينَ مُقْنِبِي رُءُوسِهِمْ ﴿٤٣﴾ : أي مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر رافعي

رءوسهم .

لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴿٤٤﴾ وَأَقْبَدُوهُمْ هَوَاءً ﴿٤٥﴾ : أي فارغة من العقل لشدة الخوف والفرع . ﴿وَأَنْذِرْ  
النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا مِنْ أَجْلِ قَرِيبٍ﴾ .

يُحِبُّ دَعْوَتَكَ : أي على لسان رسولك فنعبدك ونوحدك . ﴿وَتَسْبِحُ الرَّسُولُ﴾ .  
أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٦﴾ : أي عن الدنيا إلى الآخرة .  
﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ  
الْأَمْثَالَ﴾ (٤٧) .

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ : أي مكرت قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه .  
﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ .

(١) فوض الأمر لربه إن شاء غفر لمن عصاه رحمة، وإن شاء عذبه، وقيل: قال إبراهيم هذا قبل أن يعلم أن الله لا يغفر الشرك لأصحابه.

(٢) ﴿مُقْنِبِي﴾ الإقناع: رفع الرأس ومنه الإقناع في الصلاة وهو مكرو، وقد يطلق الإقناع أيضًا على تنكيس الرأس، يقال: أقنع رأسه: إذا طأطأه أو رفعه، واللفظ يحتمل الوجهين.

(٣) الطرف: العين.

وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴿٤٦﴾ : أي لم يكن مكرهم بالذي نزول منه الجبال فإنه تافه لا قيمة له فلا تعبا به ولا تلتفت إليه. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ ❀

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ : أي غالب لا يحال بينه وبين مراده بحال من الأحوال.

ذُو أَنْقَامٍ ﴿٤٧﴾ : أي صاحب انتقام ممن عصاه وعصى رسوله.

يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ : أي اذكر يا رسولنا للظالمين يوم تبدل الأرض.

غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ : وكذلك السموات.

وَيَرْزُقُوا اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ : أي خرجوا من القبور لله ليحاسبهم ويجزيهم.

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ : أي مشدودة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم.

فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ : الأصفاد جمع صفد وهو الوثاق من حبل وغيره.

سَرَابِيهُمُ مِنَ قَطْرَانٍ : أي قمصهم التي يلبسونها من قطران. ﴿وَتَعَثَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ ﴿٥٠﴾

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ❀

هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ : أي هذا القرآن بلاغ للناس. ﴿وَلِيَسْئُرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ ❀

وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ : أصحاب العقول.



## ١٥ - سُورَةُ الْحَجَرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ: الله أعلم بمراده بذلك، تكتب الر. ويقرأ ألف، لام، را.  
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ: الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف المقطعة تلك آيات الكتاب أي القرآن. ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ (١).  
رُبِمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾: يود: يحب ويرغب متمنياً أن لو كان من المسلمين.

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا: أي بالملذات والشهوات.  
وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ: أي بطول العمر وبلوغ الأوطار وإدراك الرغائب الدنيوية. ﴿سَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ (٣).  
وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كَنَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾: أي أجل محدود لإهلاكها.  
مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا: أي لا يتقدم أجلها المحدود لها و(من) زائدة للتأكيد. ﴿وَمَا يَسْتَشْعِرُونَ﴾ (٥).

وَقَالُوا يَا تَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ: أي القرآن الكريم. ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦).  
لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ: أي هلا تأتينا بالملائكة تشهد لك أنك نبي الله. ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٧).  
مَا نَزَّلَ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٨﴾: أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.  
وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٩﴾: أي ممهلين، بل يأخذهم العذاب فور نزول الملائكة.  
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ: أي القرآن. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾ (١٠).  
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴿١١﴾: أي في فرق وطوائف الأولين. ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٢).

كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ: أي التكذيب بالقرآن أو النبي ﷺ. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣).

(١) عود الضمير في ﴿نَسْلُكُهُ﴾ على القرآن أولى إذ السياق تابع لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: أرسل فيهم رسلاً وكانوا يتولون عليهم آياتنا ولم يتنفخوا لإعراضهم عنها فتعيبها قلوبهم وتذكرها فهو مهم ولا يتأثرون بها لوجود حوائل حالت دون ذلك، وهي الكبر والحسد والعناد، وكذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب الأولين نسلكه اليوم في قلوب المجرمين فيدخل القرآن عند سماعه إلى قلوبهم ولا يلامسها ولا يباشرها فلا تتأثر به وذلك لحوائل منها الحسد والعناد والكبر، وتلك سنة الله تعالى في أمثالهم، وأصل المسلك: إدخال الشيء في آخر.

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤﴾: أي مضت سنة الأمم السابقة. ﴿وَلَوْ فَدَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾.

فَطَلُّوا فِيهِ يَبْعُرُجُونَ ﴿١٤﴾: أي يصعدون.

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا: أي سدت كما يُسَكَّرُ النهر أو الباب. ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ ﴿١٥﴾.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا: أي كواكب ينزلها الشمس والقمر. ﴿وَرَزَقْنَاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿١٦﴾.

وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾: أي مرجوم بالشهب.

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾: كوكب يُرجم به الشيطان يحرقه أو يمزقه أو يخبله أي يفسده.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا: أي بسطانها.

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ: أي جبالاً ثوابت لثلاثا تتحرك الأرض.

وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُودٍ ﴿١٩﴾: أي مقدر معلوم والمقدار لله تعالى.

وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِئَةٍ مَعِيشَةً: جمع معيشة أي ما يعيش عليه الإنسان من الأغذية.

وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴿٢٠﴾: كالعبيد والإماء والبهائم. ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾.

وَمَا نُنزِّلُ لَهُ إِلَّا الْقَدْرَ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾: أي المطر.

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ: أي تلعق السحاب فيمتلئ ماء، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه. ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

فَأَسْقَيْنَكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾: أي لا تملكون خزائنه فتمنعوه، أو تعطوه من تشاءون.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿٢٣﴾.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمُ: أي من هلكوا من بني آدم إلى يومكم هذا.

وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾: والمستأخرين ممن هم أحياء وممن لم يوجدوا<sup>(١)</sup> بعد إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: أي آدم ﷺ.

مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾: أي طين يابس له صلصلة من حمأ<sup>(٢)</sup> أي طين أسود متغير.

وَالْبِجَانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾: نار لا دخان لها تنفذ في المسام وهي ثقب الجلد البشري.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٢٨﴾.

(١) ويدخل في معنى الآية المستقدمين في الطاعة والخير، والمستأخرين في المعصية والشر كما يدخل أيضاً المستقدمين في صفوف الحرب والصلاة، والمستأخرين في ذلك.

(٢) ترتيب طينة آدم التي خلق منها كما في الآية هكذا: تراب بل بالماء فصار طيناً ثم ترك حتى أنتن فصار حمأ مسنوناً أي: متغيراً ثم يبس فصار صلصالاً والمسنون: المتغير، بسبب مكثه مدة كسنة مثلاً.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ: أي أتممت خلقه.

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣١﴾: أي خروا له ساجدين. ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنُ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ يَا لَيْسَ لَكَ أَنْ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٥﴾.

قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا: أي من الجنة.

فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٦﴾: أي مرجوم مطرود ملعون. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٩﴾.

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾: أي وقت النفخة الأولى التي تموت فيها الخلائق كلها.

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي: أي بسبب إغوائك لي أي إضلالك وإفسادك لي. ﴿ لِأُرْسِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤١﴾: أي الذين استخلصتهم لطاعتك فإن كيدي لا يعمل فيهم.

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤٢﴾: أي هذا طريق مستقيم موصل إليّ وعليّ مراعاته وحفظه.

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٤﴾.

لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ: أي أبواب طبقاتها السبع التي هي جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٥﴾.

إِنَّ الْمُنْفِقِينَ: أي الذين خافوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم من العبادات. ﴿ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٦﴾ أَذْخَلُوهَا سَلْمًا وَعَمِينَ ﴿٤٧﴾.

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ: أي حقد وحسد وعداوة وبغضاء.

إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٨﴾: أي ينظر بعضهم إلى بعض ما داموا جالسين وإذا انصرفوا دارت بهم الأسرة فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ: أي تعب. ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٩﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥١﴾: أي الموجه شديد الإيذاء.

وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥٢﴾: هم ملائكة نزلوا عليه وهم في طريقهم إلى قوم لوط لإهلاكهم كان من بينهم جبريل وكانوا في صورة شباب من الناس. ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ﴿٥٣﴾.

قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٤﴾: أي خائفون وذلك لما رفضوا أن يأكلوا. ﴿ قَالُوا لَا نُجَلِّ إِنَّآ بِشْرِكَ ﴿٥٥﴾.

يَعْلَمُ عَلَيْهِ ﴿٥٦﴾: أي بولذي علم كثير هو إسحاق عليه السلام. ﴿ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ ﴿٥٧﴾.

فِيمَ بُشِّرُونَ ﴿٥٨﴾: أي تعجب من بشارتهم مع كبره بولده.

(١) أراد اللعين بسؤاله إلى يوم يبعثون ألا يموت، لأن يوم البعث لا موت فيه ولا بعده أيضًا.

قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَدِّيطِينَ ﴿٥٥﴾ : أي الآيسين. ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾  
إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ : أي ما شأنكم؟ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ .

قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ نُجُودٍ ﴿٥٨﴾ : هم قوم لوط عليه السلام.

إِلَّا عَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ : أي لإيمانهم وصالح أعمالهم.

إِلَّا أَمْرَانَهُ فَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٦٠﴾ : أي الباقيين في العذاب. ﴿فَلَمَّا جَاءَ عَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ .

قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ : أي لا أعرفكم.

قَالُوا بَلْ جِنَّتَكَ يَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْزُونَ ﴿٦٣﴾ : أي بالعذاب الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم.

وَأَيُّنَا بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْفِتْ مِنْكَ أَحَدٌ ﴿٦٥﴾ .

وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ : أي إلى الشام حيث أمروا بالخروج إليه.

وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ : أي فرغنا إلى لوط وأوحينا إليه. ﴿أَنْتَ دَابِرَ هَتُولَاءِ مَقْطُوعِ مُصْبِحِينَ

﴿٦٦﴾﴾ (١).

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي مدينة سدوم أي فرحين بإتيانهم الفاحشة. ﴿قَالَ إِنَّ

هَتُولَاءِ ضِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ .

وَأَقْوَمُ اللَّهِ وَلَا تَخْزُونِ ﴿٦٩﴾ : أي لا تذلوني في انتهاك حرمة ضيفي.

قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ : أي عن إجازتك لهم واستضافتك. ﴿قَالَ هَتُولَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ

فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ .

لَعَنَّاكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِعَمَهُونَ ﴿٧٢﴾ : أي غوايتهم وشدة غمتهم (٢) التي أزالته عقولهم يترددون.

فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ : أي وقت شروق الشمس. ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا ﴿٧٤﴾ .

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٥﴾ : أي طين طبخ بالنار.

إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ : أي الناظرين المعبرين.

(١) ﴿مُصْبِحِينَ﴾ : أي: داخلين في الصباح، ومثله: مشرقين، أي: داخلين في وقت الإشراق.

(٢) وهي انقيادهم للشهوة أي وحياتك يا رسولنا، إنهم أي قوم لوط ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ هذا الإقسام بحياة النبي ﷺ تشریفًا له، وأصل عمرك بضم العين وقتحت لكثرة الاستعمال، وجاز أن يكون القسم بحياة لوط أيضًا، وليس لأحد أن يجيز القسم بغير الله محتجًا بهذا القسم الإلهي؛ فإن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، فقد أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالسماء والليل وغيرها من مخلوقاته ولا اعتراض عليه، وأما العباد فقد أعلن الرسول ﷺ عن حرمة الحلف بغير الله فقد قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذي.

وإِنَّمَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾: أي طريق قريش إلى الشام مقيم دائم ثابت. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾.  
 وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ: أي قوم شعيب عليه السلام، والأأيكة غيضة شجر بقرب مدين. ﴿لظالمين ﴿٧٨﴾﴾.  
 فَأَنقَمْنَا مِنْهُم وَإِنَّمَا لِيَأْمُرَ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾: أي قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق مبين واضح.  
 والطريق طريق قريش إلى الشام.

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿٨٠﴾: أصحاب الحجر: هم قوم صالح ومنازلهم بين المدينة النبوية والشام.

وَأَلَيْنَهُمُ آيَاتِنَا: أي في الناقة وهي أعظم آية. ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا  
 ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ (١) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْحِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾: من بناء الحصون وجمع الأموال. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴿٨٥﴾﴾.

فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾: أي أعرض عنهم إعراضًا لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم.  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾.

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَابِي: هي آيات سورة «الفاتحة» سبع. ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ لَا تَمُدَّنَّ  
 عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ٢٤﴾.

أَرْوَاجًا مِنْهُمْ: أي أصنافًا من الكفار.

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ حَنَاحَكَ: أي ألن جانبك. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾: المبين النذارة.

كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾: أي الذين قسموا كتاب الله فقالوا فيه: شعر، وقالوا: سحر،  
 وقالوا: كهانة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾: هم المقسمون للقرآن وجعلوه عضين جمع عضة وهي  
 القطعة والجزء من الشيء. ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

فَأَصْدَقَ بِمَا تُؤْمَرُ: أي اجهر به وأعرضه كما أمرك ربك. ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ  
 الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾: أي من الاستهزاء بك والتكذيب لك. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ  
 رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾: أي الموت، أي إلى أن تتوفى وأنت تعبد ربك.



(١) وقوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أي: من أن تسقط عليهم أو تغرب فلا تسلم للسكن فيها.

## ١٦ - سُورَةُ النَّحْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ: أي دنا وقرب أمر الله بعذابكم أيها المشركون (١) فلا تستعجلون. ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ: أي بالوحي الذي به حياة الأرواح والمراد من الملائكة جبريل بإرادته وإذنه. عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: وهو هنا محمد ﷺ. ﴿أَنۢ أُنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٣) خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ: أي قطرة من المنى. فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٥﴾: أي يقول من يحيي العظام وهي رميم. وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ: أي ما تستدفنون به. وَمَنْفَعٌ: من العسل واللبن والركوب. وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦﴾: اللحم. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ: منظر حسن. حِينَ تَرِيحُونَ: أي حين تردونها من مراحلها. وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧﴾: أي وحين إخراجها من مراحلها إلى مسارحها: الأماكن التي تسرح فيها. ﴿وَتَحْمِلُ أُنْفُسًا كَمَا كُنْتُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا﴾. بَلِيغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ: أي بجهد الأنفس ومشقة عظيمة. ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٨) وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾: من سائر الحيوانات ومن ذلك السيارات والطائرات والقطر. وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ: أي تفضلاً منه وامتناناً ببيان السبيل القاصدة وهي الإسلام. وَمِنْهَا جَاءَكُمْ: أي عادل عن القصد وهو سائر الملل كاليهودية والنصرانية. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَمْجِيعَ﴾ (١٠) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ ﴿١١﴾ وَمِنْهُ شَجَرٌ: أي وبسببه يكون الشجر وهو هنا عام في سائر النباتات. فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٢﴾: ترعون مواشيكم. ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ

(١) من الجائر أن يراد به ﴿أَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ﴾ القيامة لقول الله تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾

وَمِن كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿١٢﴾ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ﴿١٣﴾ بِأَمْرِهِ: أي بإذنه وقدرته. ﴿١٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي خلق لكم في الأرض من الحيوان والنباتات المختلفة. ﴿١٦﴾ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ ﴿١٨﴾

لِحِمَاطٍ طَرِيًّا وَتَسَخَّرُ مِنْهُ حَيْلَةٌ تَلْبَسُونَهَا: هي اللؤلؤ والمرجان. وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ: أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة وبالبحار اليوم.

وَلِتَسْبَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي من فضل الله تعالى بالتجارة. ﴿١٩﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ: أي تميل وتتحرك فيخرب ما عليها (٢١) ويسقط. ﴿٢٢﴾ وَأَنْهَزْنَا مَسْبِلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ وَعَلَّمَتِ الْوَالِدِينَ وَالْأَنْجَامَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

وَإِن تَعُدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا: أي عدًّا فتضبطوها فضلًا عن شكرها للمنعم بها ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٨﴾: من المكر بالنبي ﷺ ومن أذاه علانية هذا بالنسبة إلى أهل مكة، إذ الخطاب يتناولهم أولاً ثم اللفظ العام فالله يعلم كل سر وعلانية في أي أحد. وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٩﴾: أي يصورون من الحجارة وغيرها. أَمْ تَوَدُّونَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٣٠﴾: أي وما تشعر الأصنام ولا تعلم الوقت الذي تبعث فيه وهو يوم القيامة ولا يبعث فيه عابدها من دون الله. إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ: أي جاحدة للوحداية والنبوة والبعث والجزاء.

وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٣١﴾: لظلمة قلوبهم بالكفر يتكبرون. لَأَجْرَمَ: أي حقًا. ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٤﴾: أي أكاذيب الأولين.

(١) ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ أي: مذلات لمعرفة الأوقات ونضح الثمار، والاهتداء بالنجوم بالظلمات.  
(٢) أي ألقى في الأرض جبالاً ثوابت. ﴿وَعَلَّمَتِ﴾ أي: وجعل لكم علامات للطير، وأمارات كالهضاب والأودية والأشجار لكل ما يستدل به على الطريق والناحية.

لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ : أي ذنوبهم. ﴿كَمَا لَمَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .  
 الْأَسَاءَةَ مَا يَزُرُونَ ﴿٥٥﴾ : أي بش ما يحملون من الأوزار.

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي من قبل كفار قريش بمكة كالنمرود وغيره.  
 فَأَقْبَلَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ : أي قصد إليه ليدمره فسلط عليه الريح والزلزلة فسقط من رأسه.

فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ : أي سقط لتداعي القواعد وسقوطها. ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ ﴿لَا يَسْعَى﴾ .  
 الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ : أي تخالفون المؤمنين فيهم بعبادتكم إياهم وجدالكم عنه، وتشاقون الله بمخالفتكم إياه بترك عبادته وعبادتكم إياها.

قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ : أي الأنبياء والمؤمنون.

إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٧﴾ .

الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ : بالشرك والمعاصي (١) .  
 فَأَلْفَوْا السَّلَامَ : أي استسلموا وانقادوا. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .  
 فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلْدًا فِيهَا ﴿٥٨﴾ .

فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٥٩﴾ : أي قبح منزل المتكبرين في جهنم مثلاً.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا : أي اتقوا الشرك والمعاصي.

مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا : أي أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فأتوا بها وفق مراد الله تعالى.

حَسَنَةً : أي الحياة الطيبة حياة العز والكرامة.

وَلِدَارٍ الْأَخْرَجَ خَيْرٌ وَلِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦٠﴾ : أي الجنة دار السلام.

جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يُجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٦١﴾ .

الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ : أي الأرواح بما زكوها به من الإيمان والعمل الصالح وبما

أبعدوها عنه من الشرك والمعاصي.

يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا : أي يقول لهم ملك الموت (عزرائيل) (٢) وأعوانه. ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ .

(١) قيل: الآية نزلت في الذين تركوا الهجرة إلى المدينة وبقوا في مكة يزاولون أعمال الشرك خوفاً من المشركين، ومن بينهم الذين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا إلى الشرك.

(٢) تسمية ملك الموت بـ (عزرائيل) لم ترد في الكتاب والسنة بل سماه الله تعالى ملك الموت فقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتُوبُ فَرِحْتُ بِمَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وَكَّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] (قل) .

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ : أي لقبض أرواحهم وعند ذلك يؤمنون.  
 أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ : أي بالعذاب أو بقيام الساعة وحشرهم إلى الله ﷻ. ﴿كَذَلِكَ﴾ (١) فَعَلَ الَّذِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٢﴾ .  
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ : أي نزل بهم العذاب وأحاط  
 بهم وقد كانوا به يستهزئون.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : هم كفار قريش ومشركوها.  
 ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ : كالسواحب  
 والبحائر والوصائل والحامات [قد تقدم شرحها في سورة «المائدة»]. ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ .  
 فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ : أي ما على الرسل إلا البلاغ؛ فالاستفهام للنفي.  
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ : أي عبادة الأصنام  
 والأوثان.

فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ : أي وجبت في علم الله أزلًا. ﴿فَسِيرُوا فِي  
 الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦) إِنْ تَحْرِيصٌ عَلَى هُدْيِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا  
 لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ .  
 وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : أي غايتها حيث بذلوا جهدهم فيها مبالغة منهم. ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ  
 يَمُوتُ﴾ .

بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا : أي بلى يبعث من يموت وقد وعد به وعدًا وأحقه حقًا فهو كائن لا محالة.  
 ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨) .

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ : أي بين المؤمنين من التوحيد والشرك.  
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ : أي في قولهم (لا نبعث بعد الموت) (٢).  
 إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ : أي خرجوا من مكة في  
 سبيل الله نصره لدينه وإقامته بين الناس.  
 مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لِنُبَيِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً : أي لننزلهم دارًا حسنة هي المدينة النبوية هذا بالنسبة  
 لمن نزلت فيهم الآية.

وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ : أي على أذى

(١) الإشارة بـ ﴿كَذَلِكَ﴾ إلى الإشراك وتحريمهم أشياء من تلقاء أنفسهم أي: كفعل هؤلاء فعل الذين من قبلهم ممن  
 مكروا برسولهم وأهلكهم الله جل جلاله.

(٢) وفي إنكارهم التوحيد والنبوة أيضًا.

المشركين وهاجروا متوكلين على ربهم في دار هجرتهم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ: أي أيها الشاكون فيما جاء به محمد ﷺ فاسألوا أهل التوراة والإنجيل لإزالة شككم ووقوفكم على الحقيقة وأن ما جاء به محمد حق وأن الرسل كلهم كانوا بشرًا مثله.

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ: أي أرسلناهم بشرًا بالبينات والزبر<sup>(١)</sup> لهداية الناس. وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ: أي القرآن. ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: علة لإنزال الذكر؛ فوظيفة الرسل البيان. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ: أي مكروا المكرات (السيئات) وصف للمكرات التي مكروها. ﴿أَنْ يَخْصِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾<sup>(٢)</sup>.

أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِيدِهِمْ: أي في البلاد مسافرين للتجارة وغيرها. ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ أي: بسابقين الله ولا فاتيه.

أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ: أي تنقص<sup>(٣)</sup>.

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ أَي: من أي جسم قائم له ظل كشجرة أو جبل يَنْفَعِيوْا ظِلُّهُ: أي تتميل من جهة إلى جهة.

عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ: أي خضعًا لله كما أراد منهم.

وَهُمْ دَخِرُونَ ﴿٤٨﴾: أي صاغرون ذليلون. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾.

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ: من أعلى منهم إذ هو فوق كل شيء ذاتًا وسلطانًا وقهرًا.

وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾: أي ما يأمرهم ربهم تعالى به.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾: أي تعبدونهما إذ ليس لكم إلا إله واحد. ﴿فَاتَّبَعُوا فَأَهْبُونَ﴾ ﴿٥١﴾ الرهبة: الخوف، فمعنى ﴿فَأَهْبُونَ﴾: خافوني ولا تخافوا سواي.

وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خلقًا وملكًا، إذًا فما تعبدونه مع الله هو لله ولم يأذن بعبادته.

(١) الزبر: أي الكتب.

(٢) وقد تم لهم وذاقوا مرًا يوم بدر يقتل صناديدهم وأسرههم.

(٣) بأن يهلكهم واحدًا بعد واحد أو جماعة بعد جماعة حتى لا يُبقي منهم أحدًا، وقد أخذ منهم بيد من أخذ وفي أحد، وللآية معنيان: الأول: أن يكون المعنى: يأخذهم العذاب وهم في حالة توقع بنزول العذاب لوجود أماراته كالرعد والبرق مثلاً.

والثاني: أن يكون المعنى بأن يأخذهم وهم في حالة تنقص بأن يأخذ القرية فتخاف القرية الأخرى.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما تفسير التَخَوُّفِ: بأن يعاقب أو يتجاوز، ويشهد له الجملة التعليلية وهي ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ فهو لا يعاجل بالعقوبة.

وَلَهُ الْبَيْنُ وَاصِبًا : أَي خَالصًا (١) دَائِمًا وَاجِبًا. ﴿أَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٥٢) وَمَا يَكُم مِّن تَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ ﴿٥٣﴾ .

فَإِلَيْهِ يَجْشُرُونَ ﴿٥٣﴾ : أَي ترفعون أصواتكم بدعائه طالبين الشفاء منه. ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) ﴿٥٤﴾ .

لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْعُوا فُسُوفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ : تهديدًا على كفرهم وشركهم ونسيانهم دعاء الله تعالى.

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ : أَي يجعلون لآلهتهم نصيبًا من الحرت والأنعام.

تَاللَّهِ لَشَيْئَانٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ : أَي تختلقون بالكذب وتفترون على الله ﴿عَبْرَةً﴾ .

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ : إِذْ قَالُوا: الملائكة بنات الله.

وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ : أَي الذكور من الأولاد، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا : أَي متغيرًا بالسواد لما عليه من كرب.

وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ : أَي ممتلئ بالغم. ﴿يَنْزُرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ .

أَرِيدُ سُهُ فِي التَّرَابِ : أَي يدفن تلك المولودة حية وهو الواد. ﴿الْأَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) ﴿٥٩﴾ .

لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ : أَي الصفة القبيحة.

وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ : أَي الصفة العليا (١) وهي لا إله إلا الله. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠) ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ

النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِّن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَفْتِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ﴿٦١﴾ .

مَا يَكْرَهُونَ وَيَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ : أَي الجنة إذ قال بعضهم ﴿وَلَكِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ

رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٦٢﴾ .

لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٣﴾ : أَي مقدمون إلى جهنم متروكون فيها.

تَاللَّهِ : أَي والله. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ : أَي رسلاً.

فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ : فكذبوا لذلك الرسل.

فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ : أَي الشيطان هو وليهم أي في الدنيا. ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٤) ﴿٦٤﴾ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ إِلَّا لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا

(١) لفظ الدين هنا: صالح لأن يكون الطاعة يقال: دان فلان للملك: أطاعه، وصالح لأن يكون الجزاء كقوله: ﴿

تَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ وصالح لأن يكون الديانة، والكل لله. لا شريك له، فالطاعة واجبة له والجزاء هو الذي يملكه والديانة هو شارعها فهي له دون سواه.

(٢) إن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه عز وجل وقد قال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ فالجواب: إن قوله: ﴿فَلَا

تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ معناه الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص أي: لا تضربوا له مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق، والمثل الأعلى هو وصفه تعالى بما لا شبيه له ولا نظير.

بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿١﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي دلالة واضحة على صحة عقيدة البعث الآخر. ﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦٥﴾. وَإِنَّ لِكُلِّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً: أي دلالة قوية يعبر بها من الجهل إلى العلم؛ لأن العبرة من العبور. تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ: أي نفل الكرش، أي الروث الموجود في الكرش. وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا: أي ليس فيه شيء من الفرت ولا الدم لا لونه ولا رائحته ولا طعمه. ﴿سَائِعًا لِشَرَابٍ﴾ ﴿٦٦﴾ فلا يغص به شارب ولا يشرق به. وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ: أي ومن بعض ثمرات النخيل والأعناب ثمر. نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا: أي خمراً وهي السكر، والتمر والزبيب والخل والدبس الرزق الحسن. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾. وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ: أي أنهما أن تفعل ما تفعله بالهام منه تعالى. ﴿أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ﴾.

وَمِمَّا يَبْرِشُونَ ﴿٦٨﴾: أي يبنون لها. ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا: أي طرق ربك مذلة فلا يعسر عليك السير فيها ولا تفضل عنها، أو المراد به النحلة نفسها، وذلك جمع ذلول وهي المنقادة المطيعة المسخرة. يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ: أي عسل. ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾. فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ: أي من الأمراض إن شرب بنية الشفاء، أو بضميمته إلى عقار آخر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾. وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ: أي أخسه من الهرم والخرف، والخرف فساد العقل. ﴿لَكِنِّي لَا يَعْزُبُ عَنْدَ عَلِيمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾. وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ: أي فمنكم الغني ومنكم الفقير. ومنكم المالك ومنكم المملوك.

فَمَا آتَيْنَ فَضَّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ: أي بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين مماليتهم من العبيد. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفْنِعْمَةً اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٧١﴾. وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا: إذ حواء خلقت من آدم وسائر النساء من نطف الرجال. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً: أي خداماً من زوجة وولد ولد وخدام وختن. ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

أَفِيَابَ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ: أي عبادة الأصنام يؤمنون؟ ﴿وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) كون المسند فعلاً وهو: أنزل من السماء ماءً أفاد التخصيص أي: الله وحده الذي أنزل من السماء ماء، والمراد

مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴿٧٦﴾.

مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا: أي بانزال المطر من السماء، وإنبات النبات من الأرض. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا: أي هو عبدًا مملوكًا. إلخ. عَبْدًا مَمْلُوكًا: أي ليس بحر بل هو عبد مملوك لغيره.﴾ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ فَاَحْسَنَّا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾. هَلْ يَسْتَوُونَ: أي العبيد العجزة والحر المتصرف والجواب لا يستون قطعًا. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿١﴾.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا: أي هو. ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾: أي ولد أخرس وأصم لا يسمع. لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ: أي لا يفهم ولا يفهم غيره. وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ: أي ابن عمه أو من يتولاه من أقربائه يقومون بإعاشته ورعايته لعجزه وضعفه وعدم قدرته على شيء. ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾. وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾: وهو الله ﷻ يأمر بالعدل أي بالتوحيد والاستقامة في كل شيء. وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي ما غاب فيهما.

وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ: أي أمر قيامها، وذلك بإماتة الأحياء وإحيائهم مع من مات قبل وتبديل صور الأكوان كلها. ﴿إِلَّا كَلِمَاحَ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴿٧٨﴾. وَالْأَفْئِدَةَ: أي القلوب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ: أي مذلات في الفضاء بين السماء والأرض وهو الهواء أي: مذلات لأمر الله تعالى، ومذلات لمنافعكم أيضًا. مَا يُسَبِّحُكُمْ: أي عند قبض أجنحتها وبسطها، واصطفافها ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾: تعالى بقدرته وسنته في خلقه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٧٨﴾.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا: أي مكانًا تسكنون فيه وتخلدون للراحة. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا: أي خيامًا وقبابًا. تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَغَيْتُمْ: أي ارتحالكم في أسفاركم. ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾.

أَنْثًا وَمَتْعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾: كُسْطٌ وَأَكْسِيَةٌ تَبْلَى وَتَمْرٌ وَتَرْمِي. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾.

﴿١﴾ لا يعلمون أن الله هو المستحق للحمد دون آلهتهم؛ لأن الله تعالى هو المنعم بالخلق والرزق، والأصنام لا تخلق ولا ترزق، فلذا الحمد له وحده.

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَنًا : أي ما تستظلون به من حر الشمس، وما تسكنون به في غيران الجبال.

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ : أي قمصانًا تقيكم الحر والبرد.  
 وَسَرَابِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ : أي دروعًا تقيكم الضرب والطعان في الحرب.  
 كَذَلِكَ يَبْتَرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ : أي رجاء أن تسلموا له قلوبكم ووجوهكم فتعبده وحده. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ الْمَمِينُ﴾ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتْرُكُوهَا وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ .

وَيَوْمَ نَبَعْتُ : أي اذكر يوم نبعث. ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ : هو نبيها.

ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : أي بالاعتذار فيعتذرون.

وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى اعتقاد وقول وعمل ما يرضي الله عنهم. ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ : أي: عذاب جهنم بالدخول فيها، ومعنى ينظرون: يمهلون.

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ : أي الذين كانوا يعبدونهم من دون الله كالأصنام والشياطين. ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ .

فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ : أي ردوا عليهم قائلين لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ .

وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ : أي ذلوا له وخضعوا لحكمه واستسلموا.

وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٧﴾ : من أن ألهمتهم تشفع لهم عند الله وتنجيهم من عذابه، ومعنى

صل: غاب.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ : أنه عقارب وحيات كالنخل الطوال والبغال الموكفة. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ .

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ : أي القرآن.

بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ : أي لكل ما بالآمة من حاجة إليه في معرفة الحلال والحرام، والحق والباطل،

والثواب والعقاب. ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ، وَالْإِنصَافِ، وَمِنَ التَّوْحِيدِ. ﴿٩٠﴾ وَأَلْإِحْسَانِ﴾ : أداء الفرائض وترك

المحارم مع مراقبة الله تعالى.

وَإِنِّي ذِي الْقُرْبَىٰ : أي إعطاء ذي القربى حقوقهم من الصلة والبر.

وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ الزَّانَا. ﴿وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ﴾ : أي يأمركم وينهاكم.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾ : أي تتعظون. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

الْأَيْمَنَ ﴿١﴾

بَعْدَ تَوَكُّدِهَا : أي تغليظها. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْفِيًّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿٩١﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا : أي أفسدت غزلها بعدما غزلته، وهي حمقاء مكة وتدعى

ربطة بنت سعد بن تيم قرشية.

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ : أي إحكام له ويرم.

أَنْكَا : جمع نكث وهو ما ينكث ويحل بعد الإبرام.

لَتَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ : الدخل ما يدخل في الشيء وهو ليس منه للإفساد والخديعة.

أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ : أي أكثر منها عددًا وقوة ﴿٢﴾. ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَّتَيْنِ لَكُمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَخْلِفُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ تَلَوْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ : أي لأجل الإفساد والخديعة.

فَنَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَدَوُّوا السَّوَاءَ : أي العذاب. ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٥﴾

مَا عِنْدَكُمْ يَفْدَى : يفتني وينتهي. ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ : أي والحال أنه عندما عمل صالحًا كان مؤمنًا إذ

بدون إيمان لا عمل يقبل.

فَلَنَحْنِئِنَّ حَيَاةَ طَيْبَةً : في الدنيا بالقناعة والرزق الحلال، وفي الآخرة هي حياة الجنة.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ : أي يجزيهم على كل أعمالهم حسنها

وأحسنها بحسب الأحسن فيها.

فَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنَ : أي أردت أن تقرأ القرآن.

فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ : أي قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لحمايتك من

(١) هذا في الأيمان المؤكد بها الحلف في الجاهلية لقول الرسول ﷺ في حديث مسلم «لا حلف في الإسلام وأيما

حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة وأبطل ﷺ الحلف في الإسلام، لأن الإسلام جاء بنصرة

المظلوم وأخذ الحق له من الظالم كما هو مبين في شريعته.

(٢) إفسادًا وخديعة كأن تحالفوا جماعة وتعاهدوها، ثم تنقضوا عهدكم وتحلوا ما أبرتم من عهد وميثاق وتعاهدوا

جماعة أخرى لأنها أقوى وتتفوق بها أكثر. هذا معنى قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي

جماعة أكثر من جماعة رجالًا وسلاحًا أو مآلًا ومنافع.

وسواسه.

إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١١﴾ : أي قوة وتسلط على إفساد الذين آمنوا وإضلالهم ما داموا متوكلين على الله. ﴿إِنَّمَا سُلْطَنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١١٢﴾.

وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً : أي بنسخها وإنزاله آية أخرى غيرها لمصلحة العباد. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُرِيدُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٣﴾.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ : أي جبريل عليه السلام.

مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي على إيمانهم. ﴿وَهُدَىٰ وَنُورًا لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٤﴾. وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ.

إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بِشَرِّ : يعنون قينا (حدادا) نصرانيا في مكة.

لِسَاكِنِ الْأَرْضِ يَلْحُدُونَ إِلَيْهِ : أي يميلون إليه. أَعْجَبِي.

وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١١٥﴾ : أي القرآن فكيف يعلمه أعجمي. ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَأْتِيَتِ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٦﴾. إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ : أي على التلفظ بالكفر فتلفظ به. ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا : أي فتح صدره للكفر وشرحه له فطابت نفسه له. ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٨﴾. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٩﴾. وَأُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَفِيفُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ : أي عما يراد بهم.

لَا جَرَمَ : أي حقا.

أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١٢١﴾ : أي لمصيرهم إلى النار خالدين فيه أبدا.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا : أي إلى المدينة.

مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا : أي فتنهم المشركون بمكة فعذبوهم حتى قالوا كلمة الكفر مكرهين.

ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا : أي من بعد الهجرة والجهاد والصبر على

الإيمان والجهاد.

لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٢﴾ : أي غفور لهم رحيم بهم.

يَوْمَ تَأْتِي : أي اذكر يا محمد يوم تأتي. ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّجْتَدِلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾.

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً: هي مكة.

كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا: أي واسعًا.

مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ: أي بالرسول والقرآن والأمن ورغد العيش.

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ: أي بسبب قحط أصابهم حتى أكلوا العهن لمدة سبع سنين.

وَالْخَوْفِ: حيث أصبحت سرايا الإسلام تغزوهم وتقطع عنهم سبل تجارتهم. ﴿بِمَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾.

فَكُلُوا: أيها الناس. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾: أي غير حرام ولا مستقذر.

وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ. أي بعبادته وحده وبإلانتهاه إلى ما أحل لكم عما حرمه عليكم.

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾: أي إن كنتم تعبدونه وحده فامتثلوا أمره، فكلوا مما أحل لكم

وذروا ما حرم عليكم <sup>(١)</sup>.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ: أي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير تذكية شرعية.

وَالدَّمَّ: أي الدم المسفوح السائل لا المختلط باللحم والعظم.

وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ: أي ما ذكر عليه غير اسم الله تعالى.

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ: أي غير باغ على أحد ولا عاد أي متجاوز حد الضرورة. ﴿فَاتَّ

اللَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾.

وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُولُ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ: أي لا تحلوا

ولا تحرموا بالستكم كذبًا على الله فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام بدون تحليل ولا تحريم من الله

تعالى. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود <sup>(٢)</sup>.

حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ: أي في سورة «الأنعام» [الآية ١٤٦]. ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا

كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾. إلخ. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿١١٨﴾.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ بِجَهَنَّمَ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا: أي ثم إن ربك غفور

رحيم للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا.

(١) هذه الجملة بيان لمضمون جملة: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ لتمييز الطيب من الخبيث ذكر تعالى هنا أربع محرمات وهي عشر جاءت في سورة المائدة إلا أن هذه الأربعة هي الأصول وما دونها تابع لها: المنخقة، والموقودة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذُبِحَ على النصب فالخمسة الأولى تابعة للميتة والسادسة تابعة لما أهل به لغير الله.

(٢) تقديم الجار والمجرور: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا﴾ للاهتمام وللإشارة إلى أن ذلك التحريم كان انتقامًا منهم، ولم يكن شرعًا لإكمالهم وإسعادهم.

إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا: أي من بعد الجهالة والتوبة. ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩).

إِنَّ إِزْهِيمَكَ كَانَتْ أُمَّةً: أي إمامًا جامعًا لخصال الخير كلها قدوة يقتدى به في ذلك.

فَأَنتَا لِلَّهِ حَنِيفًا: أي مطيعًا لله حنيفًا: مائلًا إلى الدين القيم الذي هو الإسلام. ﴿وَلَوْ يَكُ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٠).

شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَحَبَبْتَهُ: أي ربه اصطفاه للخلة بعد الرسالة والنبوة. ﴿وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ (١٢١).

وَأَتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: هي الثناء الحسن من كل أهل الكتب السماوية. ﴿وَأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَيُنَازِلُ

الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾.

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ: أن اليهود أمروا بتعظيم الجمعة فرفضوا وأبوا إلا

السبت ففرض الله عليهم ذلك وشدد لهم فيه عقوبة لهم. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤).

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ: أي إلى طاعته إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه فهي سبيل الله.

بِالْحِكْمَةِ: أي بالقرآن والمقالة الحكيمة الصحيحة ذات الدليل الموضح للحق.

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: هي مواظب القرآن، والقول الرقيق الحسن.

وَيَحْدِثْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ

ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ بِهِ. ﴿

وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦): أي خير من الانتقام عاقبة. ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾.

وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧): أي لا تهتم بمكرهم، ولا يضيق صدرك به.

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي اتقوا الشرك والمعاصي.

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١٢٨): أي في طاعة الله، ومعيته تعالى هي نصره وتأييده لهم في الدنيا.







**الباب الرابع**  
**من سورة «سبحان» أي: «الإسراء»**  
**حتى سورة «الفرقان»**



## ١٧ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ : أي تنزهه وتقدس عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله وهو الله ﷻ .  
 الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ : أي بعبدته ورسوله محمد ﷺ .  
 لَيْلًا مَرَّكَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ : أي الذي بمكة .  
 إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا : أي الذي ببيت المقدس . ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (١) .  
 لِزَيْنِهِ مِنْ آيَاتِنَا : أي من عجائب قدرتنا ومظاهر ذلك في الملكوت الأعلى . ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ .

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ أَي التوراة . ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ : أي جعلنا الكتاب أو موسى هدى أي هادياً .  
 لِيَحْيِيَ إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (٢) : أي حفيظاً أو شريكاً .  
 ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ : أي في السفينة . ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ .  
 وَقَضَيْنَا : أي أعلمناهم قضاءنا فيهم . ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ : أي التوراة .  
 لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ (٣) وَلَنَعْلَنَ عُلُوقَ كَبِيرًا (٤) : أي بغياً عظيماً .  
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا : أي أولى المرتين . ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ﴾ : أي ترددوا جائين ذاهبين وسط الديار يقتلون ويفسدون .  
 وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) : أي منجزاً لم يتخلف .  
 ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) : أي رجالاً في

الحرب .

إِنْ أَحْسَنْتُمْ : أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها .  
 أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ : أي أن الأجر والثوبة والجزاء الحسن يعود عليكم لا على غيركم .  
 وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا : أي في الطاعة فإلى أنفسكم سوء عاقبة الإساءة .  
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ : أي المرة الآخرة المقابلة للأولى (٣) وقد تقدمت .

(١) أي حول المسجد الأقصى معنى حوله: خارجه وذلك بالأشجار والأنهار والثمار، وأما داخله فالبركة الدينية بمضاعفة الصلاة فيه أي أجرها؛ إذ الصلاة فيه بخمسمائة صلاة أجرة ومثوبة .

(٢) أي: بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

(٣) وتم هذا - أي وقت المرة الأولى - لما أسدوا وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى حتى قتلوا نبيهم (أرميا) عليه السلام، وكان هذا على يد الطاغية جالوت فغزاهم من أرض الجزيرة ففعل بهم

لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ : أي يقبحوها بالكرب واسوداد الحزن وهم الذل.  
وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ : أي بيت المقدس.

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَسْتَرُوا مَا عَلَوْا تَبْسِيرًا ﴿٧﴾ : أي وليدمروا ما غلبوا عليه من ديار بني

إسرائيل تدميرًا.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۖ وَإِن عُدتُمُ عُدْنَا : أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم.

وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ : أي محبسًا وسجنًا وفرشًا يجلسون عليها فهي من فوقهم ومن تحتهم.

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ : أي الطريقة التي هي أعدل وأصوب.

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ : إنها الجنة دار السلام.

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ : إنه عذاب النار يوم القيامة.

وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ : أي على نفسه وأهله إذا هو ضجر وغضب.

دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ : أي يدعو بالشر كدعائه بالخير.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ : أي سريع التأثر بما يخطر على باله فلا يتروى ولا يتأمل.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ : أي علامتين دالتين على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته

وحكمته.

فَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ : أي طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس.

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً : أي يبصر الإنسان بها أي بسبب ضوء النهار فيها.

لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ : أي عدد السنين وانقضائها وابتداء

دخولها وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها كالأيام والأسابيع والشهور. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ﴿١٢﴾

وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّرَبِّهِ أَزْمَنٌ : أي عمله وما قدر له من سعادة وشقاء.

فِي عُنُقِهِ : أي ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا لِّقَلْبِهِ مَنشُورًا﴾ ﴿١٣﴾

أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ نَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ : أي كفى نفسك حاسبًا عليك. ﴿مِنَ آهَتَدَىٰ فَإِنَّمَا

يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي لا تحمل نفس أئمة إثم نفس أخرى. ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَآرَفًا بِهَا : منعناها من أغنياء ورؤساء .  
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : أي بالعذاب . ﴿ ١٦٦ ﴾ ﴿ ١٦٧ ﴾ .  
وَكَمْ أَهْلَكْنَا : أي بالعذاب .

مِنَ الْقُرُونِ : أي من أهل القرون السابقة .  
مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ رِبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿ ١٧٧ ﴾ : أي علميًا بصيرًا بذنوب العباد .  
مَنْ كَانَ يُرِيدُ : أي الدنيا لسرعة انقضائها . ﴿ ١٧٨ ﴾ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِئِنْ تُرِيدُ ﴿ ١٧٩ ﴾ .  
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿ ١٨٠ ﴾ : أي يدخلها ملومًا مبعدًا من الجنة .  
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ : أي عمل لها العمل المطلوب لدخولها وهو الإيمان والعمل الصالح .

فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿ ١٨١ ﴾ : أي عملهم مقبولًا مثابًا عليه من قبل الله تعالى .  
كَلَّا نُمَدِّدُ هُنَّ أُولَٰئِكَ وَهُنَّ أُولَٰئِكَ : أي كل فريق من الفريقين نعطي .  
مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿ ١٨٢ ﴾ : أي لم يكن عطاء الله في الدنيا محظورًا أي ممنوعًا عن أحد .

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ : أي في الرزق والعاجاه . ﴿ ١٨٣ ﴾ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿ ١٨٤ ﴾ .

لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ : أي لا تعبد مع الله تعالى غيره من سائر المعبودات الباطلة .  
فَنَقَعَدُ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿ ١٨٥ ﴾ : أي فتصير مذمومًا من الملائكة والمؤمنين، مخذولًا من الله تعالى .  
﴿ ١٨٦ ﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ : أي أمر وأوصى .

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا : أي وأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا وذلك ببرهما . ﴿ ١٨٧ ﴾ إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴿ ١٨٨ ﴾ .

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيٍ : أي تبا أو قبحًا أو خسرانًا .  
وَلَا تَنْهَرْهُمَا : أي ولا تزجرهما بالكلمة القاسية .  
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿ ١٨٩ ﴾ : جميلًا لينًا .

وَأخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ : أي ألن لهما جانبك وتواضع لهما . ﴿ ١٩٠ ﴾ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَانَ رَبِّيَ صَغِيرًا ﴿ ١٩١ ﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُونَ صَالِحِينَ ﴿ ١٩٢ ﴾ : أي مؤدين لحقوق الله تعالى وافية وحقوق عباده كذلك .

فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولَٰئِكَ : أي الرجاعين إلى الطاعة بعد المعصية . ﴿ ١٩٣ ﴾ غَفُورًا ﴿ ١٩٤ ﴾ .  
وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ : أي أعطى أصحاب القرباب حقوقهم من البر والصلة .

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرَ بُدْرًا ﴿٦٦﴾: أي ولا تنفق<sup>(١)</sup> المال في غير طاعة الله ورسوله. ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٦٧﴾: أي كثير الكفر كبيره لنعم ربه تعالى، فكذلك المبذر أخوه. وَإِنَّمَا تُعْرَضُونَ عَنْهُمْ: أي عن المذكورين من ذي القربى والمساكين وابن السبيل فلم تعطهم شيئاً. أَبْعَاةَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا: أي طلباً لرزق ترجوه من الله تعالى. فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٦٨﴾: أي لينا سهلاً بأن تعدهم بالعطاء عند وجود الرزق. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ: أي لا تمسك عن النفقة كأن يدك مربوطة إلى عنقك فلا

تستطيع أن تعطي شيئاً.

وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ: أي ولا تنفق كل ما بيدك ولم تبق شيئاً.

فَتَقْعَدَ مَلُومًا: أي يلومك من حرمتهم من الإنفاق.

تَحْسُورًا ﴿٦٩﴾: أي منقطعاً عن سيرك في الحياة إذ لم تبق لك شيئاً.

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ: أي يوسع ويقدر أي يضيقه امتحاناً وابتلاء. ﴿إِنَّهُ كَانَ

بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٧٠﴾.

وَلَا تَقْنَطُوا أَوْلَادَكُمُ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ: أي خوف الفقر وشدته.

تَحْنُ نَزْفُفُهُمْ وَإِنَّا كَوْمٌ إِن قُلَّ لَهُمْ كَانَ خِطَابًا كَبِيرًا ﴿٧١﴾: أي إثماً عظيماً.

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾: أي خصلة قبيحة شديدة القبح، وسيئاً بس

السبيل. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾.

فَقَدْ جَعَلْنَا لُولِيِّهِ سُلْطَانًا: أي لوارثه تسلطاً على القاتل<sup>(٢)</sup>.

فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ: أي لا يقتل غير القاتل<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾ ﴿٧٣﴾.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي إلا بالخصلة التي هي أحسن من غيرها وهي تنميته

والإنفاق عليه منه بالمعروف.

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ: أي بلوغه سن التكليف وهو عاقل رشيد.

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ: أي إذا عاهدتم الله أو العباد فأوفوا بما عاهدتم عليه.

إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٧٤﴾: أي عنه وذلك بأن يسأل العبد يوم القيامة لم نكث عهده؟

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ: أي أتموه ولا تقصوه.

(١) قال مجاهد: لو أنفق ماله كله في حق ما كان مبذراً، ولو أنفق مداً في غير حق كان مبذراً.

(٢) الولي: هو المستحق الدم رجلاً كان أو امرأة، والسلطان معناه التسليط فهو إن شاء قتل وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

(٣) أي: فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثل بالقتيل، ولا يقتل بالواحد اثنين أو أكثر ولا بالعبد الحر.

إِذَا كَلَّمْتُمْ وَرَثُوا بِالْقِسْطِ السُّوْيِ الْمَعْتَدِلِ.

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾: أي مآلاً وعاقبة.

وَلَا تَقْفُ: أي ولا تتبع. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ أي القلب.

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾: أي عن كل واحد من هذه الحواس الثلاث يوم القيامة.

وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا: أي ذا مرح بالكبر والخيلاء.

إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ: أي لن تثقبها أو تشقها بقدميك. ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ كَلِّ ذَلِكَ كَانَ

سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ: أي التي هي معرفة المحاب لله تعالى للتقرب بها إليه

ومعرفة المساخط لتجنبها تقريباً إليه تعالى بذلك.

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾: أي تلوم نفسك على شركك بربك مبعداً

من رحمة الله تعالى.

أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ: الاستفهام للتوبيخ والتقريع، ومعنى أصفاكم: خصكم بالبنين

واختارها لكم. ﴿وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَوْلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ: أي بينا فيه من الوعد والوعيد والأمثال والعظات والأحكام والعبير.

لِيَذْكُرُوا: أي ليذكروا فيتعضوا فيؤمنوا ويطيعوا. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ ﴿٤٢﴾

إِذَا لَا يَتَّبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٣﴾: أي لطلبوا طريقاً إلى الله تعالى للتقرب إليه وطلب المنزلة

عنده. ﴿سَبَّحْنَهُ وَتَعَلَّى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾.

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ: أي في السموات من الملائكة والأرض من إنسان وجان

وحيوان.

وإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ: أي وما من شيء إلا يسبح بحمده من سائر المخلوقات.

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٥﴾: حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على معصيتكم إياه

وعدم طاعتكم له.

وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٦﴾: أي ساتراً لهم فلا

يسمعون كلام الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ: أكنة: أي أغطية على القلوب فلا تعي ولا تفهم، أن يفقهوه

أي: لتلا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه.

(١) ساتراً: أي للرسول ﷺ حتى لا يراه من أراده بسوء، ومستوراً: أي الحجاب لا يراه المشركون وهو موجود فعلاً ولكن لا يُرى.

وَفِي آيَاتِهِمْ وَفَرًا: أي ثقلاً فلا يسمعون القرآن ومواظبه.  
 وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوْ عَلَىٰ أَذْبَرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٥﴾: أي فرازا من السماع حتى لا يسمعوا.  
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ: أي بسببه وهو الهزء بالنبي ﷺ.  
 إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى: أي يتناجون بينهم يتحدثون سرا.  
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٦﴾: أي مغلوبا على عقله مخدوعا.  
 أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ: أي قالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: شاعر.  
 فَضَلُّوا: أي عن الهدى. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٧﴾.  
 وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا: الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والرفات الأجزاء المتفرقة. ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ ﴿٤٩﴾.  
 أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ: أي يعظم عن قبول الحياة<sup>(١)</sup> في اعتقادكم.  
 فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ: خلقكم.  
 أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَغْضِبُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ: أي يحركون رؤوسهم تعجبا.  
 وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ: الاستفهام للاستهزاء أي متى هذا البعث الذي تعدنا. ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ ﴿٥٠﴾.  
 يَوْمَ يَدْعُوكُمْ: أي يناديكم من قبوركم على لسان إسرائيلي.  
 فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ: أي تحييون قائلين: سبحانك اللهم وبحمدك.  
 وَتَنْظُرُونَ إِن لَّيْتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥١﴾: وتظنون أنكم ما لبستم في قبوركم إلا قليلا.  
 وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ: أي يفسد بينهم.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلِإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٢﴾: أي بين العداوة ظاهرها.  
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ: هذه هي الكلمة التي هي أحسن. ﴿إِنْ يَشَاءُ يُرْسِلْكُمْ فِي سَحَابٍ مِّمَّنَّ﴾ ﴿٥٣﴾.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، عن مجاهد: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: هو الموت، وعن ابن عمر أنه قال في تفسير هذه الآية: لو كنتم موتى لأحييتكم وكذلك قال سعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم.

ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذ أراد. وقال مجاهد: ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: يعني السماء والأرض والجبال، وفي رواية: ما شتمتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾: أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديدا أو خلقا آخر شديدا ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا، ثم صرتم بشرًا تنتشرون، فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال. اهـ (قل).

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ : أي فيلزمك إجبارهم على الإيمان. ﴿ وَرَبُّكَ أَغْلَرُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۗ ﴾ .

وَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ : أي كتابًا هو الزبور، هذا نوع من التفضيل <sup>(١)</sup> .

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ فَلَا يَمْلِكُونَ : أي لا يستطيعون.

كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ : أي إزالته بشفاء المريض.

وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ : أي للمرض من شخص مريض إلى آخر صحيح ليمرض به.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ : أي ينادونهم طالبين منهم أو متوسلين بهم.

يَنْتَفُونَ إِلَيْكَ رَبِّهِمْ أَلَسِمْ أَيْهِمْ أَقْرَبُ : أي يطلبون القرب منه بالطاعات وأنواع القربات.

﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۗ ﴾ .

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ : أي يحذره المؤمنون ويحترسون منه بترك معاصي الله تعالى.

﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيسَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ <sup>(٢)</sup>

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ : أي في كتاب المقادير الذي هو اللوح المحفوظ مكتوبًا.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ : أي بالآيات التي طلبها أهل مكة كتحويل الصفا إلى جبل ذهب. أو

إزالة جبال مكة لتكون أرضًا زراعية وإجراء العيون فيها.

إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ : إذ طلب قوم صالح بالآية ولما جاءتهم كفروا بها فأهلكهم الله

تعالى.

وَمَا آتَيْنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً : أي وأعطينا ثمود قوم صالح الناقة آية مبصرة واضحة بيّنة.

فَظَلَمُوا بِهَا : أي كفروا بها وكذبوا فأهلكهم الله تعالى.

وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ : إلا من أجل تخويف العباد بأننا إذا أعطيناهم الآيات ولم

يؤمنوا أهلكناهم.

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ : أي قدرة وعلمًا فهُم في قبضته وتحت سلطانه فلا تخفهم.

وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا <sup>(٣)</sup> الَّتِي أَرَيْنَاكَ : هي ما رآه الرسول ﷺ ليلة الإسراء والمعراج من عجائب

(١) الزبور: كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود لعدم الحاجة إلى ذلك لوجود التوراة بينهم، وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد، والآية صالحة لحجاج اليهود منكري نزول القرآن على محمد ﷺ .

(٢) ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ ﴾ : أي: ظالمة حذفت الصفة للعلم بها إذ لا يأخذ الله أهل قرية إلا بعد ظلمهم إذ هو أعدل من يعدل واعدل، وأرحم من يرحم ورحم، وقد جاء هذا الوصف في عدة آيات منها: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ﴾ وفي الآية تهديد ووعيد عرفه ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذن الله في هلاكهم.

(٣) لفظ الرؤيا يطلق في الغالب على الرؤيا في المنام، ويطلق على رؤية العين كما في هذه الآية رواية صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي البخاري والترمذي عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ﴾ الخ قال: هي الرؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس.

خلق الله تعالى.

إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ <sup>(١)</sup> وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ : هي شجرة الزقوم الوارد لفظها في «الصفات» و«الدخان».

وَيُخَوِّفُهُمْ : بعدابنا في الدنيا بالإهلاك والإبادة، وفي الآخرة بالزقوم والعذاب الأليم.  
فَمَا يَزِيدُهُمْ : أي التخويف. ﴿إِلَّا طُغَيْنَا كَبِيرًا﴾ <sup>(٢)</sup> وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ .

قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا <sup>(٣)</sup> : أي من الطين.  
قَالَ أَرَأَيْتَ : أي أخبرني.

هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ : أي فضلته علي بالسجود له. ﴿لِيُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ سَمَوَاتِهِ مَاءً فَيَسْقِيَنَا﴾ <sup>(٤)</sup> .  
لَا حَتِيكُكَ ذُرِّيَّتَهُ : لأستولين عليهم فأقودهم إلى الغواية كالدابة إذا جعل الرسن في حنكها،  
تقاد حيث شاء راکبها.

إِلَّا قَلِيلًا <sup>(٥)</sup> : منهم ممن تستخلصهم لعبادتك.

قَالَ أَذْهَبَ : أي منظرًا إلى وقت النفخة الأولى.

فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَزَاءُ مَوْفُورًا <sup>(٦)</sup> : أي وافرا كاملاً.  
وَأَسْتَفْرَزَ : أي واستخف.

مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ : أي بدعائك إياهم إلى طاعتك ومعصيتي بأصوات المزامير والأغاني  
واللهو <sup>(٧)</sup> .

وَأَجَلِبَ عَلَيْهِمْ : أي صح فيهم.

يُخِيلُكَ : أي بركبانك.

وَرَجَلُكَ : أي مشاتك.

وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ : بحملهم على أكل الربا وتعاطيه.

وَالْأَوْلَادِ : بتزوين الزنا ودفعهم إليه.

وَعَدَّهُمْ : أي بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء.

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا <sup>(٨)</sup> : أي باطلاً.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ : أي إن عبادي المؤمنين ليس لك قوة تسلط عليهم بها.

وَكَفَىٰ بَرِيكَ وَكَيْلًا <sup>(٩)</sup> : أي حافظًا لهم منك أيها العدو.

(١) أي لأهل مكة اختبارًا لهم هل يصدقون أو يكذبون.

(٢) من أقوال أحد أعداء الإسلام: (كأس ومغنية يفعلان في الأمة المحمدية ما لا يفعله مائة مدفع). حقًا كما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُبَيِّنُوا مِثْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧] (قل).

رَبِّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ: أي يسوقها فتسير فيه.  
لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي لتطلبوا رزق الله بالتجارة من إقليم إلى آخر ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ: أي الشدة والبلاء والخوف من الغرق.  
ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا: أي غاب عنكم من كنتم تدعونهم من آلهتكم.  
فَلَمَّا نَجَّوْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ: أي عن دعاء الله وتوحيده في ذلك. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿٦٧﴾  
أَفَأَمِنْتُمْ: الله تعالى.

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ: جانب الأرض الذي نزلتموه عند خروجكم من البحر (١).  
أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا: أي ريحًا ترمي بالحصباء لشدها.  
ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴿٦٨﴾: أي حافظًا منه أي من الخسف أو الريح الحاصب.  
أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُبْعِدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ: أي ريحًا شديدة تقصف الأشجار وتكسرهما لقوتها.

فَيَغْرِقَكُمْ يَمًا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ يَدِيْعًا ﴿٦٩﴾: أي نصيرًا ومعينًا يتبعنا ليثأر لكم منا.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ: أي فضلناهم بالعلم والنطق واعتدال الخلق.  
وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: في البر على البهائم، والبحر على السفن. ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾  
يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ: أي الذي كانوا يقتدون به ويتبعونه في الخير أو الشر. ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ، يَمِينُهُ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُ وَكَتَبَتْهُمْ﴾

وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْنًا ﴿٧١﴾: أي مقدار فتيل وهو الخيط الذي يوجد وسط النواة.  
وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى: من كان في الدنيا أعمى عن حجج الله تعالى الدالة على وجوده وعلمه وقدرته، فلم يؤمن به ولم يعبه.

فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾: أي أشد عمى وأضل سبيلًا.  
وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ: أي يستزلونك عن الحق، أي يطلبون نزولك عنه.  
لِنَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ: أي لتقول علينا افتراء غير الذي أوحينا إليك.  
وَإِذَا لَا تَجِدُكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾: أي لو فعلت الذي طلبوا منك فعله لاتخذوك خليلًا لهم. ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٤﴾

إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ: أي لعذبنك عذاب الدنيا مضاعفًا وعذاب الآخرة كذلك. ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ ﴿٧٥﴾

وَأَنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ: أي ليستخفونك من الأرض أرض مكة.  
لِيُخْرِجُوكَ<sup>(١)</sup> مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾: أي لا يقون خلفك أي بعدك إلا قليلاً  
ويهلكهم الله.

سُنَّةً مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا: أي لو أخرجوك لعذبناهم بعد خروجك بقليل؛ سنتنا  
في الأمم.

وَلَا تَحِدُوا لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾: أي عما جرت به في الأمم السابقة.

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمَاسِ: أي زوالها من كبد السماء ودحوضها إلى جهة الغرب<sup>(٢)</sup>.  
إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ: أي إلى ظلمة الليل، إذ الغسق الظلمة.  
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ: صلاة الصبح.

إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾: تشهده الملائكة ملائكة الليل وملائكة النهار.  
وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ: أي بالقرآن.

نَافِلَةً لَكَ: أي زائدة عن الفرض وهي التهجد بالليل.

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾: هو الشفاعة العظمى يوم القيامة حيث يحمده الأولون  
والآخرون.

وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ: أي المدينة، إدخالاً مرضياً لا أرى فيه مكروهاً.

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ: أي من مكة إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها. ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا  
نَصِيرًا﴾ ﴿٨٠﴾.

وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ: أي عند دخولك مكة فاتحاً لها بإذن الله تعالى.

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾: زهق الباطل أي ذهب واضمحل. ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ  
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٨٢﴾.

وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ ﴿٣﴾ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ: أعرض عن الشكر فلم يشكر ونأى بجانبه: أي ثنى  
عطفه متبختراً في كبرياء. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُتُوسَّأُ﴾ ﴿٨٣﴾.

قُلْ كُلُّ عَمَلٍ عَلَى شَاكِلَةٍ: أي طريقته ومذهبه الذي يشاكل حاله في الهدى والضلال. ﴿فَرَكُّكُمْ  
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾.

(١) الاستفزاز: الحمل على الترحل، وهو استفعال من فز يفز بمعنى: بارح المكان، والمعنى: كادوا أن يخرجوك من  
بلدك كرهاً، ثم صرفهم الله عنك حتى خرجت برضاك واختيارك؛ فلذا لم تنزل بهم العقوبة بخروجك من  
بلدك.

(٢) وهو وقت الزوال ودخول وقت الظهر وهو الأشهر، ويرى البعض أن دلوك الشمس هو غروبها.

(٣) المراد بالإنسان هنا: الكافر لا المؤمن و«أل» فيه للجنس فيشمل اللفظ كل إنسان كافر لم يهتد إلى الإسلام.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ : أَي سَأَلَكَ الْمُشْرِكُونَ بِوَسْطَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنِ الرُّوحِ الَّذِي يَحْيَا بِهِ  
الْبَدَنُ.

قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي : أَي مِنْ شَأْنِهِ وَعِلْمِهِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ بِهِ وَلَمْ يَعْلَمْهُ غَيْرُهُ. ﴿وَمَا أَوْثَقْتُمْ مِنَ  
الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥).

وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أَي الْقُرْآنَ بَأَن نَمَحُوهُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ  
لِفَعْلَانَا.

ثُمَّ لَا تَجِدُكَ بِهِ عِلْمَيْنَا وَكَيْلًا (٨٦) : يَمْنَعُ ذَلِكَ مِنَّا وَيُحَوِّلُ دُونَ مَا أَرَدْنَاهُ مِنْكَ.

إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ : أَي لَكِن أَبْقَيْنَاهُ عَلَيْكَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَمْ نَذْهَبْ بِهِ. ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَأَن كَانَ عَلَيْكَ  
كَبِيرًا﴾ (٨٧).

قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ : مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْمَحْتَوَىٰ مِنْ  
الْغُيُوبِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) : أَي مَعِينًا وَنَصِيرًا.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ : بَيْنَا لِلنَّاسِ مِثْلًا مِنْ جِنْسِ كُلِّ مِثْلٍ لِيَتَعَطَّوْا بِهِ فَيُؤْمِنُوا  
وَيُوحِدُوا.

فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) : أَي أَهْلُ مَكَّةَ إِلَّا كُفُورًا أَي جُحُودًا لِلْحَقِّ وَعِنَادًا فِيهِ. ﴿وَقَالُوا  
لَنُؤْمِرَكَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

يَبُوعًا (٩٠) : عَيْنًا لَا يَنْضَبُ مَاؤُهَا فَهِيَ دَائِمَةٌ الْجَرِيَانُ.

أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ : بَسْتَانٌ كَثِيرُ الْأَشْجَارِ. ﴿مِنْ تَحْيِيلِ وَعَسَبِ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا﴾ (٩١).

أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا : قِطْعًا، جَمْعُ كِسْفَةٍ كَقِطْعَةٍ.

أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) : مُقَابِلَةٌ لِنَرَاهُمْ عِيَانًا<sup>(١)</sup>.

أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّن رُّحْرَفٍ : مِنْ ذَهَبٍ.

أَوْ تَرَفِّي فِي السَّمَاءِ : تَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ. ﴿وَلَنُؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنْبًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي  
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾

(٩٤) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا

(٩٥).

قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ : عَلِيٌّ أَيْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بَلَّغْتَكُمْ، وَعَلِيُّ أَنْكُمْ كَفَرْتُمْ

(١) فسر قبيلًا بعدة تفسيرات: قال ابن عباس: كفيلاً، وقال مقاتل: شهيداً، وقال مجاهد: جمع القبيلة أي: بأصناف  
الملائكة قبيلة قبيلة، وقيل: ضمناً يضمنون لنا إتيانك به، وما في التفسير أولى وأظهر في تفسير الآية.

وعاندهم. ﴿١٦٦﴾ إِنَّهُ كَانَ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٦٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ: يهدونهم.

وَحَشَرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ: أي يمشون على وجوههم.  
عَمِيًا وَبِكَمَا وَصَمًا: لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون<sup>(١)</sup>.

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿١٦٧﴾: أي سكن لهبها زدهم سعيرًا أي تلهبًا واستعارًا.  
ذَلِكَ جَزَاءُ هُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَائِدِنَا وَقَالُوا: أي منكرين للبعث. ﴿١٦٧﴾ ذَا كَأَنَّ عِظْمًا وَّرَفْنَا أَيْ نَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا حَٰدِدًا ﴿١٦٨﴾.

﴿١٦٨﴾ أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ: أي أناسًا مثلهم.

وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ: وقتًا محددًا ﴿١٦٩﴾ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿١٦٩﴾.

قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي: أي من المطر والأرزاق.

إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ: أي منعتم الإنفاق.

خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ: خوف النفاد.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٧٠﴾: أي كبير الإقتار أي: البخل والمنع للمال.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ: أي معجزات بينات أي واضحات وهي اليد والعصا

والطمس... الخ. فَسْتَلَّ نَجِيحَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ: فَرَعُونَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٧١﴾: أي مغلوبًا على عقلك، مخدوعًا.

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزِلَ هَٰؤُلَاءِ: أي الآيات التسع. ﴿١٧٢﴾ الْآرَبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَابِرٍ ﴿١٧٢﴾.

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٧٣﴾: هالكًا بانصرافك عن الحق والخير.

فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ: أي يستخفهم ويخرجهم من ديار مصر. ﴿١٧٤﴾ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٧٤﴾.

وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ: أي أرض القدس والشام.

فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ: أي الساعة.

جُنَّابِكُمْ لَنيفًا ﴿١٧٥﴾: أي مختلطين من أحياء وقبائل شتى.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ: أي القرآن.

(١) هذا في حال حشرهم إلى جهنم وكانوا قبل ذلك يسمعون ويبصرون وينطقون ثم إذا دخلوها عادت إليهم حواسهم للآيات القرآنية المصراحة بذلك منها: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ...﴾ ومنها: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَنِيظًا وَزَفِيرًا﴾، ومنها: ﴿وَنَادُوا بِكَلِمَاتٍ لِيَقْضِ عَلَيْهِمْ وَعْتَابَهُمْ...﴾.

وَالْحَقِّ نَزَلَ : أي نزل ببيان الحق في العبادات والعقائد والأخبار والمواعظ والحكم. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٥﴾ .

وَقَرَأْنَا مَا فَرَقْنَاهُ : أي نزلناه مفرقاً في ظرف ثلاث وعشرين سنة لحكمة اقتضت ذلك.

لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ : أي على مهل وتؤدة ليفهمه المستمع إليه.

وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾ : أي شيئاً فشيئاً حسب مصالح الأمة لتكتمل به ولتسعد عليه.

قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ : أي مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى

كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي.

إِذَا يَسْتَلِي عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٧﴾ : أي سجدوا على وجوههم، ومن سجد على وجهه فقد

خر على ذقنه ساجداً.

وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ : منجزاً واقعاً، فقد أرسل النبي الأمي الذي بشرت

به كتبه وأنزل عليه كتابه. ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٩﴾ .

قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ : أي سموه بأيهما ونادوه بكل واحد منهما: الله أو الرحمن.

أَيَّ مَا تَدْعُونَ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى : أي إن تدعوه بأيهما فهو حسن لأن له الأسماء الحسنی وهذا

منها.

وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ : أي بقراءتك في الصلاة كراهة أن يسمعها المشركون فيسبوك ويسبوا

القرآن.

وَلَا تَخَافَتْ يَهَا : أي ولا تسر به إسراءاً حتى يتفجع بقراءتك أصحابك الذين يصلون وراءك

بصلاتك.

وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ : أي اطلب بين السر والجهر طريقاً وسطاً.

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا : كما يقول الكافرون.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكِ : كما يقول المشركون.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ : أي لم يكن له ولي ينصره من أجل الذل إذ هو العزيز الجبار مالك

الملك ذو الجلال والإكرام. ﴿وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ : أي عظمه تعظيماً كاملاً عن اتخاذ الولد

والشريك والولي من الذل.



(١) الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر بعد طبع الكتاب وجدت كلاماً نحو هذا للنووي رحمه الله في التبيان (قل).

## ١٨ - سُورَةُ الْكَهْفِ

(هكيفة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : الحمد الوصف بالجمال، والله عَلم على ذات الرب تعالى .

الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ : القرآن الكريم .

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ : أي ميلاً عن الحق والاعتدال في ألفاظه ومعانيه .

فَيَسًا : أي ذا اعتدال لا إفراط فيه ولا تفريط في كل ما حواه ودعا إليه من التوحيد والعبادة

والآداب والشرائع والأحكام .

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا : عذاباً ذا شدة وقسوة وسوء عذاب في الآخرة .

مَنْ لَدُنْهُ : من عنده ﷻ .

وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ : أي الجنة إذ هي أجر

المؤمنين العاملين بالصلوات . ﴿٣﴾ مَكَرِهُنَّ فِيهِ أَبَدًا ﴿٤﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٥﴾ .

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ : أي عظمت فرية وهي قولهم :

الملائكة بنات الله .

إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٦﴾ : أي ما يقولون إلا كذباً بحتاً لا واقع له من الخارج .

فَلَمَّا كَفَرَ بَنِعْجٌ ﴿١﴾ نَفْسًا : قاتل نفسه كالممتحر .

عَلَى عَائِدِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا ﴿٧﴾ : أي بالقرآن من أجل الأسف الذي هو الحزن

الشديد . ﴿٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَسْبُلُوهَا رِيحًا يَوْمَ نَحْمِلُهَا فِي سَمَانٍ ﴿٩﴾ .

وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُؤًا ﴿١٠﴾ : أي تراباً لا نبات فيه، فالصعيد هو التراب، والجرز الذي

لا نبات فيه .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ : النقب الواسع في الجبل والضييق منه يقال له : (غار) .

وَالرَّقِيمِ : لوح حجري رقت فيه أسماء أصحاب الكهف . ﴿١١﴾ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ : اتخذوه مأوى لهم ومنزلاً نزلوا فيه، والفتية : جمع فتى وهم شبان

مؤمنون .

(١) بَنِعْجٌ ﴿١﴾ مهلك نفسه، وفسر ابن عباس ﷺ البائع بقاتل نفسه . من شدة الحزن .

(٢) ﴿١٢﴾ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٣﴾ أي كان أعجب من آياتنا في خلقها وخلقها السموات والأرض، بل من مخلوقات الله

ما هو أعجب بكثير، وإن إمامة الأحياء أعجب من إمامة أصحاب الكهف .

فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي يسر لنا طريق رشد وهداية.  
 فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ : أي ضربنا على آذانهم حجابًا يمنعهم من سماع الأصوات والحركات.  
 فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ : أي أعوامًا عدة.  
 ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ : أي من نومهم بمعنى أيقظناهم.  
 لِيَعْلَمُوا أَنَّ الْغُرَبِينَ أَحْسَنُ لِمَا لَبِثُوا : أي أضيف لأوقات بعثهم في الكهف.  
 أَمَدًا ﴿١٢﴾ : أي مدة محدودة معلومة.  
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ : أي خبرهم العجيب بالصدق واليقين.  
 إِنَّهُمْ فِيهِ سَاءٌ أَمْثُوا رَبِّهِمْ فَرَدَدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ : أي إيمانًا وبصيرة في دينهم ومعرفة ربهم حتى  
 صبروا على الهجرة.

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ : أي شددنا عليها فقويت عزائمهم حتى قالوا كلمة الحق عند سلطان  
 جائر.

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِلَهًا : لن نعبد من دونه إلهاً آخر.  
 ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هُنَّ لَأَن نَّقُصُّ عَلَيْهُنَّ أَن نَّكْفُرَ بِنِعْمَتِهِ إِذْ كَفَرْنَ﴾ : لقد قلنا إذا شططاً ﴿١٤﴾ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه إلهة ﴿١٤﴾  
 لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ : أي هلاً يأتون بحجة قوية تثبت صحة عبادتهم.  
 فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ : أي باتخاذ آلهة من دونه تعالى يدعوها ويعبدها.  
 وَإِذْ اعْتزَلْتُمُوهُم مَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ : أي انزلوا في الكهف تستترون به عن أعين  
 أعدائكم المشركين.

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ : أي ييسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكره.  
 وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ : أي ما ترتفقون به وتتفنون من طعام وشراب وإواء.  
 ﴿وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُورًا﴾ : أي تميل.  
 عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذْ غَرَّبَتْ فَقَرَّضُهُمْ : تركهم وتجاوز عنهم فلا تصيبهم.  
 ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ : متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.  
 ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ : أي دلائل قدرته. ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾

وَتَحْسِبُهُمْ أَيُّقَظًا : جمع يقظ أي متبهين لأن أعينهم منفتحة. ﴿وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ  
 وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾

بِالْوَصِيدِ : فناء الكهف.  
 لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ : منعهم الله بسببه من الدخول

عليهم.

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ: أي كما أنماهم تلك النومة الطويلة الخارقة للعادة بعثناهم من رقادهم بعثًا خارقًا للعادة أيضًا فكان في منامهم آية وفي إفاقتهم كذلك. ﴿لَيْسَاءَ لَوْ بَيْنَهُمْ﴾.

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْتُمْ: أي في الكهف نائمين.

قَالُوا لَيْسْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ: لأنهم دخلوا الكهف صباحًا واستيقظوا عشية. ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ

بِمَا لَيْتُمْ﴾.

فَاعْتَوْا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ: بدراهم الفضة التي عندكم.

إِلَى الْمَدِينَةِ: أي المدينة التي كانت تسمى أفسوس وهي طرسوس اليوم.

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا: أي أي أطعمة المدينة أحل أي: أكثر حلية.

فَلْيَأْتِكُمْ بَرِّزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ: أي يذهب يشتري الطعام ويعود في لطف وخفاء. ﴿وَلَا

يُشْعِرَنَّ بَكُمْ أَحَدًا﴾ (١١).

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ: أي يقتلوكم رميًا بالحجارة. ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ

تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (١٢).

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ: أطلعنا عليهم أهل بلدهم.

لِيَعْلَمُوا: أي قومهم.

أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا: أن البعث حق للأجساد والأرواح معًا.

وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرْبَبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ: أي الكفار قالوا: ابنوا عليهم أي حولهم بناء

يسترهم.

فَقَالُوا: أي المؤمنون والكافرون في شأن البناء عليهم. ﴿أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمْ بَنِينَا﴾.

رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ: وهم المؤمنون.

لَنَتَّخِذَنَّ عَنْهُمْ مَسْجِدًا ﴿١٣﴾: لتتخذن حولهم مسجدًا يصلون فيه (١). ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ

كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

(١) وفعلاً بنوه على مقربة من فم الغار بالكهف.

(ويظهر بهذا):

١- مصداق قول الرسول ﷺ «لعمركم الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وقوله: «إن أولئك إذا كان

فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق يوم القيامة» (في الصحيحين).

٢- مصداق قوله ﷺ «لتبعن سنن من قبلكم شبرًا وبشيرًا وذراعًا بذراع» (رواه مسلم). إذ قد بنى المسلمون على

قبور الأولياء والصالحين المساجد بعد القرون المفضلة - أصبح يندر وجود مسجد عتيق خال من قبر أو

قبور.

رَجْمًا بِالْغَيْبِ : أي قذفًا بالظن غير يقين علم. ﴿وَيَقُولُونَ سَبَعَةَ وَأَمْتَهُمْ كَلْبَهُمْ قُل رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ .

مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ : أي من الناس.

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ : لا تجادل في عدتهم.

إِلَّا مَرَّةً ظَهَرَ : أي جدًّا بينًا.

وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٣٢﴾ : أي من أهل الكتاب، الاستفتاء: الاستفهام والسؤال.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّايَ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ .

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ : أي إلا أن تقول: إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٣٤﴾ : هداية وأظهر دلالة

على نبوتي من قصة أصحاب الكهف.

وَلِيَسْتَوْا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٣٥﴾ : أي أن الفتية لبثوا في كهفهم رقادًا من

ساعة دخوله إلى أن أعتز الله عليهم قومهم ثلاثمائة سنين بالحساب الشمسي وزيادة تسع سنين

بالحساب القمري.

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَسُوًّا لَهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي علم غيب السموات والأرض وهو ما

غاب فيها.

أَبْصُرْ بِهِ، وَأَسْمِعْ : أي أبصر بالله وأسمع به صيغة تعجب، والأصل ما أبصره وما أسمعته.

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيٍّ : أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله ولي أي: من ناصر.

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣٦﴾ : لأنه غني عما سواه ولا شريك له.

وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ : أي اقرأ القرآن تعبدًا ودعوة وتعليمًا.

لَا مَبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ : أي لا مغير لكلمات الله في ألفاظها ولا معانيها وأحكامها.

وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣٧﴾ : أي ملجأ تميل إليه احتماءً به.

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ : أي احبسها.

(١) جاء في كتاب «منهاج المسلم» للشيخ الجزائري أيضًا أتابه الله ص ٤٩٩ تحت عنوان ما تسقط به الكفارة: (٢) - أن

يستثنى حال حلفه بأن يقول: إن شاء الله، أو إلا أن يشاء الله، إذا كان الاستثناء بالمجلس الذي حلف فيه، لقوله

ﷺ: «من حلف فقال: إن شاء الله لم يحنث» وإذا لم يحنث فلا إثم عليه ولا كفارة. رواه أصحاب السنن إلا أبا

داود وفيه ضعف، والجمهور على العسل به لما يشهد له من رواية أبي داود عن ابن عمر: «من حلف على يمين

فقال: إن شاء الله فقد استثنى» أقول: والشرط في ذلك كله الصدق في القسم والاستثناء خاصة أثناء القسم وعند

حدوث العذر المانع من إيراد القسم والله أعلم. ا.هـ. (قل).

(٢) ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ : أي إذا نسيت الاستثناء الذي علمناك فاذكره ولو بعد حين لتخرج من الحرج.

مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ: أي طاعته ورضاه لا عرضاً من عرض الدنيا.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ: أي لا تتجاوزهم بنظرك إلى غيرهم من أبناء الدنيا.  
 تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي بمجالستك الأغنياء تريد الشرف والفخر.  
 وَلَا تَطْعَمْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا: أي جعلناه غافلاً عما يجب عليه من ذكرنا وعبادتنا.  
 وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٣٨﴾: أي ضياعاً وهلاكاً. ﴿٣٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴿٣٩﴾.

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا: حائط من نار أحيط بهؤلاء المعذبين في النار.  
 وَإِنْ يَسْتَعْجِلُوا يَأْتُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ: أي كعكر الزيت أي الدردي وهو ما يبقى في أسفل الإناء ثخنًا رديئًا. ﴿٣٩﴾ يَسْئِرُ الْوُجُوهُ ﴿٤٠﴾.

يَسْئِرُ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ .

وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ: أي مارق من الديداج.

وَإِسْتَبْرَقٍ: ما غلظ منه أي من الديداج. ﴿٤١﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٤٢﴾.

﴿٤٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ: أي اجعل لهم مثلاً هو رجلين.. إلخ.  
 جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ: أي بستانين.

مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَافَتَيْنِ بِنَخْلٍ: أي أحطناهما بنخل. ﴿٤٣﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٤٤﴾.

كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهَا: أي أعطت ثمارها وهو ما يؤكل.

وَلَمْ تَطْلُمِ رِنَّهُ شَيْئًا: أي ولم تنقص منه شيئاً بل أتت به كاملاً ووافياً.

وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٤٥﴾: أي خلال الأشجار والنخيل نهراً جارياً.

وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أي يحادثه ويتكلم معه.

أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٤٦﴾: أي عشيرة ورهطاً.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ، وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ يَبِيذَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٤٧﴾: أي تفنى وتذهب.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٤٨﴾: أي مرجعاً في الآخرة.

قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ، أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ: الاستفهام للتوبيخ والخلق من تراب

باعتبار الأصل هو آدم.

ثُمَّ مِنْ تُطْفِئَةٍ: أي مني.

(١) الظن هنا بمعنى الاعتقاد، ومعنى تبيد: تفنى وتهلك.

ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ : أي عدلك وصيرك رجلاً.

لَكِنَّا : أي لكن أنا، حذف الألف وأدغمت النون في النون فصارت لكنا.

هُوَ اللَّهُ رَبِّي : أي أنا أقول: الله ربي. ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾ .

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ : أي يكون وما لم يشأ لم يكن <sup>(١)</sup>.

لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ : أي لا قوة لأحد على فعل شيء أو ترك شيء إلا بإقدار الله تعالى له وإعانتة

عليه. ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا قُلَّ مِنْكَ مَا لَوْ وُلِدْنَا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ .

وَرُسُلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ : أي عذابًا ترمى به فتتول إلى أرض ملبساء دحضًا لا يثبت

عليها قدم.

فَصُصِحَّ صَوْعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ : ترابًا أملس لا ينبت زرعًا ولا يثبت عليه قدم.

أَوْ يُصْبِحُ مَاوَهَا عَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ : أي غائزًا في أعماق الأرض فلا يقدر على

استنباطه وإخراجه.

وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ : أي هلكت ثماره، فلم يبق منها شيء.

فَأَصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ : ندماً وحسرة.

عَلَىٰ مَا أَفْقَقَ فِيهَا : من جهد كبير ومال طائل.

وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا : أي ساقطة على أعمدتها التي كان يعرش بها للكرم، وعلى جدران

مبانيها. ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٤٢﴾ .

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ : جماعة من الناس قوية كعشيرته من قومه. ﴿بَصُرُونَا مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا

﴿٤٣﴾ .

هُنَالِكَ : أي حين حل العذاب بصاحب الجنتين أي يوم القيامة.

الْوَالِيَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ : أي الملك والسلطان الحق لله تعالى.

هُوَ خَيْرٌ نَّوَابًا وَخَيْرٌ عُمَّبًا ﴿٤٤﴾ : أي الله تعالى خير من يشيب وخير من يعقب أي: يجزي بخير.

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : المثل: الصفة المعجبة. ﴿كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ

بِنَاتِ الْأَرْضِ﴾ .

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا : يابسًا متفتتًا.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: (ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة

إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة، وقد روي في حديث مرفوع عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون

الموت» أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي وكان يتأول هذه الآية: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ﴾ . [ضعيف: انظر ضعيف الجامع لـ(قل)] .

نَذْرُهُ الرِّيحُ: أي تشره الرياح وتفرقه لخفته وببوسته.  
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا ﴿٤٥﴾: أي كامل القدرة لا يعجزه شيء.  
 الْمَالُ وَالسُّنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي يتجمل بما فيها.  
 وَالْبَيْعَتِ الصَّالِحَتِ: هي الأعمال الصالحة من سائر العبادات والقربات.  
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَالًا ﴿٤٦﴾: أي ما يأمله الإنسان ويتنظره من الخير.  
 وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ: أي تقطلع من أصولها وتصير هباء منبثًا <sup>(١)</sup>.  
 وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً: ظاهرة إذ فني كل ما كان عليها من عمران.  
 وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾: لم نترك منهم أحدًا. ﴿وَعَرَّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّا نَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾: أي معيدين لبعثكم أحياء للحساب والجزاء.  
 وَوَضَعَ الْكِتَابَ: كتاب الحسنات وكتاب السيئات فيؤتاه المؤمن يمينه والكافر بشماله.  
 فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ: خائفين.  
 مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا: أي يا هلكتنا احضري هذا أوان حضورك.  
 مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا: أي لا يترك صغيرة من ذنوبنا ولا كبيرة إلا جمعها غداً.

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا: مثبتاً في كتابهم، مسجلاً فيها. ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٤٩﴾.  
 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ: أي حيوه بالسجود له كما أمرتكم طاعة لي.  
 فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ: أي الشيطان أبى السجود ورفضه وهو معنى فسق  
 عن أمر ربه أي خرج عن طاعته، ولم يكن من الملائكة، بل كان من الجن، لذا أمكنه أن يعصي ربه.  
 أَفَسْتَجِدُّونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ: الاستفهام للاستنكار، ينكر تعالى على  
 بني آدم اتخاذ الشيطان وأولاده أولياء يطاعون ويوالون بالمحبة والمناصرة، وهم لهم عدو، عجباً  
 لحال بني آدم كيف يفعلون ذلك؟! <sup>(٢)</sup>

يَسِّرْ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾: قبح بدلاً طاعة إبليس وذريته عن طاعة الله ورسوله. ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾  
 وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾: أي ما كنت متخذ الشياطين من الإنس والجن أعواناً في  
 الخلق والتدبير، فكيف تطيعونهم وتعصونني؟ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾

(١) هذا على قراءة (تسير) بالتاء المضمومة للبناء للمفعول.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٦﴾: أي واديًا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعًا هذا إذا دخلوا النار، أما ما قبلها فالموبق: حاجز بين المشركين وما كانوا يعبدون بدليل قوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا﴾.

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا: أي واقعون فيها ولا يخرجون منها أبدًا <sup>(١)</sup>.  
وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا ﴿٥٧﴾: أي مكانًا غيرها ينصرفون إليه لينجوا من عذابها <sup>(٢)</sup>.  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا: أي بينا وكررنا البيان. ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: المثل: الصفة

المستغربة العجيبة.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٨﴾: أي مخاصمة <sup>(٣)</sup> بالقول.  
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأُولَىٰ: أي العذاب

بالإبادة الشاملة والاستئصال التام.

أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَلِيلًا ﴿٥٩﴾: عيانًا ومشاهدة. ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.  
وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ: أي يبتلوا به الحق.  
وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُوًا ﴿٦٠﴾: أي مهزوءًا به. ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً: أغطية.

أَنْ يَفْقَهُوهُ فِي آيَاتِنَا وَقُرْآنٍ: أي ثقلاً فهم لا يسمعون. ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.  
﴿٥٧﴾ وَرَبِّكَ الْعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ لِيُؤْخَذَهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾.  
بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا ﴿٥٨﴾: أي مكانًا يلجئون إليه. ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْتُهُمْ لَمَّا ظَنَّمُوا﴾ يريد أهل القرى من قوم هود وقوم صالح وقوم لوط.  
وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾: أي وقتًا معينًا لإهلاكهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ: أي اذكر إذ قال موسى بن عمران نبي بني إسرائيل لفتاه يوشع بن نون

ابن أفرايم بن يوسف عليه السلام.

لَا أَبْرِحُ حَتَّىٰ أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ: أي حين التقى البحرين: بحر فارس وبحر الروم.  
أَوْ أَمْضَىٰ حُقْبًا ﴿٦٠﴾: الحقب الزمن وهو ثمانون سنة والجمع أحقاب <sup>(٤)</sup>.

(١) ﴿فَظَنُّوا﴾: أي: أيقنوا إذ يطلق الظن ويراد به اليقين، وهو كثير في القرآن الكريم.

(٢) ﴿مَصْرَفًا﴾: أي: مهربيًا لإحاطتها بهم من كل جانب ولا ملجأ ولا معدلاً.

(٣) يحتمل اللفظ الكافر لقوله تعالى: ﴿وَيَجِدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ ويحتمل المسلم؛ إلا أنه في الكافر أظهر وأكثر.

(٤) قال النحاس: الحقب: زمان من الدهر مبهم غير محدود، وورد الحقب مقدرًا بثمانين سنة، إلا أنه في قول

موسى هذا مراده الأول وهو زمن غير محدود.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُورَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ : أي طريقه في البحر سرّبًا أي طريقًا كالنفق.

فَلَمَّا جَاوَزَا : أي المكان الذي فيه الصخرة، ومنه اتخذ الحوت طريقه في البحر سرّبًا. ﴿قَالَ لِفَتْنِهِ آئِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾ .

فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ : أي عجبًا لموسى حيث تعجب من إحياء الحوت واتخاذه في البحر طريقًا كالنفق في الجبل.

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبُغُ فَأَرَدْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ : أي يتبعان آثار أقدمهما.

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا : هو الخضر عليه السلام. ﴿ءَأَيُّنْتَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾﴾ .

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَعْبُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿١٦﴾ : أي ما هو رشاد إلى الحق ودليل على الهدى. ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾﴾ .

وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿١٨﴾ : أي علمًا.

قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ : أي أنتهي إلى ما تأمرني به وإن لم يكن موافقًا هوأي .

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ : أي بيانا وتفصيلا لما خفي عليك. ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ .

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢١﴾ : أي فعلت شيئا منكرا. ﴿قَالَ الرَّاقِلُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٢﴾﴾ .

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ : أي لا تغشني بما يعسر علي ولا

أطبق حملة فنتضيق علي صحبتي إياك.

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا عُلَمَاءَ فَقَالُوا قَالَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً : أي طاهرة لم تتلوث روحها بالذنوب.

بِعَبْرِ نَفْسٍ : أي بغير قصاص.

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٢٤﴾ : الأمر الذي تنكره الشرائع والعقول من سائر المناكرا وهو المنكر

الشديد النكارة.

﴿قَالَ الرَّاقِلُ لَكَ : أي قال خضر لموسى عليه السلام. ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٥﴾﴾ .

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا : أي بعد هذه المرة.

فَلَا تُصْحِبْنِي : أي لا تتركني أتبعك.

قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٢٦﴾ : أي من قبلي (جهتي) عذرا في عدم مصاحبتي لك.

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ : مدينة أنطاكية.

أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا : أي طلبا منهم الطعام الواجب للضيف.

فَأَبْوَأْنُ يُضَيِّقُوهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ : أي قارب السقوط لميلانه.

فَأَقَامَهُ : أي الخضر بمعنى أصلحه حتى لا يسقط.

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ : أي جعلًا على إقامته وإصلاحه.

قَالَ هَذَا فِرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ : أي قولك هذا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ هو نهاية الصحبة وبداية

الفراق.

سَأْنَيْتَكَ بِتَأْوِيلٍ : أي تفسير ما كنت تنكره علي حسب علمك. ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ : جمع مسكين وهو الضعيف العاجز عن الكسب.

يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ : أي يؤجرون سفينتهم للركاب.

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا : أي أجعلها معيبة حتى لا يرغب فيها.

وَكَانَ وِرَاءَهُمْ <sup>(١)</sup> مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ : أي قهراً.

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ : أي يغشاهما ظلماً

وجحوداً.

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رِجْمًا ﴿٨١﴾ : أي رحمة إذ الرحم والرحمة بمعنى

واحد. ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ .

وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِئٍ : أي عن اختيار مني بل بأمر ربي ﷺ وعظم سلطانه. ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ

عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ .

وَسْئَلُونَكَ : أي كفار قريش بتعليم يهود لهم.

عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ : الإسكندر باني الإسكندرية المصرية الحميري أحد الملوك التابعة وكان

عابداً صالحاً.

قُلْ سَأْتَلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ : سأقص عليكم من حاله خيراً يحمل موعظة وعلماً.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ : بالحكم والتصرف في ممالكها. ﴿وَوَعَيْنْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾ <sup>(٢)</sup> ﴿٨٤﴾ : أي

يحتاج إليه سبباً موصلاً إلى مراده.

فَأَنْعَمَ سَبِيًّا ﴿٨٥﴾ : أي فأتبع السبب سبباً آخر حتى انتهى إلى مراده.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الشَّمْسِ وَجدها تعربُ في عَيْبٍ حَمِيَّةٍ : ذات حماة وهي الطين الأسود وغروبها إنما

(١) جائز أن يكون الورا على حقيقته: أي: خلفهم، وإذا رجعوا أخذ السفينة منهم، وجائز أن يكون وراء بمعنى أمام ويؤيده قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير: (وكان أمامهم ملك).

(٢) أصل السبب الحبل واستعير لكل ما يتوصل به إلى الشيء، وأوتي ذو القرنين من كل شيء علماً يتسبب به إلى ما يريد فتوصل إلى فتح البلاد وقهر الرجال الأعداء.

هو في نظر العين ولا فالشمس في السماء والبحر في الأرض.

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا : أي كافرين. ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرْقَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ. ﴿

فَيَعَذِّبُهُ، عَذَابًا كَثِيرًا﴾ (٨٧) : أي عظيمًا فظيعًا.

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَجَمَلَ صَالِحًا فَلَهُ، جَزَاءً الْحَسَنَى وَسَنَقُولُ لَهُ، مِنْ أَمْرٍ نَائِمًا ﴿٨٨﴾ : أي لنا من القول سهلاً من

العمل. ﴿ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا﴾ (٨٩) ﴿

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ : أي مكانًا تطلع منه.

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا : القوم هم الزنج ولم يكن لهم.

سِتْرًا ﴿٩٠﴾ : يومئذ ثياب يلبسونها ولا منازل يسكنونها وإنما لهم أسراب في الأرض يدخلون

فيها.

كَذَلِكَ : أي الأمر (٢) كما قلنا لك ووصفنا. وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ أَحْطْنَا بِمَا

لديه من قوة وأسباب مادية وروحية (خيرًا) أي: علمًا كاملًا.

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ : السدان جبلان شمال شرق بلاد الترك: سد ذو القرنين ما بينهما فقبل

فيهما سدان.

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا (٣) قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ : لا يفقهون كلام من يخاطبهم إلا بشدة

وبطء وهم يأجوج ومأجوج.

قَالُوا يَدَا الْفَرْقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ : قبيلتان من أولاد يافث بن نوح ﷺ والله أعلم. ﴿مُفْسِدُونَ فِي

الْأَرْضِ﴾.

فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْبًا : أي جُعلًا مقابل العمل.

عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ : السد بالفتح والضم الحاجز المانع بين شيئين.

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوْمِي ﴿٩٥﴾ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ : حاجزًا حصينًا وهو السد.

ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ : جمع زبرة قطعة من حديد على قدر الحجر التي يبنى بها.

حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ : أي صدف الجبلين أي جانبيهما.

قَالَ أَنْفَعُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ، نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ : القطر الثحاس المذاب.

(١) ما تحصل عليه من القوة في فتح المغرب استخدم في مواصلة الغزو والفتح في المشرق.

(٢) جائز أن يكون المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك وهو معنى ما في التفسير، وجائز أن يكون كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها كذلك.

(٣) قوله: ﴿مِنْ دُونِهِمَا﴾؛ يعني: أمام السدين لا خلفهما إذ خلفهما يأجوج ومأجوج.

(٤) القوة: الرجال والمال.

فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ: أي عجزوا عن الظهور فوقه لعلوه وملاسته.

وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ تَقْبًا ﴿١٧﴾: أي فتح ثغرة تحت تحته ليخرجوا منها.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ: أي ترابًا مساويًا للأرض. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ: أي يأجوج ومأجوج أي يذهبون <sup>(١)</sup> ويجيئون في اضطراب

كموج البحر. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمَاعًا ﴿١٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿٢٠﴾﴾.

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي: أي عن القرآن لا يفتحون أعينهم فيما تقرأه عليهم بغضًا له

أو أعين قلوبهم وهي البصائر فهي في أكنة لا تبصر الحق ولا تعرفه.

وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٢١﴾: لبغضهم للحق والداعي إليه.

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا: الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي: كالملائكة وعيسى ابن مريم والعزير وغيرهم <sup>(٢)</sup>.

مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ: أربابًا يعبدونهم بأنواع من العبادات.

إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿٢٢﴾: النزول: ما يعد للضيف من قرى وهو طعامه وشرابه ومنامه. ﴿قُلْ

هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿٢٣﴾﴾.

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي بطل عملهم وفسد عليهم فلم يتفعلوا به.

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٢٤﴾: أي بعمل يعمل يجازون عليه بالخير وحسن الجزاء.

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ: أي بالقرآن وما فيه من دلائل التوحيد والأحكام الشرعية.

وَلِقَائِهِ: أي كفروا بالبعث والجزاء.

فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿٢٥﴾: أي لا نجعل لهم قدرًا ولا قيمة بل نذرهم

ونذلهم.

ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ <sup>(٣)</sup> جَهَنَّمَ: أي أولئك جزاؤهم جهنم وأطلق لفظ ذلك بدل أولئك؛ لأنهم بكفركم

وحبوط أعمالهم أصبحوا غناء كغناء السيل لا خير فيه ولا وزن له، فحسن أن يشار إليه بذلك.

﴿بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿٢٦﴾﴾.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ: أي جزاء إيمانهم وعملهم الصالح.

(١) جائز أن يكون المراد بمن يموج بعضهم في بعض: يأجوج ومأجوج، وجائز أن يكون الإنس والجن وذلك يوم القيامة.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الشياطين. وهو صحيح إذ الشياطين هم الذين زينوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام ودعوهم إلى عبادتهم.

(٣) وجائز أن تكون الإشارة بـ«ذَلِكَ» إلى ترك الوزن وخسة القدر والخير، «جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ». و«جَهَنَّمَ» بدل من «جَزَاءُكُمْ» بدلًا مطابقًا فيه زيادة توكيد.

جَنَّتُ الْفَرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ : هو وسط الجنة وأعلاها، ونزلاً منزل إكرام وإنعام.  
 خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾ : أي لا يطلبون تحولاً منها لأنها لا خير منها أبداً.  
 قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا : أي ماؤه مداداً.

لِكَلِمَتٍ رَبِّي لِنَفْدِ الْبَحْرِ : أي ولم تنفد هي أي لم تفرغ.  
 قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتَ رَبِّي : أي قبل أن تفرغ. ﴿١٩﴾ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا  
 إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴿٢١﴾

فَمَنْ كَانَ رِجْوَ الْفَاءِ رَبِّهِ : يأمل ويتنظر البعث والجزاء يوم القيامة حيث يلقى ربه تعالى.  
 فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾ : أي لا يراني بعمله أحداً ولا يشرك في عبادة الله  
 تعالى غيره تعالى.



## ١٩ - سُورَةُ هُزْنِ سَبْرَةَ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾: هذه من الحروف المقطعة تكتب كهيعص، وتقرأ كاف ها يا عين صاد. ومذهب السلف أن يقال فيها: الله أعلم بمراده بذلك.

ذَكَرْتِ رَبَّكَ: أي هذا ذكر رحمة ربك. ﴿عَبْدُهُ ذَكَرِيًّا ﴿٢﴾﴾.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أي قال: يا رب ليسأله الولد.

نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾: أي سرًا بعدًا عن الرياء.

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي: أي رق وضعف لكبر سني.

وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا: أي انتشر الشيب في شعر رأسي انتشار النار في الحطب.

وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾: أي إنك لم تخيبيني فيما دعوتك فيه قبل فلا تخيبيني اليوم فيما أدعوك فيه.

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي: أي خشيت بني عمي أن يضيعوا الدين بعد موتي <sup>(١)</sup>.

وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا: لا تلد واسمها أشاع وهي أخت حنة أم مريم.

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾: أي ارزقني من عندك ولدًا.

يَرْتَبِي وَيَرْبُتْ مِنْهُ إِلِيَّ يَعْقُوبٌ: أي جدي يعقوب العلم والنبوة.

وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾: أي مرضيًا عندك. ﴿يَسْرَكَرِيًّا إِنَّا نَبِشْرُكَ يُعَلِّمُ ﴿٢﴾﴾ أَسْمُهُ يَحْيَى ﴿٧﴾.

لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾: أي مسمى يحيى.

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ: أي من أي وجه وجهة يكون لي ولد.

وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾: أي بيسست مفاصلي وعظامي. ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ هَيْنَ وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴿٣﴾﴾.

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً: أي علامة تدلني على حمل امرأتي.

(١) الموالى هنا: الأقارب وبنو العم والعصبة الذين يلونه في النسب، لأن العرب تسمي بني العم موالى.

(٢) تضمنت هذه البشرية ثلاثة أمور: أحدها: إجابة دعائه وهي كرامة، والثاني: إعطاؤه الولد وهو قوة له، والثالث: إفراده بتسمية لم يسم بها أحد قبله، قيل في قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ إشارة إلى أنه سيخلف بعده من هو أشرف اسمًا وذاتًا وحالًا وهو محمد ﷺ.

(٣) أي: فخلق الولد كخلقك.

قَالَ ءَايَاتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ : أي حال كونك سويِّ الخلق ما بك عليه

خرس.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ : المصلی الذي يصلي فيه وهو المسجد.  
فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ : أوما وأشار عليهم. ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿١١﴾ (١).

يَبِيحُنِي خِذْلُ الْكُتُبِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ : الحكم والحكمة بمعنى واحد وهما الفقه

في الدين ومعرفة أسرار الشرع.

وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا : أي عطفًا على الناس موهوبًا له من عندنا.

وَزَكَاةً : أي طهارة من الذنوب والآثام. ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٣﴾ .

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ : أي متعاليًا لا يقبل الحق، عصيًّا لا يطيع أمر الله ﷻ

وأمر والديه.

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ : أي أمان له من الشيطان أن يمسّه بسوء يوم ولد.

وَيَوْمَ يَمُوتُ : وأمان له من فتاني القبر يوم يموت.

وَيَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ : وأمان له من الفزع الأكبر يوم يبعث حيًّا.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ : أي القرآن مريم أي خبرها وقصتها.

مَرْيَمَ : هي بنت عمران والدة عيسى ﷺ .

إِذْ أَنْبَدْتَ : أي حين اعترلت أهلها باتخاذها مكانًا خاصًا تخلو فيه بنفسها.

مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ : أي شرق الدار التي بها أهلها.

فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا : أي ساترًا يسترها عن أهلها وذويها.

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا : جبريل ﷺ .

فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ : أي تام الخلق حتى لا تفرح ولا تروع منه.

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ : أي عاملًا بإيمانك وتقواك لله فابعدني ولا تؤذني.

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ : ولدًا طاهرًا لم يتلوث بذنوب قط.

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ : أي لم أتزوج.

وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ : أي زانية.

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ : أي الأمر كذلك وهو خلق غلام منك من غير أب.

هُوَ عَلَى هَيْئٍ : ما هو إلا أن ينفخ رسولنا في كم درعك حتى يكون الولد.

(١) إذ كان يأمرهم بالصلاة بكرة وعشيًّا فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة بالإشارة؛ لأنه لم يقدر على الكلام؛ إذ جعل الله تعالى عجزه عن الكلام علامة الحمل لامرأته.

وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ : أي على عظيم قدرتنا.

وَرَحْمَةً مِّنَّا : أي وليكون الولد رحمة بمن آمن به واتبع ما جاء به.

وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١٦﴾ : أي حكم الله به وفرغ منه فهو كائن حتمًا لا محالة.

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ ﴾ : فاعتزلت به <sup>(١)</sup>.

مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٧﴾ : أي بعيدًا من أهلها.

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ : أي ألجأها الطلق واضطرها وجع الولادة.

إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ : لتعتمد عليها وهي تعاني من آلام الولادة.

قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوْتًا ﴿١٨﴾ : أي شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا : أي عيسى عليه السلام بعدما وضعته <sup>(٢)</sup> ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ ﴾ .

سَرِيًّا ﴿١٩﴾ : أي نهرًا يقال له: سري.

وَهَرَىٰ إِلَيْكَ جِذْعُ النَّخْلَةِ السَّقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ : الرطب الجني: ما طاب وصلح للاجتماع.

فَكُلِيَ وَأَشْرَبِي : أي كلي من الرطب واشربي من السري.

وَقَرِي عَيْنًا : أي وطيب نفسيًا وافرحي بولادتك إياي <sup>(٣)</sup> ولا تحزني.

فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا : أي إمساكًا عن الكلام وصمتًا. ﴿ فَلَنْ أَكَلِمَ

الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ﴿٢١﴾ .

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ : أي بولدها عيسى عليه السلام.

قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٢﴾ : أي عظيمًا حيث أتيت بولد من غير أب.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي: هذا هو الظاهر لأن الله تعالى ذكر

الانتباه عقب الحمل: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ ﴾ والفاء للترتيب والتعقيب.

(٢) قال ابن كثير رضي الله عنه: (اختلف المفسرون في المراد بذلك من هو؟ فقال ابن عباس: ﴿ فَانَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ جبريل،

ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قوما، أي ناداه من أسفل الوادي - إلى أن قال رضي الله عنه مرجحًا كونه جبريل عليه

السلام - والقول الأول أظهر) ا. هـ (قل).

والذي يؤيد هذا الرأي والله أعلم - أن في مناداة الملك لها أكثر اطمئنانًا لقلبها وإن كان كل بأمر الله، وأن الله أراد أن

يطمئننها على يد جبريل عليه السلام كما أفرعها ولا يخفي - وهي في مصيبتها قوله لها: ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾

فهي تمثل لأمر ربه لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢٥﴾ لكن القلب ما زال يرتجف فكان في مناداة جبريل عليه السلام

لها بعد الولادة ما يذهب عنها الروح وكأنه يقول لها مثلما قال يعقوب عليه السلام لبنيه بعد أن ارتد بصيرًا:

﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ هذا مع كون تأخر نطق عيسى عليه السلام أمامها وأمام

قومها في آن واحد أبلغ مثلما كان تأخر تحول عصا موسى عليه السلام أمام قومه إلى حية آية له ولقومه في آن

واحد أيضًا. والله المستعان.

(٣) على قول كونه جبريل عليه السلام يكون اللفظ بولادتك (إياه) (قل).

يَتَأَخْتَهُنَّ: أي يا أخت الرجل الصالح هارون.

مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا: أي رجلاً يأتي الفواحش.

وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿١٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ: أي إلى عيسى وهو في المهد. ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي

الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿١٩﴾﴾

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ <sup>(١)</sup> إِنَّمَا نَكُنَّ بَشَرًا مِمَّنْ بَدَّئُوا الْخَلْقَ أَلَمْ نَكُنَّ مِنْكُمْ نَفْسًا مَّحْسُوبًا ﴿٢٠﴾ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ: أي حيثما وجدت كانت البركة في ومعني يتنفع الناس بي.

﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢٢﴾﴾

وَبِرًّا بَوَالِدِي: أي محسنًا بها مطيعًا لها لا ينالها مني أدنى أذى.

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٣﴾: ظالمًا متعالياً ولا عاصياً لربي خارجاً عن طاعته. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ

يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٤﴾﴾

ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: أي هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره هو عيسى ابن مريم.

قَوْلِكَ الْحَقِّ: أي وهو قول الحق الذي أخبر تعالى به.

الَّذِي فِيهِ يَمَتَّرُونَ ﴿٢٥﴾: يشكون.

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ: أي ليس من شأن الله أن يتخذ ولداً وهو الذي يقول للشيء: كن

فيكون.

سُبْحٰنَهُ: أي تنزيهاً له عن الولد والشريك والشبيه والنظير. ﴿إِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

﴿٢٥﴾﴾

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٦﴾: أي طريق مستقيم لا يضل سالكه.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ: أي في شأن عيسى فقال اليهود: هو ساحر وابن زنا، وقال النصارى:

هو الله وابن الله، تعالى الله عما يصفون.

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّسْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٧﴾: هو يوم القيامة.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ: أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة عند معاينة العذاب. ﴿يَوْمَ يَأْتُونََنَا لَكِن

الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٨﴾﴾

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ: أي خوفهم بما يقع في يوم القيامة من الحسرة والندامة وذلك عندما

يشاهدون أهل الجنة فيورثون منازلهم فيها وهم ورثوا منازل أهل الجنة في النار فتعظم الحسرة

ويشتد الندم. ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

(١) قيل: لما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وقال مشيراً بسبابته اليمنى: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ فكان أول

ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى، وفي هذا رد على الذين ألوهه وعبده من دون الله تعالى.

(٢) لما قال ما قال في المهد: إني عبد الله... إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ لم يتكلم حتى بلغ سن التكلم.

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ: أي في القرآن.

إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾: أي كثير الصدق بالغ الحد الأعلى فيه.  
 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ يَا أَبِي وَهُوَ آزِرٌ. ﴿لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ﴿٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِيَّيْ قَدْ  
 جَاءَ فِي مِرِّ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي ﴿٤٣﴾.

أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٤﴾: أي طريقًا مستقيمًا لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى الجنة.  
 يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ: أي لا تطعه في دعوته إياك إلى عبادة الأصنام.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٥﴾: أي عاصيًا لله تعالى فاسقًا عن أمره.  
 يَتَّابِتْ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾: أي قريبًا منه قريبًا له فيها  
 أي: النار.

قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه: أي عن التعرض لها وعبئها.  
 لِأَرْحَمِنَاكَ: بالحجارة أو بالقول القبيح فاحذر. ﴿٤٧﴾  
 وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٨﴾: أي سليمًا من عقوبي.  
 قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّكَ: أي أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت مني، وهذا يسمى بسلام المتاركة،

وليس هو بالتحية.  
 سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٩﴾: أي لطيفًا بي مكرمًا لي يجيني لما أدعوه له.  
 ﴿وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ ﴿٥٠﴾  
 عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٥١﴾: بل يجيب دعائي ويعطيني مسألتي.  
 فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: بأن هاجر إلى أرض القدس وتركهم.  
 وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: أي وهبنا له ولدين يأنس بهما مجازاة منا له على هجرته قومه. ﴿وَكَلَّا  
 جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ﴿٥٢﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا: خيرًا كثيرًا، المال والولد بعد النبوة والعلم.  
 وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٣﴾: أي رفيعًا بأن يثنى عليهم ويذكروا بأطيب الخصال.  
 وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ: أي في القرآن تشريفًا وتعظيمًا.  
 مُوسَىٰ: أي ابن عمران نبي بني إسرائيل ﷺ.  
 إِنَّهُ كَانَ مُخَلَّصًا: أي مختارًا مصطفًى على قراءة فتح اللام (مخلصًا) وموحدًا لربه، مفردًا إياه  
 بعبادته بالغًا في ذلك أعلى المقامات على قراءة كسر اللام. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ﴿٥٤﴾.  
 وَنَدْبَيْتُهُ مِّنْ جَانِبِ الطُّورِ: الطور جبل بسيناء بين مدين ومصر.  
 الْأَيْمَنِ: هو بالنسبة إلى يمين موسى ﷺ أما الجبل فلا يمين له ولا شمال (ابن جرير  
 الطبري).

وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾: أي أدنيه إنداء تشریف وتكریم مناجيًا لنا مكلّمًا من قبلنا. ووهبنا له، من رحمينا أخاه هرون نبيًا ﴿٥٣﴾: إذ سأل ربه لأخيه الرسالة فأعطاه فنبأه وأرسله معه إلى فرعون.

وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ: أي اذكر في القرآن تشریفًا وتعظيمًا إسماعيل بن إبراهيم الخليل

﴿٥٤﴾.

إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ: لم يخلف وعدًا قط. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾﴾.

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ: أي بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾: أي رضي الله تعالى قوله وعمله ليقينه وإخلاصه.

وَأَذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ: هو جد أبي نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾.

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾: إلى السماء الرابعة. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وَإِسْرَاهِيلَ: أي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا: أي من جملة من هديناهم لطريقنا واجتبتناهم بنبوتنا.

إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ آيَاتِ الرَّحْمَنِ: أي قرأ عليهم وهم يستمعون إليها.

خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَكَبَّرُوا ﴿٥٨﴾: جمع ساجد وباك أي ساجدين وهم ييكون.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْئِهِمْ خَلْفٌ: أي عقب سوء. ﴿أَصَاعُوا الصَّلَاةَ﴾: أهملوها فتركوها فكانوا بذلك

كافرين.

وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ: انغمسوا في الذنوب والمعاصي كالزنا وشرب الخمر.

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾: أي واديًا في جهنم يلقون فيه. ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

وَلَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾: أي لا ينقصون شيئًا من ثواب حسناتهم.

جَنَّاتٍ عَدْنٍ: أي إقامة دائمة.

الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ: أي وعدهم بها وهي غائبة عن أعينهم لغيابهم إذ هي في السماء

وهم في الأرض.

إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾: أي موعوده وهو ما يعد به عباده آتيا لا محالة.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا: أي فضل الكلام وهو ما لا فائدة فيه.

إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بِكَرٍّ وَعَسِيًّا ﴿٦٢﴾: أي بقدرهما في الدنيا وإلا فالجنة ليس فيها شمس

فيكون فيها نهار وليل.

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾: أي من كان في الحياة الدنيا تقيا لم يترك الفرائض

ولم يغش المحارم.

وَمَا نُنزِّلُ: التنزل النزول وقتًا بعد وقت.

إِلَّا بِأَمْرِيكَ: أي إلا بإذنه لنا في النزول على من يشاء.

لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا: أي مما هو مستقبل من أمر الآخرة.

وَمَا خَلَفْنَا: أي ما مضى من الدنيا.

وَمَا بَيْنَكَ ذَلِكَ: مما لم يمض في الدنيا إلى يوم القيامة أي: له علم ذلك كله.

وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾: أي ذا نسيان فإنه تعالى لا ينسى فكيف ينساك ويتركك؟

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا: أي مالكهما ومتصرف فيهما.

فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ: أي اصبر وتحمل الصبر في عبادته حتى الموت.

هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾: أي لا سمي له ولا مثل ولا نظير فهو الله أحد، لم يكن له كفواً أحد.

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ: أي الكافر بقاء الله تعالى: ﴿أَيُّ ذَا مَامِثٌ لِّسَوْفِ أَخْرِجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾.

أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾: أي قبل خلقه فلا ذات له ولا اسم ولا

صفة.

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حِثًّا ﴿٦٨﴾: أي جاثمين على ركبهم في

ذل وخوف وحزن.

ثُمَّ لَنُرْغَبَنَّ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ: أي طائفة تعاونت على الباطل وتشيع بعضها لبعض فيه.

أَتِيَهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا ﴿٦٩﴾: أي تكبراً عن عبادته وظلماً لعباده.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾: أي أحق بها اصطلاءً واحتراقاً وتعذيباً في النار.

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا: أي ماراً بها إن وقع هلك، وإن مر ولم يقع نجا.

كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾: أي أمراً قضى به الله تعالى وحكم به وحثمه فهو كائن لا بد.

ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾: أي في النار جاثمين على ركبهم بعضهم إلى

بعض.

وَإِذَا نُتِلُّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ: أي آيات القرآن البيّنات الدلائل الواضحات الحجج.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا: نحن أم أنتم، والمقام المنزل ومحل الإقامة،

والمراد هنا المنزلة.

وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾: أي نادياً وهو مجتمع الكرام ومحل المشورة وتبادل الآراء.

وَكَلَّا هَلْ كُنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَ شَاوِرِيًّا ﴿٧٤﴾: أي مالا ومتاعاً ومنظراً. ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾.

إِنَّمَا الْعَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةُ: أي بالقتل والأسر، وأما الساعة فالقيامة المشتملة على نار جهنم.

فَسِعَلْمُوكَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا: أي منزلة.

وَأَضَعُفٌ جُنْدًا ﴿٧٥﴾: أي أقل أعوانًا. ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾: أي ما يرد إليه ويرجع وهو نعيم الجنة.  
أَفْرَبَتْ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا: هو العاص بن وائل. ﴿وَقَالَ لَا أُؤْتِيكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿٧٧﴾: يريد في

الآخرة.

أَطَّلَعَ الْعَبَّ (١): أي فعرف أنه يعطى مالا وولدا يوم القيامة. ﴿أَوَاتُخَذُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٧٨﴾.

كَلًّا: ردع ورد فإنه لم يطلع الغيب ولم يكن له عند الله عهد.

سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾: أي نضاعف له العذاب يوم القيامة.

وَنَرْتَهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾: أي نسلبه ما تبجح به من المال والولد وبيعت فردًا ليس معه مال

ولا ولد.

وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾: أي منعة لهم وقوة يشفعون لهم عند الله حتى لا

يعذبوا.

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ: أي يوم القيامة يجحدون أنهم كانوا يعبدونهم.

وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْدًا ﴿٨٢﴾: أي أعداء لهم وأعوانًا عليهم.

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾: أي ترعجهم إزعاجًا وتحركهم حراكًا شديدًا

نحو الشهوات والمعاصي. ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ ﴿٨٤﴾ (٢).

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾: أي راكبين على النجب تحوطهم الملائكة حتى يتتهوا إلى

رهبهم فيكرمهم.

وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا ﴿٨٦﴾: أي يساق المجرمون كما تساق البهائم مشاة عطاشًا.

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾: هو شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول

الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾: أي قال العرب: الملائكة بنات الله وقال النصارى: عيسى ابن الله.

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾: أي منكرًا عظيمًا.

(١) ﴿أَطَّلَعَ الْعَبَّ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: أنظر في اللوح المحفوظ؟، وقال مجاهد: أعلم الغيب حتى يعلم أي الجنة هو أم لا؟

(٢) أي: لا تطالب بهلاكهم الفوري فإننا نعد لهم الأيام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء آجالهم.

(٣) من لهم عهد بالشفاعة حيث عهد الله تعالى إليهم بذلك هم الملائكة والأنبياء والشهداء أيضًا بدليل السنة الصحيحة، وفسر ابن عباس رضي الله عنه العهد أيضًا بشهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله والقيام بحقها مع التبرؤ من الحول والقوة لله تعالى.

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ: يتشققن من عظم هذا القول وشدة قبحه.  
وَتَلْشَقُّ الْأَرْضُ وَيَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا: أي تسقط وتهدم وتهدم.

أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا: أي من أجل ادعائهم أن للرحمن بِرَبِّكَ ولدًا.

وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا: أي لا يصلح ولا يليق به ذلك لأنه رب كل شيء ومليكه.

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا: أي خاضعًا منقادًا كائنًا من كان. ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤).

وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا: أي ليس معه شيء لا مال ولا سلطان ولا ناصر.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا: أي حبًّا فيعيشون متحابين فيما بينهم ويحبهم ربهم تعالى (١).

فَأَنَّمَا يُسِرُّنَّهُ بِلِسَانِكَ: أي يسرنا القرآن أي: قراءته وفهمه بلغتك العربية.

لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا: أي ألداء شديدي الخصومة والجدل بالباطل

وهم كفار قريش.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ: أي كثيرًا من أهل القرون من قبلهم أهلكتناهم.

هَلْ يُحْسِبُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ: أي هل تجد منهم أحدًا؟

أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا: أي صوتًا خفيًا والجواب: لا. لأن الاستفهام إنكاري.



(١) قال رسول الله ﷺ: «إذا أتى الرجل القوم فقالوا له: مرحبًا، فمرحبًا به يوم القيامة يوم يلتقى ربه، وإذا أتى الرجل القوم فقالوا له: فحطًا، فحطًا له يوم القيامة» رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (قل).

## ٢٠ - سُورَةُ طه

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (١) : أي يا رجل. ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ (٢).

إِلَّا لَذِكْرٍ لِمَنْ يَخْشَى (٣) : أي يتذكر بالقرآن من يخشى عقاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) : أي ارتفع عليه وعلاه (١).

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) (٢) : الثرى التراب الندي يريد ما هو

أسفل الأرضين السبع.

وَإِنْ نَجَّهَرِ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) : أي من السر، وهو ما علمه الله وقدر وجوده وهو

كائن ولكن لم يكن بعد.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) : الحسنى مؤنث الأحسن المفضل على الحسن.

وَهَلْ أَتَاكَ : قد أتاك فالاستفهام للتحقيق.

حَدِيثُ مُوسَى (٩) : أي خبره وموسى هو ابن عمران نبي بني إسرائيل.

إِذْ رَأَى نَارًا : أي حين رؤيته نارًا.

فَقَالَ لِأَهْلِهِ : زوجته بنت شعيب ومن معها من خادم أو ولد.

أَمْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ : أي أبصرتها من بعد.

لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ (١٠) : القبس: عود في رأسه نار.

أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١١) : أي ما يهديني الطريق وقد ضل الطريق إلى مصر.

فَلَمَّا أَنْهَا : أي النار وكانت في شجرة من العوسج ونحوه تتلألأ نورًا لا نارًا.

تُودَى يَمْسُو (١٢) : أي ناداه ربه قائلاً له: يا موسى.

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٣) : طوى اسم للوادي المقدس المطهر،

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (المسلك الأسلم طريقة السلف، وهو إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير

تكليف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل). ١. هـ. (قل).

سبحانك يا رب آمنًا بكلامك على مرادك، وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانت له جارية:

(قلت: يا رسول الله: أفلا أعتقها؟ قال: «اتنتي بها»، فأتيتها بها، فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من

أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

(٢) ما تحت الثرى: هو باطن الأرض كله.

اخلع نعليك: وذلك من أجل أن يتبرك بملامسة الوادي المقدس بقدميه.

وَأَنَا أَخَّرْتُكَ : من قومك لحمل رسالتي إلى فرعون وبني إسرائيل.

فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ : أي: إليك وهو قوله تعالى.

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ : أي لأجل أن تذكرني فيها.

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا : أي أبالغ في إخفائها حتى لا يعلم وقت مجيئها أحد.

لِتُحْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴿١٥﴾ : أي سعيها في الخير أو في الشر.

فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ : أي تهلك.

وَمَا تِلْكَ بِسَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴿١٧﴾ : الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة وهي انقلابها حية.

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا : أي أعتمد عليها.

وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي : أخبط بها ورق الشجر فيتساقط فتأكله الغنم.

وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴿١٨﴾ : أي حاجات أخرى كحمل الزاد بتعليقه فيها ثم حمله على عاتقه

وقتل الهوام. ﴿قَالَ لَهَا يَمْوَسَى﴾ ﴿١٩﴾ .

فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ : أي ثعبان عظيم، تمشي على بطنها بسرعة كالثعبان الصغير

المسمى بالجان.

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ : أي إلى حالتها الأولى قبل أن تنقلب حية.

وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ : أي إلى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط.

تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ : أي من غير برص تضيء كشمس الشمس. ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾ ﴿٢٢﴾ .

لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ : أي رسولاً إليه.

إِنَّهُ طَعَى ﴿٢٤﴾ : تجاوز الحد في الكفر حتى ادعى الألوهية.

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ : أي وسعه لي لأتحمل الرسالة.

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ : أي سهله حتى أقوم على القيام به.

وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ : أي عجمة حتى أفهم من أخاطب. ﴿يَقْفَهُوا قَوْلِي﴾ ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

﴿٢٩﴾ .

هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ : أي قو به ظهري.

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ : أي اجعله نبياً كما نبأتني. ﴿كَيْ سَجَّحَكَ كَثِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَذَكَرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَى ﴿٣٦﴾ : أي مسئولك من انشراح صدرك وتيسير أمرك وتنبئة أخيك.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ : أي أنعمنا عليك مرة أخرى قبل هذه.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٢٨﴾ : أي في شأنك وهو قوله: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ﴾. إلخ (١).  
أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ : أي الصندوق.

فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَيْرِ : أي في نهر النيل. ﴿فَلْيَلْقِهِ الْبَيْمُ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّلَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

وَلِنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٩﴾ : تربي بمرأى مني ومحبة وإرادة.  
إِذْ تَسْتَعِي أُنْتَكُ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ : ليكمل له رضاعه. ﴿فَرَحَّعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ نَقْرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

وَقَتَلْتَ نَفْسًا : هو القبطي الذي قتلته بمصر وهو في بيت فرعون.  
فَجِئْنَاكَ مِنَ الْعَمْرِ : إذ استغفرتنا فغفرنا لك، وتأمروا بك ليقتلوك فنجيناك منهم.  
وَفَتَّاكَ فُلُونًا : أي اختبرناك اختبارًا وابتليناك ابتلاءً عظيمًا.  
فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ ﴿٣٠﴾ : أي جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون.

وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٣١﴾ : أي أنعمت عليك بتلك النعم اجتباءً منا لك لتحمل رسالتنا.  
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي : أي بالمعجزات التي آتيتك كالعصى واليد وغيرها.  
وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي ﴿٣٢﴾ : أي لا تفترا ولا تقصرا في ذكري فإنه سر الحياة وعونكما على أداء رسالتكما.

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٣٣﴾ : تجاوز قدره بادعائه الألوهية والربوبية.  
فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا : أي خاليًا من الغلظة والعنف.  
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٣٤﴾ : أي فيما تقولان فيهتدي إلى معرفتنا فيخشانا فيؤمن ويسلم ويرسل معكما بني إسرائيل.

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا : أي يعجل بعقوبتنا قبل أن ندعوه ونبين له.  
أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٣٥﴾ : أي يزداد طغيانًا وظلمًا.  
قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٣٦﴾ : أي أسمع ما تقولانه وما يقال لكم، وأرى ما تعملان وما يعمل لكم.

قَالَنِيَّاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي لنذهب بهم إلى أرض المعاد أرض أبيهم إبراهيم. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ (٢) مِنْ رَبِّكَ﴾ : أي معجزة تدل على صدقنا في دعوتنا وأنا

(١) هذا الإهام لها أو منام إذ لم تكن نية إجماعًا.

(٢) هي اليد والعصا.

رسولا ربك حقًا وصدقًا.

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾: أي النجاة من العذاب في الدارين لمن آمن واتقى، إذ الهدى إيمان وتقوى.

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾<sup>(١)</sup>: أي كذب بالحق ودعوته، وأعرض عنهما فلم يقبلهما. ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾.

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ: أي خلقه الذي هو عليه متميز به عن غيره.

ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾: أي الحيوان منه إلى طلب مطعمه ومشربه، ومسكنه ومنكحه.

قَالَ فَمَا بَالُ ﴿٥١﴾<sup>(٢)</sup> الْقُرُونِ الْأُولَىٰ: أي قال فرعون لموسى ليصرفه عن إدلائه بالحجج حتى لا يفتضح: فما بال القرون الأولى كقوم نوح وعاد وثمود في عبادتهم الأوثان؟

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي: أي علم أعمالهم وجزائهم عليها عند ربي، دعنا من هذا فإنه لا يعيننا.

فِي كِتَابٍ لَا يَصِطُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾: أي أعمال تلك الأمم في كتاب محفوظ عند ربي وسيجزئهم بأعمالهم، إن ربي لا يخطئ ولا ينسى، فإن عذب أو أحر العذاب؛ فإن ذلك لحكمة اقتضت منه ذلك.

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا: مهذا: فراشا، وسلك: سهل، وسبلا: طرقا. ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾: أزواجًا: أصنافًا شتى مختلفة الألوان والطعوم.

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ: لدلائل واضحات على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته. لِأُولَى النَّهْيِ ﴿٥٤﴾: أي أصحاب العقول، لأن النهية العقل وسمي نهية؛ لأنه ينهى صاحبه عن

ارتكاب القبائح كالشرك والمعاصي.

﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾: أي من الأرض.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ: بعد الموت.

وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ: عند البعث يوم القيامة.

تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾: أي مرة أخرى: إن الأولى كانت خلقًا من طين الأرض وهذه إخراجًا من

الأرض.

وَلَقَدْ آرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾: أي أبصرناه حججنا وأدلتنا على حقيقة ما أرسلنا به

رسولنا موسى وهارون إليه كلها فرفضها وأبى أن يصدق بأنهما رسولان إليه من رب العالمين.

(١) قوله تعالى: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ هذه أرجى آية للموحدين؛ لأنهم لم يكذبوا ولم يتولوا.

(٢) البال: الحال أي: ما حالها وما شأنها؟

قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا: أي أرض مصر التي فرعون ملك عليها.

بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾: يشير إلى العصا واليد البيضاء. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ. فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾

مَكَانًا سَوِيًّا ﴿٥٨﴾: أي مكان عدل بيننا وبينك ونصّف، صالحًا للمباراة بحيث يكون ساحة كبرى

مكشوفة مستوية يرى ما فيها كل ناظر إليها.

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ: أي يوم عيد يتزينون فيه ويقعدون عن العمل.

وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسَ صُحًى ﴿٥٩﴾: أي وأن يؤتى بالناس من كل أنحاء البلاد للنظر في المباراة.

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ: أي انصرف من مجلس الحوار بينه وبين موسى وهارون في كبرياء وإعراض.

فَجَمَعَ كَيْدَهُ: أي ذوي كيده وقوته من السحرة. ﴿ثُمَّ أَنَّى ﴿٦٠﴾﴾

قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ: دعاء عليهم معناه: ألزمكم الله الويل وهو الهلاك. ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا﴾

فَيَسْحِكُمْ بِعَذَابٍ: أي يهلككم بعذاب من عنده. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴿٦١﴾﴾

فَلَنَنْزِعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ: أي في شأن موسى وهارون أي هل هما رسولان أو ساحران؟

وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾: وهي قولهم: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ...﴾ الخ. ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ

يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا﴾

وَيَذَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴿٦٣﴾: أي ويغلبا على طريقة قومكم وهما أشرفهم وساداتهم.

فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ: أي أحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه. ﴿ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾

وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَى ﴿٦٤﴾: أي قد فاز من غلب.

قَالُوا لِمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى: أي عصاك. ﴿وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾﴾

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ نَسَى ﴿٦٦﴾: أي فخيّل إلى موسى أنها حية

تسعى، لأنهم طلوها بالزئبق فلما ضربت الشمس عليها اضطربت واهتزت؛ فخيّل إلى موسى أنها

تتحرك.

فَأَوْجَسَ ﴿١﴾ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾: أي أحس بالخوف في نفسه.

فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾: أي الغالب المنتصر.

وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ لَلْقَفِّ مَا صَنَعُوا: أي تبتلع بسرعة ما صنع السحرة من تلك الحبال والعصي.

إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ: أي كيد سحر لا بقاء له ولا ثبات.

وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾: أي لا يفوز بمطلوبه حيثما كان.

﴿١﴾ فَأَوْجَسَ: أي أحس ووجد أي: خاف أن يفتن الناس قبل أن يلقي العصا.

فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِحْدًا : أي ألقوا بأنفسهم ورءوسهم على الأرض ساجدين. ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ ﴿٧٧﴾ .

قَالَ أَمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمْ : أي لمعلمكم. ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ .  
فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ : أي يد يميني مع رجل يسرى. ﴿وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُودِعِ النَّخْلِ﴾ .

وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٨﴾ : يعني نفسه -لعنه الله- ورب موسى أشد عذابًا وأدومه على مخالفته وعصيانه.

قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ : أي لن نفضلك ونختارك. عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَسَنِ وَالَّذِي فَطَرَنَا : أي خلقنا ولم تكن شيئًا.

فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ : أي اصنع ما قلت: إنك تصنعه بنا. ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٩﴾ إِنَّا أَمَّا رَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٨٠﴾ : أي خير منك ثوابًا إذا أطيع وأبقى منك عذابًا إذا عصي.

إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ، مُجْرِمًا : مجرمًا أي على نفسه مفسدًا لها بآثار الشرك والكفر والمعاصي. ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿٨١﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ، مُؤْمِنًا، قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٨٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٨٣﴾ .

وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٨٤﴾ : أي ثواب من تطهر من آثار الشرك والمعاصي وذلك بالإيمان والعمل الصالح.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي : أي سر ليلاً من أرض مصر.  
فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا : طريقًا في وسط البحر يابسًا لا ماء فيه.  
لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٨٥﴾ : أي لا تخش أن يدركك فرعون، ولا تخش غرقًا.  
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٨٦﴾ : أي فغطاهم من ماء البحر ما غطاهم حتى غرقوا فيه.

وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ قَوْمُهُ : أي بدعائهم إلى الإيمان به والكفر بالله رب العالمين.  
وَمَا هَدَى ﴿٨٧﴾ : أي لم يهدم كما وعدهم بقوله وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٨٧﴾ .

يَدْبِئُ بِنِسْرِ آلِ يَسْرَءِيلَ قَدْ أَجْبَنَّاكُمْ مِنَ عُدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ : أي لأجل إعطاء موسى التوراة التي فيها نظام حياتهم دنيًا ودنيا.

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٨﴾ : المن: شيء أبيض كالثلج، والسلوى: طائر يقال له السماني.

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ : أي بالإسراف فيه، وعدم شكر الله تعالى عليه. ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ ﴿٨٩﴾ .

وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ : أي بالاستقامة على الإيمان والتوحيد والعمل الصالح حتى الموت.

﴿وَمَا أَصْبَلْتُمْ عَنْ قَوْمِكُمْ﴾ : أي شيء جعلك تترك قومك وتأتي قبلهم. ﴿يَمُوسَى﴾ ﴿٨٣﴾ .

قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَتْرَى : أي أتون بعدي وليسوا ببعيدين مني.

وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ : أي استعجلت المجيء إليك طلباً لرضاك عني.

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ : أي ابتليناهم أي بعبادة العجل.

وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ : أي عن الهدى الذي هو الإسلام إلى الشرك وعبادة غير الرب تعالى.

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا : أي شديد الغضب والحزن.

قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا : أي بأن يعطيكم التوراة فيها نظام حياتكم وشريعة ربكم

لتكملوا عليها وتسعدوا.

أَفْطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ : أي مدة الموعد وهي ثلاثون يوماً قبل أن يكملها الله تعالى أربعين يوماً. ﴿أَمْ﴾ ﴿١﴾ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ .

فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٢﴾ ﴿٨٦﴾ : بترككم المجيء بعدي.

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا : أي بأمرنا وطاقتنا، ولكن غلب علينا الهوى فلم نقدر على

إنجاز الوعد بالسير وراءك.

وَلَكِنَّا جُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ : أي أحمالاً من حلي نساء الأقباط وثيابهم.

فَقَدَّفَتْهَا : أي ألقيناها في الحفرة بأمر هارون عليه السلام.

كَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ : السامري هو موسى بن ظفر من قبيلة سامرة الإسرائيلية، وما ألقاه هو.

التراب الذي أخذه من تحت حافر فرس جبريل، ألقاه أي قذفه على الحلي.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا : أي ذا جثة.

لَهُ خُورٌ : الخوار صوت البقر، والخوار صوت العجل، والجوار مثله.

فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ : أي موسى ربه هنا وذهب يطلبه.

أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا : أنه لا يكلمهم إذا كلموه لعدم نطقه بغير الخوار. ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ

صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ﴿٨٩﴾ .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ : أي ابتليتم به أي بالعجل. ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ

(١) ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل والاستفهام بعدها إنكاري أي: أنكر عليهم إرادتهم حلول غضب الله عليهم بسبب شركهم بعبادة العجل.

(٢) المراد من موعدة إياهم: هو ما عهد به إليهم بأن يلزموا طاعة هارون ويسيروا معه بدون تأخر حتى يلحقوا به في جبل الطور فأخلفوا ذلك فعصوا هارون وعكفوا على عبادة العجل وتركوا السير على إثره كما طلب منهم.

فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴿١﴾ .

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ : أي لن نزال عاكفين على عبادته. ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٩١﴾ .  
 قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ : أي بعبادة العجل واتخاذها لها من دون الله تعالى.  
 أَلَا تَتَّبِعِينَ ۗ : ألا تتبعيني: أي بمن معك من المؤمنين وترك المشركين. ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٢﴾ .

قَالَ يَبْنُوهُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ : حيث أخذ موسى من شدة غضبه بلحية أخيه وشعره يجره إليه يعذله ويلوم عليه. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿٩٤﴾ .  
 وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿٩٥﴾ : أي ولم تنتظر قولِي فيما رأيته في ذلك.

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمَعِي ۗ ﴿٩٦﴾ : أي ما شأنك وما هذا الأمر العظيم الذي صدر منك؟  
 قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۗ : أي علمت من طريق الإبصار والنظر ما لم يعلموا به؛ لأنهم لم يروه.

فَبَقِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ : أي قبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل ﷺ.

فَبَدَّتْهَا : أي ألقيتها وطرحتها على الحلي المصنوع عجلًا.  
 وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٧﴾ : أي زينت لي هذا العمل الذي هو صنع العجل.  
 قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۗ : أي اذهب تائها في الأرض طول حياتك وأنت تقول: لا مساس أي لا يمسنى أحد ولا أمسه، لما يحصل من الضرر العظيم لمن تمسه أو يمسك.

وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ ۗ وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ : أي العجل.  
 الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا عَلَيْهِ . أي ظللت طوال الوقت عاكفًا عليه.  
 لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٨﴾ : أي في البحر ننسفه بعد إحراقه وجعله كالنشارة نسفًا.  
 إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ : أي لا معبود لكم إلا الله. ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿٩٩﴾ .  
 كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۗ : أي كما قصصنا عليك هذه القصة قصة موسى وفرعون وموسى وبني إسرائيل نقصص عليك من أنباء الرسل. وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾ : أي قرآنًا وهو القرآن الكريم.

(١) أي: لا أمر السامري أو: فاتبعوني في مسيري إلى موسى ودعوا العجل فعصوه.

(٢) أمره هو قوله له عند مغادرة بني إسرائيل إلى جبل الطور: ﴿أَخْلَقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم نسبة إلى عصيانه ومخالفة أمره، وهذا دليل على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة أهله، وأن المقيم بينهم لا سيما إذا كان راضيًا حكمه كحكمهم.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ: أي لم يؤمن به ولم يقرأه ولم يعمل به.

فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٥﴾: أي حملاً ثقيلاً من الآثام. ﴿حَلِيلِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾

﴿١٦﴾

يَوْمَ يُفْتَحُ فِي الصُّورِ: أي النفخة الثانية وهي نفخة البعث، والصور هو القرن.

وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٦﴾: أي عيونهم زرق ووجوههم سود آية أنهم أصحاب الجحيم.

يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ: أي يخفضون أصواتهم يتسارون بينهم من شدة الهول. ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾

﴿١٧﴾

أي: في الدنيا أو في القبور.

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَشْلُطْهُمْ طَرِيقَةً: أي أعدلهم رأياً في ذلك، وهذا كله لعظم الموقف

وشدة الهول والفرع. ﴿إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ﴿١٨﴾

وَسْتَأْتُونَكَ مِنَ الْجِبَالِ: أي المشركون عن الجبال كيف تكون يوم القيامة؟

فَقُلْ يَسْفِهَارِي سَفَا ﴿١٥﴾: أي يفتتها ثم تذررها الرياح فتكون هباء منبثاً.

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾: أي مستويًا. (أي أرضاً مستوية).

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾: أي لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ: أي إلى المحشر يدعوهم إليه للعرض على الرب تعالى.

لَا عِوَجَ لَهُ: فلا يميلون عن صوته يمنة ولا يسرة.

وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٨﴾: أي سكنت فلا يسمع إلا الهمس وهو صوت

الأقدام الخفي.

يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٩﴾: بأن قال: لا إله إلا الله من قلبه صادقاً.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿٢٠﴾: الله تعالى يعلم ما بين أيدي الناس وما

خلفهم وهم لا يحيطون به علماً.

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ: أي ذلت وخضعت للرب الحي الذي لا يموت.

وَقَدْ حَآبَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢١﴾: أي جاء يوم القيامة يحمل أوزار الظلم وهو الشرك.

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٢﴾: أي لا يخاف ظلمًا بأن يزداد في

سيئاته ولا هضمًا بأن ينقص من حسناته.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا: أي مثل ذلك الإنزال أنزلنا قرآنًا عربيًّا أي بلغة العرب ليفهموه.

وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ: أي من أنواع الوعيد، وفنون العذاب الدنيوي والأخروي.

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿٢٣﴾: أي بهلاك الأمم السابقة فيتعظون فيتوبون ويسلمون.

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ: أي عما يقول المفترون ويشرك المشركون.

وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ: أي بقراءته.

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ: أي من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته عليك. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾

وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ: أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة.

فَنَسِيَ: أي عهدنا وتركه.

وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾: أي حزمًا وصبرًا عما نهيناه عنه.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ: أي اذكر قولنا للعظة والاعتبار.

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾: أي امتنع من السجود لكبر في نفسه؛ إذ هو ليس

من الملائكة وإنما هو أبو الجان كان مع الملائكة يعبد الله معهم.

فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ: أي حواء ومعنى عدو: أنه لا يحب لكما الخير بل يريد

لكما الشر.

فَلَا يُخْرِجَنَّكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾: أي بالعمل في الأرض إذ تزرع وتحصد وتطحن وتخبز حتى

تتغذى.

إِنَّ لَكَ الْأَمْجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنْتَ لَا تَطْمَؤُنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾: أي لا تعطش ولا يصيبك

حر شمس الضحى المؤلم في الأرض.

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ: أي التي يخلد من أكل منها.

وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾: أي لا يفنى ولا يبديد، ولازم ذلك الخلود.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءُ تَهُمَا: أي ظهر لكل منهما قبل صاحبه ودبره فاستاء لذلك.

وَطَفِقَا يَخِصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ: أي أخذوا وجعلوا يلزقان ورق الشجر عليهما سترًا

لسوء اتهما.

وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾: أي بالأكل من الشجرة المنهي عنها.

ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾: أي اختاره لولايته فهداه للتوبة فتاب ليكون عبدًا صالحًا.

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا: أي آدم وحواء من الجنة وإبليس سبق أن أبلس وأهبط..

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: أي آدم وحواء وذريتهما عدو لإبليس وذريته، وإبليس وذريته عدو لآدم

وحواء وذريتهما.

فَأَمَّا يَا أَيُّدُكُمْ مِنِّي هُدَى: أي فإن يأتكم مني هدى وهو كتاب ورسول.

فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ: أي الذي أرسلت به رسولي وهو القرآن.

فَلَا يَضِلُّ: أي في الدنيا.

وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾: في الآخرة.

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي: أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه.

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا : أي ضيقة تضيق بها نفسه ولم يسعد بها ولو كانت واسعة.  
وَحَشْرُهُ. يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٧٤﴾ : أي أعمى البصر لا يبصر.

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٧٥﴾ : أي ذا بصر في الدنيا وعند البعث.  
قَالَ كَذَلِكَ : أي الأمر كذلك.

أَنْتَ أَهْلًا بِنَاتِنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ لُنُسَى ﴿١٧٦﴾ : أي فكما نسيتها تنسى في جهنم.

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ : أي وكذلك الجزاء الذي جازينا به من نسي آياتنا نجزي من أسرف في

المعاصي ولم يقف عند حد.

وَلَمْ يُؤْمِنْ يَأْتِيكُ رِيبَهُ وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٧٧﴾ : أي أشد من عذاب الدنيا وأدوم فلا ينقضي

ولا ينتهي.

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ : أي أفلم يبين لهم.

كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ : أي من أهل القرون.

يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ : أي الذين هم يمشون في مساجدهم.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧٨﴾ : أي أصحاب العقول الراجحة إذ النهية العقل.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ : أي بتأخير العذاب عنهم.

لَكَانَ لِرِزْمًا : أي العذاب لازماً لا يتأخر عنهم بحال.

وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٧٩﴾ : أي عند الله في كتاب المقادير لا يتبدل ولا يتغير.

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ : من كلمات الكفر، ومن مطالبهم بالآيات. وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴿١٨٠﴾

وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ : أي ساعات الليل واحداً أنى أو أنو.

فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٨١﴾ : أي رجاء أن تثاب الحسن الذي ترضى به.

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ : أي رجالاً منهم من الكافرين ﴿١٨٢﴾ .

زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي زينة الحياة الدنيا وقيل: فيها زهرة؛ لأنها سرعان ما تذبل وتذوى.

لِنَقُتْنَهُمْ فِيهِ : أي لننتليهم في ذلك أشكرون أم يكفرون. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٨٣﴾ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ﴿١٨٤﴾

(١) والنسيح ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هو صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ هو صلاة العصر ﴿وَمِنْ آتَائِ اللَّيْلِ﴾ أي: ساعات الليل وهما صلاتا المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ هو صلاة الظهر؛ لأنها تقع بين طرفي النهار أي: نصفه الأول ونصفه الثاني وذلك عند زوال الشمس.

(٢) أزواجاً: رجالاً ونساءً لأن الرجل زوج والمرأة زوج والتعبير نفظ أزواج لأجل الدلالة على العائلات والبيوت أي: إلى ما متعناهم به من مال وبنين.

وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ : العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة لأهل التقوى.  
 وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا : أي هلا فهي أداة تحضيض وحث على وقوع ما يذكر بعدها.  
 يَا أَيُّهَا مَنْ رَبِّيهِ : أي معجزة تدل على صدقه في نبوته ورسالته.  
 أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ : أي المشتمل عليها القرآن العظيم من أنباء الأمم  
 الماضية وهلاكهم بتكذيبهم لرسولهم.  
 وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ : من قبل إرسالنا رسولنا محمداً ﷺ وإنزالنا كتابنا القرآن.  
 لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ : أي من قبل أن  
 يصيبنا الذل والخزي يوم القيامة في جهنم.  
 قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ : أي منتظر ما يتول إليه الأمر.  
 فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعَلَمُونَ : أي يوم القيامة.  
 مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ : أي الدين الصحيح وهو الإسلام.  
 وَمَنْ أَهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ : أي من ضل نحن أم أنتم؟  
 الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



## ٢١ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ : أي قرب زمن حسابهم وهو يوم القيامة.

وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ : أي عما هم صائرون إليه.

مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ : أي عن التأهب ليوم الحساب بصلاح الأعمال بعد ترك الشرك والمعاصي.

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ : أي من قرآن نازل من ربهم محدث جديد النزول.

إِلَّا أَسْتَعْوَهُ وَهُمْ بِالْعَبْوَنِ ﴿٢﴾ : أي ساخرين مستهزئين.

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴿٣﴾ وَأَسْرَأَ النُّجُوى : أي أخفوا مناجاتهم بينهم. ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ

مِثْلَكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ .

بَلْ قَالُوا أَضَعَفْتُ أَحْلَمٍ : أي أخلاط رآها في المنام.

بَلْ أَفْتَرْتَهُ : أي اختلقه وكذبه ولم يوح إليه. ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٦﴾

مَاءَ أَمْنَتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ : أي لا يؤمنون فلا استفهام للنفي.

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ : يا محمد. ﴿إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ .

فَنشَأُوا أَهْلَ الذِّكْرِ : أي الكتاب الأول وهم أهل الكتاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ .

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا : أي أجسادا آدمية. ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾﴾ .

ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ : أي الذي واعدناهم.

فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ : أي في الظلم والشرك والمعاصي.

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا : هو القرآن العظيم.

فِيهِ ذِكْرُكُمْ : أي ما تذكرون به ربكم، وما تُذكرون به من الشرف بين الناس. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبٍ : أي وكثير من أهل القرى قصمناهم بإهلاكهم وتفتيت أجسامهم.

كَانَتْ ظَالِمَةً : أي كان أهلها ظالمين. ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ

إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ : أي فارين هاربين.

لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ: أي من وافر الطعام والشراب والمسكن والمركب.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾: أي عن شيء من دنياكم على عادتكم. ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿١٧﴾. ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ: أي دعوتهم التي يرددونها وهي: (يا ويلنا إنا كنا ظالمين). حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ ﴿١٨﴾: أي لم يبق منهم قائم فهم كالزرع المحصود خامدين لا حراك لهم كالنار إذا أُخمدت.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴿١٦﴾: أي عابثين لا مقصد حسن لنا في ذلك. لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِعَهُنَّ أَوْ آيَ زَوْجَةٍ وَوْلَدًا.

لَا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا: أي من عندنا من الحور العين أو الملائكة. ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ﴿١٧﴾. بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَىٰ الْبَاطِلِ: أي نرمي بالحق على الباطل. فَيَدْمَغُهُ: أي يشج رأسه حتى تبلغ الشجة دماغه فيهلك. فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ: أي ذاهب مضمحل.

وَلَكُمْ الْأُولَىٰ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾: أي ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للذيان بأن له زوجة وولدًا وللرسول بأنه ساحر ومفتر.

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: خلقًا وملكًا وتديرًا لا شريك له في ذلك.

وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾: أي لا يعيون ولا يتعبون فيتركوا

التسبيح.

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾: عن التسبيح لأنه منهم كالنفس منا لا يتعب أحدنا من

النفس ولا يشغله عنه شيء.

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ: أي من معادنها كالذهب والفضة والنحاس والحجر <sup>(١)</sup>.

هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾: أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلها حقًا إلا من يحيي الموتى.

لَوْ كَانَ فِيهَا: أي في السموات والأرض.

إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا: أي السموات والأرض لأن تعدد الآلهة يقتضي التنازع عادة وهو يقضي

بفساد النظام.

فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ: أي تنزيهه لله عما لا يليق بجلاله وكماله.

رَبِّ الْعَرْشِ: أي خالقه ومالكة والمختص به.

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾: أي الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك.

(١) ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل والاستفهام التعجب، أي: بل اتخذوا من دون الله آلهة يا للعجب.

لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿١٧﴾ : إذ هو الملك المتصرف وغيره يُسأل عن فعله لعجزه وجهله وكونه مربوبًا.

أَرِئْتُمْ لِمَنِ دُونُهُ ءِالِهَةٌ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ : أي على ما اتخذتم من دونه من آلهة ولا برهان لهم على ذلك فهم كاذبون.

هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى : أي القرآن ذكر أمتي.

وَذَكَرْنَا قَبْلِي : أي التوراة والإنجيل، وغيرهما من كتب الله، الكل يشهد أنه لا إله إلا الله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ : أي توحيد الله ووجوبه على العباد. ﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿١٨﴾ .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٩﴾ : أي وحدوني في

العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا : أي من الملائكة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك.

سُبْحَانَهُ : تنزيه له تعالى عن اتخاذ الولد.

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٠﴾ : هم الملائكة، ومن كان عبدًا لا يكون ابنًا ولا بنتًا.

لَا يَسْئِقُونَهُ بِالْقَوْلِ : أي لا يقولون حتى يقول هو، وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء.

وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ : أي فهم مطيعون متأدبون لا يعملون إلا بإذنه لهم.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ <sup>(١)</sup>

وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى : أي إلا لمن رضي تعالى أن يشفع له.

وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٢﴾ : أي خائفون.

﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ : أي من دون الله كإبليس عليه لعائن الله.

فَذَلِكُمْ تَجْرِبُهُمْ فَجَهَنَّمَ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ : أي لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رِقَاعًا : أي كتلة واحدة منسدة لا انفتاح فيها.

فَفَتَقْنَاهُمْ : أي جعلنا السماء سبع سموات والأرض سبع أرضين.

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ <sup>(٢)</sup>

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي : أي جبالًا ثابتة.

أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ : أي تتحرك فتميل بهم.

وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا : أي طرقًا واسعة يسلكونها تصل بهم إلى حيث يريدون.

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعلم ما عملوا وما هم عاملون كما يعلم ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الدنيا.

(٢) ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ بمعنى: خلقنا، وهذا اللفظ صالح للدلالة على أن كل شيء في هذه المخلوقات من الحيوان

والنبات خلق من الماء، والثاني: أن حياة هذه المخلوقات تحفظ بالماء، وفي الحديث: «كل شيء خلق من الماء». رواه أحمد وإسناده على شرط الشيخين.

لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ : إلى مقاصدهم في أسفارهم. ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا <sup>(١)</sup> مَحْفُوظًا﴾ من السقوط ومن الشياطين.

وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا : من الشمس والقمر والليل والنهار. ﴿مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ .

كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٨﴾ : الفلك: كل شيء دائر. وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ : أي البقاء في الدنيا. ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ . كَلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةَ الْمَوْتِ : أي مرارة مفارقة الجسد.

وَتَبْلُوكُمْ : أي نختبركم. بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ : فالشر كالفقر والمرض، والخير كالغنى والصحة. فِتْنَةً : أي لأجل الفتنة ننظر أتصبرون وتشكرون أم تجزعون وتكفرون؟ ﴿وَاللَّيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

وَإِذَا رَأَوْا كَذِبًا أَتَوْا بِكُفْرٍ وَإِن يَنْخَدُوكَ إِلَّا هُزُؤًا : أي ما يتخذونك إلا هزواً أي مهزواً بك. أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ : أي يعيها. وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٤١﴾ : حيث أنكروا اسم الرحمن لله تعالى وقالوا: ما

الرحمن؟

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ : حيث خلق الله آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة على عجل، فورث بنوه طبع العجلة عنه <sup>(٢)</sup> .

سَأُورِيكُمْ آيَاتِي : أي سأريكم ما حملته آياتي من وعيد لكم بالعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوا ﴿٤٢﴾ وَتَقُولُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدَانِ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٣﴾ .

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ : أي لا يمنعون ولا يدفعون. ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٤﴾ .

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً : أي تأتيهم القيامة بغتة أي فجأة.

فَتَبْهَتُهُمْ : أي تحيرهم. فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٥﴾ : أي يمهلون ليتوبوا <sup>(٣)</sup> .

(١) سميت السماء سقفاً؛ لأنها مرفوعة فوق الأرض مظلة لها كالسقف على الدار.

(٢) إن طبع الإنسان العجلة، إنه يستعجل الأشياء وإن كان فيها مضرته، ولفظ الإنسان جائز أن يكون المراد به جنس الإنسان أو آدم ﷺ.

(٣) جواب لو: محذوف تقديره: لما استعجلوا، أي: لو عرف هؤلاء المستعجلون وقت لا تزول فيه النار عن وجوههم وعن ظهورهم لما استعجلوا العذاب.

وَلَقَدْ أَسْهَرْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ : أي نزل بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

قُلْ مَن يَكْفُرْ كُفْرًا : أي من يحفظكم ويحرسكم. ﴿بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

مِنَ الرَّحْمَنِ : أي من عذابه إن أراد إنزاله بكم.

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ : أي هم عن القرآن.

مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ : فلا يستمعون إليه ولا يفكرون فيه.

أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَّابُونَ ﴿٤٣﴾ : أي

لا يجدون من يجيرهم من عذابنا.

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ : أي بما أنعمنا عليهم من الخيرات <sup>(١)</sup>.

حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ <sup>(٢)</sup> : فانغروا بذلك. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ :

أي بالفتح على النبي وأصحابه المؤمنين.

أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ : الله هو الغالب.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ : أي بأخبار الله تعالى التي يوحىها إليّ وليس هناك شيء من عندي.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾.

وَلَكِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ : أي وقعة من عذاب خفيفة.

لَيَقُولُنَّ يَوَدُّ أَنَّآ لَنَا : أي يقولون : يا ويلنا : أي يا هلاكنا.

إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ : أي بالشرك والتكذيب للرسول ﷺ.

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ : أي العادلة. ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

فَلَا نُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا : لا بنقص حسنة، ولا بزيادة سيئة.

وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ : أي زنة حبة من خردل.

أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ : أي محصين في كل شيء.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ : التوراة لأنها فارقة بين الحق والباطل كالقرآن <sup>(٣)</sup>.

وَضِيَاءً : أي يهدي إلى الحق في العقائد والشرائع.

وَذَكَرْنَا : أي موعظة. ﴿لِّلْمُنْتَفِعِينَ﴾ ﴿٤٨﴾.

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي يخافون ربهم وهم لا يرونه في الدنيا فلا يعصونه بترك

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل مكة. أي : بسطنا لهم ولآبائهم نعيمها.

(٢) ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ أي : في النعمة فظنوا أنها لا تزول عنهم ؟ فانغروا وأعرضوا عن تدبير حجج الله ﷺ.

(٣) وفسر الفرقان بالتوراة أيضًا، وهو حق أيضًا، جائز أن يكون النصر، إذ معنى الفرقان : أنه ما يفرق به بين الحق والباطل بالقول أو العمل.

واجب ولا يفعل حرام.

وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ : أي وهم من أهوال يوم القيامة وعذابه خائفون.

وهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكِ أَنْزَلْنَاهُ : أي القرآن الكريم تنال بركته قارئه والعمل به.

أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ : الاستفهام للتوبيخ؛ يوبخ تعالى من أنكر أن القرآن كتاب الله.

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ (١) : أي هداه بمعرفة ربه والإيمان به ووجوب طاعته والتقرب إليه. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٢) ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ﴿

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ : جمع تمثال: وهو الصورة المصنوعة على شبه إنسان أو حيوان.

الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ : أي مقبلون عليها ملازمين لها تعبدًا. ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ

﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ ﴿

أَمْ أَنْتُمْ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ : أي الهازلين غير الجادين فيما يقولون أو يفعلون.

قَالَ بَلْ رَزَقْنَاكَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي المستحق للعبادة مالك السموات والأرض.

الَّذِي فَطَرَهُمْ : أي أنشأهم خلقًا وإيجادًا على غير مثال سابق. ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ

﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ : أي لأحتال على كسر أصنامكم وتحطيمها. ﴿بَعْدَ أَنْ تُولَؤُوا مَدِينًا

﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا : فتاتًا وقطعًا صغيرة. إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ : إلا أكبر صنم لهم فإنه لم يكسره. لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ : كي يرجعوا إليه فيؤمنوا بالله ويوحده بعد أن يظهر لهم عجز

الآلهتهم (٣).

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِلَهِنَا : أي بأصنامهم التي سموها آلهة؛ لأنهم يعبدونها ويؤلهونها بذلك.

﴿إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ .

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ : أي بالعيب والانتقاص. ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ .

قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ : أي ظاهراً يروونه بأعينهم.

لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ : أي عليه بأنه الذي كسر الآلهة ويشهدون العقوبة التي نزلها به.

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا : هذه صيغة الاستنطاق والاستجواب. ﴿شَاهِدْنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ﴿٦٢﴾ .

(١) جائز أن يكون من قبل موسى وهارون، وجائز أن يكون من قبل النبوة والوحي إليه. والرشد: الصلاح.

(٢) أي: بأهليته لإيتاء الرشد وصالح للنبوة، وجائز أن يكون عالمين به في الوقت الذي قال لأبيه وقومه: ﴿مَا هَذِهِ

التَّمَاثِيلُ﴾

(٣) جائز أن يكون المراد بالرجوع إلى الصنم في تكسيرها.

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا: أشار بإصبعه نحو الصنم الأكبر الذي علق به الفأس قائلاً: بل فعله كبيرهم هذا وَوَرَىٰ بِإصبعه تحاشياً للكذب (١). ﴿فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (٢٧).

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ: أي بعد التفكير والتأمل حكموا على أنفسهم بالظلم لعبادتهم ما لا ينطق. ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٨).  
ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ: أي بعد اعترافهم بالحق رجعوا إلى إقرار الباطل فكانوا كمن نكس فجعل رأسه أسفل ورجلاه أعلى.

لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٢٩): فكيف تطلب منا أن نسألهم.  
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٣٠): أي آلهة لا تنفعكم شيئاً ولا تضركم إن أرادت ضرركم.

أَفِي لَكُمْ: أي قبحاً لكم. ﴿وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣١).  
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٣٢): أي أحرقوه بالنار انتصاراً لآلهتكم التي كسرها.

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٣٣): فكانت كذلك فلم يُحرق منه غير وثاقه (الحبل الذي وثق به).

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا: وهو تحريقه بالنار للتخلص منه.  
فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ (٣٤): حيث خرج من النار ولم تحرقه ونجا من قبضتهم وذهب كيدهم ولم يحصلوا على شيء.

وَيَجَنَّبُهَا لُوطًا: أي ابن أخيه هاران (٣٥).  
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٣٦): وهي أرض الشام.  
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً: زيادة على طلبه الولد، فطلب ولدًا فأعطاه ما طلب وزاده آخر (٣٧).

(١) قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ قاله من أجل أن يقولوا: إنهم لا ينطقون ولا ينفون ولا يضررون فيقول لهم: فلم تعبدونهم إذا؟! فتقوم له الحجة عليهم من أنفسهم؛ ولذا يجوز فرض الباطل مع الخصم حتى يرجع إلى الحق من ذات نفسه؛ فإنه أقطع للشبهة وأقرب في الحجة.

(٢) هذه النجاة ثانية. الأولى كانت من النار وهذه من ديار الكفار، إذ هاجر من أرض الكلدانيين إلى أرض فلسطين، وهي بلاد الكنعانيين يومئذ، وهجرة إبراهيم هذه أول هجرة في تاريخ الإسلام، إذ خرج إبراهيم وابن أخيه لوط بن هاران وزوجه وابنة عمه سارة عليها السلام، ونصب لوط على المفعول معه، وضمن فعل نجياته معنى الإخراج فعدي به ﴿إِلَى﴾.

(٣) قال ابن كثير: النافلة: ولد الولد: يعني أن يعقوب ولد إسحاق كما قال: ﴿فَصَجَّحْتْ فَيْسَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (٣٧) اهـ (قل).

وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾: أي وجعلنا كل واحد منهم صالحًا من الصالحين الذين يؤدون حقوق الله كاملة وحقوق الناس كذلك.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً: أي يقتدى بهم في الخير.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا: أي يرشدون الناس ويعلمونهم ما به كمالهم ونجاتهم وسعادتهم بإذن الله تعالى لهم بذلك حيث جعلهم رسلاً مبلغين. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾

وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٧﴾: أي خاشعين مطيعين قائمين بأمرنا.

وَلَوْ طَآءَأَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا: أي أعطينا لوطًا حكمًا أي فصلاً بين الخصوم وفقها في الدين، وكل هذا يدخل تحت النبوة والرسالة وقد نبأه وأرسله.

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَجْأَتِ: كاللواط وغيره من المفساد.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَاقِينَ ﴿٧٨﴾: أي عصاة متمردين على الشرع تاركين للعمل به. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٧٩﴾.

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ<sup>(١)</sup>: أي واذكر نوحًا إذ دعا ربه على قومه الكفرة.

فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآلَهُ مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨٠﴾: أي من الغرق الناتج عن الطوفان الذي عم سطح الأرض. ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨١﴾<sup>(٢)</sup>.

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ: أي في الكرم الذي رعته الماشية ليلاً<sup>(٣)</sup>.

إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ: أي رعته ليلاً بدون راعٍ.

وَكَانَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٨٢﴾: أي حاضرين صدور حكمهم في القضية لا يخفى علينا شيء من ذلك.

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ: أي القضية التي جرى فيها الحكم.

وَكَانَّا ءَايَاتِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا: أي كلاً من داود وولده سليمان، أعطيناها حكمًا: أي النبوة، وعلماً

بأحكام الله ﷻ وفقها.

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ: أي معه إذا سبح.

(١) من قبل إبراهيم ولوط ﷺ.

(٢) السوء: بفتح السين مصدر: القبيح المكروه من القول والفعل، وبضم السين اسم مصدر وهو أعم من السوء بفتح السين.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم المسلم متفق عليه. وهذا لفظ مسلم، وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن» (قل).

وَكُنَّا فَلَاحِلِينَ ﴿٧٨﴾ : أي لما هو أغرب وأعجب من تسبيح الجبال والطير فلا تعجبوا.

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ : هي الدروع وهي من لباس الحرب.

لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ : أي تقيكم وتحفظكم من ضرب السيوف وطعن الرماح.

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي اشكروا فالاستفهام معناه الأمر هنا.

وَلَسَلِيمِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةٍ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا : أي أرض الشام. ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾

﴿٨١﴾

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَعْصُونَ لَهُ : أي في أعماق البحار لاستخراج الجواهر.

وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ : أي دون الغوص كالبناء وغيره وبعض الصناعات.

وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ : أي لأعمالهم حتى لا يفسدوها.

﴿وَأَيُّوبَ﴾ : أي واذكر أيوب.

إِذْ نَادَى رَبَّهُ : أي دعاه لما ابتلي بفقد ماله وولده ومرض جسده.

أَيُّ مَسْفِيٍّ الضَّرُّ : هو ما ضرب بجسده أو ماله أو ولده. ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ.

فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴿٨٤﴾

وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ : أي عظة للعابدين؛ ليصبروا فيثابوا.

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا : بأن نبأناهم

فانخرطوا في سلك الأنبياء. ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

وَذَا النُّونِ : هو يونس بن متى عليه السلام وأضيف إلى النون الذي هو الحوت في قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَكُورُ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ . لأن حوته كبيرة ابتلعه.

إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا : أي لربه تعالى حيث لم يرجع إلى قومه لما بلغه أن الله رفع عنهم العذاب.

فَقُلْنَا أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ : أي لن نجسده ونضيق عليه في بطن الحوت من أجل مغاضبته.

فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل. ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ

إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ (١)

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَبَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ : أي الكرب الذي أصابه وهو في بطن الحوت. ﴿وَكَذَلِكَ

نُشِجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾

وَوَكَّرَبْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا : أي بلا ولد يرث عني النبوة والعلم والحكمة

بقريته، ويرث من آل يعقوب. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾

(١) ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حيث ترك مداومة قومه والصبر عليهم، أو في الخروج من غير إذن له؛ ففزه ربه عن الظلم

ونسبه إلى نفسه اعترافًا واستحقاقًا.

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي  
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا: أي طمعًا فينا، ورهبًا منا: أي خوفًا ورجاء. ﴿وَكَانُوا لَنَا  
خَلِيعِينَ﴾ (٩١).

وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا: أي صاتته وحفظته من الفاحشة.

فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا: أي جبريل حيث نفخ في كم درعها (٩١).

وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١): أي علامة على قدرة الله تعالى (٩٢) ووجوب عبادته

بذكره وشكره.

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً: أي ملتكم وهي الإسلام ملة واحدة من عهد آدم إلى العهد

المحمدي، إذ دين الأنبياء واحد وهو عبادة الله تعالى وحده بما يشرع لهم.

وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢): أنا إلهكم الحق حيث خلقتكم ورزقتكم فلا تنبغي العبادة إلا

لي فاعبدون ولا تعبدوا معي غيري.

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ: تفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية

والمجوسية والوثنيات وما أكثرها.

كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣): أي كل فرقة من تلك الفرق التي قطعت الإسلام راجعة إلينا

وسوف نجزيها بكسبها. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (٩٣) ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾: أي لا

نكران ولا جحود لعمله بل سوف يجزي به وافيًا.

وَأَنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ (٩٤): إذ الكرام الكاتبون يكتبون أعمال العباد خيرا وشرها.

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَةٍ أَهْلُكُنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥): أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

حَقَّقَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ: قبيلتان موجودتان وراء سدهما الذي سيفتح عند قرب

الساعة، وفي الكلام حذف تقديره: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج.

وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ: أي مرتفع من الأرض.

يَسْلُوتُ (٩٦): أي يسرعون المشي.

وَأَقْتَرَبَ (٩٦) الْوَعْدُ الْحَقُّ: يوم القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَصْبَرُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْوِلُنَا أَقْدَقْنَا فِي

(١) إضافة الروح إلى الله تعالى: إضافة تشريف كبيت الله، وقيل فيه: روح الله؛ لأنه مبعوث من قبله ﷺ.

(٢) آية اسم جنس فمريم آية، وعيسى ﷺ آية.

(٣) ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من للنعيس إذ من غير الممكن أن يعمل العبد كل الصالحات ويأتي بكل الطاعات، وقوله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ وموحد أيضًا فإن الشرك محبط للعمل.

(٤) قيل: الواو زائدة مقحمة، والمعنى: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق، فاقترب: جواب إذا والواو مقحمة، ومثله: ﴿وَتَكَلَّمُ لِلْجِنِّ﴾ (٩٦)، ﴿وَتَدِينُهُ﴾ أي: للجبين ناديه، وأجاز بعضهم أن يكون جواب

عَفَلَةٍ مِّنْ هَذَا ﴿١٧﴾: أي من يوم القيامة وما فيه من أحداث. ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.  
 إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ: أي من الأصنام والأوثان.  
 حَصَبُ جَهَنَّمَ: أي ما توقد به جهنم. ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٨﴾﴾.  
 لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ آلِهَةٍ: أي الأوثان التي يعبدها المشركون من قریش.  
 مَا وَرَدُوهَا: أي لحالوا بين عابديهم ودخول النار، لأنهم آلهة قادرون على ذلك، ولكنهم ليسوا آلهة حق، فلذا لا يمنعون عابديهم من دخول النار.

وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾: أي العابدون من الناس والمعبودون من الشياطين والأوثان.  
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ: أي لأهل النار فيها أنين وتنفس شديد وهو الزفير. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾  
 وَأَنْهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ لِكثْرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَشِدَّةِ الْأَصْوَاتِ وَفِضَاعَةِ أَلْوَانِ الْعَذَابِ.  
 إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ: أي كتب الله تعالى أزلًا أنهم أهل الجنة. ﴿أُولَئِكَ عَتَبَا مَبْعَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ أي عن جهنم مبعدون.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً: أي حس صوتها. ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.  
 لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ: أي عند النفخة الثانية نفخة البعث فإنهم يقومون من قبورهم  
 آمنين غير خائفين. ﴿وَنُلَقِّنُھُمُ الْمَلَكِ كَهَذَا يَوْمَ كُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾.  
 يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ: أي يطوي الجبار السماء طي الورقة لتدخل في الظرف.

كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ: أي يعيد الله الخلاق كما بدأهم أول مرة فيبعث الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً، كما ولدوا لم ينقص منهم شيء. ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.  
 وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ: أي في الكتب التي أنزلنا كصحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن.

مِن بَعْدِ الذِّكْرِ: أي من بعد أن كتبنا ذلك في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ.

أَنْتَ الْأَرْضُ: أي أرض الجنة.  
 يَرِيثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿٢٥﴾: هم أهل الإيمان والعمل الصالح من سائر الأمم من أتباع الرسل عامة.

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا: أي إنَّ في القرآن لبلاغًا أي: لكفاية وبلغًا لدخول الجنة فكل من آمن به وعمل بما فيه دخل الجنة.

لِقَوْلِهِ عِبْدِينَ ﴿٢٦﴾: أي مطيعين الله ورسوله.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾: أي الإنس والجن فالمؤمنون المتقون يدخلون الجنة، والكافرون ينجون من عذاب الإبادة والاستئصال الذي كان يصيب الأمم السابقة. ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٧٨﴾: أي أسلموا فلا استفهام للأمر.

فَإِن تَوَلَّوْا فَعَلَّآ أَذِنْتُ لَكُمُ: أي أعلمتكم.

عَلَى سَوَاءٍ: أنا وأنتم أنه لا تلاقي بيننا فإنا حرب عليكم وأنتم حرب عليّ.

وَإِن أَدْرِي: ما أدري. ﴿أَقْرَبُ أَمْ يَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا

تَكْتُمُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

وَإِن أَدْرِي لَعَلَّهُ (١) فِتْنَةٌ لَّكُمْ: أي اختبار لكم. ﴿وَمَنْعٌ إِلَىٰ حَبِيبٍ ﴿١٨١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ

الْمُسْتَعَانُ﴾.

عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨٢﴾: من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولدًا، وأن القرآن شعر.



(١) لعله أي الإمهال والتأخير.

## ٢٢ - سُورَةُ الْحَجِّ (١)

«مكية ومدينة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ: أي عذاب ربكم وذلك بالإيمان والتقوى.

إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ: أي زلزلة الأرض عند مجيء الساعة. ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ: أي من شدة الهول والخوف تنسى رضيعها وتغفل عنه. ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا﴾: أي تسقط الحوامل ما في بطونهن من الخوف والفرح.

وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ: أي ذاهلون فاقدون رشدهم وصوابهم كالسكارى وما هم بسكارى. ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (٢).

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ: أي يقول: إن الملائكة بنات الله، وإن الله لا يحيي الموتى.

وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣): أي متجرد من كل خير، لا خير فيه البتة.

كَيْبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ: فرض فيه أن من تولاها أي اتبعه يضلّه عن الحق. ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٤).

يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ: الريب الشك مع اضطراب النفس وحيرتها، والبعث الحياة بعد الموت.

فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ: قطرة المنى التي يفرزها الزوجان.

ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ: أي من قطعة دم متجمد تتحول إليه النطفة في خلال أربعين يوماً.

ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ: أي قطعة لحم قدر ما يمضغ المرء تتحول العلقة إليها بعد أربعين يوماً.

مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ: أي مصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة هي السقط يسقط قبل تمام خلقه.

لِنُسَبِّحَنَّ لَكُمْ: أي قدرتنا على ما نشاء، ونعرفكم بابتداء خلقكم كيف يكون.

وَنُقَرِّبَنَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ: أي ونبقي في الرحم من نريد له الحياة والبقاء إلى نهاية مدة الحمل،

ثم نخرجه طفلاً سوياً. ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (٥).

(١) ذكر القرطبي عن الغرنوي أنه قال: سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، نزلت ليلاً ونهاراً، سفرًا وحضرًا، مكياً ومدنيًا، سلمياً وحريراً، ناسخًا ومنسوخًا، محكمًا ومتشابهًا.

ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشَدَّكُمْ : أي كمال أبدانكم وتمام عقولكم.  
وَمِنْكُمْ مَنْ يُنُوفُ (١) وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ : أي سن الشيخوخة والهرم  
فيخرف.

لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا : أي فيصير كالطفل في معارفه إذ ينسى كل علم علمه.  
وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً : خامدة لا حراك لها ميتة.  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ : أي تحركت بالنبات وارتفعت تربتها وأنبتت.  
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ النَّبَاتَاتِ جَمِيلِ الْمَنْظَرِ حَسَنَةً.  
ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ : أي الإله الحق الذي لا إله سواه، فعبادة الله حق وعبادة غير الله باطل.  
﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)  
وَأَنَّ السَّاعَةَ : أي القيامة. ﴿ءَاتِيَةٌ لَأَرْبَبٍ فِيهَا﴾  
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) : أي يحييهم ريخرجهم من قبورهم أحياء كما كانوا قبل  
موتهم.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ : أي في شأن الله تعالى فينسب إلى الله تعالى ما هو منه براء كالشريك  
والولد والعجز عن إحياء الموتى، وهذا المجادل هو أبو جهل.

بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي بدون علم من الله ورسوله.  
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ (٨) : أي ولا كتاب من كتب الله ذي نور يكشف الحقائق ويقرر الحق  
ويبطل الباطل.

ثَانِي عَطْفِهِ : أي لا و عنقه تكبراً، لأن العطف الجانب من الإنسان. ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾  
لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ : وقد أذاقه الله تعالى يوم بدر إذ ذبح هناك واحتز رأسه. ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ .

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠) : أي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم بغير ظلم منهم لأنفسهم.  
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْعُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ : أي على شك في الإسلام؛ هل هو حق أو باطل؟ وذلك لجهلهم  
به وأغلب هؤلاء أعراب البادية.

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ : أي سكنت نفسه إلى الإسلام ورضي به.  
وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ : أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه.  
أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ : أي رجع عن الإسلام إلى ما كان عليه من الكفر الجاهلي.  
خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) .

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ : أي صنمًا لا يضره إن لم يعبدوه ولا ينفعه إن عبده. ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ﴾ (١٣).

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ المَوْلَى : أي قبيح هذا الناصر من ناصر.

وَلَيْسَ العَاشِرُ (١٣) : أي المعاشر وهو الصاحب الملازم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي الفرائض والنوافل وأفعال الخير. ﴿جَنَّتِ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤) : من إكرام المطيع وإهانة العاصي، وغير ذلك من

رحمة المؤمن وعذاب الكافر.

مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَضُرَّهُ اللَّهُ : أي محمداً ﷺ. ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

فَلْيَمْدُدْ سَبَبٍ : أي بحبل.

إِلَى السَّمَاءِ : أي سقف بيته وليختنق غيظًا. ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ فَيَنْظُرَنَّ﴾.

هَلْ يَذْهَبُ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥) : أي في عدم نصرة النبي ﷺ الذي يغيبه (١).

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ : أي ومثل إنزالنا تلك الآيات السابقة أنزلنا القرآن.

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦).

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا : أي اليهود.

وَالصَّابِغِينَ : فرقة من النصراني.

وَالنَّصْرِيَّ وَالْمَجُوسَ : عبدة النار والكواكب. ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا لَئِنْ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ﴾.

إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) : أي عالم به حافظ له.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ : أي ألم تر بقلبك فتعلم.

يَسْجُدُ لَهُ : أي يخضع ويذل له بوضع وجهه على الأرض بين يدي الرب تعالى.

مَنْ فِي السَّمَوَاتِ : من الملائكة. ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ﴾.

وَالدَّوَابُّ : من سائر الحيوانات التي تدب على الأرض.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ : وجب عليه العذاب فلا بد هو واقع به.

وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ : أي يشقه في عذاب مهين.

فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ : أي ليس له من مكرم أي مسعد ليسعده، وقد أشقاه الله.

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُشَاءُ (١٨).

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ : خصم مؤمن وخصم كافر، كل واحد يريد أن يخضم صاحبه.﴾

(١) ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعَنَّ﴾ : أي ثم ليقطع الحبل وينظر بعد هذه العملية الانتحارية هل كيده هذا يذهب عنه الذي يغيبه؟

أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ : أي في دينه.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ : أي فصلت لهم ثياب على قدر أجسامهم.

مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ : أي يذاب بالحميم وهو الماء الحار من شحوم وغيرها. ﴿وَالْجُلُودُ

﴿٢٠﴾

وَلَهُمْ مَقْعَعُ مِنَ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ : جمع مقمعة، وهي آلة من حديد كالمجن.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾

وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ : أي يقال لهم توبيخًا وتقريعًا: ذوقوا عذب النار.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ الَّذِينَ أَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا <sup>(١)</sup> : أي أساور من لؤلؤ محلاة بالذهب.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ : هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٤﴾ : أي إلى الإسلام إذ هو طريق الله الموصل إلى رضاه وجنته.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : جحدوا توحيد الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم.

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : يمتنعون الناس من الإسلام، ويصرفونهم عنه.

وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ : مكة المكرمة والمسجد الحرام ضمنها.

الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ : المقيم بمكة للتعبد في المسجد الحرام.

وَالْبَادِ : الطارئ على مكة النازح إليها.

وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ يَظْلَمُ : إلحادًا: أي ميلًا عن الحق ملتبسًا بظلم لنفسه أو لغيره.

الباء في إلحاد: الإجماع على أنها صلة لتقوية الكلم لشيوع مثلها في كلام العرب، والأصل:

ومن يرد فيه إلحادًا.

﴿تَذُقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ : أي اذكر يا رسولنا إذ بوأنا: أي أنزلنا إبراهيم بمكة مبينين

له مكان البيت <sup>(٢)</sup>.

أَنْ لَا تُشْرِكَ فِي شَيْئًا : أي ووصيناه بأن لا تشرك بي شيئًا من الشرك والشركاء.

وَطَهَّرَ بَيْتِي : ونظف بيتي من أقدار الشرك وأنجاس المشركين.

(١) نصب على تقدير: ويحلون لؤلؤًا.

(٢) معنى بوأنا لإبراهيم، أي: أريناه أصله، وكان قد درس بطول العهد وأنزلناه فيه.

لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾  
 وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ : أعلم في الناس بأعلى صوتك .  
 يَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ يَرْزُقُكَ كَيْفَ يُرِيدُ : مشاة وركباناً على ضواير الإبل .  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدَاتِ وَلَا مَالَ الْأَقْرَبِينَ مِنْهُنَّ سَبْعَ مَوَاقِعَ وَلَا يَسْتَأْذِنُوا بِنِجَابِ الرَّسُولِ وَلَا فِي الْأَعْيُنِ : طريق واسع بعيد الغور في قارات الأرض . ﴿٦٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٦٨﴾

وَيَذَكِّرُوا أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ : هي أيام التشريق .  
 عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ : أي الإبل والبقر والغنم إذ لا يصح الهدى إلا منها .  
 فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْأَبْيَاسَ الْفَقِيرَ ﴿٦٨﴾ : أي الشديد الفقر .  
 ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ : أي ليزيلوا أوساخهم المترتبة على مدة الإحرام .  
 وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ : أي بأن يذبحوا وينحروا ما نذروه لله من هدايا وضحايا .  
 وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ : أي الأمر هذا مثل قول المتكلم : هذا أي ما ذكرت كذا وكذا .

وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَةَ اللَّهِ : جمع حرمة، ما حرم الله تعالى انتهاكه من قول أو فعل .  
 فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ : أي خير في الآخرة لمن يعظم حرمة الله فلا ينتهكها .  
 وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْبَهَائِمُ إِلَّا مَا يُنْتَهَى عَلَيْكُمْ : أي تحريمه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به .

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ : أي اجتنبوا عبادة الأوثان .  
 وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٧٠﴾ : وهو الكذب، وأعظم الكذب ما كان على الله تعالى والشرك وشهادة الزور، وكذلك الكذب على رسول الله ﷺ .

حُنْفَاءَ اللَّهِ : موحدين له ماثلين عن كل دين إلى الإسلام . ﴿٧١﴾ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴿٧٢﴾  
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ : أي سقط .  
 فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ : أي تأخذه بسرعة . ﴿٧٣﴾ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٧٤﴾  
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْرَةَ اللَّهِ : أعلام دينه، وهي هنا البُذُنُ بأن تختار الحسنة السمينة منها .  
 فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٧٥﴾ : أي تعظيمها ناشئ من تقوى قلوبهم .  
 لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ : منها ركوبها، والحمل عليها بما لا يضرها، وشرب لبنها .  
 إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى : أي وقت معين، وهو نحرها بالحرم أيام التشريق .  
 ثُمَّ مَحْمُورًا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٧٦﴾ : أي عند البيت العتيق وهو مكة والحرم .  
 وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا : أي ذبائح من بهيمة الأنعام يتقربون بها إلى الله تعالى، ومكان الذبح يقال له : منسك . ﴿٧٧﴾ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿٧٨﴾

فَالنَّهْكَهُمُ إِلَهُهُ وَجَدُّ فَلَهُ أَسْلَمُوا: أي انقادوا ظاهراً وباطناً لأمره ونهيه.

وَبَشِّرِ الْمُصْبِتِينَ (٣٤): أي المطيعين المتواضعين الخاشعين.

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ: أي خافت من الله تعالى أن تكون قصرت في طاعته.

وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥).

وَالْبَدَنُ: جمع بدنة، وهي ما يساق للحرم من إبل وبقر ليذبح تقرباً إلى الله تعالى.

جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ: أي من أعلام دينه ومظاهر عبادته. ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ

عَلَيْهَا﴾.

صَوَافٍ: جمع صافة وهي القائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى.

فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا: أي بعد أن تسقط على جنوبها على الأرض لا روح فيها.

فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ: القانع<sup>(١)</sup>: السائل، والمعتر: الذي يتعرض للرجل ولا

يسأله حياة وعفة.

كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ: أي مثل هذا التسخير سخرناها لكم لتركبوا عليها وتحملوا وتحلبوا.

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦): أي لأجل أن تشكروا الله تعالى بحمده وطاعته.

لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا: أي لا يرفع إلى الله لحم ولا دم، ولكن تقواه بفعل ما أمر به،

وترك ما نهى عنه. وَلَكِنْ يَبَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ.

لِشْكُرِ وَاللَّهِ: أي تقولوا: الله أكبر بعد الصلوات الخمس أيام التشريق.

عَلَى مَا هَدَيْتُمْ: شكرًا له على هدايته إياكم.

وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧): أي الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤدونها على

الوجه المشروع.

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا: قرئ يدفع: أي غوائل المشركين وما يكيدون به المؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ: كثير الخيانة لأمانته وعهوده.

كَقُورٍ (٣٨): أي جحود لربه وكتابه ورسوله ونعمه عليه.

أُذُنٌ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا: أي بسبب ظلم المشركين لهم. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

(٣٩)﴾ (٢)

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ: أي استوجب إخراجهم من ديارهم.

(١) القانع: اسم فاعل من قَنَعَ يَقْنَعُ، فهو قانع إذا سأل وتذلل في السؤال، أما القانع: بمعنى ذي القناعة ففعله: قَنَعَ.

بكسر النون، قناعة إذا اكتفى بما عنده ولم يسأل.

(٢) هذه الآية نزلت بعد هجرة الرسول ﷺ والمؤمنين إلى المدينة، وفيها إذن بقتال المشركين بعد المنع الأول فهي

أول آية بالإذن بالقتال بعدما كان غير مأذون فيه كما تقدم.

إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ: أي إلا قولهم: ربنا الله والله حق، وهل قول الحق يسوغ إخراج قائله؟  
وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَائِعُ<sup>(١)</sup> وَيَبِيعُ: معابد الرهبان وكنائس النصارى.  
وَصَلَوَاتُ: معابد اليهود باللغة العبرية، مفردها صلوة.

وَمَسْجِدُ: أي بيوت الصلاة للمسلمين. ﴿يَذْكُرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا﴾  
وَيَسْتَنْصِرُكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ: أي ينصر دينه وعباده المؤمنين.

إِنَّ اللَّهَ لَقَرِيْبٌ عَزِيْزٌ ﴿٤١﴾: قادر على ما يريد، عزيز لا يمانع فيما يريد.

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ: أي نصرناهم على عدوهم ومكنا لهم في البلاد؛ بأن جعلنا السلطة  
بأيديهم. ﴿أَفَأَمَّا الصَّوْتُوعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾: أي آخر أمور الخلق مردها إلى الله تعالى الذي يثيب ويعاقب.  
وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ: أي إن يكذبك قومك. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾: إذا فلا تأس، فلست وحدك المكذب.

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ: هم قوم شعيب عليه السلام.

وَكَذَّبَ مُوسَى: أي كذبه فرعون وآله الأقباط.

فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ: أي أمهلتهم فلم أعجل العقوبة لهم.

ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ: أي بالعذاب المستأصل لهم.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾: أي كيف كان إنكاري عليهم تكذيبهم وكفرهم أكان واقعًا موقعه؟

نعم. إذ الاستفهام للتقرير.

فَكَأَيِّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا: أي ساقطة على

سقوفها.

وَيَبْرُ مُعْطَلَةٌ: أي متروكة لا يستخرج منها ماء لموت أهلها.

وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾: مرتفع مجصص بالجص. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ

بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾

فَأِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾: أي فإنها أي: القصة لا تعمى

الأبصار فإن الخلل ليس في أبصارهم، ولكن في قلوبهم حيث أعماها الهوى وأفسدتها الشهوة  
والتقليد لأهل الجهل والضلال.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ: أي يطالبونك مستعجلينك بما حذرهم منه من عذاب الله. ﴿وَلَنْ

(١) في الآية دليل على أنه لا يجوز لنا هدم معابد اليهود والنصارى، وإنما يمتنعون من زيادة البناء حتى لا يكون ذلك  
إذنا بالبقاء على الكفر وهو حرام.

يُخَلِّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ. ﴿٤٧﴾

وَأِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ : أي من أيام الدنيا ذات الأربع والعشرين ساعة.

وَكَأَنَّ مِّن قَرَابَةٍ : أي وكثير من القرى أي العواصم والحوضر الجامعة لكل أسباب الحضارة.

أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ : أي أمهلتها فمددت أيام حياتها، ولم أستعجلها بالعذاب. ﴿٤٨﴾ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ : منذر أي مخوف عاقبة الكفر والظلم بين النذارة.

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ : أي ستر لذنوبهم ورزق حسن في الجنة.

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ : أي عملوا بجد واجتهاد في شأن إبعاد الناس عن الإيمان بآياتنا، وما تحمله من دعوة إلى التوحيد وترك الشرك والمعاصي. ﴿٥١﴾ أَوَلَيْكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ : الرسول ذكر من بني آدم أوحى إليه بشرع وأمر بإبلاغه، والنبي مقرر لشرع من قبله.

إِلَّا إِذْ أَمَرْنَا لِقَى الشَّيْطَانِ فِي أَمْنِيَّتِهِ : أي قرأ في أمنيته أي: في قراءته.

فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ : أي بعد إزالة ما ألقاه الشيطان في القراءة، يحكم الله آياته أي يشتها. ﴿٥٢﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ : أي اختبارًا للذين في قلوبهم مرض الشرك.

وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ : هم المشركون. ﴿٥٣﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ : أي تتطامن وتخضع له قلوبهم. ﴿٥٤﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ : أي في شك منه ورب من القرآن. ﴿٥٥﴾ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴿٥٥﴾

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ : هو عذاب يوم بدر إذ كان يومًا عقيمًا لا خير فيه لهم.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ : أي جنات ذات نعم لا يبلغ الوصف

مداه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهَيْبٌ ﴿٥٧﴾ : أي يهان فيه صاحبه فهو

عذاب جسماني نفساني.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا: أي هجروا ديار الكفر، وذهبوا إلى ديار الإيمان المدينة النبوية على ساكنها السلام.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي هجروا ديارهم لا لدنيا ولكن ليعبدوا الله، وينصروا دينه وأولياءه.  
ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيُرْزَقَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا: أي في الجنة إذ أرواحهم في حواصل طير خضر ترعى في الجنة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ (٥٨) ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ: أي الجنة يوم القيامة. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (٥٩) ﴿ذَلِكَ: أي الأمر ذلك المذكور فاذكروه ولا تنسوه.

وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عَاقَبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ: أي ظلم بعد أن عاقب عدوه بمثل ما ظلم به.  
﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ (٦٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ (٦١).

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُوَلِّجُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ: أي يدخل جزءاً من الليل في النهار والعكس بحسب فصول السنة، كما أنه يومياً يدخل الليل في النهار إذا جاء النهار، ويدخل النهار في الليل إذا جاء الليل. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٦٢).

ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ: أي الإله الحق الذي تجب عبادته دون سواه.  
وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ: أي من أصنام وأوثان وغيرها هو الباطل بعينه.  
﴿وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٣).

الْقَرَّتْ: أي ألم تعلم. ﴿أَنْتَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (٦٤).  
فَنُصِّحَ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً: أي بالعشب والكلأ والنبات. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٥) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٦٦).

وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَفِيُّ الْحَكِيمُ (٦٧): الغني عن كل ما سواه المحمود في أرضه وسمائه.  
الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَحَابًا لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ: أي سهل لكم تملكه والتصرف فيه والانتفاع به. ﴿وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (٦٨) ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٩).  
وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ: أي أوجدكم أحياء بعدما كنتم عدماً. ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (٧٠).  
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٧١): أي كثير الكفر والجحود لربه ونعمه عليه.  
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا: أي مكاناً يتعبدون فيه بالذبائح أو غيرها. ﴿هُمْ نَاسِكُونَ﴾ (٧٢).  
فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ: أي لا ينبغي أن ينازِعوك.

وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٧٣): أي دين مستقيم هو الإسلام دين الله الحق.  
﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٧٤) ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٧٥) ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٧٦).

إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ هُوَ اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ. ﴿١﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٦﴾ .  
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا: أي حجة وبرهاناً. ﴿٧٧﴾ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ  
نَبِيرٍ ﴿٧٦﴾ .  
وَإِذَا نَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ: أي الإنكار الدال عليه  
عبوس الوجه وتقطيئه.

يَكَادُونَ يَسْطُونَ: يبطشون. ﴿٧٧﴾ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءآيَاتِنَا ﴿٧٨﴾ .  
قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَُمْ: هو النار. ﴿٧٩﴾ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٧٩﴾ .  
يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ: أي جعل مثل هو ما تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
تَدْعُونَ...﴾ الخ. ﴿٨٠﴾ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۗ ﴿٨٠﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا: لن يستطيعوا خلق ذبابة وهي أحقر  
الحيوانات تتخلق من العفونات.

وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ: أي على خلقه فإنهم لا يقدر، فكيف إذا لم يجتمعوا فهم أعجز.  
وَإِنْ سَأَلْتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَغْفِرُوهُ مِنْهُ: أي لا يستردوه منه وذلك لعجزهم.  
ضَعُفَ الظَّالِمِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾: أي العابد والمعبود.

مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: أي ما عظم المشركون الله تعالى حق قدره أي عظمته. ﴿٨١﴾ إِنَّ اللَّهَ  
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٨١﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴿٨٢﴾: أي يجتبي ويختار كجبريل عليه السلام (٢).  
وَمِنَ النَّاسِ: كمحمد ﷺ. ﴿٨٣﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٨٤﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى  
اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٨٥﴾ .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴿٨٦﴾: أي أطيعوه في أمره ونهيه في  
تعظيم هو غاية التعظيم وذل له هو غاية الذل.

وَأَفْكَلُوا الْخَيْرَ: أي من كل ما انتدبكم الله لفعله ورجبكم فيه من صالح الأقوال والأفعال.

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٨٧﴾: أي كي تفوزوا بالنجاة من النار ودخول الجنة.

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ: أي الجهاد الحق الذي شرعه الله تعالى وأمر به، وهو جهاد  
الكفار والشيطان والنفس والهوى.

(١) أي: الفصل بين المختلفين ككتابة كل كائن في كتاب المقادير كل ذلك على الله يسير، إذ هو تعالى لا يعجزه  
شيء، ويقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

(٢) في العبارة بعض الخفاء، والمقصود هو أن الله يصطفى من الملائكة مثل جبريل وميكائيل فيرسلهم إلى من  
يصطفى من الناس وهم الأنبياء، وفي الآية رد على المعارضين على الوحي الإلهي لرسوله محمد ﷺ.

(٣) خص الركوع والسجود من بين أركان الصلاة؛ لأنهما أشرف أجزائها وأدل على خضوع العبد لربه وذلت له.

هُوَ اجْتَبَأَكُمْ : أي اختاركم لحمل دعوة الله إلى الناس كافة.  
 وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ : أي من ضيق وتكليف لا يطاق.  
 مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ : أي الزموا ملة أبيكم إبراهيم وهي عبادة الله وحده لا شريك له.  
 هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ .

وَفِي هَذَا : أي القرآن. ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ : أي تمسكوا بدينه وثقوا بنصرته وحسن مشورته. ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ .  
 فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ : أي هو تعالى نعم النصير : أي الناصر لكم.



## ٢٣ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ (١)

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَدَّ أَلْحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) : أي فازوا قطعاً بالنجاة من النار، ودخول الجنة.

وَالَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ (٢) : أي ساكنون مطمئنون لا يتلفتون بعين ولا قلب وهم بين يدي ربهم.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) : اللغو كل ما لا رضئ فيه لله من قول وعمل وتفكير. معرضون أي منصرفون عنه.

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) : أي مؤدون.

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) : أي صائون لها عن النظر إليها لا يكشفونها وعن إتيان الفاحشة.

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : من الجوازي والسراري إن وجدن. ﴿فَأَيُّهُمْ غَيْرُ مُلْوِمِينَ﴾ (٦)

فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ : أي طلب ما دون زوجته وجاريتها المملوكة شرعاً.

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) : أي الظالمون المعتدون على حدود الشرع.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) : أي حافظون لأماناتهم وعهودهم. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

صَلَاتِهِمْ حَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)﴾

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ : أعلى درجة في الجنة في أعلى جنة. ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١)﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ (١) مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) : السلالة ما يستل من الشيء، والمراد بها هنا ما

استل من الطين لخلق آدم.

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) : النطفة قطرة الماء.

ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً : العلقة: الدم المتجمد الذي يعلق بالإصبع لو حاول أحد أن يرفعه

بإصبعه كمخ البيض.

(١) سورة «المؤمنون» وليس المؤمنين لأنها توقيفية من عند الله تعالى (قل).

(٢) جائز أن يكون المراد بالإنسان آدم، وأن يكون أحد ذريته، إذ السلالة: الشيء المستل أي: المنتزع من غيره فالطينة مستلة من مادة الطين.

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً : والمضغة هي قطعة لحم قدر ما يمضغ الأكل. ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَوْنُوا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ﴾ .

خَلْقًا آخَرَ : أي غير تلك المضغة إذ بعد نفخ الروح فيها صارت إنسانًا.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ : أي الصانعين فالله يصنع والناس يصنعون والله أحسن الصانعين. ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ : أي سبع سموات. كل سماء يقال لها: طريقة؛ لأن بعضها مطروق فوق بعض. ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَالِقِ غَفِيلِينَ ﴿١٧﴾﴾ .

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ : أي بمقدار معين لا يزيد ولا ينقص. ﴿فَأَسْكَنْتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهِ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ .

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ : جبل يقال له: طور سيناء.

تَبَّتْ بِالذَّهْنِ <sup>(١)</sup> : أي تبت بثمر فيه الدهن وهو الزيت.

وَصَبَّحَ لِلآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ : أي يغمس الأكل فيه اللقمة ويأكلها.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً : الأنعام الإبل والبقر والغنم، والعبرة فيها تحصل لمن تأمل خلقها

ومنافعها.

شَقِيقَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا : أي من اللبن.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنفَعٌ كَثِيرَةٌ : كالوبر والصوف واللبن والركوب.

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ : أي من لحومها.

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ : أي تركيبون الإبل في البر، وتركبون السفن في البحر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ <sup>(٢)</sup> : أي وحدوه بالعبادة إذ ليس لكم من إله

غيره.

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَنْفِقُونَ ﴿٢٣﴾ : أي تعبدون معه غيره فلا تخافون غضبه وعقابه.

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : أي أعيان البلاد وكبراء القوم.

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ : أي ما نوح إلا بشر مثلكم فكيف تطيعونه بقبول ما يدعوكم إليه.

رُبِّدْنَا أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ : أي يسودكم ويصبح أمرًا ناهيًا بينكم.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً : أي لو شاء الله إرسال رسول لأنزل ملائكة رسلاً. ﴿مَا سِعِينَا بِهَذَا فِي

(١) الباء في ﴿بِالذَّهْنِ﴾ للمصاحبة نحو: خرج زيد بسلامة أي: مصحوبًا بسلامة.

وفي الآية إشارة إلى أن شجر الزيتون أول ما وجد على الأرض وجد بطور سيناء ثم تناقله الناس من إقليم إلى آخر، فقولُه: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ إعلام بأول منبت لها.

(٢) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ موطنه للقسم، أي: وعزتنا لقد أرسلنا نوحًا.

ءَابَائِنَا الْأَوْلِينَ ﴿٤٤﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِدَىٰ حِجَّةٍ : أي مصاب بمس من جنون.

فَرَضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٥﴾ : أي فلا تسمعوا له وتطيعوا وانتظروا به هلاكه أو شفاؤه. ﴿قَالَ رَبِّ

أَنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٤٦﴾

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَّكَ : أي أعلمناه بطريق سريع خفي أن اصنع الفلك.

بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا : أي بمراى منا ومنظر، وتعليمنا إياك صنعها.

فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ : تنور الخباز فار منه الماء آية بداية الطوفان.

فَأَسْأَلُكَ فِيهَا : أي أدخل في السفينة.

مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ : [راجع سورة هود<sup>(١)</sup>].

وَأَهْلَكَ : أولادك ونساءك. ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾

وَلَا تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي لا تكلمني في شأن الظالمين.

إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٧﴾ : فإني حكمت بإغراقهم. ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الصَّلَاةُ لِلَّهِ الَّذِي

يَجْعَلُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾

وَقُلِ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا : أي وادعني قائلاً: يا رب أنزلني منزلاً مباركاً من الأرض. ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنزِلِينَ ﴿٤٩﴾

إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي لدلائل وعبراً.

وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٥٠﴾ : أي لمختبرين.

فَرَأَيْنَاهُمْ بَعْدَهُمْ قُرْآنًا آخِرِينَ ﴿٥١﴾ : أي خلقنا من بعد قوم نوح الهالكين قوما آخرين هم عاد قوم

هود.

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ : هو هود عليه السلام.

أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ : أي قولوا: لا إله إلا الله فاعبدوا الله وحده. ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَقَالَ

الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ﴿٥٣﴾

وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي أنعمنا عليهم بالمال وسعة العيش. ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا

تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٥٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخٰسِرُونَ ﴿٥٥﴾ أَعْبُدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ

وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ﴿٥٦﴾

أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٥٧﴾ : أي أحياء من قبوركم بعد موتكم.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، أي ذكرًا وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات

والثمار وغير ذلك. اهـ (قل).

﴿ هَيَاتَ هَيَاتَ لِمَاتُوعَدُونَ ﴾ (٣٦) : أي بُعد بعدًا كبيرًا وقوع ما بعدكم.

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيْكُنَا الدُّنْيَا : أي ما هي إلا حياتنا الدنيا وليس وراءها حياة أخرى. ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٣٧) ﴿ (١) .

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ : أي ما هو إلا رجل.

﴿ أَقْرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا : أي كذب على الله تعالى. ﴿ وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ (٣٩) .

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ : أي عن قليل من الزمن.

﴿ لَيُصِخِرُنَّ نَادِمِينَ ﴾ (٤٠) : ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم.

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبْحَةُ بِالْحَقِّ : أي صيحة العذاب والهلاك.

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً : كغناء السيل، وهو ما يجمعه الوادي من العيدان والنبات اليابس.

﴿ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤١) : أي هلاكًا لهم.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (٤٢) : أي أوجدنا من بعدهم أهل قرون آخرين ققوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب. ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُونَ ﴾ (٤٣) .

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولًا نَذِيرًا : أي يتبع بعضهم بعضًا الواحد عقب الآخر. ﴿ كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتَيْنَاهُمُ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ : أي أهلكتناهم وتركناهم قصصًا تقص وأخبارًا تتناقل. ﴿ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴾ .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْمِعُوا لِقَوْلِي إِنَّ لِلَّهِ مَا تَدْعُونَ ﴾ (٤٥) : الآيات هي التسع الآيات، وهي الحججة والسلطان المبين.

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ (٤٦) : أي علوا أهل تلك البلاد قهرا واستبدادا وتحكما. ﴿ فَقَالُوا اتُّؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ .

﴿ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴾ (٤٧) : أي مطيعون ذليلون نستخدمهم فيما نشاء وكيف نشاء. ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾

﴿ فَكَانُوا مِنَ الْمُكَلِّبِينَ ﴾ (٤٨) .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي التوراة. ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٤٩) ﴿ (٢) .

﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ : أي عيسى وأمه (٣) .

(١) إن قيل: كيف قالوا: ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ وهم منكرون للبعث؟ قيل في الجواب: إما أن يكون مرادهم نكون نطقًا ميتة ثم نحيا، وإما أن يكون في الكلام تقديم وتأخير أي: نحيا فيها ونموت نحو ﴿ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي ﴾ وإما بموت الآباء وحياة الأبناء.

(٢) خص موسى بإتيائه الكتاب دون هارون؛ لأن هارون يوم إعطاء موسى الكتاب (التوراة) كان مع قومه، وموسى كان وحده في الطور للمناجاة.

(٣) أدمج أمه في الذكر لتسفيه اليهود في قولهم في مريم بهتانًا عظيمًا.

آيَةً : أي حجة وبرهاناً على وجود الله وقدرته وعلمه ووجوب توحيده.

وَأَوْسِنَهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ : أي إلى مكان مرتفع ذي استقرار وفيه ماء جار عذب

(١)

وفواكه وخضر .

يَتَأَيَّأُ الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي من الحلال.

وَأَعْمَلُوا صَالِحًا : أي بأداء الفرائض وكثير من النوافل. ﴿إِنِّي يَمَاعَتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ .

وَلَنْ هُدًى لَكُمْ مِنْكُمْ : أي ملتكم الإسلامية. ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ .

وَأَنَا رِبُّكُمْ فَانْقَبُوا ﴿٥٢﴾ : أي بامثال أمري واجتنب نهيي.

فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا : أي اختلفوا في دينهم فأصبحوا طوائف : هذه يهودية وتلك نصرانية.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ .

فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ : أي في ضلالتهم. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٥٤﴾ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّهُرِيَهُمْ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ .

سَارِعُهُمْ : أي نعجل. ﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾ .

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ : أن ذلك استدراج لهم.

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي خائفون. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ رِيْبَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

وَالَّذِينَ هُمْ يُرِيدُونَ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٥٩﴾ : أي بعبادته أحدًا.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ : أي خائفون أن لا يقبل منهم ذلك (٢).

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ : أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم ويسألهم ويجزيهم.

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾ : أي ياذن الله وفي علمه.

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِإِلَّا وُسْعَهَا : إلا طاقتها وما تقدر عليه.

وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ : وهو ما كتبه الكرام الكاتبون فإنه ناطق بالحق.

وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ ﴿٦٢﴾ : أي بتقص حسنة من حسناتهم ولا بزيادة سيئة على سيئاتهم.

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرٍ مِّنْ هَذَا : أي جهالة بالقرآن وعمى.

وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ : أي من دون أعمال المؤمنين التي هي : الخشية والإيمان بالآيات

والتوحيد والمراقبة.

هُمْ لَهَا عَالِمُونَ ﴿٦٣﴾ : أي سيعملونها لتكون سبب نهايتهم حيث يأخذهم الله تعالى بها. ﴿حَتَّىٰ

إِذَا أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ﴾ .

(١) المعين : هو الماء الجاري على ظهر الأرض ظاهر للعيون.

(٢) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾

أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال : «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون وهم

يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات».

إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ : أي يصرخون بأعلى أصواتهم ضاحجين مستغيثين مما حل بهم من العذاب. لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ وَنَنَا لَتَنصُرُونَ ﴿٦٥﴾ فَذَكَاتَ آيَاتِي تُثَلِّ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ .

نَنْكُصُونَ ﴿٦٦﴾ : أي ترجعون على أعقابكم كراهية سماع القرآن.

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ : أي بالحرم أي كانوا يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد لأننا أهل الحرم.

سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ : أي تسمرون بالحرم ليلاً هاجرين الحق وسماعه على قراءة فتح التاء،

وعلى قراءة ضمها: تهجرون أي: تقولون الهجر من القول كالفحش والقبح.

أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ : أي محمداً ﷺ . ﴿فَهُمْ لَهُمْ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ .

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ : أي مجنون. ﴿بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ .

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ : أي ما يهوونه ويشتهونه. ﴿فَسَدَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ .

بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ : أي بالقرآن العظيم الذي فيه ذكروهم فيه يُذكرون وتُذكرون. ﴿فَهُمْ

عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٧١﴾ .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَبْرًا : أي ما لا مقابل إبلاغك لهم دعوة ربهم.

فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ : أي ما يرزقه الله خير. ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ .

وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ : أي إلى الإسلام.

وَإِنَّ الدِّينَ لَا يُوَسِّطُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَكِّتَنَّ ﴿٧٤﴾ : أي عن الإسلام أي متكبرونه أي جاعلوه

على منكب أي جانب، عادلون عنه.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَثُفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ : أي لتمادوا في طغيانهم

مصرين عليه. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ .

فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ : أي ما ذلوا ولا خضعوا. ﴿وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ

شَدِيدٍ ﴿٧٧﴾ وهو معركة بدر وما أصاب المشركين من القتل.

إِذَا هُمْ فِيهِ مُبَسِّئُونَ ﴿٧٨﴾ : أي آيسون قانطون.

(١) وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ﴾ الذي يسمونه من نبينا محمداً ﷺ فيعرفوا أنه حق وخير وأنه فيه صلاحهم،

وقيل: القول: القرآن؛ وسمي قولاً لأنهم خوطبوا به، والاستفهام إنكاري يحمل التقرير والتأنيب.

﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ الخ.. أي: فأنكروه وأعرضوا عنه. وقيل: أم بمعنى بل الانتقالية بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به؛ فلذا

أنكروه وتركوا التدين به، والفاء في: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾: للتفريع إذ هذا الكلام متفرع عما سبقه، والتدبر معناه إعمال

النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله النظر في دبر الأمر أي: فيما لا يظهر منه للمتأمل

بادئ ذي بدء.

(٢) الإبلاس: شدة اليأس من النجاة، وجائز أن يكون العذاب الذي أبلسهم عذاب القحط والمجاعة التي أصابتهم،

وجائز أن يكون عذاب يوم القيامة.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ : أي خلق وأوجد وخلق لكم الأسماع والأبصار.  
وَالْأَفْئِدَةَ : جمع فؤاد وهو القلب.

قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ : أي ما تشكرون إلا قليلاً.  
وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ .

وَالِيَهُ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي تجمعون إليه بعد إحيائكم وإخراجكم من قبوركم.  
وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ : أي إليه تعالى إيجاد الليل والنهار وظلمة الليل وضياء النهار.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ : فتعرفوا أن الله هو المعبود الحق إذ هو الرب الحق. ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ  
الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِذْ آذَيْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْ نَأْتِي مَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَاكَمْ وَعَآبِكُمْ هَذَا مِنْ قَبْلُ .

إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ : أي ما تقولون من البعث والحياة الثانية ما هو إلا حكايات  
وأساطير، وأخبار الأولين، والأساطير جمع أسطورة أي حكاية مسطرة مكتوبة. ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ  
وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ .

قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ : فتعلموا أن من له الأرض ومن فيها خلقاً وملكاً قادر على البعث وأنه لا  
إله إلا هو. ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ .

قُلْ أَفَلَا نُنْفِئُكَ : أي كيف لا تتقونه بالإيمان به وتوحيده وتصديقه في البعث والجزاء.  
قُلْ مَنْ يُبْدِيهِمْ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ملك كل شيء يتصرف كيف يشاء.

وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ : أي يحفظ ويحمي من يشاء ولا يُحمى عليه ويحفظ من أراده  
بسوء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ .

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٨﴾ : أي كيف تُخدعون وتصرفون عن الحق.

بَلْ أَنْتَنَّهُمْ بِالْحَقِّ : أي بما هو الحق والصدق في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء. ﴿وَأَنَّهُمْ  
لَكَذِبُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ .

وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي قهراً وسلطاناً.

سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩٠﴾ : أي من الكذب كزعمهم أن لله ولداً وأن له شريكاً، وأنه غير  
قادر على البعث. ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩١﴾ .

قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تَرِيَّتِي مَا بُوْعِدُونَ ﴿٩٢﴾ : أي إن تريني أي من العذاب. ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٤﴾ .

(١) ﴿وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ هذه اللام: لام الاختصاص إذ لا قدرة لأحد سواه على اختلاف الليل والنهار  
بالطول والقصر، والضياء والظلام، وما يجري فيهما من تصاريف الكائنات على اختلافها وتنوعها.

أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ السَّيْتَةِ : أي ادفع بالخصلة التي هي أحسن وذلك <sup>(١)</sup> كالصفح والإعراض عنهم. ﴿تَعْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (١١).

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿١٧﴾ : أي من وساوسهم التي تخطر بالقلب فتكاد تفسده. وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾ : أي في أموري حتى لا يفسدوها عليّ. حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ : أي رأى علاماته وراه. ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (١٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴿٢٠﴾ .

وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ <sup>(٢)</sup> : أي حاجز يمنع وهو مدة الحياة الدنيا، وإن عاد بالبعث فلا عمل يقبل. إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ : أي في القرن المعبر عنه باليوبق نفخة القيام من القبور <sup>(٣)</sup> للحساب والجزاء. ﴿فَلَا أَصَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَومِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٣١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٢) : أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٣٣) . تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ : أي تحرقها.

وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿٣٤﴾ : الكالِح من أحرقت النار جلدة وجهه وشفتيه فظهرت أسنانه. أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ عَالِيَتِي تُنَلِّئُ عَلَيْنَا : أي يوبخون ويذكرون بالماضي؛ ليحصل لهم الندم والمراد بالآيات: آيات القرآن. ﴿فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ (٣٥) .

قَالُوا رَبَّنَا عَلَّيْنَا شَقَوْنَا : أي الشقاوة الأزلية إنها تكتب على العبد في كتاب المقادير قبل وجوده. ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ (٣٦) . رَبَّنَا أَخْرَجْنَا مِنْهَا : أي من النار، فَإِنِ عُدْنَا : إلى الشرك والمعاصي. ﴿فإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (٣٧) .

قَالَ أَخْشُوا فِيهَا : أي ابعدوا في النار أذلاء مخزيين. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (٣٨) . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي : هم المؤمنون المتقون. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣٩) .

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا : أي جعلتموهم محطاً سخريتكم واستهزائكم. ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ نَضْحَكُونَ﴾ (٤٠) . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا : أي على الإيمان والتقوى.

(١) هذا بالنسبة إلى الأمة فهو محكم باقي، وهو الصفح وعدم المؤاخذه فيما بينه، وأما بالنسبة للمشركين والكافرين، فهو موادة لهم لا غير إلى أن يؤمر بقتالهم، وقد أمر به فيما بعد.  
(٢) البرزخ: هو ما بين الدنيا والآخرة إذ كل ما حجز بين شيئين قيل فيه: برزخ.  
(٣) هذه النفخة الثانية، وهي نفخة البعث والحشر، والتي قبلها هي نفخة الفناء، والتي بعد نفخة الصعق، والآخرة نفخة الحساب والجزاء.

أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾: أي الناجون من النار المنعمون في الجنة.  
 قَدْ كَفَّمْ لِيَشْتَرِيَ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾: أي كم سنة لبثتموها في الأرض أحياء وأمواتاً في قبوركم؟ ﴿قَالُوا لَيْتَنَّا﴾.

يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلَّ الْعَاقِبِينَ ﴿١١٣﴾: يريدون الملائكة التي كانت تعد، وهم الكرام الكاتبون أو من يعد أماً نحن فلم نعرف. ﴿قُلْ إِنْ لَيْتَنَّا إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾.  
 أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا: أي لا بحكمة بل لمجرد العيش واللعب كلا. ﴿وَأَنكُمُ الْإِنْسَانُ لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾.

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ: أي تنزه الله عن العبث. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ﴿١١٦﴾﴾  
 وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١١٧﴾  
 لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ: الجملة صفة لـ ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ لا مفهوم لها إذ لا يوجد برهان ولا يوجد حجة على صحة عبادة غير الله تعالى؛ إذ الخلق كله مريب لله مملوك له.  
 فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ: أي مجازاته عند ربه هو الذي يجازيه بشركه به ودعاء غيره. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (١).



## ٢٤ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مَدَنِيَّةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا: أي هذه السورة أنزلناها.

وَفَرَضْنَا: أي فرضنا ما فيها من أحكام.

وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ: أي وأنزلنا ضمنها آيات: أي حججًا واضحة تهدي إلى الحق وإلى

صراط مستقيم.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾: أي تتعظون فتعملون بما في السورة من أحكام.

الرَّانِيَّةُ: من أفضت إلى رجل بغير نكاح شرعي وهي غير محصنة. ﴿وَالرَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْدٍ

مِنْهُمَا﴾.

مِائَةَ جَلْدَةٍ: أي ضربة على جلد ظهره.

وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ: شفقة ورحمة. ﴿فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وَلْيَشْهَدْ عِدَابَهُمَا: أي إقامة الحد عليهما.

طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾: أي عدد لا يقل عن ثلاثة أنفار من المسلمين والأربعة أولى من

الثلاثة.

الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً: أي إلا زانية مثله أو مشركة أي لا يقع وطء إلا على مثله.

﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ: أي يقذفون.

الْمُحْصَنَاتِ: أي العفيفات والرجال هنا كالنساء<sup>(١)</sup>. ﴿ثُمَّ لَازِمُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ﴾.

فَاجْلِدُوهُمْ: أي حدوا عليهم واجبا. ﴿ثَمَنِينَ جَلْدَةٍ﴾.

وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا: لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

﴿٤﴾.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ: فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم. ﴿وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾.

(١) قيل: خص النساء بهذا وإن كان الرجال يشاركونهن في الحكم؛ لأن القذف فيهن أشنع وأنكر للنفس ومن حيث هو هوئ الرجل.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ: أي يقذفونهن بالزنا كأن يقول: زنت أو هذا الحمل الذي في بطنها ليس منه. ﴿وَلَوْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾: أي فيما رماها به من الزنا.

وَالْخَمْسَةَ: أي والشهادة الخامسة. ﴿أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ وهذا ما يعرف باللعان: لأن كلاً من الزوجين يلعن نفسه إن كان كاذباً.

وَيَذَرُوهَا عَنِ الْعَذَابِ: أي يدفع عنها حد الزنا وهو هنا الرجم حتى الموت.

أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ: أي شهادتها أربع شهادات. ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾ وسميت الأيمان هنا شهادة؛ لأنها أقيمت مقام الشهود وأصبحت بدلاً عنها.

وَالْخَمْسَةَ: هي قولها. ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٩﴾.

وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ: أي لفضح القاذف والمقذوف ببيان كذب أحدهما. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴿١١﴾: الإفك: الكذب المقلوب وهو أسوأ الكذب، والعصبة: الجماعة.

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ: الشر ما غلب ضرره على نفعه، والخير ما غلب نفعه على ضرره، والشر المحض النار يوم القيامة، والخير المحض الجنة دار الأبرار. ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾.

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ: أي معظمه وهو ابن أبي بن سلول كبير المنافقين. ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾.

تَوَلَّى: أداة تحضيض وحث بمعنى هلاً. ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ تَوَلَّى ﴿١٤﴾ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأَوَّلَتْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٥﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١٦﴾.

لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ: أي فيما تحدثتم بتوسع وعدم تحفظ. ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ: أي تعلقونه: أي يتلقاه بعضهم من بعض. ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

(١) والمقصود بالإفك هنا ما رمى به ابن أبي كبير المنافقين، ما رمى به المسلمة المؤمنة القانتة الثابتة العابدة السائحة الغافلة العشيمة المطهرة الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مما برأها الله منه من فوق السماء السابعة والتي رضي الله عنها ما وقعت في حرج إلا وجعل الله لها وللمؤمنين منه مخرجاً وفرجاً رضي الله عن أبيها (قل).  
(٢) هلاً وهي للخص والحث على فعل الشيء، إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقتلتم: لن يكون هذا وإنما هو إفك مبین: أي ظاهر لا يقبل ولا يُعْرَ عليه، هكذا كان الواجب عليكم، ولكنكم ما فعلتم.

وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾: أي تحسبونه من صغار الذنوب وهو عند الله من كبائرهما؛ لأنه عرض مؤمنة هي زوج رسول الله ﷺ. ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾.

سُبْحَانَكَ: كلمة تقال عند التعجب، والمراد بها تنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾: البهتان الكذب الذي يحير من قيل فيه.

يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا: أي ينهاكم نهيًا مقرونًا بالوعيد حتى لا تعودوا لمثله أبدًا. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴿١٩﴾.

أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي تعم المجتمع وتنتشر فيه، والفاحشة: هي الزنا. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٠﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ: جواب لولا محذوف وتقديره: لعاجلكم بالعقوبة أيها العُصبة. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ: نزغاته ووساوسه. ﴿وَمَنْ يَبْغِ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا: أي ما طهر ظاهره وباطنه وهي خلو النفس من دنس الإثم. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾.

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ: أي ولا يحلف صاحب الفضل منكم وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وَالسَّعَةِ: أي سعة الرزق والفضل والإحسان إلى الغير. ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾.

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ: أي العفيفات بالزنا.

الغفَلَتِ: أي عن الفواحش بحيث لم يقع في قلوبهن فعلها <sup>(١)</sup>.

الْمُؤْمِنَاتِ <sup>(٢)</sup>: أي بالله ورسوله ووعده الله ووعيده.

﴿لَعَسَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ﴿٢٥﴾.

بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾: أي من قول أو عمل.

يَوْمَ يُؤْفِكُ بِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ: أي يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾.

﴿٢٥﴾

(١) الغافلات: هن اللاتي لا علم لهن بما رُمين به، وذلك لسلامة صدورهن وبعدهن -بحكم إيمانهن- عن مواطن الريب.

(٢) الإجماع على أن حكم المحصنين من الرجال كالمحصنات من النساء في القذف بلا فرق قياسًا واستدلالًا وحكمًا وقضاء.

الْحَيْثُوثُ لِلْحَيْثِينَ: الخيئات من النساء والكلمات للخيئين من الرجال (١). ﴿وَالْحَيْثُوثُ لِلْحَيْثُوتِ﴾.

وَالطَّبِيبَاتُ: من النساء والكلمات.

لِلطَّبِيبِينَ: أي من الرجال. ﴿وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبَاتِ﴾.

أُولَئِكَ مُرَرَّوْنَ وَمَا يَقُولُونَ: أي صفوان بن المعطل وعائشة رضي الله عنها أي مبرءون مما قاله عصبه الإفك. ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا: أي صدقوا الله ورسوله فيما أخبر به من الغيب والشرع (٢).

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا: أي تستأذنوا إذ الاستئذان من عمل الإنسان والدخول بدونه من عمل الحيوان الوحشي.

وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا: أي تقولوا السلام عليكم أدخل؟ ثلاثاً.

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾: أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله أمركم بالاستئذان. ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا﴾.

هُوَ أَزْكَى لَكُمْ: أي أظهر وأبعد عن الريبة والإثم. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ: أي إثم ولا حرج. ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾.

فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ: أي ما تتمتعون به كالنزول بها أو شراء حاجة منها.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ: أي ما تظهرونه.

وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٧٨﴾: أي ما تخفونه، إذا فراقبه تعالى، ولا تضمروا ما لا يرضى فإنه يعلمه.

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ (٣): أي يخفضوا من أبصارهم حتى لا ينظروا إلى نساء لا

يحل لهم أن ينظروا إليهن.

وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ: أي يصونوها من النظر إليها ومن إتيان الفاحشة كالزنا واللواط.

ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ: أي أكثر تزكية لنفوسهم من فعل المندوبات والمستحبات. ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا

يَصْنَعُونَ ﴿٧٩﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: أي مواضع

الزينة كالساقين حيث يوضع الخلل، وكالكفين، والذراعين حيث الأساور والخواتم والحناء،

والرأس حيث الشعر، والأقراط في الأذنين، والترجيج في الحاجبين، والكحل في العينين والعنق

والصدر حيث السخاب والقلائد.

(١) الابتداء بذكر الخيئات لأن الغرض من الكلام الاستدلال على براءة عائشة أم المؤمنين، واللام في الخيئين: للاستحقاق.

(٢) الصحيح أن تكون العبارة كآتي: صدقوا الله ورسوله في كل ما أمر الله به من الغيب والشرع (قل).

(٣) بدأ بالأمر بغض البصر قبل الأمر بحفظ الفرج؛ لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائد الموت.

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا: أي بالضرورة دون اختيار وذلك كالكفين لتناول شيء، والعين الواحدة أو الاثنتين للنظر بهما، والثياب الظاهرة كالخمار والعجار والعباءة. السموات  
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ: أي ولتضرب المرأة المسلمة الحرة بخمارها على جيوب أي  
فتحات الثياب في الصدر وغيره حتى لا يبدو شيء من جسمها.

وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ: البعل: الزوج، والجمع: بعول. ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ  
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ خَوَاتِمَهُنَّ﴾.

أَوْ نِسَائِهِنَّ: أي المسلمات فيخرج الذميات فلا تتكشف المسلمة أمامها.  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: أي العبيد والحواري، فللمسلمة أن تكشف وجهها لخدمها المملوك.  
أَوْ التَّالِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَابِ مِنَ الرِّجَالِ: أي التابعين لأهل البيت يطعمونهم ويسكنونهم ممن  
لا حاجة لهم إلى النساء.

أَوْ الْأَطْفَالَ: أي الأطفال الصغار قبل التمييز والبلوغ.  
الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ: أي لم يبلغوا سنًا تدعوهم إلى الاطلاع على عورات  
النساء لتلذذ بهن.

وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنَ زِينَتِهِنَّ: أي الخلاخل في الرجلين.  
وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾: أي تفوزون بالنجاة من العار  
والنار، وبالظفر بالطهر والشرف وعالي الغرف في دار النعيم.

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ: أي زوجوا من لا زوجة له من رجالكم ومن لا زوج لها من نسائكم.  
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ: أي وزوجوا أيها القادرون والقادرات على أعباء الزواج من  
عبيدكم وإمائكم.

إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ: أي إن يكن الأيامي فقراء<sup>(١)</sup> فلا يمنعكم ذلك من تزويجهم  
فإن الله يغنيهم.

وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾: أي واسع الفضل عليم بحاجة العبد وخلته فيسدها تكملاً.  
وَلَيْسَتَّعْفِيفٌ: أي وليطلب عفة نفسه بالصبر والصيام. ﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.  
وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ: أي يطلبون المكاتبه<sup>(٢)</sup> من المماليك.

(١) في الآية دليل على تزوج الفقير بل قال عمر: عجباً لفقير لم يطلب الغنى بالزواج لقول الله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾.

(٢) وهي إذا كان للمسلم عبد وطلب منه أن يكاتبه. وكان أهلاً للتحرر بأن يقدر على تسديد مال المكاتبه، ويستطيع أن يستقل بنفسه فعلى مالكه أن يكاتبه، وأن يعينه على ذلك بإسقاط نجم من نجوم الكتابة، ولا تكون المكاتبه إلا على أنجم متعددة فلا تصح ناجزة ولا على نجم واحد.

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا : أي قدرة على السداد والاستقلال عنكم <sup>(١)</sup> .  
وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ : أي أعينهم بثمرن نجم من نجوم المكاتبه من الزكاة وغيرها .

وَلَا تُكْرَهُوا فَنَيْتِكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا : أي الزنى، تحصنًا أي تعففًا وتحفظًا من فاحشة الزنا .  
لِنَبِّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي المال .

وَمَنْ يُكْرِهَنَّ : أي على البغاء (الزنا) . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup> .  
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ : للأحكام موضحة لما يطلب منكم فعله وتركه .  
وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ : أي قصصًا من أخبار الأولين كقصه يوسف وقصة مريم، وهما شبيهتان بحادثة الإفك .

وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ <sup>(٣)</sup> : الموعظة ما يتعظ به العبد فيسلك سبيل النجاة .  
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : أي منورهما، فلولاها لما كان نور في السموات، ولا في الأرض، والله تعالى نور وحجابه النور .

مَثَلُ نُورِهِ : أي في قلب عبده المؤمن .  
كَمِشْكُوفَةٍ : أي كوة . ﴿فِيهَا مَصْبِأُ الْمَصْبِأِ فِي ضِجَاجَةٍ﴾ .  
الضِجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ : أي مضيء إضاءة الدر الواج . ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ .  
نُورٌ عَلَى نُورٍ : أي نور النار على نور الزيت .

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ : أي للإيمان به والعمل بطاعته من يشاء له ذلك لعلمه برغبته وصدق نيته .  
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ : أي ويجعل الله الأمثال للناس من أجل أن يفهموا عنه ويعقلوا ما يدعوهم إليه . ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ <sup>(٤)</sup> .  
فِي ثُبُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تَرَفَعَ : هي المساجد، ورفعها: إعلاء شأنها من بناء وطهارة وصيانة . ﴿وَيَذَكَرُ فِيهَا أَسْمَاءَهُ﴾ .

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِاللُّغُدُوِّ : جمع غداة، وهو الصباح .  
وَالْأَصْوَالِ <sup>(٥)</sup> : جمع أصيل، وهو المساء . ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلُمِهِمْ تَحْرَهُ وَلَا بَعْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ .

يَخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ <sup>(٦)</sup> <sup>(٣)</sup> : يوم القيامة . ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

(١) ﴿خَيْرًا﴾ أي: صلاحًا وتقوى وقدرة على الأداء .

(٢) ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بهن لأن المكروه لا إثم عليه فيما يقول ولا فيما يفعل، فامتنع المنافق من ذلك .

(٣) تتقلب قلوب الكافرين من الجحد والتكذيب إلى التصديق واليقين، وقلوب المؤمنين بين الخوف والرجاء،

وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ﴿٢٧﴾.

وَاللَّهُ يَزُرُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾: أي بلا عدِّ ولا كيل ولا وزن وهذا شأن العطاء إن كان كثيراً.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَرَابٍ بِقِيَعَةٍ: السراب شعاع أبيض يُرى في نصف النهار وكأنه ماء، والقيعة جمع قاع، وهو ما انبسط من الأرض.

يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ: العطشان. ﴿مَاءٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتَهُ حِسَابَهُ﴾ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٩﴾.

أَوْ كَظَلْمَتٍ <sup>(١)</sup> فِي بَحْرِ لُجِّي: أي ذي لجج، واللجة معظم الماء وغزيره كما هي الحال في المحيطات.

يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ: يعلوه ويغطيه موج آخر. ﴿مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ ﴿٣٠﴾.

الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ: يتره ويقدم بالفاظ التسبيح والتقديس ك(سبحان الله) ونحوه، والصلاة من التسبيح. مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَالطَّيْرُ صَفَقَتٍ: باسطات أجنحتها.

كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ: أي كل من في السموات والأرض قد علم الله صلواته وتسبيحه، كما أن كل مسبح ومصل قد علم صلاة وتسبيح نفسه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٢﴾.

الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا: أي يسوق برفق ويسر.

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ: أي يجمع بين أجزائه وقطعه.

ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا: أي مترامًا بعضه فوق بعض.

فَتَرَىٰ الْوَدْقَ: أي المطر.

يَخْرُجُ مِّن خَلِيلِهِ: أي خلاله وهي فرجه ومخارجه.

وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ: أي من جبال من برد في السماء، والبرد حجارة بيضاء كالثلج.

فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ: أي فيصيب بالبرد من يشاء. ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾.

وأما تقلب الأبصار: فإنها بالنظر هنا وهناك لشدة الخوف وعظم الهول. هذه قلوب المؤمنين، أما قلوب الكافرين فمن الكحل إلى الزرق والعمى بعد الإبصار.

(١) قيل: المراد بالظلمات: أعمال الكفر، وبالبحر اللجي: قلب الكافر، وبالموج فوق الموج: ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب: الرين والختم والطبع على قلبه، ولذا قال أبي بن كعب: الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة النار.

يَكَادُ سَنَابِرَ قِهِ: أي لمعانه.

يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾: أي الناظرة إليه. ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً: أي دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه ووجوب توحيده. ﴿لَأُولِي الْأَبْصَرِ﴾ ﴿٤٤﴾.

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ: أي حيوان من نطفة (١).

فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ: كالحيات والهوام.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ: كالإنسان والطيور.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ: أي كالأنعام والبهائم. ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ ﴿٤٦﴾.

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾: أي إلى الإسلام.

وَيَقُولُونَ: أي المنافقون.

ءَاْمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا: أي صدقنا بتوحيد الله وبنبوة الرسول محمد ﷺ.

ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ: أي يعرض. ﴿مَنْ بَعَدَ ذَلِكَ وَمَا أُوتِيَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾.

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾: أي عن المعجىء إلى الرسول ﷺ.

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحُكْمُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾: أي مسرعين متقادين مطيعين.

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي كفر ونفاق وشرك.

أَمْ آرَأَيْتُمْ: أي بل شكوا في نبوة الرسول ﷺ.

أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ: أي في الحكم فيظلموا فيه. ﴿بَلْ أُوتِيَكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾.

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ: هو قولهم سمعنا: وأطعنا أي سمعنا وطاعة. ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ

بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ﴿٥١﴾ (٢).

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾: أي الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،

وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ (٣).

(١) فخرج الملائكة والجن، إذ الملائكة خلقوا من نور، والجن من النار.

(٢) لم يقل ليحكم، لأن الذي يحكم بينهما هو الرسول ﷺ، وإنما قدم اسم الله تعظيماً ولأن مادة الحكم من الله والرسول ﷺ مبين ومنفذ لا غير.

(٣) حكي أن رجلاً من دهاقين الروم أسلم فقبل له: هل لإسلامك سبب؟ قال: نعم إني قد قرأت التوراة والزبور والإنجيل وكثيراً من كتب الأنبياء فسمعت أسيراً يقرأ آية من القرآن جمع فيها كل ما كتب في الكتب المتقدمة فعلمت أنه من عند الله فأسلمت. وقيل له: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾. في الفرائض، ﴿وَرَسُولَهُ﴾. في السنن، ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ﴾ فيما مضى من عمره ﴿وَيَتَّقْهُ﴾ فيما بقي من عمره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. والفائز من نجا من النار وأدخل الجنة. فقال عمر: قال النبي ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ: أَي حَلَفُوا بِاللَّهِ بِالْغَيْنِ غَايَةَ الْجِهْدِ فِي حَلْفِهِمْ.

لَيْنَ أَمْرِهِمْ لِيَخْرُجُنَّ: أَي بِالخُرُوجِ إِلَى الْجِهَادِ.

قُلْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً: أَي طَاعَةَ مَعْرُوفَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ وَيَنْهَاكُمْ خَيْرٌ مِنْ إِقْسَامِكُمْ بِاللَّهِ. ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿٥٩﴾

فَإِن تَوَلَّوْا: أَي إِذَا تَوَلَّوْا أَي تَعَرَّضُوا عَنِ الطَّاعَةِ.

فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ: أَي مِنْ إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ وَبَيَانِهَا بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ: أَي مِنْ وَجُوبِ قَبُولِ الشَّرْعِ وَالْعَمَلِ بِهِ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَحُكْمًا.

وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا: أَي وَإِن تَطِيعُوا الرَّسُولَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَإِرْشَادِهِ تَهْتَدُوا إِلَى خَيْرِكُمْ. ﴿٦٠﴾ وَمَا

عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٦٢﴾

لَيْسَتْ خَلْفَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ: أَي يَجْعَلُهُمْ خُلَفَاءَ لغيرهم فِيهَا بِأَنْ يَدِيلَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِهَا فَيَسُودُونَ فِيهَا وَيُحْكَمُونَ. ﴿٦٣﴾ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٦٤﴾

وَلَيْسَ كَنْنَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ: أَي بِأَنْ يَظْهَرُ الْإِسْلَامُ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ وَيُحْفَظُهُ مِنْ

الزَّوَالِ. ﴿٦٥﴾ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴿٦٦﴾ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ ﴿٦٧﴾ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ: أَي أَدْوَاهَا أَدَاءً كَامِلًا تَامًّا مُرَاعِينَ فِيهَا شُرُوطَهَا، وَأَرْكَانَهَا، وَوَاجِبَاتَهَا وَسُنَنِهَا،

حَتَّى تُثْمَرَ الزَّكَاةَ وَالطَّهَرَ فِي نَفْسِكُمْ.

وَأَتُوا الزَّكَاةَ: أَي الْمَفْرُوضَةَ مِنَ الْمَالِ الصَّامِتِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِثِ، وَالنَّاطِقِ كَالْأَنْعَامِ

مِنْ إِبِلٍ وَبَقَرٍ وَغَنَمٍ.

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ: أَي مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَالْأَخْذَ بِإِرْشَادِهِ وَتَوْجِيهِهِ.

لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٦٩﴾: أَي رَجَاءُ أَنْ يَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَجَتْكُمْ فِيهَا فَمَا يَعْذِبُكُمْ فِيهَا.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ: أَي مُعْجِزِينَ اللَّهُ تَعَالَى بِحَيْثُ لَا يَدْرِكُهُمْ، وَلَا يَنْزِلُ

بِهِمْ نَقْمَتُهُ وَعَذَابُهُ، وَالْأَرْضُ فِي الْآيَةِ هِيَ أَرْضُ الدُّنْيَا هَذِهِ.

(١) فَإِنْ قِيلَ: وَأَيْنَ الْأَمْنُ وَقَدْ قَتَلَ عُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ غِيْلَةً؟ فَالْجَوَابُ: لَيْسَ الْأَمْنُ مَانِعًا مِنَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ حَتْمٌ

مَعَ الْأَمْنِ وَمَعَ الْخَوْفِ لِأَنَّهَا أَجَالٌ مَحْدُودَةٌ لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتِ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ قَوْلَهُ ﷺ: «وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَةِ مَوْتٍ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذَّبَّ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

(٢) الْمَرَادُ بِالْكَفْرِ: كُفْرَانُ النَّعْمِ، وَقَدْ حَصَلَ هَذَا بَعْدَ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ حَيْثُ فَسَدَتِ الْعَقَائِدُ وَتَمَزَّقَتِ الرُّوَابِطُ،

وَأَهْمَلَ الدِّينَ، وَسَلَبَ اللَّهُ مَا أَعْطَى.

وَمَا وَنَهُمُ النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ : أي النار إذ هي المأوى الذي يأوون إليه، ويصيرون إليه.  
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَنِدُوا نَفْسَهُمْ : أي ليطلب الإذن منكم في الدخول عليكم.  
الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ : من عبيد وإماء.

وَالَّذِينَ لَوْ يَتْلَعُوا الْحُكْمَ مِنكُمْ : أي سن التكليف وهو وقت الاحتلام خمس عشرة سنة فما فوق.  
﴿تِلْكَ مَرْثَةٌ﴾

مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ : أي وقت القيلولة للاستراحة والنوم. ﴿وَمِنْ بَعْدِ  
صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾

تِلْكَ عَوْرَاتُ لَكُمْ : العورة ما يستحي من كشفه، وهذه الأوقات الثلاثة ينكشف فيها الإنسان في  
فراشه فكانت بذلك ثلاث عورات.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ : أي بعد الأوقات الثلاثة المذكورة. ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ : أي  
للخدمة.

بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي بعضكم طائف على بعض. ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

﴿٥٨﴾  
وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَنْدُوا : أي في جميع الأوقات؛ لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

﴿كَمَا اسْتَنْدَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٩﴾

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا : أي اللاتي قعدن عن الحيض والولادة لكبر سنهن.

فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ : كالجلباب والعباءة والقناع والخمار.

عِزَّةً مَتَّعْتَهُنَّ بِزِينَةٍ : أي غير مظهرات زينة خفية كقلادة وسوار وخلخال.

وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ : بأن لا يضعن ثيابهن خبير لهن من الأخذ بالرخصة. ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ : الحرج: الضيق، والمراد به هنا  
الإثم، أي: لا إثم على المذكورين في مؤاكلة غيرهم. ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ  
بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾

أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ ﴿١﴾ أَوْ مَا مَلَكَتْهُ مَفَاخِحُهُ : أي مما هو تحت تصرفكم بالأصالة أو  
بالوكالة، كوكالة على بستان أو ماشية.

(١) لم تذكر بيوت الأبناء لأن بيوتهم داخلية في بيوت الآباء للحديث: «أنت ومالك لأبيك» [هـ - طب - صحيح -  
انظر صحيح الجامع]. ومن المعلوم أن الأولاد عادة وعرفاً يكونون في بيوت آبائهم ولذا لم يذكرها.

أَوْصِدِّيقِكُمْ: أي من صدقكم الود وصدقتموه<sup>(١)</sup>.  
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا وَأَوْشَتَاتًا: أي مجتمعين على الطعام أو متفرقين.  
فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ: لأنه هو الذي شرعها وأمر بها، وما كان من  
عند الله فهو خير عظيم.

مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ: أي تطيب بها نفس المسلم عليه. ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١١) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ: كخطبة الجمعة ونحوها مما يجب حضوره، كاجتماع لأمر هام كحرب ونحوها.

لَوْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا: أي يطلبوا منه ﷺ الإذن. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ: أي لبعض أمورهم الخاصة بهم. ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢).

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ: أي نداءه فلا ينادى بـ«يا» محمد، ولكن بـ«يا» نبي الله  
ورسول الله.

كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا: أي كما ينادي بعضهم بعضًا بـ«يا» عمر ويا سعيد مثلاً.  
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا: أي ينسلون واحدًا بعد واحد، يستر بعضهم بعضًا  
حتى يخرجوا خفية.

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ: أي زيع في قلوبهم. فيكفروا<sup>(٢)</sup>. ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣) الْآيَاتُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ: أي من الإيمان والنفاق، وإرادة الخير أو إرادة الشر. وقد هنا للتأكيد  
عوملت معاملة رب إذ هي للتقليل وتكون للتكثير أحيانًا. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٤).



(١) قال ابن العربي رحمه الله قولاً حسناً في هذا الحكم قال: أباح لنا الأكل من جهة النسب من غير استئذان إذا كان الطعام مبدولاً، فإذا كان محرراً دونهم لم يكن لهم أخذه، ولا يجوز أن يجاوزوا إلى الادخار. ولا إلى ما ليس بمأكول وإن كان غير محرر عنهم إلا بإذنتهم.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (قل).

## ٢٥ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ

«صكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ : أي تكاثرت بركته، وعمت الخلائق كلها.

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ : أي الله الذي نزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل.

عَلَى عَبْدِهِ : أي محمد ﷺ.

لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ : أي ليكون محمد ﷺ نذيراً للعالمين من الإنس والجن، أي مخوفاً لهم من عقاب الله وعذابه، إن كفروا به ولم يعبدوه ويوحده. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ﴾ .

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾ : أي سواه تسوية قائمة على أساس لا اعوجاج ولا زيادة ولا نقص عما تقتضيه الحكمة والمصلحة. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا : أي لا دفع ضر ولا جلب نفع.

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ : أي لا يقدرُونَ على إماتة أحد ولا إحيائه ولا بعثاً

للأموات.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ : أي ما القرآن إلا كذب افتراه محمد، وهو ليس بكلام الله

تعالى. هكذا قالوا. ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ﴿١﴾ .

فَقَدَّ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ : أي فرد الله عليهم قولهم بقوله فقد جاءوا ظلمًا حيث جعلوا الكلام

المعجز الهادي إلى الإسعاد والكمال البشري إفكًا مختلفًا، وزورًا بنسبة ما هو بريء منه إليه.

وَقَالُوا اسْتَطِيرَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَبَبَهَا : أي طلب كتابتها له فكتبت له. ﴿فَهِيَ تُمَلِكُ عَلَيْهِ بُكْرَةً

وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾ .

قُلْ أَنْزَلَهُ ﴿٣﴾ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي ما يسره أهل السماء والأرض وما يخفونه في

نفوسهم.

إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ هم: أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي وعداس وجبر، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب.

(٢) ﴿اسْتَطِيرَ الْأَوْلِيَاءُ﴾: أكاذيب الفُصَّاصِ وأساطيرهم التي سطروها في كتبهم.

(٣) أي القرآن.

مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا ﴿٧﴾ .

أَوْ يُقَرَّبُ إِلَيْهِ كَنْزٌ: أي من السماء، فينفق منه، ولا يحتاج معه إلى الضرب في الأسواق.

أَوْ تَكُونُ لَهُ، جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا: بستان فيه ما يغنيه من أنواع الحبوب والثمار.

وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

أَنْظَرَ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ: أي بالسحر والجنون والشعر والكهانة والكذب وما إلى ذلك.

فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾: فضلوا الطريق الحق، وهو أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا

رسول الله فلا يهتدون.

تَبَارَكَ: أي تقدس وكنه خيره وعمت بركته.

الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ: أي الذي اقترحه المشركون عليك.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾: أي كثيرة لا قصرًا واحدًا كما قال

المشركون <sup>(١)</sup>.

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ: أي لم يكن المانع لهم من الإيمان كونك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق،

بل تكذيبهم بالبعث والجزاء هو السبب في ذلك. ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾ .

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَفْطِيرًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾: أي صوتًا مزعجًا من تغيظها على أصحابها

المشركين بالله الكافرين به.

وَإِذَا ألقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَنِينَ: أي مقرونة أيديهم مع أعناقهم في الأصفاد.

دَعُوا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾: أي نادوا يا ثبورنا، أي يا هلاكنا، إذ الثور الهلاك. ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ

ثُبُورًا وَجِدًا وَأَدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ ذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ﴿٢﴾ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُنْفُوتُ ﴿١﴾ .

كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾: أي ثوابًا على إيمانهم وتقواهم، ومصيرًا صاروا إليها لا يفارقونها.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ .

كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مُسْتَوْلاً ﴿١٦﴾: أي مطالبًا به إذ المؤمنون يطالبون به قائلين: ربنا وآتانا ما

وعدتنا، والملائكة تقول: ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم.

وَيَوْمَ يَجْمَعُهُمْ: أي يجمعهم.

وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: من الملائكة والأنبياء والأولياء والجن. ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ

عِبَادِي هُنَالِكَ﴾ .

أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾: أي طريق الحق بأنفسهم بدون دعوتكم إياهم إلى ذلك.

(١) القصر في اللغة: كل بناء رفيع عال حصين، وأما البيت فقد يكون من لبن وطين، وقد يكون من شعر.

(٢) أي المذكور من السعير والإلقاء فيها مقرونة الأيدي بالأعناق وهم يصرخون يدعون بالهلاك.

قَالُوا سُبْحَانَكَ : أي تزيهها لك عما لا يليق بجلالك وكرمك. ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ .

وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَوَعَاءَهُمْ : أي بأن أطلت أعمارهم ووسعت عليهم أرزاقهم.  
حَقَّ نَسْوًا الَّذِي نَسَى<sup>(١)</sup> وَكَانُوا قَوْمًا بُرًّا ﴿١٨﴾ : أي هلكتي، إذ البوار: الهلاك.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا سَتَطِيعُونَ صَرَفًا : أي للعذاب عنكم.  
وَلَا تَنْصَرُوا : ولا تجدون من ينصركم فيمنع العذاب عنكم.

وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ : أي ومن يشرك منكم أيها الناس. ﴿نَذِقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لِيَا كُفُوتَ الطَّعَامِ وَيَسْخُوتَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ .

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً : أي بلية، فالغني مبتلى بالفقير يقول: ما لي لا أكون كالغني، والمريض يقول: ما لي لا أكون كالصحيح، والوضيع يقول: ما لي لا أكون كالشريف.. مثلاً.

أَنْصِرُوا : أي اصبروا على ما تسمعون ممن ابتأتم بهم، إذ الاستفهام للأمر هنا.  
وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي بمن يصبر وبمن يجزع ولا يصبر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : أي المكذبون بالبعث، إذ لقاء العبد ربه يكون يوم القيامة.  
لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْمَلَائِكَةَ : أي هلاً أنزلت علينا ملائكة تشهد لك بأنك رسول الله.

أَوْ نَزَّلْنَا رِسَالًا : أي فيخبرنا بأنك رسوله وأن علينا أن نؤمن بك.

لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : أي في شأن أنفسهم ورأوا أنهم أكبر شيء وأعظمه غرورًا منهم.

وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ : أي طغوا طغيانًا كبيرًا حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب تعالى. ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ .

وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ : أي تقول لهم الملائكة: حرامًا محرماً عليكم البشري.

وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ : أي عمدنا إلى أعمالهم الفاسدة التي لم تكن على علم وإخلاص.

فَجَعَلْنَاهُمْ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ : الهباء ما يري من غبار في شعاع الشمس الداخلي من الكوي.

أَصْحَابِ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ : المقيل: مكان الاستراحة في نصف النهار

في أيام الحر.

وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ : أي عن الغمام، هو سحاب أبيض رقيق كالذي<sup>(٢)</sup> كان لبني إسرائيل في

التيه.

(١) ﴿حَقَّ نَسْوًا الَّذِي نَسَى﴾ أي نسوا ذكرك وعبادتك وما جاءتهم به رسلك فكانوا بذلك قوماً بوراً أي هلكتي خاسرين.  
قيل: الذكر: القرآن، وقيل: الشكر على الإحسان، وما في التفسير أشمل.

(٢) الباء: بمعنى عن نحو: رميت بالقوس وعن القوس، والغمام: سحاب أبيض رقيق مثل الضباب هو الذي قال تعالى فيه: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ .

﴿وَزُلْزِلَتِ الْمَلَكُوتُ تَزْيِيلًا ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ۗ﴾: أي الملك الحق لله، ولم يبق لملوك الأرض ومالكيها ملك في شيء ولا لشيء. ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٦١﴾﴾: أي صعبًا شديدًا.

وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ: المشرك الكافر. ﴿عَلَى يَدَيْهِ ۗ﴾: أي ندمًا وأسفًا على ما فرط في جنب الله. يَكْفُولُ يَلِيئِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٧٧﴾: أي طريقًا إلى النجاة بالإيمان والطاعة. يَبُولَتِي لَبِيَّتِي لَمْ أَخَذْ فَلَاتَا خَلِيلًا ﴿٧٨﴾: أي أبي بن خلف خليلًا صديقًا ودودًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ: أي عن القرآن وما يدعو إليه من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح. ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ﴾.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ: شيطان الجن وشيطان الإنس معًا. ﴿لِإِنْسَانٍ خَدُوعًا ﴿٨١﴾﴾: (١). وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٨٢﴾: أي شيئًا متروكًا لا يلتفت إليه. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ﴾. وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٨٣﴾: أي هاديًا لك إلى طريق الفوز والنجاح، وناصرًا لك على كل أعدائك.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً: أي كما نزلت التوراة والإنجيل والزيور دفعة واحدة فلا تجزئة ولا تفرقة.

كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ: أي تقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها. وَرَوَّيْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٨٤﴾: أي أنزلناه شيئًا فشيئًا آيات بعد آيات وسورة بعد أخرى؛ ليتيسر فهمه وحفظه. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيمًا ﴿٨٥﴾﴾ (٢) الَّذِينَ يُحْضِرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ.

أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا: أي ينزلونه وهو جهنم والعياذ بالله منها. ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨٦﴾﴾. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: أي التوراة. ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٨٧﴾﴾: أي يشد أزره ويقويه ويتحمل معه أعباء الدعوة.

فَقُلْنَا أَهْبَأِ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا: هم فرعون وآله. ﴿فَدَمَّرْنَا لَهُم نَادِمِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

(١) الخذلان: كثير الخذلان، وخذله: إذا ترك نصرته وهو قادر عليها فالخذل والخذلان: معناهما: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره.

(٢) هذا كقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَفْكُ أَقْرَبِهِ﴾ وقولهم: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوْلِيَّةِ﴾ وقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الظَّعَامَ وَيَتَشَى فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وقولهم: ﴿إِنَّ تَشْيُورَكَ إِلَّا رَجُلًا مَسْخُورًا﴾ وقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كل هذا الذي قالوه رد عليهم وأبطله بالحجج القوية فأسكتهم وأبطل دعاويهم.

وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ: أي نوحًا عليه السلام (١). ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾.

وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً: أي علامة على قدرتنا في إهلاكك وتدمير الظالمين وعبرة للمعتبرين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾﴾.

وَعَادًا وَثَمُودًا: أي اذكر قوم عاد وثمود. إلخ.

وَأَصْحَابَ الرِّسِّ: الرس بئر رس فيها قبر نبيهم، أي رموه فيها ودسوه في التراب.

وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٢٨﴾: أي ودمرنا بين من ذكرنا من الأمم قرونًا كثيرًا. ﴿وَكَلَّا صَرَيتَاهُ

الْأَمْثَلُ﴾.

وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٣١﴾: أي دمرناهم تدميرًا.

وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ: هي سدوم قرية قوم لوط. ﴿فَكَلَّمَكُم بِكُؤُوتٍ بِرُؤُوسِهَا﴾.

بَلَّ كَأَنُورًا لَا يَبْجُوتُ سُجُورًا ﴿٣٢﴾: أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء الآخر.

وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَنْخِذُونَكَ: أي ما يتخذونك. ﴿إِلَّا أَهْرُورًا﴾: أي مهزوءًا به.

أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٣٣﴾: أي في دعواه، لا أنهم معترفون برسالته، والاستفهام للتهكم

والاحتقار.

إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ الْهَيْتَا: أي قارب أن يصرفنا عن الهيتا.

لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا: أي لصرفنا عنها. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا

﴿٤٢﴾﴾.

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ: أي أخبرني عمن جعل هواه معبوده فأطاع هواه، فهل تقدر على

هدايته. ﴿فَأَن تَكُونَ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ: أي ما هم إلا كالأنعام في عدم الوعي والإدراك. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

﴿٤٤﴾﴾ (٢).

الْمَ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ: أي ألم تنظر إلى صنيع ربك في الظل كيف يبسطه.

وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا: أي ثابتًا على حاله في الطول والامتداد، لا يقصر ولا يطول.

ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾: أي علامة على وجوده إذ لولا الشمس لما عرف الظل.

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾: أي أزلناه بضوء الشمس على مهل جزءًا فجزءًا حتى ينتهي.

(١) هذا كقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحًا الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فإن الذي يكذب برسول يعتبر قد كذب بكل

الأنبياء ولو لم يكونوا في زمانه لأن شرط الإيمان: الإيمان بكل الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - قال

تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلُّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ - وَرُسُلِهِ - لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدِهِمْ رُسُلِهِ﴾ (قل).

(٢) إذ الأنعام تعرف طريق مرعاها وتستجيب لنداء راعيها، وهم على خلاف ذلك فجهلوا ربهم الحق ولم يستجيبوا

لنداء رسوله إليهم.

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لِبَاسًا : أي يستركم بظلامه كما يستركم اللباس .  
وَالنَّوْمَ سُبَاتًا : أي راحة لأبدانكم من عناء عمل النهار .  
وَجَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا ﴿٤٧﴾ : أي حياة، إذ النوم بالليل كالموت، والانتشار بالنهار كالبعث .  
وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ : أي مبشرة بالمطر قبل نزوله، والمطر هو :  
الرحمة .

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ : أي تتطهرون به من الأحداث والأوساخ .  
لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا : أي بالزروع والنباتات المختلفة .  
وَشَقِيقُهُ وَمِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ : أي حيوانًا وأناسًا كثيرين .  
وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ : أي المطر فينزل بأرض قوم ولا ينزل بأخرى لحكم عالية (١) .  
لِيَذْكُرُوا : أي يذكروا فضل الله عليهم فيشكروا فيؤمنوا ويوحدوا .  
فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ : أي فلم يذكروا، وأبى أكثرهم إلا كفورًا وجودًا للنعمة .  
وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ : أي رسولًا ينذر أهلها عواقب الشرك والكفر .  
فَلَا تَطْعَمُ الْكُفْرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ : أي بالقرآن جهادًا كبيرًا تبلغ فيه  
أقصى غاية جهدك .

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ : أي خلط بينهما، وفي نفس الوقت منع  
الماء المالح أن يفسد الماء العذب .  
وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا : أي حاجزًا بين المالح منهما والعذب .  
وَحِجْرًا تَحْجُرُهُمَا ﴿٥٣﴾ : أي وجعل بينهما سدًا مانعًا فلا يحلو المالح، ولا يملح العذب .  
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا : أي خلق من الماء الإنسان، والمراد بالماء النطفة .  
فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴿٥٤﴾ : أي ذكرًا وأنثى، أي نسبًا ينسب إليه، وصهرًا يصهر إليه أي يتزوج منه .  
﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٥﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ : أي أصنامًا لا تنفع ولا تضر .  
وَكَانَ الْكُفْرُ عَلَى رَبِّهِ طَهِيرًا ﴿٥٥﴾ : أي معيّنًا للشيطان على معصية الرحمن . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ .

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي على البلاغ من أجر أتقاضاه منكم .  
إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ : أي طريقًا يصل به إلى مرضاته (٢) والفوز بجواره،

(١) وجائز أن يراد بقوله ﴿ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ﴾ القرآن الكريم، إذ جرى ذكره أول السورة وفي أثنائها أيضًا .

(٢) قال الصابوني أثابه الله : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ أي لكن من شاء أن يتخذ طريقًا يقربه إلى الله  
بالإيمان والعمل الصالح فليفعل كأنه يقول: لا أسألكم مالًا ولا أجرًا وإنما أسألكم الإيمان بالله وطاعته  
=

وذلك بإنفاق ماله في سبيل الله.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ: أي قل سبحان الله وبحمده. ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بُدْنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ (٥٨) ﴿١﴾.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أي من أيام الدنيا التي قدرها وهي الأحد.. والجمعة.

ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ: العرش سرير الملك، والاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ عِبَادًا خَيْرًا ﴿٥٩﴾: أي أيها الإنسان اسأل خبيرًا بعرش الرحمن (٢) ينبئك فإنه عظيم. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿٦٠﴾: أي القول لهم: اسجدوا للرحمن زادهم نفورًا من الإيمان.

نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا: هي اثنا عشر برجًا (٣).

وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا: أي شمسًا. ﴿وَقَمَرًا مِّنِيرًا﴾ ﴿٦١﴾.

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه: أي يخلف كل منهما الآخر كما هو مشاهد (٤).

لَمَن أَرَادَ أَنْ يَنْكُرَ: أي ما فاته في أحدهما فيفعله في الآخر.

أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾: أي شكرًا لنعم ربه عليه فيهما بالصيام والصلاة.

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا: في سكينة ووقار.

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ: أي بما يكرهون من الأقوال.

قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾: أي قولاً يسلمون به من الإثم، ويسمى هذا سلام المتاركة، وهو أن يقول

قولاً يسلم به من أذى الجاهل وذلك بأن يدفعه بالتي هي أحسن من الكلمات.

وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾: أي يصلون الليل، سجدًا جمع ساجد. ﴿وَالَّذِينَ

وأجري على الله. اهـ. من صفوة التفاسير (قل).

(١) أي لا تحزن عليهم من أجل كفرهم وشركهم فإن ربك عالم بذنوبهم محصي... عليهم أعمالهم وسيجزئهم بها.

(٢) رجح بعضهم أن الباء هنا بمعنى عن أي: اسأل عن الرحمن خبيرًا ورأى ابن كثير أن المستول هنا هو الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالخالق وبعزته وعظمته جل جلاله.

(٣) ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾: وهي منازل الكواكب السبعة السيارة، فلها سميت بروجًا جمع برج وهو القصر الكبير، وتعرف هذه البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت. والكواكب السبعة السيارة هي: المريخ والزهرة وعطارد والقمر والشمس والمشتري وزحل. فهذه الكواكب تنزل في البروج كالقصور لها.

(٤) روى مسلم عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴿٥٠﴾ .

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٥٠﴾ : أي عذاب جهنم كان لازماً لا يفارق صاحبه.

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٥١﴾ : أي بسئت مستقراً وموضع إقامة واستقرار.

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا : أي لم يُبذروا ولم يضيعوا.

وَكَانَ بَيْنَهُمْ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٥٢﴾ : أي بين الإسراف والتقتير وسطاً. ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

إِلَهَاءَ آخَرَ﴾ .

وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ : وهي كل نفس آدمية إلا نفس الكافر المحارب.

إِلَّا بِالْحَقِّ : وهو واحد من ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل ظلم وعدوان.

﴿وَلَا يَرْتُوبُونَ﴾ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٥٣﴾ (١) : أي عقوبة شديدة. ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ

مُهَانًا ﴿٥٤﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ ﴿٥٥﴾ .

يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ : بأن يمحو بالتوبة سوابق معاصيهم، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٥٧﴾﴾ .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ : أي لا يحضرون مجالسه، ولا يشهدون بالكذب (٢) والباطل.

وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ : أي بالكلام السيئ القبيح وكل ما لا خير فيه (كالغناء).

مَرُّوا كَرَامًا ﴿٥٨﴾ : أي معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن سماعه أو المشاركة فيه .

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِشَيْءٍ رَهِيمٍ : أي إذا وعظوا بآيات القرآن.

لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٥٩﴾ : أي لم يباطئوا رؤسهم حال سماعها، عمياً لا يبصرون، ولا

صُمًّا لا يسمعون، بل يصغون يسمعون ويعون ما تدعو إليه، ويبصرون ما تعرضه. ﴿وَالَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴿٦٠﴾ : أي ما تقر به أعيننا، وهو أن تراهم (٣)

مطيعين لك يعبدونك وحدك.

وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٦١﴾ : أي من عبادك الذين يتقون سخطك بطاعتك، قدوة يقتدون بنا في

الخير.

(١) وقيل: الأثام: قيل فيه إنه واد في جهنم.

(٢) قيل في الزور: إنه كل باطل زور وزخرف وأعظمه الشرك وتعظيم الأنداد. وقال ابن عباس: إنه أعياد المشركين.

وقال عكرمة: اللب كان في الجاهلية يسمى الزور، وقال مجاهد: الغناء، والحكم في شاهد الزور أن يجلد

أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه ويطاف به في السوق بهذا حكم عمر رضي الله عنه. وتسخيم الوجه أن يسود

بالفحم.

(٣) تراهم أعيننا.

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ : أي الدرجة العليا في الجنة.  
بِمَا صَبَرُوا : أي على طاعتك بامتنال الأمر واجتناب النهي. ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا

﴿٧٥﴾

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ : أي صلحت وطابت مستقرًّا لهم أي موضع

استقرار وإقامة.

قُلْ مَا يَعْجَبُ أَكْثَرِي : أي ما يكثر، ولا يعتد بكم ولا يبالي.

لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ : إياه، ودعاؤه إياكم لعبادته بذكره وشكره.

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ : أي العذاب لزامًا أي لازمًا لكم في بدر، ويوم القيامة.





**الباب الخامس**  
**من سورة «الشعراء»**  
**حتى سورة «يس»**



## ٢٦ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ﴿١﴾ : الله أعلم بمراده بذلك.

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ : أي القرآن المبين للحق من الباطل.

لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ : أي قاتلها من الغم.

أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ : أي من أجل عدم إيمانهم بك.

إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ : كرفع جبل نخوفهم به. ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ (١) ﴿لَمَّا خَضِعِينَ﴾ ﴿٤﴾ .

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ : أي من القرآن مما يحدثه الله إليك. ويوحى به إليك.

إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ : أي غير ملتفتين إليه. ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ أُنْتَوُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرِءُونَ﴾ ﴿٦﴾ أَوْلَمْ

يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ ﴿٧﴾ .

كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ : أي صنف حسن. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ .

وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْوٌ عَزِيزٌ : الغالب على أمره ومراده.

الرَّحِيمِ ﴿٩﴾ : بالمؤمنين من عباده.

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى : أي اذكر لقومك يا رسولنا إذ نادى ربك موسى.

أَنْ أَنْتَ : أي بأن اتت. ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ .

قَوْمٌ فَرَعَوْنَ الْأَيْتُونَ ﴿١١﴾ : ألا يخافون الله ربهم، ورب آبائهم الأولين ما لهم ما دهاهم. ﴿قَالَ رَبِّ

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونُ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ .

وَيَضِيقُ صَدْرِي : أي من تكذيبهم لي.

وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي : أي للعقدة التي به.

فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ : أي إلى أخي هارون ليكون معي في إبلاغ رسالتي.

وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ : أي ذنب القبطي الذي قتله موسى قبل خروجه إلى مدين. ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

(١) والأعناق: جمع عنق، بضم العين والنون، وهو الرقبة، أي فتظل طوال النهار أعناقهم خاضعة، تحتها تتوقع في كل لحظة نزولها عليهم فتهلكهم فيؤمنون حيثئذ إيمان قسر وإكراه ومثله لا ينفع صاحبه فلا يزكي نفسه ولا يطهر روحه لأنه غير إرادي له ولا اختياري.

(٢) المراد ممن نفي الإيمان عن أكثرهم هم: أكابر مجرمي مكة إذ أكثرهم مات كافراً أما غيرهم فندر من لم يؤمن منهم إذ دخلوا في دين الله بعد الفتح أفواجا.

(٣) ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾: الأصل: أن يكذبوني فحذفت النون الأولى للناسب: وهو ﴿أَنْ﴾ فصارت يكذبوني ثم حذفت ياء الضمير لدلالة الكسرة عليها فصارت ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ .

﴿١٤﴾

قَالَ كَلَّا: أَي قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: كَلًّا: أَي لَا يَقْتُلُونَكَ.

فَأَذْهَبَا بِبَابَيْتِنَا: أَنْتَ وَهَارُونَ. ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿١٥﴾

فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾: أَي إِلَيْكَ. ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٧﴾

قَالَ: أَي قَالَ فِرْعَوْنَ رَدًّا عَلَى كَلَامِ مُوسَى فِي السِّيَاقِ السَّابِقِ.

أَلَمْ تُرَبِّكُ فِينَا وَلِيدًا: أَي فِي مَنَازِلِنَا، وَلِيدًا: أَي صَغِيرًا قَرِيبًا مِنْ أَيَّامِ الْوِلَادَةِ.

وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ غَمْرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾: أَي أَقَمْتَ بَيْنَنَا قَرَابَةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ مُوسَى يُدْعَى ابْنَ فِرْعَوْنَ،

لِجَهْلِ النَّاسِ بِهِ، وَرَوَيْتَهُمْ لَهُ فِي قَصْرِهِ يَلْبَسُ مَلَابِسَهُ وَيُرْكَبُ مَرَآكِبَهُ.

وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنَّا الَّذِي فَعَلْتَ: أَي قَتَلْتَ الرَّجُلَ الْقِبْطِيَّ.

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾: أَي الْجَاهِدِينَ لِنِعْمَتِي عَلَيْكَ بِالتَّرْبِيَةِ وَعَدَمِ الْإِسْتِعْبَادِ.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾: إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي يَوْمَئِذٍ مِنْ عِلْمِ رَبِّي وَرِسَالَتِهِ مَا عِنْدِي الْآنَ.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾: أَي هَلْ تَعْبِيدُكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يُعَدُّ نِعْمَةً فَتَمُنُ بِهَا

عَلَيَّ؟ ﴿٣﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾: أَي الَّذِي قُلْتَ: إِنَّكَ لِرَسُولِهِ مِنْ أَيِّ جِنْسٍ هُوَ ﴿٤﴾.

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا: أَي خَالِقُ وَمَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾: بِأَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ مَخْلُوقَةٌ قَائِمَةٌ

فَخَالِقُهَا وَمَالِكُهَا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: أَي مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهِ وَرِجَالِ دَوْلَتِهِ.

أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾: أَي جَوَابَهُ الَّذِي لَمْ يَطَابِقِ السُّؤَالَ فِي نَظَرِهِ. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ

أَتَّخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾

قَالَ أَوْلُو جِثَّتِكَ بِشَيْءٍ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾: أَي أَتَسْجِنُنِي وَلَوْ جِثَّتْكَ بِرَهَانٍ وَحِجَّةٍ عَلَيَّ رِسَالَتِي؟

(١) قيل: أقام بنو إسرائيل في مصر أربعمئة سنة وكانوا يوم خرجوا منها ستمئة ألف.

(٢) أي: فررت منكم إلى أرض مدين.

(٣) أي استعبدتهم أي اتخذتهم عبيدًا لك يخدمونك تستعملهم كما تشاء كالعبيد لك ولم تستعبدني أنا لاتخاذك

إيائي ولذا حسب زعمك فأين النعمة التي تمنها علي يا فرعون؟

(٤) لما غلب فرعون في جداله لموسى استفهم بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو استفهام عن جنس ولم يستفهم عن

رب العالمين تجاهلاً منه ومكابرة فقال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وكان المطلوب أن يقول: ومن رب العالمين؟

ولكنه العلو والتكبر.

قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ : أي فأت بهذا الشيء المبين إن كنت من الصادقين فيما تقول.

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ : أي ثعبان ظاهر أنه ثعبان لا شك.

وَنَزَعُ يَدَهُ : أي أخرجها من جيبه بعد أن أدخلها فيه. ﴿فَإِذَا هِيَ بِصَوَاءٍ لِلنَّاطِقِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ .

قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ : أي متفوق في علم السحر. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَا ذَاتَ مُؤْمَرٍ﴾ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴿٣٦﴾ : أي أخرج أمرهما.

وَأَنْعَثَ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ ﴿٣٧﴾ : أي جامعين للسحرة.

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٨﴾ : أي متفوق في الفن أكثر من موسى.

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمَبَقَتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٩﴾ : هو ضحى يوم الزينة عندهم.

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ : أي اجتمعوا كي تنبع السحرة على دينهم إن كانوا هم

الغالبين. ﴿لَعَلَّنَا نَبْعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغٰلِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِينَ ﴿٤٢﴾ .

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴿٤٣﴾ : أي لكم الأجر، وهو الجعل الذي جعل لهم وزادهم مزية

القرب منه.

قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٤﴾ : أمرهم بالإلقاء توسلاً إلى ظهور الحق. ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ

وَعَصِيصَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّنَا لَنَحْنُ الْغٰلِبُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ .

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٦﴾ : أي ما يقلبونه بتمويههم من أن حبالهم وعصيتهم

حيات تسعى (١). ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ﴾ ﴿٤٧﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٤٨﴾ .

رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾ : أي لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يأتي بواسطة السحر.

قَالَ أَمْ نَسْتُرُ لَهُ قَبْلَ أَنْ نَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ لَا نَقْطَعُ

أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ : أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى.

وَلَأَصْلَبْنَكُمْ أجمعين ﴿٥٠﴾ : أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على الأخشاب.

قَالُوا لَا ضَيْرَ : أي لا ضرر علينا.

إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥١﴾ أي راجعون بعد الموت وذلك يسر ولا يضر. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا

خَطِيئَتِنَا﴾ .

أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ : أي رجوا أن يكفر الله عنهم سيئاتهم؛ لأنهم سبقوا بالإيمان.

(١) ومعنى ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ : أي تتلعق في جوفها من طريق فمها كل ما أفكه؛ أي كذبه وافتراه السحرة بسحرهم من انقلاب الحبال والعصي حيات وثمانين.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي: السري: المشي ليلاً والمراد من العباد بنو إسرائيل. إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٣﴾: أي من قبل فرعون وجيوشه. ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾. إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ: أي طائفة من الناس. ﴿ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾<sup>(١)</sup>. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٥﴾: أي فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا<sup>(٢)</sup>. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾: أي متيقظون مستعدون. ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ ﴾. وَكَذُوْبٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾: أي مجلس حسن كان للأمرء والوزراء. كَذَلِكَ: أي كان إخراجنا كذلك أي على تلك الصورة. ﴿ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾: أي تلك النعم.

فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾: أي وقت شروق الشمس. فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ: أي رأى بعضهما بعضاً لتقاربهما، والجمعان: جمع بني إسرائيل وجمع فرعون. قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾: أي قال أصحاب موسى من بني إسرائيل إنا لمدركون أي سيلحقنا فرعون وجنده.

قَالَ كَلَّا: أَي قَالَ مُوسَىٰ ﷺ كَلَّا أَي لَنْ يَدْرِكُونَا، وَلَنْ يَلْحَقُونَا. ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾. فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلِقْ: أي انشق. فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾: أي شق: أي الجزء المنفرد، والطود: الجبل. وَأَرْزَلْنَاهُمْ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾: أي قربنا هنالك الآخرين، أي فرعون وجنده. ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي عبرة وعظة توجب الإيمان برب العالمين برب موسى وهارون. ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾. وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾: أي اقرأ يا رسولنا على قومك خبر إبراهيم وشأنه العظيم، والمقصود

(١) الإشارة بهؤلاء فيه إيماء بتحقيق شأن بني إسرائيل، والشردمة الطائفة القليلة العدد.

(٢) الغيظ: أشد الغضب.

(٣) وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين مع موجب الإيمان ومقتضيه؛ لأنه سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون، وقد رد القرطبي رحمته الله الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إلى فرعون وملكه فقال: لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسيا فرعون... إلخ في حين أن أكثر المفسرين على أن الخطاب للنبي ﷺ وهو وجه العبرة من السياق. اهـ. ولا مانع من الجمع بين القولين، والله أعلم. فيكون المعنى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾: كما لم يؤمن أكثر قوم فرعون لم يؤمن أكثر قومك يا محمد ونفس المعنى يقال في قصة إبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ﷺ مع مراعاة تفسير آخر الآية الثامنة من نفس السورة خاصة الهامش (قل).

طلب هداية قريش إلى الحق بإسماعهم أخبار الأولين.

إِذْ قَالَ لِأَيِّبِهِ وَقَوْمِهِ: أَيَّ أَزْرٍ وَالْبَابِلِيِّينَ. ﴿٧٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧١﴾.

قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَنكِفِينَ ﴿٧٢﴾: أَي فَنَقِيمُ أَكْثَرَ النَّهَارِ عَاكِفِينَ <sup>(١)</sup> عَلَى عِبَادَتِهَا. ﴿٧٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٥﴾.

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٦﴾: أَي لَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ فَنَحْنُ تَبِعُ لَهُمْ. ﴿٧٧﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٨﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٩﴾.

فَأَنَّهُمْ عُدُوِّيٌّ: أَي أَعْدَاءُ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَنَا عَبَدْتُهُمْ لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مِنِّي عَابِدِيهِمْ.

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾: فَإِنَّ مِنْ بَعْدِهِ لَا يَتَّبِعُونَ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَلْ يَنْجِيهِ مِنَ النَّارِ وَيَكْرِمُهُ بِالْجَنَّةِ.

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨١﴾: أَي إِلَهُ مَا يَنْجِيَنِي مِنَ الْعَذَابِ وَيَسْعِدُنِي فِي دُنْيَايَ وَأُخْرَايَ. ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٤﴾.

وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ﴿٨٥﴾: أَي يَمِيتُنِي عِنْدَ انْتِهَاءِ أَجْلِي ثُمَّ يَحْيِيَنِي لِيَوْمِ الدِّينِ.

وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٦﴾: أَي يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَالْبَعث الآخر.

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا: أَي يَا رَبِّ اعْطِنِي مِنْ فَضْلِكَ حُكْمًا، أَي عِلْمًا نَافِعًا وَارزُقْنِي الْعَمَلَ بِهِ.

وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِ حَيْثُ ﴿٨٧﴾: لَا عَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَأَكُونُ مَعَهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٨﴾: أَي اجْعَلْ لِي ذِكْرًا حَسَنًا أَذْكَرُ بِهِ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدِي.

﴿٨٩﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٠﴾.

وَأَغْفِرْ لِي إِنِّي أَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾: كَانَ هَذَا مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَتَّبِعَنِي لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ.

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَمُونَ ﴿٩٢﴾: أَي لَا تَفْضَحْنِي. ﴿٩٣﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٩٤﴾.

إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٥﴾: أَي مِنَ الشَّرْكِ وَالنَّفَاقِ، وَبَاقِي الْمَهْلَكَاتِ.

وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٦﴾: أَي أَدْنَيْتُ وَقَرَّبْتُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَوَرِّثْتُ الْجَنَّةَ لِلْعَاوِينَ ﴿٩٧﴾: أَي أَظْهَرْتُ وَجَلَيْتُ لِلْعَاوِينَ. ﴿٩٨﴾ وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٩﴾.

مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ: أَي بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ.

أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿١٠٠﴾: أَي لِأَنفُسِهِمْ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهَا.

فَكَبِّكُوا بِهَا: أَي أَلْقُوا عَلَيَّ وَجُوهَهُمْ فِي جَهَنَّمَ وَدَحْرَجُوا فِيهَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَعْرِهَا <sup>(٢)</sup>.

هُمْ وَالْعَاوُونَ ﴿١٠١﴾: جَمْعُ غَاوٍ وَهُوَ الْفَاسِدُ الْقَلْبُ الْمَدْنَسُ الرُّوحُ مِنَ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي.

(١) ﴿فَنَظَلُّ﴾ هَذَا الْفَلْظُ يَدُلُّ أَنَّهُمْ يَقْضُونَ فِتْرَةَ طَوِيلَةَ مِنَ النَّهَارِ حَوْلَهَا لِعِبَادَتِهَا، وَأَمَّا اللَّيْلُ فَيَعْبُدُونَ الْكُوكَبَ

لِمَشَاهِدَتِهَا، وَالتَّمَاتِيلُ إِنَّمَا هِيَ صُورَةٌ لَهَا فَإِذَا غَابَتْ عَبَدُوا صُورَهَا بِالنَّهَارِ.

(٢) ﴿فَكَبِّكُوا﴾ أَي: كَبُّوا فِيهَا كَبًّا بَعْدَ كَبِّ لَأَنَّ كَبُّوا مِضَاعَفٌ: كَبُّوا بِالتَّكْرِيرِ نَحْوُ: كَفَّكَفَ الدَّمْعُ أَي: كَفَّهَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَجُنُودٌ يُبَلِّغُونَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ : أي أتباعه وأنصاره وأعوانه من الإنس والجن. ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٧﴾ .

إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ : أي في العبادة، فعبدناكم كما يعبد الله ﷻ. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ : أي بهمه أمرنا وتنفعنا صداقته نحتمي به من أن نعذب.

فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ : كرة: أي رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونوحده ونعبد ربنا بما شرع لنا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ .

كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحًا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ : قوم نوح التي بعث فيها، والمراد من المرسلين: نوح ﷺ.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ : أي في النسب.

أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ : أي اتقوا الله ربكم فلا تعصوه بالشرك والمعاصي.

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ : أي على ما أمرني ربي بإبلاغه إليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١٠٨﴾ .

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ : أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿١١٠﴾ .

﴿قَالُوا نُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ﴿١١١﴾ : أي كيف نتبعك على ما تدعوننا إليه وقد اتبعك أراذل الناس، أي سفلتهم وأهل الخسة فيهم. ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ .

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي : أي ما حسابهم إلا على ربي. ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ ﴿فلمست بجبار ولا ذي سلطان فأطرد الناس.

قَالُوا لَنْ نَمُنَّ بِكَ نَبِيًّا وَتَنْتَهُ يَنْبُوخُ : أي عن دعوتنا إلى ترك آلهتنا وعبادة إلهك وحده.

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴿٣﴾ : أي المقتولين رجماً بالحجارة. ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون﴾ ﴿١١٧﴾ .

فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا : أي احكم بيني وبينهم حكماً بأن تهلكهم. ﴿وَيَجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ .

فَأَجْنِبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ، فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ : أي المملوء بالركاب وأزواج المخلوقات الأخرى.

ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ : أي بعد إنجاننا نوحاً والمؤمنين بركوبهم في السفينة<sup>(٤)</sup>، أغرقنا الكافرين،

(١) من الجائر أن يكون هذا من كلام إبراهيم إلا أن كونه من كلام الله تعالى موعظة لأمة محمد ﷺ أولى وقد استظهره ابن عطية رَضِيَ اللَّهُ وَجَمَلَةٌ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ حالية، وجملة تالله الخ مقول القول.

(٢) قيل لسفيان: إن امرأة زنت وقتلت ولدها وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار؟ فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ .

(٣) كل لفظ (رجم) في القرآن معناه القتل رمياً بالحجارة إلا قوله: ﴿لَنْ نَمُنَّ بِكَ نَبِيًّا وَتَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ فإنه بمعنى لأسينك وأشتمتك.

(٤) ثم: للتراخي الرتبة في الإخبار لأن إغراق أمة كاملة أعظم دلالة على عظيم القدرة من إنجاء طائفة من الناس.

إذ إغراقهم كان بعد نجاة المؤمنين. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٢﴾ .

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ : عاد اسم أبي القبيلة، وسميت القبيلة به.  
 إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ : أخوهم في النسب. ﴿الْأَلْتَفُونَ﴾ (١٣٤) إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٥﴾ .  
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٦﴾ : أي خافوا عقابه فلا تشركوا به شيئاً (٢). ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٣٧) .

أَتَّبِعُونَ يَكُلُّ رِبْعٍ : أي مكان عالٍ مرتفع.

ءَايَةٌ : أي قصراً مشيداً عالياً مرتفعاً.

تَعَبُّونَ ﴿١٣٨﴾ : أي بينانكم حيث تبنون ما لا تسكنون.

وَتَتَخِذُونَ مَصَاصِعَ : أي حصوناً منيعة وقصوراً رفيعة.

لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾ : أي كأنكم تأملون الخلود في الأرض وترجونه.

وَإِذَا بَطَشْتُمْ : أي أخذتم أحداً سطوتم عليه بعنف وشدة.

بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٠﴾ : أي عتاة متسلطين. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٤١) .

وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ : أي أعطاكم منعماً عليكم. ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٤٢) .

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ : هي الإبل والبقر والغنم. ﴿وَبَيْنَ﴾ (١٤٣) وَحَنَّتِ وَعَبُودٍ ﴿١٤٤﴾ .

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٥﴾ : هو يوم هلاكهم في الدنيا ويوم بعثهم يوم القيامة.

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أم لم تكن مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٤٦﴾ : أي مستوٍ عندنا وعظك وعدمه، فإننا لا

نطيعك.

إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٧﴾ : أي ما هذا الذي تعظنا فيه من البناء وغيره إلا دأب وعادة الأولين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ﴾ (١٤٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿٣﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ ﴿١٥٠﴾ .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥١﴾ : أي كذبت قبيلة ثمود نبيها صالحاً. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ﴾ (١٥٢) الْاَلْتَفُونَ ﴿١٥٣﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٤﴾ .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٥٥) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٦﴾ .

(١) سبق أن ذكرت أن المراد بمن أكثرهم لا يؤمنون: هم أكابر مجرمي مكة وعلى رأسهم المستهزئون وهذا من إطلاق العام وإرادة الخاص؛ لأن الذين آمنوا وأسلموا أكثر ممن ماتوا على الكفر، أو نفي الإيمان مقيد بزمن معين لا يتعداه.

(٢) الفاء: للتفريع فالجملة متفرعة عن؛ جملة ﴿إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: فينادي إني رسول أمين فاتبعوا ما أقول لكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ وحذف الباء من فاتقون مراعاة لراءوس الآي.

(٣) أي: بريح صرصر سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً (من سورة الحاقة).

أَتَزَكُّونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾: أي من الخيرات والنعم غير خائفين من أحد. ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ﴿١٤٨﴾

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾: أي طلع النخل لين ناعم ما دام في كفره أي غطائه الذي عليه <sup>(١)</sup>.

وَتَنجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي تُبَوِّأُ: أي تنجرون بالآت النحت الصخور في الجبل وتتخذون منها بيوتاً.

فَنَرِيهِنَّ ﴿١٤٩﴾: أي حذقين من جهة، وبطرين متكبرين مغترين بطاعتكم من جهة أخرى.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾: أي فيما أمرتكم به.

وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾: أي في الشر والفساد بالكفر والعناد <sup>(٢)</sup>.

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ: أي بارتكاب الذنوب العظام فيها.

وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾: أي يفعل الطاعات والقربات.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴿١٥٣﴾: الذين سحرُوا وبولغ في سحرهم حتى غلب عقولهم. ﴿مَا أَنْتَ

إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾

فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾: إن كنت من الصادقين في أنك رسول الله فأتنا بآية تدل

على ذلك.

قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾: أي لها يوم تشرب فيه من العين، ولكم يوم

آخر. ﴿وَلَا تَسْهَوْا سُبُوحًا فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٥٦﴾

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ <sup>(٣)</sup> ﴿١٥٧﴾: أي فلم يؤمنوا فقتلواها، فأصبحوا نادمين لما شاهدوا

العذاب. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

﴿١٥٩﴾

كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾: لوط بن هاران ابن أخي إبراهيم.

إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ: هذه أخوة بلد وسكني، لا أخوة نسب ولا دين. ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦١﴾

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾: أي إني مرسل إليكم لا إلى غيركم، أمين في إبلاغكم رسالتي، ولا

أنقص ولا أزيد.

(١) الطلع: وعاء كنصل السيف بباطنه شماريخ القنو ويسمى هذا الطلع بالكم بكسر الكاف ويقال له: الطلع لأنه يطلع من قلب النخلة وبعد أيام من طلوعه يتفلق من نفسه ويؤبر وبعد قليل يصبح بلحاً فبسراً فربطاً فتمراً وذكر النخل يقال له: فُحَال بضم الفاء وتشديد الحاء المفتوحة والجمع فحاحيل.

(٢) يريد رؤساءهم في الضلالة ممن يحثونهم على الشرك والفساد في البلاد بارتكاب الذنوب والآثام.

(٣) إن قيل: لِمَ كَمْ يَنْفَعُ النَّدَمَ وهو توبة؟ فالجواب التوبة تنفع قبل ظهور علامات الموت والعذاب أما بعد ظهور ذلك فلا توبة تقبل وفي الحديث: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يهرغ» [حسن - مما تهربك هب - انظر صحيح الجامع].

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٧٦: بالإيمان به وعبادته وحده وترك معاصيه.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ: أي على البلاغ من أجرة مقابل إرشادكم وتعليمكم. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٧٦.

أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ١٧٥: أي أتاتون الفاحشة من الرجال وتركون النساء. وتَدْرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٧٦: أي معتدون ظالمون متجاوزون الحد في الإسراف في الشر.

قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَبَلُوطُ: أي عن إنكارك علينا ما نأتيه من الفاحشة.

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ١٧٧: أي من بلادنا وطرده من ديارنا.

قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ١٧٨: أي من المبغضين له البغض الشديد.

رَبِّ يَحْيَىٰ وَاهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ١٧٩: أي من عقوبة وعذاب ما يعملونه من الفواحش.

فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ١٨٠: أي نجينا لوطاً الذي دعانا وأهله وهم امرأته المؤمنة وابنتاه.

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ١٨١: أي فإننا لم ننجها إذ حكمنا بإهلاكها مع الظالمين، فتركناها معهم حتى هلكت بينهم، لأنها كانت كافرة وراضية بعمل القوم. ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ١٨٢.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا: أي أنزلنا عليهم حجارة من السماء فأمطروا بها بعد قلب البلاد عاليها سافلها.

فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ١٨٣: أي فقبح مطر المنذرين ولم يمتثلوا فما كفوا عن الفساد والشر. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٨٤. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ الرَّجِيمُ﴾ ١٨٥.

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ١٨٦: الآية: أي الغيضة وهي الشجر الملتف.

إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ <sup>(١)</sup>: النبي المرسل شعيب عليه السلام ﴿أَلَا نُنْفِقُ﴾ ١٨٧ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١٨٨ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٨٩ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩٠.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ: أي أتموه.

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٩١: الذين ينقصون الكيل والوزن.

وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْتَقِيمَ ١٩٢: أي الميزان السوي المعتدل.

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ: أي لا تنقصوهم من حقوقهم شيئاً.

وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٩٣: أي بالقتل والسلب والنهب. ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ١٩٤.

(١) هذه بداية قصص شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة (الغيضة)، وهذه الغيضة قريبة من مدينة مدين، وشعيب عليه السلام أرسل لهما معاً، وفي سورة هود: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ لأنه منهم ومن مدينتهم فقبل له أخوهم، وأما أصحاب الأيكة فجماعة من بادية مدين كانت لهم أيكة من الشجر يعبدونها تحت أي عنوان كعبدة الأشجار والأحجار في كل زمان ومكان، فأرسل الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٨٤﴾: أي والخليقة أي الناس من قبلكم.

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾: أي ممن يأكلون الطعام ويشربون فليست بملك مطاع. ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾.

وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾: أي وما نحسبك إلا واحدًا من الكاذبين.

فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ: أي قطعًا من السماء تهلكنا بها.

إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾: أي فيما تقول. ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ: أي السحابة التي أظلمت ثم التهبت عليهم نازًا. ﴿إِنَّهُ كَانَ

عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٨٩﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي لعبرة وعلامة، عبرة لمن يعتبر، وعلامة دالة على صدق الرسول ﷺ.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٩١﴾.

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾: أي القرآن الكريم تنزِيل رب العالمين.

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾: جبريل عليه السلام أمين على وحي الله تعالى. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٩٤﴾.

وَإِنَّهُ لَنبِيُّ رَبِّكَ وَأَوَّلَ رُزُومٍ الْوَالِدِينَ ﴿١٩٥﴾: أي كتب الأولين، واحد الزبير: زبرة وكصفحة وصحف.

أُولَئِكَ يَكْفُرُ لَهُمْ آيَةٌ: أي علامة ودليلاً. ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾: الأعجمي من لا يقدر على التكلم<sup>(١)</sup> بالعربية. ﴿فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ

مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾.

كَذَلِكَ سَلَكَنَاهُ: أي التأكيد.

فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾: من كفار مكة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٠٢﴾.

فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾: أي مهملون لنؤمن والجواب قطعًا: لا ﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾.

أَفَرَأَيْتَ: أي أخبرني.

إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾: أي أبقينا على حياتهم يأكلون ويشربون وينكحون.

ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾: أي من العذاب.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾: أي: أي شيء أغنى عنهم ذلك التمتع الطويل لا بدفع العذاب

ولا بتخفيفه.

(١) وكذلك لو أنزله على أعجمي بلغته لاعتذروا بأنهم لا يفهمو، عنه، والمراد من الأعجمي: هو من لا يحسن

اللغة العربية وإن كان عربيًا، والأعجمي من أصله عجمي ولو أجاد اللغة العربية.

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا هُمْ يُنذِرُونَ ﴿٢٣٨﴾: أي رسل ينذرون أهلها عاقبة الكفر والشرك (١).  
 ذَكَرْتِ: أي عظة. ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٢٣٩﴾.  
 وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانَ ﴿٢٤٠﴾: أي لا يتأتى ولا يصلح لهم أن يتزولوا به.  
 وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٤١﴾: أي لا يقدرُونَ.  
 إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢٤٢﴾: أي لكلام الملائكة لمعزولون.  
 فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاءَ آخَرَ: أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر، لأن الدعاء هو العبادة. ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْدِيْنِ﴾ ﴿٢٤٣﴾.

وَأَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ ﴿٢٤٤﴾: وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب.  
 وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ: أي ألن جانبك. ﴿لَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ﴿٢٤٥﴾.  
 فَإِنْ عَصَوْكَ: أي أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه.  
 فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٦﴾: أي من عبادة غير الله ﷻ. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيْزِ الرَّحِيْمِ﴾ ﴿٢٤٧﴾.  
 الَّذِي يَرِيْنَكَ حِيْنَ تَقُوْمُ ﴿٢٤٨﴾: أي إلى الصلاة فتصلي متهجداً بالليل وحدك.  
 وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدِيْنَ ﴿٢٤٩﴾: أي ويرى قلبك مع المصلين راکعاً ساجداً قائماً. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ﴾ ﴿٢٥٠﴾.

هَلْ أُتِيْتُمْ كُمْ: أي أخبركم. ﴿عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ ﴿٢٥١﴾.  
 نَزَّلَ عَلَيْنَا مِنْ أَفَّاكٍ أَثِيْرٍ ﴿٢٥٢﴾: أي كذاب يقلب الكذب فيكون إفكاً، أثيم غارق في الآثام.  
 يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كِذْبًا وَكَلْمًا ﴿٢٥٣﴾: أي يلقون أسمعهم ويصغون أشد الإصغاء للشياطين  
 فيتلقون منهم مما أكثره كذب وباطل.  
 وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٥٤﴾: جمع غاؤ: الضال عن الهدى الفاسد القلب والنية.  
 أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ: أي من أودية الكلام وفنونه.

يَهِيْمُونَ ﴿٢٥٥﴾: أي يمشون في كل شعب وواد من الكلام مدحاً أو ذمّاً، صدقاً كان أو كذباً.  
 وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٥٦﴾: أي يقولون فعلنا وهم لم يفعلوا. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيْرًا﴾.

وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا: أي قالوا الشعر انتصاراً للحق بأن ردوا على من هجا المسلمين.  
 وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٥٧﴾: أي مرجع يرجعون بعد الموت وهو دار البوار جهنم.



(١) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ كتلك القرى التي مر ذكرها في هذه السورة.  
 (٢) ما يقال في الشعراء يقال في الصحفيين في عصرنا الحاضر والله أعلم (قل).

## ٢٧ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس : هذا أحد الحروف المقطعة، يقرأ: ط. سين.

تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ : أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن.

وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) : أي مبين لكل ما يحتاج إلى بيانه من الحق والشرع في كل شئون الحياة،

وقيل: مبين: ظاهر واضح بين في نفسه.

هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) : أي أعلام هداية للصراط المستقيم وبشارة للمهتدين. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴿

رَبَّنَا لَمْ نَعْمَلْ لَهُمْ : أي حبيابها لهم حسب سنتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء.

فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) : في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهي.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ : أي في الدنيا بالأسر والقتل. ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (٥) ﴿

وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ : أي تلقنه وتحفظه وتعلمه.

مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) : أي من عند حكيم عليم هو الله ﷻ.

إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا : أي أبصرت نارًا من بُعد حصل لي بها بعض الأُنس.

سَاتِرَةً مِنْهَا بَحِيرٌ : أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلى مصر في الصحراء.

أَوْ آتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ : أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) : أي تستدفئون.

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ : أي بارك الله ﷻ من في النار وهو موسى ﷻ إذ هو في

البقعة المباركة التي نادى الله تعالى موسى منها، والمعنى تقدس من في النار التي هي نور الله تعالى.

وَمَنْ حَوْلَهَا : من أرض القدس والشام والله أعلم (٨).

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) : أي نزه الرب تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من صفات

المحدثين.

يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) : أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك وباركك.

(١) قال ابن كثير ﷻ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أي من الملائكة (قل).

﴿وَأَلْقَ عَصَاكَ﴾

فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ: أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة.  
وَلَيْ مُدْبِرٌ وَلَا وَرَىٰ يَعْقِبُ: أي ولم يرجع إليها خوفاً وفضعاً منها. ﴿يَمْوَسِي لَأَخْفَىٰ مِنِّي لَا يُخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسُونَ

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾

﴿١١﴾ ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. أي تاب فعمل صالحاً بعد الذي حصل منه من سوء. ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾  
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ: أي جيب ثوبك.

تَخْرُجُ بِيضَاءً مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ: أي برص ونحوه شعاع عظيم (١).

فِي رِشْقِ آيَاتٍ (٢): أي ضمن تسع آيات مرسلات بها. ﴿إِنِّي فِرْعَوْنَ وَقَوْمِي إِتْمَمْتُ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٢).

فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً: مضيئة واضحة مشرقة. ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣).

وَجَحَدُوا بِهَا: أي لم يقرؤا ولم يعترفوا بها.

وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ: أي أيقنوا أنها من عند الله.

ظُلُمًا وَعُلُوًّا: أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤).

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا: هو علم ما لم يكن لغيرهم ك معرفة لغة الطير إلى جانب علم

الشرع كالقضاء ونحوه.

وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ أَي شُكْرًا لَهُ.

الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) أي بالنبوة و تسخير الجن والإنس والشياطين.

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ: أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي أولاده.

وَقَالَ يَتْلُوا آيَاتِ النَّاسِ عَلِيمًا مَنْطِقَ الطَّيْرِ: أي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صفرت.

وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: أوتيهم غيرنا من الأنبياء والملوك. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦).

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ: مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ: أي جمع له جنوده من الجن والإنس والطير في

مسير له.

فَهُمْ يُورَعُونَ (١٧) أي يساقون ويرد أولهم على آخرهم ليسيروا في نظام. ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ

الْتَمَلْتُمْ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأْتِيهَا التَّمَلُّ أَدْخَلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾

لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ: أي لا يكسركم ويقتلنكم.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) أي بكم. ﴿فَلَيْسَ صَاحِبَاكَ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ أي

الهمني ووقفني لأن أشكر نعمتك. ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

(١) هذه آية أخرى غير الأولى.

(٢) تسع الآيات هي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والقحط، وانفلاق البحر، وهو من أعظمها.

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ .

وَتَمَقَّدَ الطَّيْرَ : أي تعهدتها ونظر فيها.

فَقَالَ مَا لِي لَأَرَى الْهَدْهَدَ : أعرض لي ما معني من رؤيته. ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ .  
لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا : أي بتنف ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام. ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ  
أَوْ لِيَأْتِيَنِّي﴾ .

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ : أي بحجة واضحة على عذره في غيبته.

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ : أي قليلاً من الزمن وجاء سليمان متواضعاً.

فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ : أي اطلعت على ما لم تطلع عليه.

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ : سبأ قبيلة من قبائل اليمن. ﴿بَنِي يَاقِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ .

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً : هي بلقيس الملكة. ﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ .

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ : أي سرير كبير. ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ

الشَّيْطَانَ﴾ .

أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ : أي طريق الحق والهدى. ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ .

أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ : أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله وزيدت فيها لا وأدغمت

فيها النون فصارت ألأ، نظيرها [لثلاً يعلم أهل الكتاب...] من آخر سورة الحديد.

الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من

النباتات. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ .

﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ : أي بعد اختبارنا لك.

أَذْهَبَ بِكَتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ : أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم.

ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ : أي تنح جانباً متوارياً مستتراً عنهم.

فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ : أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَلُ ﴿٢٩﴾ : أي يا أشرف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها.

إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابًا كَرِيمًا ﴿٣٠﴾ : أي ألقاه في حجرها الهدهد. ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾ ﴿٣١﴾ .

أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى : أي لا تتكبروا انقياداً للنفس والهوى.

وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ : أي منقادين خاضعين.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓأَلُ إِنِّي فِي أَمْرِي : بينوا لي فيه وجه الصواب، وما الواجب اتخاذه إزاءه؟

مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا : أي قاضيته.

حَتَّى تَتَّبِعُونَ ﴿٣٣﴾ : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه. ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قَوْلًا وَأَوْلُوا بِأَبْنِ شَدِيدٍ﴾ : أي

أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب. ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (١).

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً: أي مدينة وعاصمة ملك.  
 أَفْسَدُوهَا: أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة. ﴿وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذْلَةً﴾.  
 وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٢): أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب. ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَنْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣).  
 فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنْ: أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه. ﴿قَالَ أُمِّدُونَنِي بِمَالٍ﴾.  
 فَمَاءَ آتِنِي ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ: إنه أعطاني النبوة والملك وهو خير مما أعطاكم من المال فقط.  
 بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٤): لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها.  
 أَنْزِجْ إِلَيْهِمْ: أي بما أتيت به من الهدية.  
 فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُودٍ لَا يَمْلِكُ مِنْهَا: أي لا طاقة لهم بقتالها.  
 وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا: أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ.  
 أَذْلَةٌ وَهُمْ صَغِيرُونَ (٥): أي إن لم يأتوني مسلمين أي متقادين خاضعين. ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾.

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٦): فإن لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده.  
 قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ: أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت. ﴿أَنَا أَنَا بِكَ بِهِ﴾.  
 قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ: أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلى الظهر.  
 وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٧): أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها.  
 قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ: أي سليمان عليه السلام. ﴿أَنَا أَنَا بِكَ بِهِ﴾. قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُكُمْ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْبَ عَنِّي كَرِيمٌ (٨).

قَالَ تَكْرُوهًا وَعَرَشَهَا: أي غيروا هيئته وشكله حتى لا يعرف إلا بصعوبة.  
 نَظُرًا أَنْهَدِيحَ: أي إلى معرفته. ﴿أَمْ تَكُونُونَ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٩) فَلَمَّا جَاءَتْ.  
 قِيلَ أَهَكَذَا عِرْشُكَ: شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك لقلت: نعم.

(١) لأنهم كانوا على الكفر فقالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أما المسلم فإنه يقول: الأمر لله ثم لك قياساً على قوله ﷺ فيما رواه أحمد بسند صحيح: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» (قل).  
 (٢) قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن عباس: هو (أصف) كاتب سليمان عليه السلام... وكان صديقاً يعلم الاسم الأعظم، وقال قتادة: كان مؤمناً من الإنس واسمه (أصف) من بني إسرائيل (قل).

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ: فسبّته عليه فقالت: كأنه هو. ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ (٤١) ﴿مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾.

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكائها ما كانت تعبد من دون الله. ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾.

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ: أي جهو الصرح إذ الصرح القصر العالي، وفي جهوه بركة ماء كبيرة مغطاة بسقف زجاجي ويُرَى وكأنه ماء.

فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً: أي من ماء غمر يجري.

وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا: طائفة أنها تدخل ماء تمشي عليه فرفعت ثيابها.

قَالَ إِنَّهُ، صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ: أي مملس من زجاج. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْمَأْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَاحِبًا﴾.

أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ: أي بأن اعبدوا الله.

فَإِذْ هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾: أي طائفتان مؤمنة موحدة وكافرة مشركة يختصمون (٢).

قَالَ يَنْقُورُ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالْسَيْئَةِ: أي تطالبون بالعذاب.

قَبْلَ الْحَسَنَةِ: قبل الرحمة.

لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ: أي هلاً تطالبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾

﴿٤٦﴾

قَالُوا أَطَيْرٌ نَابِكُ: أي تشاء منا بك.

وَيَمِنَ مَعَكَ: أي من المؤمنين.

قَالَ طَبَّرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ: أي ما زجرتم من الطير لما يصيبيكم من المكاره عند الله علمه.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾: أي تختبرون بالخير والشر.

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ: أي تسعة رجال ظلمة. ﴿يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

﴿٤٨﴾ (٣)

قَالُوا اتَّقَاسُوا بِاللَّهِ: أي تحالفوا بالله: أي طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له.

لِنَبِيِّنَهُ وَأَهْلِهِ: أي لنقائلته والمؤمنين به ليلاً.

(١) اختلف هل قول: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ من قول سليمان أو أحد رجاله أو هو من قول بلقيس، والراجح أنه من قول سليمان ﷺ.

(٢) من الخصومة ما قصه الله تعالى في سورة الأعراف في قوله: ﴿أَتَسْلُمُونَ أَنْتُمْ صَاحِبَاتُ مَا كُنْتُمْ تُسَلِّمْنَ بِهِ بَيْنَهُنَّ أُمَّهَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِحَبْلٍ وَإِنَّا لَهُمُ عَدُوٌّ قَاتِلُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾.

(٣) الأرض: أرض ثمود وأل فيها: للعهد، والرهط: العدد من الثلاثة إلى العشرة كالنفر، ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

ثُمَّ لِنَقُولَنَّ لَوْلِيهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ: أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله. ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾

﴿٤٩﴾

وَمَكْرُوا مَكْرًا: أي دبّروا طريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين.

وَمَكْرَنَا مَكْرًا: أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾: بأننا ندبر لهم طريق هلاكهم. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ

أَنَّا دَمَرْنَا لَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥١﴾.

فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ حَاوِيَةٌ: أي فارغة ليس فيها أحد.

يَمَا ظَلَمُوا: أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً: أي عبرة. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٢﴾.

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا: أي صالحًا والمؤمنين. ﴿وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾ ﴿٥٣﴾.

وَلُوطًا: أي واذكر لقومك لوطًا.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ: هم سكان مدن عمورية وسدوم.

أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ: أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط.

وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾: إذ كانوا يأتونها في أنديتهم عيانًا بلا ستر ولا حجاب. ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ

الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾: أي قبيح ما تأتونونه وما يترتب عليه من خزي وعذاب<sup>(١)</sup>.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَكَلُوا أَخْرَجُوا: أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم:

أُخْرِجُوا.

ءَالُ لُوطٍ: هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنة وابنتاه<sup>(٢)</sup>.

مِنْ قَرَبَيْكُمْ: أي مدينتكم سدوم.

إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾: أي يتنزهون عن الأقدار والأوساخ. ﴿فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾.

إِلَّا أَمْرَاتُهُ، فَدَرَنَاهَا مِنَ الْعَفْرِيِّتِ ﴿٥٧﴾: أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴿٣﴾ مَطْرًا فَسَاءً مَطْرَ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾: أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم إنه

(١) ﴿مُجْهَلُونَ﴾: إما أمر التحريم أو العقوبة، ووصفهم بالجهل، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماه، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظرًا إلى تعدد مواقف الوعظ والإرشاد.

(٢) من المعلوم أن تعدد الزوجات من سنن الأنبياء والمرسلين - عليهم صلوات الله وسلامه - قال الله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (قل).

(٣) ﴿مِنَ الْعَفْرِيِّتِ﴾ قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها؛ لأنها كانت ردة لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة، فكانت تدل قومها على ضيفان لوط ليأتوا إليهم.

حجارة من سجيل.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ: أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته، قال بعضهم: المأمور بالحمد هنا: لوط عليه السلام، ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ. **أَللَّهُ خَيْرٌ: أي لمن يعبد.** ﴿مَا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) **أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ.**

**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ: أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها.** ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَسْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهُ﴾.

**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠): أي بربهم غيره من الأصنام والأوثان.**

**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا: أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تضطرب بسكانها.**  
**وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهْرًا: أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي.**

**وَجَعَلَ لَهَا رُوسًا: أي جبالاً أرساها بها حتى لا تتحرك ولا تميل.**

**وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا: أي فاصلاً لا يختلط أحدهما بالآخر.** ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَلَّكُمْ رُءُوسَهُمْ

**لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١).**

**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ: أي الضر، المرض وغيره.** ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهُ﴾.

**فَلَيْسَ مَا نَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢): أي ما تتعظون إلا قليلاً.** ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ﴾.

**بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ: أي مبشرة بين يدي المطر، إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر.** ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣).

**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ: أي في الأرحام، ثم يعيده يوم القيامة.** ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ اللَّهُ﴾.

**قُلْ هَا تَأْتُونَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤): أي حجتكم إن كنتم صادقين أن مع الله إلهاً آخر فعل ما ذكر.**

**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: الملائكة والناس.**

**الغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ: أي ما غاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه.**

**وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥): أي متى يبعثون.**

**بَلِ آذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ: أي تلاحق وهم ما منهم من أحد إلا يظن فقط، فلا علم لهم**

**بالآخرة بالمرة.**

**بَلْ هُمْ فِي شَكِّكَ مِنْهَا بَلَّ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦): أي في عمى كامل لا يبصرون شيئاً من حقائقها.**

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ ذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُ نَا ﴾ .

أَيَّنَا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ : أي أحياء من قبورنا .

لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا : أي البعث أحياء من القبور . ﴿ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ .

إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ : أي أكاذيبهم التي سطورها في كتبهم . ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ : أي المكذبين بالبعث كانت دمارًا وهلاكًا وديارهم

الخواوية شاهدة بذلك .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ : المراد به تسلية الرسول ﷺ .

وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ : أي بعدابنا . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ .

قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ : اقترب منكم .

بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ : وقد حصل لهم في بدر .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم . ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ : أي ما تخفيه وتستره صدورهم . ﴿ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ : أي ما من حادثة غائبة في السماء والأرض إلا

في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ : أي يذكر أثناء آياته كثيرًا مما

اختلف فيه بنو إسرائيل .

وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم .

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ : أي يحكم بين بني إسرائيل بحكمه العادل .

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ : الغالب على أمره، العليم بخلقه .

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ : أي ثق به وفوض أمرك إليه . ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧٩﴾ .

إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى .

وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ : أي ولا تقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع .

إِذَا وَلَوْ أَمْدَبْتَ أَعْيُنَ : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك . ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ صَلَاتِهِمْ ﴾ ﴿٨٠﴾ .

إِنْ تَسْمِعِ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا : أي ما تسمع إلا من يؤمن بآيات الله . ﴿ فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿٨١﴾ .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ : أي حق عليهم العذاب .

أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ : حيوان يدب على الأرض لم يرد وصفها في حديث صحيح يعول

عليه ويقال به.

تُكَلِّمُهُمْ: بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات.

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾: أي بسبب أن الناس أصبحوا لا يؤمنون بآيات الله وشرائع

أي كفروا فيبلون بهذه الدابة.

وَيَوْمَ نَحْشُرُ: أي اذكر يوم نحشر أي نجمع.

مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا: أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا.

مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾: أي يجمعون برد أولهم على آخرهم.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ: أي الموقف مكان الحساب. ﴿قَالَ أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّادًا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ: أي حق عليهم العذاب.

يَمَا ظَلَمُوا: أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى.

فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾: أي لا حجة لهم. ﴿الَّذِينَ جَعَلْنَا لِيلًا لِّلَّيْلِ لِيَسْكُنُوا فِيهِ ﴿٨٦﴾﴾.

وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا: أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

﴿٨٧﴾﴾.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ: أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والفناء والقيام من القبور.

﴿فَفَزَعَنَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴿٨٨﴾﴾.

وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ ﴿٨٩﴾: أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله ﴿بِكُرْبَةٍ﴾ داخرين أي أذلاء

صاغرين.

وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادًا: أي تظنها في نظر العين جامدة <sup>(١)</sup>.

وَهِيَ تَمْرٌ مَّرَّ السَّحَابِ: وذلك لسرعة تسييرها. ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ

﴿٩٠﴾﴾.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ: وهي الإيمان والتوحيد وسائر الصالحات.

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا: أي الجنة.

وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ عَامُونَ ﴿٩١﴾: أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وقوله تعالى: ﴿وَرَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادًا وَهِيَ تَمْرٌ مَّرَّ السَّحَابِ﴾، أي تراها كأنها ثابتة باقية على ما

كانت عليه وهي تمر مر السحاب أي تزول عن أماكنها كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩١﴾﴾ وتسير الجبال

سيرًا. اهد من ابن كثير.

أما التأويل الذي ذهب إليه فضيلة الشيخ الجزائري في هامش «نهر الخير» فبعيد بعيد، وقد سبق أن نبهت أنني لم

أفهم المخترعات العلمية في دائرة التفسير (قل).

هول يوم القيامة.

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : أي جاء بالسيئة كالشرك، وأكل الربا، وقتل النفس.

فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ : - والعياذ بالله - : أي ألقوا فيها على وجوههم.

هَلْ تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ : أي ما تجزون إلا بعملكم، ولا تجزون بعمل غيركم.

إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ : أي مكة المكرمة، والإضافة للتشريف.

الَّذِي حَرَمَهَا : أي الله الذي حرم مكة فلا يختلج خلالها ولا ينفر صيدها ولا يقاتل فيها. ﴿٩١﴾ وله

كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ : المؤمنين المتقادين له ظاهرًا وباطنًا وهم أشرف

الخلق.

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذارًا وتعليمًا وتعبيرًا. ﴿٩٢﴾ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

وَمَنْ ضَلَّ فَفَقًا إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

سِيرِكُمْ ءَأَيْنَهُ فَتَعْرِفُونَهَا : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه

عند الموت.

وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ : أي وما ربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزئهم

بعملهم.



## ٢٨ - سُورَةُ الْقَصَصِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسّم (١): هذه الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ: طاء، سين، ميم.  
تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢): أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم.

تَتْلُوا عَلَيْكَ: أي نقرأ عليك قاصين شيئاً.

مِنْ نَبَأٍ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ: أي من خبرهما.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣): أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة.

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ: أي تكبر وظلم فادّعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلمًا فظيعًا.

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا: أي طوائف بعضهم عدواً لبعض من باب فَرَّقَ تَسُدُّ. ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ

مِنْهُمْ﴾

يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ: أي يبقي على النساء لا يذبح البنات؛ لأنه لا يخاف منهن

ويذبح الأولاد. ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤).

وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ: أي ننعيم. ﴿عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

﴿٥﴾ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ (١) وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾

مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦): من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ: أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بد منها ثم

تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم.

فَإِذَا حَفَّتْ عَلَيْهِ فَكَالِقَيْهِ فِي أَيْمَنِ: أي في البحر وهو نهر النيل.

وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي: أي لا تخافي أن يهلك ولا تحزني على فراقه. ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) ﴿٢﴾

فَالْقَطْعُ: أءال فِرْعَوْنَ: أي أعوانه ورجاله.

لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا: أي في عاقبة الأمر، فاللام للعاقبة والصيرورة. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّانَ

(١) قيل أرض الشام، وقيل، وهو رأي أكثر المفسرين: أرض مصر والشام.

(٢) جمع الله في هذه الآية بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

وَجُتُوهُمَا كَأَنَّمَا خَطَّيْتُمْ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ ﴿٩﴾

قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ: أي تقر به عيني وعينك فنفرح به ونُسِر. ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوسَىٰ فَارِطًا: أي من كل شيء إلا منه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَىٰ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِيصِيهِ: أي اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو. فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ: أي لاحظته وهي مخفية تتبعه من مكان بعيد. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ: أي منعناه من قبول ثدي أي مرضعة﴾ ﴿١١﴾

من قبل: أي من قبل رده إلى أمه.

فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ: أي قالت أخت موسى.

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ: يضمنونه إليهم، يرضعونه ويربونه لكم.

وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾: أي لموسى ناصحون، فلما قالوا لها: إذا أنت تعرفينه، قالت: لا، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد.

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ: أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته.

كَيْ نَفَرَ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: إذ أوحى إليها أنه رآه وجاعله من المرسلين.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾: أي أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسى ولا يعلمون أن الفتاة أخته وأن أمها أمه.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ: أي ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وكمل عقله.

عَلَيْهِ بِنُو إِسْرَائِيلَ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَنْبَأَ وَيُرْسَلَ. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ: مدينة فرعون وهي: مُتْفُ، بعد أن غاب عنها مدة.

عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا: لأن الوقت كان وقت القيلولة. ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾

هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ: أي على دينه الإسلامي.

وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ: على دين فرعون والأقباط. ﴿فَأَسْتَعْتَبَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾

فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ: أي ضربه بجمع كفه ففضى عليه أي قتله.

قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ : أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .  
 إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ : أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى، مبين ظاهر الإضلال .  
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ .

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ : بإنعامك علي بمغفرة ذنبي .  
 فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي معينا لأهل الإجماع .  
 فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .  
 فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتَهُ بِالْأَمْسِ : أي طلب نصرته فنصره .  
 يَسْتَصْرِخُهُ : أي يستغيث به علي قبطي آخر .  
 قَالَ لَهُ، مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ : أي لذو غواية وضلال ظاهر .  
 فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معًا .  
 ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نقتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ .  
 إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ : أي ما تريد إلا أن تكون جبارًا تضرب وتقتل ولا تبالي بالعواقب . ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ﴾ .

مِنَ الْمُضْلِمِينَ ﴿١٩﴾ : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا .  
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى : أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينة .  
 قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ الْمَلَأْتَ أَبْطِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك .  
 فَأَخْرَجَ إِيَّاهُ مِنَ التَّنْصِيحِ ﴿٢٠﴾ : أي أخرج من هذه البلاد إلى أخرى .  
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ : خائف من القتل يتربص ما يحدث له . ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ .  
 ﴿٢١﴾ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ : أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب .  
 قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ : أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين . ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ .  
 وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ : أي مواشيهم من بقر وإبل وغنم .  
 وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ : أي أغنامهما منعًا لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة .

قَالَ مَا خَطْبُكُمْ ؟ قال موسى للمرأتين اللتين تذودان: ما خطبكما أي ما شأنكما؟  
 قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ : لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء  
 وحدنا . ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ .

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ : أي بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان جالسًا

تحتها.

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٤٦﴾ : أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه ﷺ .  
فَإِنَّهُ إِحْدَاهُمَا تَمَسَّى عَلَىٰ آسَاحِيَاءَ : أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه. ﴿قَالَتْ إِنَّكَ ابْنُ  
بَدُوعٍ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ .

فَلَمَّا جَاءَهُ. وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ : أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطنة له ونصح  
المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين.

قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ : أي من فرعون وملائه إذ لا سلطان لهم على بلاد

مدين.

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ : أي اتخذه أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا.

إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ : ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة. ﴿قَالَ  
إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ﴾ .

عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي : أي تكون أجيراً لي في رعي غنمي.

تَمَنَّىٰ حِجَجٌ : أي ثماني سنوات إذ الحجة عام، والجمع حجج.

فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ : أي جعلت الثمانية عشرًا فرغبت عشرًا فهذا من كرمك. ﴿وَمَا  
أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ .

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ : أي الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون.

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ : أنا أفي بشرطي وأنت تفي بشرطك.

أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ : أي الأجلين الثمانية أو العشرة أتممت.

فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ : وذلك بطلب الزيادة فوق الثمانية أو فوق العشرة.

وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤٨﴾ : أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد بشرطيه أي النكاح

ورعي الغنم وبذلك تم العقد <sup>(١)</sup>.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ : أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات. ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿عَآءَ نَاسِكٍ : أبصر. ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ .

أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ : عود غليظ في رأسه نار.

لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٤٩﴾ : أي تستدفئون.

فَلَمَّا أَنهَا نُوْدِيَ : أي ناداه الله تعالى بقوله: يا موسى إني أنا الله رب العالمين.

(١) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته

بل لا بد من الإشهاد عليه وهو كذلك.

(٢) زوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء.

مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ : قِطْعَةُ الْأَرْضِ <sup>(١)</sup> الَّتِي عَلَيْهَا الشَّجَرَةُ الْكَائِنَةُ بِشَاطِئِ الْوَادِي. ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ ﴿٣١﴾ .  
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ : تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ كَأَنَّهَا حَيَّةٌ مِنْ حَيَاتِ الْبَيْوتِ .  
وَلَىٰ مُدْبِرًا وَلَوْ يُعْجَبُ : رَجَعَ هَارِبًا وَلَمْ يُعْقَبْ لِخَوْفِهِ وَفَزَعِهِ مِنْهَا. ﴿يَكْفُرُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣٢﴾ .

أَسْأَلُكَ بِدَعْوَىٰ جَيْبِكَ : أَدْخَلَهَا فِي جَيْبِ قَمِيصِكَ .

تَخْرُجُ بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ : أَيُّ عَيْبِ كِبْرَصٍ وَنَحْوِهِ .

وَأَضْمَمْتُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ : أَضْمَمْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ بِأَنْ تَضَعَهَا عَلَىٰ صَدْرِكَ لِیَذْهَبَ رَوْعُكَ .

فَذُنُوبَكُمْ بَرَهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ : أَيُّ آيَاتِنَا مِنْ رَبِّكَ عَلَىٰ صِدْقِ رِسَالَتِكَ. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٣﴾ .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا : أَيُّ نَفْسِ الْقِبْطِيِّ الَّذِي قَتَلَهُ خَطَأً قَبْلَ هِجْرَتِهِ مِنْ مِصْرَ . ﴿فَلَا خَافَ أَنْ

يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٤﴾ .

وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا : أَيُّ أَبِينِ مِنِّي قَوْلًا .

فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا : أَيُّ مَعِينًا لِي . ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾ .

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ : أَيُّ نَدَعْمُكَ بِهِ وَنَقْوِيكَ بِأَخِيكَ هَارُونَ .

وَيَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا : أَيُّ حِجَّةٍ قَوِيَّةٍ يَكُونُ لَكُمْ بِهَا الْغَلْبُ .

فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا : أَيُّ بِسَوْءٍ .

بِأَيْدِينَا : أَيُّ إِذْهَبَا بِآيَاتِنَا . ﴿أَتَمْنَا وَمِنْ أَتَمَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أَيُّ الْعَصَا وَالْيَدِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْآيَاتِ السَّعَةِ .

بَيَّنَّتْ : أَيُّ وَاضَحَاتٍ .

قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ : أَيُّ مَخْتَلَقٍ مَكْذُوبٍ . ﴿وَمَا سَجَعْنَا بِهِذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ

مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَهُ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴿٢﴾ .

وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَنَقَةُ الدَّارِ : أَيُّ الْعَاقِبَةِ الْمَحْمُودَةِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ .

إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾ : أَيُّ الْمَشْرُوكِ الْكَافِرُونَ .

(١) ﴿الْأَيْمَنِ﴾ : أَيُّ : عَنْ يَمِينِ مُوسَى ﷺ .

(٢) كَانَ مَقْتَضَى الْكَلَامِ فِي سِيَاقِ الْحَوَارِ أَنْ يُقَالَ : قَالَ مُوسَىٰ بَدُونَ وَآوِ الْعَطْفِ إِلَّا أَنَّهُ خُولِفَ هُنَا وَأَتَى بِالْوَاوِ : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ وَهِيَ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهَا هُوَ ذِكْرُ التَّوْازُنِ بَيْنَ حِجَّةِ فِرْعَوْنَ وَحِجَّةِ مُوسَىٰ لِيُظْهِرَ

لِلسَّامِعِ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا بِخِلَافِ مَا لَوْ حُذِفَتِ الْوَاوُ كَمَا قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فَإِنَّهَا مُجْرَدُ حِكَايَةِ قَوْلِ مُوسَىٰ ﷺ فَلَيسَ فِيهَا مَا يَلْفَتُ النَّظْرَ .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي : أي ربًّا يطاع ويذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه ما أكذبه.

فَأَوْقَلِي يَهْمَنُ : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل والعمال.

عَلَى الطَّيْنِ : أي اطيخ لي الأجر وهو اللبن المشوي.

فَأَجْعَل لِي صَرْحًا : أي بناء عاليًا، قصرًا أو غيره.

لَمَكِّي أَطْلِعْ إِلَّالَهُ مُوسَى : أي أقف عليه وأنظر إليه.

وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٨﴾ : أي موسى في ادعائه أن له إلهًا غيري <sup>(١)</sup>.

وَأَسْتَكْبِرُوهُ وَحُوذُوهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِسْنَالًا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ <sup>(٢)</sup>.

فَأَخَذْنَاهُ وَحُوذُوهُ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر غرقى هلكى. ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ .

وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً : أي رؤساء يقتدى بهم في الباطل.

يَكْفُرُونَ إِلَى الْكٰفِرِ : أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار. ﴿وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا

يُبْصِرُونَ ﴿٣١﴾ .

وَأَتَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً : أي خزيًا وبعثًا عن الخير.

وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٣٢﴾ : أي المبعدين من كل خير المشوهي الخلقه. ﴿وَلَقَدْ

ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا .

الْقُرُونَ الْأُولَى : قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم.

بَصَايِرَ لِلنَّاسِ : أي فيه من النور ما يهدي كما تهدي الأبصار. ﴿وَهَدَىٰ رَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ : أي لم تكن يارسولنا حاضرًا بالجانب الغربي من موسى.

إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ أَي بِالرِّسَالَةِ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٣٤﴾ : حتى تعلمه وتخبر به.

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أممًا طالت أعمارهم

فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي؛ فجننا بك رسولًا وأوحينا إليك خبر موسى

وغيره.

(١) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية، ودفعاً للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج.

(٢) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأن الشك في العقائد كفر.

وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ: أي ولم تكن يا رسولنا مقيمًا في أهل مدين فتعرف قصتهم. ﴿تَلَوْنَا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٤٥) ﴿﴾

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْتَا: أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك. ﴿وَلَكِن رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ: أي أهل مكة والعرب كافة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا﴾ ﴿﴾

لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّعُ آيَاتِكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧): أي فيقولوا لولا أي هلاً أرسلت إلينا رسولاً ولولا ذلك لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا: أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً.

﴿قَالُوا لَوْلَا أَوْقَىٰ مِثْلَ مَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ: أي هلاً أعطي مثل ما أعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالطوراة.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْقَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ: أي كيف يطالبونك بأن تؤتني مثل ما أوتي موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل؛ لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه.

﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا: أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما (١) بعضاً أي قواه. ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كِتَابٍ كَفَرُونَ﴾ (٤٨) ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٩) ﴿﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ: أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من التوراة والقرآن. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُبَدِّعُونَ آهْوَاءَهُمْ: في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ: أي لا أضل منه قط. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) ﴿﴾

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١): أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نعمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون فيؤمنوا ويوحدوا.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ: أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم. ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) ﴿﴾

﴿وَإِذْ آتَيْنَا عَلِيَّهِمْ: أي القرآن. ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ ﴿﴾

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ: «وعلى قراءة (ساحران تظاهرا) يعنون: موسى وهارون. وهذا قول جيد قوي، وعن ابن عباس... يعنون: موسى ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم وهذه رواية الحسن البصري، أما من قرأ ﴿سِحْرَانِ﴾، فالظاهر أنهم يعنون التوراة والقرآن لأنه قال بعده: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ...﴾ اهـ (قل).

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ : أي متقادين لله مطيعين لأمره ونهيه (١).  
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى وآمنوا  
بمحمد ﷺ .

وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منهما. ﴿وَمَا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ .

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ : أي الكلام اللاغبي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق  
درهماً للمعاش ولا حسنة للمعاد. ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾ .  
سَلِّمْ عَلَيْكُمْ : هذا سلام المتاركة أي قالوا قولاً يسلمون به.

لَا تَبْنِئِ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٩﴾ : أي لا نطلب صحبة أهل الجاهل لما فيها من الأذى.  
إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ : أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه. ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ .  
وَقَالُوا : أي مشركو قريش.

إِن نَّبِئِ أَهْلَهُمْ مَعَكَ : أي إن تتبعك على ما جئت به وندعو إليه وهو الإسلام.  
نُحِطُّ مِنْ أَرْضِنَا : أي تتجرأ علينا قبائل العرب ويأخذونا. ﴿أَوَلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ .  
يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شيء من كل ناحية.  
رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا : أي رزقاً لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ (٢).  
وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ (٣) مَعِيشَتَهَا : أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب  
وطغت في المعاصي. ﴿فَإِنَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤) ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَا  
كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى .

حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِنَا رُسُلًا : أي في أعظم مدنها وهي العاصمة. ﴿يَسْأَلُوا عَلَيْهِمْ أَن يَنْبِئَهُمْ﴾ .  
وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ : بالكذب للرسول والإصرار على الشرك  
والمعاصي.

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ : أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع.  
فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا : فهو ما تتمتعون به وتزنيون ثم يزول ويفنى.

(١) (ومن قبل نزول القرآن).

(٢) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم؛ فهم فيه آمنون مطعمون إلا وهم  
الجاهل فهو علتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك.

(٣) ﴿بَطَرَتْ﴾ : جهلت شكر معيشتها.

(٤) ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ : أي: كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون.

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقى.  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾: لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لا عقل له.  
أَمَّنْ وَعَدْنَهُ وَعَدَّا حَسَنًا: أي الجنة.

فَهُوَ لَقِيهِ: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة. ﴿كَمَنْ مَنَعْنَهُ مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٧﴾: أي في نار جهنم.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ: أي الرب ﷻ.

فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٨﴾: أي أنهم شركاء لي فعبدتموهم معي.

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ: أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال (١).

رَبَّنَا (٢) هَتُّوْنَا الَّذِينَ آغْوَيْنَا آغْوَيْنَاهُمْ: أي فغفوا ولم نكرهم على الغي. ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ (٣).

تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٩﴾: أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم (٤).

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ: أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه. ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ﴾.

لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾: أي لما رأوا العذاب ودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ: أي الله تبارك وتعالى. ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٥).

فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ: أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها.

فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٧١﴾: أي انقطعوا عن الكلام.

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ: أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك.

وَعَمِلَ صَالِحًا: أَدَّى الفرائض والواجبات.

فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٧٢﴾: أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة و(عسى) من

الله تعالى لا تفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقق الموعود به.

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ: أي من خلقه.

وَيَخْتَارُ: أي من يشاء لنبوته وطاعته.

مَا كَانَ لَهُمْ: أي للمشركين.

الْخِيَرَةُ: أي الاختيار في شيء.

(١) لم تعطف جملة. ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾ بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام.

(٣) أي: أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعواهم إلى عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة: هؤلاء هم الشياطين،

وقيل: هم الرؤساء، والكل صحيح.

(٤) ﴿تَبَرَّأْنَا﴾ أي: تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا

يعرفونهم.

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾: أي تنزيهاً لله عن الشرك.

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ: أي ما تسر وتخفي من الكفر وغيره. ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٩﴾.  
وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْاَهْوَالُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى: أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة.

وَالْآخِرَةُ: أي في الجنة.

وَلَهُ الْحُكْمُ: أي القضاء النافذ.

وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٧٩﴾: بعد الشور وذلك يوم القيامة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني.

إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أي دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار.

مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَضِيًّا: أي ضوء كضوء النهار. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٨٠﴾.

مَنْ إِلَهَ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ: أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب

الحياة. ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ: أي في الليل.

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾: أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة. ﴿وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ

فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٨١﴾.

وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا: أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها ﷺ.

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ: أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم

النذارة ولا البشارة.

فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ: أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لا لسواه.

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٨٢﴾: أي وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي

كانوا يردون بها على الرسل ﷺ.

﴿إِنْ قَالُوا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى: أي ابن عم موسى ﷺ﴾.

فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ: أي ظلمهم واستطال عليهم.

وَأَلْبَنَّا مِنَ الْكُوفَرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَسَنُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ: أي أعطاه الله من المال ما يثقل عن

الجماعة حمل مفاتيح خزائنه.

إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٨٣﴾: أي لا تفرح فرح البطر والأشر.

وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ: أي اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل

الخيرات. ﴿وَلَا تَسْكُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَمِغْ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ

لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴿٧٧﴾ .

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي : أي لعلم الله تعالى بأني أهل لذلك <sup>(١)</sup> . ﴿أَوْلَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ .

وَأَكْثَرُ جَمْعًا : أي للمال .

وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب <sup>(٢)</sup> .

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ : أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية . ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا﴾ .

يَلْبَسْتُمْ لِنَاصِيئَاتِكُمْ مَا أُوتِيَ قَارُونُ : أي تمنوا لو أن أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون .

إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ : أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير .

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أي أعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات

السعادة والشقاء .

وَيَلْبَسُكُمْ : أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا .

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا : أي ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات

وهي الجنة خير من حطام الدنيا الفاني .

وَلَا يُقْبَلُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ : أي ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن

وعمل صالحًا إلا الصابرون على الإيمان والتقوى .

فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ : أي أسخنا الأرض من تحته فساخت به وبداره وكل من كان معه

فيها من أهل البغي والإجرام ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾ .

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ : أي الذين قالوا: يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون، فالمراد من

المكان المكانة وما عليه قارون من الإمارة والزينة والمال والجاه .

يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ : أي أعجب عالمًا أن الله يبسط الرزق لمن

يشاء من عباده .

وَيَقْدِرُ : أي يضيّق . ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ .

وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ : أي أعجب عالمًا أنه لا يفلح الكافرون أي أنهم لا يفوزون بالنجاة

(١) وقال ابن زيد: لعلم الله تعالى بفضلي ورضاه عني أي: إني أوتيتها باستحقاقني . اهـ .

قال ابن كثير رحمته الله: وهكذا يقول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه، لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي (قل) .

(٢) قال ابن كثير رحمته الله: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي لكثرة ذنوبهم (قل) .

من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ: أي الجنة، دار الأبرار (١).

تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ: أي بغياً ولا استطالة على الناس.

وَلَا فَسَادًا: أي ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي.

وَأَعْقِبَةٌ: أي المحمودة في الدنيا والآخرة.

لِلْمُتَّقِينَ (٢): الذين يتقون مسأخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون ما لا يرضى به

الله تعالى.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ: أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزئ به المؤمن.

فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا: أي تضاعف له عشرة أضعاف.

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ: السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعفُ الله تعالى عنه. ﴿فَلَا

يُجْرَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣)

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ: أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل

بما فيه وتبليغه.

لِرَأْدِكَ إِلَى مَعَادٍ: أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه (٤). ﴿قُلْ رَبِّي

أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٥)

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو: أي تأمل.

أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ: أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك.

إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ: لكن رحمة من الله وفضل أنزله عليك.

فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ (٦): أي فمَنْ شُكِرَ هذه النعمة أن لا تكون معيناً للكافرين.

وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ: أي لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن

شرفك الله بإنزالها عليك.

وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ: أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) روى سفيان بن عيينة أن علي بن الحسين وهو راكب مر على مساكين يأكلون كسراً لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم ففلا هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ..﴾ إلى ﴿فَسَادًا﴾ ثم نزل وأكل معهم.

(٢) قال ابن كثير رحمته: ووجه الجمع بين هذه الأقوال: أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجل النبي ﷺ، كما فسر ابن عباس سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، أنه أجل رسول الله ﷺ نعمي إليه، ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لِرَأْدِكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن، ولأنه أكمل خلق الله وأفصح خلق الله وأشرف خلق الله على الإطلاق. اهـ (قل).

الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ: أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر إليه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ: أي فان.

إِلَّا وَجْهَهُ: أي إلا الله ﷻ فلا يهلك كما يهلك ما عداه. ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٨﴾



## ٢٩ - سُورَةُ الْحَجِّ مَكِّيَّةٌ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ١: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب ألم وتقرأ ألف لام ميم. ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾.

وَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ٢: أي لا يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكليف، ومنها الصبر على الأذى.

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٣: أي اخترنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس. فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ٤: أي في إيمانهم.

وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٥: بما يظهر من أعمالهم.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ٦: أي يفوتونا فلا نتقم منهم.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٧: أي بشس الحكم هذا الذي يحكمون به، وهو حسابانهم أنهم يفوتون الله

تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم.

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ٨: أي من كان يؤمن بلقاء الله ويتنظر وقوعه.

فَأِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ٩: فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال ١٠. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١١﴾.

وَمَنْ جَاهَدَ ١٢: أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس.

فَأِنَّمَا يَجْهَدُ لِنَفْسِهِ ١٣: أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ١٤﴾

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ١٥﴾.

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦: أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا

عملوه.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ ١٧: أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا.

بِرُؤْيَيْهِ حَسَنًا ١٨: أي إيصاءًا ذا حسن، وذلك ببرهما وعدم عقوقهما.

وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ١٩: أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك. ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

تَطْعَمُهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٢١﴾.

لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ٢٢: أي لندخلهم مدخلهم في الجنة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا

(١) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لا بد أن يأتيه.

أُوذِيَ فِي اللَّهِ ﴿١٠﴾.

جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ: أَي أذَاهمَ لَهُ.

كَعْدَابِ اللَّهِ: أَي فِي الْخَوْفِ مِنْهُ فَيَطِيعُهُمْ فَيَنَاقِقُ. ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ ﴿١٠﴾  
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ: أَي فِي الْإِيمَانِ وَإِنَّمَا أَكْرَهْنَا عَلَى مَا قُلْنَا بِالْأَلْسِنَةِ. ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ  
الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا: أَي دِينَنَا وَمَا نَحْنُ عَلَيْهِ.

وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ: أَي لِيَكُنْ مِنْكُمْ اتِّبَاعٌ لِسَبِيلِنَا وَلِيَكُنْ مِنْهُمْ حَمْلٌ لَخَطَايَاكُمْ، فَالْكَلامُ خَبْرٌ  
وَلَيْسَ بِإِنشَاءٍ. ﴿وَمَا هُمْ بِحَكِيمِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ: أَي أَوْزَارَهُمْ، وَالْأَوْزَارُ الذُّنُوبُ.

وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ: أَي مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا.

وَلَيْسَتُنَّ يَوْمَ الْفَيْكَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾: أَي يَكْذِبُونَ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ: أَي نُوحَ بْنِ لَمَكِ بْنِ مَتُوشَلَخِ بْنِ إِدْرِيسَ مِنْ وَلَدِ شِيثِ بْنِ آدَمَ،

بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ.

فَلَمَّا فَتِنَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا: أَي فَمَكَثَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تِسْعِمِائَةَ وَخَمْسِينَ

سَنَةً.

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ: أَي الْمَاءُ الْكَثِيرُ الَّذِي طَافَ بِهِمْ وَعَلَاهُمْ فَأَغْرَقَهُمْ.

وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾: أَي مُشْرِكُونَ. ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ ﴿١٥﴾﴾.

وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾: أَي عِبْرَةً لِلنَّاسِ <sup>(١)</sup> يَعْتَبِرُونَ بِهَا فَلَا يَشْرِكُونَ وَلَا يَعْبُدُونَ.

وَأَنزَلْنَاهُ: أَي وَآذَرَ إِبرَاهِيمَ عَلَى قِرَاءَةِ النَّصْبِ لِإِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى قِرَاءَةِ الرَّفْعِ: وَمِنْ الْمُرْسَلِينَ

إِبْرَاهِيمَ.

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ: أَي آمَنُوا بِهِ وَوَحْدَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَاتَّقَوْهُ أَنْ تَشْرَكُوا بِهِ وَتَعْصُوهُ.

﴿ذَلِكُمْ خَبْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَأَصْنَامًا وَأَحْجَارًا وَصُورًا وَتَمَائِيلَ.

وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ: أَي تَخْتَلِقُونَ الْكُذْبَ فَتَقُولُونَ فِي الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ: آلِهَةٌ وَتَعْبُدُونَهَا. ﴿إِنَّ

الَّذِينَ نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١٧﴾﴾.

فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ: أَي اطْلُبُوا الرِّزْقَ مِنَ اللَّهِ الْخَلِيقِ الْعَلِيمِ لَا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالتَّمَائِيلِ

(١) الضمير في: ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ عائد إلى السفينة، وما في التفسير أعم وأشمل. أي عائد إلى حادثة الطوفان ومنها

المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس.

وَأَعْبُدُوهُ: أي بالإيمان به وتوحيده.

وَأَشْكُرُوا لَهُ: بطاعته. ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧)

وَأِنْ تَكْذِبُوا: أي يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعرش. ﴿فَقَدْ كَذَّبَ  
أَمْرًا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ﴾: أي محمد ﷺ (١).

إِلَّا الْبَلْعُ الْمَمِيْتُ (٨): وقد بلغ وبين فبرئت ذمته، وأنتم المكذبون ستحل بكم نقمة الله.

أَوَلَمْ يَرَوْا: أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم.

كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء.

تُرْعِيذُهُ: أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفناؤه يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ  
وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة.

إِنْ ذَلِكَ: أي: إن الخلق الأول والثاني هو الإعادة.

عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٩): أي سهل لا صعوبة فيه، فكيف إذا ينكر المشركون البعث.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أي قل يا رسولنا لقومك المكذبين بالبعث: سيروا في الأرض.

فَأَنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ: أي كيف بدأ الله الخلق وأنشأه، تستدلون بذلك على قدرته على

البعث الآخر.

ثُمَّ اللَّهُ يَبْدِئُ النِّسَاءَ الْآخِرَةَ (١٠): أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث الآخر الذي أنكره  
الجاهلون. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١١) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ﴿

وَأَلَيْهِ تُقْلَبُونَ (١٢): أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم فيحاسبكم ويجزيكم  
بأعمالكم، الحسنة بخير منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً.

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ: أي بغالبيين ولا فائتين بالهروب فإن الله غالبكم.

وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٣): ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير ينصركم من  
الله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ (١٤)

(١) القصد من هذه الجملة: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْعُ الْمَمِيْتُ﴾ إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه  
نكايه به أو تشفي منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ وإن كان من كلام  
إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنويحاً للأسلوب.

(٢) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع  
بنفسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٣) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته  
والمفصلة لأنواع عباداته.

أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي <sup>(١)</sup>: أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر. ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ <sup>(١٣)</sup>.

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ: أي قوم إبراهيم عليه السلام.

إِلَّا أَنْ قَالُوا أَاقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ: أي إلا قولهم اقتلوه أو حرقوه. ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ: أي في كون النار لم تحرق الخليل وخرج منها سالمًا.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ <sup>(١٤)</sup>: لأن المؤمنين هم الذين يتتبعون بالآيات لحياة قلوبهم. ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ: أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ: أي يكفر المتبوعون بأتباعهم ويتبرءون

منهم. ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾: يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل. ﴿وَمَا أَوْلَانَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيرَةٍ﴾ <sup>(١٥)</sup>.

﴿فَأَمَّا لُوطُ﴾: أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه.

وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي: أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني. ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ <sup>(١٦)</sup>.

<sup>(٢)</sup>

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ: أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم إسحاق

الابن ويعقوب الحفيد <sup>(٣)</sup>.

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ: فكل الأنبياء بعده من ذريته، وكل الكتب التي أنزلت بعده

فهي في ذريته.

وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا: وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على السنة كافة الناس من أهل

الاديان الإلهية.

وَأِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(١٧)</sup>: أي هو أحدهم فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلا،

والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأولياؤه وصالحو عباده.

(١) أخبر عن بأسهم بالفعل الماضي تنبيهاً على تحقق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سييسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

(٢) من قرية كوئا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ، وامرأته سارة، وهو أول من هاجر في سبيل الله وأول من هاجر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تعالى: عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة.

(٣) هذه الهبة كان قبلها هبة إسماعيل إذ ولد قبل إسحاق عليه السلام.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : أَي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدوم.  
 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم.  
 مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان  
 الذكران في أدبارهم.

أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّكَبِيلَ : أي باعتمادكم على المارة في السبيل فامتنع الناس  
 من المرور خوفاً منكم.

وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار

والفاحشة أي اللواط. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

الضَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ ﴿٣١﴾

بِالْبُشْرَى : أي إسحاق ويعقوب بعده.

قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ : أي قرية لوط وهي سدوم. ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانَُوا ظَالِمِينَ

﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ فِيهَا لُوطًا ﴿٣٣﴾

قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا : أي قالت الرسل: نحن أعلم بمن فيها.

لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ. كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٣٤﴾ : أي كانت في علم الله وحكمه من

الباقيين في العذاب.

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ : أي حصلت له مساءة وغم بسبب مخافة أن يقصدهم

قومه بسوء.

وَضَافَ بِهِمْ ذَرْعًا : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء. ﴿وَقَالُوا

لَا تَحْفَ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكُ وَأَهْلَكَ ﴿٣٥﴾

إِلَّا أُمَّرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٣٦﴾ : الذين طالت أعمارهم وستهلك مع الهالكين. ﴿إِنَّا

مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴿٣٧﴾

رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ : أي عذاباً من السماء.

يَمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٨﴾ : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة.

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها

ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لا حياة فيه.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٩﴾ : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا.

وإلى مدين : أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه.

أَخَاهُمْ شُعَيْبًا : أي أخاهم في النسب.

فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ: أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً.  
وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ: أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه.  
وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٤٧﴾: أي ولا تعيشوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو  
العمل بالمعاصي فيها.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ: الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة.  
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنُومًا ﴿٤٨﴾: لا صقين بالأرض أمواتاً لا يتحركون.  
وَعَادًا وَثَمُودًا: أي وأهلكنا عاداً القبيلة، وثمود القبيلة كذلك.  
وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ: أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم  
بالحجر جنوب اليمن.

وَرَزَقْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ: أي سبيل الهدى والحق التي بيئتها لهم  
رسلمهم.

وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٤٩﴾: أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلمهم (١).  
وَفَرَعُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمَانُ: أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق.  
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ: أي عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة  
رسله.

وَمَا كَانُوا سَوِيَّةً ﴿٥٠﴾: أي فأتين عذاب الله أي فارين منه، بل أدركهم.  
فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ: أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا.  
فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا أَي رِيحًا شَدِيدَةً، كَعَادٍ وَقَوْمِ لُوطَ.  
وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ: أي ثمود.  
وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ: أي كقارون.  
وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا: كقوم نوح وفرعون. ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ  
يُظْلِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون  
نفعها.

كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا أَي لِنَفْسِهَا تَأْوِي إِلَيْهِ.  
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ أضعف البيوت وأفلها جدوى. ﴿بَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥١﴾

(١) ولكن أتروا أهواءهم على عقولهم فهلخوا، وقيل: المراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمر لما لهم من عقول  
صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا دَعَوْتُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ شَوْءٍ: أي من الأوثان والأصنام وغيرها.  
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٤﴾: أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبير أمور خلقه.  
 وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٥﴾: أي العالمون بالله وآياته  
 وأحكام شرعه وأسراره.  
 خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: أي من أجل أن يعبد لا للهو ولا لباطل. ﴿٤٦﴾ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾.

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ: اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن.  
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ: بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.  
 إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ: أي الصلاة بما توجهه من نور في قلب العبد  
 يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر.  
 وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ: أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه، كما أن ذكر الله أكبر في النهي عن  
 الفحشاء والمنكر من الصلاة وغيرها. ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٩﴾.  
 ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجِدُوا أُمَّةً ظَالِمَةً وَلَا تَجِدُوا أُمَّةً مُتَعَدِّةً: أي لا تتأججوا ولا تناظروا اليهود والنصارى.  
 إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ: أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على  
 حججه.

إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ: أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية، وبقوا حرباً على  
 المسلمين. ﴿٥١﴾ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَهُ الْمَسْلَمُونَ ﴿٥٢﴾.  
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ: أي وكإنزلنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك  
 الكتاب.

فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ: أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول  
 وكتابه. ﴿٥٣﴾ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ: أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلاً آمن به كثيرون.  
 ﴿٥٤﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْلَوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ﴿٥٦﴾.  
 وَلَا تَحْطُهُ بِمِثْلِكَ: أي تكتب بيدك لأنك أمة لا تقرأ ولا تكتب.  
 إِذَا لَزَّتْ أُمَّةٌ الْمُبْطِلُونَ ﴿٥٧﴾: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.  
 بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ: أي محمد ﷺ ونعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والإنجيل محفوظة.  
 فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ: أي من أهل الكتاب (١).

﴿٥٨﴾ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٥٩﴾: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول

(١) وقيل: هم أصحاب محمد ﷺ والمؤمنون به، وهذا لا يتنافى مع ما في التفسير، إذ الوجهان صحيحان.

الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.  
 وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ: أي قال كفار قريش: هلاً أنزل على محمد آيات من ربه كناقاة صالح، وعصا موسى.

قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ: أي قل لهم يا رسولنا: الآيات عند الله ينزلها متى شاء. ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ: أي أولم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك.

إِنِّي فِي ذَلِكَ لَرَحِيمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾: أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقه صالح. ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (١).

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ: وهو ما يعبد من دون الله.

وَكَفَرُوا بِاللَّهِ: وهو الإله الحق.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾: أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ: أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم.

وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ: أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجهنم.

وَلِيَأْيِنِّيهِمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾: فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال. ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾.

وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾: أي من كل جانب وهم فيها وذلك. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾: أي ويقول لهم الجبار: ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك والمعاصي.

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ: أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة.

فَأَنبِئِي فَاعْبُدُونِي ﴿٥٦﴾: فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ: أي لا يمتنعكم الخوف من الموت أن لا تهاجروا في سبيل الله فإن الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة.

ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾: أي بعد موتكم ترجعون إلى الله، فمن مات في سبيل مرضاته أكرمه

(١) ﴿شَهِيدًا﴾ أي: يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسول وأن هذا كتابه.

وأسعدده، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه. ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ .  
لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا: أي لننزلهم من الجنة غرفًا. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ  
الْعَمَلِينَ﴾ (٥٨).

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾: أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى.  
وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا يَحْمِلُ رِزْقَهَا: أي لا تطيق جمعه ولا حمله لضعفها<sup>(١)</sup>. ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ  
عَ: فلا عذر لمن ترك الهجرة خوفًا من الجوع والخصاصة.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾: أي السميع لأقوال عباده، العليم بنياتهم وأحوالهم وأعمالهم.  
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ: أي المشركين. ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .  
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ: أي ذللهما يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران. ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ .  
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾: أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم وهو أن الخالق المدبر هو  
الإله الحق الذي يجب توحيده في عبادته.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ: أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده امتحانًا للعبد هل  
يشكر الله أو يكفر نعمه؟

وَيَقْدِرُ لَهُ: أي ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢) ولين  
سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا. ﴿  
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ: إذا كيف يشركون به أصنامًا لا تنفع ولا تضر.  
قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ: أي قل: لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم.  
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾: أي إنهم متناقضون في فهمهم وجوابهم.  
وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ: أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها<sup>(٢)</sup> فهي لهو يتلهى  
به الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة.

وَأِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ: أي الحياة الكاملة الخالدة، ولذا العمل لها أفضل من العمل  
للدنيا.

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾: أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على الآخرة  
الباقية.

فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ: أي في السفينة.

(١) ﴿وَكَايُنْ﴾: أصلها (أي) دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم، والتقدير: أي كشيء من العدد من  
دابة قال ابن عباس: الدواب هي كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل  
والفأر.

(٢) اللهو: ما يلهو به الناس أي: يشتغلون به عن الأمور المكدرة أو يعمرّون به أوقاتهم الخالية عن الأعمال.

دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة.  
 فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبِرِّ إِذَاهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ : أي يفاجئونك بالشرك<sup>(١)</sup> وهو دعاء غير الله تعالى.  
 لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ : أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم.  
 وَلِيَتَمَنَعُوا فُسُوقَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا القوا في جهنم.  
 أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا ءَامِنًا وَيُخَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ<sup>(٢)</sup> : أي يسبون ويقتلون في ديار جزيرتهم.

أَفِإِذَا بَطُلَ يُؤْمِنُونَ : أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل، ينكر تعالى عليهم ذلك. ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ<sup>٤</sup> أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ .

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا : أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتركية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم  
 ثم يقتال أعداء الله من أهل الكفر المحاربين للإسلام والمسلمين.  
 لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا : أي لنوفقنهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا ونعيتنهم على  
 تحصيله. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ .



(١) قال القرطبي: يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانًا، وقيل: إشراكهم أن يقول قائلهم: لولا الله والرئيس والملاح لغرقنا، وهو كما قال، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل: لولا الطيب لمات فلان، ولولا الكلب لسرقنا.  
 (٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة لعلهم يدعون له بالطاعة.

## ٣٠ - سُورَةُ الرَّؤْمِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر ١: هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم، وتقرأ ألف، لام، ميم.

غَلَبَتْ: أي غلبت فارس الروم.

الرُّومُ ٢: اسم رجل هو روم بن عيصر بن إسحاق بن إبراهيم سميت به القبيلة لأنه جدها.

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ: أي أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرض يقال لها الجزيرة بين «دجلة والفرات» (١).

وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣: وهم؛ أي الروم.

فِي بَضْعِ سِنِينَ ٤: من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها أي في فترة ما بين الثلاث السنوات إلى

تسع سنين.

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ٥: أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أو لآثم في غلب الروم أخيراً

لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن.

وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّ الْمُؤْمِنُونَ ٦ بِنَصْرِ اللَّهِ: أي ويوم تغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون

بنصر أهل الكتاب على المشركين عبدة النار، وينصرهم هم على المشركين في بدر. ﴿بِنَصْرِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥﴾

وَعَدَّ اللَّهُ: أي وعدهم الله تعالى وعدًا وأنجزه لهم.

لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ: أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٦: كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده.

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: أي لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع، وإنما يعلمون ما

ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة.

وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ٧: أي عن الحياة الآخرة، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى

ذلك من عقائد وأفعال وتروك.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ٨: أي كيف خلقوا ولم يكونوا شيئاً، ثم كيف أصبحوا رجالاً.

(١) اختلف في «أَدْنَى الْأَرْضِ» هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير، أو أدنى الأرض

إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب، والراجع الأول كما في التفسير.

مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ : أي لم يخلق الله<sup>(١)</sup> السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل.

وَأَجَلٍ مُّسَمًّى : وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل.  
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ : أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم. ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ .  
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْآرْضَ : أي قلبوها للحرث والغرس والإنشاء والتعمير.  
وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا : أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون.  
وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالدلائل والحجج والبراهين من المعجزات وغيرها كالأحكام الشرعية.

فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك.  
ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوَى السُّوءَى<sup>(٢)</sup> : أي بالتكذيب والشرك والمعاصي والسوء هي الحالة الأسوأ.

أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ : أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية. ﴿ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿١٠﴾ .  
اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس.  
وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ : أي يئسوا من النجاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون.  
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ ﴾ .  
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ : أي يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم.  
وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ بَنَفَرُونَ ﴿١٤﴾ : أي ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار. ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ .  
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ : أي في روضة من رياض الجنة يسرون<sup>(٣)</sup> ويفرحون. ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ ﴾ .  
فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾ : أي مدخلون فيه لا يخرجون منه.

(١) جائز أن يكون ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ معناه: إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه. والأجل المسمى: المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فائها، وهذا التقرير للفناء مستلزم للحياة الآخرة.

(٢) السوءى: تأنيث الأسوأ، كالحسنى تأنيث الأحسن، والأسوأ، الأقيح من الأقوال والمعققات، وجائز أن يكون المراد بالسوءى هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ الجنة.

(٣) ﴿يُحْبَرُونَ﴾: ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم.

فَسَبِّحْنَ اللَّهَ : أي سبحوا الله أي صلوا.

حِينَ تُمْسُونَ : أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء.

وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ : وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح.

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض.

وَعَشِيًّا : أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر.

وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴿١٨﴾ : أي تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر.

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ : أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة.

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ : أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من الدجاجة الحية.

وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أي يحييها بالمطر فتحيها بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة.

وَكَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿١٩﴾ : أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين.

وَمِنَ آيَاتِهِ : أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم.

أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ : أي خلقه إياكم من تراب وذلك بخلق آدم الأب الأول.

ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ : أي في الأرض بشراً تعمرونها. ﴿ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ .

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا : أي لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بحكم التجانس في البشرية.

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً : أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر

ويرحمه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ .

وَمِنَ آيَاتِهِ : أي حججه وبراهينه الدالة على قدرته على البعث والجزاء. ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴾ .

وَأَخْلَفُ السَّنَائِكُمْ : أي لغاتكم من عريية وعجمية، والعجمية بينها اختلاف كثير.

وَالْوَيْكُمُ : أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ : أي للعقلاء على قراءة للعالمين بفتح اللام، ولأولي العلم على

قراءة كسر اللام.

وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ : أي طلبكم الرزق بإحضار أسبابه من

زراعة وتجارة وصناعة وعمل.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ : أي سماع تدبر وفهم وإدراك، لا مجرد سماع

الأصوات.

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا: أي إراءته إياكم البرق خوفًا<sup>(١)</sup> من الصواعق والظوفان وطمعًا في المطر. ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٨٦﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: أي قيام السماء والأرض على ما هما عليه من نشأتهما. بِأَمْرِهِ: بقدرته وتدبيره.

ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ: أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة إسرافيل.

إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٤٨٥﴾: أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي خلقًا وملكًا وتصرفًا وعبيدًا.

كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٤٨٦﴾: أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون

له تجري عليهم أحكامه كما أَرادها فلا يتعطل منها حكم. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ﴿٤٨٦﴾

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ: أي أيسر وأسهل نظرًا إلى أن الإعادة أسهل من البداية.

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى: أي الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوجدانية. ﴿فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٤٨٦﴾

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٨٧﴾: أي الغالب على أمره، الحكيم في قضائه وتصرفه.

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا: أي جعل لكم مثالًا<sup>(٢)</sup>.

مِنْ أَنْفُسِكُمْ: أي متزعمًا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم.

هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ: أي إنه ليس لكم من ممالِككم

وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه أبدًا، فكذلك الله تعالى

لا يرضى أن يكون من عبده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها.

فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ: أي تخوفكم من بعضكم لبعض الأحرار.

كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ: أي نبينها بتنوع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب الأمثال.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٨٨﴾

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا: أي ليس الأمر قصورًا في البيان حتى لم يؤمن المشركون.

أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ: وإنما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.

فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ: أي لا أحد فالاستفهام للنفي. ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ﴾ ﴿٤٨٩﴾

(١) جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٢) ذكر القرطبي لتفسير كلمة ﴿قَانُونٌ﴾ تفاسير عدة من السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.

(٣) ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لأجلكم.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ : أي سدد وجهك يا رسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلا إليه .  
حَنِيفًا : أي مائلًا عن سائر الأديان إليه وهو بمعنى مقبلًا عليه .  
فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيَّهَا : أي صنعة الله التي صنع عليها الإنسان وهي قابليته للإيمان بالله تعالى .

لَا بُدَّ لِي لِمَخْلُقِ اللَّهِ : أي لا تعملوا على تغيير تلك القابلية للإيمان والتوحيد فالجملة خبرية لفظًا إنشائية معنى .

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ : أي المستقيم الذي لا يضل الأخذ به . ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) .

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ : أي راجعين إليه تعالى بفعل محابه وترك مكارهه .﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ .

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٤﴾ : أي طوائف وأحزابًا كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ : أي إذا مس المشركين ضرر أي شدة من مرض أو فقر أو قحط .

دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ : أي راجعين بالضرعة والدعاء دون غيره .

ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مَنَّ رَحْمَةً : بكشف ضرر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق .

إِذَا فَرِحُوا مِنْهُمْ بَرِيهَتُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾ : أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغير ذلك .

يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ : أي ليكون شكرهم لله كفرًا بنعمه والعياذ بالله .

فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ .

أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا : أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به .

﴿فَهُوَ بِكُمْ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٢٥) وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ

بِمَا قَدَّمْتَأَيْدِيهِمْ : أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة .

إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٢٦﴾ : أي ييشسون من الفرج بزوال الشدة .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ : أي يوسعه امتحانًا له .

وَيَقْدِرُ : أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء . ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) .

فَتَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ : أي أعط ذا القرابة حقه من البر والصلة (٢) .

(١) والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشايح أي توافق رأيًا وتجمع عليه، والحزب الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة .

(٢) الخطاب رغم كونه موجهاً للنبي ﷺ فأتمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمنًا وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» في الصحيح .

وَالْمَسْكِينِ: أي المعدوم الذي لا مال له، أعطه حقه في الطعام والشراب والكساء.  
وَأَنْ السَّبِيلِ: أي أعط ابن السبيل أي المسافر حقه في الإيواء والطعام.  
ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ: أي ذلك الإنفاق خير من عدمه للذين يريدون وجه الله تعالى  
إذ يشيهم ربهم أحسن ثواب. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

وَمَا أَتَيْتُم مِّن رَّبًّا: أي من هدية أو هبة وسميت ربًّا لأنهم يقصدون بها زيادة أموالهم.  
لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ: أي ليكثر بسبب ما يرده عليكم من أهديتموه القليل ليرد عليكم الكثير.  
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ: أي لا يباركه الله ولا يضاعف أجره. ﴿وَمَا أَتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾: أي الذين يؤتون أموالهم صدقة يريدون بها وجه الله فهو لاء الذين  
يضاعف لهم الأجر أضعافًا مضاعفة. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.  
هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ: أي من أصنامكم التي تعبدونها.  
مَنْ يَفْعَلْ مِن دَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ: والجواب لا أحد؛ إذ بطلت ألوهيتها وحرمت عبادتها.  
سُبْحٰنَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾: أي تنزه الرب عن الشرك وتعالى عن المشركين.  
ظَهَرَ الْفَسَادُ ﴿٤١﴾ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.  
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ: أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء.  
لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا: أي تم ذلك وحصل ليعذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم.  
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٢﴾: كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة.  
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله: سيروا.  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ: أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسولهم وشركهم بربهم،  
إنها هلاكهم. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

فَاقْرَءْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ: أي استقم على طاعة ربك عابدًا له مبلغًا عنه منفذًا لأحكامه.  
مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ، مِن اللَّهِ: أي لا يرده الله تعالى أنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة.  
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٤﴾: أي يتفرقون فرقتين. ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾.  
فَلَا نُنْفِئُهُمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٥﴾: أي يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح  
أعمالهم. ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ: أي ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء والموجبة  
لعبادته وحده.

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحابها وأولاهما بفهم الآية الكريمة وأنفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه.

مُبَشِّرَاتٍ : أي تبشر العباد بالمطر وقربه.

وَلِيُدَبِّقْكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق. ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾ (١)

وَلِتَنْبَعُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في البحر.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٨٩﴾ : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحدوا ربكم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ : أي كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام.

فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والمعجزات.

فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي.

وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩٠﴾ : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقاً وأوجبناه علينا فهو كائن

لا محالة.

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَابًا : أي تحركه وتبيجه فيسير وينتشر. ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ

يَشَاءُ﴾

وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا : أي قطعاً متفرقة في السماء هنا وهناك.

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ : أي المطر يخرج من خلال السحاب.

فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ ﴿٤٩١﴾ : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾

لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩٢﴾ : أي قانطين آيسين من إنزاله عليهم. ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

إِنَّ ذَلِكَ لَمُنْحَى الْمَوْتَى : أي القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء

الموتى وهو الله تعالى. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا : أي رأوا النبات والزرع مصفرًا للجائحة التي أصابته وهي ريح

الدبور المحرقة.

لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم

السابقة. ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَانَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِينًا ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾

إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا : أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله. ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ : أي من نطفة وهي ماء مهين.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب.

(١) قال بأمره؛ لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتياط على حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فأغرقتها فمن هنا قال بأمره وإلا فالرياح وحدها لن تغرق السفن وتوقها عند السير.

(٢) وفسر بآيسين أي قانطين أزلين كما في الحديث أي في ضيق وشدة وفسر بيشين، والكل صحيح.

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا: أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب.  
 وَشَيْبَةً: أي الهرم. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا  
 لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴿

كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾: أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون في الدنيا  
 عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة، فانصرفهم عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم  
 لمدة لبثهم في قبورهم. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ  
 الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥٦) ﴿

فَيَوْمَذِي لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَدْرَتُهُمْ: أي في إنكارهم للبعث والجزاء.  
 وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾: أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضي الله تعالى  
 بالإيمان والعمل الصالح.

وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ: أي جعلنا للناس. ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ ﴿

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ: أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلمهم يذكرون  
 فيؤمنوا ويوحدا<sup>(١)</sup>.

وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ: أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة.

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٨﴾: أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون  
 فيما تقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه.  
 كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾: أي ما أنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه  
 من الآيات البينات.

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي اصبر يا رسولنا على أذاهم؛ فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها،  
 ووعد الله حق.

وَلَا يَسْتَحْفِظُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾: أي لا يحملنك هؤلاء المشركون المكذبون بقاء الله  
 على الخفة والطيش فترك دعوتك إلى ربك.



(١) قال القرطبي: أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبهم على التوحيد وصدق الرسل.

## ٣١ - سُورَةُ الْفَتَمَانَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر (١) : هذه أحد الحروف المقطعة التي تكتب ألم، وتقرأ: ألف لام ميم.  
 تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم.  
 الْحَكِيمِ (٢) : أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله، ولا خلل فيه، وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما يحمل من هدى وتشريع.  
 هُدًى وَرَحْمَةً : أي هو هدى يهتدى به ورحمة يرحم بها.  
 لِلْمُحْسِنِينَ (٣) : أي الذين يراقبون الله تعالى في كل شئونهم الذين يجدون الهدى والرحمة في القرآن الكريم، أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون ذلك. ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٤).  
 وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ : أي هم على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبداً.  
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب. وَمِنَ النَّاسِ : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش.  
 مَنْ يَشْتَرِ لَهُوَ الْحَدِيثِ : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء.  
 يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَغْيِرْ عَلَيْهِ : أي ليعرف الناس عن الإسلام وبيعدهم عنه فيضلوا. وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا : أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزواً: أي مهزواً به مسخوراً منه.  
 ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٦).  
 وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنْ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا : أي رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفراً وعناداً وكبراً كان لم يسمعها.  
 كَأَن فِي آذَانِهِ وَقْرًا : أي ثقلاً يمنع من السماع كالصمم. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩).  
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتى لا تقع على الأرض (١).  
 وَأَلْفَى فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ : أي جبلاً راسية في الأرض بها ترسو الأرض أي تثبت حتى

لا تميل (١)

وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض. ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾

مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾: أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه.

هَذَا خَلَقَ اللَّهُ: أي المذكور مخلوقه لله تعالى إذ هو الخالق لكل شيء.

فَأَرْوَفُ مَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: أي من الآلهة المزعومة التي يعبدوها الجاهلون.

بِلِ الظَّالِمُونَ: أي المشركون. ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١١﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ: أي أعطينا لقمان السوداني القاضي.

الْحِكْمَةَ: أي الفقه في الدين والعقل والإصابة في الأمور.

أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ: أي اشكر الله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره. ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ: أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغبا له ومرهبا.

﴿يَبْنِي لَكَ أَتَشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ: أي عهدنا إليه برهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان إليهما

وطاعتهما.

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَى وَهْنٍ: أي ضعفا على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل والولادة

والإرضاع.

وَفَصَّلَهُ، فِي عَامَيْنِ: أي مدة رضاعة تنتهي في عامين وبذلك يفصل عن الرضاع. ﴿أَنْ أَشْكُرَ

لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿١٤﴾

وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ: أي بذلا جهدهما على حملك على الشرك.

فَلَا تُطْعِمُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا: أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف، وهو البر

والإحسان وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله.

وَاتَّبَعَ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ: أي رجع إلي بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد ﷺ. ﴿ثُمَّ

إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٥﴾

يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ شِقَاقَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ: أي توجد زنة حبة من خردل.

فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ: أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد. ﴿أَوْ فِي السَّمَانِ أَوْ فِي الْأَرْضِ

يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾: أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت.

(١) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لتلا تميد والكل جائز.

﴿ يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ ﴾

وَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ: أي مر الناس بطاعة الله تعالى، وانهم عن معصيته.  
 وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٧﴾: أي مما أمر الله به عزماً لا رخصة فيه.  
 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ: أي ولا تعرض بوجهك عن تكلمه تكبراً.  
 وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا: أي مختالاً أن تمشي خيلاء.  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٨﴾: أي متبختر فخور كثير الفخر بما أعطاه الله ولا يشكر.  
 وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ: أي اتد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر.  
 وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ: أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت.  
 إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٩﴾: أي أقبح الأصوات وأشدّها نكارة عند الناس لأن أوله زفير  
 وآخره شهيق.

الَّذَرَرُوا: أي ألم تعلموا أيها الناس.  
 أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ: أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم.  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها.  
 وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ: أي أوسع وأتم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال الخلق  
 وتسوية الأعضاء<sup>(١)</sup>.

وَابْطِنَةُ: أي المعرفة والعقل.  
 وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ: أي يخاصم في توحيد الله منكراً له مكذباً به.  
 يَغْيِرُ عِلْمٍ: أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي.  
 وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٠﴾: أي سنة من سنن الرسل ولا كتاب إلهي منير واضح بين. ﴿ وَإِذَا  
 قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾  
 أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾: أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم  
 إلى موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي.

﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ: أي أقبل على طاعته مخلصاً له العبادة لا يلتفت إلى غيره من  
 سائر خلقه.

وَهُوَ مُحْسِنٌ: أي والحال أنه محسن في طاعته إخلاصاً واتباعاً.  
 فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ: أي تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال.

(١) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق، والباطنة ما ستر على العبد من سعي العمل.  
 وقيل: النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق، والباطنة المعرفة والعقل.

وإِلَى اللَّهِ عِقْمَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ : أي مرجع كل الأمور إلى الله ﷻ. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ ۗ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ۝

نُعْمُهُمْ قَلِيلًا : أي متاعًا في هذه الدنيا قليلًا إلى نهاية آجالهم.

ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ : أي ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار، والغليظ: الثقيل. ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ ۝

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي احمد الله على ظهور الحجة بأن تقول: الحمد لله.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ : أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم. ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ۝

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ : أي من شجرة.

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ : أي يكتب بها.

وَالْبَحْرِ : أي المحيط.

يُمَدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ : أي تمده.

مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ : أي ما انتهت ولا نقصت.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ : أي عزيز في انتقامه غالب على ما أراد، حكيم في تدبير خلقه.

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ : أي ما خلقكم ابتداء ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم.

إِلَّا كَفَسَ وَاحِدَةً : أي إلا كخلق وبعث نفس واحدة. ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ۝

الذَّرَرُ : أي ألم تعلم أيها المخاطب.

أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ أَيْلٌ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي الْإَيْلِ : أي يدخل جزءًا منه في النهار ويدخل جزءًا من

النهار في الليل بحسب الفصول.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا يكلان إلى يوم

القيامة وهو الأجل المسمى لهما. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ۝

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو الإله الحق.

وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ : أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ۝

الذَّرَرُ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ : أي بإفضاله على العباد وإحسانه إليهم حيث هيا

أسباب جريها. ﴿ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ۗ ۝

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ : أي صبار على المعاصي، شكور للنعم.

وَلِإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ : أي علاهم وغطاهم من فوقهم.

كَالظَّلَلِ: أي كالجبال التي تظلل <sup>(١)</sup> من تحتها.  
 دَعَاُ اللهُ مُخَاصِينَ لَهُ الَّذِينَ قَلَّمَا يَجْنَهُمْ إِلَى الدَّرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ: أي بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر.

وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ <sup>(٢)</sup>: أي غدار كفور لنعم الله تعالى.  
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم: أي خافوا فآمنوا به وابدوه وحده تتجوا من عذابه.  
 وَأَخْشَوْا يَوْمًا: أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه.  
 لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ: أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئًا. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾

إِن وَعَدَ اللهُ حَقًّا: أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو كائن.  
 فَلَا تَعْرَنَكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا: أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا.  
 وَلَا يَعْزُرْكُمْ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ <sup>(٣)</sup>: أي الشيطان يغتم حلم الله عليكم وإمهاله لكم فيجركم إلى المعاصي ويسوفكم في التوبة. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾

وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ: أي المطر.  
 وَيَعَارِفُ مَا فِي الْأَرْحَامِ: أي من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه.  
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا: أي من خير أو شر والله يعلمه. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾  
 إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَيْبٌ <sup>(٤)</sup>



(١) الظلل: جمع، ظلة وهو ما أظل من سحب.

(٢) فسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات: منها موفٍ بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن: مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد: مقتصد في القول مضمحل للكفر. وقيل: في الكلام حذف والمعنى فمّنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾. وما في التفسير أشمل وأسلم.

## ٣٢ - سُورَةُ النَّجْمِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التر (١) : هذه أحد الحروف المقطعة يكتب ألم، ويقرأ ألف لام ميم.  
 تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَأُرَبِّبَ فِيهِ مَنْ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢) : أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين.  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ : أي بل يقولون أي المشركون اختلقه وكذبه. ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ .  
 لِنُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ : أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب.  
 لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) : أي بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ .

وَمَا يَبْنِيهِمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ : هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.  
 ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ (٤) : أي استوى على عرشه يدبر أمر خلقته.  
 مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله ولي يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم.

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٥) : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا.  
 يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ : أي أمر المخلوقات طوال الحياة.  
 ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شئونها.  
 أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٦) : أي من أيام الدنيا.  
 ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه.  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٧) : الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ .  
 وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٨) : أي بدأ خلق آدم ﷺ من طين.  
 ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٩) : أي خلق ذرية آدم من علقه من ماء النطفة.  
 ثُمَّ رَسَوْنَهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا : أي سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حيًّا كما سوى آدم أيضًا ونفخ فيه من روحه فكان حيًّا.  
 وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ : أي القلوب.

(١) سئل مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

(٢) المهين: الممتن الذي لا يعاب به.

فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ : أي ما تشكرون الله على نعمته الإيجاد والإمداد إلا شكرًا قليلًا لا يوازي قدر النعمة<sup>(١)</sup>.

وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ : أي غبنا فيها بحيث صرنا ترابًا فيها.

أءِذَا لَفِيَ خَلْقٍ جَدِيدٍ : أي مبعوثون. ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ بَنُوا لَكُمْ مَوْتًا مِثْلَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ : أي المشركون المكذبون بلقاء ربهم.

نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي.

رَبَّنَا أَبْصَرْنَا : أي ما كنا ننكر من البعث.

وَسَمِعْنَا : أي تصديق ما كانت رسلنا تأمرنا به في الدنيا.

فَارْجِعْنَا : أي إلى دار الدنيا. ﴿تَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿١٢﴾ .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى : أي لو أردنا هداية الناس قسرًا بدون اختيار منهم لفعلنا.

وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي : أي وجب، وهو. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ﴿١٤﴾ .

إِنَّا نَسِيتُكُمْ : أي تركناكم في العذاب.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ : أي العذاب الخالد الدائم.

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك.

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعيد ووعيد.

خَرُّوا سُجَّدًا : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض.

وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون: سبحان ربي الأعلى.

وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ : أي عن عبادة ربهم في كل أحوالهم بل يأتونها خاشعين متذللين.

نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ مِن الْمَضَاجِعِ : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل.

يَذُوقُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٧﴾ .

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده

(١) وجائز أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقًا فهو كناية عن العدم توييحًا لهم وتأنيبًا، وقال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿وَفَتَحَ فِيهِمْ رُوحَهُ وَجَعَلَ لَكُمْ النَّسَمَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتِدَةَ﴾ يعني العقول، ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ : أي: بهذه القوى التي رزقكموها الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالسعيد من استعملها في طاعة ربه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . اهـ (قل).

(٢) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخطر النفسي، ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس، والآخر أولى بالآية.

من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسر به وتفرح. ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧).  
أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا : أي مصدقاً بالله ورسوله ولقاء ربه.

كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا : أي كافراً. ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا : النزل ما يعد للضيف من قرى. ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَنُدَبِقَنَّهِنَّ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجذب والقتل

والأسر.

ذُو الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ : هو عذاب الآخرة في نار جهنم.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ : أي يصيبهم بالمصائب الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحدوا.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا : لا أحد أظلم منه أبداً.

إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ : أي أنزلنا عليه التوراة.

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ : أي فلا تشك في لقائك بموسى ﷺ (١) ليلة الإسراء والمعراج.

وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» أي هادياً لبني إسرائيل.

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا : أي وجعلنا من بني إسرائيل أئمة أي قادة هداة يهدون

الناس بأمرنا لهم بذلك وإذنتا به.

لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٣﴾ : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه

على عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعد (٢).

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَضْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي بين الأنبياء وأممهم، وبين المؤمنين والكافرين،

والمشركين والموحدين.

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٤﴾ : من أمور الدين.

أُولَئِكَ يَهْدِيهِمْ : أي أغفلوا ولم يتبين.

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ : أي إهلاكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم

وشركهم وتكذيبهم لرسولهم.

(١) قال ابن كثير رحمته الله : وروى ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ قال من لقاء موسى ربه ﷺ. أخرجه الطبراني (قل).

(٢) قال ابن القيم رحمته الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤)

يَمَشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ : أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه.

أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٦٦﴾ : أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ والحجج.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا.

إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ : أي اليابسة التي لا نبات فيها.

فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم. ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ .

﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ : أي أعموا فلا يبصروا أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على

البعث.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب. ﴿إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٦٩﴾ : أي ولا هم يمهلون للتوبة

أو الاعتذار.

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي وانتظر يا رسولنا ما سيحل بهم من عذاب

إن لم يتوبوا فإنهم منتظرون بك موتاً أو قتلاً ليستريحوا منك.



## ٣٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ

«مَدِينَةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ أَوْقَى اللَّهِ: أي دم على تقواه بامتثالك أو امره واجتنابك نواهي.

وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ: أي المشركين فيما يقترحون عليك.

وَالْمُنَافِقِينَ: أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾: أي عليمًا بخلقه ظاهرًا وباطنًا، حكيمًا في تدبيره وصنعه.

وَأَنْبِئْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ: أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله

خصوصك لك من اقتراحات أو تهديدات. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَاتَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ ﴿٢﴾.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: أي فوض أمرك إليه وامض فيما أمرك به غير مبالٍ بشيء. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

وَكِيلًا﴾ ﴿٣﴾.

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ: أي لم يخلق الله رجلًا بقلبين كما ادعى بعض

المشركين.

وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهَا أَنْهَتِكُمْ: يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ: أي ولم يجعل الدعيَّ ابنًا لمن ادعاه.

ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ: أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أمًا ولا

الدعي ابنًا. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴿٥﴾.

هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ: أي أعدل.

فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ: أي أخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم

يعرف أبوه فقولوا له: يا أخي أو ابن عمي.

وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ: أي لا حرج ولا إثم في الخطأ، فمن قال للدعي خطأ يا

بن فلان فلا إثم عليه.

وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ: أي الإثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعي لمن ادعاه.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾: ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد.

الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ: أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به من

أنفسهم.

وَأَرْوَجُهُمْ أَهْلَهُمْ : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضي الله عنهن <sup>(١)</sup> . ﴿وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ .

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ : أولى ببعض أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين .

إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا : بأن توصوا لهم وصية جائزة وهي : الثلث فأقل .  
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ : أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ .

وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ : أي اذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلى عبادته .

وَمِنَكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ : أي وأخذنا خاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وقدم محمد ﷺ في الذكر تشریفًا وتعظيمًا له .

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ : أي شديدًا والميثاق : العهد المؤكد باليمين .  
لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين <sup>(٢)</sup> وهم : الأنبياء

عن صدقهم في تبليغ الرسالة تكييًّا للكافرين بهم .

وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ : أي فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين عذابًا أليمًا أي موجعًا .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي اذكروا نعمة الله دفاعنا عنكم لتشكروا ذلك .

إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ : أي جنود المشركين المتحزبين .

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا : هي جنود الملائكة، والريح ريح الصَّبا وهي التي تهب من

شرق .

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ : أي بصيرًا بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات

للمعركة .

إِذْ جَاءَوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ : أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة .

وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ : أي من غرب وهم قريش وكنانة .

وَلِذَٰلِكَ أَعْتَبَ الْأَبْصُرُ : أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع .

(١) هذه الأوممة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال، أما في الإرث فلا، كما لا تبيح النظر إليهن والخلوتهن بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ .

(٢) جائر أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم وفاتهم بما عهد إليهم، هذا هو الأرجح، وجائر أن يسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان، والحقيقة أن كلًّا من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالى، فقد جاء في الأعراف قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ .

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ: أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف.  
 وَتَطُغُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾: أي المختلفة من نصر وهزيمة، ونجاة وهلاك<sup>(١)</sup>.  
 هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ: أي ثم في الخندق وساحة المعركة اختبر المؤمنون.  
 وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾: أي حركوا حراكًا قويًا من شدة الفرع.  
 وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم.  
 مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾: أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورًا وباطلاً.  
 وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا: أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول  
 الخندق فارجعوا إلى دياركم.  
 وَيَسْتَعِذُّ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ: أي غير حصينة. ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾.  
 إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾: أي من القتال إذ بيوتهم حصينة.  
 وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمُ: أي المدينة أي دخلها العدو الغازي. ﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾<sup>(٣)</sup>.  
 ثُمَّ سَبَّحُوا بُحْبُوحًا فَلَمَسُوا لَأَنْتَ أَهْلُ الْيَمِينِ: أي ثم طلب إليهم الردة إلى الشرك لآتوها أي أعطوها وفعلوها.  
 وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا لَيْسَرًا ﴿١٤﴾: أي ما تريثوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا.  
 وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُواكُمُ الْآيَاتُ: أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد  
 قالوا: والله لئن أشهدنا الله قتالًا لنقاتلن ولا نولي الأديار.  
 وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾: أي صاحب العهد عن الوفاء به. ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ  
 الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾.  
 وَإِذَا لَا تُسْعَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾: أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلاً  
 وتموتون.  
 قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ: أي من يجيركم ويحفظكم من الله.

(١) قرأ الجمهور ﴿الظُّنُونًا﴾ جمع ظن بألف بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف؛ لأن الفواصل مثل الاسجاع، ومن القراء من أثبتها وقفًا وحذفها وصلًا والكل جائز ومثلها في هذه السورة ﴿وَأَطْمَعْنَا الرِّسُولَ﴾، ﴿فَأَصْلُونَا السَّيْلَ﴾.

(٢) جاء في هامش زاد المعاد ج ٢ (ص ٤٧٢) قال الأرنؤوط أثابه الله تعالى: أخرج البخاري ٤/ ص من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب وهي المدينة...».

قال الحافظ: أي: إن بعض المنافقين يسميها يثرب، واسمها الذي يليق بها المدينة، وفهم بعض العلماء من هذا كراهة تسمية المدينة يثرب، وقالوا: ما وقع في القرآن إنما هو حكاية عن قول غير المؤمنين، وروى أحمد من حديث البراء بن عازب رفعه: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله، طابة، هي طابة...» (قل).

(٣) أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب.

(٤) الأديار جمع دبر والمراد به الظهر، فالأديار: الظهر، وتولية الأديار كناية عن الفرار.

إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا: أي عذابًا تستاءون له وتكربون. ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧) ﴿١﴾.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ مِنْكُمْ: أي المشبطين عن القتال المفلسين إخوانهم عنه حتى لا يقاتلوا مع

رسول الله والمؤمنين.

وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا: أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله ﷺ.

وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾: أي ولا يشهدون القتال إلا قليلاً دفعًا عن أنفسهم تهمة النفاق (٢).

أَشْحَةً عَلَيْكُمْ: أي بخلاء لا ينفقون على مشاريعكم الخيرية كنفقة الجهاد وعلى الفقراء.

﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾.

نُذِرُ أَعْيُنَهُمْ كَأَلَّذِي يُعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ: أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجبنهم كالمحتضر

الذي يغشى عليه أي يغمى عليه من آلام سكرات الموت.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللَّيْسَةِ حِدَادٍ: أي آذوكم بالسنة ذرية حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة

كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال﴾ (٣).

أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ: أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول.

أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا: أي إنهم لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح، فلذا هم جنباء عند اللقاء بخلاء عند

العطاء. ﴿فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩).

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ: أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم: قريش، وغطفان.

لَمْ يَذْهَبُوا: أي لم يعودوا إلى بلادهم خائنين.

وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ: مرة أخرى أي فرضًا.

يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوْكَ فِي الْأَعْرَابِ: أي من جبنهم وخوفهم يتمنون أن لو كانوا في البادية مع

سكانها.

يَسْتَلُوتُ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ: أي إذا كانوا في البادية لو عاد الأحزاب يسألون عن أنباءكم أي

أخباركم هل انهزمتم أو انتصرتم؟

وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾: أي ولو كانوا بينكم في الحاضرة ما قاتلوا معكم إلا

قليلاً.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ: أي قدوة صالحة تقتدون به ﷺ في القتال والثبات في

(١) المراد بالولي من يتولى نفعهم، والنصير من يتولى نصرهم في الحرب.

(٢) سبحان الله: لحالهم في الصلاة والذكر قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ

قَامُوا كُسَاتَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٧) (قل).

(٣) الخوف هنا توقع القتال من الجيوش.

مواطنه. ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ﴿١٢﴾

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: من الابتلاء والنصر.

وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: في الوعد الذي وعده به.

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٣﴾: أي تصديقًا بوعد الله وتسليمًا لأمر الله.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ: أي وفوا بوعدهم.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ: أي وفي بنذره فقاتل حتى استشهد.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ: أي مازال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر القتل في سبيل الله.

وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٤﴾: أي في عهدهم بخلاف المنافقين فقد نكثوا عهدهم. ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ

الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٥﴾

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمِنَ الْأَخْيَارِ: أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين.

وَكُفِيَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ: أي بالريح والملائكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾ ﴿١٦﴾

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: أي ناصرهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم (١).

مِنْ صَيَاصِيهِمْ: أي من حصونهم والصياصي جمع صيصية وهي كل ما يمتنع به.

وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ: أي ألقى الخوف في نفوسهم فخافوا. ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا

﴿١٧﴾ وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَيَتْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا: أي لم تطوئها بعد وهي: خير إذ فتحت بعد غزوة الخندق. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿١٨﴾

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ: أي اللاتي هن تحته يومئذ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة

عليهن ولم يكن عند رسول الله ﷺ ما يوسع به عليهن.

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْأَرْضَ: أي إلى رسول الله ﷺ وكان يومئذ قد اعتزلهن

شهرًا.

أُمْتِعَكُنَّ: أي متعة الطلاق المشروعة على قدر حال المطلق سعة وضيقة.

وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٩﴾: أي أطلقكن طلاقًا من غير إضرار بكن.

وَلِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ: أي تردن رضا الله ورسوله والجنة.

فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٠﴾: أي عشرة النبي ﷺ زيادة على الإحسان العام.

يُنْسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنَكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ: أي بنشوز وسوء خلق يتأذى به رسول الله ﷺ (٢).

(١) المظاهرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) إذا أطلق لفظ الفاحشة معرقًا بـ«أل» فهو الزنى، وإذا ورد نكرة فهو المعصية كما في هذه الآية.

يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ : أي مرتين على عذاب غيرهن ممن آذين أزواجهن .  
 وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٢﴾ : أي مضاعفة العذاب يسيرة هينة على الله تعالى .  
 ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِحَافَةً ﴾ : أي ومن يطع منكم الله ورسوله . ﴿ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ .  
 نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى  
 من غير نساء النبي .

وَأَعَدْنَا لَهُمْ فِيهَا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ : أي في الجنة .

يُنِسَاءَ الَّتِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ : أي لستن في الفضل كجماعات النساء .

إِنْ أَنْتُنَّ : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله .

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ : أي نظراً لشرفكن فلا ترقفن العبارة .

فِيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ : أي مرض النفاق أو مرض الشهوة .

وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٤﴾ : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه .

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ : أي اقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة .

وَلَا تَبْرَحْنَ بَيْتَكُمْ الْأُولَى : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متغنجات كفعل نساء

الجاهلية الأولى قبل الإسلام . ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ .

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٥﴾ : أي إنما أمركن بما

أمركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليظهركن من الأذناس والردائل .

وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ : أي الكتاب والسنة لتشكرن الله

على ذلك بطاعته وطاعة رسوله . ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ ﴿٣٦﴾ .

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ : إن الذين أسلموا لله وجوههم فاتقادوا لله ظاهرًا وباطنًا ،

والمسلمات أيضًا .

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ : أي المصدقين بالله ربًا وإلهًا والنبي محمد نبيًا ورسولًا والإسلام دينًا

وشرعًا ، والمصدقات .

وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من النساء .

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم ، والصادقات .

وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ : أي الحاسبين نفوسهم على الطاعات فلا يتركونها وعن المعاصي فلا

يقربونها وعلى البلاء فلا يسخطونه ولا يشتكون الله إلى عباده ، والحابسات .

وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ : أي المتذللين لله المخبتين له ، والخاشعات من النساء كذلك .

وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه ،

والمؤديات كذلك . ﴿ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ ﴾ .

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ : أي عن الحرام إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم بالنسبة للرجال، أما النساء فالحافظات فزوجهن إلا على أزواجهن فقط.

وَالذَّكِرَاتِ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ : أي باللسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلاثمائة مرة في اليوم واللييلة زيادة على ذكر الله في الصلوات الخمس<sup>(١)</sup>.

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً : أي لذنوبهم وذنوبهن.

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ : أي الجنة دار الأبرار.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾

أَنْ يَكُونَ لَهُمْ خَيْرٌ مِنْ أَمْرِهِمْ : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع.

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأ واضحا.

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ : أي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق

وهو: زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾

وَأَتَى اللَّهَ : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها.

وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ : أي وتخفي في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجها الله

إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنى.

مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ : أي مظهره حتماً وهو زواج الرسول ﷺ من زينب بعد طلاقها.

وَتَخَشَى النَّاسَ : أي يقولون: تزوج محمد مطلقة مولاه زيد.

وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَشَّهَ : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج.

فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها؛ لتعاليتها عليه بشرف نسبها

ومحتد آبائها.

زَوَّجْنَاكَهَا : إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحد، وذلك سنة

خمس، وأشبع الناس لحماً وخبزاً في وليمة عرسها.

لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ : أي إثم في تزوجهم من مطلقات

أدعيائهم ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لا بد كائن. ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ

حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ

اللَّهِ

(١) الأولى: أن يكون الذكر الزائد على الصلوات الخمس مطلقاً دون تحديد، فإن تحديد العدد يحتاج إلى دليل.

والله أعلم (قل).

وَيَحْشَوْنَهُ، وَلَا يَحْشُونَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ: أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يبالون بقول الناس.  
 وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣١﴾: أي حافظًا لأعمال عباده ومحاسبًا لهم عليها يوم الحساب.  
 مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ: أي لم يكن أبًا لزيد ولا لغيره من الرجال؛ إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار.

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ: أي لم يبعث نبي بعده إذ لو جاء نبي بعده لكان ولده أهلاً للنبوّة كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلاً. ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٣٢﴾.  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: أي يا من آمنتم بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا.  
 اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٣٣﴾: أي بقلوبكم وألستكم.

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٤﴾: أي نزهوه بقول: سبحان الله وبحمده صباحًا ومساءً<sup>(١)</sup>.  
 هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ: أي يرحمكم.

وَمَلَئِكْتُهُ: أي يستغفرون لكم.

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي يرحمكم ليديم إخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾.

تَجِيئَتُهُمْ يَوْمَ يَقُومُهُمْ سَلَامٌ: أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم.

وَأَعَدُّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾: أي وهبًا لهم أجرًا كريمًا وهو الجنة.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا: أي على من أرسلناك إليهم<sup>(٢)</sup>.

وَمُبَشِّرًا: أي من آمن وعمل صالحًا بالجنة.

وَنَذِيرًا ﴿٣٧﴾: أي من كفر وأشرك بالنار.

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ: أي وداعيًا إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى.

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٣٨﴾: أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى سبيل الفلاح.

﴿وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ ﴿٣٩﴾.

وَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ: أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك.

وَدَعِ أَذْنَهُمْ: أي اترك أذاهم فلا تقابله بأذى آخر حتى تؤمر فيهم بأمر.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ: أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٠﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه.

إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ: أي إذا عقدتم عليهن ولم تنوا عليهن.

(١) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده؛ إذ ورد عنه ﷺ

وصح «من قال: سبحان الله وبحمده مائة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(٢) قال قتادة: شاهدًا على أمته بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم.

ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن .  
 فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة، إذ العدة على المدخول بها .  
 فَمَعَّوْهُنَّ : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جبراً لخاطرهن .  
 وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥١﴾ : أي اتركوهن يذهبن إلى أهليهن من غير إضرار بهن . ﴿ يَتَأَيَّهَا  
 النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ ﴾ .

أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ : أي أعطيت مهورهن .  
 وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ : أي مما يسبى كصفية وجويرية . وَبَنَاتِ عِمَّاكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ  
 وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ .

الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ : بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر .  
 وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ : أي وأراد النبي أن يتزوجها بغير صداق . إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ  
 يَسْتَنْكِحَهَا .

خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ : أي بدون صداق .  
 قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ : أي على المؤمنين .  
 فِي أَزْوَاجِهِمْ : أي من الأحكام كان لا يزيدوا على أربع، وأن لا يتزوجوا إلا بولي ومهر  
 وشهود .

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ : أي بشراء ونحوه وأن تكون المملوكة كتابية، وأن تستبرأ قبل الوطء .  
 لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ : أي ضيق في النكاح . وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٢﴾ .  
 ﴿ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ : أي تؤخر من نسائك <sup>(١)</sup> .  
 وَتُؤَيِّدُ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ : أي وتضم إليك من نسائك من نشاء فتأتيها .  
 وَمَنْ أَبْغَيْتَ : أي طلبت .  
 مِمَّنْ عَزَلْتَ : أي من القسمة .

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ <sup>٥</sup> : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك، خيره ربه في ذلك بعد أن كان

(١) قال ابن كثير رحمه الله : وروى ابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت : لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم . وذلك قول الله تعالى : ﴿ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ فجعلت هذه [أي الآية ٥١] ناسخة التي بعدها في التلاوة [أي الآية ٥٢] كما يأتي عدة الوفاة في البقرة، الأولى ناسخة التي بعدها، والله أعلم .

وقال آخرون : بل معنى الآية ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ ﴾ : أي من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء، اللاتي أحللتنا لك من نسائك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك، وبنات العم والعلمات، والمخال والخالات، والواهبية، وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك . (اهل قل) .

القسم واجباً.

ذَلِكَ أَذَقْنَا أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء، أقرب أن تقر

أعينهن ولا يحزن.

وَلَا يَحْزَنُ وَيَرْضَى بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه والعزل

والإيواء.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ : أي من حب النساء - أيها الفحول - والميل إلى بعض دون بعض،

وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظيم مهامه.

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ : أي عليماً بضعف خلقه، حلیمًا عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل

التوبة.

لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترتك إكراماً

لهن وتخفيفاً عنك.

وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ آخَرٍ بَدَلَ الْمَطْلُوقَةِ لَا .

وَلَوْ أَحْبَبْتَ حَسَنَهُنَّ : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتتزوج من أعجبك حسنهما.

إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسري بالمملوكة، وقد تسرى

رسول الله ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر، وولدت له إبراهيم ومات في سن رضاعه -

ﷺ . ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾ .

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا : أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به.

لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام.

غَيْرِ نَظَرٍ إِنَّهُ : أي غير منتظرين وقت نضجه، أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم

المدعوين إليه، بأن يستغل أحدكم الإذن بالدعوة للطعام، فيأتي قبل الوقت ويجلس في البيت

فيصايق رسول الله ﷺ وأهله. ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا﴾ .

فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين إلى بيوتكم أو أعمالكم ولا

يبق منكم أحد.

وَلَا مُسْتَقْسِمِينَ لِجِدِيثٍ : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً.

إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ .

فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ : أي أن يخرجكم.

وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ : أي يقوله ويأمر به، ولذا أمركم أن تخرجوا.

وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ : أي ستر. كباب ورداء ونحوه.

ذَلِكَ أَنْ تَطَّهَّرُوا لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ : أي من الخواطر الفاسدة. ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ

اللَّهِ وَلَا أَنْ تَكْفُرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ .

إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٤﴾: أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنبًا عظيمًا.  
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَحْفَوْهُ: أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته، أو تخفوه في  
 نفوسكم فسيجزىكم الله به شر الجزاء. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٥﴾﴾.  
 لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا آبَائَهُنَّ وَلَا إِخْوَانَهُنَّ: أي لا حرج على  
 نساء الرسول ﷺ في أن يظهرن لمحامهن المذكورين في الآية.

وَلَا يَسْأَلِهِنَّ: أي المؤمنات، أما الكافرات فلا.  
 وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ: أي من الإماء والعبيد في أن يروهن ويكلموهن من دون حجاب.  
 وَاتَّقِينَ اللَّهَ: أي يا نساء النبي فيما أمرتن به من الحجاب وغيره. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ: صلاة الله على النبي هي رحمته ورضوانه عليه، وصلاة  
 الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشريف وتعظيم لشأنه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾: أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم  
 تسليمًا، وأعظمها أجرًا الصلاة الإبراهيمية وصيغتها هي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد  
 كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد  
 كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.  
 إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ  
 لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾﴾.

وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا: أي يرمونهم بأموال يوجهونها إليهم  
 تهماً وهم بغير ما اكتسبوا ما فعلوا ذلك.

فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥٨﴾: أي تحملوا كذبًا وذنبا بينا ظاهرا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ  
 وَبَنَاتِكَ﴾.

وَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ: أي يرخين على وجههن الجلباب حتى لا يبدو من  
 المرأة إلا عين واحدة، تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.

ذَلِكَ أَدْرَأَ أَنْ يُعْرِفْنَ: أي ذلك الإدناء من طرف الجلباب على الوجه أقرب فلا يؤذين.  
 فَلَا يُؤْذِنَنَّ: أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾: أي غفورًا لمن تاب من ذنبه، رحيمًا له بقبول توبته، وعدم  
 تعذيبه بذنب تاب منه.

﴿لَيْنٌ لَّرَبِّنَهُ الْمُتَنَفِّقُونَ: أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر.  
 وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا.

وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها، كقولهم: العدو على مقربة من المدينة، أو السرية الفلانية قتل أفرادها وما إلى ذلك.  
لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ : أي لنسلطنك عليهم ولنحرضنك بهم.  
ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ : أي في المدينة إلا قليلاً من الأيام ثم يخرجون منها أو يهلكون.

مَلْعُونًا أَيْنَمَا تُفْعَلُوا أَخْذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿١٧﴾ : أينما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تفتيلاً.  
سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية أينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تفتيلاً.

وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرا عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته.  
يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة، فاليهود سأله امتحاناً، والمشركون تكذيباً بها واستعجالاً لها.

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ : أي أجب السائلين قائلًا: إنما علمها عند ربي خاصة فلم يعلمها غيره.  
وَمَا يُدْرِيكَ : أي لا أحد يدريك أي يخبرك بها إذ علمها الله وحده.  
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿١٩﴾ : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام.  
إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي نازاً متسعة.  
خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا : أي مقدراً خلودهم فيها، إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها.  
﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ .

يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شويه يقرب في النار.  
يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا اطعنا الله واطعنا الرسولاً ﴿٢٢﴾ : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول.

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا : هذا قول الأتباع يشكون إلى الله سادتهم ورؤساءهم.  
فَاضْلَمْنَا السَّبِيلًا ﴿٢٣﴾ : أي طريق الهدى الموصل إلى رضا الله - ﷺ - بطاعته.  
رَبَّنَا إِنَّهُمْ جَعَلْنَاكُمْ مِثْلَهُمْ لَعْنًا غَبِيرًا ﴿٢٤﴾ : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا.  
وَالْعَنِيمَ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٢٥﴾ : أي أخزهم خزيًا متعدد المرات في عذاب جهنم.  
يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله.  
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو إسرائيل مع موسى، آذوه بقولهم: إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر.  
فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا : أي أراهم أنه لم يكن به أدرة وهي انتفاخ إحدى الخصيتين.

وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٦﴾ : أي ذا جاه عظيم عند الله فلا يخيب له مسعى ولا يرد له مطلبًا.  
يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٧﴾ : أي صدقًا صائبًا.

يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ : أي الدينية والدنيوية إذ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال  
والفوز بشمارها. وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٦٨﴾ : أي نال غاية مطلوبه وهي: النجاة من النار ودخول  
الجنة.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية، وما ائتمنه عليه  
أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل.  
عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة  
تضييعها.

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ : أي آدم وذريته.  
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٦٩﴾ : أي لأنه كان ظلومًا أي كثير الظلم لنفسه، جهولًا بالعواقب.  
لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ :  
أي وتحملها الإنسان قضاءً وقدرًا ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات  
والمشركين والمشركات، ويتوب على المؤمنين والمؤمنات، فيغفر لهم ويرحمهم. ﴿وَكَانَ اللَّهُ  
عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾



## ٣٤ - سُورَةُ النُّجُومِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له.  
 الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتديباً.  
 وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان، كما له الحمد في الدنيا.  
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ : أي الحكيم في أفعاله، الخبير بأحوال عباده.  
 يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز.  
 وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا : أي من نبات وعيون ومعادن.  
 وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها.  
 وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت.  
 وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين.  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ : أي القيامة. ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَأَتِينَكُمُ عَلَيْهَا الْغَيْبُ﴾  
 لَا يَغْرِبُ عَنْهُ : أي لا يغيب عنه.  
 مِثْقَالَ ذَرَّةٍ : أي وزن ذرة: أصغر نملة. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ : أصغر من الذرة ولا أكبر منها.  
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه.  
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي أثبتة في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزى صاحبه.  
 أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ .  
 وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم.  
 مُعْجِزِينَ : أي مغالبن لنا ظانين عجزنا عنهم، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم ولا نحاسبهم ولا نجزيهم.  
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ جَزَاءِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ : أي عذاب من أقبح العذاب وأسوئه.  
 وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : أي ويعلم الذين أوتوا العلم وهم علماء أهل الكتب كعبد الله بن سلام وأصحابه.  
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى.

وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾: أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصل إلى رضا وجواره الكريم وهو الإسلام، والعزیز ذو العزة، والحمد المحمود.

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَىٰ جَهَةِ التَّعَجُّبِ.

هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ: أي محمد ﷺ.

يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرَقٍ: أي قطعتم كل التقطيع.

إِنِّكُمْ لَمَنِي خَلَقٍ حَكِيدٍ ﴿٧﴾: أي تبعثون خلقًا جديدًا لم ينقص منكم شيء.

أَفَرَأَيْتُمْ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ: أي جنون تخيل له بذلك.

بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾: أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو جنونه، بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب في الآخرة، وفي الضلال البعيد في الدنيا.

أَفَلَا تَرَوْنَ: أي ينظروا.

إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ: أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من كل جهة من السماء والأرض.

إِن شَاءَ نَحْصِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا: أي قطعًا جمع كسفة أي قطعة.

﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾. إِن فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ: أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم.

لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾: أي لكل مؤمن منيب إلى ربه رجاع إليه في أمره كله.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْيَ مَعَهُ﴾: أي وقلنا: يا جبال أوبي معه أي رجعي معه

بالتسبيح.

وَالطَّيْرِ: أي والطير تسبح أيضًا معه.

وَأَنَّا لَهُ الْخَدِيدُ ﴿١٠﴾: أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كيف يشاء.

أَن أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ: أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف.

وَقَدِيرٍ فِي السَّرْدِ: أي اجعل المسمار مناسباً للحلقة، فلا يكن غليظاً ولا دقيقاً، أي اجعل المسامير

مقدرة على قدر الحلق، لما يترتب على عدم المناسبة من فساد في الدرع وعدم الانتفاع

بها. ﴿وَأَعْمَلُوا صُلْحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١﴾.

وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ: أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من

الغداة إلى منتصف النهار مسيرة شهر، ورواحها من منتصف النهار إلى الليل شهر كذلك أي

مسافة شهر.

وَأَسْلَمْنَا لَهُ، عَيْنَ الْقَطْرِ: أي وأسلمنا له عين النحاس. ﴿وَمَنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾.

﴿وَمَن يَرْبِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا﴾: أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه. ﴿نَذِقْهُ مِّنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

(١) ﴿١٣﴾

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ : جمع محراب المقصورة تكون إلى جوار المسجد للتعبد فيها.  
وَتَمْثِيلٌ وَحَفَانٌ كَالْجَوَابِ : أي وقصاع في الكبر كالحياض التي حول الآبار تجبى إليها الماء.  
وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتٍ : أي وقدر كبار ثابتات على الأثافي لكبرها لا تحول. ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ﴿١٣﴾.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ : أي الأرضة.  
تَأْكُلُ مِنْ سَعَاتِهِ : أي عصاه.

فَلَمَّا حَرَ : أي سقط على الأرض ميتاً.

تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ : أي انكشف لها فعرفت.

أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ : وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ : أي لقد كان لقبيلة سبأ اليمانية في مسكنهم.

آيَةٌ : أي علامة على قدرة الله وهي. ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾.

بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ : أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها، والله رب غفور.

فَأَعْرَضُوا : أي عن شكر الله وعبادته.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ : أي سد السيل العرم. وَيَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ :

أي صحابتي أكل مُرٍ شبع وشجر الأثل. ﴿وَشَتَّى مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ﴿١٦﴾.

ذَلِكَ : أي التبديل. ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ﴾ ﴿١٧﴾.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا : هي قرى الشام مبارك فيها.

قُرَى ظَهْرَةَ : أي متواصلة من اليمن إلى الشام.

وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ : أي المسافات بينها مقدره بحيث يقبلون في قرية ويبيتون في أخرى.

﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم ﴿٢﴾.

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ : أي لمن جاء بعدهم أي أهلكتناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولاً بين

الناس.

(١) هذه الآية من أقوى الأدلة على أن أمر الرسول ﷺ هو أمر من الله تعالى وهي مطابقة لقول الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَمَا يَطِّعُ عَنِ الْأَمْرِ﴾ ﴿٢﴾، فإن الله تعالى قال في حق سليمان ﷺ: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: أي من لم يطع أمر سليمان ﷺ، فجعل أمر سليمان ﷺ من أمره سبحانه وتعالى، والآية تنطبق من باب أولى على رسول الله ﷺ والله أعلم (قل).

(٢) أي حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب، وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا راحل.

وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَجْمَعٍ : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ : أي صبار على الطاعات وعن المعاصي، شكور على النعم.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ : أي صدق ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فَاتَّبَعُوهُ : في الكفر والضلال والإضلال.

إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون، فإنهم لم يتبعوه وخاب

ظنه فيهم، زاده الله حبيبة إلى يوم القيامة.

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ : أي ولم يكن لإبليس من تسلط منا عليهم لا بعضاً ولا سيف

وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مَنَ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ : أي لكن أدنا له في إغوائهم - إن استطاع -

بالتزيين والإغراء لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل سوءاً<sup>(١)</sup>.

وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ، وسيجزى الناس بما

كسبوا.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته.

لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ : أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه.

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض.

وَمَا لَهُ مِن نَّمِرٍ مِّن ظَهيرٍ ﴿٢٢﴾ : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين على شيء.

وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ : أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها.

حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ : أي ذهب الفرع والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى.

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ : أي قال بعضهم لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم.

قَالُوا الْحَقُّ : أي في الشفاعة.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ : العلي فوق كل شيء علو ذات وقهر، وهو الكبير الذي كل شيء دونه.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : من السموات بإنزال المطر، ومن الأرض بإنبات

الزروع.

قُلِ اللَّهُ : أي إن لم يجيبوا فأجب أنت فقل : الله، إذ لا جواب عندهم سواه.

وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا

(١) ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب، فأما علم الغيب فقد علمه -تبارك

لعلى هدى أو في ضلال مبين، وقطعاً فالموحدون هم الذين على هدى والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تطلقاً بهم لعلهم يفكرون فيهدتوا.

قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَرْسَلْنَا : أي إنكم لا تسألون عن ذنوبنا.

وَلَا تُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ : أي ولا نسأل نحن عما تعملون، وهذا تلطف بهم أيضاً ليراجعوا أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ : أي قل لهم سيجمع: بيننا ربنا يوم القيامة ويفصل بيننا بالحق، وهذا أيضاً تلطف بهم وهو الحق. ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٥٦﴾ .

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّمُ بِهِ شُرَكَاءَ : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع الله، فإن أروه إياهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة عليهم وقال لهم: أتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم وما تعملون؟! .

كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٧﴾ : كلا: لن تكون الأصنام أهلاً للعبادة، بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله العزيز الحكيم.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بالعذاب. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾ .

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ : هو يوم القيامة ﴿لَا تَسْتَعْجِلُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ : أي من الكتب السابقة وهى التوراة والإنجيل. وَلَوْ نَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوتٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٦١﴾ .

يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ : أي يقول الأتباع كذا ويرد عليهم المتبعون بكذا وهو المبين في الآيات. ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا ﴿٦٣﴾ .

أَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْهُمُ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَهُمُ : أي ينكر المستكبرون وهم المتبعون أن يكونوا صدوا التابعين لهم عن الهدى بعد إذ جاءهم بواسطة رسوله.

بَلْ كُنْتُمْ تَجْرِمِينَ ﴿٦٤﴾ : أي ظلمة فاسدين مفسدين. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴿٦٥﴾ .

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماء وصفاته وما عنده وما لديه، ولا محابه ولا مكارهه.

(٢) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت، وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية.

(٣) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً هائلاً مدهشاً ومحيراً.

بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي جعلنا نكفر بالله.

إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا: أي شركاء نعبدهم معه فنناده بهم.  
وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ: أي أخفوها إذ لا فائدة منها، أو أظهروها أي أظهرها الندامة إذ أسر الندامة له معنيان أخفى وأظهر<sup>(١)</sup>.

وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي وجعلنا الأغلال جمع غُل: حديدة تجعل في عنق المجرم.

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾: أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: أي رؤساؤها المنعمون فيها من أهل المال والجاه. ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا: أي من المؤمنين. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ: أي امتحاناً أيشكر أم يكفر؟

وَيَقْدِرُ: أي يضيق ابتلاء أيصبر أم يسخط؟

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾: أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض.

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى: أي قربى بمعنى تقريباً.

إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا: أي لكن من آمن وعمل صالحاً هو الذي تقربه تقريباً. ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ﴾.

ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾: أي من المرض والموت وكل مكروه.

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِيءَ آيَاتِنَا: أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمة.

مُعْجِزِينَ: أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا فلم نعاقبهم. ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ

﴿٣٨﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴿٢﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ: أي من مال في

الخير. ﴿فَهُوَ يَخْلُقُهُ﴾.

وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقِ ﴿٣٩﴾: أي المعطين الرزق. أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده.

(١) الضمير في ﴿وَأَسْرُوا﴾ عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين، والمعنى أنهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيا لهم وذلك عقب المحاورة التي دارت بينهم، علموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم جدواها.

(٢) ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾، أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم: إن ربي جل جلاله يسطر الرزق لمن يشاء امتحاناً له لا لرضى عنه ولا لبعض له، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء له لا لبعضه ولا لمحبته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا: أي واذكر يوم نحشرهم جميعاً أي جميع المشركين.  
ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾: أي يقول تعالى هذا للملائكة تقريباً  
للمشركين وتوبيخاً لهم.

قَالُوا سُبْحَانَكَ: أي قالت الملائكة: سبحانك أي تقديساً لك عن الشرك وتزيهاً.  
أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ: أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرءون منهم.  
بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْغَيْبَ: أي الشياطين التي كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك  
عبادتهم لها. ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤٧﴾.

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ: أي لا يملك المعبودون للعابدين.  
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا: أي لا يملكون نفعهم فينفعوهم ولا ضرهم فيضرروهم.  
وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين.  
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٨﴾: أي كنتم في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو  
النار.

وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَسَاءَلُونَ: أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بينة الدلالة.  
قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ: أي ما محمد إلا رجل من الرجال.  
يُرِيدُ أَنْ يَبْصُرَكَ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ: أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لآلهتكم التي كان يعبدوا  
آبَاؤَكُمْ من قبل.

وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آيَاتُ مُفْتَرِيٍّ: أي إلا كذب مختلق مزور (يعنون القرآن).  
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾: أي ما هذا: أي القرآن إلا سحر مبين، أي محمد ساحر والقرآن سحر.  
وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا: أي يقرءونها فأباحت لهم الشرك وأذنت لهم فيه.  
وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٥٠﴾: أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم إلى الشرك.  
وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْسَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ: أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكتهم  
معاشر ما آتينا هؤلاء من الحجج والبيانات (١).

فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٥١﴾: أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، والجواب

(١) هذا على تفسير أن الضمير في قوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ عائذ على مشركي قريش. أما إن عاد الضمير إلى الأمم  
السابقة فالمراد القوة كما جرينا عليه في معنى الآيات. اهـ. قال الصابوني أثابه الله في «صفوة التفاسير»:  
﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْسَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي وكذب قبلهم أقوام من الأمم السابقين وما بلغ كفار مكة  
عشر ما آتينا الأمم التي كانت قبلهم من القوة والمال وطول العمر قال ابن عباس: ﴿وَمَعْسَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي من  
القوة في الدنيا (قل).

كان واقعا موقعه لم يخطئه بحال. ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ ﴾ .

مثنى : أي اثنين اثنين.

وَفُرْدَى : أي واحدا واحدا.

ثُمَّ نَفَّكَرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ : أي محمد ﷺ .

مِنْ جِنَّةٍ : أي جنون. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ .

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ : أي يلقي بالوحي الحق إلى أنبيائه. ويقذف الباطل بالحق

أيضا فيدمغه.

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ : أي وما يبدي الباطل هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا

أثر له.

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري.

وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ : أي سميع لما أقول لكم، قريب غير بعيد

فلا يتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه.

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرَعُونَ فَلَاقَ قَوْمَهُ : أي إذا فرغوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم من بل هم في

قبضتنا. ﴿ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٥١) .

وَقَالُوا ءَأَمَّا بِهِ ءَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَٰوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ (١) أي لما شاهدوا العذاب قالوا: أمنا

بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا؟ (التناوش) التناول من

مكان بعيد.

وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ : أي دهاهم اليوم في الدنيا

يقذفون بالغيب محمدا ﷺ بقواصم الظهر مرة يقولون: كاذب، ومرة: ساحر، ومرة: شاعر،

وأخرى: مجنون وكل هذا رجما بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه.

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم

الكفر والباطل.

إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَكِّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمثون

إلى شيء أبدا.



(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن؛ إذ الكل واجب الإيمان به، وقد كفروا

بالكل وكذبوا.

## ٣٥ - سُورَةُ قَطِيعٍ

«صكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد، ومقتضى الحمد ما ذكر بعد.  
فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خالقهما على غير مثال سابق (١).

جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا : أي جعل منهم رسلاً إلى الأنبياء كجبريل عليه السلام.

أُولَى الْأَجْنِحَةِ : أي ذوي أجنحة، جمع جناح كجناح الطائر. ﴿مَتْنٌ وَتِلْكَ وَرَبْعٌ﴾.

يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ : أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة (٢) جناح. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

مَا يَفْجَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا : من أرزاق، وخيرات، وبركات.

وَمَا مُمْسِكَ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ : أي الله. من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره ﷻ.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) : أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبير صنعته.

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ : أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم

في حرمكم.

هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكم.

مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو إذا فاعبدوه ووحده.

فَأَنفِ تَوَفُّكُونَ (٤) : أي كيف تصرفون عن توحيدكم مع اعترافكم بأنه وحده الخالق الرازق.

وَإِنْ يَكْذِبُونَ : أي يارسلونا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك.

فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ : أي فلست وحدك كذبت فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبروا من

قبلك.

وَالِلَّهِ تُرْجِعُ الْأُمُورَ (٥) : وسوف يجزي المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم. ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَبُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) : أي ولا يغرنكم بالله - أي في حلمه وإمهاله -

(١) والمراد بالسموات والأرض العالم كله.

(٢) جائز أن يكون في ملاحظة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن

والحظ الحسن كل هذا مذكور وداخل في العبارة فإنها عامة.

الغرور: أي الشيطان.  
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يغرركم به وأطيعوا ربكم ﴿١٦٦﴾  
 إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد.  
 لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦٧﴾ : أي ليؤول أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة.  
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٦٨﴾ : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في

الجنة، وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات.

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ : أي قبح عمله من الشرك والمعاصي (١)  
 فَرَأَاهُ حَسَنًا : أي رآه حسنًا زينًا لا قبح فيه. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾  
 فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم.  
 حَسْرَتٍ : أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم.  
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿١٦٩﴾ : وسيجزئهم بصنيعهم الباطل.  
 وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَعَابًا : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير.

فَسَقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ : أي لا نبات به.

فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع.

كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿١٧٠﴾ : أي البعث والحياة الثانية.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا : أي فليطلب العزة بطاعة الله؛ فإنها لا تنال إلا بذلك.

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ : أي إلى الله تعالى يصعد الكلم الطيب، وهو سبحانه الله، والحمد لله،

والله أكبر.

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع إلى الله.

وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ : أي يعملونها ويكسبونها. ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾ ﴿١٧١﴾ :

أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل.

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ : أي أصلكم وهو آدم.

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذرية آدم.

ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا : أي ذكراً وأنثى.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ : أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه.

(١) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل: إنهم اليهود والنصارى والمجوس، وسوء عمله معادة الرسول ﷺ، وقيل: إنهم الخوارج، وسوء عمله تحريف التأويل وقيل: الشيطان وسوء عمله الإغراء، وقيل: كفار قريش وهو الظاهر.

وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ : أي وما يطول من عمر ذي عمر طويل إلا في كتاب .  
وَلَا يُقْصِرُ مِنْ عُمُرِهِ : أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل . ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ  
سِيرٌ﴾ ١١ .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ : أي شديد العذوبة . ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ (١) وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ : أي شديد الملوحة .

وَمِنْ كُلِّ : أي ومن كل منهما .

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا : أي السمك .

وَتَسْتَخْرِجُونَ حَيْلَةً تَلْبَسُونَهَا : أي اللؤلؤ والمرجان .

وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ : أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر .

لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ : أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى .

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ : أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم .

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ : أي يدخل الليل في النهار فيزيد .

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ : أي يدخل النهار في الليل فيزيد .

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ : أي ذللها .

كُلٌّ بَحْرِيٌّ لِأَجْلِ مُسَمًّى : أي في فلكه إلى يوم القيامة . ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَزَقَكُمْ لَهُ الْمَلَأُ﴾ .

وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ : أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام .

مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (٢) ﴿١٣﴾ : أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهي بيضاء رقيقة . ﴿إِنْ

تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ﴾ .

وَلَوْ سَمِعُوا : أي فرضاً . ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ : أي يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم .

وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ : أي لا ينبتك أي بأحوال الدارين مثلي؛ فإني خبير بذلك عليم .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ : أي المحتاجون إليه في كل حال .

وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه، المحمود بأفعاله

وأقواله وحسن تدبيره؛ فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها .

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ : أي بدلاً عنكم .

(١) معنى ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ : أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإساعة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة .

(٢) جاء في القرآن ذكر النقيير والقطمير والفتيل، واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: أن النقيير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط في وسط النواة، وأن القطمير اللفافة البيضاء على النواة .

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌ ﴿١٧﴾ : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائز الوقوع.  
 وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى : أي في حكم الله وقضائه بين عباده أن النفس المذنبة الحاملة لذنوبها لا  
 تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى، بل كل وازرة تحمل وزرها وحدها<sup>(١)</sup>.  
 وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة.  
 إِلَى جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض  
 ذنوبها، حتى لو دعت ابنها أو أباه أو أمها فضلاً عن غيرهم، بهذا حكم الله ﷻ.  
 إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي لأنهم ما رأوه بأعينهم. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾  
 وَمَنْ تَزَكَّى : أي طهر نفسه من الشرك والمعاصي.  
 فَأَنبَأَ رَبُّكَ لِنَفْسِهِ : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتها عائدة عليه. ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾  
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكافر<sup>(٢)</sup> والمؤمن لا يستويان.  
 وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان.  
 وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُورُ ﴿٢١﴾ : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان.  
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ : فكذلك لا يستوي المؤمنون والكافرون. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ﴾  
 وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات.  
 إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.  
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا : أي بالدين الحق والهدى والكتاب.  
 وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ : أي سلف فيها نبي ينذرها. ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والأدلة الواضحة.  
 وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ : أي وبالصحف كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة  
 والإنجيل.

ثُمَّ أَخَذَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ تَكْبِيرُ ﴿٢٦﴾ : أي فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك  
 والجواب: هو واقع موقعه والحمد لله. ﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾  
 فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا : أي كأحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره.  
 وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ : أي طرق في الجبال إذ الجدة: الطريق ومنه جادة الطريق.  
 بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضًا.

(١) وإن تدع مثقلة أي أحدًا إلى حملها.

(٢) قال القرطبي: الكافر والمؤمن والعالم والجاهل.

وَعَرَابِيْبُ سُودٌ <sup>(١)</sup> (٧٧) : منها الأبيض والأصفر والأسود الغريب.

وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَمِ : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود.

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ\* : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها.

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ\* : أي العالمين بجلاله وكماله، إذ الخشية متوقفة على معرفة المخشي. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨).

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ : أي يقرءونه تعبدًا به. ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾.

يَرْجُونَ نَجْرَةً لَّن تَكُورَ (٢٩) : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها. ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾.

إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) : أي غفور لذنوب عباده التائبين؛ شكور لأعمالهم الصالحة. وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ : أي القرآن الكريم.

هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ\* : أي من الكتب السابقة كالثورة والإنجيل. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْبَادُهُ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣١).

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ : أي الكتب التي سبقت القرآن إذ محصلها في القرآن الكريم. الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا\* : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد ﷺ.

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ\* : بارتكاب الذنوب.

وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ\* : مؤدٍ للفرائض مجتنب للكبائر.

وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ\* : مؤدٍ للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر.

يَأْذَنُ اللَّهُ\* : أي بتوقيفه وهدايته.

ذَلِكَ\* : أي إيراثهم الكتاب. ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (٣٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ\*.

وَلَوْلُؤًا\* : أي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب. ﴿وَلِيَأْسَئَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ\* (٣٤).

الَّذِي أَطْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ\* : أي الإقامة وهي: جنات عدن. ﴿لَا يَمَسُّنَهَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ : أي تعب.

وَلَا يَمَسُّنَهَا فِيهَا غُوبٌ\* (٣٥) : أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ

جَهَنَّمَ﴾.

(١) الغريب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير؛ إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب؛ إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غريب.

لَا يَبْقَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا: أي بالموت فيموتوا ويستريحوا. ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾  
كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٢٦﴾: أي كذلك الجزاء نجزي كل كافر بنا وبآياتنا ولقائنا.  
وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا: أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها يقولون: أي في عويلهم  
وصراخهم.

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا: أي منها. ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾  
أَوَّلُهُ نَعْمَرَكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ: أي وقتًا يتذكر فيه من تذكر.  
وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ: أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصي <sup>(١)</sup>. ﴿فَذُوقُوا فَمَا  
لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٢٨﴾  
إِنَّهُ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾: أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال  
الحياة.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقًا فِي الْأَرْضِ: يخلف بعضهم بعضًا، والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره.  
فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ: أي وبال كفره.

وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا: أي إلا غضبًا شديدًا عليهم من الله <sup>(٢)</sup>.  
وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٠﴾: أي في الآخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة.  
قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني.

شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي تعبدون من غير الله وهي: الأصنام.

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي: أي جزء منها خلقوه؟  
أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ: أي أم لهم شركة في خلق السموات <sup>(٣)</sup>. ﴿أَمْ أَلْبَسْتَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ  
مِّنْهُ﴾ ﴿٣١﴾

بَلْ إِنْ يَعِدُّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٣٢﴾: أي باطلاً إذ قالوا: إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم  
القيامة وتقربنا إلى الله زلفى.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: أي منعهما من الزوال.

وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عَدْوَةٍ: أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده ليعجزه عن ذلك.  
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٣٣﴾: أي حلِيمًا لا يعجل بالعقوبة، غفورًا لمن ندم واستغفر.

(١) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب [على خلاف] وما في التفسير أصح.

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف  
أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وإنزال المطر.

(٣) أي ما آتينا هؤلاء المشركين كتابًا يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بيته بصحة الشرك، والجواب:  
ومن أين لهم الكتاب الذي يبيح الشرك؟

وَأَسْمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَبْجَأَ هُمْ نَذِيرٌ : أي رسول.  
لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إْحْدَى الْأُمَمِ : أي اليهود والنصارى.  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ : أي محمد ﷺ.

مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ : أي مجيئه إلا تباعدًا عن الهدى ونفرة منه.

أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ : أي الشرك والمعاصي.

وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴿٤١﴾ : أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له.

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ : أي سنة الله فيهم وهي: تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه (٢).  
فَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّتَ اللَّهِ تَبْدِيلًا : أي فلا يبدل العذاب بغيره.

وَلَنْ يَجْدَلَ سُنَّتَ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ : أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً : أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسلكم.

وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ : أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه. ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾

إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ (٣) : أي عليماً بالأشياء كلها، قديرًا عليها كلها.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا : أي من الذنوب والمعاصي.

مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبَةٍ : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي: كل (٤)

ذي روح

وَلَا يَكُن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي يوم القيامة (٥).

فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيرًا كان أو شرًا.



(١) حاق. به: أحاط والحق الإحاطة روي أن كعبًا قال لابن عباس: إني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال: اقرأ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ومن أمثال العرب: «من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً» وجملة لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٢) السنة: الطريقة، والجمع سنن.

(٣) أي هب أنكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفاً في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وذلك لعلمه وقدرته، إذن فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم.

(٤) قال ابن مسعود: يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة: وقد فعل ذلك زمن نوح ﷺ، قال ابن جرير: هنا الناس وحدهم وهو كذلك.

(٥) قال مقاتل: الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل: هو يوم القيامة؛ ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ.

## ٣٦ - سُورَةُ يَسِينَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا ياسين، والله أعلم بمراده به.

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) : أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضًا بعجيب النظم وبديع المعاني.

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) : أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام.

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) : أي القرآن (١) تنزيل العزيز ممن كفر به، الرحيم بمن تاب إليه.

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة.

فَهُمْ عَظُمُونَ (٦) : أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال.

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُمَّةً : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال.

فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْقَانِ : أي أيديهم مجموعة إلى أذقانهم، والأذقان: جمع ذقن وهو: مجمع اللحيين.

فَهُمْ مُّقَمَحُونَ (٨) : أي رافعو رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيرًا، ولا يدعون برءوسهم إلى حق. ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾.

فَأَعْيَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون.

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم.

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ : أي القرآن.

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع (تنزيل) أما على قراءة النصب فالتقدير: اقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو امدح التنزيل.

(٢) وجائز أن يكون هذا بيانًا لحالهم في النار يوم القيامة، ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسياق يؤكد.

وَحَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ : أي بالجنة دار النعيم والسلام.  
 إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ ﴿١﴾ : أي نحن رب العزة نحْيِي الموتى للبعث والجزاء.  
 وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم، وآثارهم أي خطاهم إلى  
 المساجد وما استن به أحد من بعدهم.

وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ : أي في اللوح المحفوظ.

وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا : أي واجعل لهم مثلًا.

أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ : أي أنطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم.

إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ : أي رسل عيسى ﷺ.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ : أي قوبنا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث

وهو حبيب بن النجار. ﴿فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن

شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَنَا لِمَكْرَمَتِكَ لِمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينِ ﴿١٧﴾ : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي: إبراء

الأكمة، والأبرص، والمريض، وإحياء الموتى ( بإذن الله ).

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ : أي تشاء منا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسبيكم. ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا

لنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ : أي شؤمكم معكم وهو كفركم بربكم.

أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ : أي وعظمتم وخوفتم تطيرتم، وهذا توبيخ لهم.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ : أي من أقصا دور المدينة وهي أنطاكية العاصمة.

رَجُلٌ : أي جاء حبيب النجار صاحب يس.

يَسْعَى : أي يشتد مسرعًا لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل عيسى الثلاثة.

قَالَ يَتْلُوا آيَاتِ اللَّهِ أَنْتُمْ مُّرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ : أي رسل عيسى ﷺ.

أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا : اتبعوا من لا يطلبكم أجرًا على إبلاغ دعوة الحق.

وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ : أي الرسل إنهم على هداية من ربهم ما هم بكذابين.

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي : أي خلقتني. ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ﴾ : أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من شاء من الكفار، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْتَانَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾. (قل).

(٢) لئن لم تنتهوا من دعاكم بأنكم رسل إلينا بترك آلهتنا لنرجمنكم بالحجارة ولیمسنكم منا عذاب اليم.

ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ: أي بمرض ونحوه. ﴿لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا﴾.

وَلَا يُنْقِذُونَ ﴿٢٢﴾: أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره.

إِنِّي إِذْ أَلْفَيْ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾: أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدتها لفي ضلال مبين.

إِنِّي ءَأَمْسُتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾: أي صارح قومه بهذا القول وقتلوه.

قِيلَ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ: قالت له الملائكة عند الموت: ادخل الجنة.

قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾: قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة.

يَمَّا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾: وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ: أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية.

مِنْ بَعْدِهِ: أي من بعد موته.

مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ: أي من الملائكة لإهلاكهم.

وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾: أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك.

إِنْ كَانَتْ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَوَاحِدَةً: أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام.

فَإِذَا هُمْ خَنِيمٌ ﴿٢٩﴾: أي ساكتون لا حراك لهم ميتون.

يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ<sup>(٢)</sup>: أي يا حسرة على العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية التألم،

والعباد هم: المكذبون للرسول الكافرون بتوحيد الله.

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾: هذا سبب التحسر عليهم.

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ: أي ألم ير أهل مكة المكذبون للرسول ﷺ. ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ

لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾.

وَإِنْ كُلُّ لَمَمًا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾: أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة

لحسابهم ومجازاتهم.

وَأَيُّهُ لَمَمٌ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ: أي على صحة البعث ووجوده لا محالة.

أَحْيَيْنَاهَا: بإنزال المطر عليها فأصبحت حية بالنبات والزرع. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ: أي بساتين. ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾.

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ: أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقته.

(١) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين.

(٢) الحسرة شدة الندم مشوبًا بتلهف على نفع فائت.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾: أي أفيرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف محزٍ منهم.  
 سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا: أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأنصاف كلها.  
 وَمِمَّا تَبَيَّنَتِ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ: أي الذكور والإناث.  
 وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾: من المخلوقات كالتي في السماء وتحت الأرضين.  
 وَآيَةٌ لَهُمْ الْآيَةُ الَّتِي نَسَخَ مِنْهَا النَّهَارَ: وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار: أي نزيل  
 النهار عن الليل.

فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾: أي بالليل.  
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا: أي مكان لا تتجاوزه<sup>(١)</sup>.  
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾: أي جريها في فلكتها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه، العليم بكل  
 خلقه.

وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي: ثمان وعشرون منزلة<sup>(٢)</sup>.  
 حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في  
 الشماريخ، وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر.  
 لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ: أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر  
 فيجتمعان في الليل.

وَلَا الْآيَةُ سَابِقُ النَّهَارِ: أي بأن يأتي قبل انقضائه.  
 وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلك يسبحون أي  
 يسيرون، والفلك: دائرة مستديرة كفلكة المغزل هو مجرى النيرين والكواكب السيارة<sup>(٣)</sup>.  
 وَآيَةٌ لَهُمْ: أي علامة لهم على قدرتنا على البعث.  
 أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ: أي ذريات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان<sup>(٤)</sup>. نجينا ذرياتهم لأنهم

(١) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمأل أي يصير أمرها فتؤول إلى  
 مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس  
 «أتدري أين تذهب؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن  
 فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع في  
 مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾».

(٢) جائز أن يكون قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بها بمنزلة وهي: السرطان...

(٣) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وجيء بضمير الجمع وهما اثنان الشمس  
 والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشم الكواكب أيضاً.

(٤) لفظ الذرية أساساً يطلق على الأولاد وأطلق هنا على الآباء والأجداد؛ إذ الكل ذرية لآدم ﷺ، والمشحون

مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون.

فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف.

وَمَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ: أي من مثل فلك نوح. ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾.

إِنْ شَأْنُكُمْ فَلَا صِرَاحَ لَهُمْ: أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم. ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾.

إِلَّا حِمَّةً مِّنَّا مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾: أي وتمتعوا لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ: أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة.

وَمَا خَلَفَكُمْ: أي من عذاب الآخرة إذا أصررتهم على الكفر والتكذيب. ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾.

وَمَا تَأْتِيهِمْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ مِنْ آيَاتٍ رَبِّهِمْ: أي وما تأتيهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبينه

من بيناته الدالة على توحيد الله وصدق الرسول.

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾: غير ملتفتين إليها ولا مباليين بها.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا: أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: أنفقوا علينا.

مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ: أي من المال.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ: أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم:

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه!؟

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾: أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي أنتم عليه.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾: أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه.

مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً: أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي: نفخة إسرافيل.

تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾: أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَةً: أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية.

وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾: بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو

المقاهي والملاهي.

وَيُفِيخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ: أي القبور.

إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾: أي يخرجون بسرعة.

قَالُوا بُولَيْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَّوَدَّعٍ: أي قال الكفار: من بعثنا من قبورنا؟

هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ: أي هذا ما وعده الرحمن.

(١) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن؛ لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريح.

(٢) جائر أن يكون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ إلخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم

صرحوا بالحقيقة التي كان يكذبون بها فاعترفوا قائلين: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥١﴾.

وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ : أي فيما أخبروا. ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ فَأَلِيمُ لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ .

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء، وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام.

فَكَهِونَ : أي ناعمون بالتلذذ بالنعيم وذلك لطيب العيش. ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ .

فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِهِونَ ﴿٥٦﴾ : أي على الأسرة ذات الحجلة.

لَهُمْ فِيهَا فَكِهِةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ : أي ما يتمنون ويطلبون.

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ : أي سلام بالقول من رب رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه

وتعالى.

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾ : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها

الصالحون إلى الجنة.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَبيَ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ : أي ألم أوصكم بترك عبادة الشيطان وهي

طاعته.﴾ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ .

وَأَنْ أَعْبُدُونِي : أي وبأن تعبدوني وحدي وذلك في كتبي وعلى السنة رسلي.

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن هو الإسلام الموصل

إلى دار السلام.

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقًا كثيرًا.

أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ : أي أطمعتموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم.

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ : أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم.. إلخ. ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ

بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ .

الْيَوْمَ نَحْتِمُ عَلَى أَقْوَاهُمْ : أي عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين. ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ

أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ .

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لفعلنا،

ولكننا لم نشأ ذلك رحمة منا.

فَأَسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ فَإِنَّ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ : أي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون.

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾: أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في أمكتهم التي هم فيها فلا يستطيعون مضياً ولا يرجعون. وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ: أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفاً عاجزاً.

أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾: أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم، فتؤمنون وتوحدون، فتنجون من العذاب وتسعدون.

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ: أي وما علمنا رسولنا محمداً ﷺ الشعر فما هو بشاعر. وَمَا يَنْبَغِي لَهُ: أي وما يصلح له ولا يصح منه.

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٧٩﴾: أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلا ذكر، أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر؛ لما يظهر من الحقائق العلمية.

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا: أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون.

وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٠﴾: أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين؛ لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا: الأنعام هي الإبل والبقر والغنم. ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ

﴿٨١﴾

وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ: أي سخرناها لهم وجعلناها قاهرين لها يتصرفون فيها.

فِيهَا رُكُوعُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٨٢﴾: أي من بعضها يركبون وهي: الإبل، ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون.

وَهُمْ فِيهَا مَنفَعٌ وَمَشَارِبٌ: المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان.

أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٨٣﴾: أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى هذه النعم بالإيمان والطاعة.

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٤﴾: أي أصناماً يعبدونها زعمًا منهم أنها تنصروهم

بشفاعتها لهم عند الله.

لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ: أي لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم.

وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٨٥﴾: أي لا يقدر على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند

محضرون لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسخها أحد بسوء، فبدل أن تنصروهم هم ينصرونها كجند معبئين لنصرتها.

فَلَا يَخْزِنَاكَ قَوْلُهُمْ: أي إنك لست مرسلًا وإنك شاعر وكاهن ومفتر.

إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ : أي إنهم ما يقولون ذلك إلا حسدًا وهم يعلمون أنك رسول الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق.

أَوْلَتِ بَرَائِئِنَا سُنُّنُ : أي المنكر للبعث كالعاص بن وائل السهمي وأبي بن خلف.

أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ : أي من مني إلى أن صيرناه رجلًا قويًّا.

فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ : أي شديد الخصومة بينها في نفي البعث.

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا : أي في ذلك، إذ أخذ عظمًا وفته أمام رسول الله ﷺ وقال أيحيي ربك هذا؟

وَنَسِيَ خَلْقَهُ : أي وإنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلًا يخاصم، فالقادر على الخلق الأول

قادر على الثاني.

قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رِيمٌ ﴿٧٨﴾ : أي قد رمت وبليت. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ

بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ .

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا : أي من شجر المرخ والعفرار يحك أحدهما على الآخر

فتشتعل النار. ﴿فَإِذَا أَنْشَرْتَهُ يُتُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿

بِقَدْرِ عَلِيٍّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ : أي مثل الأناسي.

بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق

الناس.

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا : أي خلق شيء وإيجاده. ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ .

فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ : أي ملك كل شيء، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك

واتساعه.

وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة.





**الباب السادس  
من سورة الصافات  
حتى سورة الحجرات**



## ٣٧ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنتها في الهواء.
- فَالرَّجْرَجَاتِ رَجْرًا ﴿٢﴾ : أي الملائكة تزر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله.
- فَالنَّايِبَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ : أي فالجماعات التاليات للقرآن ذكراً.
- إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد.
- رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي هو رب السموات والأرض وما بينهما، أي خالقهما ومالكهما ومدبر الأمر فيهما.
- وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ : أي والمغرب وهي مشارق الشمس ومغربها إذ للشمس كل يوم مشرق ومغرب. ﴿إِنَّا رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا رِيشَةَ الْكُوكَبِ ﴿٦﴾﴾
- وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ : أي وحفظناها حفظاً من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة.
- لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلِهَا الْأَعْلَى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العليا.
- وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ : يرمون بالشهب من كل جوانب السماء.
- دُخُورًا : أي إبعاداً لهم.
- وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ : أي دائم لا يفارقهم.
- إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب.
- فَأَنْبَعَهُ، شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخلبه أي يفسده.
- فَأَسْتَفِينَهُمْ : أي استخبر كفار مكة تقريراً وتوبيخاً.
- أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا : أي خلقهم من ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.
- إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ : أي يلصق باليد.
- بِكَلِّ عَاجِبٍكَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ : أي عجبك يا نبي الله من إنكارهم للبعث وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به.
- وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ : أي إذا وعظوا لا يتعظون.
- وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقرر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون: أي يستهزئون. ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَّاهٌ وَمِنَّا وَكَأَنَّا نُرَايَا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَعْمُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْهَابًا وَأَنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾

قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾: أي قل لهم يا رسولنا: نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء.  
فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا هُمْ  
يَنْظُرُونَ﴾ ﴿١٩﴾.

وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٢٠﴾: أي يوم الحساب والجزاء. ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢١﴾.

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي أنفسهم بالشرك والمعاصي.

وَأَزْوَاجَهُمْ: أي قرنائهم من الشياطين. ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢﴾.

مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي من غير الله من الأوثان والأصنام.

فَأَهْدُوهُمْ: أي دلوهم وسوقوهم.

إِلَى صِرَاطٍ الْحَجِيمِ ﴿٢٣﴾: أي إلى طريق النار.

وَفَقُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾: أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسئولون عن جميع أقوالهم

وأفعالهم.

مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴿٢٥﴾: أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا كما كنتم في الدنيا تويحًا لهم. ﴿بَلْ هُمْ

الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَ لَوْ ﴿٢٧﴾.

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾: أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل، وتحسنون له الشر

فتأمرونه ﴿٣﴾.

قَالُوا بَلْ لَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾: أي قال قرنائهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساسًا

مؤمنين.

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ: أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل.

بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾: أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على

ذلك.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا: أي وجب علينا العذاب.

(١) جائز أن يكون ﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ من قول الله تعالى والملائكة لهم، وجائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

(٢) وفسر أزواجهم أيضًا بأشياعهم وقرنائهم وهم من الجن وما في التفسير أولى.

(٣) اضطرب أهل التفسير في تفسير ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٢٨﴾ وأقوالهم متضاربة: فمنهم من قال: تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة، ومنهم من قال: ﴿الْيَمِينِ﴾؛ بمعنى: القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق، وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه أنكم تأتوننا من كل جهة تحاولون إغواءنا وإضلالنا.

إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ : أي العذاب نحن وأنتم.

فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ : أي أضللناكم إنا كنا ضالين.

فَأَنَّهُمْ بِرُؤُوسِهِمْ يَوْمَئِذٍ : أي يوم القيامة.

فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين.

إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين

والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد.

إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم الرسول.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ : أي قولوا: لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون

ولا يوحدون.

وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا هَٰؤُلَاءَ الْهَيْتَةَ الشَّاعِرِ كَحُنُونِهِمْ : يعنون محمداً ﷺ.

بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ : أي بل جاء به «لا إله إلا الله» وهو الحق الذي جاءت به الرسل

وقد صدقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد. ﴿إِنكُرُوا لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ .

وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ : أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده، فإنهم يجزون

بأكثر أعمالهم إذ الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ : أي في الجنة بكرة وعشياً.

فَوَرَكَةٌ : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه؛ فليس هو لحفظ أجسامهم حية

كما في الدنيا.

وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئاً، بخلاف أهل النار يقال لهم:

ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون.

﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّقْبِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾ .

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مِائَةٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ : أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على

الأرض.

بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِيِّينَ ﴿٤٦﴾ : أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين.

لَا فِيهَا غَوْلٌ : أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُرْفَعُونَ ﴿٤٧﴾ : أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا.

وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الطَّرْفِ : أي لا ينظرون إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن.

عِينٌ ﴿٤٨﴾ : أي واسعات الأعين، الواحدة عيناء.

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ : أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غبار ولا غيره.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي أقبل أهل الجنة.

يَسْأَلُونَ ﴿٥٠﴾ : أي عما مر بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ : أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر.

يَقُولُ أَهْلُكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ : أي يقول تبكيئًا لي وتوبيخًا أي بالبعث والجزاء. ﴿أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا﴾ .

أَيُّهَا الْمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ : أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكارًا وتكذيبًا.

قَالَ هَلْ أُنْتَهُمُ مُّظْلَعُونَ ﴿٥٤﴾ : أي معي إلى النار لنتظر حاله وما هو فيه من العذاب.

فَأَطَاعَ فِرْعَاوْنُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ : أي في وسط النار.

قَالَ تَاللَّهِ إِن كُذِّبَتْ لَرْدِي ﴿٥٦﴾ : أي قال هذا تسميتًا به، ومعنى ترددين : تهلكني.

وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ : أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها.

أَمَّا نَحْنُ بِمَبَئِثٍ ﴿٥٨﴾ : أمخلدون فما نحن بمبئثين، والاستفهام للترديد أي نعم.

إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى : التي ماتوها في الدنيا. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ .

لِيُثَلِّ هَذَا فَيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ ﴿٦١﴾ : أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل

العاملون، وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئات.

أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نزلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره.

أَمْ شَجَرَةُ الزُّرْقِومِ ﴿٦٢﴾ : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعمًا ومرارة.

إِنَّا جَعَلْنَا هَافِسَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ : أي امتحانًا واختبارًا لهم في الدنيا وعذابًا لهم في الآخرة.

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتنا.

طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ : أي ما يطلع من ثمرها أولًا كالحيات القبيحة المنظر. ﴿فَأَنهَمُ

لَا يَكُونُونَ مِنْهَا قَائِلُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ .

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ : أي بعد أكلها يسقون ماء حميمًا فذلك الشوب أي الخلط.

ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِأَلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ .

إِنَّهُمْ الْقَوَاءُ آبَاءُ هُمْرَ صَالِينَ ﴿٦٩﴾ : أي وجدوا آباءهم ضالين.

فَهُمْ عَلَى عَاقِبِهِمْ مُّهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ : أي يسرعون مندفعين إلى أتباعهم بدون فكر ولا زوية. ﴿وَلَقَدْ صَلَّ

قَبْلَهُمْ أَكْثَرَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٧١﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ : أي رسلاً منذرين لهم من العذاب.

فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُّسْذِرِينَ ﴿٧٣﴾ : إنها كانت عذابًا أليمًا لإصرارهم على الكفر.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُّخْطِئِينَ ﴿٧٤﴾ : فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا.

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا: أَي قَالَ: إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ مِنْ سُورَةِ الْقَمَرِ (١).  
 فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥): أَي لَهُ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَكْنَا الْكَافِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ.  
 وَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ أَلْكُرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦): أَي عَذَابِ الْغُرُقِ بِالطُّوفَانِ.  
 وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧): إِذْ عَامَتِ النَّاسَ كَانُوا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثٌ.  
 وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨): أَي أَبْقَيْنَا عَلَيْهِ ثَنَاءً حَسَنًا عِنْدَ سَائِرِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ.  
 سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩): أَي سَلَامٌ مَنَا عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ أَي فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَ.  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠): أَي كَمَا جَزَيْنَا نُوحًا بِالذِّكْرِ الْحَسَنِ وَالسَّلَامِ فِي الْعَالَمِينَ نَجْزِي  
 الْمُحْسِنِينَ. ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١).

ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٨٢): أَي كَفَارَ قَوْمَهُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ إِنْجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّفِينَةِ.  
 ﴿وَإِن مِنْ شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣): وَإِنْ مِنْ أَشْيَاعِ نُوحٍ عَلَى مِلَّتِهِ وَمِنْهَا جَاهُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ  
 ﷺ.

إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤): أَي أَتَى رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ مِنَ الشُّرْكِ وَالشُّكِّ وَالِاتِّفَاتِ إِلَى غَيْرِ  
 الرَّبِّ ﷻ.

إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥): أَي حِينَ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمَهُ الْمُشْرِكِينَ أَي شَيْءٍ تَعْبُدُونَ؟  
 أَفِيكُمُ إِلَهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦): أَي كَذِبًا هُوَ أَسْوَأُ الْكُذْبِ تَرِيدُونَ آلِهَةً غَيْرَ اللَّهِ.  
 فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧): أَي شَيْءٌ هُوَ؟ أَتُرُونَ أَنَّهُ لَا يَسْخَطُ عَلَيْكُمْ وَلَا يَعْاقِبُكُمْ فَتَعْبُدُونَ  
 غَيْرَهُ وَهُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨): أَي إِيْهَا مَا لَهُمْ إِذْ كَانُوا يُؤَلِّهُونَ النُّجُومَ.  
 فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩): أَي عَلِيلٌ ذُو سَقَمٍ وَهُوَ الْمَرَضُ وَالْعَلَّةُ.  
 فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠): أَي رَجَعُوا إِلَى مَا هُمْ فِيهِ وَتَرَكُوهُ قَابِلِينَ عِزَّهُ.  
 فَرَأَى إِلَاءَ الْهَنِيمِ: أَي مَالٍ إِلَيْهَا خَفِيَّةٌ. ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢).  
 فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرًى بِأَلْيَمِينِ (٩٣): أَي بِقُوَّةِ يَمِينِهِ فَكَسَرَهَا بِفَأْسٍ وَحَطَمَهَا.  
 فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ زُرُوفًا (٩٤): أَي يَمْشُونَ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ.  
 قَالَ أَعْبُدُونِ مَا نَعْبُدُونَ (٩٥): أَي مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَخْشَابِ وَالْمَعَادِنِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.  
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦): أَي وَخَلَقَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ أَصْنَامٍ وَكَوَاكِبِ.  
 قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْخَمِيرِ (٩٧): وَأَمَلُوهُ حَطْبًا وَأَضْرَمُوا فِيهِ النَّارَ فَإِذَا التَّهَبَ فَأَلْقُوهُ فِيهِ.  
 فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨): أَي الْمَقْهُورِينَ الْخَائِبِينَ فِي كَيْدِهِمْ إِذْ نَجَّى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ.

(١) نص الآية: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ (١).

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿١١١﴾ : أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبد فيه فلا أمتنع فيه من عبادته.

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ : أي ولدًا من الصالحين.

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له.

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر على العمل كسبع سنين فأكثر. ﴿فَكَالَ بَيْتِي إِنِّيَأْرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُ﴾ .

فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ٥ : أي من الرأي الرشيد. ﴿فَقَالَ يَا بَتِ أَفَعَلِ مَا تَأْمُرُ﴾ .

سَخَّطُكُمَا إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ : أي على الذبح الذي أمرت به.

فَلَمَّا أَسْلَمَا : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد، وانقادا له.

وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١١٥﴾ : أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض، ولكل إنسان جبينان

أيمن وأيسر والوجهة بينهما. ﴿وَوَدَّيْنَهُ أَنْ يَأْتِيَاهُمَا﴾ . ﴿١١٤﴾

قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا : أي بما عزمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلى منى، وصرعه على

الأرض، وإمرار السكين على حلقه. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ .

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١١٦﴾ : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم.

وَوَدَّيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ : أي كبش كبير.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٨﴾ : أي أبقينا عليه ثناء وذكرًا حسنًا فيمن جاء بعده من الناس. ﴿سَلَّمَ

عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١٩﴾ كذلك نجزي المحسنين ﴿١٢٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ٥ : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتى إن عامة الأنبياء من

ذريتهما. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ ﴿١٢٣﴾ .

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾ : أي بالنبوة والرسالة.

وَجَعَلْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا : أي بني إسرائيل.

مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٥﴾ : أي استعباد فرعون إياهم واضطهاده لهم.

وَنَصَّرْنَاهُمْ : على فرعون وجنوده. ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ .

وَهَدَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٧﴾ : أي التوراة، الموضح الأحكام والشرائع <sup>(١)</sup>.

وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٨﴾ : أي الإسلام لله رب العالمين.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ : أي أبقينا عليهما في الآخريين ثناء حسنًا.

(١) موسى أوتي الكتاب أصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى عليه السلام.

سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٣٠﴾ : أي سلام منا على موسى وهارون.  
 إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ : أي كما جزيناها نجزي المحسنين من عبادنا  
 المؤمنين.

إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ : أي جزيناها بما جزيناها به لإيمانها.  
 وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ : إلياس هو أحد أنبياء بني إسرائيل من سبط هارون، أرسله الله  
 تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ .

أَنْدَعُونَ بَعْلًا : أي صنمًا يسمى بعلًا.  
 وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٣٥﴾ : أي وتركون عبادة الله أحسن الخالقين.

اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٣٦﴾ .

فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٣٧﴾ : أي في النار.

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٨﴾ : أي فإنهم نجوا من النار.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٩﴾ : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرًا حسنًا.

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٠﴾ : أي سلام منا على إيلياس. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤١﴾﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾ .

وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٣﴾ : أي وإن لوطًا وهو ابن هاران أخي إبراهيم الخليل لمن جملة  
 الرسل أيضًا.

إِذْ جَاءَتْهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٤﴾ : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطًا إذ  
 نجيناه وأهله أجمعين من عذاب مطر السوء.

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ : أي إلا امرأته الكافرة أهلكت في الغابرين: أي الباقين في العذاب.

ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٤٦﴾ : أي أهلكنا الآخرين ممن عدا لوطًا والمؤمنين معه.

وَإِنَّكُمْ لَمَعْرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٤٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ﴿١٤٨﴾ : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل

والنهار.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤٩﴾ : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعضون فتؤمنوا وتوحداوا.

وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥٠﴾ : أي وإن يونس بن متى الملقب بذي النون لمن جملة المرسلين.

إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٥١﴾ : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب.

فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٥٢﴾ : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين.

فَالْتَمَتَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٥٣﴾ : أي ابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه. ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ ﴿١٥٤﴾﴾ .

كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٥٥﴾ : أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء.

لَلَّيْلِ فِي بَطْنِهِ ۖ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٥٦﴾ : أي لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ : أي فألقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض بالساحل.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ (١٤٥) : أي عليل كالفرخ الممتوف الريش.

﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ مِّن يَّطِينٍ﴾ (١٤٦) : أي الدباء: القرع.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١٤٧) : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون بكذا ألف.

﴿فَاتَمَّوْا فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (١٤٨) : أي فأمن قومه عند معاينة أمارات العذاب فأبقاهم الله إلى

آجالهم.

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ : أي استخبر كفار مكة توبيخاً لهم وتقريعاً.

﴿أَرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) : أي فيختصون بالأفضل الأشرف. ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾

﴿إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ (١٥٠) .

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ (١٥١) : من إفكهم ليقولون. ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ : أي لقولهم: الملائكة بنات

الله. ﴿وَلِيَهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (١٥٢) .

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ (١٥٣) : أي اختار البنات على البنين. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) (١).

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥) : أي أن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦) : أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون..

﴿فَأْتُوا بَكْتُمُوهُ﴾ : أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم كتاب؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٥٧) .

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَاسًا﴾ : إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) : أي في العذاب.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) : أي تنزيهاً لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٦٠) : أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

﴿فَانكُرُوا مَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) : أي من الأصنام. ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾ (١٦٢) (٢).

﴿إِلَّا مَن هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣) : أي مقدر له عذاب النار.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه.

﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) : أي أقدامنا في الصلاة.

﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الْمُنسِخُونَ﴾ (١٦٦) : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ﴾ (١٦٧) : أي كفار مكة.

(١) والمعنى أي شيء حصل لكم؟

(٢) ما أنتم بمضلين أحداً إلا أحداً هو صال الجحيم.

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾: أي كتابًا من كتب الأمم السابقة. ﴿لِكُلِّ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾. فَكَفَرُوا بِهِ: أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن. فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾: أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحداوا. وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا: هي قوله تعالى: ﴿لَا غَلْبَ لَنَا أَنَا وَرُسُلُنَا﴾. ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ

﴿١٧٢﴾

وَأَن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾: أي للكافرين بالحجة والنصرة. فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَرَبًا حَتَّىٰ يَجِئَ الْوَعْدَ الَّذِي لَهُمْ ﴿١٧٤﴾: أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال (١). وَأَبْصِرْهُمْ: أي أنظرهم. ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾. فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ: أي العذاب. ﴿فَسَاءَ صَبَاحَ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾. وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾: أي أعرض عنهم. وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾. سُبْحَانَ رَبِّكَ: أي تنزيهاً لربك يا محمد. ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٨٠﴾: أي تنزيهاً له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك. وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾: أي أمنة من الله لهم في الدنيا والآخرة. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾: أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه.



(١) كإذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلهم، أو يأتي يوم بدر أو الفتح.

## ٣٨ - سُورَةُ صَّٰدٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب [ص] ويقرأ صاد، الله أعلم بمراده به.  
 وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ : أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى، ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر، وشاعر، وكاذب<sup>(١)</sup>.  
 بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ﴿٢﴾ : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة؛ فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه.  
 كَرِهْنَا أَمْ لَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ مَفْرُونًا ﴿٣﴾ : أي كثيرًا من الأمم الماضية أهلكتناهم.  
 فَتَادُوا وَأَنبَتُوا وَآتَى السَّمَاءَ مَنَاصِبَ ﴿٤﴾ : أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة.  
 وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ﴿٥﴾ : أي وما اعتبر أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ.  
 وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٦﴾ : أي لما يظهره من الخوارق، ولما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال.

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴿٧﴾ : أي لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: كيف يسع الخلاق إله واحد؟  
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٨﴾ : أي جعل الآلهة إلهًا واحدًا أمر عجيب.  
 وَأَنْطَلِقُ لِمَالِهِمْ أَنْ آمَسُوا : أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ وسمعوا منهم قوله لهم: لا إله إلا الله.  
 وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٩﴾ : أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منا تنفيذه.

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْأُخْرَىٰ : أي ملة عيسى ﷺ.  
 إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ﴿١٠﴾ : أي ما هذا إلا كذب مختلق.  
 أَمْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا : أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف.  
 بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي : أي بل هم في شك من القرآن والوحي؛ ولذا قالوا في الرسول ما قالوا.

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه: منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفًا له في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل: ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه، وقيل: الموعظة وقيل: فيه أسماء الله وتمجيده.

بَلْ لَمَّا يَدُوُّوا عُنَابٍ ﴿٨﴾ : أي بل لما لم يذوقوا عذابي، إذ لو ذاقوه ما كذبوا بل آمنوا ولا ينفعهم إيمان.

أَمْرَعْنَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ : أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا.

أَمْ لَهُمْ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي ليس لهم ذلك.

فَلْيَرْتَفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ : أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنى لهم ذلك؟!

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ : أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر.

وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ : أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ : أي قبل هؤلاء المشركين من قريش.

وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ : أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه (١).

وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ : أي الغيضة وهم قوم شعيب. ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾ .

إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ : أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه.

فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ : أي وجبت عقوبتي عليهم.

وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا الْأَصْحَابُ وَوَجِدَةٌ : هي نفخة إسرافيل في الصور نفخة.

مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ : أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شيء.

وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٌ لَنَا قَدْ قُتِلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ : أي صك أعمالنا لنرى ما أعددت لنا؛ إذ القبط الكتاب.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ : أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى.

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ : أي رجع إلى الله في كل أموره.

إِنَّا سَخَرْنَا آجِلًا مَعَهُ، يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ : أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب، والإشراق

من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى.

وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً : أي والطيور مجموعة. ﴿كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ .

وَسَدَدْنَا مَلَكُوتَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ : أي وأعطينا داود الحكمة. وهي: الإصابة في

الأمر والسداد فيها، وفصل الخطاب: الفقه في القضاء، ومن ذلك البيعة على المدعي واليمين

على من أنكر (٢).

(١) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام؛ لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يدق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها.

(٢) من بين ما ذكره ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَصَّلَ﴾ وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من قال [أما بعد] داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو فصل الخطاب، وكذا قال الشعبي: فصل الخطاب: أما بعد (قل).

﴿ وَهَلْ أَنتَكَ : الاستفهام هنا للتعجب: أي حمل المخاطب على التعجب.

نَبَأُ الْحَصَمِ : أي خبر الخصم الغريب في بابه العجيب في واقعه.

﴿ إِذْ سَوَّرُوا الْيَحْرَابَ ﴾ (١٦) : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول مع الباب فقصدوا سوره ونزلوا من أعلى السور. ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾.

حَصَمَانِ بَعِي بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ : أي تعدى بعضنا على بعض.

فَأَحْكُمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكم.

وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (١٧) : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق (١).

﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي : أي على ديني في الإسلام. ﴿ لَهُ تِسْعٌ وَشَعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا ﴾ : أي

اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكيها.

وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ (١٨) : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني.

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَى نَجَاحِهِ ﴾ : أي بطلب نعتك وضمها إلى نعاجه.

﴿ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخُلَطَاءِ لَسَبْتُهُمْ عَلَى بَعْضٍ : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضًا. ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾.

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ : أي أيقن داود أنما فتنته ربه أي اختبره.

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (١٩) : أي طلب المغفرة من ربه بقوله: أستغفر الله، وسقط

ساجدًا على الأرض، وأناب أي رجع تائبًا لربه. ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّثَابٍ ﴾ (٢٠) : أي وحسن مرجع. عندنا وهي الجنة والدرجات العلا

فيها.

﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ : أي خلفت من سبقك، تدبر أمر الناس بإذنا.

﴿ فَأَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهي.

﴿ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى.

﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّاءُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (٢١) : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا : أي عبثًا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق.

﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي ظن أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثًا لا لحكمة مقصودة

منها ظن الذين كفروا.

(١) سواء الصراط أي وسط الطريق، وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق.

قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ : أي من وادٍ في النار بعيد غوره كريحه لا يطاق. ﴿أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٣٨﴾ .

كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ : أي لا تفارقه البركة يجدها قارنه والعامل به والحاكم بما فيه.

لِيَذَبُوا ءَابَتِيهِ وَيَسْتَكْرِهُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾ : أي ليتعظه به أصحاب العقول الراجحة.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ : أي ومن جملة هباتنا لداود الأواب أن وهبنا له سليمان ابنه.

يَعْمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ ءَوَّابٌ ﴿٤٠﴾ : أي سليمان أي رجاع إلى ربه بالتوبة والإنابة.

إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ ﴿٤١﴾ : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث، الجياد

أي السوابق.

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي: صلاة العصر؛

لانشغاله باستعراض الخيل للجهاد.

حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٤٢﴾ : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين.

رُدُّوهَا عَلَيَّ : أي ردوا الخيل التي استعرضتها أنفًا فشغلتنني عن ذكر ربي.

فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٤٣﴾ : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل وأعناقها.

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ : أي ابتليناه.

وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا : أي شق ولد ميت لا روح فيها<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ أَنَابَ ﴿٤٤﴾ : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه. ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ .

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي : أي أعطني ملكًا لا يكون لسواي من الناس. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٤٥﴾﴾ .

فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره.

تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٤٦﴾ : أي لينة حيث أراد.

وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٤٧﴾ : أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في

البحر.

وَالْآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٨﴾ : أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون

المظلمة، وذلك إذا تمردوا وعصوا أمرًا من أوامره<sup>(٢)</sup>.

(١) نص الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعًا فلم تحمل منه إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وإيم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون». [والحديث في الصحيح].

(٢) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَالْآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾، أي موشوقون في الأغلال، والأكبال ممن تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى، أو قد أساء في صنيعه واعتدى (قل).

هَذَا عَطَاؤُنَا: أي وقلنا له: هذا عطاؤنا.

فَأَمَّنْ أَوْ أَمْسِكَ: أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.

بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٣): أي منالك.

وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى: أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.

وَحَسَنَ مَنَابٍ (٢٤): أي مرجعاً في الجنة في الدرجات العلاء.

وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا أَيُّوبَ: أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾.

يَنْصَبِ وَعَدَابٍ (٢٥): أي بضر وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سبباً، وتادباً مع الله تعالى.

أَرْكُضَ بِرِجْلِكَ: أي اضرب برجلك الأرض تتبع عين ماء.

هَذَا مَغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٢٦): أي قلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفي. ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ

وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

وَخَذَ بِيَدِكَ ضَعْفًا: أي حزمة من حشيش يابس.

فَأَضْرِبْ بِهِ. وَلَا تَحْنَثْ: بترك ضربها.

إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ: أي أيوب عليه السلام.

إِنَّهُ أَوْابٌ (٢٧): أي رجاع إلى الله تعالى.

وَأَذْكَرَ عَبْدَنَا: أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة. ﴿إِنزِهِمْ وَأَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

أُولَى الْأَيْدِي: أي أصحاب القوى في العبادة.

وَالْأَنْصَارِ (٢٨): أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم.

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَ الدَّارِ (٢٩): أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها.

وَلِيَتَّبِعُهُمُ الْغَايَةُ لِيُنْفِقُوا مِنْهَا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٣٠): أي من المختارين، الأخيار جمع خير. ﴿وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ

وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

هَذَا ذِكْرٌ: أي لهم بالشثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا.

وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ: أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات.

لِحَسَنٍ مَنَابٍ (٣١): أي مرجعاً أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاة. ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْرُوحَةٍ لَهُمْ فِي الْأَوْثَابِ

﴿٣١﴾

مُتَّكِنِينَ فِيهَا: أي على الأرائك.

يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٣٢): أي يطالبون فيها بفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام

والشراب، إيذاناً بأن طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا.

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرَفِ ﴾ : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرون إلى غيرهم.  
 ﴿ أَرْبَابٌ ﴾ (٥٢) : أي أسنانهم متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة. ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٥٢).  
 ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ فَنَاءٍ ﴾ (٥٤) : أي ليس له انقطاع أبدًا.

هَذَا : أي المذكور للمتقين.

﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِيْنَ ﴾ : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد.

﴿ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ (٥٥) : أي جهنم يصلونها.

﴿ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمِنْ لَمَّهَا ﴾ (٥٦) : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي.

هَذَا قَلِيدٌ وَوُفُوهُ : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه.

﴿ حَمِيمٌ ﴾ : أي ماء حار محرق.

﴿ وَعَسَافٌ ﴾ (٥٧) : أي قيع وصديد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار.

﴿ وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَجَلِهِمْ أَزْوَاجًا ﴾ (٥٨) : أي وعذاب آخر كالحميم والغساق أصناف.

هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ : أي يقال لهم عند دخولهم النار: هذا فوج مقتحم معكم.

﴿ لَا مَرْجَا بِيَوْمٍ ﴾ : أي لا سعة عليهم ولا راحة لهم. ﴿ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ (٥٩).

﴿ قَالُوا ﴾ : أي الأتباع للطاغين. ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجِبَاءُ كَذَبْتُمْ وَقَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسِّرُ الْفَرَارَ ﴾ (٦٠).

﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا ﴾ : أي الأتباع أي من كان سببًا في عذابنا هذا في جهنم. ﴿ فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا

﴿ فِي النَّارِ ﴾ (٦١).

﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا ﴾ : أي قال الطاغون وهم في النار: ما لنا لا نرى رجالًا؟

﴿ كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴾ (٦٢) : أي في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب.

﴿ أَنْتَخَذْنَهُمْ سِحْرِيًّا ﴾ : أي كنا نسخر منهم في الدنيا.

﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ (٦٣) : أي أمفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم.

﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (٦٤) : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل

النار.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ﴾ : أي يا رسولنا لمشركي قومك أي مخوف من عذاب الله.

﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٦٥) : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار.

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٦٦) : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده، الغفار

للتائبين من عباده.

﴿ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴾ (٦٧) : أي قل يا رسولنا لكفار مكة: القرآن نبي عظيم وخبر جسيم.

﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ (٦٨) : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه.

﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّائِلِ بِالْأَعْلَى: أَي بِالْمَلَائِكَةِ عِنْدَمَا سُورُوا فِي خَلْقِ آدَمَ <sup>(١)</sup> . ﴾ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ يُوْحَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنَا أَنْذِرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: أَي اذْكَرْ لَهُمْ تَدْلِيلًا عَلَىٰ أَنَّهُ يُوْحَىٰ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ. إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾: أَي خَالَقَ آدَمَ مِنْ مَادَّةِ الطِّينِ، وَقِيلَ فِيهِ بَشَرٌ؛ لِبَدْوِ بَشَرْتِهِ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي: الرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَسْرِي فِي الْجِسْمِ سَرِيانَ النَّارِ فِي الْفَحْمِ أَوْ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ أَوْ الْكَهْرِبَاءِ فِي الْأَسْوَاقِ. ﴿فَقَعُوا لَهُ، سَجْدِينَ ﴿٧٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

إِلَّا إِبْلِيسَ: أَي لَمْ يَسْجُدْ.

أَسْتَكْبَرَ: عَنِ السُّجُودِ لِآدَمَ كِبْرًا وَحَسَدًا لَهُ. ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾﴾. قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي: أَي لِلَّذِي خَلَقْتَهُ بِيَدِي وَهُوَ: آدَمُ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى شَرَفِهِ.

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ <sup>(٢)</sup> ﴿٧٥﴾: أَسْتَكْبَرْتَ الْآنَ أَمْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ مِنَ الْعَالِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّفْرِيعِ لِإِبْلِيسَ. ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾. قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا: أَي مِنَ الْجَنَّةِ. فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾: أَي مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ. وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾: أَي طَرَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحَقُّهُ لَعْنَةٌ وَهِيَ الطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ: أَي الْجِزَاءُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٦﴾: أَي آخِرَ مَوْتِي وَأَبْقِ عَلَيَّ حَيًّا إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ أَي النَّاسَ. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧٧﴾﴾. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾: أَي إِلَى النَّفْخَةِ الْأُولَى وَهِيَ نَفْخَةُ الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعْرِضَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ ﴿٨٣﴾: أَي الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِلْإِيمَانِ بِكَ وَعِبَادَتِكَ وَمَجَاوَرَتِكَ فِي الْجَنَّةِ. ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾. قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى الْبَلَاغِ أَجْرًا تَعْطُونَهُ لِي. وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨٦﴾: أَي الْمُتَقَوْلِينَ الْقُرْآنَ، وَمَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي.

(١) وهو ما ذكر في الآيات من ٧١: ٨٥ والتي تتكلم عن قصة آدم عليه السلام (قل).

(٢) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل؛ فلذا امتنعت من السجود لآدم ﷺ.

إِنَّهُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين.  
وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد  
للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين.



## ٣٩ - سُورَةُ الزُّمَرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ: أي القرآن.

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾: أي العزيز في ملكه وانتقامه، الحكيم في صنعه وتدبير خلقه. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾.

مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾: أي مفردًا إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحدًا.

الَّذِينَ آمَنُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ: أي شركاء وهي: الأصنام.

مَا عَبَدْتَهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى: أي تقريبًا وتشفع لنا عند الله. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾: أي كاذب أي: على الله، كفار بعبادته غير الله تعالى. ﴿لَوْ رَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَسْتَأْذِنُ﴾.

سُبْحَانَكَ: أي تنزيهاً له عن الولد والشريك.

هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾: أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه،

القهار لخلقهِ.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ: أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو والعبث.

يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ: أي يدخل أحدهما في الآخر، فإذا جاء الليل

ذهب النهار والعكس كذلك.

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى: أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما

إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض. ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَ﴾.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ: هي آدم ﷺ.

ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِجَالًا: هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر.

وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ الْعُشْبَ: فخلق الأنعام فهذا وجه لانزالها.

تَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ: أي من الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ومن الضأن اثنين، ومن المعز اثنين.

يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ : أي أطوارًا طور بعد طور نطفة فعلقه فمضغه .

فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة . ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ .

لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ : أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل ، وعن الهدى إلى

الضلال ؛ إن أمركم عجب . ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (١) .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى .

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ .

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره .

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانُ أَي الْمَشْرُكُ .

ضُرٌّ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه .

دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ : أي سأل ربه كشف ما أصابه من ضر راجعًا إليه معرضًا عن سواه .

ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ : أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضر .

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ : أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله ﷻ .

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا : أي شركاء .

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ : أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام .

قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا : أي قل يا نبينا لهذا الكافر الضال المضل تهديدًا : تمتع بكفرك بقية

أجلك .

إِنَّكَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ : أي أهلها المتأهلين لها يخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم .

أَمَّنْ هُوَ قَنْتِ عَائِدَةُ أَلَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا : أي مطيع لله أثناء الليل أي ساعات الليل ساجدًا وقائمًا في

الصلاة . ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ : أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيرة .

قُلْ يَتَعَبَّدُونَ لِلَّذِينَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى .

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا : أي أحسنوا العبادة .

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ : أي الجنة .

وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً : أي فهاجروا فيها لتمكنوا من عبادة الله إن منعتهم منها في دياركم . ﴿إِنَّمَا يُوفِي

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢) .

(١) ﴿رَضَهُ لَكُمْ﴾ : عائد على الشكر (قل) .

(٢) قال ابن كثير رَضَهُ : (قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفًا، وقال ابن جريج: بلغني أنه

لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزدون على ذلك، وقال السدي: يعني في الجنة) (قل) .

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ : أَي أَمَرَنِي رَبِّي ﷻ .

أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ : أَي مَفْرَدًا إِيَّاهُ بِالْعِبَادَةِ . ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ﴾ .

أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ : أَي أَوَّلَ مَنْ يَسْلَمُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَيَتَقَادُ لِلَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ فِيهَا .

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ : أَي عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْ : أَي يَا رَسُولَنَا لِلْمُشْرِكِينَ .

اللَّهُ أَعْبُدُ : أَي لَا أَعْبُدُ مَعَهُ سِوَاهُ .

مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ : أَي مَفْرَدًا إِيَّاهُ بِطَاعَتِي وَانْقِيَادِي .

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ : أَي إِنْ أَبَيْتُمْ أَيَّهَا الْمَشْرُكُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ وَحْدَهُ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ

الْأَوْثَانِ فَإِنَّكُمْ خَاسِرُونَ .

قُلْ إِنْ أَخْسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ : أَي فَحَرَمُوا الْجَنَّةَ وَخَلَدُوا فِي النَّارِ .

وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَي الْحُورُ الْعِينُ اللَّائِي كُنَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لَوْ آمَنُوا وَاتَّقُوا بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ

وَتَرَكَ الْمُنْهَيَاتِ . ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾ .

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ : أَي دُخَانٌ وَلَهَبٌ وَحَرٌّ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِهِمْ .

ذَلِكَ : أَي الْمَذْكُورُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .

يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ . يُعْبَادُونَ فَاتَّقُونَ ﴿١٦﴾ : أَي يَأْمَنُ أَنَا خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَمَالِكُهُمْ وَمَا يَمْلِكُونَ ،

فَلِذَلِكَ اتَّقُوا بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا : أَي تَرَكَوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ .

وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ : أَي بِالْإِيمَانِ بِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ فِيهَا .

لَهُمُ الْبُشْرَى : أَي بِالْجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْقَبْرِ وَعِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْقُبُورِ . ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ .

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ : أَي أَوْفَاهُ وَأَكْمَلَهُ وَأَقْرَبَهُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى . أُولَئِكَ

الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴿١٨﴾ .

وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ : أَي الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ .

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ : أَي وَجِبَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ .

أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ : أَي تَخْلُصُهُ مِنْهَا وَتُخْرِجُهُ مِنْ عَذَابِهَا .

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ : أَي خَافُوهُ فَآمَنُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ مَوْحِدِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ .

لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ .

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : أَي مِنْ خِلَالِ قُصُورِهَا وَأَشْجَارِهَا .

وَعَدَّ اللَّهُ : أَي وَعَدَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَّاهُمْ فَهُوَ مَنْجِزُهُ لَهُمْ . ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ ﴿٢٠﴾ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ : أَي أَدْخَلَهُ فِي الْأَرْضِ فَصَارَ جَارِيًا

تحتها ينبع منها فكان بذلك ينابيع.  
 ثُمَّ يُخْرَجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ: أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر، وأنواعه من بر وشعير  
 وذرة.

ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا: أي يبسس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرًا.  
 ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا: أي فتاتًا متكسرًا.  
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾: أي إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون  
 حطامًا تذكريًا.

أَمَّنْ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ: أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد.  
 فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ: أي فهو يعيش في حياته على نور من ربه وهو معرفة الله وشراعه.  
 قَوْلٌ لِلنَّبِيِّ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ: ويل كلمة عذاب، للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن  
 به ولم تعمل بما فيه. ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٧﴾  
 اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا: هو القرآن الكريم.  
 مُتَشَابِهًا: أي يشبه بعضه بعضًا في النظم والحسن وصحة المعاني.  
 مَثَافِي: أي نثى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام.  
 نَفْسُهُرٌ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ: أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر  
 وعيده.

ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ: أي تطمئن وتلين.  
 إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ: أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من نعيم مقيم. ﴿ذَلِكَ  
 هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مِن هَادٍ﴾ ﴿١٨﴾  
 أَمَّنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن  
 آمن، وسوء العذاب أي أقساه وأشدّه.

وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ: أي المشركين في جهنم.  
 ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿١٩﴾: أي جزاء كسبكم الشر والفساد.  
 كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: أي من قبل أهل مكة.  
 فَأَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾: أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه، أو من حيث لا  
 يخطر ببالهم.

فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ: أي المسخ والذل والإهانة. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾  
 وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾: أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا.  
 وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من

الأمم السابقة.

لَعَلَّهُمْ يَنْذَرُونَ ﴿١٧﴾ : أي يتعظون فيترجروا عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى الإيمان والتوحيد.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ : أي حال كون المثل المجعول قرآنًا عربيًّا لا لبس فيه ولا اختلاف، فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه. ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِرَجُلًا فِيهِ شِرْكَةٌ﴾  
مُتَشَكِّسُونَ : أي متنازعون لسوء أخلاقهم.

وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ : أي خالصًا سالمًا لرجل لا شركة فيه لأحد.

هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا : الجواب لا. الأول في تعب وحيرة، والثاني في راحة وهدوء بال.

الْحَمْدُ لِلَّهِ : أي على ظهور الحق وبطلان الباطل. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

إِنَّكَ مَيِّتٌ : أي مقضي عليك بالموت في وقته.

وَأَنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ : أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصُّمُونَ ﴿٣١﴾ : أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء

فيحكم الله بينكم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد

والشريك.

وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ : أي بالقرآن والنبي والتوحيد والبعث والجزاء.

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ : أي مأوى ومكان إقامة ونزول.

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول

الله ﷺ.

أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي. ﴿لَهُمْ مَا

يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا : أي يسر الله لهم ذلك ويوفقههم إليه ليكفر عنهم

ذنوبهم. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ : بلى. هو كافٍ عبده ورسوله محمدًا ﷺ كل ما يهيمه.

وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ : أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك

ويضرك. ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ

﴿٣٧﴾ : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من عاداه. ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ : أي لوضوح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحججة.

قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني. ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ .

هَلْ هُنَّ مُّسَكِّنَاتُ رَحْمَتِهِ : والجواب: لا لا .

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ : ولا حاجة لي بغيره. ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ : أي على حالتكم التي أنتم عليها من الكفر والعناد .

إِنِّي عَمِلْتُ : أي على حالتني التي أنا عليها من الإيمان والانقياد. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ .

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط .

وَيُحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤١﴾ : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح، وهو عذاب النار بعد الموت .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ : أي أنزلنا عليك يا رسولنا القرآن بالحق أي ملتبساً

به. ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٤٢﴾ : أي ليس

عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان .

اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا : أي ينهي حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم .

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء مقبوض .

فِيَمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ : أي يقبضها لحكمه بالموت عليها حال النوم .

وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية

أجله <sup>(١)</sup> .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ : أي في قبض الأرواح وإرسالها والقدرة على ذلك ،

دلائل وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون .

أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ : أي أن كفار مكة لا يتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما أنكروا البعث ،

ولا اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك .

قُلْ أُولَٰئِكَ نَادُوا لِيَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ : أي قل لهم: أيشفع شركاؤكم لكم ولو كانوا

لا يملكون شيئاً، ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي: أصنام لا تملك ولا تعقل .

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا : أي أخبرهم أن جميع الشفاعات لله وحده، فشفاعة الأنبياء والشهداء

والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه. ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ

(١) المراد بالأنفس: الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات، ويطلق على الروح. قال ابن عباس

وغيره من المفسرين. إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها

الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه: فما

رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل

استقرارها في جسدها فلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

## تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ: أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ: لا إله إلا الله؛ نفرت نفوس المشركين، وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم.

وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ: أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالى. إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾: أي فرحون جذلون؛ وذلك لافتنائهم بها ونسيانهم حق الله تعالى وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم.

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: قل يا نبينا: يا الله يا خالق السموات والأرض. عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ: أي يا عالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار، والحواس، والشهادة خلاف الغيب.

أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾: أي من أمور الدين عقائد وعبادات. وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا: أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾: أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنون به. ﴿وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾.

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به. فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا: أي أصاب الإنسان الكافر ضرر أي: مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضره.

ثُمَّ إِذَا خَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مَتَّأ: ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما. قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ: قال أي ذلك الكافر: إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأنني أستحقه، أو على علم بوجود كسب المال حتى لا يحمده الله.

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ: أي تلك النعمة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنة واختباراً له. وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾: أي أن ما أعطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس رضا الله تعالى عنهم.

فَدَقَّلْنَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أي قال قولتهم من كان من قبلهم، كقارون فلم يلبثوا أن أخذوا. ﴿فَمَا آغَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ وَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا ﴿٥١﴾ أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ: أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي: من كفار قريش.

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا : أي كما أصاب من قبلهم، وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر<sup>(١)</sup>.

وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ : أي فأتين الله تعالى ولا غالبين له.  
أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ : أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله يبسط الرزق أي: يوسعه لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحاناً والتضييق ابتلاء لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمر خلقه.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ : أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي. لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ : أي لا تيأسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة. إِنَّ اللَّهَ بَغِيفُ الذُّنُوبِ جَمِيعًا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾.

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة<sup>(٢)</sup>.  
وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ : أي أخلصوا له أعمالكم. ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾<sup>(٣)</sup>.  
وَأَنْبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ : أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه. ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾.

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ : أي نفس الكافر والمجرم يا حسرتي أي ياندامتني.  
عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيري.  
وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ ﴿٥٨﴾.

لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ : أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذا من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل.

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَاكُءَ آيَاتِي : أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنى الهداية بل قد جاءك آياتي. ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٥٩﴾.

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي بأن يبعث الناس من قبورهم.

تَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه ﷻ.

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي.

(٢) الإجابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل بد ﴿إِلَى﴾.

(٣) النص: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.

(٤) هذه كلمة حق أريد بها باطل، كما قال علي للخوارج لما قالوا: لا حكم إلا لله.

وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ: أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم.

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾: أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى. إن لهم فيها لمثوى، بش هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى.

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا: أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي. بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾: أي يفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم

السوء أي العذاب، ولا يحزنون لما نالهم من النعيم. اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾.

لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي مفاتيح خزائن السموات والأرض.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾: أي الخاسرون لأنفسهم وأهلهم يوم القيامة.

قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾: قل يا رسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم

آلهتهم: أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه؟ فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون!

وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ: أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في

عبادته. ﴿لِيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ (١).

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾: أي بل اعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلا هو، وكن

من الشاكرين له على إناعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: أي ما عظموا الله حق عظمتهم، ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في

عبادته غيره من أوثانهم.

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أي والأرض بجميع أجزائها قبضته.

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ: أي والسموات السبع مطويات بيمينه.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾: أي تقدس وتنزه عما يشرك به المشركون من أوثان.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ: أي نفخ إسرافيل نفخة الصعق ﴿فَصَعَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾.

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى: أي مرة أخرى وهي: نفخة القيام لرب العالمين. ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

﴿٦٨﴾

(١) حبوط العمل بطلانه حيث لا يثاب عليه، والخسران مقيد بأن يموت على الردة، أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿وَمَن يَزِدْ دِينَكُمْ عَنْ دِينِهِ، قِيمَتٌ وَهُوَ كَاوٌ﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا: أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلّى لفصل القضاء. ووضِعَ الْكِتَابُ: أي كتاب الأعمال للحساب.

وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ<sup>(١)</sup>: أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم، والشهداء محمد وأمه. وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ: أي بالعدل.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ<sup>(٢)</sup>: لا ينقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم.

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ<sup>(٣)</sup>: أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا.

إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا: أي جماعات، جماعة المشركين وجماعة المجرمين، وجماعة الظالمين. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا﴾.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: أي الموكلون بالنار من الملائكة، الواحد خازن.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ: هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بُلَىٰ﴾.

وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>(٤)</sup>: أي وجب العذاب للكافرين. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ<sup>(٥)</sup>﴾.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ: أي وساق الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي

أطاعوه ولم يشركوا به. إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا<sup>(٦)</sup>.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا: أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت<sup>(٣)</sup> لاستقبالهم. ﴿وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْنًا فَاذْخُلُوهَا خَالِدِينَ<sup>(٧)</sup>﴾.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ: أي أنجز لنا وعده بالجنة.

وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ: أي أرض الجنة وصورة الإرث نظرًا إلى قوله تعالى في وعده لهم ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ

الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا<sup>(٨)</sup>﴾.

نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ: أي نزل من حيث نشاء.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (قل).

(٢) وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلى الجنة دار السلام زمراً زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات... فالزمر جمع زمرة وهو بفوج المتبوع بفوج آخر.

(٣) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب.

(٤) وجه الورث أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزلاً في النار «آخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار.

فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٧٦﴾ : أي الجنة.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ : أي محديقين بالعرش من كل جانب.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون: سبحان الله وبحمده.

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ : أي وقضى الله بمعنى: حكم بين جميع الخلائق بالعدل.

وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ : أي وقالت الملائكة والمؤمنون: الحمد لله رب العالمين على

استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.



## ٤٠ - سُورَةُ عَبَّاسٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَم (١) : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ: أي تنزيل القرآن كائن من الله.

الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) : أي الغالب على مراده، العليم بعباده ظاهراً وباطناً حالاً ومآلاً.

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ : أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته.

شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ : أي مشدد العقوبة على من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع على من آمن به وأطاعه (١).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ الْمَاضِي (٣) : أي لا معبود بحق إلا هو، إليه مرجع الخلائق كلها.

مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون.

فَلَا يَغْرُوكَ فَتَقْتُلُهُمْ فِي الْيَلْدِ (٤) : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وحمود وقوم لوط.

وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرِسْوَالِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل.

وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ : أي ليزيلوا به الحق ويطلوه.

فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) : أي كان واقعاً موقعه حيث أهلكهم ولم يبق منهم أحداً.

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) : أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا.

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ : أي الملائكة حملة العرش (٢).

وَمَنْ حَوْلَهُ : أي والملائكة الذين يحضون بالعرش من جميع جوانبه.

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ : أي يقولون: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، هذه صلاتهم وتسيبهم.

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة، وهـ، مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾.

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ: كيف لا وهم معه، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال لهم.  
 وَيَسْتَفْرِغُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي تربطهم به.  
 رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا: أي يقولون: يا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً.  
 فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ: أي فيما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك، فاعفر  
 للذين تابوا إليك فعبدوك ووجدوك، واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام.  
 وَفِيهِمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧﴾: أي احفظهم من النار فلا تعذبهم بها.  
 رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.  
 الَّتِي وَعَدْتَهُمْ: أي بقوله تعالى: إن الله يدخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري  
 من تحتها الأنهار.

وَمَنْ صَلَحَ مِنَ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك  
 والكفر. ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٨﴾.

وَفِيهِمُ الْمَسْكِينَاتُ: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم بها.  
 وَمَنْ تَوَلَّى الْمَسْكِينَاتِ يَوْمَئِذٍ: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.  
 فَقَدَرْتَهُ: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه.

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ: أي تناديهم الملائكة لتقول  
 لهم: لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم. والمقت أشد البغض.

إِذْ نَادَوْا إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾: أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعون  
 إلى الإيمان فتكفرون، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب.  
 قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْنَا آتَيْنِي: أي أمتنا مرتين، الأولى عندما كنا عدماً فخلقنا، والثانية  
 عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين: الأولى لما أخرجنا من بطون أمهاتنا أحياء  
 فهذه مرة، والثانية هذه بعد أن بعثنا من قبورنا أحياء.

فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا: أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك.  
 فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾: أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية،  
 لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك.

ذَلِكَ: أي العذاب الذي أنتم فيه.  
 بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ: أي بسبب أنه إذا دعى الله وحده كفرتم بالتوحيد. ﴿وَإِنْ  
 يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ﴿١٢﴾.

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ: أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم. ﴿وَيَبْرَأْكُمْ مِنْ

السَّمَاءِ رِزْقًا ﴿١٠﴾ .

وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١١﴾ : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده.  
﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴿١٣﴾ .

يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ : أي يلقي بالوحي من أمره.  
عَلَىٰ مَنْ يَسَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنَذِيرٍ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٤﴾ : أي لينذر من يوحى إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة.

يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر.  
لِمَنْ أَمْلَكُ الْيَوْمَ : أي لمن السلطان اليوم. ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿١٥﴾ الْيَوْمَ نُخَيِّرُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ .  
وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ : أي يوم القيامة.

إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ : أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر.

كَظْمِينَ : أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدرُوا.

مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٧﴾ : أي ليس للمشركين من محب قريبًا كان أو بعيدًا.  
يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ : أي الله تعالى يعلم العين إذا سرفت النظر إلى محرم. ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٨﴾ : أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمه من خير وشر.  
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ : أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق.

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا : أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلًا كان أو جورًا، لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١٩﴾ .

﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض.

فَيَنْظُرُوا : أي بأعينهم.

كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ : إنها كانت دمارًا وخسارًا ووبالًا عليهم.  
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا.  
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم.

وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢٠﴾ : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واقٍ يقيههم منه.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات.

فَكَفَرُوا : أي بتلك الحجج والآيات.

فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم.

إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ : هذا تعليل لأخذه إياهم.  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ : أي بحججنا وبرهان بين ظاهر.  
 إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَفِرْعَوْنَ : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين.  
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ : أي لما رأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا: ساحر كذاب دفعا  
 لقومهم حتى لا يؤمنوا به.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا : أي جاءهم موسى بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله  
 وطالبهم بإرسال بني إسرائيل معه.

قَالُوا أَتَقْتُلُونَا أَتَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ : أي اقتلوا الأولاد الذكuran.

وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ : أي بناتهم بمعنى اتركوهن حيات.

وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ : أي وما مكرهم إلا في خسران وضياع.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ : أي دعوني واطركوني وليدع ربه ليمنعه مني.

إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ : أي يغير عبادتكم لألهتكم لعبادة إلهه.

أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ : بالقتل والتخريب ونحوه.

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ : أي استجرت بخالقي وخالقكم.

مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب

والجزاء على الأعمال<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ : هو شمعان ابن عم فرعون.

أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ : أي لأن يقول: ربي الله؟ والرجل هو موسى عليه السلام.

وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ : أي بالمعجزات الظاهرات.

وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم<sup>(٢)</sup>.

وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا

عاجلاً غير آجل.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ : أي مسرف في الكفر والظلم، كذاب لا يقول الصدق

ولا يفوه به<sup>(٣)</sup>.

(١) ومعنى متكبر: أي متعظم عن الإيمان بالله.

(٢) لم يكن قوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ شكاً في صدق موسى وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدل والخصومة، وحذفت النون من ﴿يَكُ﴾ لكثرة الاستعمال.

(٣) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسى، وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون.

يَقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها.  
فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أولياءه.  
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى : أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل موسى.

وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٥٧١﴾ : أي إلا طريق الرشد والصواب.

وَقَالَ الَّذِينَ آمَنَ : أي مؤمن آل فرعون.

يَقَوْمِ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ﴿٥٧٢﴾ : أي عذابًا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح

وعاد وثمود.

مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُمًا لِلْعِبَادِ﴾ ﴿٥٧٣﴾.

وَيَقَوْمِ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٥٧٤﴾ : أي يوم القيامة، وقيل فيه يوم التنادي: لكثرة النداءات فيه إذ ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة.

يَوْمَ تُولَدُونَ مُدِيرِينَ : أي هارين من النار إلى الموقف. ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٥٧٥﴾.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق ﷺ من قبل مجيء موسى إليكم اليوم. ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقًّا إِذَا هَلَكَ﴾ ﴿٥٧٦﴾ أي مات عليه السلام فرحتم بموته.

فَلْتَمَرْنَا نَبْعَكَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا : أي قلتم هذا من دون دليل فبقيتم كافرين إلى اليوم.  
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم (١).

مُرْتَابٌ ﴿٥٧٧﴾ : أي شاك فيما قامت الحجج والبيانات على صحته.

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنتَهُمْ : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا : أي كبر جدالهم بالباطل مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا.

كَذَلِكَ يَطْعَمُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٥٧٨﴾ : أي مثل إضلالهم يطعم الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر.

(١) المسرف: المفرط في فعل أو قول ما لا خير فيه، والمرتاب: الشديد الريب أي الشك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنْ أَبْنِي لِي صَرْمًا: هَامَانُ وَزِيرُ فِرْعَوْنَ وَالصَّرْحُ الْبِنَاءُ الْعَالِي. ﴿لَعَلَّيْ أَتْلُغُ الْأَسْبَبَ﴾.

أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ: أَي طَرَفَهَا الْمَوْصَلَةَ إِلَيْهَا.  
فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا: أَي وَإِنِّي لَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي زَعْمِهِ أَنَّ لَهُ إِلَهًا غَيْرِي.

وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ: أَي قَبِيحُ عَمَلِهِ.

وَصُدَّعَنَ السَّبِيلَ: أَي عَن طَرِيقِ الْهُدَى.

وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾: أَي خَسَارٍ وَضِياعٍ بِلَا فَائِدَةٍ تَذَكَّرُ. ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورُوا تَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

يَنْقُورُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ: أَي مَا هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ يَتَمَتَّعُ بِهِ وَقَتًا ثُمَّ يَزُولُ.

وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفِكَارِ ﴿٣٨﴾: أَي الْاسْتِقْرَارُ وَالْبَقَاءُ الْأَبَدِي. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

يَرْزُقُونَ فِيهَا بغيرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾: أَي رِزْقًا وَاسعًا بِلَا تَبَعَةٍ وَلَا تَعْقِيبِ.

﴿وَيَنْقُورُوا مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى: أَي مِنَ الْخُسْرَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَذَلِكَ بِالْإِيمَانِ

وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٠﴾: أَي إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَذَلِكَ بِالْكَفْرِ وَالشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ. مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ: أَي لَا عِلْمَ لِي بِصِحَّةِ إِشْرَاكِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ

تَعَالَى.

وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤١﴾: أَي وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَعِبَادَةِ اللَّهِ الْعَزِيزِ أَي الْغَالِبِ

عَلَى أَمْرِهِ، الْغَفَّارِ لِلذُّنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

لَا جِرْهَ أِنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ: أَي حَقًّا أَنْ مَا تَعُدُّونَنِي إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَبِعِبَادَتِهِ.

لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ: أَي لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ حَقٌّ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَلَا دَعْوَةٌ اسْتِجَابَةٌ بِأَنَّ

يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ.

وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٢﴾: أَي وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ فِي الْكَفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي هُمْ

أَهْلُ النَّارِ الْوَاجِبَةُ لَهُمْ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفِيضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

﴿٤٤﴾.

فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَعِيَّاتِ مَا مَكَّرُوا: أَي فَحَفِظَهُ اللَّهُ مِنْ مَكْرِهِمْ بِهِ لِيَقْتُلُوهُ.

وَحَاقَ بِقَالَ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾: أَي عَذَابُ الْغُرُقِ إِذْ غُرِقَ فِرْعَوْنَ وَجُنْدُهُ أَجْمَعُونَ، وَمَعْنَى

حَاقَ: أَحَاطَ.

النَّارِ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحًا ومساءً.  
وَعَشِيًّا : وذلك أن أرواحهم في جوف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ : أي ويوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون. ﴿أشدَّ العذاب﴾ (٤٦).

وإذ يتحاجون في النار : أي وأنذرهم يوم الآزفة وإذ يتحاجون في النار أي يتخاصمون.  
فَيَقُولُ الضَّعِيفَتَا : أي الأتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في الشرك. ﴿للذين استكبروا﴾.

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه.  
فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) : أي فهل تدفعون عنا شيئًا من النار. ﴿قال الذين استكبروا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾.

إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) : فلا مراجعة أبدًا فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة فهم في الجنة، ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار.

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها.  
ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له. ﴿قالوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دَعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٥٠).

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي بأن نظهر دينهم، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك.

وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) : أي ونصرهم يوم يقوم الأشهاد<sup>(١)</sup> وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ. ﴿يوم لا يفتع الظالمين معذرتهم﴾.

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي الآخرة أي شدة عذابها.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة.  
وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان. ﴿هدى وذكرى لأولي الألباب﴾ (٥٤).

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي واصبر يا محمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك حق.

(١) الأشهاد: الملائكة والرسول ومؤمنو هذه الأمة.

وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ<sup>(١)</sup>: ليقصد بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتركية لنفسك.  
 وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: أي نزه ربك وقدس بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها.  
 بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ<sup>(٥٥)</sup>: بالمساء وأول النهار أي أوقات الصلوات الخمس كلها. ﴿إِنَّ  
 الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَعْرِضُونَ سُلْطَانًا عَلَيْهِمْ﴾

إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْقِيهِ: أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدل في  
 الحق لا أن لهم علماً يجادلون به، وإنما جبههم العلو والغلبة حملهم على ذلك.  
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ<sup>(٥٦)</sup>: أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم  
 العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم.

لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.  
 أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ: أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
 لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٥٧)</sup>: لانشغالهم بالباطل عن الحق.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ: لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان.  
 وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسُؤُءُ: لا يستويان أيضاً فكذلك لا يستوي الموقن  
 والشاك.

فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ<sup>(٥٨)</sup>: أي ما يتذكرون إلا تذكرًا قليلاً والتذكر الاتعاظ.  
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَا رَيْبَ فِيهَا: أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك  
 فيها. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥٩)</sup> وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ  
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي: أي عن دعائي.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ<sup>(٦٠)</sup>: أي صاغرين ذليلين.  
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ: أي تنقطعوا عن الحركة فتستريحوا.  
 وَالتَّهَارُ مُمْصَرً: أي مضيئاً لتمكنوا فيه من الحركة والعمل.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ<sup>(٦١)</sup>: أي الله تعالى بحمده والثناء  
 عليه وطاعته.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ: أي ذلك الذي أمركم بدعائه ووعدهم بالاستجابة الذي  
 جعل لكم الليل والنهار، وأنعم عليكم بجلالته النعم، الله ربكم الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم

(١) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه: قيل: ذنبه ﷺ الذي كان  
 قبل البعثة والعصمة، وقيل: ذنب أمته، وقيل: الصغائر، وخالفه الأول، وقيل: المراد هو تعبد الله رسوله  
 بالدعاء؛ إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

سواه.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَإِنِّي تُوفِّكُون ﴿١٦﴾ : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثان وأصنام لا تسمع ولا تبصر؟

كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿١٧﴾ : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين يجحدون بآيات الله، يصرفون عن الحق.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرًا : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير.

وَالسَّمَاءَ بَنَاءً : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكُم.

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم.

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ : أي تعظم وكثرت بركاته ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ : أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا في عباداته دعاء كان أو غيره.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾﴾ .

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون﴾ . ﴿لَمَّا

جَاءَ فِي الْبَيْتِ مِنْ رَبِّي﴾ .

وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِربِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته

مما ذكر من نطفة ثم من علقه. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ .

ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين. ﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ (١).

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم.

وَلَتَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلًا مسمى هو نهاية العمر المحددة

لكل إنسان.

وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقه إلى طفل إلى شاب إلى

كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته، فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له

فتكملوا وتسعدوا.

(١) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين.

هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ: أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً، ويميته عند نهاية أجله.

فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ: أي حكم بوجوده.

فَأَنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٨﴾: أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئاً قال

له: كن فهو يكون.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ: أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق

هادية إليه.

أَنَّهُمْ يُصِرُّونَ ﴿١٩﴾: أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين؟

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ: أي بالقرآن.

وَيَمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا: من وجوب الإسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان

بلقائه.

فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾: أي عقوبة تكذيبهم.

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٢١﴾: أي وقت وجود الأغلال<sup>(١)</sup> في أعناقهم يعلمون

عاقبة كفرهم وتكذيبهم.

فِي الْحَمِيمِ نُتَرَفَى فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٢٢﴾: أي يوقدون.

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ: أي يسألون هذا السؤال تبيكياً لهم وخزياً.

تُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي تعبدونهم مع الله.

فَالْوَأْسِلُ أَوَاعَتْنَا: أي غابوا عنا فلم نرهم.

بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً: أي أنكروا عبادة الأصنام، أو لم يعتبروا عبادتها شيئاً وهو

كذلك.

كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾: أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين.

ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ: أي بالشرك والمعاصي.

وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٢٥﴾: أي بالتوسع في الفرح، لأن المرح شدة الفرح. أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا.

فَاتَسَاءَ مَا تُمَكِّرِينَ ﴿٢٦﴾: أي دخول جهنم والخلود فيها بشئ ذلك مأوى للمتكبرين.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ: أي فاصبر يا رسولنا على دعوتهم متحملاً أذاهم فإن وعد ربك

بنصرك حق.

فَكَمَا مَثَرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعَهُمْ: أي من العذاب في حياتك. ﴿٢٧﴾ أَوْ تَوَقَّعْتَكَ فَاَلَيْتَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

(١) الأغلال جمع غل بضم الغين: حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعتق.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ: أَي ذَكَرْنَا لَكَ قِصَصَهُمْ وَأَخْبَارَهُمْ وَهُمْ خَمْسَةٌ وَعَشْرُونَ. ﴿٧٦﴾ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ ﴿٧٧﴾.

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: أَي لِأَنَّهُمْ عبيد مريبون لا يفعلون إلا ما يأذن لهم به سيدهم. ﴿٧٨﴾ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ ﴿٧٩﴾.

وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٨٠﴾: أَي هلك أهل الباطل بعذاب الله فحسروا كل شيء. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا: أَي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضًا. ﴿٨١﴾ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٢﴾.

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ: أَي من اللبن والنسل والوبر. وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ: أَي حمل الأثقال وأنفسكم من بلد إلى بلد، لأنها كسفن البحر. ﴿٨٣﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٤﴾.

وَيُرِيكُمُ آيَاتِهِ فَآيَ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨٥﴾: أَي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل الإنكار.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ: أَي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً وغرباً. فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ: أَي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب مدين. كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً.

وَأَشَارًا فِي الْأَرْضِ: أَي وأكثر تأثيراً في الأرض من حيث الإنشاء والتعمير. فَمَا آغَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٦﴾: أَي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية. فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ<sup>(١)</sup>: أَي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل بعينه. ﴿٨٧﴾ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٩﴾.

فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا: أَي عذابنا الشديد النازل بهم. ﴿٩٠﴾ سُنَّتَ<sup>(٢)</sup> اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٩١﴾.



(١) قال القرطبي: ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: قال مجاهد: إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا: نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل: فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقيل: الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة: مصدر سن يسن سنًا وسنة أي سن الله ﷻ في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب، وجائز أن يكون سنة منصوب الإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

## ٤١ - سُورَةُ فَضَلَاتٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ①: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حم، ويقرأ هكذا حاميم.

تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ②: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم.

كُتِبَ فَضَلَتْ أَيْتُهُ، فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا: أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ③: إذ هم الذين يتفعلون.

بَشِيرًا وَنَذِيرًا: أي مبشراً أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذراً المكذبين الكافرين

بالخسران. ﴿فَاعْرُضْ أَكْثَرَهُمْ﴾: أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش.

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ④: أي سماع تعقل وتدبر ليتفعلوا بما يسمعون.

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ: أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستتر.

مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ: أي ثقل فلم نطق السمع.

وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ: أي مانع وفاضل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تفعل. ﴿فَاعْمَلْ

إِنَّا عَمَلُونَ﴾ ⑤ (١).

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ: أي لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم.

يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ: أي يوحى الله إلي بأن إلهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد

لا ثاني له ولا أكثر.

فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ: بإخلاص العبادة له دون سواه.

وَأَسْتَغْفِرُوا: أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي.

وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ⑥: أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضاداته بآلهة باطلة.

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ: أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يطهرها من أضرار الشرك

والمعاصي. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ⑦.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑧: أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها

لا ينقطع بحال، هو أجر غير ممنون.

(١) واعمل على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا. وقيل: اعمل على هلاكنا

فإننا عاملون على هلاكك. وقيل غير هذا. وما في التفسير أولى.

﴿ قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ يَأْتِيهِمْ خَلْقُ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ : أَيُّ الْأَحَدِ وَالْإِثْنَيْنِ .  
 وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا : أَيُّ شُرَكَاءَ وَهَذَا دَاخِلٌ فِي حَيْزِ الْإِنْكَارِ الشَّدِيدِ عَلَيْهِمْ .  
 ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ : أَيُّ اللَّهِ مَالِكِ الْعَالَمِينَ ، وَهُمْ كُلُّ مَا سِوَاهُ ﴿عِبْرَةٌ﴾ مِنْ سَائِرِ الْخَلَائِقِ .  
 وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيًّا مِنْ فَوْقِهَا : أَيُّ جِبَالًا ثَوَابِتٍ .  
 وَبَرَكَ فِيهَا : أَيُّ فِي الْأَرْضِ بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَالزَّرْعِ وَالضَّرْعِ .  
 وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا : أَيُّ أَقْوَاتِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ .  
 فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ : أَيُّ فِي تَمَامِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ وَهِيَ الْأَحَدُ وَالْإِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَاءُ وَالْأَرْبَعَاءُ .  
 سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ : أَيُّ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ هِيَ سَوَاءٌ لِمَنْ يَسْأَلُ فَإِنَّهَا لَا زِيَادَةَ فِيهَا وَلَا نَقْصَانَ .  
 ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ . أَيُّ قَصْدٌ بِإِرَادَتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ  
 سَمَاءً . ﴿ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .  
 فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ : أَيُّ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ ، وَلِذَا سُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً لِاجْتِمَاعِ  
 الْخَلْقِ فِيهَا .

وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا : أَيُّ مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَعْمَالِ <sup>(١)</sup> .  
 وَزَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ : أَيُّ بِنُجُومٍ .  
 وَحَفِظًا : أَيُّ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ بِالشَّهْبِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا .  
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ : أَيُّ خَلَقَ الْعَزِيزُ فِي مَلِكِهِ ، الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ .  
 فَإِنَّ أَعْرَضُوا : أَيُّ كَفَارِ قَرِيشٍ عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ بَعْدَ ذَلِكَ الْبَيَانِ الْمَفْصَلِ .  
 فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً : أَيُّ خَوْفَتِكُمْ صَاعِقَةٌ تَنْزِلُ بِكُمْ فَتَهْلِكُكُمْ إِنْ أَصْرَرْتُمْ <sup>(٢)</sup> عَلَى هَذَا  
 الْكُفْرِ . ﴿ مِثْلُ صَعِقَةٍ عَادِيٍّ وَتَمُودٍ ﴿١٤﴾ ﴾ .  
 إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ : أَيُّ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ تَعْرِضُ عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ الْحَقِّ مِنْ  
 أَمَامِهِمْ وَمِنْ وَرَائِهِمْ . ﴿ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً : أَيُّ بَدَلًا عَنْكُمْ أَيُّهَا الرُّسُلُ مِنَ الْبَشَرِ . ﴿ فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ  
 ﴿١٥﴾ ﴾ .  
 فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : أَيُّ بِغَيْرِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُمْ بِذَلِكَ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِكْبَارِ  
 وَالتَّجْبِرِ . ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ  
 ﴿١٦﴾ ﴾ .

(١) الوحي: الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ ﴾ أي أوما إليهم بما يدل على معنى: ﴿ سَيِّئُوا بُكْرَةً وَعَيْنِيًّا ﴾ .

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه، وتطلق على الحادثة المبيدة السريعة الإهلاك.

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة.  
 فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ : أي مشثومات عليهم لم يفلحوا بعدها. ﴿لِنُدَبِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .  
 وَعَذَابٌ آخِرٌ آخِرٌ : أي أشد خزيًا من عذاب الدنيا. ﴿وَهُمْ لَا يُصِرُّونَ﴾ (١٦) .  
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى : أي استحَبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام  
 والإيمان نور. ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) ﴿بِسَبَبِ كَسْبِهِمُ السَّيِّئَاتِ .  
 وَجَعَلْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ (١٨) : أي الشرك والمعاصي. ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾  
 يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها.

فَهُمْ يُورَثُونَ﴾ (١٩) : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين.  
 حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا : أي حتى إذا جاءوها أي النار. ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ (٢٠) (١)  
 بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢١) : أي من الذنوب والمعاصي. ﴿وَقَالُوا لَوْلَا جُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا  
 اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم. ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢)

وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ : أي عند ارتكابكم الفواحش  
 والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتركوا الفواحش والذنوب.  
 وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٣) : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله  
 لا يعلم ذلك منكم ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ .  
 أَرَدْتُمْ : أي أهلكم. ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٤)

فَإِنْ بَصُرُوا فَأَلْتَارُ مَثْوَىٰ لَهُمْ : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مَثْوَىٰ أي مأوى لهم.  
 وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا : أي يطلبوا العتبي وهي الرضا فلا يعتبرون: أي لا يرضى عنهم، هذه حالهم  
 أبدًا. ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٥)

﴿وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين (٢) .  
 فَرَزَقْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ : أي حسنوا لهم الكفر والشرك، وإنكار البعث والجزاء.  
 وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت. ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ  
 وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٦) وقال الذين كفروا لآسمعوا لهذا القرآن﴾ (٢٧)

(١) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب وافتضاح وإلا فإدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم،  
 وإجراء ضماير السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التحاور معهم أنزلهم منزلة العقلاء.

(٢) قيصنا: أتحنا وهيأنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم؛ قد يكونون من الجن ومن الإنس؛ إذ الشياطين من  
 الجنسين.

وَالْعَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرؤه. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون. ذَلِكَ جَزَاءُ عَذَابِ اللَّهِ النَّارُ : أي من كفروا به ولم يتقوه جزاؤهم النار. ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ الْحُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَأْتِينَ﴾ ﴿٦٨﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ : أي إبليس من الجن، وقايل بن آدم. تَجَعَلَهُمَا تَحْتِ أَقْدَامِنَا : أي في أسفل النار. ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٦٩﴾  
 إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره  
 والهمم الذي لا إله لهم سواه.

ثُمَّ اسْتَقَمُوا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل الأوامر وترك النواهي.

تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ : أي عند الموت وعند الخروج من القبر حيث تلتقاهم هناك. أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا : أي بأن لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته، ولا تحزنوا عما خلفتم وراءكم. ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٧٠﴾  
 نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا.

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٧١﴾ : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المشتهيات لكم.

نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٧٢﴾ : أي رزقاً مهياً لكم من فضل رب غفور رحيم. وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ : أي لا أحد أحسن قولاً منه: أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته.

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾ : وعمل صالحاً وهي شرط أيضاً، وقال: إنني من المسلمين شرط ثالث.

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ : أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة. أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالصبر (١).

(١) قال ابن عباس: ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وقيل أيضاً: هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب: إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك، وقال مجاهد: هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٦﴾ : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك.

وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا : أي وما يعطى هذه الخصلة التي هي أحسن.  
وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال.

وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر.  
فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ : أي فاستجبر بالله قائلاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ : أي إذ هو تعالى السميع لأقوال عباده، العليم بما يصيهم وينزل

٣٣

وَمِنْ آيَاتِهِ : أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده.  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ : أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر.  
لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه. ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ : أي إن كنتم حقاً تريدون عبادته، فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره.

فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ : أي الملائكة.  
يَسْبَحُونَ لَهُ، بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٣٨﴾ : أي لا يملون عن عبادته ولا يكلمون.  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً : أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة.  
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ : أي تحركت، وانتفخت وظهر النبات فيها. ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾

لَمَجِي الْمَوْتِ : أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة. ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤولونها على غير تأويلها لإبطال حق أو إحقاق باطل.

لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.  
أَمَّنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَبْرًا مِّنْ يَّأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقي في النار.

أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذناً لهم في العمل كما شاءوا. ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي جحدوا بالقرآن أو أجدوا فيه فكفروا بذلك.  
وإنه، لَكُنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾: أي القرآن لكتاب عزيز: أي منيع لا يقدر على الزيادة فيه ولا النقص منه (١).

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ: أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً، وهذا معنى ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.

وَلَا مِنْ خَلْفِهِ: أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً وهذا معنى ﴿مِنْ خَلْفِهِ﴾، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع. ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾.

مَا يُقَالُ لَكَ: أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ.

إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِكَ: أي من التكذيب لهم والكذب عليهم.

إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ: أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته.

وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾: أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصّرين على الكفر والباطل.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا: أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلاً أنزل القرآن بلغة العجم.

لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتِ آيَاتُهُ: أي بينت حتى نفهمها.

أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ: أي أقرآن أعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعتتاً منهم

وعناداً ومجاحدة.

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً: أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه

من أمراض.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ: أي ثقل فهم لا يسمعون.

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى: فلا يفهمونه.

أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾: والمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى له.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: أي التوراة.

فَاخْتَلَفَ فِيهِ: أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هو

الحال في القرآن الكريم.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ: أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم

ومجازاتهم هناك.

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ: أي لحكم بين المختلفين اليوم وأكرم الصادقون وأهين الكاذبون. ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي

(١) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

شَكَّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴿٤٦﴾

وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾: أي وليس ربك يا رسولنا بذي ظلم للعبيد.

﴿٤٥﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ: أي إلى الله يرد علم الساعة: أي متى تقوم إذا لا يعلمها إلا هو.

وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا: أي من أوعيتها، واحد الأكماء: كيم، وكم الثوب مخرج اليد.

وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى: أي من أي جنس كان إنساناً أو حيواناً.

وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ: أي ولا تضع حملها إلا ملائسا بعلم الله تعالى المحيط بكل شيء.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّا: أي أعلمناك الآن.

مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾: أي ليس منا من يشهد بأن لك شريكاً أبداً. ﴿٤٧﴾ وَصَلَّ عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ

مِنْ قَبْلُ ﴿٤٨﴾

وَطَوَّنَا مَا لَكُم مِّنْ حَيِّصٍ ﴿٤٨﴾: أي أيقنوا أنه ما لهم من مهرب من العذاب.

لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ: أي لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية<sup>(١)</sup>.

وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾: أي المرض والفقر وغيرهما، فيئوس من رحمة الله، قنوط

ظاهر عليه اليأس.

وَلَكِن أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَّسَّتْهُ: أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به.

لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي: أي استحققته بعملتي ومما لي من مكانة.

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً: أي ينكر البعث ويقول: ما أظن الساعة قائمة. ﴿٥٠﴾ وَلَكِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٥١﴾

إِن لِّي عِنْدَهُ لِّلْحُسْنَىٰ: أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث: إن لي عند الله

الجنة. ﴿٥٢﴾ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٣﴾

وَإِذَا أَعْمَأَعَلَى الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ: أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبخترًا مختلًا في

مشيته.

وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٤﴾: أي فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يا ربه يا ربه.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ: أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله.

مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٥﴾: أي من يكون أضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا

أحد.

سُئِرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ: أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات

(١) قيل: المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميه بن خلف، والآية تحمل وصفاً للإنسان الكافر أيًا كان، والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحة.

(٢) الشقاق، العداوة والمراد به العداوة لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوذة المحمدية.

وأسرار خلقها وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة.  
 حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقًا، وأن الإسلام  
 حق. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١).  
 أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى.  
 أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿١﴾ : أي علمًا وقدرة وعزة وسلطانًا.



(١) المعنى: تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم.

## ٤٢ - سُورَةُ الشُّبُرَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم عسق، وتقرأ هكذا: حَامِيمٌ عَيْنٌ سَيْنٌ قَافٌ.

كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز: أي الغالب على أمره، الحكيم في تدبيره هو الذي يوحى إليك. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً. ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ . وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ : أي آلهة يعبدونها.

اللَّهُ حَافِظٌ عَلَيْهِمْ : أي يحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها. وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ : أي ولست موكلاً بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ. وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك. قُرْآنًا عَرَبِيًّا : أي بلسان عربي.

لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا : أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى «مكة» ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا على الشرك.

وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ : أي وتنذر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق.

لَأَرْبَبَ فِيهِ : أي لا شك في مجيئه وجمع الناس فيه.

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ : أي المؤمنون الممتقون.

وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ : أي الكافرون.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة.

وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ : أي في الإسلام أولاً ثم في الجنة ثانياً.

وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولا نصير

ينصرهم فهم في النار.

أَيُّ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء وألهوم من دون الله.

فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولا تصرف. ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين.  
فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحي على رسوله، وفي الآخرة إذ  
الحكم له دون غيره.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٢﴾ : أي قل لهم يا رسولنا: ذلكم الحاكم العدل  
العظيم الله ربي، عليه توكلت: أي فوضت أمري إليه، وإليه لا إلى غيره أرجع في أموري كلها.  
فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق.  
جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا : أي بأن جعلكم ذكراً وأنثى، ومن الأنعام  
كذلك.

يَذَرُوكُمْ فِيهِ : أي يخلقكم في هذا التدبير وهو من الذكر والأنثى يخرجكم.  
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلا يكون مخلوق مثله  
بحال من الأحوال.

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٣﴾ : أي السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم وأحوالهم. ﴿لَهُ مَقَالِيدُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ <sup>(٤)</sup> يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤﴾ .  
﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي شرع لكم من الدين الذي وصى  
به نوحاً والذي أوحينا به إليك.

وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى : أي والذي وصينا باقي أولي العزم وهم: إبراهيم،  
وموسى، وعيسى، وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات.  
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ : أي بأن أقيموا الدين الذي شرع لكم ولا تضعوه ولا تختلفوا  
فيه.

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ : أي عظم على كفار قريش ما تدعوهم إليه وهو «لا إله إلا  
الله محمد رسول الله».

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ : أي يختار إلى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك.  
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٥﴾ : أي ويوفق لطاعته من ينيب إليه في أموره ويرجع إليه في جميع  
شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين.

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله.

(١) وقوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض، وله مغاليقها فهو تعالى  
يسطر الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاءً، لأنه بكل شيء عليم؛ فلا يطلب الرزق إلا منه، ولا يلجأ فيه إلا  
إليه.

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي ولولا ما قضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة.

لَفَضَىٰ بَيْنَهُمْ : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين.  
وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْرثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ : أي وإن الذين أورثوا الكتاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب.

لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ : أي لفي شك مما جنتهم به من الدين الحق وهو الإسلام.  
فَلِذَلِكَ فَادُعْ : أي فإلى ذلك الدين الذي شرع الله لكم ووصى به نوحًا وأوحاه إليك يا محمد فادع عباد الله.

وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ : أي استقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك الله.  
وَلَا تَلْبِغْ أَهْوَاءَهُمْ : أي ولا تتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فترك الحنيفية التي بعثت بها فإنها الحق.

وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض.

وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ : أي أمرني ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذي هو خلاف الجور.

اللَّهُ رُبُّنَا وَرَبُّكُمْ : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم.

لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ : وسيجزى كلًا منا بعمله خيرًا كان أو شرًا.

لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أي ما هناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق.

اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا : أي يوم القيامة. ﴿وَالْيَوْمَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

وَالَّذِينَ يُحَاجُّوكَ فِي اللَّهِ : أي يجادلون في دين الله نبيه محمدًا ﷺ.

مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود.

مُجَاهِدُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ : أي باطلة عند ربهم.

وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ : أي أنزل القرآن متلبسًا بالحق والصدق لا يفارقه أبدًا.

وَالْمِيزَانَ : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحق الحق.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿٧﴾ : أي أي شيء يجعلك تدري قرب الساعة إلا أن يكون

الوحي الإلهي (٢).

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا : أي يطالب بها المكذبون؛ لأنهم لا يخافون ما فيها لعدم

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ: الكتب المنزلة من عند الله على أنبيائه (قل).

(٢) ﴿وَمَا﴾ استفهامية أي من جعلك تدري قرب الساعة. قال ابن عباس: ما قال تعالى فيه ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أدراه،

وما قال فيه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإنه لم يدره به.

إيمانهم بها.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا: أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لا يدرون ما يكون لهم فيها من سعادة أو شقاء؛ ولذا هم مشفقون.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ: أي أن الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة.

أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يِمَارُونَ فِي السَّاعَةِ: أي إن الذين يجادلون في الساعة شاكين في وقوعها. لَنُفِي

صَلَكٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ: أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم. ﴿١٨﴾ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ: أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة.

نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ: أي نضاعف له ثوابه الحسنة بعشر أمثالها وأكثر.

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا: أي من كان يريد بعلمه متاع الحياة الدنيا من طيباتها.

نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾: أي نعطه منها ما قدر له وليس له في الآخرة من حظ

ولا نصيب.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ: أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من

الدين.

مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ: أي ما لم يشرعه الله تعالى وهو الشرك.

وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّي بَيْنَهُمْ: أي ولولا كلمة الفصل التي حكم الله بها بتأخير العذاب

إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين. ﴿٢١﴾ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿٢١﴾

تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا: أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين

من جزاء ما عملوا.

وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ: أي وهو: أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم معذبون لا محالة.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا

المحارم.

فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ: أي هم في روضات الجنات، والروضة في الجنة: أنزه مكان فيها.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ: أي لهم فيها ما تشتهي أنفسهم وتلذذ أعينهم في جوار ربهم. ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ

هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٣﴾

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا: أي قل يا رسولنا لقومك: لا أسألكم على التبليغ أجرًا: أي ثوابًا.

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى: أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتي.

وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً: أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح.  
 نَزَدَهُ فِيهَا حُسْنًا: أي نضاعفها له أضعافًا. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٤٣﴾.  
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: أي يقول هؤلاء المشركون: إن محمدًا افترى على الله كذبًا فنسب  
 إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولا بوحيه.

فَإِنْ يَشَاءَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ: أي إن يشاء الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن، أي إن الله  
 قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون.

وَيَمَحُّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّطُ الْحَقَّ: أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل.  
 يَكْتُمْنَاهُ: أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن. ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَاتِ الصُّدُورِ﴾

﴿٤٤﴾

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ: أي هو تعالى الذي يقبل توبة التائبين من عباده.  
 وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ: أي لا يؤاخذ بها من تاب منها، فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التي ليس  
 لها شيء مما هو الله ألبتة. ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا﴾ ﴿٤٥﴾.

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أي ويجيب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا  
 الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيهم سؤالهم.

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ: أي يعطيهم ما سألوا ويعطيهم ما لم يسأله من الخير.  
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٤٦﴾: أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد.  
 ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ: أي لو وسع الرزق لجميع عباده.

لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ: أي لطغوا في الأرض جميعًا.  
 وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ: أي ينزل من الأرزاق بقدر ما يشاء فيسقط ويضيق.

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٧﴾: أي أنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من

يصلحه، ومنهم من يفسده الفقر ومنهم من يصلحه.

وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا: أي المطر من بعد بأسهم من نزوله.

وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ: أي بركات المطر ومنافعه في كل سهل وجبل ونبات وحيوان.

وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٤٨﴾: أي المتولي لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم.

وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِنَّ مِنْ دَابَّةٍ: أي فرق ونشر من كل ما يدب على

الأرض من الناس وغيرهم.

(١) القَدْرُ بفتح القاف: المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير دال على العلم بمصالح  
 العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون، ووصف بصير دال على العلم المتعلقة  
 بأحوالهم التي حصلت.

وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة؛ قدير.  
وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ : أي بلية وشدة من الشدائد كالمرض والفقر.  
فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ : أي من الذنوب والآثام.

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٧﴾ : أي منها فلا يؤاخذ به، وما عفا عنه في الدنيا لا يؤاخذ به في الآخرة.  
وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ : أي ولستم بفاتسي الله ولا سابقيه هربًا منه إذا أراد مؤاخذتكم  
بذنوبكم. ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُورٍ إِلَّا مِن دُونِهَا وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٨﴾ .

وَمِنَ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿١٩﴾ : أي ومن علامات ربوبيته للخلق إيجاد السفن كالجبال في  
البحار وتسخير البحار للسير فيها لمنافع العباد.

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.  
فَيُظِلُّنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ : أي تقف السفن وتظل راكدة حابسة على ظهر البحر.  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي في هذه المظاهر من خلق لسفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن  
وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته.

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٠﴾ : أي إن هذه الآيات لا يراها ولا ينتفع بها إلا من كان صبورًا عند الشدائد  
والمحن، شكورًا عند الآلاء والنعم.

أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمًا كَسْبُورًا : أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويغرقها بمن فيها  
بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢١﴾ : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ بها؛ إذ لو  
أخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض لقلة من لا يذنب فيها.

وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف  
العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق.

مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِصٍ ﴿٢٢﴾ : أي ليس لهم من مهرب إلا الله فيجأرون بدعائه وحده ناسين آلهتهم  
الباطلة.

فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ : أي فما أعطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولد والمطعم والمشرب  
والملبس والمسكن والمنكح والمركب.

فَمَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : أي يتمتع به زمانًا ثم يزول ولا يبقى.  
وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى : أي وما عند الله من ثواب الآخرة فهو خير في نوعه وأبقى في مدته (١).

﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضُّوا لَهُمْ يَغْفِرُونَ

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنى وأن كبير الإثم الشرك وهو كذلك.

﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَبُونَ ﴿٤٠﴾ : أي ما عند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية:

الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والتجاوز عن أساء إليهم، والاستجابة لربهم في كل ما دعاهم إليه فعلاً أو تركاً، وإقام الصلاة، والمشورة بينهم، والإنفاق مما رزقهم الله، والانتصار عند البغي عليهم. هذه عشر صفات أصحابها ما أعده الله تعالى لهم يوم يلقونه خيرٌ من متاع الدنيا بكامله.

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه.  
فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ : أي فمن عفا عن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه؛ فأجره على الله ثابت له.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ : أي لا يحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن في عقوبته.  
وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ بحقه.

فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ : أي بمؤاخذتهم، لأنهم ما بدءوا بالظلم.  
إِنَّمَا السَّبِيلُ : أي بالعقوبة والأذية.

عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ : أي يعتدون عليهم في أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم.  
وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ : أي ويطلبون في الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام.  
﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤٣﴾ .

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ : أي ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عن أساء إليه <sup>(١)</sup>.  
إِنَّ ذَلِكَ : أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء.

لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ ﴿٤٤﴾ : أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعاً.  
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ : أي حسب سنته في الإضلال.

فَمَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ : أي فليس له من أحد يهديه أبداً. ﴿وَنَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾  
يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٥﴾ : أي هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكها

لنعود إلى الدنيا.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا : أي على النار.

خَشَعِينَ : أي خائفين متواضعين. ﴿مِنَ الذَّلِيلِ﴾ .

يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ : أي من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول إلى السيف لا يملأ عينه

(١) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للضعيف والكبير فهذا الانتقام منه أفضل، والعفو يكون في الفتنة، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

منه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ ﴿٤٥﴾ : أي لخلودهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين في دار السلام.

أَلَا إِنَّ الظَّٰلِمِينَ : أي المشركين.

في عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ : أي دائم لا يخرجون منه وهو عذاب الجحيم. ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِن ءٰوَالِيَةٍ يُنصُرُونَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ .

وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ لَمِنَ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ : أي طريق إلى الهداية في الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة.

أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ : أي أجبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة.

مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ : أي يوم القيامة.

لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ : أي إذا أتى لا يرد بحال.

مَا لَكُمْ مِّن مَّلَٰجٍ يَوْمَئِذٍ : أي تلجئون إليه وتتحصنون فيه.

وَمَا لَكُمْ مِّن ذَكْرِ ﴿٤٧﴾ : أي وليس لكم ما تنكرون به ذنوبكم؛ لأنها في كتاب لا يغادر

صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فَإِن أَعْرَضُوا : أي لم يجيبوا ربهما لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة. ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ .

إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ.

وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية. ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ .

وَإِن نُّصِبْهُمْ سَوْتَهُ : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك.

بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ : أي من الذنوب والخطايا.

فَإِن الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ : أي للنعمة والمنعم، والإنسان هو غير المؤمن التقي.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ : أي خلقاً وملكاً وتصرفاً. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .

يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً : أي يرزق من يشاء من الناس بنات.

وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ : أي ويعطي من يشاء الأولاد الذكور.

أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً : أي يجعلهم ذكورا وإناثا.

وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا : أي لا يلد ولا يولد له. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَن يُكَلِّمَهُ

اللَّهُ﴾ .

إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ : أي إعلامًا خفيًّا سريعًا في يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب

فيسمع الكلام ولا يرى الذات.

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ : أي أو يرسل ملكًا في صورة إنسان فيكلمه مبلغًا عن الله

تعالى.

إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ : أي الله تعالى ذو علو على سائر خلقه، حكيم في تدبير خلقه.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أو حيناً إليك يا محمد هذا القرآن.

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا : أي وحياً ورحمة من أمرنا الذي نوحيه إليك.

مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ : أي لم تكن قبل تدري أي شيء هو الكتاب، ولا الإيمان

الذي هو قول وعمل واعتقاد <sup>(١)</sup>.

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ : أي جعلنا القرآن نوراً نهدي به إلى صراطنا. ﴿مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾

وَإِنَّكَ لَنَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ : أي الإسلام. ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

أَلَّا إِلَى اللَّهِ نَصِيرُ الْأُمُورِ ﴿٥٣﴾ : أي ترجع أمور جميع العباد في يوم القيامة إلى الله تعالى.



(١) المنفي من الإيمان هو التفصيلي، أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمناً موحداً، ولذا لم يقل: وما كنت مؤمناً؛ فالمنفي شرائع الإيمان وتفصيله.

## ٤٣ - سُورَةُ الزُّحُرُفِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- حَمَّ (١): هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ: حاميم.
- وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢): أي القرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام.
- إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا: أي جعلناه قرآنًا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به.
- لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣): أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب، ما تؤمرون به وما تنهون عنه.
- وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَكْتَابِ لَدَيْنَا: أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلها عندنا.
- لَعَلِّي حَكِيمٌ (٤): أي لذو علو وشأن على الكتب قبله لا يوصل إلى مستواه في علوه ورفعته، حكيم أي ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها.
- أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا: أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحًا أي لا تنزل القرآن بأمركم ونهيكم ووعدكم ووعدكم.
- أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥): لأن كنتم قومًا مسرفين: متجاوزين الحد في الشرك والكفر؛ كلا لا نفعل.
- وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦): أي وكثيرًا من الأنبياء أرسلناهم في الأولى من الأمم الماضية. وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧).
- فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا: أي فأنزلنا عذابنا بأشدهم قوة وبطشًا من قومك فأهلكناهم.
- وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨): أي مضى في الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين.
- وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ: أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يا رسولنا.
- مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: أي من بدأ خلقهن وأوجدهن. ﴿لَيَقُولَنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٩).
- الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا: أي الله الذي جعل لكم الأرض فراشًا كالمهد للصبى.
- وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا: أي طرقًا.
- لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠): أي إلى مقاصدكم في أسفاركم.
- وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ: أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفانًا مغرقًا مهلكًا.
- فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا: أي فأحيينا به بلدة ميتة: أي لا نبات فيها ولا زرع.
- كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ (١١): أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم وتخرجون من

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا: أي خلق كل شيء إذ الأشياء كلها زوج، ولم يعرف فرد إلا الله. وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلَمِ وَالْأَنْعَامِ: أي السفن، والإبل. ﴿مَاتَرَكْبُونَ﴾ (١٢). اسْتَوْثُوا عَلَى ظُهُورِهِ: أي تستقروا على ظهور ما تركبون. ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا.

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾: أي مطيقين ولا ضابطين.

وَأَنَا إِلَٰهٌ رَبَّنَا مُتَقَلِّبُونَ ﴿١٤﴾: أي لصائرون إليه راجعون.

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا: أي وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض من عباده جزءًا إذ قالوا: الملائكة بنات الله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾: أي إن الإنسان المعترف بأن الله خلق السموات وجعل من

عباده جزءًا هذا الإنسان لكفور مبين أي لكثير الكفر بينه.

أَمْ أَلَمَّا خَلَقْنَا بَنَاتٍ وَاصْطَفَيْنَا مِنَ الْأُنثَىٰ: أي خصمكم بالبنين وأخلصهم لكم.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا: أي بما جعل للرحمن شبهًا وهو الولد (١).

ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾: أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلى غيظًا.

أَوْ مَن يُنْسَوُا فِي الْحَيَاةِ: أي أيجترئون على الله ويجعلون له جزءًا هو البنت التي تربي في الزينة.

وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾: أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة.

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا: أي لأنهم قالوا: بنات الله.

أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ: أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم.

سَكَتَ كُنُوزٌ شَهِدَتْهُمْ: أي سيكتب قولهم: إن الملائكة إناث.

وَسُئِلُونَ ﴿١٩﴾: أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطل ويعاقبون عليها.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ: أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة

الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم (٢).

إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾: أي ما هم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم البعض.

(١) ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي جعل لله شبهًا وهو الولد ظلَّ وجهه مسودًّا وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذبًا وافتراءً، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أي أخبر بأن أمراته جاءت ببنت ظل وجهه طول النهار مسودًّا من الكآبة والغم وهو كظيم أي ممتلى غمًا وحزنًا.

(٢) قولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان: إرادة كونية وإرادة تكليفية شرعية؛ فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبدًا فما شاء الله كان، والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلف؛ لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختيارًا، وبحسب ما يختاره يكون جزاؤه، والمشركون لا علم لهم بهذا؛ فلذا نفى عنهم العلم رادًا باطلهم بجهلهم.

أَمْ أَنْتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ: أي أم أنزلنا عليهم كتابًا قبل القرآن. فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٦١﴾: أي متمسكون بما جاء فيه، والجواب: لم يقع ذلك قط. بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ: أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لأبائهم. وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٦٢﴾: أي على طريقتهم وملتهم ماشون وهي عبادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان. وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ.

إِلَّا قَالِ مَرْفُوهَا: أي متنعموها.

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ: أي ملة ودين.

وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾: أي على طريقهم متبعون لهم فيها.

﴿٦٤﴾ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي وَمَا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ: قال لهم رسولهم: أتبعون آباءكم ولو حججتكم بأهدى: أي بخير مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال. قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٥﴾: أي قال المشركون لرسولهم ردًا عليهم: إنا بما أرسلتم به كافرون أي: جاحدون منكرون غير معترفين به.

فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٦٦﴾: أي كانت دمارًا وهلاكًا إذًا فلا تكثر بتكذيب قومك يا رسولنا.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: أي واذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن.

إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾: أي بريء مما تعبدون من أصنام لا أعبدها ولا أعترف بها.

إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٨﴾: أي لكن الذي خلقني فإني أعبده وأعترف به فإنه سيهديني إلى ما يكملني ويسعدني في الحياة وفي الآخرة.

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ: أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية دائمة في ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٩﴾: أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها وهي لا إله إلا الله.

بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ: أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة.

حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾: أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين لا شك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى والأحكام الشرعية. ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧١﴾﴾.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٧٢﴾: أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نعاقبهم: هلاً نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف.

أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال: أهم يقسمون رحمة ربك، إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات، وليس لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده.

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا، ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأعلى من الطعام والشراب فحقن أحق بها منهم فننبئ من نشاء.

وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغني الفقير خادماً يسخره في خدمته بأجرة مقابل عمله.

وَرَحْمَتَ رَبِّكَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾ : أي والجنة التي أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذي يجمع هؤلاء المشركون الكافرون.

وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً : أي على الكفر. ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾

وَمَعَارِجَ : أي كالسلم والمصعد الحديث، والمعارج جمع معرج وهو المصعد.  
عَلَيْهَا يَطْفَرُونَ ﴿٣٤﴾ : أي يعلون عليها إلى السطوح. ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَّكَبُونَ﴾

﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا : أي ذهباً أي لجعلنا لببوتهم سقفاً من فضة وذهب، وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضة وبعضها من ذهب.  
وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ : أي وما كل ذلك المذكور.

لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.  
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ : أي الجنة ونعيمها خير لأهل الإيمان والتقوى من متاع الدنيا<sup>(١)</sup>.

وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الرَّحْمَنِ : أي يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن الذي هو القرآن متجاهلاً له.

نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه.  
فَهُوَلَاءُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان.  
وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى.

(١) أشد بعضهم في ذم الدنيا فقال:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن  
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة  
إذا لم يكن فيها معاش لظالم  
وقد شبت فيها بطون البهائم

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن وطاعته أنهم مهتدون، أي أنهم على الحق والصواب وذلك بتزيين القرين لهم. ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَبَلَغْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾ .

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ : أي كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه. ﴿ فَيَسَّ الْقَرِينُ ﴾ ﴿٣٨﴾ .

وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ : أي ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك والمعاصي.

أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ : اشتراككم في العذاب غير نافع لكم. أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَْىٰ : أي إنك يا رسولنا لا تسمع الصم، ولا تهدي العمي والقوم قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم؛ لأنهم عشوا عن ذكره. وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ : أي كما أنك لا تقدر على هداية من كان في ضلال مبين عن الحق والهدى.

فَأِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ : أي فإما نذهبن بك أي نमितك قبل تعذيبهم <sup>(١)</sup> ، و(ما) زائدة أدغمت فيها (إن) الشرطية فصارت إما.

فَأَنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ : أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة. أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ : أي وإن نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب. فَأَنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ : أي لا يعوقنا عائق لأننا عليهم قادرون. فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ : أي دُم على استمساكك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به أو أخرناه.

إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك. وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك. وَسَوْفَ تَسْتَخْلُونَ ﴿٤٤﴾ : أي عن القرآن أي عن العمل به بتطبيق شرائعه وإبلاغه لغيركم <sup>(٢)</sup> . وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أي أسأل مؤمني أهل الكتابين: التوراة والإنجيل. أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ : أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب: لم نجعل قط فليفهم هذا مشركو مكة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا : أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته.

(١) أو بالخروج من مكة مكرهاً عليه من قبل أعدائكم، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهاً ولا ملجأ؛ ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة.

(٢) من فسر السؤال بالعمل هو حق، وكذا من فسره بالشكر فهو حق، لأن شكر العلم العمل به وتعليمه.

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ : أي وقومه من القبط. ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٦) ﴿

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ : أي سخرية واستهزاء.

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ : أي من آيات العذاب كالطوفان.

إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتَيْهَا : أي من قرينتها التي قبلها من الآيات. ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾ (٤٨) ﴿

وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ : أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه (١).

أَنْعَمْنَا لَكَ رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ : أي من كشف العذاب عنا إن آمنا.

إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ : أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ : أي يتقصون عهدهم فلم يؤمنوا.

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ : أي نادى فيهم افتخارًا وتبجحًا بما عنده. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ

مِصْرَ﴾ ﴿

وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي : أي من النيل تجري من تحت قصوري.

أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٥١﴾ : أي عظمتي وما أنا عليه من الجلال والكمال.

أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ : أي من موسى الذي هو مهين ولا يكاد يبين

أي يفصح للغة التي في لسانه.

فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ : أي هلاً ألقى عليه أسورة من ذهب من قبل الذي أرسله.

أَوْ جَاءَهُ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّرِينَ ﴿٥٣﴾ : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضًا تشهد له

بالرسالة.

فَأَسْحَفَ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ : أي استنفر فرعون قومه أي قال لهم ما حركهم به فخفوا لطاعته.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ : أي أطاعوه لكونهم قومًا فاسقين؛ ففسقهم هو علة طاعتهم.

فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم. ﴿فَأَعْرَضْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥٥) ﴿

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا : أي فرعون وقومه سلفًا أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم.

وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا : أي ولما جعل عيسى ابن مريم مثلاً، والضارب ابن الزبيري،

وذلك لما نزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ﴿

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿٥٧﴾ : أي إذا المشركون من قومك يصدون: أي يضحكون فرحًا بما

(١) هذا النداء في هذا الوقت كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توير وتعظيم علمائهم السحرة؛ لأنهم لما أصابهم

من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته.

سمعوا.

وَقَالُوا أَلَهْتُمْ خَيْرًا هُوَ<sup>(١)</sup>: أي ألهتنا التي نعبدها خير أم هو - أي عيسى ابن مريم -  
فترضى أن تكون ألهتنا معه.

مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا: أي ما جعلوه - أي المثل - لك إلا خصومة بالباطل، لعلمهم أن (ما)  
لغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى ﷺ.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ<sup>(٥٨)</sup>: أي شديدا الخصومة.

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ: أي ما هو - أي عيسى - إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة.

وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(٥٩)</sup>: أي لوجوده من غير أب كان مثلا لبني إسرائيل لغرابته،  
يستدل به على قدرة الله على ما نشاء.

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً: أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة.

فِي الْأَرْضِ مُخَلَّفُونَ<sup>(٦٠)</sup>: أي يعمرون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم.

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ: أي وإن عيسى ﷺ لعلم للساعة تعلم بنزوله إذا نزل<sup>(٢)</sup>.

فَلَا تَمَتَّرْتِ بِهَا: أي لا تشكن فيها أي في إثباتها ولا في قربها.

وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ<sup>(٦١)</sup>: أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو

الإسلام.

وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ: أي ولا يصرفنكم الشيطان عن الإسلام.

إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ<sup>(٦٢)</sup>: أي إن الشيطان لكم عدو بين العداوة فلا تتبعوه.

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ: أي ولما جاء عيسى ابن مريم إلى بني إسرائيل بالمعجزات والشرائع.

قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ: أي قال لبني إسرائيل: قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل.

وَلَا يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْلِفُونَ فِيهِ: أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة

من أمر الدين وغيره.

فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا<sup>(٦٣)</sup>: أي خافوا الله وأطيعوا فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهي.

إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ: أي إن الله إلهي وإلهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له.

هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ<sup>(٦٤)</sup>: أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام

المعبر عنه بالصراط المستقيم.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ: أي في شأن عيسى أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به؛ لأن ابن الزبيري شبه ألهتهم بعيسى في أنها عبت من دون الله مثله، فإذا كانوا في النار فعيسى كذلك. (لأن النصارى يعبدون المسيح).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: (... ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: (وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ). اهـ (قل).

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ آيَةِ ۝١٥: أي فويل للذين كفروا بما قالوا في عيسى من الكذب والباطل.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٦: أي ما ينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ما قالوه في عيسى إلا الساعة أن تأتيهم بغتة: فجأة وهم لا يشعرون. الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ: أي الأحياء يوم إذ تأتيهم الساعة بغتة (١). إِلَّا الْمُتَّقِينَ ۝١٧: فإن محبتهم تدوم لهم؛ لأنها كانت في الله وطاعته.

يَعْبَادٍ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۝١٨: أي ينادون فيقال لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون بل تحبرون أي تسرون وتكرمون. ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ۝١٩: أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٠﴾.

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۝٢١: أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ. وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۝٢٢: أي في الجنة ما تشتهيهِ الأنفس تلذذاً به وتلذذه العين نظراً إليه. ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ۝٢٣.

وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٤: أي يقال لهم وهذه هي الجنة التي أورثكموها الله بأعمالكم الصالحة التي هي ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل. ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ۝٢٥ (٢).

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝٢٦: أي إن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون.

لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ۝٢٧: أي لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس. ﴿وَمَا ظَلَمْتَنَّهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ ۝٢٨.

وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِمَقْضِي عَيْنَارُنَا ۝٢٩: أي نادوا مالكا خازن النار قائلين له: ليمتنا ربك.

قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتُونَ ۝٣٠: أي أجاهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله: إنكم ماكنون أي

مقيمون في عذاب جهنم دائماً.

لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ۝٣١: أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا، والحق: التوحيد وعبادة الله بما شرع، فكره أكثركم الحق.

(١) أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أي الأحياء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداً لأنها كانت على معصية الله إلا المتقين.

(٢) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها وبابسها، وبائعها يقال له: الفاكهاني.

أَمْ أَرْبَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ : أي أحكموا في الكيد للنبي محمد فإننا<sup>(١)</sup> محكمون كيدنا في إهلاكهم. ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَأَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

بَلْ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون ما يسرون وما يعلنون. قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ : أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله: إن كان للرحمن ولد فرضًا. فإِنَّا أَوْلُ الْعَالَمِينَ<sup>(٣)</sup> ﴿٨١﴾ : أي فإنا أول من يعبد تعظيمًا لله وإجلالًا، ولكن لا ولد له فلا عبادة إذا لغيره.

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ : أي تنزهه وتقدس. عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ : أي عما يصفون به الله تعالى من أن له ولدًا وشركاء. فَذَرَهُمْ يَمْشُوا وَيَلْعَبُوا : أي اتركهم يا رسولنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم. ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ : أي معبود في السماء. وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ : أي ومعبود في الأرض. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٥)</sup>. وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا : أي تعظم وجل جلال الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما.

وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ : أي عنده علم وقت مجيئها. ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ : أي يعبدونهم. مِنْ دُونِهِ : أي من دون الله، مثل عيسى والعزير. الشَّفَعَةَ : أي لأحد.

إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ : أي لكن الذي شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا الذي تناله شفاعة الملائكة والأنبياء ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ : أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته. وَقِيلَ : أي قول النبي. ﴿يَرْبِّ إِنَّا هَنُودٌ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) ﴿أَمْ﴾ المنقطعة تفسر بـ(بل) للإضراب الانتقالي، والاستفهام محذوف الأداة تخفيفًا أي أبرموا أمرًا والاستفهام تقريري والمراد بالأمر ما يبيتونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة؛ فأبرم الله أمرًا فأهلكهم في بدر.

(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ، وبالنجوى ما ينتاجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.

(٣) له أي لذلك الولد؛ لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد؛ إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له لغناه المطلق.

(٤) والضمير في قوله يعود إلى النبي ﷺ؛ إذ هو القائل: ﴿يَرْبِّ إِنَّا هَنُودٌ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٥)</sup>؛ أطول ما دعاهم وهم

فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ: أي أعرض عنهم<sup>(١)</sup>.  
 وَقُلْ سَلِّمُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾: أي أمري سلام منكم فسوف تعلمون عاقبة كفركم.



معروضون عن الحق مصرون على الكفر.

(١) مثل هذا ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمُوا﴾ منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة.

## ٤٤ - سُورَةُ الدُّجَانِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) : هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا حم، وتقرأ هكذا حاميم.  
وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) : أي القرآن المظهر للحلال والحرام في الأقوال والأعمال  
والاعتقادات.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ : أي في ليلة القدر من رمضان. ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) .  
فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) (١) : أي يفصل كل أمر محكم من الآجال والأرزاق وسائر  
الأحداث.

أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا : أي فيها في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم أمرًا من عندنا أي: أمرنا بذلك أمرًا  
من عندنا.

﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ : أي إنا كنا مرسلين الرسل محمدًا ومن قبله رحمة من  
ربك بالمرسل إليهم من الأمم والشعوب.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) : أي السميع لأصوات مخلوقاته، العليم بحاجاتهم. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ .

إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ (٧) : أي بأنه رب السموات والأرض فآمنوا برسوله، واعبدوه وحده. ﴿لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨)

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) : أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالى لخلقه،  
وإلا لعبدوه وأطاعوه، بل هم في شك يلعبون بالأقوال والأفعال لا يقين لهم في ربوبية الله تعالى،  
وإنما هم مقلدون لأبائهم في ذلك.

فَأَرْقَبْ : أي انتظر (١٠).

يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ (١١) : أي ما كان يراه الرجل من قریش لشدة الجوع بين السماء

(١) أي في تلك الليلة المباركة (ليلة القدر) يفصل كل أمر محكم مما قضى الله أن يتم في تلك السنة من أحداث في  
الكون يؤخذ ذلك من كتاب المقادير فيفصل عنه وينفذ خلال السنة من الموت والحياة والغنى والفقر والصحة  
والمرض والتولية والعزل، فكل أحداث تلك السنة تفصل من اللوح المحفوظ يتم إحداثها في تلك السنة حتى  
إن الرجل ليتزوج ويولد له وهو في عداد من يموت فلا تنتهي السنة إلا وقد مات.

(٢) ارتقب معناه انتظر يا رسولنا يوم تأتي السماء إلخ. وقيل: ارتقب معناه احفظ، لأن الرقيب يطلق على الحافظ.

والأرض من دخان.

يَغْشَى النَّاسَ : أي يغشى أبصارهم من شدة الجهد الناتج عن الجوع الشديد. ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١)

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ : أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آمنا بك وبرسولك. أَلَيْسَ لَكُمُ الذِّكْرَى : أي من أي وجه يكون لهم التذكر والحال أنه. ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣) ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ (١٤) : أي أنه يعلمه القرآن بشر مجنون أي مختلط عليه أمره غير مدرك لما يقول.

إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ : أي إلى الكفر والجحود. يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى : أي الأخذة القوية التي أخذناها بها يوم بدر حيث قتلوا وأسروا. ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ (١٦)

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ : أي ولقد اخترنا قبلهم أي قبل كفار قريش قوم فرعون من الأقباط.

وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ : أي موسى بن عمران صلوات الله عليه وسلامه. أَنْ أَدْرَأَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ : أي ادفعوا إلي عباد الله بني إسرائيل وأرسلوهم معي. إِنِّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ : أي إني رسول الله إليكم، أمين على وحيه ورسالته. وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ : أي وبأن لا تطغوا على الله فتكفروا به وتعصوه. إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ : أي بحجة واضحة تدل على صدقي في رسالتي وما أطلبكم به. وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ : أي وإني قد اعتصمت بربي وربكم واستجرت به أن ترجموني (١)

وَإِنْ لَرَأَوْهُ مُتَوَلِّينَ ﴿٢١﴾ : أي إن لم تصدقوني فيما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني. فَدَعَا رَبَّهُ : أي فلما كذبه فرعون وقومه وهموا بقتله نادى ربه يا رب. أَنْ هَاتُوا لِي قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ : أي إن هؤلاء قوم مجرمون بالكفر والظلم. فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ : أي فأجابه ربه بأن قال له: فأسر بعبادي - أي بني إسرائيل - ليلًا إن فرعون وجنده متبعوكم ليردوكم. وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا : أي وإذا اجتزت أنت وقومك البحر فاتركه رهوًا ساكنًا كما هو حين دخلته مع بني إسرائيل (٢)

(١) الرجم بالقول الكذب على الشخص والافتراء عليه كذبًا، والرجم بالأعمال معناه القتل بالحجارة.

(٢) المراد بالبحر هنا بحر القلزم المعروف اليوم بالبحر الأحمر، وهو منصوب على الحال، والرهوة الفجوة

إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾: أي وإن فرعون وقومه جندٌ الله مغرقهم في البحر.  
كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ: أي بساتين وحدائق غناء. ﴿وَعِيُونٍ﴾ ﴿٢٥﴾.

وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾: أي مجلس حسن ومحافل مزينة ومنازل حسنة.  
وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾: أي نضرة عيش ولذاته كانوا فيها ناعمين <sup>(١)</sup>.  
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾: أي بني إسرائيل <sup>(٢)</sup>.  
فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: أي لهوانهم على الله بسبب كفرهم وظلمهم.

وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾: أي مهملين حتى يتوبوا.  
وَلَقَدْ جَعَلْنَا نَبِيًّا إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾: أي قتل أبنائهم واستخدام نسائهم. ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾  
إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾.

وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾: أي اخترناهم على علم منا على عالمي زمانهم من  
الإنس والجن؛ وذلك لكثرة الأنبياء منهم وفيهم.  
وَأَعْلَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾: أعطيناهم من النعم ما فيه بلاء مبين أي واضح  
كانفلاق البحر والمن والسلوى <sup>(٣)</sup>.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾: أي المشركين من قريش.  
إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ: أي لا حياة بعدها ولا موت، وهذا تكذيب بالبعث الآخر.  
وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾: أي بمبعوثين أحياء من قبورنا بعد موتنا.  
فَأَتُوا بِطَابَاتٍ بِإِذْنِ كُتْمَةَ صَدِيقِينَ ﴿٣٦﴾: أي فأت يا محمد بآبائنا الذين ماتوا إن كنت صادقاً في أننا  
بعد موتنا وبلانا نبعث أحياء من قبورنا.  
أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: أي هؤلاء المشركون خير في القوة والمناعة أم قوم تبع  
والذين من قبلهم كعاد <sup>(٤)</sup>.

الواسعة مأخوذ من (رها) إذا فتح بين رجله، ومعناه: اترك البحر مفتوحاً ساكناً حتى يدخل فرعون وجنده  
فيهلكوا.

(١) النعمة بفتح النون التنعيم يقال نعمه فتععم. والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به على المرء ومثلها  
النعماء والنعمن.

(٢) ﴿كَذَلِكَ﴾ قيل: الأمر كذلك فيوقف على كذلك، وقيل: كذلك أفعل بمن عصاني أو كذلك كان أمرهم.

(٣) في هذا البلاء المبين أربعة أوجه ذكرها القرطبي وهي نعمة ظاهرة - عذابه شديد - اختبار يتميز به الكافر من  
المؤمن - ابتلاء بالشدة والرخاء.

(٤) الاستفهام إنكاري أي ليسوا خيراً من قوم تبع والذين من قبلهم كعاد وثمود وقد أهلكهم الله، والمراد من قوم  
تبع أقوام ملوك التبابعة إذ تبع لقب لمن يملك بلاد اليمن كلها ككسرى للفرس وقبصر للروم. اهـ. قال ابن  
كثير: كقوم تبع وهم سبأ (قل).

أَهْلَكْنَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾: أي أنزلنا بهم عقوبتنا فأهلكناهم إنهم كانوا قومًا مجرمين. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾.

لَعِينِك ﴿٣٨﴾: أي عابثين بخلقهما لا لغرض صالح.

مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ: أي إلا لأمر اقتضى خلقهما وهو أن أذكر فيهما وأشكر. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْعَابُ ﴿٤٠﴾: أي إن يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الخلائق ويحكم ميعادهم أجمعين حيث يجمعهم الله فيه.

يَوْمَ لَا يَنْفَعِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا: أي يوم لا يكفي قريب قريبه بدفع شيء من العذاب عنه.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾: أي لا ينصر بعضهم بعضًا.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ: أي لكن من رحمه الله فإنه يدفع عنه العذاب وينصر.

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾: أي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه.

إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾: أي الشجرة التي تثمر الزقوم وهي من أخبث الشجر ثمرة مرارة وقبحًا.

طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾: أي ثمرها طعام الأثيم أبي جهل وأصحابه من ذوي الآثام الكبيرة.

كَالْمُهَلِّ: أي كدردي الزيت الأسود.

يَعْلَى فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَعَلَى الْحَمِيرِ ﴿٤٦﴾: أي الماء الشديد الحرارة.

خَذُوهُ فَاعْتَلُوهُ: أي يقال للزبانية: خذوه فاعتلوه أي جروه بغلظة وشدة.

إِلَى سِوَاهِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾: أي إلى وسطها. ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٨﴾.

ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾: أي ذق العذاب، إنك كنت تقول ما بين جبلي مكة أعز

وأكرم مني (والمراد: ذق إنك أنت الدليل المهان).

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾: أي إن هذا العذاب الذي كنتم تتمدنون به أي تشكون فيه.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾: أي إن الذين اتقوا ربهم في الدنيا فأمنوا وعملوا الصالحات بعد

اجتناب الشرك والمعاصي في مجلس أمين لا يلحقهم فيه خوف بحال.

فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾: هذا هو المقام الأمين.

يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ: أي مارق من الديباج وما غلظ منه.

مُنْقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾: أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض؛ لأن الأسرة تدور بهم.

كَذَلِكَ زُوجْنَا نَحْمَهُم: أي الأمر كذلك وزوجناهم.

بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾: أي بنساء بيض واسعات الأعين.

يَدْعُونَ فِيهَا: أي يطلبون الخدم فيها أن يأتوهم بكر فاكهة.

يَكُلُّ فَنَكْهَةً أَمِينٌ ﴿٥٥﴾: أي من انقطاعها ومن مضراتها ومن كل مخوف.  
 لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى: أي لكن الموتة الأولى فقد ذاقوها. ﴿وَوَقَّعَهُمْ  
 عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾.

فَأِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ: أي سهلنا القرآن بلغتك.

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾: أي يتعظون فيؤمنوا ويوحّدوا ولكنهم لا يؤمنون.

فَأَرْتَبْنَا لَهُمْ مَرْتَبُونَ ﴿٥٩﴾: أي فانتظر هلاكهم فإنهم منتظرون هلاكك.



## ٤٥ - سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١) : هذا أحد الحروف الهجائية يكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم.  
تَنْزِيلُ الْكِتَابِ : أي القرآن الكريم.

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) : أي من عند الله العزيز الانتقام من أعدائه، الحكيم في تدبيره.  
إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي إن في خلق السموات والأرض.

لَايَتٍ : أي لدلالات واضحات على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته، وهي موجبات الربوبية والألوهية له وحده دون سواه.

لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) : أي لأنهم بالإيمان أحياء يبصرون ويسمعون فيرون الآيات.

وَفِي خَلْقِكُمْ : أي وفي خلقكم أيها الناس، وتركيب أعضائكم وسلامة بنيانكم.

وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ : أي وما يخلق وينشر من أنواع الدواب من بهائم وغيرها.

ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) : أي علامات على قدرة الله تعالى على البعث الآخر، إذ الخالق لهذه

العوالم قادر على إعادتها بعد موتها، ولكن هذه الآيات لا يراها إلا القوم الموقنون في إيمانهم بربوبية الله وألوهيته وصفات الجلال والكمال له.

وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ : أي بمجيء هذا وذهاب ذلك، وطول هذا وقصر ذلك على مدى الحياة.

وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِذْقٍ : أي من مطر، وسمي المطر رزقاً؛ لأنه يسببه.

فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا : أحيأ بالمطر الأرض بعد موت نباتها بالجذب.

وَتَصْرَفِ الرِّيحِ : أي من صبا إلى دبور، ومن شمال إلى جنوب، ومن سموم إلى باردة، ومن

نسيم إلى عاصفة.

ءَايَاتٍ : أي في اختلاف الليل والنهار وإنزال المطر وإحياء الأرض وتصريف الرياح دلالات

واضحة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته، واقتضاء ذلك ربوبية الله وألوهيته.

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) : لقوم يعقلون أي يستعملون عقولهم في إدراك الأشياء واستنتاج النتائج من

مقدماتها.

تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ : أي تلك الآيات المذكورة آيات الله أي حججه الدالة على وحدانيته (١).

(١) أشار إليها بلام البعد للدلالة على علو شأنها وعزة مرامها، ولولا هذا لقال: هذه آيات الله لقرب ذكرها.

تَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ: أي نخبرك عنها بالحق لا بالباطل، كما يخبر المشركون عن آلهتهم أنها تقربهم إلى الله زلفى كذباً وباطلاً.

فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَابُنَيْهِ: أي فبأي حديث أيها المشركون بعد حديث الله هذا الذي يتلو عليكم وبعد حججه هذه.

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾: أي يصدقون والجواب: أنهم لا يؤمنون.

وَلِكُلِّ لُكْلٍ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾: أي عذاب الويل لكل كذاب ذي آثام كبيرة وكثيرة.

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُخَلَّى عَلَيْهِ: أي يسمع آيات القرآن كتاب الله تقرأ عليه.

ثُمَّ بَصُرَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَوْ يَسْمَعُهَا: أي ثم بصر على الكفر حال كونه مستكبراً عن الإيمان والتوحيد

كأن لم يسمعها. ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٨﴾.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا: أي إذا بلغه شيء من القرآن وعلم أنه القرآن.

اتَّخَذَهَا هُزُوءًا: أي اتخذ تلك الآية أو الآيات مهزواً بها متهاكماً ساخراً منها.

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٩﴾: أي ذو إهانة لهم يهانون به وتكسر أنوفهم.

مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ: أي أمامهم جهنم وذلك يوم القيامة، والوراء يطلق على الأمام كذلك.

وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا: أي لا يكفي عنهم ما كسبوه من المال والأفعال التي كانوا يعتزرون

بها شيئاً من الإغناء.

وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ: أي ولا يغني عنهم كذلك ما اتخذوه من أصنام آلهة. عبدوها دون

الله تعالى. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾.

هَذَا: أي هذا القرآن الذي أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ.

هُدًى: أي كله حجج وبراهين ودلالات هادية.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِبَتِ رَبِّهِمْ: أي والذين كفروا بالقرآن فلم يهتدوا به، وبقوا على ضلالهم من الشرك

والمعاصي.

لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾: أي لهم عذاب موجه من نوع الرجز وهو أشد أنواع العذاب.

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ: أي الله المعبود بحق لا الآلهة الباطلة، سخر لكم أي لأجلكم البحر

بأن جعله أملس تطفو فوقه الأخشاب ونحوها.

لِيَجْرِيَ الْفُلُوكُ فِيهِ بِأَمْرِ: أي جعله كذلك لتجري السفن فيه بإذن الله تعالى.

وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ: أي لتسافروا إلى طلب الرزق من إقليم إلى إقليم.

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾: أي رجاء أن تشكروا نعم الله عليكم.

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَنَافِي السَّمَوَاتِ: أي من شمس وقمر ونجوم ورياح وماء أمطار.

وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ: أي وما في الأرض من جبال وأنهار وأشجار ومعادن منه تعالى.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ : أي علامات ودلائل وحججاً على وجود الله وألوهيته.

لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ : أي لقوم يستخدمون عقولهم فيتفكرون في وجود هذه المخلوقات، ومن أوجدها. ولماذا أوجدها. فتتجلى لهم حقائق وجود الله وعلمه وقدرته ورحمته فيؤمنون ويوحدون.

قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا : أي قل يا رسولنا للمؤمنين من عبادنا: يغفروا: أي يتجاوزوا ولا يؤاخذوا.

لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ : أي لا يتوقعون أيام الله أي بالإدالة منهم للمؤمنين فيذلهم الله وينصر المؤمنين عليهم وهم الرسول وأصحابه وهذا قبل الأمر بجهادهم.

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ : أي ليجزي الله تعالى يوم القيامة قوماً منهم، وهم الذين علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون بما كسبوه من أذى الرسول والمؤمنين.

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ : أي فهو الذي يرحم ويسعد به.

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا : أي ومن عمل سوءاً فالعقوبة تحل به لا بغيره.

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكَ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ : أي بعد الموت ويحكم بينكم فيما كان بينكم من خلاف وأذى. وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ : أي التوراة لأنها الحاوية للأحكام الشرعية بخلاف الزبور والإنجيل.

وَالْحُكْمَ : أي الفصل في القضايا بين المتنازعين على الوجه الذي يحقق العدل.

وَالنَّبُوءَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ : أي جعلنا فيهم النبوة كنبوة موسى وهارون وداود وسليمان، ورزقناهم من الطيبات كالمن والسلوى وغيرهما.

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ : أي على عالمي زمانهم من الأمم المعاصرة لهم. ﴿وَأَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ علمناهم حججاً وعلوماً في أمر دينهم ونظام حياتهم (١).

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ : أي لم يختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ببعثة محمد النبي ﷺ. بغيًا بينهم أي حسداً للعرب أولاد إسماعيل أن تكون النبوة فيهم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ : أي ثم جعلناك يا رسولنا على شريعة من أمر الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده.

فَاتَّبِعَهَا : أي الزم الأخذ بها والسير على طريقها في أنها تفضي بك إلى سعادة الدارين.

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ : من مشركي العرب ومن ضلال أهل الكتاب.

(١) حيث يكونون على بصيرة في تدبير مجتمعهم وعلى سلامته من الشرور والمفاسد.

إِنَّهُمْ لَنْ يُعْتُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي إن أنت تركت ما شرع لك واتبعت ما يقترحون عليك أن تفعله مما يوافق أهواءهم، إنك إن اتبعتهم فلن يدفعوا عنك من العذاب الدنيوي والأخروي شيئًا. وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ : أي ينصر بعضهم بعضًا في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم لا ينصرون.

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ : أي متوليهم في أمورهم كلها وناصرهم على أعدائهم. هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ : أي هذا القرآن أي أنوار هداية يهتدون به إلى ما يكملهم ويسعدهم، وهدى ورحمة، ولكن لأهل اليقين في إيمانهم فهم الذين يهتدون به ويرحمون عليه، أما غير الموقنين فلا يرون هداة، ولا يجدون رحمته لأن شكهم وعدم إيقانهم يتعذر معهما أن يعملوا به في جد وصدق وإخلاص.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ : أي اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصي. ﴿٢١﴾ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ \* سَوَاءٌ نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ : أي محياهم ومماتهم سواء، لا لا: المؤمنون في الجنة. والمشركون في النار.

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٢﴾ : أي ساء حكمًا حكمهم بالتساوي مع المؤمنين. ﴿٢٣﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ \* وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ : أي وليجزى الله كل نفس ما كسبت من خير وشر. ﴿٢٤﴾ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ : أي أخبرني عن من اتخذ أي جعل إلهه: أي معبوده هواه. وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴿٢٦﴾ : أي على علم من الله تعالى بأنه أهل للإضلال وعدم الهداية. ﴿٢٧﴾ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ \*

وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا : أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل. فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ عَدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ : أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتنظروا. وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا : أي قال منكرو البعث ما الحياة إلا هذه الحياة، وليس وراءها حياة أخرى.

نُومٌ وَنَحْيًا : أي يموت بعضنا، ويحيا بعضنا بأن يولدوا فيحيا ويموتوا. وَمَا يَلِكُكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ : أي وما يميئنا إلا مرور الزمان علينا.

(١) ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي أضله الله مع ما عنده من العلم الذي لو خلع عن نفسه الكبر والعناد والميل إلى الهوى لاهتدى ونجا وسعد، أو على علم من الله تعالى بأنه ليس أهلاً للهداية كما في التفسير.

وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ : أي وليس لهم أدنى علم على قولهم، لا من وحي وكتاب إلهي ولا من عقل صحيح.

إِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ : أي ما هم إلا يظنون فقط، والظن لا قيمة له ولا يبنى عليه حكم. وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ : أي وإذا قرئت عليهم الآيات الدالة على البعث والجزاء الأخروي بوضوح.

مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ : أي لم تكن لهم من حجة إلا قولهم <sup>(١)</sup>.  
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُؤْتُوا بَابِنَا : أي قولهم أحيوا لنا آباءنا الذين ماتوا وأتوا بهم إلينا.  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ : إن كنتم صادقين فيما تخبروننا به من البعث والجزاء.  
قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ مَيِّتُكُمْ : أي قل لهم يا رسولنا: الله الذي يحييكم حين كنتم نطفًا ميتة، ثم يميتكم.

ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : أي ثم بعد الموت يجمعكم إلى يوم القيامة للحساب والجزاء.  
لَا رَيْبَ فِيهِ : أي يوم القيامة الذي لا ريب ولا شك في مجيئه في وقته المحدد له.  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ : أي لا يعلمون لعدم تلقيهم العلم عن الوحي الإلهي؛ لكفرهم بالرسول والكتب.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُونَ بَاطِلَاتٍ ﴿٢٧﴾ : أي ويوم تقوم الساعة التي أنكرها الكافرون يخسر أصحاب الباطل بصيرورتهم إلى النار.  
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِعَةٍ : أي كل أمة ذات دين جائئة على ركبها تنتظر حكم الله فيها <sup>(٢)</sup>.  
كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا : أي إلى كتاب أعمالها فهو الحكم فيها إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر.

الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ : أي يقال لهم: اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.  
هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ : أي ديوان الحفظ الذي دونه من أعمال العقلاء من الناس شاهد عليكم بالحق.

إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ : أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون.  
فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ : أي فيدخلهم في جنته، أي الفوز البين الظاهر وهو النجاة من النار ودخول الجنة.

(١) وهي حجة داخضة عند ربهم أي باطلة (قل).

(٢) الأمة الجماعة العظيمة أمرها واحد يجمعهم دين، والجنث: البروك على الركب في استنفار وهي هيئة الخضوع.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَلَيْهِمْ : أي يقال لهم: ألم تأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تتلى عليكم.

فَأَسْتَكْبِرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ : أي عن آيات الله فلم تؤمنوا بها وكنتم بذلك قوماً كافرين. وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : أي بالبعث والجزاء العادل يوم القيامة حق ثابت. ﴿وَالسَّاعَةُ لَارِيبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَنُّ إِلَّا أَطَّأْنَا﴾ .

وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ : أي وما كنا مستيقنين بالبعث وإنما كنا نظنه ظناً لا غير ولا نجزم به. وَبَدَّاهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا : أي ظهر لهم في يوم القيامة جزاء سيئات ما عملوه في الدنيا من الشرك والمعاصي.

وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ : أي نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به إذا ذكروا به وخوفوا منه في الدنيا.

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ : أي وقال الله تعالى لهم: اليوم نساكم أي نترككم في النار. كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا : أي مثلما نسيتم يومكم هذا فلم تعملوا له بما ينجي فيه وهو الإيمان والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي. وَمَا وَكُنْتُمْ أَتَّارًا : أي ومحل إقامتكم النار.

وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ : أي من ناصرين ينصرونكم بإخراجكم من النار. ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا : أي ذلكم العذاب كان لكم بسبب كفركم واتخاذكم آيات الله هزوعاً: أي شيئاً مهزوعاً به.

وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا : أي طول العمر والتمتع بالشهوات والمستلذات. فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ ﴿٣٥﴾ : أي لا يؤذن لهم في الاستعتاب ليعتوبوا فيتوبوا. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ : أي فله وحده الوصف بالجميل لإنجاز وعيده لأعدائه.

وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي العظمة والحكم النافذ الناجز على من يشاء. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ : أي وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبير خلقه.



## ٤٦ - سُورَةُ الْأَحْقَافِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ (١): هذا أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: حم، ويقرأ هكذا: حاميم.  
 تَنْزِيلِ الْكِتَابِ: أي تنزيل القرآن.  
 مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢): أي من لدن الله العزيز في ملكه الحكيم في صنعه.  
 مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى: أي ما خلقنا السموات والأرض إلا خلقاً متلبساً بالحق وبأجل مسمى لفنائهما.  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣): أي عمّا خوفوا به من العذاب معرضون عنه غير ملتفتين إليه.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي من الأصنام والأوثان.  
 أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ: أي أشيروا إلى شيء خلقوه من الأرض.  
 أَمْ لَكُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ: أي أم لهم شركة.  
 أَتُؤْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا: أي منزل من قبل القرآن.  
 أَوْ أَنْزَلْتُمْ مِنَ عَلِيمٍ: أي بقية من علم يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام.  
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤): أي في دعواكم أن عبادة الأصنام والأوثان تقربكم من الله تعالى.  
 وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: أي لا أحد أضل ممن يدعو من لا يستجيب له في شيء يطلبه منه أبداً.  
 وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ (٥): أي وهم -الأصنام- عن دعاء المشركين إياهم غافلون لا يعرفون عنهم شيئاً.

وَإِذْ أَحْسَرْنَا النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً: أي في يوم القيامة كانت الأصنام أعداء لعابديها.  
 وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦): أي وكانت الأصنام بعبادة المشركين لها جاحدة غير معترفة.  
 وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ: أي أهل مكة من كفار قريش، والآيات آيات القرآن، والبيئات: الواضحات.

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ: أي من كفار قريش للحق أي القرآن لما قرأه عليهم رسول الله

ﷺ

هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧): أي قالوا في القرآن: سحر مبين أي ظاهر لما رأوا من تأثيره في النفوس.

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرِيئُهُ : أي بل يقولون افتراه أي اختلقه من نفسه.

قُلْ إِنْ أَفَرَيْتُهُ : أي قل لهم يا نبينا: إن اختلقته من نفسي.

فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي فأنتم لا تملكون لي من الله شيئاً إن أراد أن يعذبني.

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فِيهِ : أي هو تعالى أعلم بما تخوضون فيه من القدح والظعن في وفي القرآن.

كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ : أي كفى به تعالى شهيداً بيني وبينكم. ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ الرَّحِيمُ﴾ (٨)

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاةٍ مِنَ الرُّسُلِ : أي لم أكن أول رسول فأكون بدعاً من الرسل، بل سبقني رسل

كثيرون.

وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ : أي في هذه الحياة هل أخرج من بلدي، أو أقتل، وهل ترجمون

بالحجارة أو يخسف بكم؟

إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ : أي ما أتبع إلا ما يوحيه إليّ ربي فأقول وأفعل ما يأمرني به.

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ : أي وما أنا إلا نذير لكم بين الإنذار.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ : أي أخبروني ماذا تكون حالكم.

إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ : أي إن كان القرآن من عند الله.

وَكَفَرْتُمْ بِهِ : أي وكذبتم به أي بالقرآن.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي وشهد عبد الله بن سلام (١)

عَلَىٰ مِثْلِهِ فَتَأْمَنَ : أي عليه أنه من عند الله فأمن.

وَأَسْتَكْبَرْتُمْ : أي واستكبرتم أنتم فلم تؤمنوا أستم ظالمين. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿١١﴾

لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ : أي لو كان ما جاء به محمد من القرآن والدين خيراً ما سبقنا إليه

المؤمنون.

وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ : أي بالقرآن العظيم.

فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١٢﴾ : أي هذا القرآن إفك قديم أي هو من (٢) كذب الأولين. ﴿وَمِنْ

قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحِمَةً﴾

وَهَذَا كَتَبَ مُصَدِّقٌ : أي القرآن مصدق للكتب التي سبقته.

لِسَانَ عَرَبِيًّا يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا : أي حال كونه بلسان عربي لينذر به الظالمين المشركين.

وَبَشِّرِ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ : وهو - أي القرآن - بشرى لأهل الإحسان في عقائدهم وأقوالهم

(١) قال ابن كثير رحمه الله: وهذا يعم عبد الله بن سلام وغيره (قل).

(٢) المضارع هنا مراد به سيديمون قولهم هذا كلما أرادوا رد القرآن: هذا إفك قديم.

وأعمالهم.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا: أي فلم يرددوا واستمروا على فعل الواجبات وترك المحرمات.

فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾: أي في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾: أي جزاهم الله بما جزاهم به بنفي الخوف والحزن عنهم بأعمالهم الصالحة وتركهم الأعمال الفاسدة. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ: أي أمرناه أمراً مؤكداً بالإيصال. إِحْسَانًا: أي أن يحسن به ما إحساناً وهو المعاملة بالحسنى. حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا: أي حملته أثناء حملها في بطنها على مشقة وولدتها كذلك على مشقة.

وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا: أي مدة حملها في بطنها وطاقمه من الرضاع ثلاثون شهراً<sup>(١)</sup>. حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ: أي اكتمال قوته البدنية والعقلية وهي من الثلاث والثلاثين فما فوق. وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً<sup>(٢)</sup> قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ: أي ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك بصرها فيما تحب.

وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ: أي وبأن أعمل صالحاً ترضاه مني أن تتقبله عني. وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ: أي فلا نؤاخذهم بها بل نغفرها. فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ: أي في جملة أصحاب الجنة وعدادهم. وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾: أي في مثل قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الآية.

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ: الذي: اسم موصول استعمل استعمال الجنس فدل على متعدد، بدليل الخبر عنه وهو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾. أَوْ لَكُمْ: أي نتنا وقبحا لكما.

(١) ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وحمله وفضاله ثلاثون شهراً هذه الآية الكريمة مع قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ دلنا على أن أقل مدة الحمل: ستة أشهر، فلا يثبت الحمل بأقل من ستة أشهر ويثبت بالسته والسبعة والثمانية والتسعة، فمن بنى بامرأة وولدت قبل ستة أشهر من البناء بها فالولد لا يلحق الزوج.

(٢) لم خص الدعاء للوالدين في هذا الوقت بالذات؟ لأنه وقت يصبح فيه الولد مشغولاً بزوجة وأولاد وتكاليف فهو في هذه الحال أحوج ما يكون إلى عون الله تعالى على بر والديه.

أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ : أي من القبر حيًّا بعد موتي.

وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي : أي مضت الأمم قبلي ولم يخرج منها أحد من قبره.

وَهُمَا يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ : أي يطلبان الغوث برجوع ولدهما إلى الإيمان بعد الإلحاد والكفر.

وَيْلَكَ أَيُّهَا مَنْ : أي يقولان له: إن لم ترجع ويملك أي هلاكك أي هلكت آمن بالبعث.

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ : وقد وعد العباد بالرجوع إليه ومحاسبتهم على أعمالهم.

فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ : أي ما القول بوجود بعث للناس أحياء بعد الموت إلا

أكاذيب الأولين.

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ : أي وجب عليهم القول بالعذاب يوم القيامة.

فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ : أي في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس.

إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ .

وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا : أي ولكل من المؤمنين البارين، والكافرين الفاجرين درجات مما عملوا،

درجات المؤمنين في الجنة، ودرجات الكفار في النار. ﴿وَلِيُؤْيِيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْمُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ

الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ﴿٢٠﴾ .

أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا : أي يقال لهم: أذهبت طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا.

وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا.

فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ : أي جزاؤكم عذاب الهون.

بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ : أي تتكبرون في الأرض.

يَعْبِرُ الْحَقُّ : إذ لا حق لكم في الكبر، والكبرياء لله، ولم يأذن لكم فيه.

وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢١﴾ : أي تخرجون عن طاعة الله ورسوله.

﴿وَأَذْكُرُوا عَادَ﴾ : أي نبي الله هوذا ﴿عَادَ﴾ .

إِذْ أَنْذَرْتَهُمْ بِالْأَحْقَافِ : أي خوف قومه عذاب الله بوادي الأحقاف <sup>(١)</sup> .

وَقَدْ خَلَّتِ النَّذُرُ : أي مضت الرسل.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ : أي من قبله ومن بعده إلى أممهم.

الْأَتَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ : أي أنذروهم بأن لا يعبدوا إلا الله.

إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ : أي هائل بسبب شرككم بالله وكفركم برسالتي.

قَالُوا أَلْحِثْنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عَنَاءِ الْهَيْتَانَا : أي لتصرفنا عن عبادتها.

قَالْنَا بِمَا تَعْبُدُنَا : أي من العذاب على عبادتها.

(١) الأحقاف: جمع حَقْف بكسر وسكون: الرمل العظيم المستطيل.

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٢﴾: أي في أنه يأتينا قطعاً كما تقول.  
 قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ: أي علم مجيء العذاب ليس لي وإنما هو لله وحده (١).  
 وَأُتِغَفَرُ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ: أي وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلني به ربي إليكم.  
 وَلَكِنِّي أَرْزُقُكُمْ قَوْمًا مَّجْهُلُونَ ﴿٦٣﴾: أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإسعاد والكمال وإلا فكيف تستعجلون العذاب مطالبين به.

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا: أي رأوا العذاب سحاباً يعرض في الأفق.  
 مُسْتَقْبِلِ أَوْدِيَّتِهِمْ: أي متجهاً نحو أوديتهم التي فيها مزارعهم.  
 قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا: أي قالوا مشيرين إلى السحاب هذا عارض ممطرنا.  
 بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ: أي ليس هو بالعارض الممطر بل العذاب الذي استعجلتموه.  
 رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾: أي ريح عاتية تهلك كل شيء تمر به.  
 تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا: أي ياذن ربها تعالى.  
 فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ: أي أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق إلا مساكنهم (٢).  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٥﴾: أي كذلك الجزاء الذي جازينا به عاداً قوم هود وهو الهلاك الشامل نجزي المجرمين من سائر الأمم.  
 وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنْتُمْ فِيهِ: أي ولقد مكنا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من مثلها.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً: أي وجعلنا لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة.  
 فَمَا آغَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ: أي من الإغناء.  
 إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ: أي لعلة هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البينة.  
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾: أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.  
 وَلَقَدْ أَهَلَّكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى: أي من أهل القرى كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.  
 وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾: أي كررنا الحجج وضررنا الأمثال ونوعنا الأساليب، لعلهم يرجعون إلى الحق فيؤمنوا ويوحدوا.

فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً: أي فهلاً نصرهم بدفع العذاب عنهم الذين اتخذوهم من دون الله آلهة يتقربون بهم إلى الله في زعمهم.  
 بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ: أي غابوا عنهم عند نزول العذاب.

(١) (أل) في ﴿العلم﴾ للاستغراق العرفي أي: علم كل شيء، ومنه علم وقت مجيء العذاب.

(٢) المراد بالمساكن: آثارها وبعض الجدران الشاحصة منها.

وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿٦٢١﴾: أي خذلان آلهتهم لهم وعدم نصرتهم لهم بل غيابهم عنهم هو إفكهم وافتراؤهم الذي كانوا يفترونه.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ: أي واذكر إذ أملنا إليك نفرًا<sup>(١)</sup> من الجن، جن نصيبين أو نينوى. يَسْمَعُونَ الْفُرْعَانَ فَلَمَّا حَصَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا: أي حضروا سماع القرآن قالوا - أي بعضهم لبعض -: أصغوا لاستماع القرآن.

فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٦٢٢﴾: أي فرغ من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من العذاب.

قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ: أي من الكتب السابقة كالطوراة والإنجيل والزيور وغيرها.

يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٢٣﴾: أي من العقائد في الشرائع والإسلام. ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

وَيُخَذِّبُكُمْ مِنَ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٢٤﴾: أي ويحفظكم من عذاب يوم القيامة.

وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ: أي فليس بمعجز الله هربًا منه فيفوته.

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢٥﴾: أي الذين لم يجيبوا داعي الله وهو محمد ﷺ

إلى الإيمان أي في ضلال عن طريق الإسعاد والكمال ظاهر مبين.

أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَلْقٌ لَخَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ: أي إنه قادر على إحياء الموتى وإخراجهم أحياء من قبورهم

للحشر. ﴿بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٢٦﴾.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ: أي ليعذبوا فيها.

أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ: أي يقال لهم تقريبًا: أليس هذا أي: العذاب - بحق؟.

قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا: أي إنه لحق وربنا حلفوا بالله تأكيدًا لخبرهم. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٢٧﴾.

فَأَصْبِرْ: أي يا رسولنا محمد على أذى قومك.

كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ: أي أصحاب الحزم والصبر والعزم وهم: نوح، وإبراهيم،

وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم، وهم أصحاب الشرائع.

(١) (أنصتوا) أمر بتوجيه الأسماع إلى الكلام اهتمامًا به لتلايفوت منه شيء، وفي الحديث: أن النبي ﷺ أمر جابرًا

في حجة الوداع فقال له: «استنصت الناس» قبل أن يبدأ خطبته ﷺ.

وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ : أي ولا تستعجل نزول العذاب لأجلهم.

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ : أي في الآخرة.

لَتَرِيْلَيْشُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ : أي لم يقيموا في الدنيا إلا ساعة من نهار وذلك لطول العذاب.

بَلِّغْ : أي هذا القرآن بلاغ للناس أي تبليغ لهم.

فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾ : أي ما يهلك إلا القوم التاركون لأمر الله المعرضون عنه

الخارجون عن طاعته.





«مجانبة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي كفروا بتوحيد الله ولقائه وبآياته ورسوله، وصدوا غيرهم عن الدخول في الإسلام.

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤٧﴾: أي أحبط أعمالهم الخيرية كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرى لها أثر يوم القيامة.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ: أي آمنوا بالله وآياته ورسوله ولقائه وأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي.

وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ: أي بالقرآن الكريم.

وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَتْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ: أي محاه عنهم ذنوبهم وغفرها لهم.

وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٤٨﴾: أي شأنهم وحالهم فهم لا يعصون الله تعالى.

ذَلِكَ: أي إضلال أعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين.

بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ: أي الشيطان في كل ما يميله عليهم ويزينه لهم من الكفر والشرك

والمعاصي.

وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ: أي التوحيد والعمل الصالح.

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٤٩﴾: أي كما بين تعالى حال الكافرين، وحال المؤمنين في هذه

الآية يبين للناس أمثالهم ليعتبروا.

فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ: أي إذا كان الأمر كما ذكر، فإذا لقيتم الذين كفروا في ساحة

المعركة، فاضربوا رقابهم ضرباً شديداً تفصلون فيه الرقاب عن الأبدان.

حَتَّىٰ إِذَا تَخَمُّتُمُوهُمْ: أي أكثرتم فيهم القتل ولم يصبح لهم أمل في الانتصار عليكم.

فَشُدُّوا الوثَاقَ: أي فأسروهم بدل قتلهم، وشدوا الوثاق أي ما يوثق به الأسير من إسار قدماً كان

أو حبلاً حتى لا يتفلتوا ويهربوا.

فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً: أي بعد أسركم لهم وشد وثاقهم فإما أن تمنوا مناً أي تفكوهم من الأسر

مجاناً، وإما تفادوهم بمال أو أسير مسلم، وهذا بعد نهاية المعركة.

حَتَّىٰ نَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا: أي واصلوا القتال والأخذ والأسر إلى أن تضع الحرب أوزارها وهي

آلاتها، وذلك عند إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم، فهذه غاية انتهاء الحرب حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله.  
ذَلِكَ : أي الأمر ذلك الذي علمتم من استمرار القتال إلى غاية إسلام الكفار أو دخولهم في عهدكم وذمتكم.

وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرْتُمْ : أي بغير قتال منكم كأن يخسف بهم الأرض أو يصيبهم بوباء ونحوه.  
وَلَكِنْ لِنَبِّئُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ : أي ولكن أمركم بالقتال وشرعه لكم لحكمة هي أن يبلو بعضكم ببعض أي يختبركم من يقاتل منكم ومن لا يقاتل، والمؤمن يقتل فيدخل الجنة والكافر يقتل فيدخل النار.

وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي قتلهم العدو، وقرئ قاتلوا في سبيل الله.  
فَلَنْ يُصِلَ أَعْمَالُهُمْ ④ : أي لا يحبطها ولا يبطلها.  
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمِ ⑤ : أي سيوفقهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ويصلح شأنهم.  
وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ⑥ : أي ويدخلهم يوم القيامة الجنة بينها لهم فعرفوها بما وصفها لهم في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

يَتَأَيَّبُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ : أي في دينه ورسوله وعباده المؤمنين.  
يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ⑦ : أي على عدوكم ويثبت أقدامكم في المعارك.  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ : أي تعسوا تعسا: أي هلاكًا وخيبة لهم.  
وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ⑧ : أي أحبطها وأبطلها فلم يحصلوا بها على طائل.

ذَلِكَ : أي الضلال والتعس.  
يَأْنَهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ : أي من القرآن المشتمل على أنواع الهدايات والإصلاحات.  
فَأَحْطَبَ أَعْمَالَهُمْ ⑨ : أي أبطلها وأضلها فلا ينتفعون بها لا في الدنيا ولا في الآخرة.  
﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ : أي أغفل هؤلاء المشركون فلم يسيروا في البلاد.  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي كيف كانت نهاية الذين من قبلهم كعاد وثمود.  
دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ⑩ ﴾ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ⑩ : أي دمر عليهم مساكنهم فأهلكهم وأولادهم، وأموالهم  
وللكافرين أمثال تلك العاقبة السيئة.

ذَلِكَ يَأْنُ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ⑪ : أي لا ناصر لهم. ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ : أي بمتع الدنيا من مطاعم ومشارب وملابس ويأكلون.  
كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ⑫ : أي كأكل الأنعام بنهم وازدرداد، والنار مأواهم.  
وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً : أي وكثير من أهل قرية هي أشد قوة.

مِنْ قَرْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ <sup>(١)</sup> : أي مكة إذ أخرج أهلها النبي ﷺ .  
 ﴿أَهْلَكْتَهُمْ فَلَاحِصْرَهُمْ﴾ <sup>(١٣)</sup> : أي على حجة وبرهان من أمر دينه فهو  
 يعبد الله على علم.

كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ : أي كمن زين الشيطان له سوء عمله.  
 وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ <sup>(١٤)</sup> : أي واتبعوا أهواءهم في عبادة الأصنام والجواب: ليسوا سواء ولا مماثلة  
 بينهما أبدًا.

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ <sup>(١٥)</sup> : أي صفة الجنة دار السلام التي وعد الله بها عباده المتقين له.  
 فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ مَاسِنٍ : أي غير متغير الريح والطعم لطول مكثه. ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ  
 وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ .  
 وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى <sup>(١٦)</sup> : أي من الشمع وفضلات النحل. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ  
 هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ .

وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا : أي حارًا شديد الحرارة.  
 فَفَقَّعَ أَمْعَاءَهُمْ <sup>(١٧)</sup> : أي مصارينهم فخرجت من أديبارهم.  
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ : أي ومن الكفار المنافقين من يستمع إليك في خطبة الجمعة.  
 حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا : أي الساعة أي استهزاء منهم وسخرية  
 يعنون أنه شيء لا يرجع إليه ولا يعتد به لعدم فائدته.

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ : أي بالكفر فلذا هم لا يعون.  
 وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ <sup>(١٨)</sup> : أي في الكفر والنفاق.  
 وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا : أي المؤمنون.  
 زَادَهُمْ هُدًى : أي زادهم الله هدى.  
 وَءَانذَهُمْ نَقْوَاهُمْ <sup>(١٩)</sup> : أي ألهمهم ما يتقون به عذاب الله تعالى.  
 فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ : أي ما ينتظر أهل مكة إلا الساعة.  
 أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً <sup>(٢٠)</sup> : أي فجأة.

فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا : أي علاماتها كبعثه النبي ﷺ وانشقاق القمر والدخان.  
 فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ <sup>(٢١)</sup> : أي أنى لهم إذا جاءهم التذکر الذي ينفعهم إذ قد أغلق باب  
 التوبة.

(١) أطلق الإخراج على ما عامل به المشركون الرسول ﷺ من الجفاء والأذى ومحاربة نشر الدعوة؛ فكان ذلك  
 سبب خروجه منها، فأطلق الإخراج على مسيئته، وإلا فالرسول ﷺ خرج باختباره ولم يكرهه المشركون على  
 الخروج بل كانوا يحاولون منعه من الخروج.

فَاعْتَرَأْتَهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : أي فبناءً على ما تقدم لك يا نبينا فاعلم أنه لا يستحق العبودية إلا الله فاعبده وتوكل عليه.

وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ : أي قل: أستغفر الله أو اللهم اغفر لي (١).

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ : أي واستغفر للمؤمنين والمؤمنات.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ : أي متصرفكم في النهار وأنتم تتصرفون في أمور دنياكم.

وَمَثُوبِكُمْ (٢) : أي مكان ثوابكم وإقامتكم ونومكم بالليل.

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ : أي هلاً نزلت سورة يقول هذا المؤمنون طلباً للجهاد.

فَإِذَا أَنْزَلْتُمْ سُورَةَ مُحْكَمَةً : أي لم ينسخ منها شيء من أوامرها ونواهيها.

وَذَكَرْتُمْ فِيهَا الْقِتَالَ : أي طلب القتال بالدعوة إليه والترغيب فيه.

رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أي شك وهم المنافقون.

يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ : أي خوفاً من القتال وكراهية له، فتراهم ينظرون إلى

الرسول مثل نظر المغشي عليه من سكرات الموت.

فَأُولَئِكَ لَهُمْ (٣) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ : أي فأجدر بهم طاعة لرسول الله وقول معروف حسن له.

فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرُ : أي فرض القتال وجد أمر الخروج إليه.

فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ : أي وفوا له ما تعهدوا به من أنهم يقاتلون.

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٤) : أي الوفاء بما تعهدوا به خيراً في دنياهم وآخرتهم.

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ : أي أعرضتم عن الإيمان الصوري الذي أنتم عليه وأعلنتم عن كفركم.

أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٥) : أي تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي ولا

تصلوا أرحامكم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ (٦) : أي فعل تعالى ذلك بهم؛ فلذا هم لا

يسمعون الحق ولا يبصرون الخير والمعروف.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ (٧) : أي يتفكرون فيه فيعرفون الحق من الباطل.

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٨) : أي بل على قلوب لهم أقفالها فهم لا يفهمون إن تدبّروا.

(١) لا ذنب للرسول ﷺ لعصمته، وإنما هو من باب قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني استغفر الله في اليوم مائة

مرة» [رواه مسلم]، ومعنى يغان: يغام ويغشى، وقيل: إنه غين أنوار لا غين أغبار.

(٢) من أعظم ما يعين على تدبر القرآن: قراءة تفسيره والقيام به ودعوة الناس إليه، فمن لا يعرف التفسير إذا قرأ أو

استمع لقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (٨) ظن أن المقصود بذلك هو الخير الذي عكس الشرع

أن المقصود بالخير هنا (المال) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (قل).

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ : أي رجعوا كافرين بنفاقهم.

مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ : أي من بعد ما تبين لهم صدق الرسول وصحة دينه بالحجج

والبراهين.

الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٦٥﴾ : أي زين لهم الشيطان نفاقهم وأملى لهم أي واعدهم بطول

العمر ومناهم.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ : أي ذلك الإضلال بسبب قولهم للذين كرهوا

ما نزل الله وهم المشركون.

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ : أي بأن نتعاون معكم على عداوة الرسول، وبثبیط المؤمنين

عن الجهاد، وكان ذلك سرًا منهم لا جهره فأظهره الله لرسوله.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ .

يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٦٧﴾ : أي بمقامع من حديد يضربون وجوههم وظهورهم.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ : أي التوفي على الحالة المذكورة من الضرب على

الوجوه والظهور بسبب اتباعهم ما أسخط الله من الشرك والمعاصي.

وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ : أي ما يرضيه تعالى من التوحيد والعمل الصالح.

فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٦٨﴾ : أي أبطلها فلم يحصلوا منها على ثواب حسن.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ : أي مرض النفاق.

أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٦٩﴾ : أي أن لن يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمَهُمْ : أي لعرفناك بهم فلعرفتهم.

فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ : أي بعلاماتهم.

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ : أي إذا تكلموا عندك في لحن القول أي: معناه وذلك بأن يعرضوا فيه

بتهجين أمر المسلمين أي: تقيح أمرهم.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٧٠﴾ : أي أيها المؤمنون إن الله يعلم أعمالكم وسيجزيكم بها خيرًا.

وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ : ولنتخبرنكم بالجهاد وغيره من التكليف.

حَتَّىٰ نَعْلَمَ : أي نعلم علم ظهور لكم ولغيركم إذ الله يعلم ذلك قبل ظهوره لما حواه كتاب

المقادير.

الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ : أي الذين جاهدوا وصبروا من غيرهم.

وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٧١﴾ : أي ونظهر أخباركم للناس من طاعة وعصيان في الجهاد وفي غيره.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي بالله ولقائه ورسوله وما جاء به من الدين الحق.

وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الإسلام.

وَسَأَقُوا الرَّسُولَ : أي خالفوه وعادوه وحاربوه.

مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَلْهُدَىٰ : أي عرفوا أن الرسول حق والإسلام حق كاليهود وغيرهم.

لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا : أي من الضرر؛ لأنه متعالٍ أن يناله خلقه بضرر.

وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٢٦﴾ : أي يطلها فلا تثمر لهم ما يرجونه منها في الدنيا والآخرة.

﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٦﴾ : أي بالرياء والشرك

والمعاصي.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ : أي عن الإسلام.

ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ لَّنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٢٧﴾ : أي لأنهم ماتوا على الكفر، والكفر محبط للعمل.

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلٰى : أي فلا تضعفوا وتدعوا إلى الصلح مع الكفار.

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ : أي الغالبون القاهرون.

وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكَنَّ أَعْمَالَكُمْ ﴿٢٨﴾ : أي ولن ينقصكم أجر أعمالكم وثوابها.

إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ : أي الاشتغال بالدنيا والتفرغ لها ما هو إلا لهو ولعب لعدم الفائدة

منه.

وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٢٩﴾ : أي ولا يكلفكم بيانفاق أموالكم كلها بل

الزكاة فقط.

إِنْ يَسْتَلِكُمْوهَا فَيُخْفِئْكُمْ بِتَخْلُوهَا : أي بالمبالغة في طلبكم المال تبخلوا.

وَيُخْرِجْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ : أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام. هَتَأْتُمْ هَتُوءًا تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ .

وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ : أي عائد ذلك على نفسه لا على غيره فهو الذي يحرم

الثواب.

وَاللَّهُ الْعَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ : أي عن طاعة الله وطاعة رسوله يأت

بآخرين غيركم.

ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣١﴾ : أي في الطاعة أي يكونوا أطوع منكم لله ورسوله.



## ٤٨ - سُورَةُ الْفَتْحِ

«مجدية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ : أي قضينا لك بفتح مكة وغيرها عنوة <sup>(١)</sup> بجهادك فتحًا ظاهرًا بينًا.

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ: أي بسبب شكرك له وجهادك في سبيله.

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ: أي ما تقدم الفتح وما تأخر عنه.

وَيَسِّرْ لَكَ عَمَلَكَ: أي ينصرك على أعدائك وإظهار دينك ورفع ذكرك.

وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ : ويرشدك طريقًا من الدين لا اعوجاج فيه يفضي بك إلى رضوان

ربك.

وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ : أي وينصرك الله على أعدائك ومن ناوأك نصرًا عزيزًا لا يغلبه

غالب، ولا يدفعه دافع.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ: أي الطمأنينة بعدما أصابهم من الاضطراب والقلق من جراء

الصلح. ﴿لِيَزِدَنَّ اللَّهُ دِينَهُمْ وَيُجْعَلَ لَهُمُ الْبُيُوتُ الْأَمْشِقُ﴾ ﴿٤﴾

وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٥﴾ : أي عليماً بخلقه، حكيماً في تدبيره لأوليائه.

لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ: أي قضى بالفتح ليشكروه ويجاهدوا في سبيله ليدخلهم. ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ

تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ ﴿٦﴾

وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧﴾ : أي وكان ذلك الإدخال والتكفير للسيئات فوزًا عظيمًا.

وَيُعَذِّبُكُمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ: أي يعذبهم بالهم والحزن لما يرون

من نصره الإسلام وعزة أهله.

الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُرْمًا السَّوْءَ: أي أن الله لا ينصر محمدًا وأصحابه.

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ: أي بالذل والعذاب والهوان. ﴿وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿٩﴾

(١) الماضي هنا بمعنى المستقبل إذ فتح مكة المومئ إليه كان سنة ثمانٍ وأطلق الماضي مع إرادة المضارع لتحقيق الوقوع وتأكده نحو: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ بِاللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ واللام في ﴿لَكَ﴾: لا، الأجل أي: فتحنا لأجلك.

(٢) هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ﴾ وهذا التعذيب المذكور في الآية تعذيب خاص زائد على عذاب الكفر والنفاق. وفي قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ إشارة إلى ذلك.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ : أي كان وما زال تعالى غالبًا لا يغلب، حكيماً في الانتقام من أعدائه.  
 إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ : أي شاهدًا على أمة الدعوة يوم القيامة،  
 ومبشراً من آمن منهم وعمل صالحاً بالجنة، ونذيراً من كفر أو عصى وفسق بالنار.  
 لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي هذا علة الإرسال.  
 وَتَعَزَّزُوا وَتَوَقَّروا : أي تنصروه وتعظموه وهذا لله وللرسول.  
 وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ : أي الله تعالى بالصلاة والذكر والتسبيح.  
 إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ : أي بيعة الرضوان بالحديبية.  
 إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ : لأن طاعة الرسول طاعة لله تعالى.  
 يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ : أي لأنهم كانوا يبايعون الله إذ هو الذي يجاهدون من أجله، ويتلقون الجزاء  
 من عنده.

فَمَنْ نَكَتْ : أي نقض عهده فلم يقاتل مع الرسول والمؤمنين.  
 فَإِنَّمَا يَبُيِّنُكَ عَلَىٰ نَفْسِهِ : أي وبال نقضه عهده عائد عليه إذ هو الذي يجزئ به.  
 وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ : أي الجنة إذ هي الأجر العظيم الذي لا  
 أعظم منه إلا رضوان الله.  
 سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ : أي الذين حول المدينة وقد خلفهم الله عن صحبتك، لما  
 طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية، وهم غفار ومزينة  
 وجهينة وأشجع.

سَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا : أي عن الخروج معك.  
 فَأَسْتَعْفِفْنَا : أي الله من ترك الخروج معك.  
 يَعْزِلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ : أي كل ما قالوه هو من ألسنتهم وليس في قلوبهم منه شيء.  
 قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا : أي لا أحد؛ لأن الاستفهام هنا للنفي.  
 إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا : وبخهم على تركهم صحة رسول الله ﷺ خوفاً من قريش.  
 بَلْ كَانُوا اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ : بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً : أي حسبتم  
 أن قريشاً تقتل الرسول والمؤمنين فلن يرجع منهم أحد إلى المدينة.  
 وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا : هو هذا الظن الذي زينه الشيطان في قلوبهم.  
 وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ : أي هالكين عند الله بهذا الظن السيئ، وواحد بور بائر: هالك.  
 وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ : أي ناراً شديدة الاستعار واللهب.

(١) البكرة: أول النهار، والأصيل: آخره أي: غدوة وعشيا.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ لِمَن يَشَاءُ: يغفر لمن يشاء وهو عبد تاب وطلب المغفرة بنفسه، ويعذب من يشاء وهو عبد ظن السوء وقال غير ما يعتقد وأصر على ذلك الكفر والنفاق.

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾: كان وما زال متصفاً بالمغفرة والرحمة فمن تاب غفر الله له ورحمه.

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ: أي المذكورون في الآيات قبل هذه وهم غفار وجهينة ومزينة وأشجع.

إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُوهَا: أي مغامير خيبر إذ وعدهم الله بها عند رجوعهم من الحديبية.

ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ: أي دعونا نخرج معكم لنصيب من الغنائم.

يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ: أي أنهم يطلبهم الخروج إلى خيبر لأخذ الغنائم يريدون أن يغيروا وعد الله لأهل الحديبية خاصة بغنائم خيبر.

قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ: أي قاله تعالى لنا قبل عودتنا إلى المدينة فلن تتبعونا ولن تخرجوا معنا.

فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسَدُونَكَ: أي فسيقولون: بل تحسدوننا وفعلاً فقد قالوا ذلك وزعموا أنه ليس أمراً من الله هذا المنع، وإنما هو من الرسول والمؤمنين حسداً لهم، وهذا دالٌّ على نفاقهم وكفرهم، والعياذ بالله.

بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾: أي لا يفهمون فهم الحاذق الماهر إلا قليلاً وفي أمور الدنيا لا غير.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ: أي الذين تخلفوا عن الحديبية وطلبوا بالخروج إلى خيبر لأجل الغنائم اختبأوا لهم.

سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ: أي ستدعون في يوم ما من الأيام إلى قتال قوم أولي بأس وشدة في الحرب.

فَقَتَلُوا مِنْهُمْ أَوْسَلِمُونَ: أي قاتلوا منهم أو هم يسلمون فلا حاجة إلى قتالهم.

فَإِنْ طُغِيَوا: أي أمر الداعي لكم إلى قتال أصحاب البأس الشديد.

يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا: أي عودة اعتباركم مؤمنين صالحين في الدنيا والجنة في الآخرة.

وَلَنْ تَتَوَلَّوْا: أي تعرضوا عن الجهاد كما توليتم من قبل حيث لم تخرجوا للحديبية.

كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾: في الدنيا بالقتل والإللال، وفي الآخرة بعذاب النار.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ: أي إثم.

وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ : ليس على هؤلاء إثم إذا لم يخرجوا للجهاد.  
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ : أي يعرض عن طاعة الله ورسوله.  
يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ : أي الراسخين في الإيمان الأقوياء، فيه وهم أهل بيعة الرضوان من أصحاب رسول الله ﷺ .

إِذْ يَبَايِعُونَكَ : أي بالحدبية أيها الرسول محمد ﷺ .  
تَحْتَ الشَّجَرَةِ : أي سمرة وهم ألف وأربعمائة بايعوا على أن يقاتلوا قريشًا ولا يفروا.  
فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ : أي علم الله ما في قلوبهم من الصدق والوفاء؛ فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه.

وَأَنْدَبُهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ : أي هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحدبية في ذي الحجة وفي آخر المحرم من سنة سبع غزوا خيبر ففتحها الله تعالى عليهم.  
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا : أي من خيبر.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ : أي كان وما زال تعالى عزيزًا غالبًا، حكيماً في تصريفه شئون عباده.  
وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا : أي من الفتوحات الإسلامية التي وصلت الأندلس غربًا.

فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ : أي غنيمة خيبر.  
وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ : أي أيدي اليهود حيث هموا بالغارة على بيوت الصحابة وفيها أزواجهم وأولادهم وأموالهم فصرفهم الله عنهم.  
وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ : أي تلك الصرفة التي صرف اليهود المتآمرين عن الاعتداء على عيال الصحابة وهم غيب في الحدبية أو خيبر آية يستدلون بها على كلاءة الله وحمايته لهم في حضورهم ومغيبيهم.

وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ : أي طريقًا في التوكل على الله والتفويض إليه في الحضور والغيبة لا اعوجاج فيه.

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا : أي ومغانم أخرى لم تقدرُوا عليها وهي غنائم فارس والروم.  
فَدَّ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا : أي فهي محروسة لكم إلى حين تغزون فارسًا والروم فتأخذونها. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾

وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا : أي المشركون في الحدبية.  
لَوْلَا الْأَدْبَرُ : أي لانهمزوا أمامكم وأعطوكم أذارهم تضربونها. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَيَأْتِيَا وَلَا تَصِيرَا﴾

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ : أي هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين الصابرين سنة ماضية في كل زمان ومكان. ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (١٣٤).

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ : حيث جاء ثمانون من المشركين يريدون رسول الله والمؤمنين ليصيبوهم بسوء.

وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ : فأخذهم أصحاب رسول الله أسرى وأتوا بهم إلى رسول الله فعفا عنهم.

مِنْ بَعْدِ أَنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ : وذلك بالحديبية التي هي بطن مكة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَاتِمًا بِصِيرًا﴾ (١٣٥).  
هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ : أي بالله ورسوله ومنعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام.

وَالَّذِي مَعَكُمْ أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ : أي ومنعوا الهدى محبوسًا حال بلوغ محله من الحرم. وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ : أي موجودون في مكة.

لَمَ تَعْلَمُوهُمْ : أي لم تعرفوهم مؤمنين ومؤمّنات.

أَنْ تَطُوفُوهُمْ : أي قتلاً لهم عند قتالكم المشركين بمكة.

فَتَصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ : أي إثم وديات قتل الخطأ وعتق أو صيام؛ لأذن لكم الله تعالى في دخول مكة.

لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ : أي لم يؤذن لكم في دخول مكة فاتحين ليدخل الله في الإسلام من يشاء.

لَوْ تَرَى إِلَى لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٥) : أي لو تميزوا فكان المؤمنون على حدة والكافرون على حدة، لأذنا لكم في الفتح وعذبنا الذين كفروا بأيديكم عذابًا أليمًا وذلك بضرهم وقتلهم.

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ : أي لعذبناهم إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية وهي الأنفة المانعة من قبول الحق، ولذا منعوا الرسول وأصحابه من دخول مكة وقالوا: كيف يقتلون أبناءنا ويدخلون بلادنا واللات والعزى ما دخلوها؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ : أي فهم الصحابة أن يخالفوا أمر رسول الله بالصلح فأنزل الله سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح.

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى : أي ألزمهم كلمة «لا إله إلا الله» إذ هي الواقية من الشرك.

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا : أي أجدر بكلمة التوحيد وأهلاً للتقوى.

وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمًا (١٣٦) : أي من أمور عباده وغيرها ومن ذلك علمه بأهلية المؤمنين

وأحقيتهم بكلمة التقوى «لا إله إلا الله».

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۗ : أي جعل الله رؤيا رسوله التي رآها في النوم عام الحديبية حقا.

لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ۗ : هذا مضمون الرؤيا أي لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين.

مُخْلِفينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقْصِرِينَ ۗ : أي حالقين جميع شعوركم أو مقصرينها.

لَا تَخَافُوكُمْ ۗ : أي أبدا حال الإحرام وبعده.

فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ۗ : أي في الصلح الذي تم ما لم تعلموا، من ذلك المعرفة التي كانت تلحق المسلمين بقتالهم إخوانهم المؤمنين وهم لا يشعرون.

فَعَمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحَافَرِيْبًا ﴿٧﴾ : هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام المقبل.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ۗ : فلذا لا يخلفه رؤياه بل يصدقه فيها.

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ : أي ليعليه على سائر الأديان بنسخ الحق فيها، وإبطال الباطل فيها، أو

بتسليط المسلمين على أهلها فيحكمونهم.

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٨﴾ : أي أنك مرسل بما ذكر أي بالهدى ودين الحق.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ ۗ : أي أصحابه رضوان الله عليهم.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ۗ : أي غلاظ لا يرحمونهم.

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۗ : أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد.

تَرْتَبُهُمْ رُكْعًا سَجْدًا ۗ : أي تبصرهم ركعًا سجداً أي راكعين ساجدين.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۗ : أي يطلبون بالركوع والسجود ثواباً من ربهم وهو الجنة ورضواناً

هو رضاه عَنْ رِجَالِهِ.

سَيِّمَاهُمْ <sup>(١)</sup> في وجوههم من أثر السجود ۗ : أي نور وبياض يعرفون به يوم القيامة أنهم سجدوا في

الدينا.

ذَلِكَ ۗ : أي الوصف المذكور.

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ : أي صفتهم في التوراة كتاب موسى ﷺ.

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ ۗ : أي فراخه.

فَقَارَozه ۗ : أي قواه وأعانه.

فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى ۗ : أي غلظ واستوى أي قوي.

(١) السيماء: (العلامة ولها ثلاثة مظاهر، الأول: هو بيوسة في الجبهة ولا يتعمدونها ولكنها تحدث من كثرة السجود على الأرض. والثاني: الأثر النفسي من التواضع والخشوع ونور الصلاح. والثالث: نور يوم القيامة يعلو وجوههم ويشهد له قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ يَتَّىٰ آيَاتِهِمْ وَيَأْتِنَهُمْ﴾ الآية.

عَلَى سُوقِهِ: جمع ساق أي على أصوله.

يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ: أي زارعيه لحسنه.

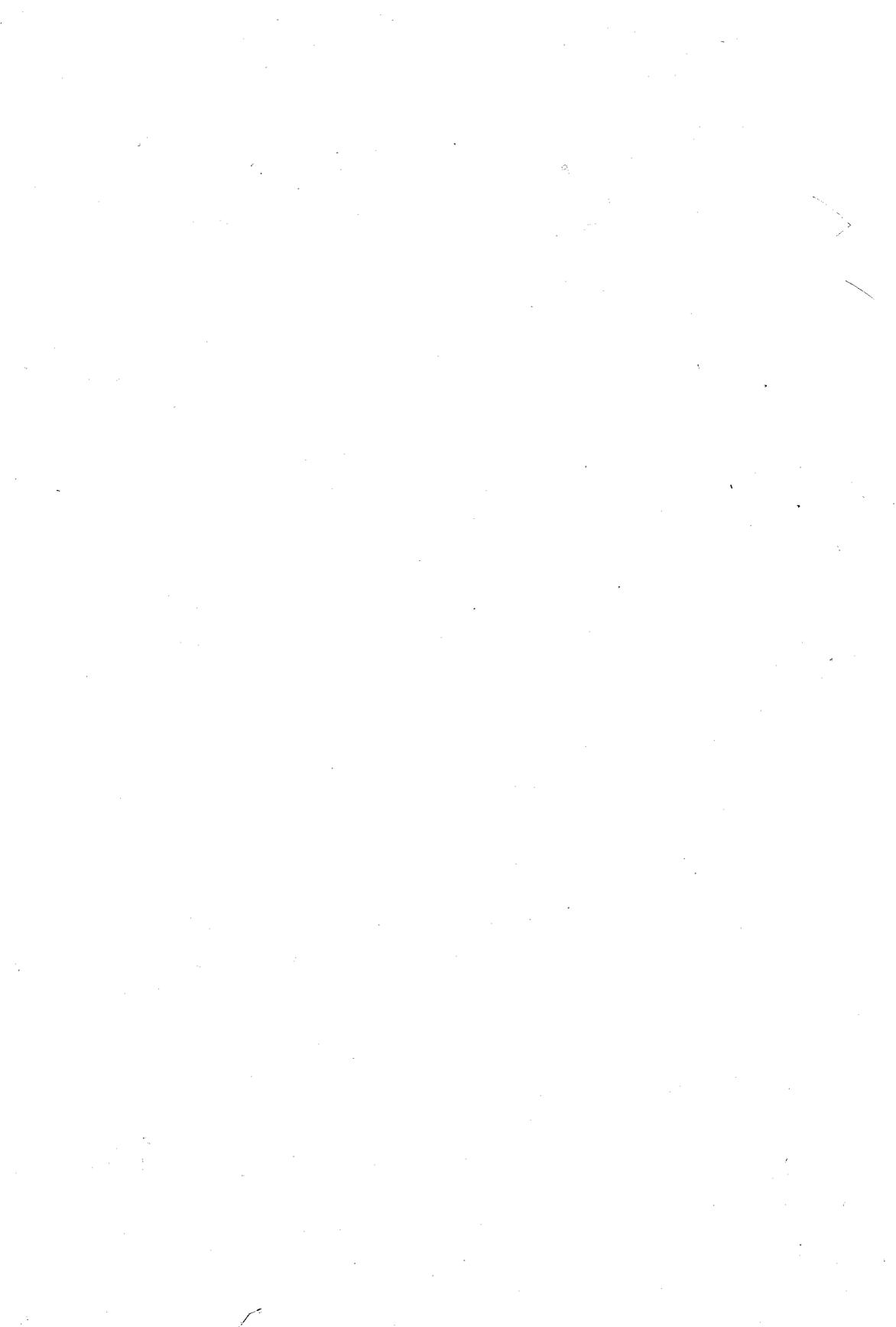
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ: هذا تعليل أي قواهم وكثرهم ليغيبهم الكفار. ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٦٩﴾







**الباب السابع**  
**حزب المفصل**



## ٤٩ - سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا : أي لا تتقدموا بقول ولا فعل إذ هو من قدم بمعنى تقدم.  
 بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ : كمن ذبح يوم العيد قبل أن يذبح رسول الله ﷺ وكإرادة أحد الشيخين (١)  
 تأمير رجل على قوم قبل استشارة الرسول ﷺ .  
 وَأَقْوَمُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ سَمِعَ عَلِيمٌ (١) : أي خافوا الله إنه سميع لأقوالكم عليم بأعمالكم.  
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ : أي إذا نطقتم فوق صوت النبي إذا نطق.  
 وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ : أي إذا ناجيتموه فلا تجهروا في محادثتكم معه كما  
 تجهرون فيما بينكم إجلالاً له ﷺ وتوقيراً وتقديراً.  
 أَنْ تَحِطَّ أَعْمَالُكُمْ : أي كراهة أن تبطل أعمالكم فلا تثابوا عليها.  
 وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) : بحبوطها وبطلانها. إذ قد يصحب ذلك استخفاف بالنبي ﷺ لا سيما إذا  
 صاحب ذلك إهانة وعدم مبالاة فهو الكفر، والعياذ بالله.  
 إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ : أي يخفضونها حتى لكأنهم يسارونه ومنهم أبو بكر  
 رضي الله عنه .  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلْقَوَى : أي شرحتها ووسعها لتحتمل تقوى الله. مأخوذ من محن  
 الأديم إذا وسعه.  
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) : أي مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم وهو الجنة.  
 إِنَّ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ : أي حجرات نساءه، والذين نادوه وفد من أعراب بني تميم  
 منهم الزبيرقان بن بدر والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن.  
 أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) : أي فيما فعلوه بمحلك الرفيع ومقامك السامي الشريف.  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ : أي ولو أنهم انتظروك حتى تخرج بعد قيامك من قيلولتك.  
 لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ : أي من ذلك النداء بأعلى أصواتهم من كل أبواب الحجرات.  
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) : أي غفور لمن تاب منهم، رحيم بهم إذ أساءوا مرتين: الأولى برفع  
 أصواتهم، والثانية كانوا ينادونه ويقولون: أن اخرج إلينا فإن مدحنا زين وذمنا شين (٢).

(١) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن كثير رضي الله عنه: وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه نادى رسول الله ﷺ يا محمد يا محمد،

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ: أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة<sup>(١)</sup> من كبائر الذنوب، والنبا الخبر ذو الشأن.

فَتَيَّبُوا: أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكموا.

أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ: أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم.

فَنُصِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ<sup>(٢)</sup>: أي فتصيروا على فعلكم الخاطيء نادمين.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ: أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا الباطل؛ فإن الوحي ينزل

وتفضحون بكذبكم وباطلكم.

لَوْ طِيعْتُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ: أي لو قعتم في المشقة الشديدة والإثم أحياناً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ وَرِزْقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ.

وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ: أي بغض إلى قلوبكم الكفر والفسوق كالالكذب والعصيان

بترك واجب أو فعل محرم.

أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ<sup>(٣)</sup>: أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريبه الكفر وما

ذكر معه هم الراشدون أي: السالكون سبيل الرشاد.

فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً: أي أفضل بذلك عليهم فضلاً وأنعم إنعاماً ونعمة.

وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ<sup>(٤)</sup>: أي عليم بخلقه وما يعملون، حكيم في تدبيره لعباده هذا بعامه، وبخاصة

عليم بأولئك الراشدين حكيم في إنعامه عليهم.

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: أي جماعتان قل أفرادهما أو كثروا من المسلمين.

أَفْتَنُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا: أي هموا بالافتتال أو باشروه فعلاً فأصلحوها ما فسد بينهما<sup>(٥)</sup>.

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى: أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم الله.

فَقَاتَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ: أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتى

ترجع إلى الحق.

فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ: أي رجعت إلى الحق بعد مقاتلتها فأصلحوها بينهما بالعدل أي

بالحق.

وَأَقْسَطُوا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلُ الْقِسْطِ: أي واعدلوا في حكمكم؛ إن الله يحب أهل العدل.

وفي رواية: يا رسول الله فلم يجبه، فقال: يا رسول الله إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين فقال: «ذاك الله عز وجل» أخرجه الإمام أحمد. اهـ (قل).

(١) فسر الفاسق، بالكاذب، وبالمعلن بالذنب، وبالذي لا يستحي من الله، وهو قابل لكل ما ذكر.

(٢) قال القرطبي: بالدعاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ: أي في الدين الإسلامي.  
 فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ: أي إذا تنازعوا شيئاً وتخاصموا فيه.  
 وَأَنْفِقُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٠﴾: أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَأَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ: أي لا يزدري قوم منكم قوماً آخرين ويحتقروهم.  
 عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ: أي عند الله تعالى، والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس. ﴿وَلَا يَسَاءُ مِّنْ سَاءِ  
 عَسَىٰ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾.

وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ: أي لا تعيبوا بعضكم بعضاً فإنكم كفرد واحد.  
 وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ: أي لا يدعوا بعضكم بعضاً بلقب يكرهه نحو: يا فاسق يا جاهل.  
 يَسْ أَلَا تَمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ: أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه.  
 وَمَنْ لَّمْ يَنْبَأْ فَأَوْلِيكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾: أي من لمز ونبز المؤمنين فأولئك البعداء هم الظالمون.  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ: أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.  
 إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ: أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين.  
 وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَّ بَعْضُكُم بَعْضًا: أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها، أما  
 الغيبة فذكرك أحاك بما يكره.

أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا: أي لا يحسن به حب أكل لحم أخيه ميتاً ولا حياً معاً.  
 فَكَرِهْتُمُوهُ: أي وقد عرض عليكم الأول فكرهتموه أي كما كرهتم أكل لحمه ميتاً فأكروه حياً  
 وهو الغيبة. ﴿وَأَنْفِقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴿١٣﴾  
 وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ: أي جمع شعب، والقبيلة دون الشعب.  
 لِيَعَارَفُوا: أي ليعرف بعضكم بعضاً فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب.  
 إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ: أي أشدكم تقوى لله بفعل أو امره وترك نواهيهِ هو أكرم عند الله.  
 إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾: أي عليم بكم وبأحوالكم، خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص لا  
 يخفى عليه شيء من أشياء العباد.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا: هم نفر من بني أسد قدموا على الرسول وقالوا له: آمنا وهم غير  
 مؤمنين.

قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا: أي قل لهم: إنكم ما آمنتم بعد ولكن قولوا: أسلمنا: أي  
 استسلمنا وانقدنا.

وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ: أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم؛ ولكنه يتوقع له الدخول.  
 وَلِيَنْ تَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي في الإيمان والقيام بالفرائض واجتناب المحارم.  
 لَا يَلِيْسْ كُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا: أي لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً.

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ : أي غفور للمؤمنين، رحيم بهم إن هم صدقوا في إيمانهم.  
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ : أي حقًا وصدقًا لا ادعاء ونطقًا هم.

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي بالله ربًا وإلهًا وبالرسول محمد نبيًا ورسولًا.  
 ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا : أي لم يشكوا فيما آمنوا به.

وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : أي جاهدوا مع رسول الله أعداء الله وهم الكافرون  
 بأموالهم وأنفسهم.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ : أي في إيمانهم لا الذين قالوا: آمنا بالستهم واستسلموا ظاهرًا  
 ولم يسلموا باطنًا.

قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ بِدِينِكُمْ : أي قل لهم يا رسولنا أي لهؤلاء الأعراب: أتشعرون الله  
 بدينكم؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦﴾ .

يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا : أي كونهم أسلموا بدون قتال، وغيرهم أسلم بعد قتال.  
 قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ : أي لا حق لكم في ذلك.

بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ : بل الحق لله الذي هداكم للإيمان إن كنتم

صادقين في دعواكم أنكم مؤمنون.

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ : أي إن الله يعلم ما غاب في السموات وما غاب في الأرض، فلا  
 يخفى عليه أمر من صدق في إيمانه وأمر من كذب، ومن أسلم رغبة ومن أسلم رهبة. وَاللَّهُ بِصِيرٍ مِمَّا  
 تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ .



## ٥٠ - سُورَةُ قَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَ : هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب هكذا ق، وتقرأ هكذا قاف.

وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ : أي والقرآن المجيد: أي الكريم قسمني لقد أرسلنا محمدًا مبلغًا عنا. بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا آيَاتٍ مُّذِرَةً مِّنْهُمْ : أي بل عجب أهل مكة من مجيء منذر أي رسول منهم ينذرهم

عذاب الله يوم القيامة.

فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ مَّجِيْبٌ ﴿٢﴾ : أي فقال المكذبون بالبعث هذا أي: البعث بعد الموت

والبلي: شيء عجب.

أءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا : أئذا متنا وصرنا ترابًا أي رفاتًا وعظامًا نخرة نرجع أحياء.

ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيْدٌ ﴿٣﴾ : أي بعيد الإمكان في غاية البعد.

قَدْ عَلِمْنَا مَا نَنْقُصُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ : أي قد أحاط علمنا بكل شيء، فعلمنا ما تنقص الأرض من

أجساد الموتى وما تأكل من لحومهم وعظامهم فكيف يستبعد منا إحيائهم بعد موتهم؟

وَعِنْدَنَا كِتٰبٌ حٰفِيْظٌ ﴿٤﴾ : أي كتاب المقادير الذي قد كتب فيه كل شيء، ومن بين ذلك أعداد

الموتى وأسمائهم وصورهم وأجسامهم ويوم إعادتهم.

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ : بل كذب المشركون بما هو أقبح من تكذيبهم بالبعث وهو تكذيبهم

بالنبوة المحمدية وبالقرآن ومن نزل عليه!

فَهُمْ فِيْ أَمْرٍ مَّرِيْحٍ ﴿٥﴾ : أي مختلط عليهم فهم فيه مضطربون لا يشبتون على شيء، إذ قالوا مرة

سحر، ومرة قالوا: شعر، ومرة: كهانة، وأخرى: أساطير.

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ : أي أعموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى السماء كائنة

فوقهم، فيعلموا أن استبعادهم للبعث غير صحيح؟

كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا : أي كيف بنيناها بلا عمد وزيناها بالكواكب.

وَمَا هٰلَا مِنْ فُرُوْجٍ ﴿٦﴾ : أي وليس لها من شقوق تعييبها.

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا : أي بسطناها.

وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوٰسِي : أي جبالًا رواسي ثوابت، لا تسير ولا تتحرك مثبتة للأرض كي لا تميد

بأهلها.

وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ رَوْيِحٍ بَهِيْجٍ ﴿٧﴾ : أي وأنبتنا في الأرض من كل صنف من أنواع النباتات حسن.

بَصِيْرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍ ﴿٨﴾ : أي جعلنا ذلك تبصرة وذكرى منا لكل عبد منيب إلى

طاعتنا رجاء إلينا.

وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا: أي ماء المطر كثير البركة.

فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾: أي أنبتنا بماء السماء بساتين وحب الحصيد أي

المحصود من البر والشعير.

وَالنَّخْلَ بَاسْقَنتٍ: أي وأنبتنا بالماء النخيل الطوال العاليات.

لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾: أي لها طلع منضد متراكب بعضه فوق بعض.

رَزَقًا لِّلْعِبَادِ: أي أنبتنا ما أنبتنا من الجنات والحب الحصيد والنخل الباسقات، قوتًا للعباد

ورزقًا لهم مؤمنهم وكافرهم.

وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا: وأحيينا بذلك الماء الذي أنزلناه بلدة ميتة لا نبات فيها من الجذب الذي

أصابها والقحط.

كَذَلِكَ الخُرُوجُ ﴿١٢﴾: أي كما أخرجنا النبات من الأرض الميتة بالماء، نخرجكم أحياء من

قبوركم يوم القيامة، بماء نزله من السماء على الأرض فتنبتون كما ينبت البقل.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ: أي قبل قومك يا رسولنا بالبعث والتوحيد والنبوة، قوم نوح.

وَأَصْحَابُ الرِّيسِ وَثَمُودُ ﴿١٣﴾: أي وكذب أصحاب الرس وهي بئر كانوا مقيمين حولها يعبدون

الأصنام، وثمود وهم أصحاب الحجر قوم صالح.

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ: وكذبت عاد قوم هود، وكذب فرعون موسى ﷺ.

وَأَخِوْنُ لُوطٍ ﴿١٤﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ: أي وكذب قوم لوط أخاهم لوطًا، وكذب أصحاب الأيكة

شعيبًا.

وَقَوْمُ نِجٍّ: أي وكذب قوم تبع الحميري اليمني.

كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ: أي كل من ذكر قد كذب الرسل فلست وحدك المكذب يا محمد ﷺ.

فَخَنَّ عِيسَى: أي فوجب وعيدي لهم بتزول العذاب عليهم فنزل فهلكوا.

أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ: أي أفعيننا بخلق الناس أولًا؟ والجواب: لا إذا فكيف نعيًا بخلقهم ثانية

وإعادتهم كما كانوا؟ (١)

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾: أي هم غير منكرين لقدرة الله على الخلق الأول، بل هم في

خلط وشك من خلق جديد، لما فيه من مخالفة العادة، وهي أن كل من مات منهم يروونه يفنى ولا

يعود حيًا.

(١) أي: ﴿أَفَعِينَا﴾ به فعنيًا بالبعث وهو توبيخ لمنكري البعث وجواب عن قولهم: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ يقال: عييت

بالأمر: إذا لم تعرف وجهه هذا في المعاني، أما في الذوات فعني بمعنى عجز ولم يقدر عليه.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: أي خلقناه بقدرتنا وعلما لحكمة اقتضت خلقه فلم نخلقه عبثاً. وَنَعَلَهُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ: أي ونعلم ما تحدث به نفسه أي نعلم ما في نفسه من خواطر وإرادات.

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿٦٦﴾: أي نحن بقدرتنا على الأخذ منه والعطاء والعلم بما يسر ويظهر، أقرب إليه من حبل الوريد الذي هو في حلقه <sup>(١)</sup>.

إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ: أي نحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عمله فيكتبانه. عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿٦٧﴾: أي أحدهما عن يمينه قعيد والثاني عن شماله قعيد أيضاً <sup>(٢)</sup>. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ: أي ما يقول من قول.

إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَعِيدٌ ﴿٦٨﴾: أي إلا عنده ملك رقيب حافظ عتيد حاضر معد للكتابة. وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ: أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عياناً.

ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ نَجِئِدُ ﴿٦٩﴾: أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفرع. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٧٠﴾ <sup>(٣)</sup>: أي ونفخ إسرافيل في الصور الذي هو القرن، ذلك يوم الوعيد للكفار بالعذاب.

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٧١﴾: أي معها سائق يسوقها إلى المحشر وشهيد يشهد عليها. لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا: أي من هذا العذاب النازل بك الآن. فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ: أي أزلنا عنك غفلتك بما تشاهده اليوم. فَبَصَّرَكُمُ الْيَوْمَ حديدٌ ﴿٧٢﴾: أي حاد تدرك به ما كنت تنكره في الدنيا من البعث والجزاء. وَقَالَ قَرِينُهُ: أي الملك الموكل به.

هَذَا مَا لَدَى عَعِيدٌ ﴿٧٣﴾: أي هذا عمله حاضر لدي. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٧٤﴾: أي كثير الكفر والجحود لتوحيد الله وللقائه ولرسوله معاند

(١) قال ابن كثير رحمته الله: وقوله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿٦٦﴾ يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، ومن تأوله على العلم فإنما فسره به لثلا يلزم حلول أو اتحاد، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل: وأنا أقرب إليه من حبل الوريد، وإنما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿٦٦﴾ كما قال في المحاضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ يعني ملائكته، فالملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله عز وجل وعلا لهم على ذلك، فللملك لمة من الإنسان كما أن للشيطان لمة، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ﴾ يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان. اهـ (قل).

(٢) القعيد بمعنى المقاعد كالجلس بمعنى المجالس.

(٣) يوم وعيد للكافرين، ويوم وعد صادق للمؤمنين، ولما كان السياق في دعوة الكافرين إلى الإيمان ذكر الوعيد دون الوعد.

كثير العناد.

مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٦٥﴾ : أي مناع للحقوق والواجبات من المال وغيره.  
الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ : أي أشرك بالله فجعل معه آلهة أخرى يعبدها. ﴿فَأَلْفِيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ

﴿٦٦﴾

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ ﴾ : أي يقول قرينه من الشياطين: يا ربنا ما أطعيته أي ما حملته على

الطغيان.

وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٦٧﴾ : أي ولكن الرجل كان في ضلال بعيد عن كل هدى، متوغلاً في

الشرك والشر.

قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٦٨﴾ : أي قدمت إليكم وعيدي بالعذاب في كسبي وعلى

لسان رسلي.

مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّْ : أي ما يغير القول عندي وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ

لِلْعَبِيدِ ﴿٦٩﴾ (١)

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ : أي وما الله بظلام للعبيد يوم يقول لجهنم: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ ؟

وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٧٠﴾ : أي لم أمتلئ هل من زيادة، فيضع الجبار عليها قدمه فتقول: قط.

وَأَزَلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ : أي قربت الجنة للمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي.

عَبِيدٍ ﴿٧١﴾ : أي مكاناً غير بعيد منهم حيث يرونها.

هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ آوَابٍ حَفِيفٍ ﴿٧٢﴾ : أي رجاء إلى طاعة الله، كلما ترك طاعة عاد إليها، حافظ

لحدود الله.

مَنْ حَثَى الرَّحْمَنَ بِالْعَيْبِ : أي خاف الله تعالى فلم يعصه، وإن عصاه تاب إليه وهو لم يره.

وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٧٣﴾ : أي مقبل على طاعته تعالى.

ادْخُلُوهَا سَلَامًا ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٧٤﴾ : أي ويقال لهم وهم الممتقون: ادخلوها؛ أي: الجنة، بسلام،

أي مع سلام، وحال كونكم سالمين من كل مخوف.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٧٥﴾ : أي مزيد من الإنعام والتكريم في الجنة وهي النظر إلى وجه الله

الكريم.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ : أي كثيراً من أهل القرون قبل كفار قريش أهلكتناهم.

هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا : أي أهل القرون الذين أهلكتناهم قبل كفار قريش هم أشد قوة وأعظم أخذاً

(١) المبالغة في وصف (ظلام) راجعة إلى تأكيد النفي المطلق؛ إذ المراد لا أظلم شيئاً من الظلم، وليس المعنى ما أنا بكثير الظلم أو شديده، إذ الأمر في أمثلة المبالغة أن يقصد بها المبالغة في النفي.

من كفار قريش ومع هذا أهلكناهم.

فَقَبُّوا فِي أَيْلَافٍ هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ : أي بحثوا وفتشوا في البلاد عَلَهُمْ يجدون مهربًا من الهلاك فلم يجدوا<sup>(١)</sup>.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ : أي إن في المذكور من إهلاك الأمم القوية موعظة.

لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ : أي الموعظة تحصل للذي له قلب حي وألقى سمعه يستمع.

وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ : وهو شهيد أي حاضر أثناء استماعه، حاضر القلب والحواس. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ : أي من نصب ولا تعب.

فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ : أي فاصبر يا رسولنا على ما يقوله اليهود وغيرهم من التشبيه لله

والتكذيب بصفاته.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : أي صل حامدًا لربك قبل طلوع الشمس وهي صلاة

الصبح.

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ : أي صل صلاة الظهر والعصر.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ : أي صل صلاتي المغرب والعشاء.

وَأَذْكُرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ : أي بعد أداء الفرائض فسبح بألفاظ الذكر والتسبيح.

وَأَسْمِعْ : أي أيها المخاطب إلى ما أقول لك.

يَوْمَ يُنَادِ الْمَنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ : أي يوم ينادي إسرافيل من مكان قريب من السماء، وهو

صخرة بيت المقدس فيقول: أيتها العظام البالية والأواصل المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور

المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ : أي نفخة إسرافيل الثانية وهي نفخة البعث يعلمون عاقبة تكذيبهم.

ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ : أي من القبور. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا لَمَّصِيرٌ﴾ ﴿٤٣﴾.

يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا : أي يخرجون من قبورهم مسرعين بعد تشقق القبور عنهم.

ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا سِيرٌ ﴿٤٤﴾ : أي ذلك حشر للناس، وجمع لهم في موقف الحساب يسير سهل

علينا.

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ : أي من الكفر والباطل فلا تئس لذلك سنتقم منهم.

وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ : حيث تجبرهم على الإيمان والتقوى.

(١) (النقب) الثقب فالتنقيب مأخوذ منه، ومعنى الآية: ذلوا وأخضعوا وتصرفوا في الأرض بالحفر والغرس والبناء ونحت الجبال وإقامة السدود والحصون وما إلى ذلك من مظاهر القوة في الأرض، ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئًا، وجاءهم الموت من حيث لا مهرب منه ولا محيص (والمحيص المهرب).

فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٦٤﴾: أي عظم مرهبا بالقرآن، فاقرأه على المؤمنين، فهم الذين يخافون وعيد الله تعالى ويطمعون في وعده.



## ٥١- سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا ①: أي الرياح تذر التراب وغيره ذرؤًا.  
 فَأَلْحَمْتِ لِقْرًا ②: أي السحب تحمل الماء.  
 فَأَلْحَمْتِ شُرَا ③: أي السفن تجري على سطح الماء بسهولة.  
 فَأَلْمَسْتِ أَمْرًا ④: أي الملائكة تقسم بأمر ربها الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد.  
 إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ⑤: أي إن ما وعدكم به ربكم لصادق، سواء كان خيرًا أو شرًا.  
 وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعِقُ ⑥: أي وإن الجزاء بعد الحساب لواقع لا محالة.  
 وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ⑦: أي ذات الطرق كالطرق التي تكون على الرمل<sup>(١)</sup>، والحبك جمع حبيكة.

إِنَّكَ لَنِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ⑧: أي يا أهل مكة لفي قول مختلف أي في شأن القرآن والنبى ﷺ، فمنهم من يقول: القرآن سحر وشعر وكهانة، ومنهم من يقول: النبى كاذب أو ساحر أو شاعر.  
 يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُوْك ⑨: أي يصرف عن النبى والقرآن من صرف.  
 قِيلَ الْخَرِصُونَ ⑩: أي لعن الكذابون الذين يقولون بالخرص والكذب.  
 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ⑪: أي في غمرة جهل تغمرهم، ساهون أي غافلون عن أمر الآخرة.  
 يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ⑫: أي يسألون النبى ﷺ استهزاء متى يوم القيامة؟ وجوابهم.  
 يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ⑬: أي يعذبون فيها. ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ⑭﴾.  
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ⑮: أي إن الذين اتقوا ربهم في بساتين وعيون تجري خلال تلك البساتين والقصور التي فيها كقولهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.  
 ءَأَخِذِينَ مَا ءَأَنَّهُمْ رَبُّهُمْ ⑯: أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الثواب.  
 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِمِينَ ⑰: أي كانوا قبل ذلك مجسمين في الدنيا، أي في عبادة ربهم وإلى عباده.

كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ ⑱: أي كانوا في الدنيا يحيون الليل ولا ينامون فيه إلا قليلاً.

(١) قال ابن كثير ﷺ بعد أن ذكر عدة أقوال في معنى الحبك: (...وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء) (قل).

وَيَا لَأَسْحَارَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾: أي في وقت السحور وهو السدس الأخير من الليل يستغفرون يقولون: ربنا اغفر لنا.

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾: أي للذي يسأل، والمحروم الذي لا يسأل لتعففه، وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم زيادة على الزكاة الواجبة.

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾: أي من الجبال والأنهار والأشجار والبحار والإنسان والحيوان، دلالات على قدرة الله مقتضية للبعث والموجبة للتوحيد للموقنين، أما غير المؤمنين فلا يرون شيئاً.

وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾: أي آيات من الخلق والتركيب والأسماع والأبصار والتعقل والتحرك أفلا تبصرون ذلك فتستدلوا به على وجود الله وعلمه وقدرته.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾: أي من الأمطار التي بها الزرع والنبات وسائر الأقوات، وما توعدون من ثواب وعقاب، إن كل ذلك عند الله في السماء مكتوب في اللوح المحفوظ. فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ: إنه لحق أي ما توعدون لحق ثابت.

مِثْلَ مَا أَنْكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾: أي إن البعث لحق مثل نطقكم، فهل يشك أحد في نطقه إذا نطق؟ والجواب: لا يشك، فكذلك ما توعدون من ثواب وعقاب.

هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ: أي قد أتاك يا نبينا حديث أي كلام.

صَبَّأً إِبْرَاهِيمَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٤﴾: أي جبريل وميكائيل وإسرافيل أكرمهم الخليل إبراهيم، وقيل: هم مكرمون من قبل الله تعالى.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا: أي نسلم، عليك سلاماً.

قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾: أي عليكم سلام، أنتم قوم منكرون أي غير معروفين.

فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيَّ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾: أي عدل ومال إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ.

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾: أي فأمسكوا عن الأكل فقال لهم: ألا تأكلون؟

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً: أي فأضمر في نفسه خوفاً منهم.

قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَكُمُ عَلَيْكُمْ ﴿٢٨﴾: أي بولد يكون ذا علم كبير غزير.

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَاقَةٍ: أي في رنة وضجة.

فَصَكَتَ وَجْهَهَا: أي لظمت وجهها أي ضربت بأصابعها جبينها متعجبة.

وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾: أي كبيرة السن وعقيم لم يولد لها قط.

قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ: أي قالت الملائكة لها كالذي قلنا لك: قال ربك.

إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾: أي إنه هو الحكيم في تدييره وتصريف شئون عباده، العليم بما

يصلح للعبد وما لا يصلح، فليفوض الأمر إليه.

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١) : أي ما شأنكم أيها المرسلون.  
قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ : أي إلى قوم كافرين فاعلين لأكبر الجرائم وهي إتيان الفاحشة،  
هؤلاء القوم: هم أهل سدوم وعمورية.

لِيُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِن طِينٍ ﴿٣٣﴾ : أي مطبوخ بالنار.  
مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ : أي معلمة على كل حجر اسم من يرمى به.  
لِلْمُتَّعِبِينَ ﴿٣٤﴾ : أي المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران. ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ ٣٥ ﴾

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾ : وهو بيت لوط وابنتيه ومن معهم من المؤمنين.  
وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً : أي بعد إهلاكهم تركنا فيها علامة على إهلاكهم وهي ماء أسود متين.  
لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٦﴾ : أي عذاب الآخرة فلا يفعلون فعلهم الشنيع.  
وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ : أي فكذبه وكفر، فأغرقناه ومن معه كآية سدوم (١).

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٧﴾ : أي بحجة ظاهرة قوية وهي اليد والعصا.  
فَتَوَلَّىٰ بَرَكِيهٖ : أي أعرض عن الإيمان مع رجال قومه.  
وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ : أي وقال فرعون في شأن موسى: ساحر أو مجنون.  
فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ : أي طرحناهم في البحر فغرقوا أجمعين.  
وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٩﴾ : أي أت بما يلام عليه، إذ هو الذي عرض جيشًا كاملًا للهلاك، زيادة على ادعائه الربوبية وتكذيبه لموسى وهارون وهما رسولان.

وَفِي عَادٍ : أي وفي إهلاك عاد آية أي علامة على قدرتنا وتدبيرنا.  
إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٠﴾ : أي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور، لقول الرسول ﷺ: «نصرت بالصبا - وهي الريح الشرقية» (٢) - وأهلكت عاد بالدبور - وهي الريح الغربية في الحجاز».

مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ : من نفس أو مال.

إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤١﴾ : أي البالي المتفتت.

وَفِي ثَمُودَ : أي وفي إهلاك ثمود آية دالة على قدرة الله وكرهه تعالى للكفر والإجرام.  
إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٢﴾ : أي بعد عقر الناقة تمتعوا إلى انقضاء آجالكم بعد ثلاثة أيام.  
فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ : أي بعد ثلاثة أيام من عقر الناقة. ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ .

(١) ﴿ وَفِي مُوسَىٰ ﴾ أي: وتركنا أيضًا في قصة موسى آية، والعطف على قوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَفِّينَ ﴾ .

(٢) متفق عليه - انظر صحيح الجامع (قل) .

فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَارٍ : أي ما قدروا على النهوض عند نزول العذاب بهم. ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ﴾

﴿٤٥﴾

وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ : أي وفي إهلاك قوم نوح بالطوفان آية وأعظم آية. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

﴿٤٦﴾

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ : أي وبنينا السماء بقوة ظاهرة في رفع السماء وإحكام البناء.

وَأَنَا الْمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ : أي لقادرون على البناء والتوسعة.

وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا : أي مهدناها فجعلناها كالمهاد أي الفراش الذي يوضع على المهد.

فَنِعَمَ الْمَنْهَدُونَ ﴿٤٨﴾ : أي نحن، أثنى الله تعالى على نفسه بفعله الخيري الحسن الكبير.

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ : أي وخلقنا من كل شيء صنفين أي ذكرًا وأنثى، خيرًا وشرًا، علوًا

وسفلاً.

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ : أي تذكرون أن خالق الأزواج كلها هو إله فرد فلا يعبد معه غيره.

فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ : أي إلى التوبة بطاعته وعدم معصيته.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ : أي إني وأنا رسول الله لكم منه تعالى نذير مبين، أبين النذارة أي

أخوفكم عذابه.

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ : أي لا تعبدوا مع الله إلهًا أي معبودًا آخر إذ لا معبود بحق إلا هو.

إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ : إني لكم منه تعالى نذير بين النذارة، أخوفكم عذابه إن عبدتم معه

غيره.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ : أي الأمر كذلك ما أتى الذين من قبل قومك يا محمد من

رسول.

إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ : أي هو ساحر أو مجنون.

أَتَوَاصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ : أي أتواصت الأمم كل أمة توصي التي بعدها بقولهم

للسول: هو ساحر أو مجنون؟ والجواب: لا! أي لم يتواصوا بل هم قوم طاغون يجمعهم على قولهم هذا الطغيان.

فَقَوْلَ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ : أي أعرض عنهم يا رسولنا؛ فما أنت بملوم؛ لأنك بلغتهم

فأبرأت ذمتك.

وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ : أي عظ بالقرآن يا رسولنا، فإن الذكرى بمعنى التذكير

ينفع المؤمنين، أي من علم الله أنه يؤمن.

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ : أي خلقتهم لأجل أن يعبدون فمن عبدني أكرمه ومن

ترك عبادتي أهنته.

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ : أَي لَآلِي وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِغَيْرِهِمْ .

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ : أَي لَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مَا يَرِيدُ أَرْبَابُ الْعَبِيدِ مِنْ عِبِيدِهِمْ هَذَا يَجْمَعُ الْمَالَ

وَهَذَا يَعِدُ الطَّعَامَ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ .

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ : أَي صَاحِبُ الْقُوَّةِ الْمَتِينِ الشَّدِيدِ الَّذِي لَا يَعْجُزُهُ شَيْءٌ .

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا <sup>(١)</sup> مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ : أَي نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ نَصِيبِ أَصْحَابِهِمُ الَّذِينَ

مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ .

فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ : أَي فَلَا يَطَالِبُونِي بِالْعَذَابِ فَإِنَّ لَهُ مَوْعِدًا لَا يَخْلِفُونَهُ .

قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ : أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .



(١) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُنُوبًا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا حَصَلَ لَصَنَادِيدِ قُرَيْشٍ؛ إِذْ بَعْدَ قَتْلِهِمُ الْقَوَا فِي قَلْبِ بَيْدَرٍ، فَكَانَ ذَلِكَ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ذُنُوبًا) وَهِيَ الدَّلِيلُ الْمَلَأَى فَعَجَبًا لِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

## ٥٢ - سُورَةُ الطُّورِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ (١): أي والجبل الذي كلم الله ﷺ عليه موسى ﷺ (١).

وَكُنُوبٍ مَّسْطُورٍ (٢): أي وقرآن مكتوب.

فِرْقٍ مَّنْشُورٍ (٣): أي في جلد رقيق أو ورق منشور، أي: مبسوط.

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤): أي بالملائكة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا (٢).

وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥): أي السماء التي هي كالسقف المرفوع للأرض.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦): أي المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض (٣). ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْفِعٌ﴾ (٧) مَا

لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨).

يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩): أي تتحرك وتدور. ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (١٠) فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

(١) (الطور) الجبل باللغة السريانية ونقل إلى العربية بهذا اللفظ بمعنى الجبل، وأصبح علمًا بالغلبة على جبل طور سيناء الذي ناجى الله تعالى فيه نبيه موسى ﷺ.

(٢) وهو بيت في السماء تغشاه الملائكة كل يوم وتعمره بالعبادة وهو بحيال الكعبة حيث لو وقع لوقع فوقها.

(٣) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ قال الربيع بن أنس: هو الماء الذي تحت العرش الذي يُنزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، وقال الجمهور: هو هذا البحر (قلت أنا أبو ذر القلموني - وأعوذ بالله من هذه الكلمة مادحًا - ولا منافاة بين القولين في أن يكون المقصود من البحر المسجور: الماء الذي تحت العرش وهذا البحر، وليس هذا بغريب في القرآن خاصة في الترهيب، فقد قال الله تعالى في سورة القمر ترهيبًا للبشر: إن هم عتوا عن أمر ربهم وبين كيف كان هلاك قوم نوح ﷺ قال: ﴿فَفْتَحْنَا أَوْتَانَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ مُتَّوِّبُونَ﴾ (١١) وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عُتُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدِيرٍ (١٢) فكان الهلاك بماءين: ماء نازل من السماء وماء متفجر من الأرض، فإذا كان هذا في الدنيا فإن مثله في الآخرة خاصة ما يتصل بعلامات الساعة يكون أكد، والله أعلم.

ثم قال الإمام ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ فقال بعضهم: المراد أنه يوحد يوم القيامة نازًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (١٣) أي أضربت فتصير نازًا تتأجج محيطة بأهل الموقف، وروي عن علي وابن عباس: وقال العلاء بن بدر: إنما سجر البحر المسجور؛ لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ يعني: المرسل. وقال قتادة: ﴿الْمَسْجُورِ﴾ المملوء، واختاره ابن جرير. وقيل: المراد بـ﴿الْمَسْجُورِ﴾ الممنوع المكفوف عن الأرض لثلا يغمرها فيغرق أهلها، قاله ابن عباس وبه يقول السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن يفتح عليهم فيكفه الله عز وجل» اهـ (قل).

﴿١١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ : أي في باطل يلعبون أي يتشاغلون بكفرهم.  
يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٢﴾ : أي يدعون بعنف. ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

﴿١٢﴾

أَفْسِحْرَهُدًا : أي العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في القرآن.  
أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ : أي أم عدتمم الأبصار فأنتم لا تبصرون؟  
أَصْلَوْهَا : أي اشقوا واكتنوا بجرها.  
فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ : أي صبركم وعدمه عليكم سواء. ﴿ إِنَّمَا يُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿١٤﴾

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ : أي الذين اتقوا ربهم فعبدوه وحده بما شرع لهم، فأدوا الفرائض واجتنبوا  
النواهي. ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَيَعْبُرُونَ ﴿١٥﴾

فَنَكِهِنَّ بِمَاءٍ لَّهُمْ رِيٌّ : أي متلذذين بأكل الفواكه الكثيرة التي آتاهم ربهم.  
وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ : أي وحفظهم من عذاب الجحيم عذاب النار. ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾

مُتْرِكِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ : أي بعضها إلى جانب بعض.  
وَرَوَّحْنَهُمْ يَمْجُورِينَ ﴿١٨﴾ : أي قرناهم بنساء عظام الأعين حسابها.  
وَالَّذِينَ آمَنُوا : أي حق الإيمان المستلزم للإسلام والإحسان.  
وَأَتَّبَعْتَهُمْ دُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنٍ : أي كامل مستوفٍ لشرائطه ومنها الإسلام.  
أَلْقَيْنَاهُمْ دُرِّيَّتَهُمْ : أي وإن لم يعملوا عملهم بل قصروا في ذلك.  
وَمَا أَلْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ : أي وما نقصناهم من أجور أعمالهم شيئاً.  
كُلُّ أَمْرٍ يُبَا كَسِبَ رَهِيْنٌ ﴿١٩﴾ : أي كل إنسان مرهون أي محبوس بكسبه الباطل. ﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ  
وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٠﴾

يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا : أي يتعاطون بينهم فيها أي في الجنة كأساً من خمر.  
لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْسِيْرٌ ﴿٢١﴾ : أي لا يقع لهم بسبب شربها لغو وهو: كل كلام لا خير فيه، ولا إثم.  
﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ لَهُمْ : أي ويدور بهم خدم لهم.  
كَأَنَّهُمْ لَوْلُوْهُ مَكْنُونٌ ﴿٢٢﴾ : أي مصون.

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٣﴾ : أي يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه في الدنيا، وما وصلوا

(١) الهنيء: ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر يقال لهم: ليهناكم ما صرتم إليه ﴿ هَنِيئًا ﴾.

إليه في الآخرة.

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ: أي قالوا مشيرين إلى علة سعادتهم: إنا كنا قبل أي: في الدنيا.

فِي أَهْلِهَا مُشْفِقِينَ ﴿٦٦﴾: أي بين أهلنا وأولادنا مشفقين: أي خائفين من عذاب الله تعالى.

فَمَنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْنَا: أي بالمغفرة.

وَوَقَّتْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٦٧﴾: أي وحفظنا من عذاب النار التي يدخل حرها في مسام الجسم.

إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ: أي في الدنيا نعبده موحدين له.

إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾: أي المحسن الصادق في وعده، الرحيم العظيم الرحمة.

فَذَكَرْنَاكَ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ: أي فذكر بالقرآن وعظ من أرسلت إليهم من قومك وغيرهم،

فلست بنعمة ربك عليك بالعقل وكمال الخلق والوحي إليك..

يَكَاهِنُ وَلَا يَجْنُونَ ﴿٦٩﴾: أي بمتعاطف للكهانة فتخبر عن الغيب بواسطة رثي من الجن، ولا أنت

بمجنون.

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَّأْنَا بِهِ رَبَّ الْمَنُونِ ﴿٧٠﴾: أي نتنظر به حوادث الدهر من موت وغيره. ﴿قُلْ

تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِصِينَ ﴿٧١﴾﴾ (١)

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا: أي تأمرهم أحلامهم- أي- عقولهم بهذا أو هو قولهم: إنك كاهن

ومجنون لم تأمرهم عقولهم به.

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٧٢﴾: أي بل هم قوم طاغون أي متجاوزون لكل حد تقف عنده العقول.

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ: أي اختلق القرآن وكذبه من تلقاء نفسه. ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٣﴾﴾

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ: أي فليأتوا بقرآن مثله يخلقهونه بأنفسهم.

إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧٤﴾: أي في أن محمداً ﷺ اختلق القرآن.

أَمْ خَلِقُوا مِنْ عَرِشٍ: أي من غير خالق خلقهم وهذا باطل.

أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٧٥﴾: أي لأنفسهم وهذا محال إذ الشيء لا يسبق وجوده.

أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ: أي لم يخلقوهما؛ لأن العجز عن خلق أنفسهم دال على عجزهم

عن خلق غيرهم.

بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٧٦﴾: أي أن الله خلقهم وخلق السموات والأرض كما يقولون؛ إذ لو كانوا

موقنين لما عبدوا غير الله ولأمنوا برسوله ﷺ.

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ: أي من الرزق والنبوة وغيرهما فيخصوا من شاءوا بذلك من الناس.

(١) أمر الله رسوله أن يقول لهم: ﴿تَرَبَّصُوا﴾ بي ريب المنون؛ فإنني مرتبص بكم ما سيحدث لكم من أحداث تهلكون

فيها، وفي هذا معنى المفاصلة وإنهاء الجدل والمخاصمة.

أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ : أي المتسلطون الغالبون فيتصرفوا كيف شاءوا.  
 أَمْ هُمْ سَاهِرٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ : أي ألهم مرقي إلى السماء يرقون فيه، فيسمعوا كلام الملائكة فيأتوا به  
 ويعارضوا الرسول في كلامه.

فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ : أي بحجة بينة تدل على صدقه <sup>(١)</sup> وليس لهم في ذلك كله  
 شيء.

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ : أي أله تعالى البنات ولكم البنون؟ إن أقوالكم كلها من هذا النوع  
 لا واقع لها أبداً إنها افتراءات.  
 أَمْ تَسْتَأْجُرُنَّ أَجْرًا : أي على إبلاغ دعوتك.

فَهُمْ مِّنْ مَّعْرُومٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ : أي فهم من فداحة الغرم مغتمون ومتعبون؛ فكرهوا ما تقول لذلك.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فَمَا يُكْتَبُونَ ﴿٤١﴾ : أي علم الغيب فهم يكتبون منه لينازعوك ويجادلوك به.

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا : أي مكرًا وخديعة بك وبالدين.

فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ : أي الكافرون هم المكيدون المغلوبون.

أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرَ اللَّهِ : أي ألهم معبود غير الله؟ والجواب: لا.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ : أي تنزه الله عما يشركون به من أصنام وأوثان.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا : أي وإن ير هؤلاء المشركون قطعة من السماء تسقط عليهم.

يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ : أي يقولوا في القطعة: سحب مراكم يمطرنا ولا يؤمنوا.

فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقَوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ <sup>(٢)</sup> ﴿٤٥﴾ : أي فاتركهم إذا يجاحدون ويعاندون حتى

يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم موتهم.

يَوْمَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ : أي اتركهم إلى ما ينتظرهم من العذاب ماداموا

مصرين على الكفر وذلك يوم لا يغني عنهم مكرهم بك شيئاً من الإغناء.

وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ : أي وإن لهؤلاء للمشركين الظلمة عذاباً في الدنيا دون عذاب يوم

القيامة وهو عذاب القحط سبع سنين، وعذاب القتل في بدر.

وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ : أي إن العذاب نازل بهم في الدنيا قبل يوم القيامة.

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ : أي بامهالهم ولا يضيق صدرك بكفرهم وعنادهم وعدم تعجيل العذاب

لهم.

فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا : أي بمرأى منا نراك ونحفظك من كيدهم لك ومكرهم بك.

(١) صدق مستمعيه.

(٢) يقال في مثل هذا: هو منسوخ بأية السيف.

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ<sup>(١)</sup> : أي واستعن على الصبر بالتسبيح الذي هو الصلوات الخمس والذكر بعدها، والضراعة والدعاء صباح مساء.  
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ<sup>(٤١)</sup> : أي ومن الليل أيضًا فسبحه بصلاة المغرب والعشاء والتهجد وكذا إدبار النجوم أي بعد طلوع الفجر فسبح بصلاة الصبح وغيرها.



(١) أي قل: سبحان الله وبحمده حين تقوم من نومك ومن مجلسك...شاهده ما رواه الترمذي بإسناد حسن قوله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك».

## ٥٣ - سُورَةُ النَّجْمِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ : أي والثريا إذا غابت بعد طلوعها.  
 مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ : أي ما ضلَّ محمد ﷺ عن طريق الهدى.  
 وَمَاعَوَىٰ ﴿٢﴾ : أي وما لابس الغي وهو جهل من اعتقاد فاسد.  
 وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ : أي عن هوى نفسه، أي: ما يقوله عن الله تعالى لم يصدر فيه عن هوى نفسه.

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ : أي ما هو إلا وحي إلهي يوحى إليه.  
 عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ : أي علمه ملك شديد القوى وهو جبريل عليه السلام.  
 ذُو مِرَّةٍ : أي لسلامة في جسمه وعقله فكان بذلك ذا قوة شديدة.  
 فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ : أي استقر وهو بأفق الشمس عند مطلعها على صورته التي خلقه الله عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بجياد قد سد الأفق إلى المغرب، وكان النبي ﷺ هو الذي طلب من جبريل أن يريه نفسه في صورته التي خلقه الله عليها.  
 ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ : أي وقرب منه فتدلى أي زاد في القرب.  
 فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ : أي فكان في القرب قاب قوسين أي مقدار قوسين.  
 فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ : أي فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحاه جبريل إلى النبي ﷺ.

مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ : أي ما كذب فؤاد النبي ما رأى ببصره من صورة جبريل عليه السلام.  
 أَفْتَمَرُونَهُ، عَلَىٰ مَائِرِي ﴿١٢﴾ : أي أفتجادلونه أيها المشركون على ما يرى من صورة جبريل.  
 وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ : أي على صورته مرة أخرى، وذلك في السماء ليلة أسري به.  
 عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ : وهي شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة.  
 عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ : أي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والتمتعين أولياء الله.  
 إِذْ يَنْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ : أي من نور الله تعالى ما يغشى.  
 مَا رَآعَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ : أي ما مال بصر محمد يميناً ولا شمالاً، ولا ارتفع عن الحد الذي

حدده (١).

لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ : أي رأى جبريل في صورته ورأى رفرقاً أخضر سد أفق السماء. أقره بيم اللت والعزى ﴿١٩﴾ : أي أخبروني عن أصنامكم التي اشتقتم لها أسماء من أسماء الله وأنتموها.

وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴿٢٠﴾ : وجعلتموها بنات لله، افتراءً على الله وكذباً عليه. أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ : أي أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه لأنفسكم، والله الأنثى التي لا ترضونها لأنفسكم.

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ : أي قسمتكم هذه إذاً قسمة ضيزى أي جائرة غير عادلة ناقصة غير تامة.

إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا : أي ما اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إلا أسماء لا حقيقة لها. أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ : أي سميتموها بها أنتم وأباؤكم.

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ : أي لم ينزل الله تعالى وحياً يأذن في عبادتها.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : أي ما يتبع المشركون في عبادة أصنامهم إلا الظن والخرص والكذب.

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ : أي وما يتبعون إلا ما تهواه نفوسهم وما تميل إليه شهواتهم. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ

(١) جاء في مدارج السالكين: لابن القيم رحمته الله ج ٢ / ٣٨٢ : ٣٨٣ : (وجرت عادة القوم أن يذكروا في هذا المقام قوله تعالى عن نبيه ﷺ : ﴿ مَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَنَ ﴾ ﴿١٧﴾ وأبو القاسم الفشيري صدر باب الأدب بهذه الآية. وكذلك غيره، كأنهم نظروا إلى قول من قال من أهل التفسير: إن هذا وصف لأدبه ﷺ في ذلك المقام، إذ لم يلتفت جانباً ولا تجاوز ما رآه وهذا كمال الأدب؛ والإخلال به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله أو يتطلع أمام المنظور، فالالتفات زيغ، والتطلع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة. فكما إقبال الناظر إلى المنظور: أن لا يصدف بصدرة يمينه ولا يسرة ولا يتجاوزها. هذا معنى ما حصلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه. وفي هذه الآية أسرار عجيبة. إلى أن قال رحمته الله : ... فلم يزع قلبه التفاتاً عن الله إلى غيره، ولم يطغ بمجاورته مقامه الذي أقيم فيه، وهذا غاية الكمال والأدب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام رفيع أن تتطلع إلى ما هو أعلى منه فوقه، ألا ترى أن موسى ﷺ لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسه الرؤية؟ ونبينا ﷺ لما أقيم في ذلك المقام وقاه حقه فلم يلتفت بصره ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه البتة؟ ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مداد حتى جاوز السموات السبع حتى عاتب موسى ربه فيه، وقال: «يقول بنو إسرائيل: إني كريم المخلوق على الله وهذا قد جاوزني وخلفني علواً، فلو أنه وحده؟ ولكن معه أمته». وفي رواية للبخاري: «فلما جاوزته بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي» ثم جاوزه علواً فلم تعقه إرادة، ولم تقف به دون كمال العبودية همة. (اهـ قل).

\* يقصد ابن القيم رحمته الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ. قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَيْنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) ﴿وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ﴾ ومناة الثالثة أي للتين قبلها، و﴿الْأُخْرَى﴾ الأخرى كلمة ذم في هذا الموضع أي: الأخرى في المحقارة والضعف والدناءة.

رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٣٢﴾ .

أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٣٤﴾ : أي للإنسان ما تمنى، والجواب: لا ليس له كل ما يتمنى.

فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٣٥﴾ : أي إن الآخرة والأولى كلتاها لله يهب منهما ما يشاء لمن يشاء.

﴿٣٦﴾ وَكَرَّمْنَا فِي السَّمَوَاتِ : أي وكثير من الملائكة في السموات.

لَا تَعْبَى شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا : أي لو أرادوا أن يشفعوا لأحد.

إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٣٧﴾ : حتى يكون الله قد أذن لهم ورضي للمسموح له

بالشفاعة.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ : أي إن الذين لا يؤمنون بالبعث والحياة الآخرة.

لَيَسْمُنَنَّ الْمَلَائِكَةَ سَمِيَةً الْأُنثَى ﴿٣٨﴾ : أي ليطلقون على الملائكة أسماء الإناث إذ قالوا: بنات الله.

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ : أي وليس لهم بذلك علم من كتاب ولا هدى من نبي ولا عقل سوي.

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ : أي في تسميتهم الملائكة إناثًا إلا مجرد الظن.

وَأَنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْعَمَلِ شَيْئًا ﴿٣٩﴾ : أي والظن لا تقوم به حجة ولا يعطى به حق.

فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا : أي القرآن وعبادتنا. ﴿وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١) ﴿٤٠﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ

الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ. وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ﴿٤١﴾ .

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي خلقًا وملكًا وتصرفًا.

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَفْتُوا بِمَا عَمِلُوا : ليعاقب الذين أساءوا بما عملوا من الشرك والمعاصي.

وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٤٢﴾ : ويثيب الذين أحسنوا في إيمانهم وعملهم الصالح بالجنة.

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ : أي يتجنبون كبائر الذنوب وهي كل ذنب وضع له حد أو لعن فاعله

أو توعده عليه بالعذاب في الآخرة.

وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ : أي الذنوب القبيحة كالزنا واللواط وقذف المحصنات والبخل، واللمم

صغائر الذنوب التي تكفر باجتناب كبائرها. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ

الْأَرْضِ﴾ : أي خلق أباكم آدم من تراب الأرض.

وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ : أي وأنتم في أرحام أمهاتكم لم تولدوا بعد.

فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ : أي فلا تمدحوها على سبيل الفخر والإعجاب.

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْفَقَ ﴿٤٣﴾ : أي منكم، وبمن فجر فلا حاجة إلى ذكر ذلك منكم.

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٤٤﴾ : أي عن الإسلام بعدما قارب أن يدخل فيه.

وَأَعْطَى قِيلًا وَأَكْفَى ﴿٤٥﴾ : أي أعطى من زعم أنه يتحمل عنه عذاب الآخرة، أعطاه ما وعده من

(١) قال الفراء: صغرهم وازدرى بهم أي: ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

المال، ثم منع.

أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ بِرِيٍّ ﴿٢٥﴾ : أي يعلم أن غيره يتحمل عنه العذاب، والجواب: لا.  
 أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ : أي أم لم يخبر بما ورد في الصحف المذكورة وهي التوراة وعشر صحف كانت لإبراهيم عليه السلام.  
 الْأَنْزُرُ وَالزَّرَةُ وَزَرُّ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ : أي إنه لا تحمل نفس مذنب ذنب غيرها.  
 وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ : أي من خير وشر، وليس له ولا عليه من سعي غيره شيء.  
 وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ : أي يبصر يوم القيامة ويراه بنفسه.  
 ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ : أي الأكمل التام الذي لا نقص فيه.  
 وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ : أي المرجع والمصير إليه ينتهي أمر عباده بعد الموت ويجازيهم.  
 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ : أي أفرح من شاء فأضحكه، وأحزن من شاء فأبكاه.  
 وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ : أمات في الدنيا وأحيا في الآخرة.  
 وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ : أي الصنفين الذكر والأنثى.  
 مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ : أي من مني إذا تمنى تصب في الرحم.  
 وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ : أي الحلقة الثانية للبعث والجزاء.  
 وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ أي وأنه هو وحده أغنى بعض الناس بالكفاية، وأقنى بعض الناس بالمال المقنتى المدخر للقنية<sup>(١)</sup>.

وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ : أي خالقها ومالكها وهو كوكب خلف الجوزاء عبده المشركون.  
 وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ : أي قوم هود عليهم السلام.  
 وَثَمُودَ إِذْ تَبَقَّى ﴿٥١﴾ : أي أهلكتها أيضًا فلم يبق منهم أحدًا وهم قوم صالح عليه السلام.  
 وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ : أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود وقوم لوط. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَمَ وَأَطْلَمَ﴾  
 ﴿٥٢﴾  
 وَالْمُؤَنَفِكَهَ أَهْرَىٰ ﴿٥٣﴾ : أي وقرئ قوم لوط أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة إلى الأرض إذ  
 الانقلاب: الانقلاب.  
 فَتَشَّهَرَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ : أي بالعذاب ما غشى حيث جعل عاليها سافلها. وأمطر عليها حجارة من  
 سجيل.

فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكَ : أي فبأي أنعم ربك عليك وعلى غيرك أيها الإنسان.

(١) قال ابن كثير رحمته الله: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ﴿٤٨﴾ أي ملك عباده المال وجعله لهم (قنية) مقيمًا عندهم لا يحتاجون إلى بيعه، فهذا تمام النعمة عليهم، وعن مجاهد ﴿أَغْنَىٰ﴾ مَوْلٌ ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أخدم، وقال ابن عباس: ﴿أَغْنَىٰ﴾ أعطى، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ رضي. (اهـ. قل).

نَتَمَارِكُ ﴿٥٥﴾ : أي تتشكك أو تكذب.

هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ : أي هذا النبي محمد ﷺ من النذر الأولى، أي رسول مثل الرسل

الأولى الذين أرسلوا إلى أقوامهم.

أَزْفَتِ الْأَرْفَةَ ﴿٥٧﴾ : أي قربت القيامة ووصفت بالقرب لقربها فعلاً.

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ : أي ليس لها أي للقيامة من دون الله نفس كاشفة لها مظهره

لوقتها؛ إذ لا يجليها لوقتها إلا الله ﷻ.

أَفِئَّ هَذَا الْحَدِيثُ : أي القرآن.

تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ : أي تعجبون تكذيباً به.

وَضَحَكُونَ وَلَا يَتُوبُونَ ﴿٦٠﴾ : أي وتضحكون سخيرية منه كذلك.

وَأَنْتُمْ سَيِّدُونَ ﴿٦١﴾ : أي لاهون مشتغلون بالباطل من القول كالغناء، والعمل كعبادة الأصنام

والأوثان.

فَأَسْبَدُوا لِلَّهِ : أي الذي خلقكم ورزقكم وكلائكم ولا تسجدوا للأصنام.

وَأَعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ : أي ذلوا لله ﷻ واخضعوا له تعظيماً ومحبة ورهبة، فإنه إلهكم الحق الذي

لا إله لكم غيره.



## ٥٤- سُورَةُ التَّوْبَةِ

«مكية»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾: أي قربت القيامة، وانفلق القمر فلقتين على جبل أبي قبيس. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا: أي وإن ير كفار قريش آية - أي معجزة - يعرضوا عنها، ولا يلتفتوا إليها. وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾: أي هذا سحر مستمر: أي قوي من المرة أو دائم غير منقطع. وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾: أي وكل من الخير أو الشر مستقر بأهله في الجنة أو في النار <sup>(١)</sup>.

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ: أي من أنباء الأمم السابقة مما قصه القرآن. مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾: أي جاءهم من الأخبار ما فيه ما يزرهم عن التكذيب والكفر لو قبلوه واتعظوا به.

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ: أي الذي جاءهم من الأنباء هو حكمة بالغة أي تامة. فَمَا تَعْنِ الْأَنْبَاءُ: أي عن قوم كذبوا واتبعوا أهواءهم لا تغن شيئاً. فَتَوَلَّ عَنْهُمْ: أي لذلك فأعرض عنهم.

يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾: أي يدع الداع إلى موقف القيامة. حُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ: أي من القبور. ﴿كَانَتْهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرَةٌ ﴿٧﴾﴾. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ: أي مسرعين إلى نداء الداع.

يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٨﴾: أي صعب شديد. ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ: أي كذبوا نوحاً عبد الله ورسوله، وقالوا: هو

مجنون.

وَأَزْدَجِرٌ ﴿٩﴾: أي انتهروه وزجروه بالسب والشتم. فَدَعَارِيهٖ أَوْ مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾: أي فسأل ربه قائلاً: ﴿أَوْ مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾﴾: أي لي. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ ﴿١١﴾: أي منصب انصباباً شديداً. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا: أي تنبع نبعاً.

(١) وجائز أن يكون «مستقر» في أم الكتاب: كائن لا محالة، أو أن أمر النبي ﷺ إلى استقرار بانتصاره على الباطل وأهله؛ فيكون في الخبر بشرى للنبي ﷺ.

فَأَلْفَى الْمَاءُ : أي ماء السماء وماء الأرض .  
 عَلَى أَمْرٍ قَدِيدٍ ﴿١٢﴾ : أي في الأزل ليغرقوا فيه فيهلكوا .  
 وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ : أي حملتنا نوحًا على سفينة ذات ألواح ودسر، وهو ما يدسر به  
 الألواح من مسامير وغيرها، واحد الدسر: دسار ككتاب .  
 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا : أي بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا لها .  
 جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ : أي أغرقناهم انتصارًا لمن كان كُفْرًا وهو نوح عليه السلام كفروا بنبوته .  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا : أي إغراقنا لهم على الصورة التي تمت عليها .  
 آيَةً : أي لمن يعتبر بها حيث شاع خبرها واستمر حتى اليوم .  
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ : أي معتبر متعظ بها .  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ : أي ألم يكن واقعًا موقعه .  
 وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ : أي سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكير .  
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ : أي فهل من متعظ به حافظ له متذكر .  
 كَذَّبَتْ عَادٌ : أي نبيها هو دَا عليه السلام فلم تؤمن به، ولا بما جاء به .  
 فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ أي فكيف كان عذابي الذي أنزلته بهم، وإنذاري لهم كان أشد ما  
 يكون .

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا : أي ريحًا عاتية ذات صوت شديد .  
 فِي يَوْمٍ نَحِيسَ مُسَمِّمٍ ﴿١٩﴾ : أي في يوم نحس: أي شؤم مستمر دائم الشؤم: قوئيه حتى هلكوا .  
 تَرَجُّعُ النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ : منفصلة أجسامهم كأنهم والحال كذلك أعجاز أي أصول نخل منقلع . ﴿ فَكَيْفَ كَانَ  
 عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ ﴿٢١﴾ .  
 وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ : أي سهلنا القرآن للحفظ والتذكير والتذكر به .  
 فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ : أي تذكروا يا عباد الله بالقرآن، فإن مُتَزَلِهَ سَهْلُهُ للتذكير .  
 كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ : أي كذبت قبيلة ثمود وهم قوم صالح بالحجر من الحجاز بالرسول؛ لأن  
 النذر جمع نذير وهو الرسول كما هو هنا .  
 فَقَالُوا إِنَّا بِأَنفُسِنَا وَأَنفُسِ آلِئِنَّاسِ نَبِيْعُهُمْ : أي كيف نتبع بشرًا واحدًا منا إنكارًا منهم للإيمان بصالح عليه السلام ﴿٢٤﴾ .  
 إِنَّا إِذَا لَقِينَا ضَلَّلْنَا وَسُعِّرْنَا ﴿٢٥﴾ : أي إنا إذا اتبعناه فيما جاء به لفي ذهاب عن الصواب وجنون .  
 أَلْقَيْنَا الذِّكْرَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا : أي لم يوح إليه من بيننا أبدًا وإنما هو كذّاب أشر .

بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ ﴿٢٥﴾ : أي فيما ادعى أنه ألقى إليه من الوحي أشر متكبر. سَيَعْمُونَ غَدًا : أي في الآخرة.

مَنْ الْكَذَابُ الْأَشْرُ ﴿٢٦﴾ : وهو: هم المعذبون يوم القيامة بكفرهم وتكذيبهم.

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنَنْتَهُمْ : أي إنا مخرجو الناقة من الصخر ومرسلوها لهم محنة.

فَأَرْبَبْنَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ : أي انتظر وراقب ماذا يصنعون، وما يصنع بهم، واصبر على أذاهم.

وَيَنْتَهُمْ أَنْ الْمَاءَ قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ : أي ماء بثرهم مقسوم بينهم وبين الناقة، فيوم لها ويوم لهم.

كُلُّ شَرِبٍ مُخْضَرٌ ﴿٢٨﴾ : أي كل نصيب من الماء يحضره قومه المختصون به: الناقة أو ثمود.

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ : أي فملوا ذلك الشرب وسئموا منه فنادوا صاحبهم وهو قدار بن

سالف ليقتلها؟ فتعاطى السيف وتناوله فعقر الناقة أي قتلها. ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٠﴾ .

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً : هي صيحة جبريل صباح السبت فهلكوا.

فَكَانُوا كَهَيْشِيمِ الْخَاطِرِ ﴿٣١﴾ : أي صاروا بعد هلاكهم وتمزق أجسادهم كهشيم المحتظر: وهو

الرجل يجعل في حظيرة غنمه العشب اليابس والعيذان الرقيقة يحظر بها لغمه يحفظها من البرد

ومن الذئب. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٣٢﴾ .

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطًا بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ : كذبت <sup>(١)</sup> قوم لوط بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها لوط عليه السلام.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا : أي ريحًا ترميهم بالحصباء وهي الحجارة الصغيرة فهلكوا.

إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسِحْرِ ﴿٣٤﴾ : أي بنتاه وهو معهم نجاهم الله عليه السلام من العذاب؛ حيث غادروا

البلاد قبل نزول العذاب بها.

يَعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا : أي إنعامًا منا عليهم، ورحمة منا بهم.

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ : أي مثل هذا الجزاء بالنجاة من الهلاك نجزي من شكرنا بالإيمان

والطاعة.

وَلَقَدْ أَنْذَرْتَهُمْ بَطْشَتَنَا : أنذرهم لوط أي خوفهم أخذتنا إياهم بالعذاب.

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ : أي فتجادلوا وكذبوا بالنذر التي أنذرهم بها وخوفهم منها.

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ : أي أن يخلي بينهم وبين ضيفه وهم ملائكة ليخبتوا بهم، وذلك بإتيانهم

الفاحشة.

فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ : أي ضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم فكانت كباقي وجوههم. ﴿فَدُوقُوا عَذَابِي

وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٧﴾ .

وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ : أي نزل بهم بكرة صباحًا عذاب مستقر لا يفارقهم أبدًا

(١) بعضهم يرويهما بالذال المعجمة، وبعضهم يرويهما بالذال المهملة.

هلكوا به في الدنيا، ويصحبهم في البرزخ ويلازمهم في الآخرة. ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾ (٣٦).

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ: أي سهلناه للحفظ والتذكر به والعمل بما فيه.

فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾: أي من متذكر فيعمل بما فيه فينجو من النار ويسعد في الجنة.

وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿٤١﴾: أي قوم فرعون الإنذارات على لسان موسى وهارون عليهما السلام.

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا: أي فلم يؤمنوا بل كذبوا بآياتنا التسع <sup>(١)</sup> التي آتيناها موسى.

فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾: أي فأخذناهم بالعذاب وهو الغرق أخذ قوي مقتدر على كل شيء

لا يعجزه شيء.

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيائِكُمْ: أي أكفاركم يا قريش خير من أولئكم الكفار المذكورين من قوم نوح

وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وملئه؟ فلذا هم لا يعذبون!

أَمَلَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾: أم لكم يا كفار قريش براءة من العذاب في الزبير أي الكتب الإلهية.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾: أم يقولون: أي كفار قريش: نحن جميع أي جمع منتصر على

محمد وأصحابه.

سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾: أي سيهزم جمعهم ويولون الدبر هاربين منهزمين، وكذلك كان

في بدر.

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ: أي الساعة موعدهم بالعذاب، والمراد من الساعة يوم القيامة.

وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾: أي وعذاب الساعة وأهوالها أدهى؛ أي: أعظم بلية، وأمر: أي أشد

مرارة من عذاب الدنيا قطعاً.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾: أي الذين أجمروا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في ضلال

في الدنيا، ونار مستعرة في الآخرة.

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾: أي يوم يسحبون في النار على وجوههم يقال

لهم: ذوقوا مس سقر جهنم <sup>(٢)</sup>.

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾: أي إنا خلقنا كل شيء بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بكتابتها في اللوح

المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، فهو يقع كما كتب كمية وصورة وزماناً ومكاناً لا يتخلف

في شيء من ذلك.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ: أي وما أمرنا إذا أردنا خلق شيء إلا أمره واحدة فيتم وجوده.

(١) خمس منها في آية الأعراف: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ﴾. والأربع الأخرى هي

انقلاب العصا حية، وخروج يده من جيبه بيضاء كفلقة القمر، وسنو القحط، والطمس على الأموال وانفلاق

البحر، فهذه تسع الآيات التي كذبوا بها كلها.

(٢) ﴿سَقَرَ﴾ قال عطاء: سقر: الطبق السادس من جهنم، ومسها: هو ما يجدون من الألم عند الوقوع فيها.

كَلَّمَجٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾: الشيء بسرعة كلمح البصر وهو النظر بعجلة.  
 وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ: أي ولقد أهلكنا أمثالكم أيها المشركون من الأمم السابقة.  
 فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٥١﴾: أي فاذكروا واتعضوا بهذا خير لكم من هذا الإعراض.  
 وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾: أي وكل ما فعله العباد هو مسجل في كتب الحفظة من  
 الملائكة.

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾: أي وكل صغير وكبير من سائر الأعمال والأحداث في اللوح  
 المحفوظ مستطر مكتوب.

إِنَّ الْكُفَّيْنَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾: إن الذين اتقوا ربهم فلم يشركوا به ولم يفسقوا عن أمره، في جنات  
 يشربون من أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المصفى.  
 فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ: أي في مجلس حق لا لغوبه ولا تأثيم.  
 عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾: عند ملك مقتدر على ما يشاء وهو الله ﷻ.



## ٥٥- سُورَةُ الرَّحْمَنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾: اسم من أسماء الله تعالى.  
 عِلْمُ الْقُرْآنِ ﴿٢﴾: أي علم من شاء من عباده القرآن.  
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾: آدم كما خلق ذريته أيضًا.  
 عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾: أي علم آدم البيان الذي هو النطق والإعراب عما في النفس بلغة من اللغات، كل هذا تعليم الله ﷻ ولولا الله ما نطق إنسان.  
 الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُحْسَبَانِ ﴿٥﴾: أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما.  
 وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾: النجم ما لا ساق له من النبات، والشجر ما له ساق، يسجدان يخضعان لله تعالى بما يريد منهما في طوعية كالسجود من المكلفين.  
 وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا: أي فوق الأرض وأعلاها.  
 وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾: أي أثبت العدل بين العباد أمر به وألهم صنع آله <sup>(١)</sup>.  
 أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾: أي لأجل أن لا تجوروا في الميزان وهو ما يوزن به من آلات.  
 وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ: أي بالعدل.  
 وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾: أي لا تنقصوا الموزون الذي تزنونه بل وفوه.  
 وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١٠﴾: أي أثبتها وخفضها، كما رفع السماء وأعلاها للأنام لحياة الأنام عليها، وهم الإنس والجن والحيوان وكل ذي رُوح.  
 فِيهَا فَنَكُهُنَّ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾: أي في الأرض فاكهة وهي كل ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه الكثيرة، والنخل ذات الأكمام وهي أوعية طلعتها.  
 وَاللَّهُبُ ذُو الْغَصَبِ: أي وفي الأرض الحب من بُرٍ وشعير وعصفه: تبنة.  
 وَالرِّيحَانُ ﴿١٢﴾: نبت معروف، والمراد به أنواع الرياحين المشمومة ذات الريح الطيب.  
 فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾: أي فبأي نعم ربكما يا معشر الجن والإنس تكذبان، وهي كثيرة لا تعد ولا تحصى؟ والجواب: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد.  
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾: أي خلق آدم من طين يابس يسمع له صلصلة

(١) ﴿وَوَضَعَ﴾ بمعنى جعل.

كالفخار وهو ما طبخ من الطين.  
 وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾: أي أبا الجن من لهب النار الخالص من الدخان وهو مختلط أحمر وأزرق وأصفر. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾﴾  
 رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾: أي مشرق الشتاء، ومشرق الصيف أي مطلع طلوع الشمس فيهما: وكذا المغربين في الصيف والشتاء. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾  
 مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾: أي أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان في رأي العين. يَتَّبِعُهُمَا بَرِّحٌ لَا بُيُوتَ لَهُمْ فِيهَا وَلَا خُبُورٌ ﴿٢٠﴾: أي بينهما حاجز لا يبغى أحدهما على الآخر فيختلط به. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾  
 يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ (١): أي يخرج من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح اللؤلؤ، والمرجان وهو خرز أحمر، وهو صغار اللؤلؤ. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾  
 وَكَانَ الْجَوَارِ الْكُنُفُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾: أي السفن المحدثات في البحر كالأعلام أي كالجبال عظماً وارتفاعاً. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾  
 كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾: أي كل من على الأرض من إنسان وحيوان وجان فان: أي هالك. وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ: أي ذاته ووجهه ﷻ.  
 ذُو الْجَلْدِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾: أي العظمة والإيناع على عباده عامة والمؤمنين خاصة. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾  
 يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي يسألونه حاجاتهم التي تتوقف عليها حياتهم من الرزق والقوة على العبادة، والمغفرة للذنوب، والعزة من الرب.  
 كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾: أي كل وقت هو في شأن: شئون يبيدها وفق تقديره لها ويضع أخرى. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾  
 سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ (٢): أي لحسابكم ومجازاتكم بعد انتهاء هذه الحياة الدنيا ونجزي كلاً بما عمل. ﴿فِي آيَةِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَنْتُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ يَمْعُرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ ﴿٣٣﴾ (٣).

(١) اختلف في تحديد كل من اللؤلؤ والمرجان، فمن قائل: اللؤلؤ كباره والمرجان صغاره، وقيل المرجان: الخرز الأحمر، وقيل: المرجان عظام اللؤلؤ وكباره.

(٢) قيل في الإنس والجن: الثقلان لأنهما أثقلا وأتعبا بالتكاليف.

التفرغ للأمر: كناية عن الاشتغال به والعناية به دون غيره ﴿الثَّقَلَانِ﴾ ثنية ثقل، وهل سمي الإنسان ثقلاً لأنه محمول على الأرض؟ والصحيح أن الإنسان والجن سميا بالثقلين لإثاقهما بالتكاليف من باب تسمية الشيء بعمله كتسمية العصفور طائراً لأنه يطير.

(٣) المعشر: اسم للجمع الكثير الذي يعد عشرة عشرة دون آحاد.

إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا: أَي إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى أَنْ تَخْرُجُوا.

مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أَي مِنْ نَوَاحِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾: أَي فَارْجُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِقُوَّةٍ، وَلَا قُوَّةَ لَكُمْ، وَهَذَا تَعْجِيزٌ لَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ الرَّحْمَنَ وَهُمْ يَسَاقُونَ إِلَى سَاحَةِ فَصْلِ الْقَضَاءِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾.

يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِدٌ مِنْ نَارٍ: أَي مِنْ لَهَبِ النَّارِ الْخَالِصِ الَّذِي لَا دَخَانَ فِيهِ.

وَنُحَاسٌ: أَي دَخَانٌ لَا لَهَبَ فِيهِ، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ نُحَاسًا مَذَابًا.

فَلَا تَنْصَرِحِينَ ﴿٣٥﴾: أَي لَا تَمْتَنِعَانِ مِنَ السُّوقِ إِلَى الْمُحْشَرِ. ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾﴾.

فَإِذَا أَشَقَّتِ السَّمَاءُ: أَي انْفَتَحَتْ أَبْوَابًا لِتَزُولَ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْأَرْضِ لِتَسُوقَ الْخَلَائِقَ إِلَى

الْمُحْشَرِ.

فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾: أَي السَّمَاءُ مَحْمَرَةٌ أَحْمَرُ الْأَدِيمِ أَوْ الْفَرَسِ الْأَحْمَرِ، وَذَابَتْ

فَكَانَتْ كَالدِّهَانِ فِي صِفَائِهَا وَذَوَابِنِهَا. ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾﴾.

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾: أَي يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ،

لَمَّا لَهُمْ مِنْ عِلْمَاتِ كَاسُودَادِ الْوَجُوهِ، وَبِيَاضِهَا وَيَسْأَلُونَ عَنِ الْحِسَابِ. ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ﴾

تَكْذِبَانِ ﴿٤٠﴾.

يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ: أَي سُودَ الْوَجُوهِ وَزُرْقَةَ الْعْيُونِ.

فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوْصَى وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾: أَي تُضْمِ نَاصِيَةَ الْمَجْرَمِ إِلَى قَدَمِيهِ وَيُؤَخِّدُ فَيَلْقَى فِي جَهَنَّمَ. ﴿فِي أَيِّ

آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٢﴾﴾.

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا: أَي يُقَالُ لَهُمْ تَوْبِيخًا وَتَبْكِيتًا: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يَكْذِبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ فِي

الدُّنْيَا.

الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾: أَي الَّذِينَ أُجْرِمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتِينَ ﴿٤٤﴾: أَي يَسْعَوْنَ مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَاءٍ حَارٍ قَدْ انْتَهَتْ حَرَارَتُهُ إِلَى

حَدِّ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْحَمِيمُ الْآنُ يُسْقَوْنَ إِذَا عَطَشُوا وَاسْتَعَاثُوا يَطْلُبُونَ الْمَاءَ لِإِرْوَاءِ غَلْتِهِمْ

الْعَطْشَةَ. ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ ﴿٤٦﴾: أَي وَلِمَنْ خَافَ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ فَأَمَّنْ

وَاتَّقَى جَنَّاتٍ. ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾﴾.

ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾: أَي أَغْصَانٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَتُورِقَ وَتَتَمُرَّ وَتَمُدَّ الظِّلَّ (١). ﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ

(١) يطلق الفنن على اللؤلؤ وعلى الغصن فأفنان الفاكهة: ألوانها المختلفة، وأفنان الشجر أغصانه.

﴿٤١﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَإِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾

فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهِمَ رَوْجَانِ ﴿٥٢﴾: أي من كل ما يتفكه به من أنواع الفواكه صنفان. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٣﴾

مُشْكِبِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ: أي بطائن الفرش من إستبرق<sup>(١)</sup> وهو ما غلظ من الديباج، والظهائر من السندس وهو مارق من الديباج الذي هو الحرير.

وَحَتَّى الْجَنَّةِ دَانٍ ﴿٥٤﴾: أي وما يجنى من ثمار الجنة دانٍ قريب التناول يناله القائم والقاعد. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٥﴾

فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْفَرْفِ: أي قاصرات النظر بأعينهن على أزواجهن فقط<sup>(٢)</sup>.  
لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْرُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾: أي لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٧﴾

كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾: أي كأنهن في جمالهن الياقوت في صفاته، والمرجان: اللؤلؤ الأبيض. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥٩﴾

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾: أي ما جزاء الإحسان بالطاعة إلا الإحسان بالنعيم. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾: أي ومن دون تينيك الجنتين جتان أخريان لمن خاف مقام ربه. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾

مُدَاهِمَتَانِ ﴿٦٤﴾: أي مسودتان من شدة خضرتهما. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَايَا ﴿٦٦﴾: أي قوارتان دائمتا وأبدًا تفوران بالماء العذب الزلال. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾

فِيهِمَا فَكِكُهُمْ وَيَحُلُّوْرْمَانٌ ﴿٦٨﴾: أي في الجنات الأربع، نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾

حُورٌ: أي أولئك الخيرات حور أي بيض والواحدة حوراء أي بيضاء.  
مَقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ ﴿٧٠﴾: أي مستورات محبوسات على أزواجهن في الخيام، والخيمة من در مجوف مضافة إلى القصور، وطول الخيمة الواحدة ستون ميلاً. ﴿فَأِنِّي ءَأَلَاءَ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾

لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْرُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٢﴾: أي لم يجامعنهم فيفتض بكارتهن قبل أزواجهن في الجنة

(١) البطائن: جمع بطانة بكسر الباء مشتقة من البطن خلاف الظهر و ضد البطانة الظهارة، فالبطانة: أسفل الثوب والظهارة: ظهره.

(٢) هؤلاء نسوة الجنة لا أزواج المؤمنين اللاتي كن لهم في الدنيا، إذ مسهن أزواجهن، والزوجة المؤمنة تكون لآخر من تزوجها في الدنيا.

أحد. ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ (٧٥).

مُتَّكِبِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ: أي على وسائد أو بسط الواحدة رفرقة، خضر جمع أخضر.  
وَعَبْقَرِيَّ حَسَانٍ<sup>(١)</sup>: أي طنافس جمع طنفسة بساط له حمل رقيق أي بسط حسان. ﴿فِي أَيِّ  
آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ (٧٧).

بَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ: أي تقدس وكثرت بركة اسم ربك الرحمن.

ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨): أي ذي العظمة والإكرام لأوليائه والإحسان إلى عباده.



(١) العبقرى: وصف لكل ما كان فائقاً في صفته عزيز الوجود، وهو نسبة إلى عبقر اسم بلاد الجن في معتقد العرب فنسبوا إليه كل ما تجاوز العادة في الإتيان والحسن.

## ٥٦- سُورَةُ الْوَاقِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ : أي قامت القيامة وقيل فيها: الواقعة؛ لأنها واقعة لا محالة.
- لَيْسَ لَوْعَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ : أي نفس تكذب بها بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا.
- حَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ : أي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة.
- إِذَا رُحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ : أي حركت حركة شديدة.
- وُبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ : أي فتت تفتيتًا.
- فَكَانَتْ هَبَاءً مُتْبِنًا ﴿٦﴾ : أي غبارًا منتشرًا.
- وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ : أي في القيامة أصنافًا ثلاثة.
- فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ : أي الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم.
- مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ : أي تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة.
- وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ : أي الشمال الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم.
- مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٩﴾ : أي تحقير لشأنهم بدخولهم النار.
- وَالسَّابِقُونَ : أي إلى الخير وهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة في أول الدعوة.
- السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ : تعظيم لشأنهم.
- أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ : أي هم المقربون الذين يقربهم الله منه يوم القيامة إذا أدخلهم الجنة.
- فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ : في بساتين النعيم الدائم.
- ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ : أي جماعة من الأمم الماضية.
- وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ : أي من أمة محمد ﷺ هؤلاء هم السابقون (١).
- عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ : أي منسوجة مشبكة بالذهب والجواهر. ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ﴾ أي من هذه الأمة... اهـ (قل).

﴿١١﴾

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر بل هو قول ضعيف، لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ أي من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٤﴾ أي من هذه الأمة... اهـ (قل).

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ : أي على شكل الأولاد لا يهرمون فيخدموهم أبدًا.  
بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ : يطوف عليهم الولدان الخدم بأكواب وهي أقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا  
وخراطيم.

وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ : أي وإناء لشرب الخمر ومعين بمعنى جارية من نهر لا يتقطع أبدًا.  
لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا : أي لا يحصل لهم من شرها صداع.  
وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ : أي ولا تذهب عقولهم يقال: نزه الشارب وأنزه إذا ذهب عقله بالسكر.  
وَفِي كَهْفِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَجَبُهُمْ وَإِن كَانَتْ كُلُّهَا مَعْجَابَةً.  
﴿وَلَحَرِطَرِ يَمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ﴿٢٠﴾

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢١﴾ : أي ولهم نساء بيض، عين أي واسعة الأعين وشديدات سواد العيون  
وبياضها.

كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ : أي أولئك الحور العين هن في جمالهن وصفائهن كأمثال اللؤلؤ  
المصون. ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٣﴾  
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٢٤﴾ : أي لا يسمعون في الجنة لغوا أي فاحش الكلام، وما لا خير فيه  
ولا ما يوقع في الإثم <sup>(١)</sup>.

إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٥﴾ : إلا قولًا سلامًا سلامًا: أي لا يسمعون إلا السلام من الملائكة ومن  
بعضهم لبعض.

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٦﴾ : هذا شروع في ذكر الزوج الثاني من الأزواج الثلاثة، فذكر  
السابقين وما أعد لهم، وهذا ذكر لأصحاب اليمين وما أعد لهم من نعيم مقيم.  
فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٧﴾ : في شجر السدر وثمره النبق، ومخضود لا شوك فيه.  
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٨﴾ : أي شجر موز منضود الحمل من أعلاه إلى أسفله فليس له ساق بارزة.  
وَوَظَلٍ مَّدْودٍ ﴿٢٩﴾ : أي دائم إذ لا شمس تنسخه، وإن ظل شجرة في الجنة يسير الراكب فيه مائة  
سنة لا يقطعه.

وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٠﴾ : أي مصبوب لا يحتاج المتنعم بأن يصبه بيده بل هو سائل في غير أقداح  
أو أنبوب. ﴿وَفِي كَهْفِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَجَبُهُمْ وَإِن كَانَتْ كُلُّهَا مَعْجَابَةً﴾

لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣١﴾ : أي غير مقطوعة في زمن، ولا ممنوعة بشمن.  
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٢﴾ : أي على السرر العالية الرفيعة.

(١) اللغو من الكلام في الدنيا هو: ما لا يحصل حسنة للمعاد ولا درهماً للمعاش، وفي الآخرة هو ما لا يسر من كل  
قول؛ إذ الحياة: حياة سعادة وسرور وحبور.

إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٢٥﴾ : أي الحور العين اللائي تقدم ذكرهن في قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾. إذ كانت الواحدة منهن في الدنيا عجوزًا شمطاء عمشاء رمصاء فأنشأها ربها إنشاءً جديدًا، بكرًا تتعجن وتتعشق، عرباء تتودد لزوجها وتحبب.

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٦﴾ : الواحدة بكر وهي التي لم تفتض بكارتها بعد وتسمى العذراء.

عُرْبًا : الواحدة عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل.

أَتْرَابًا ﴿٢٧﴾ : أي مستويات في السن الواحدة يقال لها: ترب والجمع أتراب.

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ : وهم الذين يؤخذ بهم في عرصات القيامة ذات اليمين، وهم أهل

الإيمان في الدنيا والعمل الصالح فيها.

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٢٩﴾ : أي من الأمم السابقة.

وَتَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾ : أي من أمة محمد ﷺ.

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ : أي هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال في الموقف يوم القيامة

وهم أهل الشرك والمعاصي في الدنيا.

فِي سَمُورٍ : أي ريح حارة تنفذ في مسام الجسد.

وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ : أي ماء حار شديد الحرارة.

وظِلٌّ مِنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ : أي دخان شديد السواد.

لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ : أي لا بارد كغيره من الظلال، ولا كريم حسن المنظر.

إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ : أي في الدنيا.

مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ : أي منعمين لا ينهضون بالتكاليف الشرعية ولا يتعبون في طاعة الله ورسوله.

وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ : أي الذنب العظيم وهو الشرك.

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا : أي وكانوا ينكرون البعث الآخر. ﴿أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأُولُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأُولَىٰ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

لَمَبْعُوثُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ : أي لوقت يوم معلوم وهو يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَصْحَابُ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ : أي الضالون عن طريق الهدى المكذبون بالبعث والجزاء.

لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ : أي من أحبب الشجر المر في غاية الكراهة والبشاعة طعمًا ولونًا. ﴿فَالِئُونَ

مِنهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾.

فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ : أي شاربون شرب الإبل العطاش، إذ الهيمان العطشان، والهيمى

العطشى.

هَذَا نَزَلْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ : أي هذا ما أعد لهم من قرى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة.

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ : أي أوجدناكم من العدم.

فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿٥٧﴾ : أي فهلاً تصدقون بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة بعد الفناء والبلوى.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُفِّرُوا بَعَدَ إِسْرَائِيلَ أَيُّكَ أَكْثَرُ عُقَابًا ﴿٥٨﴾ : أي الذي تصبونه من المني بالجماع في أرحام نساءكم.

ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ : أي بشرًا أم نحن الخالقون له بشرًا.

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ : أي قضينا به عليكم وكتبناه عليكم وجعلنا لكل واحد أجلًا معينًا لا يتعداه ولا يتأخر عنه بحال من الأحوال.

وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ : أي بعاجزين.

عَلَىٰ أَنْ تُبَدَّلَ أَمْثَلُكُمْ : أي ما أنتم عليه من الخلق والصور.

وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ : أي ونوجدكم في صور لا تعلمونها، وهذا تهديد لهم بمسخهم

وتحويلهم إلى أشبع حيوان وأفبحة.

وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ : أي ولقد علمتم خلقنا لكم كيف تم وكيف كان.

فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ : فتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على إعادة خلقكم مرة أخرى بعد

موتكم وفنائكم.

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ : أي من إثارة الأرض بالمحراث وإلقاء البذر فيها.

ءَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ : أي تبتونه.

أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَعْنَا لَهُ الْبُيُوتَ : أي نحن المنبتون له يقال زرعه الله أي أنبته<sup>(١)</sup>.

لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا : أي لو نشاء لجعلنا الزرع حطامًا يابسًا بعد أن أصبح سنبلاً وقارب أن

يفرك فتحرموا منه.

فَطَلَّتُمُ نَفْسَكُم مِّنَ الْجَائِحَةِ : أي تتعجبون: في مجالسكم من الجائحة التي أصابت زرعكم.

إِنَّا لَمُعَذِّبُونَ ﴿٦٤﴾ : أي قائلين: إنا لمغرمون أي ما أنفقناه على حرثه ورعايته معذبون به، وقيل

لمعذبون كقوله تعالى: ﴿إِنْ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٥﴾ : أي لسنا بمعذبين به وإنما نحن محرومون من زرعنا، وما بذلناه فيه ليس لنا

من حظ ولا جد أي: غير محظوظين ولا مجدودين.

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٦﴾ : أي أخبرونا عن الماء الذي تشربونه وحياتكم متوقفة عليه.

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ فِي الْغَيْثِ : أي من السحاب في السماء إلى الأرض.

أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٧﴾ : أي له إلى الأرض.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (روي عن حجر المدري أنه كان إذا قرأ ﴿ءَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزَعْنَا لَهُ الْبُيُوتَ ﴿٦٤﴾ وأمثالها، يقول:

بل أنت يارب. اهـ. (قل).

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا : أي ملحًا مرًا لا يمكن شربه .

فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ : أي فهلا تشكرون أي الله بالإيمان والطاعة .

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ : أي أخبرونا عن النار التي تخرجون من الشجر .

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا : أي خلقتم شجرتها كالمرخ والعفار والكلخ .

أَمْ نَخُنُّ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ : أي نحن المنشئون لتلك الأشجار .

نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً : أي جعلنا تلك النار تذكرة أي تذكر بنار جهنم .

وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ : أي بلغة للمسافرين يتبلغون بها في سفرهم .

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ : أي نزه اسم ربك عما لا يليق به كذكره بغير احترام ولا تعظيم ،

أو الاسم صلة والتقدير نزه ربك عن الشريك ومن ذلك قولك : سبحان ربي العظيم .

﴿ فَلَآ أَقْسِمُ ﴾ : أي فأقسم و(لا) صلة لتقوية الكلام وتأکید القسم <sup>(١)</sup> .

بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ : أي بمساقطها لغروبها وبمنازلها أيضًا ومطالعها كذلك .

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ : أي القسم بها .

لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمُ ﴿٧٦﴾ : أي لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظم هذا القسم .

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ : أي المتلو عليكم لقرآن كريم وهو الذي كذب به <sup>(٢)</sup> المشركون .

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ : أي مصون وهو المصحف .

لَا يَسْمَعُ إِلَّا الِّمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ : أي من الملائكة والأنبياء وكل طاهر غير محدث حدثًا أكبر

وأصغر <sup>(٣)</sup> .

نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ : أي منزل من رب العالمين وهو الله ﷻ .

(١) (لا) صلة في قول أكثر المفسرين أي : فأقسم بمواقع النجوم . وقيل : هي نفي أي ليس الأمر كما تقولون ثم

استأنف فقال : فأقسم كقول الرجل : لا . والله ما كان كذا وكذا ، ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام

سابق . وقيل : (لا) بمعنى أداة تنبيه .

(٢) ﴿ كَرِيمٌ ﴾ لما فيه من كريم الأخلاق ، ومعالي الأمور ولأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه ويسعد وينجو العامل به .

(٣) جاء في فقه السنة (قال رسول الله ﷺ : (لا يمس القرآن إلا طاهر) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال : رواه

موتقون فالحديث يدل على أنه لا يجوز مس المصحف إلا لمن كان طاهرًا ؛ ولكن «الطاهر» لفظ مشترك ،

يطلق على الطاهر من الحدث الأكبر والطاهر من الحدث الأصغر ، ويطلق على المؤمن وعلى من ليس على

بدنه نجاسة ، ولا بد لحمله على معين من قرينة ، فلا يكون الحديث نصًّا في منع المحدث حدثًا أصغر من مس

المصحف .

وأما قوله سبحانه : ﴿ لَا يَسْمَعُ إِلَّا الِّمُطَهَّرُونَ ﴾ فالظاهر رجوع الضمير إلى الكتاب المكنون ، وهو اللوح المحفوظ ،

لأنه الأقرب والمطهرون الملائكة فهو كقوله سبحانه ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

وزهد ابن عباس والشعبي والضحاك وزيد بن علي والمؤيد بالله وداود وابن حزم وحماد بن أبي سليمان إلى أنه يجوز للمحدث حدثًا أصغر مس المصحف . وأما القراءة له بدون مس فهي جائزة اتفاقًا . اهـ (قل) .

أَفِيْهِذَا الْحَدِيْثِ : أَي الْقُرْآنِ .

أَنْتُمْ مُّذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ : أَي تَلِيْنُونَ الْقَوْلَ لِلْمُكْذِبِيْنَ بِه مِمَّا لَأَ مِنْكُمْ لَهُمْ عَلَى التَّكْذِيْبِ بِه وَالْكَفْرِ .  
وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ : أَي شَكَرَ اللهُ عَلَى رِزْقِكُمْ .

أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ : أَي تَكْذِيْبِكُمْ بِسُقْيَا اللهِ وَتَقْوَلُونَ : مَطْرَنَا بِنُوءِ كَذَا وَكَذَا .  
فَلَوْلَا : أَي فَهَلَّا وَهِيَ لِلْحُضِّ عَلَى الْعَمَلِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> .

إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ : أَي مَجْرَى الطَّعَامِ وَذَلِكَ وَقْتُ التَّرْعِ .

وَأَنْتُمْ جِيْذٌ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ : أَي وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَعْرُضُونَ وَالْعَوَادُ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .

وَيَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ : أَي وَرَسَلْنَا مَلِكَ الْمَوْتِ وَأَعْوَانَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْمُحْتَضِرِ مِنْكُمْ .  
وَلَكِنْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ : أَي الْمَلَائِكَةُ .

فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ : أَي فَهَلَّا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ أَي مُحَاسِبِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ .

تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ : أَي تَرْجِعُونَ الرُّوحَ إِلَى الْجِسْمِ بَعْدَ وَشُوكِ مَفَارِقَتِهَا لَهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي أَنْكُمْ لَا تَبْعَثُونَ وَلَا تَحَاسِبُونَ .

فَأَمَّا إِنْ كَانَ : أَي الْمَيِّتِ .

مِنَ الْمُفْرَقِينَ ﴿٨٨﴾ : أَي مِنَ السَّابِقِينَ وَهُوَ الصَّنْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي  
أَوَّلِ السُّورَةِ .

فَرُوحٌ وَرِيْحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ : أَي اسْتِرَاحَةٌ وَرِيْحَانٌ أَي رِزْقٌ حَسَنٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ : أَي مِنَ الصَّنْفِ الثَّانِي .

فَسَلِّمْ لَكَ : يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ .

مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ : أَي مِنْ إِخْوَانِكَ يَسْلَمُونَ عَلَيْكَ فَإِنَّهُمْ فِي جَنَاتِ النِّعَمِ . ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ

الْمُكْذِبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ .

فَنَزَّلْنَا مِنْ جَمِيْرِ ﴿٩٣﴾ : أَي فَلَهُ نَزَلَ مِنْ مَاءٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ .

وَتَصْلِيَةٌ جَمِيْرٍ ﴿٩٤﴾ : أَي احْتِرَاقٌ بِهَا .

إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِيْنِ ﴿٩٥﴾ : أَي إِنْ هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِيْنِ .

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ ﴿٩٦﴾ : أَي نَزَّهُ وَقَدَّسَ اسْمَ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ .



(١) لم يجر للروح ذكر إلا أن المقام دال عليها.

## ٥٧- سُورَةُ الْحَادِثِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي نزه الله تعالى جميع ما في السموات والأرض بلسان الحال والقال.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ: أي في ملكه، الحكيم في صنعه وتدييره.  
 لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي يملك جميع ما في السموات والأرض يتصرف كيف يشاء.  
 يُحْيِي وَيُمِيتُ: يحيي بعد العدم ويميت بعد الإيجاد والإحياء.  
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: وهو على فعل كل ما يشاء قدير لا يعجزه شيء.  
 هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ: أي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء.  
 وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ: أي الظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.  
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ: أي لا يغيب عن علمه شيء ولو كان مثقال ذرة في السموات والأرض.  
 هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أي من أيام الدنيا مقدره بها أولها الأحد وآخرها الجمعة.

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ: أي ارتفع عليه وعلا.  
 يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ: أي ما يدخل في الأرض من كل ما يدخل فيها من مطر وأموات.  
 وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا: أي من نبات ومعادن..  
 وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ: أي من رحمة وعذاب.  
 وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا: أي يصعد فيها من الأعمال الصالحة والسيئة.  
 وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ: أي بعلمه بكم وقدرته عليكم أينما كنتم.  
 وَاللَّهُ يَمَاتَمَلُونَ بِصَبْرٍ: أي لا يخفي عليه من أعمال عباده الظاهرة والباطنة شيء.  
 لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ: أي مرد كل شيء إلى الله خالقه ومدبره يحكم فيه بما يشاء.

يُورِثُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ: أي يدخل جزءاً من الليل في النهار وذلك في الصيف.  
 وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ: ويدخل جزءاً من النهار في الليل وذلك في الشتاء، كما يدخل كامل أحدهما في الآخر فلا يبقى إلا ليل أو نهار، إذ أحدهما دخل في ثانيهما.  
 وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ: أي ما في الصدور من المعتقدات والأسرار والنيات.

ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ: أي صدقوا بالله ورسوله يا من لم تؤمنوا بعد، واثبتوا على إيمانكم يا من آمنتُم قبل.

وَأَنْفِقُوا: أي وتصدقوا في سبيل الله.  
وَمَا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ: أي من المال الذي استخلفكم الله فيه، إذ هو مال من قبلكم وسيكون لمن بعدكم.

فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا: أي صدقوا بالله ورسوله وتصدقوا بأموالهم المستخلفين فيها.  
لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾: أي ثواب عظيم عند الله وهو الجنة.  
وَمَا لَكُمْ لَأَنْتُمْ نَزَلْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ.  
وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ: أي والحال أن الرسول بنفسه يدعوكم لتؤمنوا بربكم.  
وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ: أي على الإيمان به وأنتم في عالم الذر حيث أشهدكم فشهدتم.  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾: أي مرادين الإيمان فلا ترددوا وآمنوا وأسلموا تنجوا وتسعدوا.  
هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ: أي هو الله ربكم الذي يدعوكم رسوله لتؤمنوا به، ينزل على عبده محمد ﷺ.

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ: هي آيات القرآن الكريم الواضحات المعاني البينات الدلالة.  
لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم.

وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾: ويدلكم على ذلك إرسال رسوله إليكم وإنزال كتابه ليخرجكم من الظلمات إلى النور.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: أي: أي شيء لكم في عدم الإنفاق في سبيل الله.  
وَاللَّهُ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي ومن ذلك المال الذي بين أيديكم فهو عائد إلى الله فأنفقوا في سبيله يؤجركم عليه. وإلا فسيعود إليه بدون أجر لكم.

لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ <sup>(١)</sup> مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ: أي لا يستوي مع من أنفق وقاتل بعد صلح الحديبية حيث عز الإسلام وكثر مال المسلمين. ﴿أُولَٰئِكَ أَعْطَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقْتِنَا﴾.  
وَكَلَّا وَعَدَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى: أي الجنة، والجنة درجات. وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾.

مَنْ ذَٰلِ الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ: أي بإنفاقه ماله في سبيل الله الذي هو الجهاد.

فَرَضًا حَسَنًا: أي فرضًا لا يريد به غير وجه الله تعالى.

فِيضُوفَهُ لَهُ: أي الدرهم بسبعمائة درهم.

(١) جائز أن يكون المراد بالفتح، فتح مكة، وكونه صلح الحديبية أولى وأرجح.

وَأَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ : أي يوم القيامة وهو الجنة دار النعيم المقيم.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ <sup>(١)</sup> : أي يتقدمهم نورهم الذي اكتسبوه

بالإيمان والعمل الصالح، بمسافات بعيدة يضيء لهم الصراط الذي يجتازونه إلى الجنة.

بُشْرَانَكُمْ الْيَوْمَ جَاءَتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ : أي تقول لهم الملائكة الذين أعدوا لاستقبالهم: بشراكم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾

ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ : أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم الذي لا أعظم

منه.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ : أي الذين كانوا يخفون الكفر في نفوسهم ويظهرون الإيمان

والإسلام بألسنتهم.

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا نَقِيسَ مِنْ نُورِكُمْ : أي انظروا إلينا بوجوهكم نأخذ من نوركم ما يضيء لنا

الطريق.

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا : أي يقال لهم استهزاء بهم: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا حيث يطلب

النور هناك بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي، فيرجعون وراءهم فلم

يجدوا شيئاً.

فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ : أي فضرب بينهم وبين المؤمنين بسور عالٍ له باب باطنه

الذي هو من جهة المؤمنين الرحمة.

وَوَظَّهَرَهُ مِنْ قِبَلِهَا الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ : أي الذي من جهة المنافقين في عرصات القيامة العذاب.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ : أي ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا على

الطاعات: أي فنصلي كما تصلون ونجاهد كما تجاهدون ونفق كما تنفقون.

قَالُوا بَلَى : أي كتمت معنا على الطاعات.

وَلَكِنَّكُمْ كُفَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ : أي بالنفاق وهو كفر الباطن وبغض الإسلام والمسلمين.

وَرَبَّصْتُمْ : أي الدوائر بالمسلمين، أي كتمت تنتظرون متى يهزم المؤمنون فتعلنوا عن كفركم

وتعودوا إلى شرككم.

وَأَرْبَبْتُمْ وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِيُّ : أي الكاذبة والأطماع في أن محمداً لن ينتصر وأن دينه لن يظهر.

﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ : بنصر رسوله وإظهار دينه.

وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ ﴿١٤﴾ : أي وغرركم بالإيمان بالله ورسوله حيث زين لكم الكفر وكره إليكم

(١) ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ عندما يسعون هم إذ هو منهم يتقدمهم فلا ينفصل عنهم حيث إذا وقفوا وقف وإذا مشوا تقدمهم بين أيديهم.

## الإيمان الشيطان.

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ: أي مال تدفون به أنفسكم إذ لا مال يومئذ ينفع ولا ولد.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا: أي ولا فدية تقبل من الذين كفروا.

مَأْوَانِكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ: أي مستقركم ومكان إيوائكم النار وهي أولى بكم لخبث نفوسكم.

وَيَسَّ الْمَصِيدَ ﴿١٥﴾: أي مصيركم الذي صرتم إليه وهو النار.

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي ألم يحن الوقت للذين أكثروا من المزاح.

أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ: أي تلين وتسكن وتخضع وتطمئن لذكر الله ووعده ووعيده.

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ: أي القرآن وما يحويه من وعد ووعد.

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ: أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى في الإعراض والغفلة.

فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ: أي الزمن بينهم وبين أنبيائهم.

فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ: أي لعدم وجود من يذكرهم ويرشدهم، فقسست لذلك قلوبهم فلم تلتن لذكر الله.

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُوتٌ ﴿١٦﴾: أي نتيجة لقساوة القلوب المترتبة على ترك التذكير والإرشاد ففسق

أكثرهم، فخرج عن دين الله ورفض تعاليمه.

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا: أي بالغيث ينزل بها، وكذلك يحيي القلوب بالذكر والتذكير،

فتلين وتخضع لذكر الله ووعده ووعيده.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾: أي بينا لكم الآيات الدالة على قدرتنا وعلمننا ولطفنا

ورحمتنا، رجاء أن تعقلوا فتحفظوا أنفسكم مما يريدها ويوبقها.

إِنَّ الْمَصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ: أي المتصدقين بفضول أموالهم والمتصدقات كذلك.

وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا: أي وكانت صدقاتهم كالقرض الحسن الذي لا منة معه، والنفس طيبة

به وراجية من ربها جزاءه.

يُضَاعَفُ لَهُمْ: أي القرض، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلى ألف ألف. ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ

كَبِيرٌ ﴿١٨﴾﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ: أي صدقوا بالله رباً وإلهاً، وبرسله هداة ودعاة صادقين.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ: أي الذين كتبوا عند الله صديقين وهي مرتبة شرف عالية.

وَالشَّهَدَاءُ (١) عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ: أي وشهداء المعارك في سبيل الله عند ربهم أي في

(١) اختلف في ﴿وَالشَّهَدَاءُ﴾ هل موصول بما قبله أو مقطوع؟ فإن كان موصولاً فالصديقون والشهداء: هم المؤمنون بالله ورسوله، وللجميع أجرهم ونورهم ويكون المدح والثناء وعظم الجزاء للجميع وهي بشرى لأمة محمد ﷺ، وإن كان مقطوعاً فقد فاز الشهداء بمزية لم تكن لغيرهم، وهذا ما ذهب إليه في التفسير، وهو ما اختاره ابن

الجنة لهم أجرهم العظيم ونورهم التام يوم القيامة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: أي كفروا بالله وتوحيده وكذبوا بالقرآن وبما حواه من الشرائع

والأحكام.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾: أي أولئك البعداء هم أهل النار الذين لا يفارقونها أبدًا.

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَقَلِيلٌ مِنَ النِّعَمِ السَّرِيعَةِ

الزوال.

وَزِينَةٌ: أي ما يتزين به المرء من أنواع الزينة، والزينة سريعة التغير والزوال.

وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ: أي أنها لا تخرج عن كونها لهواً ولعباً وزينة وتفاهراً

وتكاثراً في الأموال والأولاد.

كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ: أي مثلها في سرعة زوالها وحرمان صاحبها، من الدار الآخرة

ونعيمها كمثل مطر أعجب الكفار: أي الزراع أعجبهم نباته أي ما نبت به من الزرع.

ثُمَّ يَسِيحُ فَيَرْتَفِعُ مُصْفَرًّا: أي ييس فتراه مصفراً أن أوان حصاده.

ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا: أي يتحول بسرعة إلى حطام يابس يتفتت. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ

اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتْعَةٌ عُرُورٌ ﴿٢٠﴾: أي وما الحياة الدنيا في التمتع بها إذ الحياة نفسها غرور

لا حقيقة لها.

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ: أي سارعوا بالتوبة مسابقين غيركم لتغفر لكم ذنوبكم. ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ: أي الموعود به من المغفرة والجنة.

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾: أي فلا يبعد تفضله بذلك الموعود به وإن كان عظيماً.

مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ: أي بالجذب وذهاب المال.

وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ: أي بالمرض وفقد الولد.

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا: أي في اللوح المحفوظ قبل أن نخلقها.

إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾: أي سهل ليس بالصعب.

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ: أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم أي مما تحبون من الخير.

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ: أي بما أعطاكم فرح البطر، أما فرح الشكر فهو مشروع.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾: أي مختال بتكبره بما أعطي، فخور أي به على الناس.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ: أي بما وجب عليهم أن يبذلوه.

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ: أي بمنع ما وجب عليهم عطاؤه.

وَمَنْ يَتَوَلَّ: أي عن الإيمان والطاعة وقبول مواعظ ربه.  
 فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ: أي غني عن سائر خلقه، لأن غناه ذاتي له لا يستمده من غيره.  
 الْحَمِيدُ ﴿١٤﴾: أي محمود بجلاله وجماله وآلته ونعمه على عباده.  
 لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ: أي بالحجج والبراهين القاطعة على صدق دعوتهم.  
 وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ: أي وأنزل عليهم الكتب الحاوية للشرائع والأحكام.  
 وَالْمِيزَانَ: أي العدل الذي نزلت الكتب بالأمر به وتقريره.  
 لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ: أي لتقوم حياتهم فيما بينهم على أساس العدل.  
 وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ: أي في الحديد بأس شديد، والمراد آلات القتال من سيف وغيره.

وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ: أي يتنفع به الناس إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها.  
 وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> مِنْ بَصْرِهِ: أي وأنزلنا الحديد وجعلنا فيه بأساً شديداً، ليعلم الله من ينصره في دينه وأوليائه وينصر رسله المبلغين عنه.

بِالْعَبِيَّةِ: أي وهم لا يشاهدونه بأبصارهم في الدنيا.  
 إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٥﴾: أي لا حاجة به إلى نصرة أحد وإنما طلبها يتعبد بها عباده.  
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ: أي وتالله لقد أرسلنا نوحاً، وهو الأب الثاني للبشر، وإبراهيم، وهو أبو الأنبياء.

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا التَّوْرَةَ وَالْكِتَابَ: أي التوراة والزيبور والإنجيل والفرقان.  
 فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ: أي من أولئك الذرية أي: سالك سبيل الحق والرشاد.  
 وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾: أي عن طاعة الله ورسله ضال في طريقه.  
 ثُمَّ بَقَيْنَا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ رَسُولًا: أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى.  
 وَبَقَيْنَا بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ: أي أتبعناهم بعيسى ابن مريم لتأخره عنهم في الزمان. ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾.

وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ: أي على دينه وهم الحواريون وأتباعهم.  
 رَأْفَةً وَرَحْمَةً: أي ليّنًا وشفقة.  
 وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا: أي وابتدعوا رهبانية لم يكتبها الله عليهم. وهي اعتزال النساء والانقطاع في الأديرة والصوامع للتعبد.

(١) هذا العلم: علم ظهور وكشف عما هو معلوم لله تعالى مستور عن عباده، لا أنه علم يستجد لله تعالى فإنه قد كتب ذلك في كتاب المقادير وعلمه قبل وجوده، وإنما يظهره في وقته كما كتبه فيعلمه بعد كشفه وإظهاره لتقوم الحججة به على عباده.

مَا كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ : أي إلا طلباً لرضوان الله ﷻ .  
 فَتَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِيهَا : أي لم يلتزموا بما نذروه على أنفسهم من الطاعات .  
 فَتَأْتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ : أي فأعطينا الذين ثبتوا على إيمانهم  
 وتقواهم أجرهم .

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي يعيسى ابن مريم وموسى من قبله <sup>(١)</sup> .  
 اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ : أي خافوا عقاب الله وآمنوا بمحمد ﷺ واتبعوه .  
 يُؤْتِيَكُمْ كِفَايَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ : يعطكم الله نصيبين من الأجر مقابل إيمانكم بنبينا محمد ﷺ .  
 وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ : أي في الدنيا إذ تعيشون على هداية الله، وفي الآخرة تمشون به على  
 الصراط . ﴿ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ .  
 لَيْتَلَىٰ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ <sup>(٢)</sup> : أي لكي يعلم أهل الكتاب أنهم لا  
 يقدرون على شيء من فضل الله . واللام في لئلا مزيدة لتقوية الكلام . ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ  
 وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿١٩﴾ .



(١) استعمل الإيمان هنا استعمالاً لقيماً إذ المراد بالذين آمنوا: اليهود والنصارى؛ إذ هم يؤمنون بالله ولقائه وكتبه  
 ورسله في الجملة.

(٢) أي: إلا بإذن الله؛ إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والظاهر أن المراد من الفضل هنا خصوص النبوة والرسالة  
 وأن أهل الكتاب من اليهود يريدون حصر النبوة والرسالة في شعب بني إسرائيل، فلذا جحدوا نبوة ورسالة  
 محمد ﷺ وكفروا بهما؛ فناداهم تعالى بعنوان الإيمان الذي يدعونه وأمرهم بتقواه بترك الكذب والاحتيال  
 وأمرهم بالإيمان برسوله وواعدهم مضاعفة الأجر إن هم آمنوا، وكان هذا إعلاناً منه تعالى أن أهل الكتاب لا  
 يقدرون على حصر الفضل فيهم ومنعه عن غيرهم فقد نبأ وأرسل من بني عمهم محمداً ﷺ وهم كارهون  
 منكرون مكذبون، وهم بين خيارين: إما الإيمان بمحمد ﷺ والفوز بالجنة والنجاة من النار، وإما الإصرار  
 على إنكار رسالته والكفر مع الخسران في الحياتين، ولا يهلك على الله إلا هالك.

## ٥٨ - سُورَةُ الْجَنَّاازِلَةِ

«مدينة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا : أَي تَرَا جَعَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ فِي شَأْنِ زَوْجِهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ . وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ : أَي وَحْدَتِهَا وَفَاقَتِهَا وَصَبِيَّةٌ صَغَارًا إِنْ ضَمَّتْهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا ، وَإِنْ ضَمَّتْهُمْ إِلَيْهَا جَاعُوا .

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا : أَي تَرَا جَعَكُمَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَالْمَحَاوِرَةُ لَكَ وَهِيَ خَوْلَةٌ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ .

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ : أَي لِأَقْوَالِكُمَا ، بِصِيرٍ بِأَحْوَالِكُمَا .

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ : أَي يُحْرَمُونَ نِسَاءَهُمْ بِقَوْلِ : أَنْتَ عَلِيٌّ كَظَهَرَ أُمِّي . مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ : أَي لَيْسَ مِنْ بَأْمِهَاتِهِمْ .

إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ : مَا أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ، أَوْ أَرْضَعْنَهُمْ .

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا : أَي وَإِنَّهُمْ بِالظَّهَارِ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ ، وَزُورًا : أَي

كذبا .

وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ : أَي عَلَى عِبَادِهِ : أَي ذُو صَفْحٍ عَلَيْهِمْ غَفُورٌ لِدُنُوبِهِمْ إِنْ تَابُوا مِنْهَا .

وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ : أَي بِأَنْ يَقُولَ لَهَا : أَنْتَ عَلِيٌّ كَظَهَرَ أُمِّي أَوْ أُخْتِي وَنَحْوَهَا مِنْ

المحارم .

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا : أَي يَعْزَمُونَ عَلَى الْعُودَةِ لِلَّتِي ظَاهَرُوا مِنْهَا ، إِذْ كَانَ الظَّهَارُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقًا .

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا : أَي فَالْوَجِبُ عَلَيْهِ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّنَةً قَبْلَ أَنْ يَجَامِعَهَا (١) .

ذَلِكَ لَكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ : أَي تَوْمَرُونَ بِهِ فَافْعَلُوهُ عَلَى سَبِيلِ الْوَجُوبِ . ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٣﴾ .

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ : أَي فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الرِّقْبَةَ لِانْعِدَامِهَا أَوْ غَلَاءِ ثَمَنِهَا فَالْوَجِبُ

صيام شهرين متتابعين .

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا : أَي مِنْ قَبْلِ الْوِطْءِ لَهَا .

فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ : أَي الصِّيَامَ لِمَرَضٍ أَوْ كِبَرٍ سَنَّ .

(١) قال ابن كثير رَوَى اللَّهُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أَي فإِعْتَاقُ رَقَبَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ، فَهِيَ الرِّقْبَةُ مُطْلَقَةٌ غَيْرُ

مُقَدِّمَةٌ بِالْإِيمَانِ ، وَفِي كِفَايَةِ الْقَتْلِ (أَيِ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ) مُقَدِّمَةٌ بِالْإِيمَانِ . فَحَمَلُ الشَّافِعِيِّ رَوَى اللَّهُ مَا أُطْلِقَ هُنَا

عَلَى مَا قُدِّمَ هُنَاكَ لِاتِّحَادِ الْمَوْجِبِ ، وَهُوَ عِتْقُ الرِّقَبَةِ . (أهـ) (قل)

فَاطْعَامٌ سِتِّينَ مَسْكِينًا : أي فعلية قبل الوطاء أن يطعم ستين مسكينًا، يعطي لكل مسكين مدًا من بر أو مدين من غير البر كالتمر والشعير ونحوهما من غالب قوت أهل البلد.

ذَلِكَ : أي ما تقدم من بيان حكم الظهر الذي شرع لكم.

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي لأن الطاعة إيمان والمعصية من الكفران.

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ : أي أحكام شرعه.

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ : أي وللكافرين بها الجاحدين لها عذاب أليم أي ذو ألم.

إِنَّ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ : أي يخالفون الله ورسوله ويعادونهما (١).

كَيْتُوكَا كَيْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ : أي ذلوا وأهينوا، كما ذل وأهين من قبلهم لمخالفتهم رسولهم،

وعبر في الآية بالماضي (كتبوا) لتحقيق وقوعه كقوله تعالى: (أتى أمر الله).

وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ : أي والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات دالة على صدق الرسول.

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ : أي يوقعهم في الذل والهوان.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا : أي يوم القيامة. ﴿فَيَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا﴾ \*

أَخْصَنَهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ : أي جمعه وعده ونسوه هم.

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ : أي لا يغيب عنه شيء من الأشياء. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا

فِي الْأَرْضِ﴾ \*

مَا يَكُوثُ مِنْ نَجْوَى : أي من متناجين.

ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ : أي هو تعالى رابعهم بعلمه بهم، وقدرته عليهم. ﴿وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا هُوَ

سَادِسُهُمْ.

وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ : أي أقل من الثلاثة وهما الاثنان. ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ \*

إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَنْ مَا كَانُوا : أي في أي مكان من الأرض أو السماء. ﴿ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ

يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٧﴾﴾ (٢).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْنَا عَنِ النَّجْوَى : أي المسارة الكلامية والمنهيون هم اليهود والمنافقون.

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ : أي من التناجي تعمدًا لأذية المؤمنين بالمدينة.

وَيَنْتَجِبُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوبِ : أي بما هو إثم في نفسه، وعداوة الرسول والمؤمنين.

(١) الأولى أن تكون العبارة كالآتي: يخالفون ويعادون الله ورسوله (قل).

(٢) من هداية الآيات: الإرشاد إلى أن التناجي للمشاورة في الخير ينبغي أن يكون عدد المتناجين ثلاثة أو خمسة أو سبعة ليكون الواحد عدلاً مرجحاً للخلاف قاضياً فيه إذا اختلف الاثنان، إذ لا بد من واحد يرجع جانب الخلاف وإذا اختلف أربعة فلا بد من خامس يرجع جانب الخلاف.

وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ : أي يتناجون فيوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول وعدم طاعته<sup>(١)</sup> .  
 وَإِذَا جَاءَكَ حَيَّوْكَ : أي جاءوك أيها النبي حيوك بقولهم: السام عليك.  
 يَمَا لَوْ يَحْيِكَ بِهِ اللَّهُ : أي حيوك بلفظ السام عليك، وهذا لم يحيي الله به رسوله بل حياه بلفظ  
 السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.  
 وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : أي سرّاً فيما بينهم.  
 لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ : أي هلاً يعذبنا الله بما نقول له، فلو كان نبياً لعاجلنا الله بالعقوبة.  
 حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَصِيرَ ﴿١٨﴾ : أي يكفهم عذاب جهنم يصلونها فبئس المصير لهم.  
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ : أي فلا يناج بعضكم بما هو إثم ولا بما  
 هو عدوان وظلم.

وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ : أي ولا بما هو معصية للرسول.  
 وَتَنَجُّوْا بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ : أي وتناجوا إن أردتم ذلك بالبر أي الخير والتقوى وهي طاعة الله  
 والرسول. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ .  
 إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ : أي إنما النجوى بالإثم والعدوان من الشيطان أي بتغريه.  
 لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا : أي ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم.  
 وَلَيْسَ بِضَارٍّ لَهُمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ : أي وليس التناجي بضرار المؤمنين شيئاً إلا بإرادة الله تعالى.  
 وَعَلَى اللَّهِ فليتوكّل المؤمنون ﴿٢٠﴾ : أي وعلى الله لا على غيره يجب أن يتوكّل المؤمنون. ﴿يَتَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ .

إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ : أي توسعوا في المجالس التي هي مجالس علم وذكر.  
 فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ : أي في الجنة وفي الرزق والقبر.  
 وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا : أي قوموا للصلاة أو غيرها من أعمال البر.  
 يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ : أي بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وفي غرفات الجنان في الآخرة.  
 وَالَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ : أي ويرفع الذين أوتوا العلم درجات عالية لجمعهم بين العلم  
 والعمل. ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢١﴾ .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ الرَّسُولَ : أي أردتم مناجاته.  
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ صَدَقَةً : أي قبل المناجاة تصدقوا بصدقة ثم ناجوه ﷺ .  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ : أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لما فيه من نفع الفقراء وأطهر

(١) كتبت ﴿وَمَعْصِيَتِ﴾ بالياء المفتوحة دون المربوطة التي يوقف عليها بالهاء في موضعين من هذه السورة، ويوقف عليها بالهاء ويجوز بالياء، وأما في الوصل فلا بد من التاء.

لذنوبكم.

فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا : أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به.

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ : أي غفور لمناجاتكم رحيم بكم، فليس عليكم في المناجاة بدون صدقة

إثم.

ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ تَحِيَّاتِكُمْ صَدَقَاتٍ : أي أخفتم الفقر إن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ : أي تقديم الصدقات وتاب الله عليكم بأن رخص لكم في تركها.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَىٰ سُبُلٍ كَثِيرٍ ۚ لَقَدْ وَضَّعْنَا لِلدِّينِ أَسْبَابَ لُحُومِهِمْ وَأَسْبَابَ آلِهَتِهِمْ ۚ فَاتَّقِ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٤﴾ : أي على الوجه المطلوب من إقامتها وأخرجوا الزكاة.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أَي وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله.

وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ : أي من أعمال البر والإحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة.

﴿الَّذِينَ تَتَوَلَّوْنَ الْكَافِرِينَ يَتَّبِعُوا آلَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ : أي ألم تنظر إلى المنافقين الذين تولوا.

قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أي اليهود.

مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ : أي ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أي من اليهود بل هم مذنبون.

وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ : أي يحلفون لكم أنهم مؤمنون وهم يعلمون أنهم غير

مؤمنين. ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ : أي قبح أشد القبح عملهم وهو النفاق والمعاصي.

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً : أي سترًا على أنفسهم وأموالهم، فادعوا الإيمان كذبًا وحلفوا أنهم مؤمنون

وما هم بمؤمنين.

فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ : أي فصدوا بتلك الأيمان المؤمنين عن سبيل الله التي هي جهادهم

وقتلهم. ﴿لَقَدْ عَذَّبْنَا مُهَيْمِينَ ﴿١٨﴾ لَنْ نَعْفَى عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ ۖ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ : أي يوم يبعثهم من قبورهم يوم القيامة يحلفون لله

أنهم مؤمنون كما يحلفون اليوم لكم أنهم مؤمنون.

وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ : أي يظنون في أيمانهم الكاذبة أنهم على شيء من الحق. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْكَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ : أي غلب عليهم الشيطان.

فَأَسْتَهْمُوا ذِكْرَ اللَّهِ : فلم يذكره بألسنتهم إلا تقية ولا يذكرون وعده ولا وعيده.

(١) قال ابن كثير رحمه الله: (..فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل: إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب. اهـ (قل)).

أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ: أي أولئك البعداء أتباع الشيطان وجنده.  
 أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾: أي إن أتباع الشيطان وجنده هم المغبونون الخاسرون في صفقة حياتهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يخالفون الله ورسوله فيما يأمران به وينهيان عنه <sup>(١)</sup>.

أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿١٧﴾: أي المغلوبين المقهورين.

كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَا وَرُسُلِي: أي كتب في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم بأن يغلب بالحجة أو السيف. ﴿بَارِكْ اللَّهُ قُوَىٰ عَزِيزٌ ﴿١٨﴾ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: أي يصادقون من يخالف الله ورسوله بمحبتهم ونصرتهم.  
 وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ: أي يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم

على الإيمان كما وقع للصحابة.

أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ: أي أثبت الإيمان في قلوبهم.

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ: أي برهان ونور وهدى <sup>(٢)</sup>. ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ: أي رضي الله عنهم بطاعتهم إياه في الدنيا، ورضوا عنه في الآخرة

بإدخاله إياهم في الجنة. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٩﴾: أي ألا إن جند الله وأوليائه هم الفائزون بالنجاة من النار

ودخول الجنة.



(١) الأولى أن تكون العبارة كالآتي: (.. فيما جاء عن الله ورسوله من أمر ونهي في الكتاب والسنة) فقد روى مسلم من حديث عدي بن حاتم أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله». (قل).

(٢) قيل: هو جبريل، وقيل: بنصر منه، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه.

## ٥٩ - سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي نزه الله تعالى وقده بلسان الحال والقال ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① : أي العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تديره لأوليائه. هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ : أي أخرج يهود بني النضير من ديارهم بالمدينة.

لِأَوَّلِ الْحَشْرِ : أي لأول حشر كان وثاني حشر كان من خيبر إلى الشام ① . مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا : أي ما ظننتم أيها المؤمنون أن بني النضير يخرجون من ديارهم. وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ : أي وظن يهود بني النضير أن حصونهم تمنعهم مما قضى الله به عليهم من إجلائهم من المدينة.

فَأَنزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَكَرًا فَأَنزَلْنَا اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَكَرًا : أي فجاءهم الله من حيث لم يظنوا أنهم يؤتون منه. وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ : أي وقذف الله تعالى في قلوبهم الخوف الشديد من محمد وأصحابه. يُخْرِجُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ : أي يخرجون بيوتهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون، وليأخذوا بعض أبوابها وأخشابها المستحسنة معهم.

وَأَيَّدَى الْمُؤْمِنِينَ : إذ كانوا يهدمون عليهم الحصون ليتمكنوا من قتالهم. فَأَعْرَبُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا : أي فاتعظوا بحالهم يا أصحاب العقول ولا تغتروا ولا تعتمدوا

إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ② . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ : أي ولولا أن كتب الله عليهم الخروج ② من المدينة. لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا : أي بالقتل والسبي كما عذب بني قريظة إخوانهم بذلك. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ③ .

① الحشر: الجمع أي: جمع الناس في مكان واحد، والمراد هنا: حشر يهود جزيرة العرب إلى غيرها أي: جمعهم للخروج، ولذا هو يرادف الجلاء إذا كان الجلاء لجماعة عظيمة تجمع من الديار المتفرقة، واللام في قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هي لام التوقيت التي تدخل على أول الوقت نحو ﴿فَطَلَّقُوهُمْ إِيذِينَ﴾ أي: لأول عدتهن وهو الطهر الذي لم تمس فيه.

② الفرق بين الجلاء والإخراج: أن الجلاء يكون بالأهل والأولاد، وأما الإخراج فقد يكون بدون ذلك، وكلاهما مفارقة المرء وطنه ويقال: جلا المرء بنفسه وأجله غيره.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: جزاهم بما جزاهم به من عذاب الدنيا والآخرة بسبب مخالفتهم لله ورسوله، ومعاداتهم لهما. ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤).  
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا: أي ما قطعتم أيها المؤمنون من نخلة لينة أو تركتموها بلا قطع.

فِيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَحْزَى الْفَاسِقِينَ (٥): أي فقطع ما قطعتم وترك ما تركتم كان بإرادة الله وكان ليحزى الله الفاسقين يهود بني النضير.

وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ: أي وما ردَّ الله ليدرسول الله ﷺ من مال بني النضير.  
فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ: أي أسرعتم في طلبه والحصول عليه خيلاً ولا إبلاً أي لم تعانوا فيه مشقة.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ: أي وقد سلط رسول الله محمد ﷺ على بني النضير ففتح بلادهم صلحاً. ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦).

مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى: أي وما رد الله على رسوله (١) من أموال أهل القرى التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

فَلِلَّهِ وَالرُّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّسْبِيلِ: أي لله جزء وللرسول جزء وللقراة الرسول جزء.  
وَأَنَّ السَّبِيلِ: ولليتامى جزء وللمساكين جزء ولابن السبيل جزء تقسم على المذكورين بالسوية.

كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ: أي كيلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء الأقوياء ولا يناله الضعفاء والفقراء.

وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا: أي وما أعطاكم الرسول وأذن لكم فيه أو أمركم به فخذوه، وما نهاكم عنه وحظره عليكم ولم يأذن لكم فيه فانتهوا عنه.

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧): أي واتقوا الله فلا تعصوه ولا تعصوا رسوله، واحذروا عقوبة الله على معصيته ومعصية رسوله؛ فإن الله شديد العقاب. ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

يَتَّبِعُونَ فَضلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَاناً: أي هاجروا حال كونهم طالبين من الله رزقاً يكفيهم ورضا منه تعالى. ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨): أي في إيمانهم حيث تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا ينصرون الله

(١) هذه الآية بداية كلام مستأنف استئنافاً ابتدائياً فالأولى كانت خاصة بقسمة أموال بني النضير، وأما هذه فهي في بيان حكم الغنيء في الإسلام.

ورسوله.

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ: أي والأنصار الذين نزلوا المدينة وألّفوا الإيمان بعدما اختاروه

على الكفر.

مِنْ قَبْلِهِمْ: أي من قبل المهاجرين. ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

وَلَا يُحَدِّثُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً: أي حسداً ولا غيظاً.

مِمَّا أوتُوا: أي مما أوتي إخوانهم المهاجرون من فيء بني النضير.

وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أي في كل شيء حتى إن الرجل منهم تكون تحته المرأتان فيطلق

إحدهما لزوجها مهاجراً.

وَلَوْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ حَصَاصَةٌ: أي حاجة شديدة وخلة كبيرة لا يجدون ما يسدونها به.

وَمَنْ يُوَفِّقْ شُحَّ نَفْسِهِ: أي ومن يقيه الله تعالى حرص نفسه على المال والبخل به. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ

المُفْلِحُونَ﴾ (٦)

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ: أي من بعد المهاجرين والأنصار من التابعين إلى يومنا هذا فما

بعد. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أي حقداً أي انطواء على العداوة والبغضاء. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ

رَحِيمٌ﴾ (١٠)

﴿أَلَمْ تَرَ: أي ألم تنظر.

إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا: أي أظهروا الإيمان وأخفوا في نفوسهم الكفر.

يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ: أي يهود بني النضير.

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ: أي من دياركم بالمدينة.

لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَعَكُمْ: أي نخرج معكم ولا نبقي بعدكم في المدينة. ﴿وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾

وَلِإِنْ قُوتِلْتُمْ: أي قاتلكم محمد ﷺ وأصحابه.

لَنَنْصُرَنَّكُمْ: أي بالرجال والسلاح.

وَاللَّهُ شَهِيدٌ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (١١): أي فيما وعدوا به إخوانهم من بني النضير. ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ

مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾

وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ: أي وعلى فرض أنهم نصرورهم.

لَيُؤْتِنَنَّكَ: الأَذْبَرُثَةُ لَا يَنْصُرُونَ﴾ (١٢): المنافقون كاليهود سواء.

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ: أي تالله لأنتم أشد خوفاً في صدورهم.

مِنَ اللَّهِ: لأن الله تعالى يؤخر عذابهم وأنتم تعجلونه لهم.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ: أي المنافقين.

قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ : لظلمة كفرهم وعدم استعدادهم للفهم عن الله ورسوله (١) .  
لَا يُقِنُّوكُمْ جَمِيعًا : أي لا يقا تلکم يهود بني النضير مجتمعين .

إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ : أي بالأسوار العالية .

أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ : أي من وراء المباني والجدران، أما المواجهة فلا يقدرّون عليها .

بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ : أي العداوة بينهم شديدة والبغضاء أشد .

تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا : أي مجتمعين .

وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى : أي متفرقة خلاف ما تحسبهم عليه .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ : إذ لو كانوا يعقلون لاجتمعوا على الحق وما كفروا به وتفرقوا

فيه فهذا دليل عدم عقلهم .

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا : أي مثل يهود بني النضير في ترك الإيمان ومحاربة الرسول ﷺ

كمثل إخوانهم بني قينقاع والمشركين في بدر .

ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ : أي ذاقوا عاقبة كفرهم وحربهم لرسول الله ولهم عذاب أليم

في الآخرة .

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : أي ومثلهم أيضًا في سماعهم من المنافقين وخذلانهم لهم كمثل

الشیطان إذا قال للإنسان :

أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِيءٌ مِنْكَ : أي قال له الشيطان بعد أن كفره : إني بريء منك . ﴿١٦﴾

أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿١٧﴾

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ : أي خلودهم في النار أي الغاوي والمغوي ذلك جزاؤهما وجزاء

الظالمين . ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الزَّبَابُ فَأَمْوَأَتْهُمُ النَّارُ لَمَمًا ﴿١٨﴾

وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ فَلَمَّا قَدَّمَتْ لِعَذَابِهَا : أي لينظر كل أحد ما قدم ليوم القيامة من خير وشر . ﴿١٩﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ

اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنَّهُمْ : أي ولا تكونوا أيها المؤمنون كالذين نسوا الله فتركوا طاعته .

فَأَنْسَاهُمْ أَنَّهُمْ : أي فعاقبهم بأن أنساهم أنفسهم فلم يعملوا خيرًا قط . ﴿٢٠﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ : أي لأن أصحاب الجنة

فائزون بالسلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب المحبوب . وأصحاب النار خاسرون في جهنم

خالدون، فكيف يستويان؟! .

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ : أي وجعلنا فيه تمييزاً وعقلاً وإدراكاً.  
 لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا : أي لرأيت ذلك الجبل متشققاً متطامناً ذليلاً.  
 مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ : أي من خوف الله خشية أن يكون ما أذى حقه من التعظيم.  
 وَذَلِكَ الْأَمْثَلُ نَصْرٌ بِهَا لِلنَّاسِ : أي مثل هذا المثل نضرب الأمثال للناس.  
 لَعَلَّهُمْ يَفْكَرُونَ ﴿٦١﴾ : أي يتذكرون فيؤمنون ويوحدون ويطيعون.  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي الله المعبود بحق الذي لا معبود بحق إلا هو عَزَّ وَجَلَّ.  
 عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ : أي عالم السر والعلانية.  
 هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٦٢﴾ : أي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.  
 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق إلا هو، لأنه الخالق الرازق المدبر وليس لغيره ذلك.

الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ : أي الذي يملك كل شيء ويحكم كل شيء، القدوس: الطاهر المنزه عما لا يليق به.

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ : أي ذو السلامة من كل نقص الذي لا يطرأ عليه <sup>(٢)</sup> النقص.  
 المصدق رسله بالمعجزات. المهيم: الرقيب الشهيد على عبادته بأعمالهم.  
 الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ : العزيز في انتقامه، الجبار لغيره على مراده، المتكبر على خلقه <sup>(٣)</sup>.

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ : أي تنزيهاً لله تعالى عما يشركون من الآلهة الباطلة.  
 هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ : أي هو الإله الحق لا غيره الخالق لكل المخلوقات، المنشئ لها من العدم.

الْمُصَوِّرُ : أي مصور المخلوقات ومركبها على هيئات مختلفة.

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى : أي تسعة وتسعون اسماً كلها حسنى في غاية الحسن <sup>(٤)</sup>.

(١) (لو) هذه حرف امتناع لا امتناع أي: امتنع إنزال القرآن على جبل فامتنعنت رؤيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، ولو حصل الأول لحصل الثاني.

(٢) لاسم السلام ثلاثة معان صادقة: منها ذو السلام كما في التفسير، ومنها ذو السلام: أي المسلم على عبادته في الجنة، ومنها الذي سلم من كل عيب وبراء من كل نقص.

(٣) الجبار: قال ابن عباس: هو العظيم، وجبروت الله: عظيمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم: نخلة جبار.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبُّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه الشيخان والترمذي وابن ماجه وزاد الترمذي «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك

يُسَبِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: أي ينزهه ويسبحه بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٤﴾: أي العزيز الغالب على أمره، الحكيم في جميع تدبيره.



القدوس السلام المؤمن... وذكر أسماء الله الحسنى، ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين؛ بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحًا»، فقيل: يا رسول الله أفلا تتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها» وذكر ابن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (الأحوذى في شرح الترمذي) أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم، فالله أعلم. اهـ (قل).

## ٦٠ - سُورَةُ الْمُتَحَنِّنَاتِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ : أي الكفار والمشركين .  
 أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ فِيهِم بِالْمُؤَدَّةِ : أي لا تتخذوهم أنصارًا توادوهم .  
 وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ : أي الإسلام عقيدة وشريعة .  
 يُخْرِجُونَ الرُّسُلَ وَإِيَّاكُمْ : أي بالتضييق عليكم حتى خرجتم فارين بدينكم .  
 أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ : أي لأجل أن آمنتم بربكم .  
 إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَإِبْعَاءَ مَرْضَاتِي : فلا تتخذوهم أولياء ولا تبادلوهم المؤدة .  
 تُشِيرُونَ إِلَيْهِم بِالْمُؤَدَّةِ : أي توصلون إليهم خبر الرسول لغزوهم بطريقة سرية ﴿ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ  
 وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ .

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ : أي ومن يوادهم فينقل إليهم أسرار النبي في حروبه وغيرها .  
 فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ : أي أخطأ طريق الحق الجادة الموصلة إلى الإسعاد .  
 إِنْ شَقَقْتُمْ : أي إن يظفروا بكم متمكنين منكم في مكان ما .  
 يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ : أي لا يعترفون لكم بمودة .  
 وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ : أي بالضرب والقتل .  
 وَالسِّنَنُومُ بِالسُّوءِ : أي بالسب والشتم .  
 وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ : أي وأحبوا لو تكفروا بدينكم ونيبكم وتعودون إلى الشرك معهم .  
 لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ : أي إن توادوهم وتسروا إليهم بالأخبار الحربية تقربًا إليهم ، من  
 أجل أن يراعوا لكم أقرباءكم وأولادكم المشركين بينهم ، فاعلموا أنكم لن تنفعكم أرحامكم ولا  
 أولادكم يوم القيامة .  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ : أي فتكونون في الجنة ويكون المشركون من أولاد وأقرباء وغيرهم في  
 النار . وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ .  
 قَدْ كَانَتْ لَكُمْ : أي أيها المؤمنون .  
 أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : أي قدوة صالحة .

فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ: من المؤمنين فأتسوا بهم (١).

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ: أي المشركين.

إِنَّا بُرِّئُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ: أي نحن متبرئون منكم، ومن أوثانكم التي تعبدونها.

كَفَرْنَا بِكُمْ: أي جحدنا بكم فلم نعرف لكم بقرابة ولا ولاء.

وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا: أي ظهر ذلك واضحا جليا (٢) لا لبس فيه ولا خفاء.

حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ: أي ستستمر عداوتنا لكم وبغضنا إلى غاية إيمانكم بالله وحده. ﴿الْأَقْوَلُ

إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَا سَتْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٣) رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا ﴿

وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ: أي رجعنا في أمورنا كلها. ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٤) ﴿

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا: أي بأن تظهرهم علينا فيفتنونا في ديننا ويفتنوا بنا؛ يرون أنهم على

حق لما يغلبوننا. ﴿وَأَعِزَّنَا لِأَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥) ﴿

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ: أي لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ: أي هي أسوة حسنة لمن كان يؤمن بالله ويرجو ما عنده يوم

القيامة.

وَمَنْ يَتَوَلَّ: أي لم يقبل ما أرشدناه إليه من الإيمان والصبر فيعود إلى الكفر.

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾: أي فإن الله ليس في حاجة إلى إيمانه وصبره فإنه غني بذاته لا يفتقر

إلى غيره، حميد: أي محمود بآلانه وإنعامه على عباده.

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ: أي من كفار قريش بمكة طاعة لله واستجابة

لأمره.

مُودَّةٌ: أي محبة وولاء وذلك بأن يوقفهم للإيمان والإسلام، فيؤمنوا ويسلموا ويصبحوا

أولياءكم.

وَاللَّهُ قَدِيرٌ: أي على ذلك وقد فعل فأسلم بعد الفتح أهل مكة إلا قليلا منهم. ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ

﴿٧﴾ ﴿

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ: أي من أجل الدين. ﴿وَلَمْ تَخْرُجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ ﴿

أَنْ تَبْرُوهُمْ: أي تحسنوا إليهم.

(١) هم: سارة زوجته ولوط ابن أخيه فهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ﴿

(٢) العداوة: هي المعاملة بالسوء والاعتداء، والبغضاء نفرة النفس والكراهية للمبغض.

(٣) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وقال ابن عباس: ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وفي رواية: فلما مات تبين له أنه عدو لله). اهـ (قل).

وَتَقْسَطُوا لِيَنَّهُمْ ۗ أَيُّ تَعَدَّلُوا فِيهِمْ فَتَنصِفُوهُمْ ۗ (١)

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ : أي المنصفين العادلين في أحكامهم ومن ولوا. ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ .

وَوَظَّهُرُوا عَلَيَّ إِخْرَاجِكُمْ : أي عاونوا وناصروا العدو على إخراجكم من دياركم.  
أَنْ تَوَلَّوْهُمُ : أي تتولهم بالنصرة والمحبة.

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ : لأنهم وضعوا الولاية في غير موضعها، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ : أي المؤمنات بألسنتهن مهاجرات من الكفار.  
فَأَمْسَحُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ : أي اختبروهن بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن، ولا عشقا لرجال من المسلمين.

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ : أي صادقات في إيمانهن بحسب حلفهن.

فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ : أي لا تردوهن إلى الكفار بمكة.

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ : لا المؤمنات يحلن لأزواجهن الكافرين، ولا الكافرون يحلون

لأزواجهن المؤمنات.

وَأَنْتُمْ مَأْنَفَقُوا : أي وأعطوا الكفار أزواج المؤمنات المهاجرات المهور التي أعطوها

لأزواجهن.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ : أي مهورهن، وإن لم يتم طلاق من أزواجهن

لانفساخ العقد بالإسلام، وبعد انقضاء العدة في المدخول بها وباقي شروط النكاح.

وَلَا تُنكِحُوا بَعْضَ الْكُفَّارِ : أي زوجاتكم، لقطع إسلامكم للعصمة الزوجية. وكذا من ارتدت

ولحقت بدار الكفر؛ إلا أن ترجع إلى الإسلام قبل انقضاء عدتها فلا يفسخ نكاحها وتبقى العصمة إن كان مدخولا بها.

وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ : أي اطلبوا ما أنفقتم عليهن من مهور في حال الارتداد.

وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا : أي على المهاجرات من مهور في حال إسلامهن. ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ

(١) وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَا يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ بمضايقتكم أن تبروهم بالإحسان إليهم

بطعام أو كسوة أو إركاب وتقسطوا: أي تعدلوا فيهم بأن تنصفوهم، وهذا عام في كل الظروف الزمانية

والمكانية وفي كل الكفار. ولكن بالشروط التي ذكرها تعالى وهي:

أولاً: أنهم لم يقاتلونا من أجل ديننا.

وثانياً: لم يخرجونا من ديارنا بمضايقتنا والجائنا إلى الهجرة.

وثالثاً: أن لا يعاونوا عدواً من أعدائنا بأي معونة ولو بالمشورة والرأي فضلاً عن الكراع والسلاح.

عَلَيْمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ .

وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ : أَي بَانَ فَرْتِ امْرَأَةً أَحَدِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ وَلِحَقَّتْ بِهِمْ وَلَمْ يُعْطَوْكُمْ مَهْرَهَا فَعَاقِبْتُمْ : أَي الْكُفَّارَ فَنَعَمْتُمْ مِنْهُمْ غَنَائِمًا .

فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ بِمَثَلِ مَا أَنْفَقُوا : أَي فَأَعْطُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَ مِنْ مَهْرٍ .

وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ : أَي وَخَافُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ فَأَدَوْا فَرَائِضَهُ وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ .

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ : أَي يَوْمَ الْفَتْحِ وَالرَّسُولَ ﷺ عَلَى الصِّفَا وَعَمْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ .

عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا : أَي أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الشُّرْكِ أَوْ الشُّرَكَاءِ . ﴿وَلَا يَسْرِفَنَّ وَلَا يُزَيِّنَنَّ﴾ .

وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ : أَي كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَ الْبَنَاتِ وَأَذَالَهِنَّ .

وَلَا يَأْتِينَ بِمِثْمَتَيْنِ يَفَرِّيَنَّهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ : أَي بِكَذِبٍ يَكْذِبُهُنَّ فَيَأْتِينَ بِوَلَدٍ مَلْقُوطٍ وَيَنْسِبُهُ

إِلَى الزَّوْجِ وَهُوَ لَيْسَ بِوَلَدِهِ .

وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ : أَي مَا عَرَفَهُ الشَّرْعُ صَالِحًا حَسَنًا فَأَمْرٌ بِهِ وَاتْتَدَبَ إِلَيْهِ أَوْ مَا عَرَفَهُ

الشَّرْعَ مَنكَرًا مُحْرَمًا .

فَبَايَعَهُنَّ : أَي أَقْبَلَ بَيْعَتَهُنَّ .

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ : أَي أَطْلَبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهِنَّ الْمَغْفِرَةَ لِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِنَّ وَمَا قَدْ يَأْتِي . ﴿إِنَّ

اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَوَلَوْا ﴿١٣﴾ .

فَوَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : أَي الْيَهُودَ .

قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ : أَي مِنْ ثَوَابِهَا مَعَ إِيقَانِهِمْ بِهَا، وَذَلِكَ لِعِنَادِهِمُ النَّبِيَّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ .

كَمَا يَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْصَابِ الْقُبُورِ ﴿١٤﴾ : أَي كَيْسٌ مِنْ سَبْقِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِيسَى وَمَاتُوا

عَلَى ذَلِكَ فَهُمْ أَيْضًا قَدْ يَسْأَلُونَ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ .



## ٦١ - سُورَةُ الصَّفِّ

«مجادية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي نزهه و قدس بلسان القال والحال جميع ما في السموات والأرض من كائنات (الله).

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ : أي العزيز الغالب على أمره، الحكيم في تدبيره وصنعه.  
يَتَّيَبَأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ : أي لأي شيء تقولون قد فعلنا كذا وكذا وأنتم لم تفعلوا؟ والاستفهام هنا للتوبيخ والتأنيب.

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ : أي عظم مقتًا والمقت: أشد البغض والمقيت والممقوت: الميغوض.  
أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ : أي قولكم ما لا تفعلون يبغضه الله أشد البغض. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْرُوضٍ ﴿٤﴾ : أي صافين، ومرصوص ملزق بعضه ببعض لا فرجة فيه.  
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ يَقُولُونَ يُقُولُوا لِمَ تَقُولُونَ : أي إذ قالوا: إنه آدر<sup>(١)</sup> كذبًا؛ فوبخهم على كذبهم وأذيتهم له.

وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ : أي أتؤذونني والحال أنكم تعلمون أني رسول الله إليكم.

فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ : أي فلما عدلوا عن الحق بإيذائهم موسى أزاع الله قلوبهم أي أمالها عن الهدى.

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ : أي الذين فسقوا وتوغلوا في الفسق فما أصبحوا أهلًا للهداية.  
وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أي أولاد يعقوب الملقب بإسرائيل، ولم يقل يا قوم كما قال موسى؛ لأنه؛ لم يكن منهم لأنه ولد بلا أب، وأمه صديقة.

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ : أي قبلي. ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ : هو محمد رسول الله ﷺ وأحمد أحد أسمائه الخمسة: المذكوران، والماحي، والعاقب، والحاشر.

(١) آدر: به أدره، وهي انتفاخ الخُصية.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ : أي على صدق رسالته بالمعجزات الباهرات<sup>(١)</sup> .

قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ : أي قالوا في المعجزات: إنها سحر .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ : أي لا أحد أعظم ظلماً ممن يكذب على الله فينسب إليه الولد والشريك والقول والحكم، وهو تعالى بريء من ذلك .

وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ : أي والحال أن هذا الذي يفترى الكذب على الله يدعى إلى الإسلام: الذي هو الاستسلام والانقياد لحكم الله وشرعه .

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ : أي من ظلم ثم واصل الظلم يصبح الظلم طبعاً له فلا يصبح قابلاً للهداية فيحرمها حسب سنة الله تعالى في ذلك .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ : أي يريد المشركون بكذبهم على الله وتشويه الدعوة الإسلامية، ومحاربتهم لأهلها يريدون إطفاء نور الله: القرآن وما يحويه من نور وهداية بأفواههم، وهذا محال؛ فإن إطفاء نور الشمس أو القمر أيسر من إطفاء نور لا يريد الله إطفاءه .

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى : أي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى أي بالهداية للبشرية .

وَدِينِ الْحَقِّ : أي الإسلام إذ هو الدين الحق الثابت بالوحي الصادق .

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ : أي لينصره على سائر الأديان حتى لا يبقى إلا الإسلام ديناً .

وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ : أي ولو كره نصره وظهوره على الأديان المشركون الكافرون .

يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَيَّ تَجَرُّؤًا : أي أرشدكم إلى تجارة رابحة .

ثُمَّ يَكْفُرُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ : أي الربح فيها هو نجاتكم من عذاب مؤلم يتوقع لكم .

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ : أي تصدقون بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً لله تعالى .

وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ : أي وتبذلون أموالكم وأرواحكم جهاداً في سبيل الله تعالى .

ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ : أي الدخول في هذه الصفقة التجارية الرابحة؛ خير لكم من تركها

حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم، ولا يبقى مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الدار .

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسُكُنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ : أي هذا هو الربح الصافي

مقابل ذلك الثمن الذاهب الزائل: الذي هو المال والنفس، مع أن الكل لله تعالى واهبكم أنفسكم

وأموالكم .

(١) جائز أن يكون الضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾ عائداً إلى عيسى ﷺ وإلى محمد ﷺ إذ كلاهما قيل فيه: سحر أو ساحر

قرأ الجمهور ﴿سِحْرٌ﴾ في الآيات وقرأ بعضهم: (ساحر) أي: محمد أو عيسى ﷺ . اهـ .

قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة... اهـ

(قل) .

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾: أي النجاة من عذاب النار الأليم ثم دخول الجنة والظفر بما فيها من

النعيم المقيم هو حقًا الفوز العظيم.

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا تَصَرَّفُونَ اللَّهَ: أي وعلاوة أخرى تحبونها قطعًا إنها نصر من الله لكم ولدينكم.

وَفَتْحٌ قَرِيبٌ: وفتح قريب للأمصار والمدن، وما يتبع ذلك من رفعة وسعادة وهناء.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾: أي وبشر يا رسولنا المؤمنين الصادقين بذلك الفوز وهذه العلاوة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ: أي لتنصروا دينه ونبيه وأولياؤه.

كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ: أي فكونوا أنتم أيها المؤمنون مثل الحواريين،

والحواريون: أصحاب عيسى وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلًا.

قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أي بعيسى عليه السلام، وقالوا: إنه عبد الله رفع

إلى السماء.

وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ: أي من بني إسرائيل فقالوا: إنه ابن الله رفعه إليه.

فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ: فاقتتل الطائفتان: فنصرنا وقوينا الذين آمنوا.

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٥﴾: أي غالبين عالين.



## ٦٢ - سُورَةُ الْجُمُعَةِ

«مَكِّيَّةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ: أي ينزه الله تعالى عما لا يليق به ما في السموات وما في الأرض من سائر الكائنات بلسان القول والحال، ولم يقل (مَنْ) بدل (ما) تغليبا لغير العاقل لكثرتة على العاقل. ﴿الَّذِي الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ: أي العرب لندرة من كان يقرأ منهم ويكتب.

رَسُولًا مِنْهُمْ: أي محمداً ﷺ إذ هو عربي قرشي هاشمي.

يَسْأَلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُرَكِّبُهم: أي يطهرهم أرواحا وأخلاقا.

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ: أي هدئ الكتاب وأسرار هدايته (١).

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢): أي وإن كانوا من قبل بَعَثَ الرسول في ضلال الشرك

والجاهلية.

وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: أي وآخرين مؤمنين صالحين لما يلحقوا أي لم يحضروا حياة

رسول الله ﷺ وهو يعلم الكتاب والحكمة، وسيلحقون بهم وهم كل من لم يحضر حياة رسول الله

ﷺ من العرب والعجم. ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣).

ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ: أي كون الصحابة حازوا فضل السابق هذا فضل يؤتاه من يشاء فلا

اعتراض، ولكن الرضا وسؤال الله من فضله فإنه ذو فضل عظيم. ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤).

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ: أي كلفوا بالعمل بها عقائد وعبادات وقضاء وآدابا وأخلاقا.

ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها: أي لم يعملوا بما فيها، ومن ذلك نعته ﷺ والأمر بالإيمان فوجدوا نعته

وحرفوه ولم يؤمنوا به وحاربوه. ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (٥).

يَسُّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا: أي المصدقة للنبي محمد ﷺ هذا المثل الذي ضربه الله

لليهود هو كمثل الحمار يحمل أسفارا: أي كتبا من العلم وهو لا يدري ما فيها. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

قُلْ يَتْلُوهَا الَّذِينَ هَادُوا: أي اليهود المتدينون باليهودية.

إِنْ رَعَمْتُمْ أَكْثَرَكُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ: أي وأنكم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة خاصة بكم.

(١) قال مالك بن أنس: الحكمة الفقه في الدين.

فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ : أي إن كنتم صادقين في أنكم أولياء الله فتمنوا الموت مؤثرين  
 الآخرة على الدنيا، ومبدأ الآخرة الموت فتمنوه إذا.  
 وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ : أي بسبب ما قدموه من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ لا  
 يتمنون.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ : أي المشركين ولازم علمه بهم أنه يجزيهم بظلمهم العذاب الأليم.  
 قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ : أي لأنكم لا تتمنونه أبداً وذلك عين الفرار منه.  
 فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ : أي حيثما اتجهتم فإنه ملاقيكم وجهاً لوجه.  
 تُدْرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ : أي إلى الله تعالى يوم القيامة. ﴿فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾  
 يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ : أي إذا أذن المؤذن لها عند جلوس الإمام على المنبر.  
 مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ : أي في يوم الجمعة وذلك بعد الزوال.  
 فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ : أي امضوا إلى الصلاة.  
 وَذَرُّوا الْبَيْعَ : أي اتركوه، وإذا لم يكن بيع لم يكن شراء. ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾  
 فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١٠﴾

وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ : أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل.  
 وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ : أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.  
 وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا : أي إلى التجارة.  
 وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا : أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.  
 قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجِنَّةِ : أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو  
 ومن التجارة.

وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِقِينَ ﴿١٢﴾ : أي فاطلبوا الرزق منه بطاعته واتباع هداة.



## ٦٣ - سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

(مَدَانِيَّةٌ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَّفِقُونَ: أي حضر مجلسك المنافقون كعبد الله بن أبي وأصحابه.  
 قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ: أي قالوا بالستتهم ذلك وقلوبهم على خلافه.  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾: أي والله يعلم إن المنافقين  
 لكاذبون أي فيما أضمروه من أنك غير رسول الله.

أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً: أي سترة ستروا بها أموالهم وحقنوا بها دماءهم.  
 فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: أي فصدوا بها عن سبيل الله: أي الجهاد فيهم.  
 إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾: أي قبيح ما كانوا يعملونه من النفاق.  
 ذَلِكَ: أي سوء عملهم.

يَأْتِيهِمْ مَاءٌ مَثْوَاهُمْ كَفَرُوا: أي آمنوا بالستتهم، ثم كفروا بقلوبهم أي استمروا على ذلك.  
 فَطَعِنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَي خْتَمَ عَلَيْهَا بِالْكَفْرِ.  
 فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾: أي الإيمان: أي لا يعرفون معناه ولا صحته.  
 وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ: أي لجمالها إذ كان ابن أبي جسيماً صحيحاً وصبيحاً ذلق

اللسان.

وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ: أي لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم.  
 كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ: أي كأنهم من عظم أجسامهم وترك التفهم وعدم الفهم خشب مسندة أي  
 أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام.

يُحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ: أي يظنون كل صوت عالٍ يسمعون كنداء في عسكر أو إنشاد ضالة  
 عليهم، وذلك لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم.  
 هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ: أي العدو التام العداوة فاحذرهم أن يفشوا شرك أو يريدوك بسوء.

فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٤﴾: أي لعنهم الله كيف يصرفون عن الإيمان وهم يشاهدون أنواره

وبراهينه؟

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا: أي معتذرين. ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

لَوْ أَرَادُوا سَهْمًا أَي رَفَضُوا الِاعْتِدَارَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ: أي يعرضون عما دعوا إليه. ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ : أَي يَارَسُولَنَا .

أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ : أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ .

لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ : أَي ائْتَسُّ مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ لَهُمْ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ <sup>(١)</sup> : أَي لِأَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

المتوغلين في الفسق عن طاعة الرب تعالى وهم كذلك .

هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ : أَي لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ .

لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ : أَي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ .

حَتَّى يَنْفَضُوا : أَي يَتَفَرَّقُوا عَنْهُ . وَلِللَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ <sup>(٢)</sup> .

يَقُولُونَ لِيَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ : أَي مِنْ غَزْوَةِ كَانُوا فِيهَا هِيَ غَزْوَةُ «بَنِي الْمَصْطَلِقِ» .

لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ : يَعْنُونَ بِالْأَعْرَضِ أَنْفُسَهُمْ ، وَبِالْأَذَلِّ الْمُؤْمِنِينَ .

وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ . وَلِلْمُؤْمِنِينَ : أَي الْغَلْبَةُ وَالْعُلُوُّ وَالظُّهُورُ . وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٨﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِأَنَّهُمْ كَرُمُوا لَكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ : أَي لَا تَشْغَلْكُمْ .

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ : كَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ .

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ <sup>(٣)</sup> : أَي وَمَنْ أَلْهَتَهُ أَمْوَالُهُ وَأَوْلَادُهُ عَنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ ،

فَتَرَكَ الصَّلَاةَ أَوْ الْحَجَّ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْفَرَائِضِ ، فَقَدْ خَسِرَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ .

وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاهُمْ : أَي النِّفْقَةُ الْوَاجِبَةُ كَالزَّكَاةِ وَفِي الْجِهَادِ وَالْمُسْتَحْبَةِ . ﴿مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكَ

أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ﴾ .

رَبِّ لَوْلَا أَتْرَقْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ : أَي هَلَّا أَخْرَجْتَنِي يَطْلُبُ التَّأخِيرَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُ .

فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ <sup>(٤)</sup> : أَي حَتَّى أَزْكَى وَأَحْجَ وَأَكْثَرَ مِنَ النَّوَافِلِ وَالْأَعْمَالِ

الصَّالِحَةِ . وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ <sup>(٥)</sup> .



(١) وهم كل من سبق في علم الله أنه لا يتوب لما أحاط به من الذنوب .

## ٦٤ - سُورَةُ النَّجْمِ

«مكية إلا آخرها فمديني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ : أي ينزه الله ويقدهسه عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات بلسان الحال والقال.

لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ : أي له دون غيره الملك الدائم الحق وله الحمد العام.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ : أي هو ذو قدرة كاملة على فعل ما أراد ويريد.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنفَخَكُمْ كِافِرًا وَرَجَعَكُمْ مَوْتًا : أي فبعضكم مؤمن من موقن بربه ولقائه، وبعضكم كافر حاجد دهري، والواقع شاهد ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾ .

وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ : أي صوركم في الأرحام فأحسن صوركم.

وَالْيَوْمَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ : أي المرجع يوم القيامة. ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ .

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ : أي بما في الصدور من الضمائر والسرائر.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ : أي ألم يأتكم يا كفار قريش خبر الذين كفروا من قبلكم.

فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ : أي عقوبة كفرهم في الدنيا.

وَهُمْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ : أي في الآخرة.

ذَلِكَ : أي العذاب في الدنيا والآخرة.

يَأْتِيهِمْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ : أي بسبب أنه كانت تأتيهم رسلهم.

بِالْبَيِّنَاتِ : أي بالحجج القواطع الدالة على صحة رسالاتهم.

فَقَالُوا أَبَشْرٌ مِثْلُنا : أي ردوا عليهم ساخرين مكذبين: أبشر يهدوننا؟

فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا : أي فكفروا برسلهم وتولوا عنهم: أي أعرضوا.

وَاسْتَعَفَى اللَّهُ : أي عن إيمانهم.

وَاللَّهُ غَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٧﴾ : أي غني عن خلقه، محمود بأفعاله وآلئه على خلقه.

رَضِعُوا كُفْرًا وَأَنْ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا : أي قالوا كاذبين: إنهم لن يعثوا أحياء من قبورهم.

قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ : قل لهم يا رسولنا: بلى لتبعثن. ﴿ثُمَّ لَتُبْعَثُنَّ يَمَّا عُمِلْتُمْ﴾ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾ : أي وبعثكم وحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم شيء يسير على الله. ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا : أي وآمنوا بالقرآن الذي أنزلناه ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٩﴾ .

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ : أي يوم القيامة إذ هو يوم الجمع.

ذَلِكَ يَوْمَ التَّلَاقِ: أي يغيبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازل الكفار في الجنة وأخذ الكفار منازل المؤمنين في النار. ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٩﴾: أي تكفيره تعالى عنهم سيئاتهم وإدخالهم جنات تجري من تحتها الأنهار هو الفوز العظيم. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١١٠﴾: أي قبح المصير الذي صاروا إليه وهو كونهم أهلاً للجحيم. مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ: أي ما أصابت أحدًا من الناس مصيبة إلا بقضاء الله تعالى وتقديره ذلك عليه.

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ: أي ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصبه مصيبة إلا بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضا بقضائه فيسترجع ويصبر. ﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿١١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١١٢﴾: فإن توليتم أي: عن طاعة الله ورسوله، فلا ضرر ولا بأس على رسولنا في توليكم، إذ عليه إبلاغكم لا هدايتكم. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

يَتَّيِبُوا لَكُمْ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَأُولَٰئِكَ عَدُوٌّ لَكُمْ ﴿١١٣﴾: أي من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدوًّا أي يشغلونكم عن طاعة الله أو ينازعونكم في أمر الدين أو الدنيا. فَاحْذَرُوهُمْ: أي أن تطيعوهم في التخلف عن فعل الخير كترك الهجرة أو الجهاد أو صلاة الجماعة أو التصديق على ذوي الحاجة.

وَأَن تَعْفُوا: أي عمن ثبطكم عن الخير من زوجة وولد. وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا: أي وتعرضوا عنهم وتغفروا لهم ما عملوه معكم من تأخيركم عن الهجرة أو الجهاد أو الإنفاق في سبيل الله.

فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٤﴾: أي يغفر لمن يغفر ويرحم من يرحم. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ: أي بلاء واختبار لكم فاحذروا أن يصرفوكم عن طاعة الله أو يوقعوكم في معصيته.

وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١١٥﴾: أي فآثروا ما عنده تعالى على ما عندكم من مال وولد.

(١) الآية عامة في الرجال والنساء فكما يكون للرجل من امرأته وولده عدو يكون كذلك للمرأة من زوجها وولدها عدو، ووجب الحذر على المؤمنين، ويكون الحذر بوجهين: إما الضرر في البدن وإما الضرر في الدين، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالآخرة؛ فحذر الله تعالى العبد من ذلك وأنذره به، ﴿وَمِنْ﴾ هنا للتبويض؛ إذ ما كل من له زوجة وولد كانوا له عدوًّا.

فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ : أي افعلوا ما تقدرن عليه من أوامر، واجتنبوا نواهيه كلها. ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ .

وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ : أي ومن يقه الله شح نفسه فيعافيه من البخل والحرص على المال. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

إِنْ تَقْرَبُوا اللَّهَ قَرُبًا حَسَنًا يُضْعِفْهُ لَكُمْ : أي الدرهم بسبعمائة. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ .

وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ : أي يجازي على الطاعة ولا يعاجل بالعقوبة. ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ .



## ٦٥ - سُورَةُ الطَّلَاقِ

«مكية إلا آخرها فمدني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ: أراد الله بالنداء النبي ﷺ وأمه بدليل ما بعده.

إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ: أي إذا أردتم طلاقهن.

فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ: أي لقبول عدتهن أي في طهر لم يجامعها فيه.

وَأَحْضُوا أَلْعِدَّةَ: أي احفظوا مدتها حتى يمكنكم المراجعة فيها.

وَأَتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ: أي أطيعوه في أمره ونهيه.

لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ: أي لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذي طلقها حتى تنقضي

عدتها.

وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ: أي إلا أن يؤذین بالبذاء في القول وسوء الخلق، أو

يرتكبن فاحشة من زنا بيينة ظاهرة لا شك فيها.

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ: أي المذكورات من الطلاق في أول الطهر وإحصاء العدة وعدم إخراج

المطلقة من بيتها حتى تنقضي عدتها. ﴿وَمَنْ يَعْذِ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾

لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾: أي يجعل في قلب الزوج الرغبة في مراجعتها

فيراجعها إذا لم تكن الثالثة من الطلاقات.

فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ: أي قاربن انقضاء عدتهن.

فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ: أي بأن تراجعوهن بمعروف من غير ضرر.

أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ: أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة.

وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ: أي أشهدوا على الطلاق وعلى الرجعة رجلين عدلين منكم: أي من

المسلمين فلا يشهد كافر.

وَأَقْسِمُوا الشَّهَدَةَ لِلَّهِ: أي لا للمشهد عليه أو له؛ بل لله تعالى وحده.

ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: أي ذلكم المذكور من أول السورة من

أحكام يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ: أي في أمره ونهيه فلا يعصه فيهما.

يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾: أي من كرب الدنيا والآخرة.

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ: أي من حيث لا يرجو ولا يؤمل.

وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ : أي كافيه ما يهيمه من أمر دينه ودنياه.  
 إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۗ : أي منفذ أمره في عباده لا يعجزونه أبدًا.  
 فَجَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾ : أي من الطلاق والعدة وغير ذلك حدًا وأجلًا وقدرًا ينتهي إليه.

وَالَّتِي يَبْسُغْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ : والنسوة اللاتي يبسن من الحيض.  
 إِنْ أَرْبَبْتُمْ : أي شككتم في عدتهن. ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ .  
 وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ : أي لكبر سن أو صغر سن.  
 وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ : أي ذوات الأحمال: النساء الحوامل.  
 أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۗ : أي انقضاء عدتهن أن يضعن حملهن. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ .

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ : أي ذلك المذكور في العدة وتفصيلها.  
 أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ : أي لتأتمروا به وتعملوا بمقتضاه. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ ﴿٥﴾ : يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة.  
 أَسْكُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجُوْدِكُمْ : أي من وسعكم بحيث يسكن الرجل مطلقته في بعض سكنه.

وَلَا تُضَاوِرُنَّ : أي لا تطلبوا ضررهن بأي حال من الأحوال سواء في السكن أو النفقة.  
 لِيَضْفُقُوا عَلَيْهِنَّ ۗ : أي لأجل أن تضيقوا عليهن السكن فيتركه لكم ويخرجن منه.  
 وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ : أي حوامل يحملن الأجنة في بطونهن. ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ﴿٦﴾ .  
 فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ : أي أولادكم.  
 فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۗ : فأعطوهن أجورهن على الإرضاع هذا في المطلقات.  
 وَأَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ۗ : أي وتشاورا أو ليأمر كل منكم صاحبه بأمر ينتهي باتفاق على أجرة معقولة لا إفراط فيها ولا تفريط.

وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ : فإن امتنعت الأم من الإرضاع أو امتنع الأب من الأجرة. ﴿فَسَرِّضْ لَهَا أُخْرَى﴾ ﴿٦﴾ .

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنَ سَعَتِهِ ۗ : أي لينفق على المطلقات والمرضعات ذو الغنى من غناه.  
 وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ۗ : ومن ضيق عليه عيشه.  
 فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَتْهُ اللَّهُ : أي بحسب حاله. ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ﴿٧﴾ .

وَكَايِنٍ مِنْ قَرِيْبَةٍ : أي وكثير من قرية: أي مدينة.

عَنْتَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ: أي عصمت، يعنى أهلها عصوا ربهم ورسله. ﴿فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾.

وَعَدْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا ﴿١٠﴾: أي فظيعةا. ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خَسِرًا﴾ ﴿١١﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿١٢﴾.

فَدَانَزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٣﴾: أي القرآن.

رَسُولًا: أي وأرسل إليكم رسولاً وهو محمد ﷺ. يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ: أي من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد. ﴿وَمِنَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلُ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

فَدَّ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١٤﴾: أي رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها أبداً. ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾.

وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ: أي سبع أرضين أرضاً فوق أرض كالسماوات سماء فوق سماء.

يَنْزِلُ الْأَمْثُرُ بَيْنَهُنَّ: أي الوحي بين السماوات والأرض.

لِيُعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ: أي أعلمكم بذلك الخلق العظيم والتنزيل العجيب لتعلموا.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْحَاطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾ ﴿١٥﴾.



## ٦٦ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«مجانبة»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ : أي لم تحرم جاريتك مارية التي أحلها الله لك <sup>(١)</sup> .

تَبْلَغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ : أي بتحريمها ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ لِحْيَةَ أَيْمَانِكُمْ : أي شرع لكم تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة <sup>(٣)</sup> .

﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ : هي حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

حَدِيثًا : وهو تحريم مارية وقوله لها : لا تفشه .

فَلَمَّا بَنَاتُ يَوْمٍ : أي بنات حفصة عائشة : أي أخبرتها به ظنًا منها أنه لا حرج في ذلك باجتهاد .

وَأَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ : أي أطلعه عليه أي على المنبأ به .

عَرَفَ بَعْضُهُ : أي لحفصة .

وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ : أي تکرماً منه رضي الله عنه . ﴿فَلَمَّا بَنَاتَهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَالَ نَبِيُّ النَّبِيِّ الْخَيْرُ﴾ <sup>(٥)</sup> .

إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ : أي حفصة وعائشة رضي الله عنهما تقبل توبتكما .

فَقَدَّ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ : أي مالت إلى تحريم مارية أي سركما ذلك .

وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ : أي تتعاونوا أي على النبي رضي الله عنه فيما يكرهه .

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاكُمْ : أي ناصره .

وَجَبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ : أي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ <sup>(٦)</sup> : أي ظهراء وأعوان له . ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا

مِنْكَنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ .

(١) قال ابن كثير رضي الله عنه بعد ذكر هذا السبب أيضًا : (وهو تحريم مارية التي أحلها الله له رضي الله عنه) (وقال البخاري في كتاب

الطلاق : عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على

نسائه فيدنو من إحدها . ثم ذكر رضي الله عنه : أي ابن كثير - قصة الحلوى والعسل المشهورة إلى أن قال : «وفي

رواية عن عائشة : أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل، وأن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه رضي الله

فإنه أعلم . وقد يقال : إنهما واقعتان، ولا بُد في ذلك إلا أن كونهما سبب لتزول هذه الآية فيه نظر، والله أعلم

(قل)

(٢) أي الآية (٨٩) .

قَيْنَتِ: أي عابدات. ﴿تَبَيَّنَتْ عَيْدَاتٍ﴾

سَيِّحَتِ: أي صائمات أو مهاجرات. ﴿تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمُ: أي اجعلوا لها وقاية بطاعة الله والرسول ﷺ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ: أي توقد بالكفار والأصنام التي تعبد من دون الله، لا بالحطب

ونحوه. ﴿عَلَيْهَا مَلَيِّكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَعَذَّبْنَا الْيَوْمَ: أي لأنه لا ينفعكم اعتذار، يقال لهم هذا عند دخولهم النار.

﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا: أي توبة صادقة بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه. ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ

أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ: أي يادخالهم الجنة.

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمِنُ بِهِمْ: أي أمامهم ومن كل جهاتهم على قدر أعمالهم.

يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا: أي إلى الجنة، لأن المنافقين ينطفئ نورهم. ﴿وَأَعْرِضْنَا لَكَ عَلٰنَ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ: أي بالسيف.

وَالْمُنَافِقِينَ: أي باللسان.

وَأَعْلَظَ عَلَيْهِمْ: أي اشدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين. ﴿وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْأَمِيرُ

﴿١﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾

فَخَانَتَاهُمَا: أي في الدين إذ كانتا كافرتين.

فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا: أي نوح ولوط عن امرأتيهما.

مِنَ اللَّهِ شَيْئًا: أي من عذاب الله شيئًا وإن قل. ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿٢﴾ وَضَرَبَ

اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ: أي آسيا بنت مزاحم آمنت بموسى. إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ

وَيَجْعَلْ لِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَنِيهِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتِ فَرْجَهَا: أي حفظته فلم يصل إليه الرجال لا بنكاح ولا زنا.

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا: أي نفخنا في كم درعها بواسطة جبريل الملقب بروح القدس.

وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا: أي بولدها عيسى أنه كلمة الله وعبدته ورسوله. ﴿وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ

أَلْفَيْنِ﴾

## ٦٧ - سُورَةُ الْمُلْكِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ : أي تعاضم وكثر خير الذي بيده الملك أجمع، ملكاً وتصرفاً وتديباً.  
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ : أي وهو على إيجاد كل ممكن وإعدامه قدير.  
 الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ : أي أوجد الموت والحياة، فكل حي هو بالحياة التي خلق الله وكل  
 ميت هو بالموت الذي خلق الله.  
 لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا : أي أحياكم ليختبركم أيكم يكون أحسن عملاً، ثم يميتمكم ويحيكم  
 ليجزيكم.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ : أي وهو العزيز الغالب على ما يريده، الغفور العظيم المغفرة للتائبين.  
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا : أي طبقة فوق طبقة وهي السبع الطباق ولا تماس بينها.  
 مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ : أي من تباين وعدم تناسب.  
 فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ : أي من شقوق أو تصدع.  
 ثُمَّ أَنْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ : أي مرتين مرة بعد مرة.

يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ : أي ذليلاً مبعداً كالأ تعباً منقطعاً عن الرؤية إذ لا يرى  
 خلاً.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ : أي بنجوم مضيئة كالمصابيح.

وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ : أي مراجم جمع مرجم وهو ما يرجم به أي يرمى.

وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ : أي وهبنا لهم عذاب النار المسعرة الشديدة الاتقاد.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْرَبَهُمْ : أي لم يؤمنوا به فلم يعبدوه. ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَنُ الْمَصِيرِ﴾ ﴿٦﴾ .

إِذَا أُنْفُثُوا فِيهَا : أي في جهنم ألقتهم الملائكة فيها وذلك يوم القيامة.

سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا : أي سمعوا لجهنم صوتاً منكراً مزعجاً كصوت الحمار.

وَهِيَ تَقُورُ ﴿٧﴾ : أي تغلي.

تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ : تكاد تتقطع من الغيظ غضباً على الكفار. ﴿كَلِمَاتٍ لَقِي فِيهَا فَوْجٌ﴾ .

سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : سؤال توبيخ وتقريع وتأنيب.

الَّذِينَ كَذَّبُوا نَذِيرًا ﴿٨﴾ : أي رسول ينذركم عذاب الله يوم القيامة؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ .

وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ : أي كذبنا الرسل وقلنا لهم ما نزل الله مما تقولون لنا من شيء.

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١١﴾ : أي ما أنتم أيها الرسل إلا في ضلال كبير أي خطأ عقلي وتصور نفسي باطل.

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ : أي وبخوا أنفسهم بأنفسهم وقالوا: لو كنا في الدنيا نسمع أو نعقل لآمنا وعبدنا الله. ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ .

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ : أي يخافونه وهم غائبون عن أعين الناس فلا يعصونه. لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ : أي لذنوبهم وأجر كبير هو الجنة. ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ .

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ : أي كيف لا يعلم سركم كما يعلم جهركم وهو الخالق لكم فالخالق يعزف مخلوقه.

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ : أي بعباده الخبير بهم وبأعمالهم.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا : أي سهلة للمشي والسير عليها.

فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا : أي في جوانبها ونواحيها.

وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ : أي إليه وحده مهمة نشركم أي إحيائكم من قبوركم للحساب

والجزاء.

ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ : أي يجعلها بحيث تغورون فيها وتصبحون في جوفها.

فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ : أي تتحرك وتضطرب حتى يتم الخسف بكم.

أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا : أي ريحا عاصفا نريكم بالحصباء فتهلكون.

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ : أي كيف كان عاقبة إنذارني لكم بالعذاب على السنة رسلي.

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ : أي إنكاري عليهم الكفر والتكذيب؟ والجواب:

كان إنكارًا حقًا واقعا موقعه.

أَوْلَدُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْوَتٍ : أي باسطات أجنحتها.

وَيَقْبِضْنَ : أي ويمسكن أجنحتها.

مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ : أي حتى لا يسقطن على الأرض حال البسط للأجنحة والقبض لها.

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ .

أَمْنَ هَذَا الَّذِي هُوَ جَدُّ لَكُمْ : أي أعوان لكم.

يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ : أي غيره تعالى يدفع عنكم عذابه.

إِنَّ الْكَافِرِينَ : أي ما الكافرون.

إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ : غرهم الشيطان بأن لا عذاب ينزل بهم.

أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ : أي إن أمسك الرحمن رزقه؟ لا أحد غير الله يرسله.

بَلْ لَجُؤًا فِ عَتُوِّ وُفُورٍ ﴿٦٦﴾: أي إنهم لم يتأثروا بذلك التبكيت بل تبادوا في التكبر والتباعد عن

الحق.

أَفَمَنْ يَمَسُّ مِكْبَآءَ عَلَىٰ وَجْهِهِ: أي واقعًا على وجهه. ﴿أَهْدَىٰ﴾.

أَمَّنْ يَمَسُّ سَوِيًّا: أي مستقيمًا. ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾  
وَالْأَفْئِدَةَ: أي القلوب.

فَلَيْلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٦٨﴾: أي شكركم قليل.

قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ: أي خلقكم في الأرض.

وَالْيَوْمَ تُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾: لا إلى سواه.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ: أي الذي تعدونا به وهو يوم القيامة. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ: أي علم مجيئه عند الله لا غير.

وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧١﴾.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً: أي لما رأوا العذاب قريبًا منهم في عرصات القيامة.

سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا: أي تغيرت مسودة.

وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾: أي هذا العذاب الذي كنتم ينادره تكذبون وتطالبون به

تحديًا منكم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ: أي أخبروني. إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ.

وَمَنْ مَعِيَ: أي من المؤمنين.

أَوْرَحْنَا: أي لم يهلكنا.

فَمَنْ يُعِيرِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾: أي فمن يحفظ ويقي الكافرين العذاب.

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ: أي قل هو الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته. ﴿ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا: أي غائرًا لا تناله الدلاء ولا تراه العيون.

فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٥﴾: أي تراه العيون لجريانه على الأرض (الجواب: لا أحد) (١).



(١) روي استحباب قول القارئ: الله رب العالمين إذا قرأ ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ .. وروي أن جاهلاً ملحدًا لما سمعها قال: تأتي بها الفئوس والمعاول فذهب ماء عينيه وعمي. والعياذ بالله تعالى من الجهل والكفر والجرأة على الله.

## ٦٨ - سُورَةُ الْقَبَلَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت : هو أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا و يقرأ هكذا نون.

وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ : والقلم الذي كتب به الذكر (القدر) والذي يخطون ويكتبون.

مَا أَنْتَ بِعَمُودِكَ : أي لست بما أنعم الله عليك من النبوة وما وهبك من الكمال (١).

بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ : أي بذي جنون كما يزعم المشركون.

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ : أي غير مقطوع بل هو دائم أبداً. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ فَسَدِّصْ

وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾.

بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ : أي بأيكم الجنون. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

﴿٧﴾ فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾﴾.

وَدُوًّا لَوْ تُدْهِنُ : أي تمنوا وأحبوا لو تلين لهم بأن لا تذكر آلهتهم بسوء.

فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ : فيلينون لك ولا يغلطون لك في القول (٣).

وَلَا تُطْعَمُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ : أي كثير الحلف بالباطل حقير (٤).

هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيهِ ﴿١١﴾ : أي عياب مغتاب.

مَنْعًا لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ أُشِيرَ ﴿١٢﴾ : أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم وأموالهم، أئيم يرتكب الجرائم

والآثام.

عُثْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي غليظ جاف زنيم دعي في قريش وليس منهم وهو الوليد بن

المغيرة. ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِينٍ﴾ ﴿١٤﴾ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا .

قَالَكَ اسْتَطِيرَ الْأُولَى ﴿١٥﴾ : أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحي قرآني.

(١) الباء في ﴿بِعَمُودِكَ﴾ سببية أي: ما أنت بسبب ما أنعم الله عليك من الوحي مجنوناً، والباء في ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ زائدة لتقوية النفي وتأكيده.

(٢) وقوله تعالى ﴿فَسَدِّصْ وَيُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ أي دم على ما أنت عليه من الكمال يا رسولنا واصبر على دعوتنا فسبتصبر بعد قليل من الزمن، ويصبر قومك المتهمون لك بالجنون ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾؛ أي المجنون. أنت - وحاشاك - أو هم.

(٣) والمداهنة محرمة، والمداراة جائزة، والفرق بينهما: أن المداهن يتنازل عن شيء من دينه ليحفظ شيئاً من دنياه، والمداري عكسه يتنازل عن شيء من دنياه ليحفظ شيئاً من دينه.

(٤) المهين: الوضع لإكثاره من القبيح، وتفسيره بالحقير صالح، وكذا الفاجر العاجز.

سَيَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿٦٦﴾ : أي سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش، فخطم أنفه بالسيف يوم

بدر.

إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ : أي امتحنا كفار مكة بالمال والولد والجاه والسيادة فلم يشكروا نعم الله عليهم، بل كفروا بها بتكذيبهم رسولنا وإنكارهم توحيدنا، فأصابتهم بالقحط والقتل لعلمهم يتوبون كما امتحنا أصحاب الجنة المذكورين في هذا السياق.

إِذَا قَسَمُوا لِيَصْرُمْتُمْ مَضِيعِينَ ﴿٦٧﴾ : أي ليجدنها أي يقطعون ثمارها صباحًا.

وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿٦٨﴾ : أي لم يستنوا في حلفهم لم يقولوا: إن شاء الله.

فَطَافَ عَلَيْهَا طَافٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٦٩﴾ : أي نار فأحرقها.

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٧٠﴾ : أي كالليل الأسود الشديد الظلمة والسواد.

فَنَادُوا مُصِيبِينَ ﴿٧١﴾ : في أول الصباح.

أَنْ أَعِدُوا عَلَيَّ حَرْبًا : أي غلة جنتكم وقيل فيها حرث لأنهم عملوا فيها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ .

فَانظُرُوا وَهُمْ يَصْخَرُونَ ﴿٧٣﴾ : أي يتشاورون بأصوات مخفوضة غير رفيعة حتى لا يسمع بهم. ﴿أَنْ لَا

يَدْخُلْتَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ ﴿٧٤﴾ .

وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرٍ ﴿٧٥﴾ : أي وغدوا صباحًا على قصد قادرين على صرمها قبل أن يطلع عليهم

المساكين.

فَمَا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٧٦﴾ : أي مخطئو الطريق أي ما هذا طريق جنتنا ولا هي هذه.

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٧٧﴾ : أي لما علموا أنها هي وقد احترقت قالوا: بل نحن محرومون منها لعزمتنا

على حرمان المساكين منها.

قَالَ أَسْطُفٌ : خيرهم تقوى وأرجحهم عقلاً.

الرَّاقِلُ لَكَ لَوْلَا تَسْبِيحُونَ ﴿٧٨﴾ : أي تسبحون الله وتستنون عندما قلت لنصرمتها مصبحين (١). ﴿قَالُوا

سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ : أي يلوم بعضهم بعضًا تندمًا وتحسرًا. ﴿قَالُوا يَا بُولَظِينَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

﴿٨١﴾ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَ لَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾ .

إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٨٢﴾ : أي طامعون.

كَذَلِكَ الْعَذَابُ : أي مثل هذا العذاب بالحرمان لمن خالف أمرنا وعصانا. ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا

يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ .

(١) قال ابن كثير رحمه الله: قال مجاهد والسدي: لولا تستنون، وكان استنأؤهم في ذلك الزمان تسييحًا، وقال ابن

جرير: هو قول القائل: (إن شاء الله). (اهـ قل).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ: أي الذين اتقوا ربهم فأمنوا به ووجدوه فاتقوا بذلك الشرك والمعاصي.

عند ربهم حَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٧٢﴾: أي لهم جنات النعيم يوم القيامة عند ربهم ﴿بِزَكَاةٍ﴾.

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرْمِينَ ﴿٧٣﴾: أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين

متساوين في العطاء والفضل؟ والجواب: لا، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٧٣﴾.

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٧٤﴾: أي تقرأون فعلمتم بواسطته ما تدعون.

إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَرُّونَ ﴿٧٥﴾: أي فوجدتم في الكتاب الذي تقرأون أن لكم فيه ما تختارونه.

أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَالِيَةً بَالِغَةً: أي ألكم عهودنا موثقة بالآيمان لا نخرج منها ولا نتحلل. ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٧٦﴾: أي أعطيناكم عهودنا الواثقة أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم كما

تشاءون.

سَلَّمَهُمْ آيَاتِهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ ﴿٧٧﴾: أي سلمهم يا رسولنا عن زعيمهم الذي يكفل لهم مضمون الحكم،

الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل مما يعطى المؤمنون.

أَمْ لَمْ يَشْرَكُوا: أي أعندهم شركاء موافقون لهم في هذا الذي قالوا، يكفلون لهم به ما ادعوه

وحكموا به لأنفسهم، وهو أنهم يعطون أفضل مما يعطى المؤمنون يوم القيامة. ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ﴿٧٨﴾.

يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ: أي يوم يعظم الهول ويشد الكرب، ويكشف الرب عن ساقه الكريمة التي

لا يشبهها شيء عندما يأتي لفصل القضاء. ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٩﴾.

حَتَّىٰ تَصْرَعَهُمْ تَرْهَقَهُمْ ذُلٌّ: أي تغشاهم ذلة يالها من ذلة.

وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٨٠﴾: أي وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى الصلاة وهم سالمون

من أية علة، ولا يصلون حتى لا يسجدوا تكبراً وتعظماً.

فَدَرَبِي وَمَنْ يَكْذِبُ: أي دعني ومن يكذب أي لا يصدق.

بِهَذَا الْحَدِيثِ: أي بالقرآن الكريم.

سَنَسَدِّرْجَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَلْعَلُونَ ﴿٨١﴾: أي نستنزلهم درجة درجة حتى نصل بهم إلى العذاب.

وَأَمَلِي لَهُمْ: أي وأمهلهم.

إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٨٢﴾: أي شديد قوي لا يطاق.

أَمْ تَسْأَلُهُمْ آجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مُمْقِلُونَ ﴿٨٣﴾: أي فهم مما يعطونكم مكلفون حملاً ثقيلًا.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ: أي اللوح المحفوظ.

فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٤﴾: أي ينقلون منه ما يدعونه ويقولونه.

فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ : أي يونس في الضجر والعجلة <sup>(١)</sup> :  
 إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ : أي مملوء غمًا. ﴿لَوْلَا أَنْ تَدْرِكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ .

لُنَيْدٍ بِالْعَرَاءِ : أي الأرض الفضاء.

وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ : لكن لما تاب نبذ وهو غير مذموم.

فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ : أي اصطفاه. ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ .

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ : أي ينظرون إليك نظرًا شديدًا يكاد يصرعك. ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ .

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ : أي محمد ﷺ <sup>(٢)</sup> .

لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ : أي الإنس والجن فليس بمجنون كما يقول المبطلون.



(١) المراد بحكم الرب تعالى هنا أمره وهو ما حمّله رسوله من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعباء الرسالة.  
 (٢) جائز أن يكون الضمير في ﴿وَمَا هُوَ﴾ عائداً إلى القرآن، وما القرآن إلا ذكر للعالمين الإنس والجن أي ليس هو بكلام مجنون، وجائز أن يكون الضمير عائداً إلى الرسول ﷺ الذي قالوا: فيه إنه مجنون ويكون الذكر بمعنى التذكير بالله والجزاء؛ إذ هذا من فعله ﷺ .

## ٦٩ - سُورَةُ الْحَقْلَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَقْلَةُ (١): أي الساعة الواجبة الوقوع وهي القيامة. ﴿مَا الْحَقْلَةُ (٢) وَمَا أَذْرَبِكُمْ مَا الْحَقْلَةُ (٣)﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤): أي بالقيامة لأنها تفرع القلوب بالخوف والهول. فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥): أي بطغيانهم وعتوهم عن أمر ربهم فأخذتهم صيحة طاغية أيضًا.

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦): أي ذات صوت لشدة عصوفها عاتية على خزانها في الهبوب.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا: أي متتابعات الهبوب بلا فاصل كتتابع الكي القاطع للداء.

فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ غَصَّاجٍ حَاوِيَةٍ (٧): أي أصول نخل ساقطة فارغة ليس في جوفها شيء.

فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨): من نسل؟

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْحَاطَةِ (٩): أي أهلها وهي قرى لوط بالفعلات ذات الخطأ. فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠): أي زائدة في الشدة على غيرها.

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ: أي علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها.

حَمَلْنَاكَ فِي الْوَابِيَةِ (١١): أي السفينة التي صنعها نوح ونجا بها هو ومن معه من المؤمنين. لِنَجْعَلَهَا (١٢) لَكَ تَذَكُّرًا وَنَعِيًا أذُنَ وُعِيَّةٍ (١٣): أي وتحفظها أذن واعية أي حافظة لما تسمع.

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً (١٤): أي النفخة الأولى.

وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ: أي رفعت من أماكنها.

فَذُكِّدَاكَ وَاحِدَةً (١٥): أي ضرب بعضها ببعض فاندكت وصارت كتيبًا مهيلًا.

فِيَوْمٍ يَذِقُكَ الْوَأَقِعَةَ (١٦): أي قامت القيامة.

وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً (١٧): أي مسترخية ضعيفة القوة.

(١) وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكَ تَذَكُّرًا﴾ أي لنجعل السفينة تذكرة لكم عظة وعبرة، وجائز أن يكون الضمير في ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ عائداً إلى العملية عملية إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين تذكرة وموعظة.

وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِيهَا: أي على أطرافها وحافاتها<sup>(١)</sup>. ﴿وَيَجْعَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾.  
 تَمَنِّيَّةٌ ﴿١٧﴾: أي من الملائكة وهم حملة العرش الأربعة وزيد عليهم أربعة.  
 يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾: أي لا تخفى منكم سريرة من السرائر التي تخفونها. ﴿فَأَمَّا  
 مَنْ أَوْفَىٰ كُنْبَهُ بِيَمِينِهِ فَقِيلَ﴾.  
 هَاؤُمُ اقْرَءُوا: أي خذوا. ﴿كُنْبَهُ﴾ ﴿١٩﴾.  
 إِنِّي ظَنَنْتُ: أي علمت. ﴿أَنْفٍ مُّلتَقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٠﴾.  
 فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٌ ﴿٢١﴾: أي يرضى بها صاحبها. ﴿فِي حَنَكَةٍ عَلَيَّكَ﴾ ﴿٢٢﴾.  
 فَطُوفُهَا دَائِمَةٌ ﴿٢٣﴾: أي ما يقتطف ويجنى من الثمار. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: أي بما  
 قدمتم.  
 فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾: أي الماضية. ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كُنْبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾.  
 يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كُنْيَةً ﴿٢٥﴾: أي يتمنى أنه لم يعط كتابه؛ لما رأى فيه من السيئات. ﴿وَلَوْ أَدْرِمَ مَا حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿٢٦﴾.  
 يَلْتَمِسُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾: أي الموتة في الدنيا كانت القاطعة لحياتي حتى لا أبعث. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي  
 مَالِيَّةٌ﴾ ﴿٢٨﴾.  
 هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ ﴿٢٩﴾: أي قوتي وحجتي.  
 خُدُّهُ: أي أيها الزبانية خذوا هذا الكافر.  
 فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾: أي اجعلوا يديه إلى عنقه في الغل.  
 ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ ﴿٣١﴾: أي ثم في النار المحرقة أدخلوه، وبالغوا في تصليته كالشاة المصلية. ﴿ثُمَّ فِي  
 سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يُحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾.  
 فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾: أي من قريب ينفعه أو صديق.  
 وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِشْلِينَ ﴿٣٦﴾: أي صديد أهل النار الخارج من بطونهم لأكلهم شجر الغسلين. ﴿لَا  
 يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ﴿٣٧﴾.  
 فَلَا أَقِيمُ بِمَا تَبِصُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصُرُونَ ﴿٣٩﴾: أي بكل مخلوق في الأرض وفي السماء<sup>(٢)</sup>.  
 إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾: أي القرآن قاله تليغاً رسول كريم هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا  
 مَا نُنَومُونَ﴾ ﴿٤١﴾.  
 وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ: أي ليس القرآن بقول كاهن إذ ليس فيه من سجع الكهان شيء. ﴿قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ

(١) الملك اسم جنس المراد به أعداد هائلة من الملائكة.

(٢) قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ في سورة النجم: (قال الشعبي: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق) اهـ (قل).

﴿٤٤﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنا بَعْضُ الْأَقْوَابِلِ ﴿٤٢﴾

لأخذنا منه باليمين ﴿٤٥﴾ : أي بالقوة لأخذنا بيمينه لنقتله <sup>(١)</sup>.

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ : أي نياط القلب الذي إذا انقطع مات الإنسان.

فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ : أي مانعين وهو خبر ما النافية العاملة عمل ليس، وجمع لأن

(أحد) يدل على الجمع نحو ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ ، و(بين) لا تقع إلا بين اثنين فأكثر ﴿وإنه، لنذكرة للمُتقين ﴿٤٨﴾ وإنا لنعلم أن منكم مَكذِبِينَ ﴿٤٩﴾ وإنا لنعلم أن منكم يا أيها الناس مكذِبين.

وإنه، لحسرة على الكافرين ﴿٥٠﴾ : أي التكذيب بالقرآن حسرة يوم القيامة على المكذِبين به <sup>(٢)</sup>.

وإنه، لحقُّ اليقين ﴿٥١﴾ : أي الثابت يقيناً أو اليقين الحق <sup>(٣)</sup>.

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ : أي بذكر ربك وتسميته العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير

حقير.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قيل: لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذ بيمينه) اهـ. ومن المعلوم أن الرحمن سبحانه وتعالى كلتا يديه يمين (قل).

(٢) جاء في «صفوة التفاسير» للصابوني أثابه الله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي في يوم طوله خمسون ألف سنة من سني الدنيا، قال ابن عباس: هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار قال المفسرون: والجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أن القيامة مواقف ومواطن، فيها خمسون موطناً لكل موطن ألف سنة، وأن هذه المدة الطويلة تخف على المؤمن حتى تكون أخف عليه من صلاة مكتوبة. اهـ (قل).

(٣) جازئ أن يكون الضمير عائداً على التَّكْذِيبِ إذ به كانت حسرة الكافرين يوم القيامة، وجزاء أن يكون عائداً على القرآن؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويعملوا بما دعا إليه من الإيمان وصالح الأعمال، أي القرآن الكريم بلا خلاف.

## ٧٠ - سُورَةُ الْمَعَارِجِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ: أَيُّ دَعَا دَاعٍ. ﴿عَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١).

لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢): أَيُّ فَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ.

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣): أَيُّ ذِي الْعُلُوِّ وَالدرجات وَمَصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ السَّمَاوَاتُ.

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ: أَيُّ تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (٤).

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٥): أَيُّ تَصْعَدُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ مِنْ مَتْنِهِ أَمْرَهُ مِنْ أَسْفَلِ

الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، إِلَى مَتْنِهِ أَمْرَهُ مِنْ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، فِي يَوْمٍ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ،

بِالنِّسْبَةِ لَصُعُودِ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْخَلْقِ. ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٦).

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٧): أَيُّ الْعَذَابِ الَّذِي يَطَالِبُونَ بِهِ لِتَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِالْبَعْثِ. ﴿وَنَزَّلْنَاهُ قَرِيبًا

﴿٧﴾

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ (٨): أَيُّ كَذَائِبِ النُّحَاسِ.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩): أَيُّ كَالصُّوفِ الْمَصْبُوغِ أَلْوَانًا فِي الْخَفَةِ وَالطَّيْرَانِ بِالرِّيحِ.

وَلَا يَسْتَلُّ جَمِيدٌ حَمِيمًا (١٠): أَيُّ قَرِيبٌ قَرِيبُهُ لِأَنْشَغَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

يُبْصِرُونَهُمْ: أَيُّ يَبْصُرُ الْأَحْمَاءُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَتَعَارَفُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ. ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ

عَذَابِ يَوْمٍ ذَلِكَ بِئْسَ

وَصَحْبَتِيهِ: أَيُّ زَوْجَتِهِ. ﴿وَأَخِيهِ﴾ (١١).

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ (١٢): أَيُّ عَشِيرَتِهِ الَّتِي تَضَمُّهُ إِلَيْهَا نِسْبًا وَتَحْمِيهِ مِنَ الْأَذَى عِنْدَ الشَّدَةِ. ﴿وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (١٣).

كَلَّا إِنَّهَا لَطْفٌ (١٤): أَيُّ جَهَنَّمِ.

نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى (١٥): أَيُّ إِنْ جَهَنَّمِ هِيَ لَطْفٌ نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَى: جَمْعُ شَوَاةٍ جِلْدَةُ الرَّأْسِ.

تَدْعُوا مَنْ أَذْرَبْوْا تَوَكَّلْ (١٦): أَيُّ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَرِسُولِهِ وَتَوَلَّى عَنِ الْإِيمَانِ فَأَنْكَرَهُ وَتَجَاهَلَهُ.

وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٧): أَيُّ جَمَعَ الْمَالَ وَجَعَلَهُ فِي وَعَاءٍ، وَمَنْعَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ فَلَمْ يَنْفِقْ مِنْهُ فِي سَبِيلِ

الله.

(١) هذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ (١٩) : الهلع: مرض نفسي عرضه الذي يعرف به جزعُه الشديد من مس

الشر، ومنعه القوي للخير متى مسه وظفر به.

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ (٢٠) : أي كثير الجزع سريعه.

﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (٢١) : أي كثير المنع حريصًا عليه. ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ (٢٢) ﴿

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٢٣) : أي لا يقطعونها أبدًا ماداموا أحياء يعقلون.

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ (٢٤) : أي نصيب معين عينه الشارع وهو الزكاة.

﴿ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴾ (٢٥) : أي الطالب الصدقة والذي لا يطلبها حياءً وتعففًا.

﴿ وَالَّذِينَ يَصِدُقُونَ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (٢٦) : أي يؤمنون بيوم القيامة للبعث والجزاء.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢٧) : أي خائفون متوقعون العذاب عند المعصية. ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ

عَذَابٌ مُّؤْتَمَرٌ ﴾ (٢٨) ﴿

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ يُرْفَعُونَ فِي لِيْلَةٍ ﴾ (٢٩) : أي صائنون لها عن النظر إليها وعن الفاحشة.

﴿ إِذَا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ فَأَنزَلْنَاهُمْ رِجَالًا ﴾ (٣٠) : أي من الشريات من الجواري التي يملكونها. ﴿ فَأَنزَلْنَاهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ

﴿ مُّخْلِطِينَ ﴾ (٣١) ﴿

﴿ فَمَنْ أَسْفَهَا فَكَانَ مُسْرِفًا ﴾ (٣٢) : أي المعتدون الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُخَالِفُونَ ﴾ (٣٣) : أي ما اتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا.

﴿ وَعَهْدِهِمْ رُحُوعًا ﴾ (٣٤) : أي حافظون غير مفرطين.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ (٣٥) : أي يقيمون شهاداتهم لا يكتُمونها ولا يحرفونها.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٣٦) : أي يؤدونها في أوقاتها في جماعات مع كامل الشروط والأركان

والواجبات والسنن. ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ (٣٧) ﴿

﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلِّبْنَا لَكُمْ فَهَلْ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ ﴾ (٣٨) : أي نحوك مديمي النظر إليك.

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (٣٩) : أي جماعات حلقًا حلقًا يقولون في استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل

هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم. ﴿ أَلَيْسَ كُلُّ أَمْرٍ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلُ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ (٤٠) ﴿

﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤١) : أي من مني قدر، وإنما يستوجب دخول الجنة بالطاعات

المركية للنفوس. ﴿ فَلَا أَقِيمُ رَبِّ السُّرُوقِ وَالْمُعْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴾ (٤٢) ﴿

﴿ عَلَىٰ أَنْ تَبْدَلَ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴾ (٤٣) : أي إننا لقادرون على أن نهلكهم ونأتي بأناس خير منهم.

﴿ وَمَا تَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (٤٤) : أي بعاجزين عن إيجاد ما ذكرنا من إهلاك القوم والإتيان بخير منهم.

﴿ فَذَرَهُمْ حَوْصًا وَعُلْبًا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي بُعِدُوا عَنْهُ ﴾ (٤٥) ﴿

﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَابِ سِرَاعًا ﴾ (٤٦) : أي من القبور مسرعين إلى المحشر.

﴿ كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نَضْبِ يَوْمَئِذٍ ﴾ (٤٧) : أي كأنهم في إسراعهم إلى المحشر إلى نصب أي بشيء منصوب

كراية أو علم يسرعون.

خَسِعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفَهُمْ ذَلَّةً : أي تغشاهم ذلة.

ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٤٤﴾ : أي يوعدون بالعذاب فيه وهو يوم القيامة.



## ٧١ - سُورَةُ نُوحٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ : أي أهل الأرض كافة والدليل إغراقهم أجمعين .  
 أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ : أي بإنذار قومك . ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .  
 قَالَ يَتَّبِعُونَ آلِيَّكُمْ ذُرِّيَّتِي لَكُمْ يُبَدِّلُونَ ﴿٢﴾ : أي بين النذارة ظاهرها .  
 أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ : أي وحده بفعل محابه وترك مكارهه ولا تشركوا به شيئاً .  
 وَأَتَّقُوهُ : فلا تعصوه بترك عبادته ولا بالشرك به .

وَأَطِيعُوا : ﴿٣﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه لأني مبلغ عن الله ربي وربكم .

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ : أي ذنوبكم التي هي الشرك والمعاصي ، فل(من) زائدة لتقوية الكلام أو هي تبعية لأن ما كان حقاً لآدمي كمالٍ وعرض لا يغفر إلا بالتوبة .  
 وَيُوَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى : أي إلى نهاية آجالكم المسماة لكم في كتاب المقادير؛ فلا يعجل لكم العذاب .

إِنَّا أَجَلُ اللَّهِ : أي بعدابكم .

إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ : إن لم تؤمنوا .

لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ : أي لآمتهم .

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ : أي دائماً باستمرار .

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ : أي مني ومن الحق الذي أدعوهم إليه ، وهو عبادة الله وحده .

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ .

جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي مَا دَانَهُمْ : أي حتى لا يسمعوا ما أقول لهم .

وَأَسْتَفْشُوا ثِيَابَهُمْ : أي تغطوا بها حتى لا ينظروا إلي ولا يروني .

وَأَصْرُوا : على باطلهم وما هم عليه من الشرك . ﴿ وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا

﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴿٩﴾ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ ﴿٢﴾ .

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ : أي ينزل عليكم المطر متتابعاً كلما دعت الحاجة إليه .

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾ (٨) أي جهره بين الناس ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ ﴾ أي كلاماً ظاهرًا بصوت

عالٍ ﴿ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٩) أي فيما بيني وبينهم ، فنوع لهم الدعوة لتكون أنجع فيهم . (اهدقل) .

(٢) استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبة في مال أو ولد؛ فليكثر من الاستغفار، الليل والنهار

ولا يمل يعطه الله مراده من المال والولد .

وَيَمْدُدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ: أي بساتين. وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا ﴿١٢﴾  
 مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾: أي لا تخافون الله عظمته وكبريائه وهو القاهر فوق عباده.  
 وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾: أي حالًا بعد حال فطورًا نطفة وطورًا علقه وطورًا مضغة. ﴿الرَّتْرُوا كَيْفَ  
 خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ اللَّيْلَ فِيهَا نُورًا ﴿١٦﴾  
 وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٧﴾: أي مضيئة.  
 وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾: أي أنشأكم من تراب الأرض.  
 ثُمَّ يُعِيدْكُمْ فِيهَا: أي تقبرون فيها.  
 وَيُخْرِجْكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾: أي يوم القيامة. ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾﴾  
 لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا سَبِيلًا فِجَاجًا ﴿٢١﴾: أي طرقًا واسعة.  
 قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَادَيْتُكَ بِعِبَادَتِكَ وَكُنْتُ تُرَكِّبُنِي لِقَابِ رَبِّي وَأُنَادِيكَ وَالرُّكَّابُ عَلَيْكَ فَاغْرُوبْ ﴿٢٢﴾  
 الشريك بك.

وَاتَّبِعُوا: أي السفلة منهم والفقراء.  
 مَنْ لَمْ يَرْزُقْهُ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ: أي الرؤساء المنعم عليهم.  
 إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٣﴾: أي طغيانًا وكفرًا.  
 وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٤﴾: أي عظيمًا جدًا بأن كذبوا نوحًا وأذوه أذى شديدًا.  
 وَقَالُوا: أي الرؤساء قالوا للسفلة منهم:  
 لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ: أي لا تترك آلِهَتكم.  
 وَلَا تَذَرُنَّ: أي ولا تتركن كذلك. ﴿وَدَا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٥﴾﴾: أسماء رؤساء

الأصنام.  
 وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا: أي بالأصنام كثيرًا من الناس حيث أمروا بعبادتها.  
 وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٦﴾.  
 مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرُقُوا: أي بسبب خطيئاتهم أغرقوا بالطوفان (١).  
 فَأَدْخَلُوا نَارًا: أي بعد موتهم أدخلت أرواحهم النار. ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٧﴾﴾  
 وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي رَاحِلًا مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٨﴾: أي من يدور يذهب ويحيى أي لم يبق أحد.  
 إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ: أي أحياء لم تهلكهم. ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٩﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي  
 وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿٣٠﴾  
 وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٣١﴾: أي هلاكًا وخسارًا.



(١) ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾ (ما) زائدة والأصل من خطيئتهم (من) تعليلية و(ما) الزائدة لتوكيد معنى التعليل.

## ٧٢ - سُورَةُ الْحَجِّ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ : أي إلى قراءتي.

نَفَرَيْنِ الْحَجِّ : أي عدد من الجن ما بين الثلاثة والعشرة.

فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ : أي لبعضهم بعضًا قرآنًا عجبًا أي يتعجب منه لفصاحته وغزارة

معانيه.

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ : أي الصواب في المعتقد والقول والعمل. ﴿فَتَمَّتْ بِهِ. وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾ .

وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا : أي تنزه جلال ربنا وعظمته عما نسب إليه.

مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ : أي لم يتخذ صاحبة ولم يكن له ولد.

وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا : أي جاهلنا.

عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ : أي غلوا في الكذب بوصفه تعالى بالصاحبة والولد. ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ

الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ .

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ : حتى تبين لنا أنهم يكذبون على الله بنسبة الزوجة والولد إليه.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ : أي يستعيذون.

بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ : أي إنثما وطغيانًا.

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ : أي لن يبعث رسولًا إلى خلقه.

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ : أي طلبنا خبرها كما جرت بذلك عادتنا.

فَوَجَدْنَاهَا مُلَمَّتًا حَرَسًا شَدِيدًا : أي حراسًا وحفظة من الملائكة يحفظونها بشدة وقوة.

وَشُهَبًا ﴿٨﴾ : أي نجوما يرمى بها الشياطين أو يؤخذ منها شهاب فيرمى به.

وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ : أي من أجل أن نسمع ما يحدث وما يكون في الكون. ﴿فَمَنْ

يَسْمَعُ الْآنَ بِيَدَلَّةٍ﴾ .

شَهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾ : أي أرصد وأعد لرمي الشياطين وإبعادهم عن السمع. ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرًا رِيدَ

بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ .

أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ : أي خيرًا وصلاحًا. ﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحِينَ وَمَا دُونَ ذَلِكَ﴾ .

كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ : أي مذاهب مختلفة إذ الطرائق: جمع طريقة، والقدد: جمع قدة وهي

الضروب والأجناس المختلفة. ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَعْجَزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ﴾ .

وَلَنْ نُعْجزَهُ، هَرَبًا ﴿١٢﴾ : أي لا نفوته هارين في الأرض أو في السماء.  
 وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى : أي القرآن الداعي إلى الهدى المخالف للضلال.  
 ءَأَمَنَّا بِهِ ۗ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ : أي نقصًا من حسناته ولا إثمًا يحال  
 ويحاسب به.

وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۗ : أي الجائرون عن قصد السبيل وهو الإسلام.  
 فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا ﴿١٤﴾ : أي تعمدوا الرشد فطلبوا بعناية فحصلوا عليه.  
 وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ : أي وقودًا تتقد بهم يوم القيامة.  
 وَالْوَالِدَاتُ أَعْلَى الطَّرِيقَةِ : أي الإسلام.  
 لَأَسْفِنَنَّهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ : أي مالا كثيرا وخيرات كبيرة.  
 لَنُقَبِّلَنَّهُمْ فِيهِ ۗ : أي نختبرهم أيشكرون أم يكفرون؟  
 وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ ۖ : أي القرآن وشرائعه وأحكامه.  
 يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ : أي شاقًا.  
 وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا ۗ : أي فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾ .  
 وَأَنْتَ، لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ : أي محمد ﷺ يدعو الله ببطن نخلة.  
 يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ : أي في ركوب بعضهم بعضًا تراحمًا لأجل أن يسمعوا  
 قراءته ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾ .  
 قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ : أي غيًّا ولا خيرًا ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ .  
 وَلَنْ أجد من دونه، مُلتحدًا ﴿٢٢﴾ : أي ملتجأ إليه فأحفظ نفسي.  
 إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً ۗ : أي لا أملك إلا البلاغ إليكم ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ  
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ .  
 فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقْلُعِدًا ﴿٢٤﴾ : أي أعوانًا، المسلمون أم الكافرون؟  
 قُلْ إِنْ أَدْرَيْتَ : أي قل ما أدري.  
 أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ : أي من العذاب.  
 أَمْ يَجْعَلُ لَهُ، رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ : أي غاية وأجلًا لا يعلمه إلا هو.  
 عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ ۗ : أي لا يُطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ .  
 إِلَّا مَن آرَضَىٰ مِّن رَّسُولٍ ۗ : أي فإنه يطلعه ﴿فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ .

(١) اللبذ: جمع لبذة بكسر اللام وسكون الباء كقربة وقرب وهي ما تلبذ بعضها على بعض ومنه لبذة الأسد وهي الشعر المتراكم في رقبتها.

رَصَدًا ﴿٢٧﴾: أي ملائكة يحفظونه حتى يبلغه مع الوحي الذي يبلغه لكافة الناس.  
 لِيَعْلَمَ<sup>(١)</sup> أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ: أي الله عَلِمَ عَلِمَ ظهور أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم.  
 ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾  
 وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾: أي أحصى عدد كل شيء.



(١) معنى الآية: ليعلم أي محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالة كما أبلغ هو الرسالة. وفي الكلام حذف تقديره: أخبرناه بحفظنا الوحي؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ.

## ٧٣ - سُورَةُ الْمُرْتَمِلِ

«أولها مكِّي وآخرها مدني»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرْمِلُ ﴿١﴾ : أي المتلف بشباهة أي النبي ﷺ .

فُرِئِلَ : أي صل .

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ : أي نصف الليل .

يَضْفَعُهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ : أي انقص من النصف إلى الثلث .

أَوْزِدَ عَلَيْهِ : أي إلى الثلثين فأنت مخير في أيها تفعل تقبل .

وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ : أي ترسل في قراءته وبينه تبيينًا .

إِنَّا سَلَفْنَا عَالَمًا قَوْلًا : أي قرآنًا .

ثَقِيلًا ﴿٥﴾ : أي محمله ثقيلاً العمل به لما يحوي من التكليف .

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ : أي ساعة الليل من صلاة العشاء فما فوق كل ساعة تسمى ناشئة .

هِيَ أَشَدُّ وَطْأً : أي هي أقوى موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن فيها .

وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ : أي أبين قولاً وأصوب قراءة من قراءة النهار لسكون الأصوات . ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ

سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴿١﴾ .

وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ : أي دم على ذكره ليلاً ونهاراً على أي وجه من تسبيح وتهليل وتحميد .

وَيَنْتَلِ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ : أي انقطع إليه في العبادة وفي طلب الحاجة وفي كل ما يهكم .

رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ : أي لا معبود بحق سواه ولا تنبغي العبادة لغيره .

فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ : أي فوض جميع أمورك إليه فإنه يكفيك .

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ : أي على ما يقوله لك كفار مكة من أذى كقولهم : شاعر وساحر وكاذب .

وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ : أي اتركهم تركاً جميلاً أي لا عتاب معه .

وَدَرْبِي : أي اتركني .

وَالْمُكْذِبِينَ : أي صنديد قريش فإني أكفكهم .

أُولَى النَّعْمَةِ : أي أهل التمتع والترف .

﴿١﴾ «إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ» الجملة تعليلية لاختيار الليل للقيام دون النهار؛ لأن في النهار أعمالاً أخرى يقوم بها المرء،

وجائز أن يراد أن في النهار متسعاً للصلاة وتلاوة القرآن .

وَمَهْلَهْمُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ : أي انتظرهم قليلاً من الزمن حتى يهلكوا بيدى.  
 إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا : أي قيوداً وهي جمع نكل وهو القيد من حديد. ﴿وَحِمَامًا ﴿١٢﴾﴾  
 وَطَعَامًا ذَاغُصْبٍ : أي يغص في الحلق وهو الزقوم والضريع. ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾  
 يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ : أي تنزلزل. ﴿وَالْجِبَالُ ﴿١٤﴾﴾  
 وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴿١٥﴾ : أي رملاً مجتمعاً مهيلًا أي سائلاً بعد اجتماعه. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قُرُونٍ رَسُولًا ﴿١٦﴾﴾  
 فَعَصَىٰ قُرْعُونَ الرَّسُولَ فَاخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٧﴾ : أي ثقيلاً شديداً غليظاً.  
 فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ : أي عذاب يوم يجعل الولدان لشدة هوله شيباً.  
 أَلَسَّمَاءٌ مِنْفَطْرِيَّةٌ : أي ذات انفطار وانشقاق أي بسبب هول ذلك اليوم.  
 كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ : أي وعده تعالى بمجيء ذلك اليوم كان مفعولاً أي كائناً لا محالة.  
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ﴿٢٠﴾ : أي إن هذه الآيات المخوفة تذكرة أي عظة للناس.  
 فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَيْنَا سَبِيلًا ﴿٢١﴾ : أي طريقاً بالإيمان والطاعة إلى النجاة من النار ودخول الجنة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ : أي للتهجد.  
 أَذَىٰ : أي أقل. ﴿مِنْ ثَلَاثِي اللَّيْلِ وَيَضَعُهَا وَأُتَىٰ﴾﴾  
 وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ : أي وطائفة معك من أصحابك تقوم كذلك.  
 وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ : أي يحصيهما ويعلم ما يمضي من ساعات كل منهما وما يبقى.  
 عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْضَرَهُ : أي الليل فلا تطيقون قيامه كله لأنه يشق عليكم.  
 فَنَابَ عَلَيْكُمْ ﴿٢٢﴾ : أي رجع بكم إلى التخفيف في قيام الليل إذ هو الأصل.  
 فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُونَ مِنَ الْقُرْآنِ : أي صلوا من الليل ما سهل عليكم ولو ركعتين. ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَأَنَّ الْآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَالْآخَرُونَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَشَاءُونَ﴾﴾  
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ : أي المفروضة.  
 وَأَقْرَأُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا : أي تصدقوا بفضول أموالكم طيبة بها نفوسكم فذلك القرض الحسن.  
 وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ : أي من نوافل العبادة من صلاة وصدقة وصيام وحج وغيرها. ﴿تَجِدُونَهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

## ٧٤ - سُورَةُ الْمَدِينَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴿١﴾ : أي أيها المدثر: أي المتلفف في ثيابه وهو النبي ﷺ.

فُرْقَانًا ﴿٢﴾ : أي خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا ويوحداوا.

وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴿٣﴾ : أي عظم ربك من إشرارك المشركين.

وَتِيَابِكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾ : أي طهر ثيابك من النجاسات <sup>(١)</sup>.

وَالرَّحْرِزَ فَاهْبِطْ ﴿٥﴾ : أي أدم هجرانك للأوثان.

وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ : أي لا تمنن على ربك ما تقوم به من أعمال لأجله طاعة له ولا تطلب

على دعوتك أجرًا <sup>(٢)</sup>. ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾.

فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ : أي نفخ في الصور النفخة الثانية. ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ

يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾.

ذَرَفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ : أي اتركني ومن خلقتة وحيدًا منفردًا بلا مال ولا ولد فأنا أكفيكه.

وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدَّوَدًا ﴿١٢﴾.

وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ : أي يشهدون المحافل وتسمع شهادتهم، وأغلب الوقت حاضرون لا يغيبون.

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ : أي بسطت له في العيش والعمر والولد والجاه حتى كان يلقب بريحانة

قريش. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ ﴿١٦﴾﴾.

كَانَ لَا يَتَيْنَأُ عِنْدَنَا ﴿١٦﴾ : أي معانداً وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.

سَأَرْهِفُهُ، صَعُودًا ﴿١٧﴾ : أي سأكلفه يوم القيامة صعود جبل من نار كلما صعد فيه هوى في النار

أبدًا.

إِنَّهُ، فَكَّرْ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ : أي فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ وقدر في نفسه ذلك.

(١) من بين تفسيرات ابن القيم رحمته الله لهذه الآية في إغاثة اللفهان: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهِّرُ ﴿٤﴾﴾ أي وثيابك فقصر. ومن المعلوم أن ثوب النبي ﷺ كان يصل إلى نصف ساقه (قل).

(٢) ذكر الشيخ أبو بكر الجزائري أثابه الله تعالى عند قوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا نِعْمَةً وَمَا كَانَ يَلْمِزُكَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ذكر تحت هداية الآيات ما يلي: (جواز هدية الثواب الدنيوي كأن يُهدي رجلاً شيئاً يريد أن يرد عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة، وتسمى هذه الهدية: هدية الثواب وهي للرسول ﷺ محرمة لقوله تعالى له: ﴿وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾﴾ اهـ (قل).

فَقِيلَ: أَي لَعْن. ﴿كَيْفَ فَدَرَّ (٢١) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَّ (٢٢)﴾.

ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢): أَي تَرَوَى فِي ذَلِكَ ثُمَّ عَبَسَ أَي قَبِضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ثُمَّ بَسَرَ أَي كَلَحَ وَجْهَهُ.

ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣): أَي عَنِ الْإِيمَانِ وَاسْتَكْبَرَ عَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ.

فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ (٢٤): أَي يَنْقُلُ عَنِ السَّحَرَةِ كَمَسِيلِمَةَ وَغَيْرِهِ. ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾.

سَاطِئِهِ سَفَرٌ (٢٦): سَادَخَلَهُ جَهَنَّمَ وَسَقَرَ اسْمُ لَهَا يَدْخُلُهُ فِيهَا لِإِحْرَاقِهِ بِنَارِهَا. ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ مَا سَفَرٌ

﴿٢٧﴾

لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ (٢٨): أَي لَا تَرِكَ شَيْئًا مِنَ اللَّحْمِ وَلَا الْعَصَبِ إِلَّا أَهْلَكَتَهُ ثُمَّ يَعُودُ كَمَا كَانَ لِإِدَامَةِ

العذاب.

لَوَامَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩): أَي مَحْرَقَةٌ مَسْوُودَةٌ لظَاهِرِ جِلْدِ الْإِنْسَانِ وَهُوَ بَشَرَتُهُ وَالْجَمْعُ بَشَرٌ.

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠): أَي مَالِكًا وَهِيَ خَزْنَتُهَا.

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ: أَي خَزْنَتُهَا مَالِكًا وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ مَعَهُ.

إِلَّا مَلَائِكَةً: أَي لَمْ نَجْعَلْهُمْ بَشَرًا وَلَا جَنًّا حَتَّى لَا يَرْحَمُوهُمْ بِحُكْمِ الْجَنِينِ.

وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ: أَي كُونَهُمْ تِسْعَةَ عَشَرَ.

إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا: أَي لِيَسْتَخْفُوا بِهِمْ كَمَا قَالَ أَبُو الْأَشْدِينِ الْجَمْحِيُّ فَيَزِدَادُوا ضَلَالًا.

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي لِيَحْصُلَ الْيَقِينَ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ بِمُوَافَقَةِ الْقُرْآنِ لِكِتَابَيْهِمَا:

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾.

وَلَا يَرِنَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ: أَي وَلَا يَشُكُّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي حَقِيقَةِ ذَلِكَ.

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: أَي مَرَضُ النِّفَاقِ. ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾.

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا: أَي أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ الْغَرِيبِ اسْتِكْرَارًا مِنْهُمْ.

كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ: أَي مِثْلَ إِضْلالِ مَنْكَرِ هَذَا الْعَدَدِ، وَهَدْيٍ مُصَدِّقِهِ؛ يَضِلُّ اللَّهُ

مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١): أَي وَمَا النَّارُ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ يَتَذَكَّرُونَ بِهَا. ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢)﴾ (١).

وَأَنْبِئْ إِذْ أَذْبَرَ (٣٣): أَي وَلَّى وَمَضَى.

وَالصُّبْحُ إِذَا سَفَرَ (٣٤): أَي أَضَاءَ وَظَهَرَ.

إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُفْرِ (٣٥): أَي جَهَنَّمَ لِأَحَدَى الْبَلَايَا الْعِظَامِ.

(١) حرف ردع وإبطال والغالب أنها تقع بعد كلام من متكلم واحد ومتكلم وسامع؛ فتفيد الردع عما تضمنه الكلام السابق. ذهب ابن جرير إلى أنها هنا للردع وإبطال ما زعمه المشركون من القدرة على الزبانية كما في التفسير، وعليه فالوقف عليه مستحسن ومنهم من جعلها افتتاح كلام نحو ألا وعليه فالوقف لا يحسن عليها بل على القمر.

نَذِيرًا لِلنَّاسِ ﴿٣٧﴾: أي عذاب جهنم نذير لبني آدم.

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ: أي أيها الناس.

أَنْ يَفْقَدَ: أي بالطاعة.

أَوْ يَنْتَحِرَ ﴿٣٧﴾: أي بالمعصية.

كُلِّفْتُمْ: أي مأمورة منهيمة.

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينًا ﴿٣٨﴾: أي مرهونة مأخوذة بعملها في جهنم.

إِلَّا أَحْسَبَ الَّذِينَ فِي النَّارِ: أي المؤمنين فهم ناجون من النار. ﴿فِي جَنَّتِ بَيْسَاءٌ لَوْنَ ﴿٤١﴾ عَنِ الْمَجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا

سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ فَأَلْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وَلَوْ نَكَتُمْ لَطَعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾: أي بخلا بما آتاهم الله.

وَكُنَّا نَحُوشُ: أي في الباطل وفيما يكره الله تعالى. ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾<sup>(١)</sup>

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٤٦﴾: بيوم المجازاة والثواب ولا نصدق بشواب ولا عقاب.

حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾: أي الموت. ﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾: أي الموعظة منصرفين لا يسمعونها ولا يقبلون عليها.

كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾: أي كأنهم حمر وحشية مستنفرة.

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾: أي هربت من أسد أمر الهرب.

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ: أي ليس هناك قصور في الأدلة والحجج التي قدمت لهم، بل يريد كل

واحد منهم.

أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً ﴿٥٢﴾: أي يصبح وعند رأسه كتاب من الله رب العالمين إلى فلان آمن بنبينا

محمد واتبعه. ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٢﴾﴾

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٣﴾: أي عظة وعبرة.

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾: أي قرأه واتعظ به. ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٥٤﴾﴾

هُوَ أَهْلُ الْقُوَى: أي هو أهل لأن يتقى لعظمة سلطانه وأليم عقابه.

وَأَهْلُ الْعَفْوَرة ﴿٥٥﴾: أي وأهل لأن يغفر للتائبين من عباده الموحددين.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحُوشُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾: أي نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة: (كلما غوى غاير غوينا معه). اهـ (قل).

## ٧٥- سُورَةُ الْقِيَامَةِ

«سكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا<sup>(١)</sup> : أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء.

أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ : أي الذي كذب به المكذبون.

وَلَا أَقِيمُ بِالْقَسْرِ اللُّوَامَةُ ﴿٢﴾ : أي لتبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون، واللوامة:

أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة، وإن أساءت لامت عن التقصير.

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ : أي الكافر الملحد.

أَلَّن يَجْمَعَ عِظَامَهُ، ﴿٣﴾ : أي ألا نجمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء.

بَلَى قَدِيرِينَ : أي بلوى نجمعها حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه.

عَلَى أَنْ تُسَوَّى بِنَانَهُ، ﴿٤﴾ : أي نجعل أصابعه كخف البعير أو حافر الفرس فلا يقدر على العمل

الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام

البنان وردها كما كانت. كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي

تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات.

بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ : أي بإنكاره البعث والجزاء.

لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، ﴿٥﴾ : أي ليوصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث.

يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ : أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف.

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ : أي دهش وتحير لما رأى ما كان به يكذب.

وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ : أي أظلم بذهاب ضوئه.

وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ : أي ذهب ضوءهما وذلك في بداية الانقلاب الكوني الذي تنتهي فيه هذه

الحياة.

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ : أي إلى أين الفرار.

كَلَّا : ردع له عن طلب الفرار.

(١) في (لا) هنا توجيهان: الأول ما أثره ابن جرير وهو ما اخترناه في التفسير، وأنها نافية لدعوى سابقة إبطالاً لها والكلام بعدها مستأنف. والثاني أنها أي (لا) حرف نفي أدخل على (أقسم) لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به؛ حيث يوهم السامع أن المتكلم بهم أن يقسم ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به ولا أقسم بأعز منه عندي، والمراد تأكيد القسم، ووجه ثالث وهي أنها مزيدة لتقوية الكلام.

- لَا وَرَرَ ﴿١١﴾ : أي لا ملجأ يتحصن به ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الشَّفِيعُ ﴿١٢﴾ يُبَيِّنُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ .  
 بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ : أي هو شاهد على نفسه حيث تنطق جوارحه بعمله .  
 وَلَوْ أَلْفٌ مَّعَاذِرَةٌ ﴿١٥﴾ : أي فلا بد من جزائه ولو ألقى معاذيره .  
 لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانَكَ : أي لا تحرك بالقرآن لسانك قبل فراغ جبريل منه .  
 لَتَجَلَّ بِهِ ﴿١٦﴾ : أي مخافة أن يتفقت منك .  
 إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ : أي في صدرك .  
 وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ : أي قراءتك له حيث نجره على لسانك .  
 فَإِذَا قَرَأْتَهُ : أي قرأه جبريل عليك .  
 فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ : أي استمع قراءته .  
 ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ : أي لك بتفهمك ما يشكل عليك من معانيه ﴿٢٠﴾ .  
 كَلَّا : أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا جزاء .  
 بَلْ يُحِثُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢١﴾ : أي الدنيا فيعملون لها .  
 وَيَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ : أي ويتركون الآخرة فلا يعملون لها .  
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ : أي حسنة مضيئة .  
 إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٤﴾ : أي إلى الله تعالى ربه ناظرة فلا تحجب عنه تعالى .  
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٥﴾ : أي كالحة مسودة عابسة .  
 تَنْظُرُ : أي توقن .  
 أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٦﴾ : أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .  
 كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ : أي النفس .  
 الْآرَاقِي ﴿٢٧﴾ : جمع ترقوة أي عظام الحلق .  
 وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٨﴾ : أي وقال من حوله من عواده أو ممرضيه هل هناك من يرقيه ليشفى .  
 وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٩﴾ : أي أيقن أنه الفراق للدنيا لبلوغ الروح الحلقوم .  
 وَاللَّفَّتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٣٠﴾ : أي التفت إحدى ساقيه بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة وما فيها من أهوال .  
 إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣١﴾ : أي إذا بلغت الروح الحلقوم تساق إلى ربه وخالقها لتلقى جزاءها .

(١) المعاذير اسم جمع معذرة وليس جمعاً، لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذير كمقبرة ومقابر، والمراد من معاذير الإنسان: ما يعتذر به كقولهم: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، وقولهم: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ وقولهم: ﴿هَؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾ وقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ .

(٢) أي تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام وكيفيات العبادات .

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾: أي الإنسان الذي يحسب أن لن يجمع الله عظامه ما صدق ولا صلى.  
 وَلَكِنْ كَذَّبَ: أي بالقرآن.  
 وَتَوَكَّى ﴿٣٢﴾: أي عن الإيمان.  
 ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِئُ ﴿٣٣﴾: أي يتبختر في مشيته إعجابًا بنفسه.  
 أَوْلَىٰ لَكَ: أي وليك المكروه أيها المعجب بنفسه المكذب ببقاء ربه.  
 فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾: أي فهو أولى بك.  
 ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾: أي وليك المكروه مرة ثانية فأولى فهو أولى بك أيضًا.  
 أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾: أي مهملاً لا يكلف في الدنيا ولا يحاسب ولا يجزئ في الآخرة.  
 أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِن مَّيِّمَتِي يَتَّبِعُنِي ﴿٣٧﴾: أي تصب في الرحم.  
 ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخُلِقَ فَمَسْوًى ﴿٣٨﴾: أي خلق الله منها الإنسان فسواه بتعديل أعضائه. ﴿مَجْعَلٍ مِّنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾



## ٧٦- سُورَةُ الْإِنْسَانِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى : أي قد أتى<sup>(١)</sup>.

عَلَى الْإِنْسَانِ : أي آدم عليه السلام.

حِينَ مِنَ الدَّهْرِ : أي أربعون سنة.

لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ : أي لا نباهة ولا رفعة له لأنه طين لازب وحمأ مسنون وذلك قبل أن

ينفخ الله تعالى فيه الروح.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ : أي أخلاط من ماء المرأة وماء الرجل.

نَبْتَلِيهِ : أي نختبره بالتكاليف بالأمر والنهي عند تأهله لذلك بالبلوغ والعقل. ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾.

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ : أي بينا له طريق الهدى يبعثه الرسل وإنزال الكتب. ﴿إِنَّا شَاكِرًا وَإِيمًا كَفُورًا

﴿٣﴾.

إِنَّا أَعْتَدْنَا : أي هيأنا. ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٤﴾.

سَلْسَبِيلًا : أي يسحبون بها في نار جهنم.

وَأَعْتَدْنَا : أي في أعناقهم.

وَسَعِيرًا ﴿٥﴾ : أي نارًا مسعرة مهيجة.

إِنَّا الْأَبْرَارَ : أي المطيعين لله ورسوله الصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم.

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا : أي ما تمزج به وتخلط. ﴿كَافُورًا﴾ ﴿٥﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ : أي يجرونها ويسيلونها حيث شاءوا. ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ

يَوْمًا﴾ ﴿٢﴾.

كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ : أي ممتدًا طويلًا فاشيًا منتشرًا. ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ وَنْسِكِنُوا وَبَنِينَ وَأَسِيرًا

﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا نُزِيدُكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ ﴿٩﴾.

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ : أي تكلح الوجوه من طوله وشدته.

(١) الاستفهام تقريرى بمعنى قد أتى على الإنسان كذا. وجائز أن يكون المراد من الإنسان غير آدم، وكون آدم هو المراد من الآية أولى.

(٢) النذر: هو ما يوجبه المكلف على نفسه في الطاعة، ولو لم يوجبه لم يلزمه.

فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَهُ وَسُرُورًا ﴿١١﴾ : أي حسنًا ووضاءة في وجوههم وفرحًا في قلوبهم. ﴿وَجَزَّهَتْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ .

مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ : أي على الأسرة بالحجلة. واحدة الأرائك: أريكة.

لَا يَبْرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ : أي ولا بردًا شديدًا ولا قمرًا إذ هي تضاء من نفسها.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا : أي قريبة منهم ظلال أشجار الجنة.

وَدَلَّتْ قُطُوفُهَا نَدِيمًا ﴿١٤﴾ : أي ينالها المؤمن قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ : أي يرى باطنها من ظاهرها.

وَأَكْوَابٍ : أي أقداح بلا عرا. ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ : أي على قدر الشاربين

بلا زيادة ولا نقص.

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا : أي خمرا.

كَانَ مِزَاجُهَا زَمْجِيلًا ﴿١٧﴾ : أي ما تمزج وتخلط به زنجيلا. ﴿عَيْنَاهَا سَمْنٌ سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾﴾ .

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ : أي بصفة الولدان لا يشييون.

إِذَا رَأَوْهُمْ حَبِطَتْهُمُ تُرُوقُهُمْ مَشُورًا ﴿١٩﴾ : أي من سلكه أو من صدفه لحسنهم وجمالهم وانتشارهم في

الخدمة.

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ : أي في الجنة رأيت <sup>(١)</sup>.

نِعِيمًا : لا يوصف.

وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ : أي ملكًا واسعًا لا يقدر.

عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ : أي حرير. ﴿خُضْرٌ﴾ .

وَإِسْتَبْرَقٌ : أي ما غلظ من الديباج.

وَحُلُورٌ أَسْوَدٌ مِّنْ فَضَّةٍ : أي تحليهم الملائكة بها.

وَسَقَّهْمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ : أي فائقًا على النوعين السابقين؛ ولذا أسند سقيه إلى الله ﴿بِزَكَاةٍ﴾ .

إِنَّ هَذَا : أي النعيم. كَانَ لَكُمْ جَزَاءً .

وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ : أي مرضيًا مقبولًا.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ : أي شيئًا فشيئًا ولم ننزله جملة واحدة لحكمة بالغة.

فَأَضْرِبْ لِعِمَّتِكَ بِرَبِّكَ : أي عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِنَّمَا اتَّكُفَّرُ بِكُمْ ﴿٢٤﴾ : الأثم هنا عتبه بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة.

وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ : أي صلِّ الصبح والظهر والعصر.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ: أي صلِّ صلاة المغرب والعشاء.

وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾: أي تهجد بالليل نافلة لك.

إِنَّ هَؤُلَاءِ لِحُبُونَ الْعَاجِلَةَ: أي الدنيا.

وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا قَبِيلًا ﴿٦٧﴾: أي يوم القيامة.

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ: أي قوينا أعضائهم ومفاصلهم.

وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٦٨﴾: أي جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلًا منهم بعد أن نهلكهم.

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ: أي عظة للناس.

فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٦٩﴾: أي طريقًا إلى مرضاته وجواره بالإيمان والعمل الصالح

وترك الشرك والمعاصي. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿٧٠﴾.

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ: أي الجنة.

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧١﴾: أي في النار، والأليم ذو الألم المروع.



## ٧٧- سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١): المرسلات الرياح الطيبة والعرف المتتابعة (١).
- فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا (٢): فالرياح الشديدة الهبوب المضرة لشدها.
- وَالنَّشِيرَاتِ نَشْرًا (٣): الرياح- تنشر المطر وتفرقه في السماء نشرًا.
- فَالْفَرَقَاتِ ذَرْبًا (٤): أي آيات القرآن الكريم تفرق بين الحق والباطل.
- فَالْمُؤَقِّبَاتِ ذِكْرًا (٥): أي فالملائكة تلقي بالوحي على الأنبياء للتذكير به.
- عَذْرًا أَوْ تَنْذَرًا (٦): أي للإعذار بالنسبة إلى أقوام أو إنذار بالنسبة إلى آخرين.
- إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَعْفٍ (٧): أي إن ما توعدون أيها الناس لكائن لا محالة.
- فَإِذَا التُّعُومُ طُمِسَتْ (٨): أي محيي نورها وذهبت.
- وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩): أي انشقت وتصدعت.
- وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ (١٠): أي نسفت فإذا هي هباء منبث مفرق هنا وهناك.
- وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْتَبِذَتْ (١١): أي جمعت لوقت حدد لها لتحضر فيه. ﴿لَا تَبَىٰ يَوْمَ أُجِّلَتْ﴾ (١٢)
- يَوْمَ الْفَصْلِ (١٣): أي اليوم الذي يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ (١٤) ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) ﴿٢﴾
- أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦): أي كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم إلى البعثة النبوية وذلك بتكذيبهم.
- ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧): أي إن أصروا على التكذيب ككفار مكة.
- كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨): أي مثل ذلك الهلاك نهلك المجرمين (٣)
- وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩): أي إذا جاء وقت الهلاك ويل فيه للمكذبين.
- أَلَّا تَخْلُقُونَّ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠): أي المني والمهين الضعيف.

(١) جازئ أن يراد بالمرسلات والعاصفات والناشرات: الملائكة، وكونها الرياح أظهر في التفسير وهو اختيار ابن

جرير.

(٢) الويل الذي هو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره.

(٣) لفظ الإجماع أصبح كالعلم على أهل الشرك والكفر؛ إذ هم الذين أجمروا على أنفسهم بأعظم الذنوب وأشدّها إفسادًا للروح وهو الشرك والكفر، وما بعد الكفر ذنب كما يقال.

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٦١﴾ : أي حريز وهو الرحم.

إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦٢﴾ : أي إلى وقت الولادة.

فَقَدَرْنَا : أي خلقه.

فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٦٣﴾ : أي نحن على الخلق والتقدير ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٦٤﴾﴾ .

أَلَّا يَجْعَلَ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٦٥﴾ : أي تكفت الناس أي تضمهم.

أَحْيَاءَ : أي فوق ظهرها.

وَأَمْوَاتًا ﴿٦٦﴾ : في بطنها.

وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَهِيقَاتٍ : أي جبالاً عاليات.

وَأَسْفَيْنَاكُمْ مَاءَ فُرَاتًا ﴿٦٧﴾ : أي عذاباً. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٦٨﴾﴾ .

أَنْظِلُّوهُ إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تَكَذِّبُونَ ﴿٦٩﴾ : أي من العذاب.

أَنْظِلُّوهُ إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَعْبٍ ﴿٧٠﴾ : أي دخان جهنم إذا ارتفع انقسم إلى ثلاث شعب لعظمته.

لَّا ظَلِيلٍ : أي كنين ساتر يكن ويستتر.

وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٧١﴾ : أي ولا يرد شيئاً من الحر.

إِنَّهَا : أي النار.

تَرَى بِشَكَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٧٢﴾ : أي الشررة الواحدة كالقصر في عظمته وارتفاعه.

كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ ﴿٧٣﴾ : أي الشرر المتطاير من النار الشررة كالقصر في عظمتها وارتفاعها،

وكالجمل في هيئتها ولونها، والجمل الأصفر: الأسود الذي يميل إلى الصفرة. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٧٤﴾﴾ .

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٧٥﴾ : أي فيه بشيء.

وَلَا يُؤَدُّنَّ لَهُمْ : أي في العذر. ﴿وَيَعْتَدُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٧٧﴾ .

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمْعُنْكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٧٨﴾ : أي من المكذبين قبلكم.

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٧٩﴾ : أي حيلة في دفع العذاب فاحتالوا لدفع العذاب عنكم. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٨٠﴾﴾ .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا ربهم فأمنوا به وأطاعوه بفعل ما يحب وترك ما يكره.

فِي ظِلِّلٍ : أي في ظلال الأشجار الوارفة.

وَعُيُونٍ ﴿٨١﴾ : أي من ماء ولبن وخمر وعسل.

وَفَوْكَاهُمْ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٨٢﴾ : لا مما يجدون كما هي من الحال في الدنيا<sup>(١)</sup>. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ

(١) أي يتمنون إذ أكلهم للذة الأكل لا للحفاظ على الجسم، كما في الدنيا يأكل الأدمي للإبقاء على حياته.

تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ : أي كما جزينا المتقين نجزي المحسنين <sup>(١)</sup> . ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ

﴿٤٥﴾

كُلُوا وَتَمَعُوا قَلِيلًا : أي في هذه الحياة الدنيا. ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَبِئْسَ يَوْمِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آذِكُمْ لَأَبْرَأُوا لَا يَزَكُّوهُمْ ﴿٤٨﴾ : أي صلوا لا يصلون. ﴿وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

فَإَيَّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ : أي بعد القرآن إذ الكتب غيره ليست معجزة والقرآن هو

المعجز بألفاظه ومعانيه فمن لم يؤمن بالقرآن ما آمن بغيره بحال من الأحوال <sup>(٢)</sup> .



(١) إن المحسنين هم المتقون، وإنما ذكر صفة الإحسان؛ لأن التقوى التي هي فعل وترك متوقعة على الإحسان الذي هو مراقبة الله تعالى المنتجة إحسان النيات والأعمال الصالحات.  
(٢) الجواب: عند قوله تعالى: ﴿فَإَيَّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ آمنت بالله (قل).

## ٧٨ - سُورَةُ النَّبَاِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ: أي عن أي شيء؟

يَنْسَاءُ لَوْنٌ (١): أي يسأل بعض قريش بعضًا.

عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢): أي ما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والنبوة والبعث الآخر.

الَّذِي هُرْفِيهِ يُخْلِفُونَ (٣): أي ما بين مصدق ومكذب.

كَلَّا سِعَامُونَ (٤): عاقبة تكذبيهم عند نزع أرواحهم وعند خروجهم من (١) قبورهم. تُؤَكَّلَا سِعَامُونَ

(٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦): أي وطاءً و فراشاً للحياة عليها.

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧): أي تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد. ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (٨) (٢).

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩): أي راحة لأبدانكم.

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١٠): أي ساترًا بظلامه وسواده.

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١): أي وقتًا للمعاش كسبًا وأكلًا.

وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا (١٢): أي قوة محكمة، الواحدة شديدة والجمع شداد وهي السموات السبع.

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣): أي ضوء الشمس وهاجًا وقادًا.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ (١٤) أي السحابات التي حان لها أن تمر كالجارية المعصر التي دنا وقت حيضها.

مَاءً نَجَاجًا (١٥): أي صبابًا. ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (١٦).

وَجَعَلْنَا الْفَأَقَا (١٧): بساتين ملتفة.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ: أي الفصل بين الخلائق ليجزى كل امرئ بما كسب.

كَانَ مِيقَاتًا (١٨): أي ذا وقت محدد معين لدى الله ﷻ فلا يتقدم ولا يتأخر.

يَوْمَ يُفْخَخُ فِي الصُّورِ: أي يوم ينفخ إسرافيل في الصور.

فَنَأْتُونَ أَزْوَاجًا (١٩): أي تأتيون أيها الناس جماعات جماعات إلى ساحة فصل القضاء.

وَفُيْحَتِ السَّمَاءُ: أي لنزول الملائكة. ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (٢٠).

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ: أي ذهب بها من أماكنها.

(١) كلا هنا بمعنى حقًا سيعلمون صحة ما هم به مكذبون وله منكرون.

(٢) الزوج: هو مكرر الواحد، وشاخ إطلاق الزوج على كل من الذكر والأنثى؛ فالرجل زوج لأنثاه والمرأة زوج لزوجها.

فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٤﴾ : أي مثل السراب فيترأى ماء وهو ليس بماء فكذلك الجبال.  
 إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٥﴾ : أي راصدة لهم مرصدة للظالمين مرجعًا يرجعون إليها. لِلطَّغْيِينِ مَثَابًا ﴿٢٦﴾ .  
 لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٧﴾ : أي دهورًا لا نهاية لها.  
 لَا يَدُوفُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٨﴾ : أي نومًا ولا شرابًا مما يشرب تلذذًا به إذ شرابهم الحميم.  
 إِلَّا حِمِيمًا وَعَسَافًا ﴿٢٩﴾ : أي ما يسيل من صديد أهل النار، جوزوا به عقوبة لهم.  
 جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٣٠﴾ : إذ لا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٣١﴾﴾ .

وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا ﴿٣٢﴾ : أي تكذيبًا. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٣﴾﴾ .  
 فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٤﴾ : أي فوق عذابكم الذي أنتم فيه.  
 إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ : أي الذين اتقوا الشرك والمعاصي خوفًا من ربهم وعذابه.  
 مَفَازًا ﴿٣٥﴾ : أي مكان فوز ونجاة وهو الجنة.  
 حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٦﴾ : أي بساتين وأعنابًا.  
 وَكَوَاعِبَ : أي شابات تكعبت ثديهن، الواحدة كاعب والجمع: كواعب.  
 أَنْزَابًا ﴿٣٧﴾ : أي في سن واحدة، وأتراب جمع واحدة: ترب.  
 وَأَسَادِيهًا قَالًا ﴿٣٨﴾ : أي خميرًا كأسها ملأى بها.  
 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا : أي في الجنة.  
 لَعْوًا : أي باطلاً.  
 وَلَا كَذِبًا ﴿٣٩﴾ : أي ولا كذبًا من القول.  
 جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٤٠﴾ : أي عطاء كثيرًا كافيًا يقال: أعطاني فأحسبني. ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٤١﴾﴾ .  
 يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ : ملك عظيم يقوم وحده صفاً.  
 وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا : أي وحدهم. لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ .  
 فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ مِثَابًا ﴿٤٣﴾ : أي مرجعًا سليمًا وذلك بالإيمان والتقوى إذ بهما تكون  
 النجاة ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ ﴿٤٤﴾﴾ .  
 مَا قَدَمَتْ يَدَاهُ : أي ما أسلفه في الدنيا من خير وشر.  
 وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٥﴾ : أي حتى لا أعذب وذلك يوم يقول الله تعالى للبهائم: كوني  
 ترابًا؛ وذلك بعد الاقتصاص لها من بعضها بعضًا.

## ٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالنَّارِ عَتِ عَرَفَا ①: أي الملائكة تنزع أرواح الفجار والكفار عند الموت بشدة.
- وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا ②: أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين الصالحين نشاطًا أي تسهلها برفق.
- وَالسَّيِّدَاتِ سَيِّمًا ③: أي الملائكة تسبح من السماء بأمر الله أي تنزل به إلى الأرض.
- فَالسَّيِّدَاتِ سَبَقًا ④: أي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.
- فَالْمُدْرِبَاتِ أَمْرًا ⑤: أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره من لدن الله المدبر الحكيم.
- يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥: أي النفخة الأولى نفخة الفناء التي يتزلزل كل شيء معها.
- تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦: أي النفخة الثانية.
- قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ⑧: أي خائفة قلقة. ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً ⑨﴾.
- يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرَدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ⑩: أي أنرد بعد الموت إلى الحياة إذ الحافرة اسم لأول الأمر.
- ﴿أَيُّهَا كُنَاعَظْمًا نَجْرَهُ ⑪﴾ بالية مفتتة.
- قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ⑫: أي رجعة إلى الحياة خاسرة.
- فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ⑬: أي نفخة واحدة.
- فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ⑭: أي بوجه الأرض أحياء سميت ساهرة لأن من عليها بها يسهر ولا ينام.
- هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ⑮: أي موسى بن عمران عليه السلام.
- إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقُدَيْسِ طُوًى ⑯: أي بالواد الطاهر المبارك المسمى بطوى.
- أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ: أي بأن اذهب إلى فرعون.
- إِنَّهُ طَغَى ⑰: أي تجاوز حدّه كعبد إلى ادعاء الربوبية والألوهية.
- فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرَكْنَا ⑱: أي تسلّم فنتظهر من رجس الشرك والكفر بالإسلام لله تعالى.
- وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَانْحَسِبْ ⑲: أي أرشدك إلى معرفة ربك الحق فتخشاه وتطيعه فتنجو من عذابه.
- فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ⑳: أي العصا واليد إذ هي من أكبر الآيات الدالة على صدق موسى. ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى ㉑﴾.
- ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ㉒ فَحَشَرَ فَنَادَى ㉓ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ㉔: أي بعدما كذب وعصى رجع يجمع جموعه ويحشر جنوده لحرب موسى وقال كلمة الكفر: أنا ربكم الأعلى فلا طاعة إلا لي.
- فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ㉕: أي عذبه تعالى عذاب الآخرة وهو قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وعذاب الأولى وهي قوله: ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾. ﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَشَاءُ ㉖﴾.

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءَ : أي أشد خلقًا. ﴿بَنَّا ١٧﴾ .

رَفَعَ سَمَكَهَا : أي غلظها وارتفاعها.

فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ : أي جعلها مستوية سطحًا واحدًا ما فيها نتوء ولا انخفاض.

وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا : أي أظلمه جعله مظلمًا.

وَأَخْرَجَ ضَعْفَهَا ﴿٢٩﴾ : أي ضوءها ونهارها.

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ : أي بعد أن خلق الأرض خلق السماء<sup>(١)</sup> ثم دحا الأرض أي

بسطها. ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ .

وَالْجِبَالَ أَرْسَسْنَا ﴿٣٢﴾ : أي أثبتها على سطح الأرض لتثبت ولا تميد بكم.

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ : أي أخرج من الأرض ماءها ومرعاه، وبالجبال أرساها متاعًا لكم

ولأنعامكم وهي المواشي من الحيوان.

فَإِذَا جَاءَ مِنَ الطَّامَةِ الْكَبْرَى ﴿٣٤﴾ : أي النفخة الثانية، وأصل الطامة الداهية التي تعلق كل داهية.

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ : أي ما عمل في الدنيا من خير وشر. وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ .

فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ : أي كفر وظلم.

وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ : أي باتباع الشهوات.

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ : أي النار مأواه.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ : أي قيامه بين يديه ليسأله عما قدم وأخر.

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ : أي المردي المهلك باتباع الشهوات.

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ : أي مأواه الذي يأوي إليه بعد الحساب.

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ : أي القيامة للحساب والجزاء.

أَيَّانَ مُرْسَلَهَا ﴿٤٢﴾ : أي متى وقوعها وقيامها.

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ : أي في أي شيء من ذكراها أي ليس عندك علمها حتى تذكرها.

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَبَهَا ﴿٤٤﴾ : أي متبهي علمها إلى الله وحده فلا يعلمها سواه. إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَحْشَسُهَا ﴿٤٥﴾ .

كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَرَبِّبُنَا : أي في قبورهم.

إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾ : أي عشية يوم أو ضحى تلك العشية.



(١) اختلف في أيها خلق الله تعالى أولاً الأرض أم السماء؟ والراجح أنها الأرض أولاً لقوله: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَنْكَفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ...﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ الآية من سورة فصلت. وطريق الجمع كما في التفسير خلق الأرض أولاً ثم السموات ثم عاد إلى الأرض فدحاها بمعنى أخرج منها ماءها ومرعاه أي أعدها إعداداً خاصاً لحياة الإنسان والحيوان، وهو المراد من قوله: ﴿دَحَاهَا﴾ إذ الدحو البسط والتسوية والترتيب.

## ٨٠- سُورَةُ عَبَسَ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَسَ : أي النبي ﷺ بمعنى كبح وجهه وتغير.

وَوَوَّعَ ① : أي أعرض.

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ② : أي لأجل أن جاء عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة

بعض أشرف قريش للإسلام.

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ③ : أي يتطهر من الذنوب.

أَوْ يَذَّكَّرُ : أي يتعظ.

فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ④ : أي الموعدة.

أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى ⑤ : أي عن الإيمان والعلم والدين بالمال والجاه.

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ⑥ : أي تقبل عليه وتتصدى له.

وَمَا عَلَيْكَ الْأَلْبُرَى ⑦ : أي ليس عليك بأس في عدم تزكيتك نفسه بالإسلام.

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ⑧ : أي في طلب الخير من العلم والهدى.

وَهُوَ يَخْشَى ⑨ : يخشى الله تعالى ويخاف عقابه.

فَأَنْتَ عَنْهُ تُلَهَّى ⑩ : أي تشاغل.

كَلَّا : أي لا تعد لمثل ذلك.

إِنَّمَا نَذْرٌ ⑪ : أي الآيات عظة للخلق. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ⑫ .

فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ⑬ : أي عند الله.

مَرْفُوعَةٍ : أي في السماء.

مُطَهَّرَةٍ ⑭ : أي منزهة عن مس الشياطين.

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑮ : كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ.

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ⑯ : مطيعين لله وهم الملائكة.

فَبَلِّغْ لِلْإِنْسَانِ لَعْنُ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ .

مَا أَكْفَرَهُ ⑰ : أي ما حملة على الكفر ⑴ ؟

(١) جائز أن تكون (ما) تعجبية إذ من عادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا فيه: قاتله الله ما أحسنه أو ما أقبحه أو ما

مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ : من نطفة خلقه.

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ : أي من نطفة إلى علقة إلى مضغعة فيبشر سوي.

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ : أي سبيل الخروج من بطن أمه. ﴿ثُمَّ أَنَا إِلَهُهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ﴿٢١﴾ \*

ثُمَّ إِدْأَشَاهُ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ (١) : أي إذا شاء إحياءه أحياءه.

كَلَّا : حقاً أو ليس الأمر كما يدعي الإنسان أنه أدى ما عليه من الحقوق.

لَمَاقِضٌ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ : أي ما كلفه به من الطاعات والواجبات في نفسه وماله.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ : أي كيف قدر ودبر له. ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا ﴿٢٦﴾ \*

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ : أي الحب الحنطة والشعير.

وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ : أي القضب الرطب وسمي قضباً لأنه يقضب أي يقطع مرة بعد مرة. وَزَيْتُونًا

وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ \*

وَمَدَّآبِقَ عَلَبًا ﴿٣٠﴾ : أي كثيرة الأشجار؛ والواحدة غلباء كحمراء كثيفة الشجر.

وَفَكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ : أي ما يتفكه به من سائر الفواكه، والأب: التبن وما ترعاه البهائم.

مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَ كُمْ ﴿٣٢﴾ : أي ما تقدم ذكره منفعة لكم ولأنعامكم التي هي الإبل والبقر والغنم.

فَإِذَا جَاءَتْ السَّالِحَةُ ﴿٣٣﴾ : أي النفخة الثانية. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ \*

وَصَحْبِهِ : أي زوجته. ﴿وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ \*

لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤْمِدُ مِنْهُمْ يَوْمَ يُدْعَى إِلَى اللَّهِ كَلِمَةً وَسِوَاهَا ﴿٣٧﴾ : أي حال تشغله عن شأن غيره.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُنْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ : أي مضيئة. ﴿صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ \*

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ : أي غبار.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ : أي ظلمة من سواد، ومعنى ترهقها تغشاها.

أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَرُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾ : أي الجامعون بين الكفر والفجور.



أجره أمثلاً أي اعجبوا الخلقه من نطفة مع كفرة بربه.

(١) أنشره ونشره بمعنى واحد أي أحياءه بعد موته وسيشاء ذلك فينشره يوم القيامة للحساب والجزاء.

## ٨١- سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- إِذَا : أي ظرف لما ذكر بعد من المواضع الاثني عشر، وجوابها علمت نفس ما أحضرت.
- أَلْتَمَسُ كَوْرَتًا ① : أي لفت وذهب بنورها.
- وَإِذَا التُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ ② : أي انقضت وتساقطت على الأرض.
- وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ : ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثًا.
- وَإِذَا الْعِشَارُ : أي النوق الحوامل.
- عُطِّلَتْ ④ : أي تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر.
- وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ : أي جمعت وماتت.
- وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥ : أي أوقدت فصارت نارا.
- وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ⑦ : أي قرنت بأجسادها ثم بقرنائها وأمثالها في الخير والشر.
- وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ : أي البنت تدفن حية خوف العار أو الحاجة.
- سُيِّلَتْ ⑧ : أي تبيكتا لقاتلها.
- يَأْتِي ذَنْبٌ فَيَلْت ⑨ : أي بلا ذنب.
- وَإِذَا الضُّحُفُ تُشْرَتْ ⑩ : أي صحف الأعمال فتحت وبسطت.
- وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪ : أي نزع عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة.
- وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ⑫ : أي النار أجمت.
- وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ⑬ : أي قربت لأهلها ليدخلوها.
- عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑭ : أي كل نفس وقت هذه المذكورات ما أحضرت من خير وشر.
- فَلَا أُقِيمُ بِالْخَيْرِ ⑮ : أي التي تخنس بالنهار أي تختفي وتظهر بالليل.
- الْجَوَارِ الْكُنْيسِ ⑯ : أي التي تجري أحيانًا وتكنس في مكانسها أحيانًا أخرى، والمكانس محل إيوائها كمكانس بقر الوحش وهي الدراري الخمسة: عطارد والزهرة و المريخ والمشتري وزحل.
- وَأَلَيْلٌ إِذَا عَسَعَسَ ⑰ : أي أقبل أو أدبر لأن عسعس من أسماء الأضداد.
- وَأَلْضِجُ إِذَا نَفَسَ ⑱ : أي امتد حتى يصير نهارًا بينًا.
- إِنَّهُ : أي القرآن.
- لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ⑲ : أي جبريل، كريم على الله تعالى، وأضيف إليه القرآن لنزوله به.

ذِي قُوَّةٍ: أي شديد القوى.

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٠﴾: أي عند الله تعالى ذي مكانة.

مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ ﴿١١﴾: أي مطاع في السماء تطيعه الملائكة، أمين على الوحي.

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿١٢﴾: أي محمد ﷺ. أي ليس به جنون.

وَلَقَدْ رَأَىٰ الْأَلْفَ الْمِائِينَ ﴿١٣﴾: أي ولقد رأى النبي ﷺ. جبريل على صورته التي خلق عليها بالأفق

الأعلى البين من ناحية المشرق.

وَمَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ: أي وما محمد ﷺ على الغيب وهو ما غاب من الوحي وخبر السماء.

بِضْنِينَ ﴿١٤﴾: أي بمتهم، وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينقص منه ولا يعطيه كله <sup>(١)</sup>.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٥﴾: أي وليس القرآن بقول شيطان مسترق للسمع مرجوم.

فَأَن تَدَّهْبُونَ ﴿١٦﴾: أي فأئ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه.

إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾: أي ما القرآن إلا موعظة للإنس والجن.

لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿١٨﴾: أي يتحرى الحق ويعتقده ويعمل بمقتضاه.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾: أي ومن شاء الاستقامة منكم فإنه لم يشأها إلا بعد

أن شاءها الله قبله إذ لو لم يشأها الله ما شاءها عبده.



(١) قرئ في السبع بالطاء ومعناه بمتهم من ظنته كذا، وقرئ (بضنين) بالضاد بمعنى ببخيل، ولذا شرحت الآية مراعيًا فيها القراءتين، وكلا المعنيين صحيح فلا هو متهم على الوحي ولا يبخل به ولا بغيره.

## ٨٢- سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ : أي انشقت.

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرَّتْ ﴿٢﴾ : أي تساقطت.

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ : أي اختلطت ببعضها وأصبحت بحرًا واحدًا الملح والعذب سواء.

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ : قلب تراها وبعث موتاها.

عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ : أي ما قدمت من الأعمال وما أخرت منها فلم تعمله، وذلك

عند قراءتها كتاب أعمالها.

يَتَأْتِيهَا الْاِنْسَانُ مَا عَمِلَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ : أي أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه.

الَّذِي خَلَقَكَ : أي بعد أن لم تكن.

فَسَوِّدَكَ : أي جعلك مستوي الخلقه سالم الأعضاء.

فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ : أي جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، ليست يد أطول أو رجل أطول من

الأخرى.

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ : إن شاء بيضك أو سودك، طولك أو قصرك، جعلك ذكراً أو أنثى،

إنساناً أو حيواناً.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ : ليس الكرم هو الذي غره، وإنما جراه على المعاصي تكذيبه بالدين

الذي هو الجزاء بعد البعث حياً من قبره.

وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ : أي وإن عليكم لملائكة كراماً على الله تعالى حافظين لأعمالكم.

كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ : أي لها أي لأعمالكم خيرها وشرها حسنها وقبيحها. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ : أي المؤمنين المتقين الصادقين.

وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ : أي الكافرين والخارجين عن طاعة الله ورسوله.

يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ : أي يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ : أي بمخرجين.

وَمَا آذَنَّاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ : أي أي شيء جعلك تدري لولا أنا علمناك. ﴿ثُمَّ مَا آذَنَّاكَ مَا يَوْمَ

الَّذِينَ ﴿١٨﴾

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا : أي من المنفعة وإن قلت.  
وَالْأَمْرُ يُؤَمِّرُ بِنِ اللَّهِ ﴿١٩﴾ : أي لا لغيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.



## ٨٣- سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

«مدنية الأوائل مكية الأواخر»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ : كلمة عذاب، ووادٍ في جهنم.

لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ : المنقصين في كيل أو وزن، الباخسين فيهما.

الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ : أي من الناس.

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ : الكيل.

وَإِذَا كَالُوهُمْ : أي كالوا لهم.

أَوْ وَزَنُوهُمْ : أي وزنوا لهم.

يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ : أي ينقصون الكيل أو الوزن.

أَلَا : استفهام توبيخي إنكاري.

يَظُنُّ أَوْلِيكَ : أي يتيقن. ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ : أي يوم القيامة لما فيه من أهوال وعظائم الأمور.

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ : أي من قبورهم.

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ : أي يقومون خاشعين ذليلين ينتظرون حكم الله فيهم.

كَلَّا : أي حقًا وأن الأمر ليس كما يظن المطففون.

إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ : سجين علم على كتاب ديوان الشر، دون فيه أعمال الشياطين

وأعمال الكفرة، وهو أيضًا موضع في أسفل الأرض السابعة، فيه سجين الذي هو ديوان الكتب

وبه أرواح الأشقياء عامة. ﴿وَمَا آذَنُكَ مَا سَعِينٌ﴾ ﴿٨﴾

كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ : أي مسطور بين الكتابة فيه أعمالهم. ﴿وَيْلٌ يَوْمَذِلِّ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿١٠﴾

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ : أي يوم القيامة الذي هو يوم الحساب والجزاء.

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ : أي ظالم مضيع حقوق ربه تعالى وحقوق غيره.

أَشِيرٍ ﴿١٢﴾ : منغمس في الآثام مكثر منها.

إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِ إِسْمًا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ : أي ما سطره الأولون من القصص والأخبار التي لا تصح.

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ : أي غطى قلوبهم وحجبها عن قبول الحق <sup>(١)</sup>.(١) روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة

مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ : أي من الذنوب والآثام.

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ : أي يحال بينهم وبين رؤية الرب يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّمَا لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ : أي لدخلوها ومحرقون معذبون بها.

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ : أي يقال لهم توبيخاً وخزيًا لهم وهم في العذاب: هذا الذي

كنتم به تكذبون.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ : أي كتاب أعمالهم، والأبرار هم المطيعون لله ولرسوله الصادقون.

لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ : أي في موضع يسمى عليين في أعلى الجنة<sup>(١)</sup>. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾﴾

كِتَابٌ مَرْفُوعٌ ﴿٢٠﴾ : أي كتاب مرفوع بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة والفوز بالجنة.

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ : أي يحضره المقربون من أهل كل سماء، ويحفظونه لأنه يحمل أمانًا

لصاحبه من النار وفوزه بالجنة.

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ : أي إن الذين بروا ربهم بطاعته، بأداء الفرائض واجتتاب النواهي لفي

نعيم الجنة.

عَلَى الْأَرْبَابِ : أي على الأسرة ذات الحجال.

يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ : أي ما آتاهم ربهم من صنوف النعيم<sup>(٢)</sup>.

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ : أي حسنه وبريقه وتألوه.

يُسْفُونَ مِنْ رَجِيحٍ : أي من خمر صرف خالصة لا غش فيها ولا دنس.

مَخْتَوٍ ﴿٢٥﴾ : أي مختوم على إناثها لا يفك ختمه إلا هم.

خِتَمُهُمْ مَسْكٌ : أي آخر شربها يفوح برائحة المسك.

وَفِي ذَلِكَ : أي لا في غيره.

فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ : أي فليطلب بالطاعة والاستقامة الطالبون للنعيم المقيم.

وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ : أي ومزاج شربهم من عين تجري من عالي تسمى التسنيم.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ : عينًا هي التسنيم يشرب منها المقربون صرفًا، وتمزج

لأصحاب اليمين.

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا : أي على أنفسهم بالشرك والمعاصي كأبي جهل وأمّية بن خلف وعتبة بن

سوداء، فإن هو نزع واستغفر الله وتاب صقل صقله، فإن عاد زيد فيها حتى تعلق على قلبه. وهو الران الذي ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [حسن - انظر صحيح سنن الترمذي].

(١) قال البراء بن عازب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «عليون في السماء السابعة تحت العرش».

(٢) وقيل: ينظرون إلى أعدائهم في النار وهم على أرائكهم، ولا عجب لما ظهر اليوم من آلة التلفاز.

أبي معيط.

كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا : أي كبلال وياسر وعمار وصهيب وخبيب. ﴿يَضْحَكُونَ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ .  
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ : أي يشيرون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء بهم.  
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ : أي إذا رجعوا إلى ديارهم وأهلهم يرجعون نشاوي  
فرحين معجبين بحالهم.

وَإِذَا رَأَوْهُمْ : أي وإذا رأى أولئك الفكهون رأوا المؤمنين.  
قَالُوا إِن هَؤُلَاءَ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ : إن هؤلاء - يعنون المؤمنين من أصحاب محمد ﷺ -، لضالون  
بتركهم دينهم واتخاذهم لدين محمد ﷺ الجديد.  
وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ : أي ولم يكلفهم الله تعالى بحفظ أعمالهم، ورعاية أحوالهم  
وإنما هم متطفلون.

قَالِيَوْمَ : أي يوم القيامة.  
الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ : أي من أجل ما هم فيه من العذاب، حيث يرونهم وهم على  
أرائكهم. ﴿عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَطْرُونَ﴾ (٣٥) .  
هَلْ تُوِبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ : أي هل جوزي الكفار بما كانوا يفعلون من الكفر والشر  
والفساد؟ والجواب: نعم نعم نعم.



(١) معنى يضحكون منهم: أنهم يضحكون من حالهم وهي حال خاصة كالفقر والضعف، أو ترك دينهم إلى دين آخر.

## ٨٤ - سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ : أي بالغمام وهو سحاب أبيض رقيق وذلك لنزول الملائكة.  
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا : أي سمعت وأطاعت.

وَحُفَّتْ ﴿٢﴾ : أي وحق لها أن تسمع أمر ربها وتطيعه.

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ : أي زيد في سعتها كما يمد الأديم: أي الجلد إذ لم يبق عليها بناء ولا جبل.

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخَلَّتْ ﴿٤﴾ : أي ألقت ما فيها من الموتى، ألقتهم أحياء إلى ظهرها، وتخلت عنه: أي عما كان في بطنها. ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴿٥﴾﴾.

يَتَأْتِيهَا الْاِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ : أي عامل كاسب للخير أو الشر.

إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا : أي إلى أن تلقى ربك، وأنت تعمل وتكسب، فليكن عملك مما يرضي عنك ربك.

فَمَلَقِيهِ ﴿٦﴾ : أي ملاق ربك بعد موتك وبعملك خيره وشره.

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهِ بِئِمِينِهِ ﴿٧﴾ : أي كتاب عمله وذلك بعد البعث. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ .  
وَيَنْفَلِكُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ : أي بعد الحساب اليسير، يرجع إلى أهله في الجنة من الحور العين

فرحًا.

وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ : أي يأخذه بشماله من وراء ظهره إهانة له.

فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا ﴿١١﴾ : أي ينادي هلاكه قائلًا: واثبورا واثبورا أي يا هلاكه.

وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ : أي ويحرق بالنار تحريقًا، وينضج إنضاجًا بعد أخرى، على قراءة (يصلِّي) بالتضعيف. ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾.

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَمُورَ ﴿١٤﴾ : أي إنه كان في الدنيا يظن أنه لا يرجع إلى الحياة بعد الموت، فلذا لم

يعمل خيرًا قط، ولم يتورع عن ترك الشر قط لعدم إيمانه بالبعث. ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَفَقِ ﴿١٦﴾ : أي بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

وَأَلَيْلٍ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ : أي دخل عليه من الدواب وغيره.

وَأَلْقَمِرٍ إِذَا أَسَقَ ﴿١٨﴾ : اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض.

لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾: أي حالًا بعد حال، الموت، ثم الحياة، ثم ما بعدها من أحوال القيامة.

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾: أي أيُّ مانع لهم من الإيمان بالله ورسوله ولقاء ربهم، والحجج كثيرة تتلى عليهم.

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ: أي تلي عليهم وسمعه.

لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾: أي لا يخضعون فيؤمنوا ويسلموا. ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾: أي يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب. ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾: أي غير مقطوع.



## ٨٥- سُورَةُ الْبُرُوجِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ : أي منازل الشمس والقمر الاثني عشر برجاً.

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ : أي يوم القيامة إذ وعد الله تعالى عباده أن يجمعهم فيه لفصل القضاء.

وَسَاطِعِ : أي يوم الجمعة.

وَمَشْهُورِ ﴿٣﴾ : أي يوم عرفة.

فِيلَ أَنْحَابِ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ : أي لعن أصحاب الأخدود. والأخدود: أي الحفر تحفر في الأرض

وهو مفرد وجمعه أخاديد. ﴿التَّارِدَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾﴾ .

إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ﴿٦﴾ : أي على حافتها وشفيرها. ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ .

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ : أي ما عابوا عليهم أي شيء سوى إيمانهم بالله

تعالى. ﴿الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَعَنُوا

بَتُونًا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ ﴿١٠﴾ وَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾﴾ .

إِنْ يَطَّشْ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٣﴾ : أي أخذه إذا أخذ الكافر شديد.

إِنَّهُ، هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ ﴿١٤﴾ : أي يبدئ الخلق ويعيده بعد فناءه ويبدئ العذاب ويعيده.

وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٥﴾ : أي لذنوب عباده المؤمنين، المتودد لأوليائه.

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٦﴾ : أي صاحب العرش إذ هو خالقه ومالكه، والمجيد المستحق لكمال

صفات العلو. ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٨﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٩﴾﴾ .

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿٢٠﴾ : أي بما ذكر في سياق الآيات السابقة.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢١﴾ : أي هم في قبضته وتحت سلطانه وقهره.

بَلْ هُوَ قَرِيبٌ أَنْ تُحِيطَ ﴿٢٢﴾ : أي كريم عظيم.

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٣﴾ : أي من الشياطين، والمراد به اللوح المحفوظ.



## ٨٦ - سُورَةُ الطَّارِقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ : أي كل ما يطرق ويأتي ليلاً، وسمي النجم طارقاً لطلوعه ليلاً . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ

﴿٢﴾

النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٢﴾ : أي الثريا والثاقب المضيء الذي يثقب الظلام بنوره.

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ : أي إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها. ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

﴿٥﴾

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ : أي ماء ذي اندفاق وهو بمعنى مدفوق أي مصبوب في الرحم.

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ : الصلب: عظم الظهر من الرجل، والترائب عظام الصدر،

والواحدة تريبة. ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ (١).

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ : أي تختبر ضمائر القلوب في العقائد والنيات، والسرائر: جمع سريرة كالسرِّ.

﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ : أي ذات المطر لرجوعه كل حين، والرجع من أسماء المطر.

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصُّلْعِ ﴿١٢﴾ : أي التصدع والتشقق بالنبات.

إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ : أي يفصل بين الباطل، وفي الخصومات يقطعها بالحكم الجازم.

وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ ﴿١٤﴾ : أي باللعب والباطل بل هو الجد كل الجد.

لِيَهْمِيكَدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ : أي يعملون المكائد للنبي ﷺ .

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ : أي أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأوقعهم في المكروه. ﴿فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾

أَمْهَلُهُمْ رِيًّا ﴿١٧﴾ : أي زمناً قليلاً وقد أخذهم في بدر.



(١) أي على إرجاعه حياً كما كان وأعظم مما كان، وجائز أن يكون على رجعه ماء في الصلب كما كان قادراً إلا أن ما في التفسير أولى بقرينة ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وذلك يوم القيامة الذي هو يوم البعث.

## ٨٧- سُورَةُ الْأَعْلَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَجَّحَ أَسْمَرَ رَبِّكَ: أي نزه اسم ربك أن يسمى به غيره، وأن يذكر بسخرية أو لعب أي لا يذكر إلا بإجلال وإكبار، ونزه ربك عما لا يليق به من الشرك، والصاحبة والولد والشبيه والنظير.

الأعلى (١): أي فوق كل شيء والقاهر لكل شيء.

الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى (٢): أي الإنسان فسوى أعضائه بأن جعلها متناسبة غير متفاوتة.

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣): أي قدر ما شاء لمن شاء وهداه إلى إتيان ما قدره له وعليه.

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤): أي أنبت العشب والكلأ.

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥): أي بعد الخضرة والنضرة هشيمًا يابسًا أسود.

سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى (٦): أي القرآن فلا تنساه يا ذنبا.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ: أي إلا ما شئنا أن ننسيكه فإنك تنساه، وذلك إذا أراد الله تعالى نسخ شيء من

القرآن بلفظه فإنه ينسي فيه رسوله ﷺ. ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (٧).

وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى (٨): أي للشرعية السهلة وهي الإسلام.

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى (٩): أي من تذكر أو لم تنفع ومعنى ذكر عظم بالقرآن. ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْتِى﴾

﴿١٠﴾

وَيَنْجِبَهَا: أي الذكرى أي يتركها جانبًا فلا يلتفت إليها.

أَلْأَشْفَى (١١): أي الكافر الذي كتبت شقاوته أزلًا.

الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى (١٢): أي نار الدار الآخرة.

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣): أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى فيها.

قَدْ أفلح: أي فاز بأن نجا من النار، ودخل الجنة.

مَنْ تَزَكَّى (١٤): أي تطهر بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

وَذَكَرَ أَسْمَرَ رَبِّهِ: أي في كل أحيائه عند الأكل وعند الشرب وعند النوم وعند الهبوب منه وفي

الصلاة وخارج الصلاة من تسييح وتحميد وتمليل وتكبير.

فَصَلَّى (١٥): أي الصلوات الخمس والنوافل من روائب وغيرها.

بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ : أي تقدمون وتفضلون الدنيا على الآخرة. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

﴿١٧﴾

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ : أي إن هذا وهو قوله: قد أفلح إلى قوله: وأبقى.

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ : إذ كانت عشر صحف.

وَمُوسَى ﴿١٩﴾ : أي توراته.



## ٨٨ - سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ : أي قد جاءك.

حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ : أي القيامة؛ وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها.  
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ : أي يوم إذ تقوم الساعة.

خَشَعَةٌ ﴿٢﴾ : أي ذليلة، أطلق الوجوه وأراد أصحابها.

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ : أي ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال وتكليف شاق الأعمال.

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ : ترد هذه الوجوه نارًا حامية قد اشتدت حرارتها.

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَةٍ ﴿٥﴾ : أي بلغت أنها من الحرارة يقال: أنى الحميم إذا بلغ متهاه.

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦﴾ : أي أخبث طعام وأنته. وضريح الدنيا نبت يقال له: الشبرق لا ترعاه الدواب لخبثه. ﴿لَا يُسِينُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ ﴿٧﴾.

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ : أي حسنة نظرة.

لَسَعَهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ : أي لعملها الصالحات في الدنيا راضية في الآخرة لما رأت من ثوابها. ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿١٠﴾.

لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ : أي كلمة لاغية من اللغو والباطل. ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ ﴿١٣﴾.

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ : أقداح لا عرا لها موضوعة على حافة العين للشرب.

وَمَنَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ : أي ومساند جمع نمرقة، مصفوفة الواحدة إلى جنب الأخرى للاستناد إليها.

وَرَزَائِبٌ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾ : أي بسط وطنافس لها خمل، وما لا خمل لها يسمى سجادة، ومعنى مبثوثة مفروشة هنا وهناك مبسوطة.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ : أي أينكرون البعث فلا ينظرون نظر اعتبار.

إِلَى الْأَيْدِي كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ : أي خلقًا بديعًا معدولًا به عن سنن سائر المخلوقات.

وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ : أي فوق الأرض بلا عمد لا مستند.

وإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ : أي على وجه الأرض نصبًا ثابتًا لا يتزلزل.

وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤٠﴾: أي بسطت.

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٤١﴾: أي ذكرهم بنعم الله ودلائل توحيدِهِ.

لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٤٢﴾: أي بمسلط. ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكُفِرَ﴾ ﴿٤٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٤٤﴾ إِنَّ

إِنْتَنَا إِيَّاهُمْ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٤٦﴾.



## ٨٩- سُورَةُ الْفَجْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ (١) : أي فجر كل يوم.

وَالْيَالِ عَشْرِ (٢) : أي عشر ذي الحجة.

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) : أي الزوج والفرد (١).

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِر (٤) : أي مقبلًا أو مديراً.

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حَجْرٍ (٥) : أي حجي وعقل. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦)﴾.

إِرمَ : هي عاد الأولى.

ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) : إذ كان طول الرجل منهم اثني عشر ذراعاً. ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ (٨)﴾.

وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) : أي قطعوا الصخر جعلوا من الصخور بيوتاً بوادي القرى.

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ (١٠) : أي صاحب الأوتاد وهي أربعة أوتاد يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ (١١) : أي تعبروا فيها وظلموا العباد وأكثروا فيها الفساد.

فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفِسَادَ (١٢) : أي الشرك والقتل.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) : أي نوع عذاب.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْعُرْصَادِ (١٤) : أي يرصد أعمال العباد ليجزيهم عليها.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ : أي الكافر المشرك.

إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ : أي اختبره.

فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ : أي بالمال والجاه ونعمه بالخيرات.

فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) : أي فضلني لما لي من مزايا على غيري.

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ : أي ضيقه ولم يوسع عليه.

فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ (١٦) : أي أذلني بالفقر ولم يشكر الله على ما وهبه من سلامة جوارحه والعافية

(١) لصلوحيه الشفع والوتر لأشياء كثيرة ذكر القرطبي منها عددًا كثيرًا فروى عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: «الشفع والوتر الصلاة منها شفع ومنها وتر»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب. وأولى ما يقال أن الله تعالى أقسم بكافة خلقه إذ كل ما عده تعالى ما بين شفع ووتر، إذ الشفع ما يكون ثانيًا لغيره، والوتر الشيء المفرد.

من جسمه.

كَلَّا : أي ليس الأمر كما يرى هذا الكافر ويعتقد ويقول. ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْبَيْتَ﴾ (٧) وَلَا تَخْضَعُونَ عَلَيْهِ طَعَامَ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ .

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاتِ : أي الميراث.

أَكَلًا لَمَّا ﴿١٩﴾ : أي أكلاً كثيراً ولَمَّا شديداً؛ إذ يلمون نصيب النساء والأطفال لما لهم فلا

يورثونهم من التركة (لَمَّا: أي جمعاً شديداً).

وَتُحْبَبُونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ : أي حباً شديداً كثيراً.

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ (١) : أي حركت حركة شديدة وزلزلت زلزلاً قوياً فلم يبق

عليها شخص البتة.

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ : أي والملائكة أي صففاً بعد صف.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ : أي تجر بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك.

يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ : أي الكافر ما قالت له الرسل من وعد الله ووعيده يوم لقائه.

وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ : أي لا تنفعه في هذا اليوم الذكري.

يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ : أي هذه الإيمان وصالح الأعمال.

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ : أي لا يعذب مثل عذاب الله أحد أي في قوته وشدته.

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ : أي ولا يوثق أحد مثل وثاق الله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ (٢).

يَتَأَيَّمْنَهَا الْبُغْيَاءُ الْمُضْمِيَّةُ ﴿٢٧﴾ : أي المؤمنة الآمنة اليوم من العذاب لما لاح لها من بشارات النجاة.

أَرْجَى إِلَىٰ رَبِّكَ : أي إلى جواره في دار كرامته أي الجنة. رَاضِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ .

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ : أي في جملة عبادي المؤمنين المتقين.

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ : أي دار كرامتي لأوليائي.



(١) الدك الحطم والكسر، ودك الأرض تحطيمها وتفريق أجزائها.

(٢) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ أي وليس أحد أشد قبضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم

﴿يَوْمَئِذٍ﴾، وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين. اهـ (قل).

## ٩٠- سُورَةُ الْبَلَدِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقِيمُ هَذَا الْبَلَدِ (١) : أي مكة.

وَأَنْتَ جَلُّ هَذَا الْبَلَدِ (٢) : أي وأنت يا نبي الله محمد حلال بمكة.

وَوَالِدٍ وَمَوْلَاكَ (٣) : أي وآدم وذريته.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) : أي في نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) : أي أيعظن وهو أبو الأشدين بن كلدة وكان قويًا شديدًا.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ (٦) : يقول هذا مفاخرًا بعداوة الرسول وأنه أنفق فيها ما لا كثيرًا.

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) : أي أيعظن أنه لم يره أحد؟ بل الله رآه وعلم ما أنفقه ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (٨).

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (٩) : أي بينا له طريق الخير وطريق الشر بما فطرناه عليه من ذلك وبما أرسلنا

به رسلنا وأنزلنا به كتبنا.

فَلَا أَفْنَحَمُ : أي فهلا تجاوز (١).

الْعَقَبَةَ (١٠) : أي الطريق الصعب في الجبل، والمراد به النجاة من النار. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ

(١١)﴾ (وإنما تفك الرقبة بما يلي):

فَكَرَبَةٍ (١٢) : أي أعتق رقبة في سبيل الله تعالى.

أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٣) : أي في يوم ذي مجاعة وشدة مؤونة.

بَيْمًا دَا مَقْرَبَةٍ (١٤) : أي أطعم يتيمًا من ذوي قرابته (٢).

أَوْ مَسَكِينًا دَا مَتْرَبَةٍ (١٥) : أي أطعم فقيرًا لاصقًا بالتراب ليس له شيء.

(١) ذهب القرطبي إلى أن ﴿فَلَا﴾ هي بمعنى هلا التي هي للتحضيض، وهو ما قرره في التفسير، وجائز أن يكون استفهامًا إنكاريًا ينكر عليه إنفاق أمواله فيما يضره وعدم إنفاقها فيما ينفعه. اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله: (روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ﴾ أي دخل ﴿الْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة محمة شديدة فاتحموها بطاعة الله تعالى، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾... وقال ابن زيد: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْعَقَبَةَ﴾، أي: أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير... (قل).

(٢) اليتيم: الولد الذي ليس له أب لموته وهو دون البلوغ.

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ : أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على طاعة الله .  
 وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ : أي أوصى بعضهم بعضًا برحمة الفقراء والمساكين .  
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ : أي أصحاب اليمين وهم المؤمنون المتقون .  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِتَيْنَاهُمُ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ : أي أصحاب الشمال وهم الكفار الفجار .  
 عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ : أي مطبقة لا نافذة لها ولا كوة فلا يدخلها هواء .



## ٩١ - سُورَةُ الشُّمُسِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا ﴿١﴾ : أي ونهارها.
- وَالْقَمَرُ إِذَا نَلَّهَا ﴿٢﴾ : أي تلا الشمس فطلع بعد غروبها مباشرة وذلك ليلة النصف من الشهر.
- وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ : أي إذا أضاءها.
- وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَّسَهَا ﴿٤﴾ : أي غشى الشمس حتى تظلم الآفاق.
- وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَّاها ﴿٥﴾ : أي ومن بناها وهو الله ﷻ حيث جعل <sup>(١)</sup> السماء كالسقف للأرض.
- وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ : أي ومن بسطها وهو الله ﷻ.
- وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ : أي ومن سوى خلقها وعدله وهو الله ﷻ.
- فَأَلَّهْمَهَا جُورَهَا وَتَقَوَّاهَا ﴿٨﴾ : أي فبين لها ما ينبغي لها أن تأتيه أو تتركه من الخير والشر.
- فَدَّأَلَّحَ مَنْ رَكَّبَهَا ﴿٩﴾ : أي فاز بالنجاة من النار ودخول الجنة من طهر نفسه من الذنوب والآثام.
- وَقَدْحَابَ : أي خسر في الآخرة نفسه وأهله يوم القيامة.
- مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ : أي دس نفسه إذ أخفاها وأخملها بالكفر والمعاصي، وأصل دسها: دسها فأبدلت إحدى السينين ياء.
- كَذَبَتْ تَمُودُ : أي أصحاب الحجر كذبوا رسولهم صالحاً ﷺ.
- يَطَّعُونَهَا ﴿١١﴾ : أي بسبب طغيانها في الشرك والمعاصي.
- إِذْ أُنْبِئَتْ : أي انطلق مسرعاً.
- أَشَقَّهَا ﴿١٢﴾ : أي أشقى القبيلة وهو قُدار بن سالف الذي يضرب به المثل فيقال أشأم من قدار.
- فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ : أي صالح ﷺ.
- نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴿١٣﴾ : أي ذروها وشربها في يومها.

(١) جائز أن تكون «وَمَا» في الجمل الثلاثة «وَمَا بَنَّاها» «وَمَا طَحَّهَا» «وَمَا سَوَّاهَا» مصدرية فيكون الإقسام بالسماء وبنائها والأرض وطحوها والنفس وتسويتها؛ إلا أن ما في التفسير وهو اختيار ابن جرير أولى إذ هو إقسام بالرب تعالى.

فَكَذَّبُوهُ : أي فيما أخبرهم به من شأن الناقة.  
 فَعَفَرُواهَا : أي قتلوها ليخلص لهم ماء شربها في يومها.  
 فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ : أي أطبق عليهم العذاب فأهلكهم.  
 يَذِّبُهُمْ : أي بسبب ذنوبهم التي هي الشرك والتكذيب وقتل الناقة.  
 فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ : أي سوى الدمدم عليهم فلم يقلت منهم أحد.  
 وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾ : أي ولا يخاف الرب تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله  
 إذا هو قتل أحدًا أو عذبه.



## ٩٢- سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَلَيْلٍ إِذَا يَتَخَنَّ ﴿١﴾ : أي بظلمته كل ما بين السماء والأرض في الإقليم الذي يكون به.

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَمَّى ﴿٢﴾ : أي تكشف وظهر في الإقليم الذي هو به، وإذا هنا وفي التي قبلها ظرفية وليست شرطية.

وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ : أي ومن خلق الذكر والأنثى آدم وحواء وكل ذريتهما وهو الله تعالى<sup>(١)</sup>.

إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقَى ﴿٤﴾ : أي إن عملكم أيها الناس لمختلف منه الحسنة المورثة للجنة، ومنه السيئة الموجبة للنار.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ : أي حق الله وأنفق في سبيل الله واتقى ما يسخط الله تعالى من الشرك والمعاصي.

وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ : أي بالخلف لحديث «اللهم أعط منفقًا خلفًا»<sup>(٢)</sup>.

فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٧﴾ : أي فسنيصره للخلة أي الخصلة اليسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليجب له به الجنة في الآخرة.

وَأَمَّا مَنْ كَفَرَ وَاتَّقَى ﴿٨﴾ : أي منع حق الله والإنفاق في سبيل الله، واستغنى بماله عن الله فلم يسأله من فضله، ولم يعمل عملاً صالحاً يتقرب به إليه.

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ : أي بالخلف وما تثمره الصدقة والإيمان وهو الجنة.

فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ : فسنيته للخلة العسرى، وهي العمل بما يكرهه الله ولا يرضاه ليكون قائده إلى النار. ﴿وَمَا يَتَّبِعُ عَنْهُ مَالُهُ﴾.

إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ : أي في جهنم فسقط فيها.

إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ : أي إن علينا لبيان الحق من الباطل والطاعة من المعصية.

(١) يرى بعضهم أن المقسم به المصدر بناء على أن (ما) مصدرية والصحيح أنها موصولة وأن الإقسام كان بالرب - تبارك وتعالى - فإنه أعظم إقسام.

(٢) كلمة الحسنى صالحة لعدة معان وهي مؤنث الأحسن؛ ولذا هي صفة لموصوف محذوف وتنوسي فيها ذلك فصارت اسماً لما هو أحسن كالجنة والمثوبة الحسنة والنصر والعاقة والخلف على المتفق في سبيل الله وهو الراجح هنا لاختيار ابن جرير له.

وَأَنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ : أي ملك ما في الدنيا والآخرة، نعطي ونحرم من نشاء لا مالك غيرنا<sup>(١)</sup>.

فَأَنْذَرْتُكُمْ : أي خوفتكم.

نَارًا تَلَطَّىٰ ﴿١٤﴾ : أي تتوقد.

لَا يَصِلُهَا : أي لا يدخلها ويحترق بلهبها.

إِلَّا الْأَشْقَىٰ ﴿١٥﴾ : أي إلا الشقي.

الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ : كذب النبي ﷺ فيما جاء به، وتولى أعرض عن الإيمان به، وبما جاء به من التوحيد والطاعة لله ورسوله.

وَسَيَجْزِيهَا الْآلَتَىٰ ﴿١٧﴾ : أي يبعد عنها التقى.

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ : أي يتطهر به فلذا يخليه من النظر إلى غير الله، فهو لذلك خالٍ من

الرياء والسمعة.

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ : أي ليس لأحد من الناس عليه منة فهو يكافئه بذلك.

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ : لكن يؤتي ماله في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ : أي يعطيه الله تعالى من الكرامة ما يرضى به في دار السلام.



(١) المراد بالآخرة الجنة، وإن كان اللفظ يشمل الآخرة بكل ما فيها من نعيم وجحيم، وسعادة وشقاء، وفوز وخسران.

## ٩٣- سُورَةُ الضُّحَى

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ﴿١﴾: أي أول النهار ما بين طلوع الشمس وارتفاعها قيد رمح إلى الزوال.  
 وَالتَّيْلُ إِذْ أَسَجَى ﴿٢﴾: غطى، ظلّامه المعمورة وسكن فسكن الناس وخلدوا إلى الراحة.  
 مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ: أي ما تركك ولا تخلى عنك.  
 وَمَا قَلَى ﴿٣﴾: أي أبغضك. وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾.  
 أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا: أي فاقد الأب إذ مات والده قبل ولادته.  
 فَتَأَوَّى ﴿٦﴾: أي فاواك بأن ضمك إلى عمك أبي طالب.  
 وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾: أي لا تعرف دينًا ولا هدى.  
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا: أي فقيرًا.  
 فَأَعْنَى ﴿٨﴾: أي بالقناعة، وبما يسر لك من مال خديجة وأبي بكر الصديق.  
 فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾: أي لا تذله ولا تأخذ ماله.  
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾: أي لا تنهره بزجر ونحوه.  
 وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾: أي اذكر ما أنعم الله تعالى به عليك شكرًا له على ذلك.



## ٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر: الاستفهام للتقرير أي: إن الله تعالى يقرر رسوله بنعمه عليه.  
 شَرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾: أي بالنبوة، وبشقه وتطهيره وملئه إيماناً وحكمة.  
 وَوَضَعْنَا عَنكَ وَرِزْقًا ﴿٢﴾: أي حططنا عنك ما سلف من تبعات أيام الجاهلية قبل نبوتك.  
 الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾: أي الذي أثقل ظهرك، حيث كان يشعر ﷺ بثقل السنين التي عاشها قبل النبوة، لم يعبد فيها الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه لعدم علمه بذلك.  
 وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾: أي أعليناه فأصبحت تذكر معي في الأذان والإقامة والتشهد.  
 فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾: أي مع الشدة سهولة. ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.  
 فَإِذَا فَرَغْتَ: أي من الصلاة.  
 فَأَنْصَبْ ﴿٧﴾: أي اتعب في الدعاء (١).  
 وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾: أي فاضرع إليه راغبًا فيما عنده من الخيرات والبركات.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَإِذَا فَرَغْتَ» أي: من الجهاد، «فَأَنْصَبْ» ﴿٧﴾ أي: في العبادة. اهـ (قل)

## ٩٥- سُورَةُ التِّينِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾: هما المعروفان التين فاكهة، والزيتون ما يستخرج منه الزيت.
- وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾: جبل الطور الذي ناجى الرب تعالى فيه موسى ﷺ.
- وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾: مكة المكرمة لأنها بلد حرام لا يقاتل فيها، فمن دخلها أمن.
- لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ: جنس الإنسان آدم ﷺ وذريته.
- فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾: أي في أجمل صورة في اعتدال الخلق وحسن التركيب.
- ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾: أي إلى أرذل العمر حتى يخرف ويصبح لا يعلم بعد أن كان يعلم.
- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾
- فَلَهُمْ أَجْرٌ عَرِيضٌ ﴿٦﴾: أي غير منقطع فالشيخ الهرم الخرف المسلم يكتب له ما كان يفعله أيام قدرته على العمل فأجره لا ينقطع إلا بموته.
- ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ ﴿١﴾ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ﴿٧﴾
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾: بلى.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ يا ابن آدم ﴿بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى... (اهـ) (قل).

## ٩٦- سُورَةُ الْعَلَقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأُ: أي أوجد القراءة؛ وهي جمع الكلمات ذات الحروف باللسان.

يَأْسُرِيكَ: أي بذكر اسم ربك.

الَّذِي خَلَقَ (١): أي خلق آدم من سلالة من طين.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ: أي الإنسان الذي هو ذرية آدم.

مِنْ عَلَقٍ (٢): أي جمع علقة وهي النطفة في الطور الثاني حيث تصير علقة أي قطعة من الدم

الغليظ.

أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣): أي الذي لا يوازيه كريم ولا يعادله ولا يساويه.

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤): أي علم العباد الكتابة والخط بالقلم.

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ: أي جنس الإنسان.

مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥): أي ما لم يكن يعلمه من سائر العلوم والمعارف.

كَلَّا: أي (ألا) أداة استفتاح وتنبية لكسر (إن) بعدها.

إِنَّا الْإِنْسَانَ: أي ابن آدم قبل أن تتهدب مشاعره وأخلاقه بالإيمان والآداب الشرعية.

لَيَطَّعَنَّ (٦): أي يتجاوز الحد المفروض له في سلوكه ومعاملاته.

أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَعَى (٧): أي عندما يرى نفسه قد استغنى بماله أو ولده أو سلطانه.

إِنَّا إِلَهُكَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ (٨): أي إن إلى ربك أيها الرسول الرجعي: أي الرجوع والمصير.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَبغِي (٩): أي أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي لعنه الله. عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠).

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ هُدًى (١١): أي هو رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي

العدناني.

أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ (١٢): أمر غيره بما يتقي به عذاب الدنيا والآخرة.

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣): أي هو أبو جهل. ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ (١٤).

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْهَ: أي من أذية رسولنا محمد ﷺ، ومنعه من الصلاة خلف المقام.

لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥): أي لناخذن بناصيته ونسحبه إلى نار جهنم. ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبِيَّةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (١٦).

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾: أي رجال مجلسه ومنتداه.

سَدْعُ الزَّيْنَةِ ﴿١٨﴾: أي خزان جهنم.

كَلَّا: أي ارتدع أيها الكاذب الكافر.

لَا تُطْعَمَ: أي يا رسولنا فيما يطلب منك من ترك الصلاة في المسجد الحرام.

وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾: أي منه تعالى وذلك بطاعته.



## ٩٧- سُورَةُ الْقَدْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ : أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) : أي ليلة الحكم والتقدير التي يقضى فيها قضاء السنة كلها (١).

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) : أي إن شأنها عظيم.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) : أي العمل الصالح فيها من صلاة وتلاوة قرآن ودعاء، خير من

عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وهي ثلاث وثلاثون سنة وأربعة أشهر. ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ ﴾ .

وَالرُّوحُ فِيهَا : أي جبريل في ليلة القدر.

يَأْذِنُ رَبِّي : أي ينزلون بأمره تعالى لهم بالتنزل فيها.

مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ (٤) : أي من كل أمر قضاها الله تعالى في تلك السنة من رزق وأجل وغير ذلك.

سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) : أي هي سلام من الشر كله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.



(١) وهي في الوتر من العشر الأواخر من رمضان، ورجح أكثر العلماء أنها ليلة السابع والعشرين لقسم أبي بن كعب بذلك كما في صحيح مسلم (قل).

## ٩٨- سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَوْ يَكْفُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي اليهود والنصارى.

وَالْمُشْرِكِينَ : أي عبدة الأصنام.

مُنْفَكِينَ : أي زائلين عما هم عليه منتهين عنه.

حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ : أي الحججة الواضحة وهي محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ : أي محمد ﷺ.

يَنْلُؤُوا صُحُفًا مَطْهُرَةً ﴿٢﴾ : أي من الباطل.

فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ : أي في تلك الصحف المطهرة كتب من الله مستقيمة.

وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ : أي الرسول محمد ﷺ وكتابه القرآن الكريم.

وَمَا أَمْرًا : أي في كتبهم التوراة والإنجيل. ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

حُفَاءً : أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام. ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾.

وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ : أي دين الملة القيمة أي المستقيمة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : أي بالإسلام ونيبه وكتابه وهم اليهود والنصارى. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ

فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ : أي شر الخليقة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ : أي آمنوا بالإسلام ونيبه وكتابه وعملوا الصالحات.

أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ : أي هم خير الخليقة.

جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ : أي بساتين إقامة دائمة. ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : أي بطاعته (١).

وَرَضُوا عَنْهُ : أي بشوابه. ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾.



(١) قول البعض: رضي أعمالهم؛ هرويًا من عقيدة السلف وإلا فالآية نص في رضاه تعالى عنهم وإن كانت الأعمال سببًا في رضاه؛ إذ الأعمال طهرت نفوسهم وزكت أرواحهم فاستحقوا رضی الله فرضي عنهم، ورضی الله أكبر من نعيم الجنة كقوله تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

## ٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

«مَدِينَةٌ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①: أي حركت لقيام الساعة.  
 وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②: أي كنوزها وموتاهها فألقتها وتخلت.  
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③: أي وقال الكافر ما لها أي شيء جعلها تتحرك هذه الحركة.  
 يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④: أي تخبر بما وقع عليها من خير وشر وتشهد به لأهله.  
 يَا نَرَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ⑤: أي بأن تحدث أخبارها فحدثت.  
 يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا: أي من موقف الحساب ①.  
 لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥: أي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار.  
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧.



① «أَشْتَاتًا»: جمع شت بمعنى متفرقين جماعات جماعات أصحاب يمين وأصحاب شمال.

## ١٠٠ - سُورَةُ الْعَنَادِيَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ : أي الخيل تعدو في الغزو.

صَبَحًا (١) : أي تضح ضبحًا، والضح صوت الخيل إذا عدت أي جرت.

فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا (٢) : أي الخيل توري النار بحوافرها إذا سارت بالليل.

فَالْمُعْرِزَتِ صُبْحًا (٣) : أي الخيل تغير على العدو صباحًا.

فَأَتْرَنَ بِهِ نَقْعًا (٤) : هيجن به أي بمكان عدوها نقعًا أي غبارًا.

فَوَسَّطَنَ بِهِ جَمْعًا (٥) : أي بالنقع جمع العدو أي حيث تجمعاته (١).

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) : لكفور يجحد نعمة تعالى عليه.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) : أي يشهد على نفسه بعمله.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ : أي المال. لَشَدِيدٌ (٨).

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) : أي أثير وأخرج ما في القبور.﴾

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) : بين وأفرز ما في الصدور من الإيمان والكفر.﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَخَبِيرٌ ﴿ (١١)﴾



(١) توسطت الخيل جمع العدو وكتائبه لقتال أعداء الله.

## ١٠١ - سُورَةُ الْقَارِعَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ① : القيامة وسميت القارعة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.

مَا الْقَارِعَةُ ② : أي أي شيء هي؟ فلا استفهام للتوهيل من شأنها.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ : زيادة في توهيل أمرها وتعظيمه.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ : أي كخوغاء الجراد المنتشر يموح بعضهم في

بعض.

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑤ : أي كالصوف المندوف هذه حالها أولاً، ثم

تكون كثيباً مهيلاً ثم تكون هباء منبثاً. فَأَمَّا مَنْ نَقَلَ مَوَازِينَهُ ⑥ .

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑦ : أي يرضاها صاحبها في الجنة فهي مرضية له.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ .

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ : أي مأواه ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه وهي النار. ﴿وَمَا

أَدْرَاكَ مَا هِيَ ⑩﴾ .

نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪ : أي هي نار حامية.



## ١٠٢ - سُورَةُ التَّبَاةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَمَكُمْ: أي شغلكم عن طاعة الله تعالى.

التَّكَاثُرُ (١): أي التباهي بكثرة المال.

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢): أي تشاغلتم بجمع المال والتباهي بكثرته حتى متم ونقلتم إلى المقابر.

كَلَّا: أي ما هكذا ينبغي أن تفعلوا فارتدعوا عن هذا التكاثر.

سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣): أي إذا دخلتم قبوركم علمتم خطأكم في التكاثر في الأموال والأولاد.

ثُمَّ كَلَّا: أي حقًا. ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥): أي علمًا يقينيًا عاقبة التكاثر لما تفاخرتم بكثرة أموالكم.

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦): أي النار. ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ (٧) (١).

ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ: أي يوم ترون الجحيم عين اليقين.

عَنِ النَّعِيمِ (٨): أي تنعمتم به وتلذذتم من الصحة والفراغ والأمن والمطاعم والمشارب.



(١) ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾: أي الأمر الذي لا شك فيه.

## ١٠٣ - سُورَةُ الْعَصْرِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾: أي الدهر كله.

إِنَّ الْإِنْسَانَ: أي جنس الإنسان كله.

لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾: أي في نقصان وخسران إذ حياته هي رأس ماله، فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحًا خسر كل الخسران. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ: أي أوصى بعضهم بعضًا باعتقاد الحق وقوله والعمل به.

وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾: أي أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على اعتقاد الحق وقوله والعمل به.



## ١٠٤ - سُورَةُ الْهُمَزَةِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةٌ ﴿١﴾: كلمة يطلب بها العذاب ووادٍ في جهنم، الهمزة: كثير الهمز،

واللمزة كذلك وهم الطعانون المظهرون العيوب للإفساد<sup>(١)</sup>.

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾: أي أحصاه وأعدده لحوادث الدهر.

يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾: أي يجعله خالدًا في الحياة لا يموت.

كَلَّا: أي ليس الأمر كما يزعم ويظن.

(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزٍ لَمَزَةٌ﴾ الهماز بالقول، واللماز بالفعل. يعني يزدرى الناس ويتقص بهم قال ابن عباس ﴿هُمَزٌ لَمَزَةٌ﴾: طعان معييب. وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمز في وجهه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان، ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق). وقال مجاهد: هي عامة (اهـ) (قل).

لِيُبَدَنَّ : أي ليطرحن في الحطمة.

في الْحَطْمَةِ ﴿٤﴾ : أي النار التي تحطم كل ما يلقي فيها. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ﴾ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٦﴾ .

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ : أي تشرف على القلوب فتحرقها.

إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَدَةٌ ﴿٨﴾ : أي مغلقة مطبقة.

في عَمِدٍ مُّمدَّدةٍ ﴿٩﴾ : أي يعذبون في النار بأعمدة ممددة<sup>(١)</sup>.



## ١٠٥ - سُورَةُ الْفَيْلِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِي تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ : أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ : أي محمود وهو أكبرها ومعه اثنا عشر فيلاً وصاحبها أبرهة.

الَّذِي جَعَلَ كِيدَهُ : أي في هدم الكعبة.

فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ : أي في خسار وهلاك.

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ : أي جماعات جماعات.

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ : أي طين مطبوخ.

فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ : أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.



(١) «في عَمِدٍ»: أي موقعتين في عمد كما يوثق المسجون المغلظ عليه من رجله في فلقة ذات ثقب يدخل في رجله والعمد اسم جمع عمود، والعمود خشبة والممددة المجعولة طويلة جدًا.

## ١٠٦ - سُورَةُ قُرَيْشٍ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- لِإِيلَافٍ : الإيلاف مصدر آلف الشيء يؤالفه إيلافًا إذا اعتاده وزالت الكلفة عنه والنفرة منه <sup>(١)</sup>.
- قُرَيْشٍ ﴿١﴾ : هم ولد النضر بن كنانة وهم قبائل شتى.
- إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ : أي إلى اليمن.
- وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ : أي إلى الشام.
- فَلْيَعْبُدُوا : أي إن لم يعبدوا الله لسائر نعمه فليعبدوه لتحبيب هاتين الرحلتين إليهم.
- رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ : أي مالك البيت الحرام ورب كل شيء.
- الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ : أي من أجل البيت الحرام.
- وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ : أي من أجل البيت الحرام.



(١) قوله تعالى: ﴿لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ﴾ ﴿١﴾ هذا الجار والمجرور متعلق بكلام قبله وهو فعلت ما فعلت بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلتهم، أو اعجبوا لإيلاف قريش رحلتهم والرحلتان هما، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، وذلك لإنجاز وجلب الأرزاق إلى بلادهم التي هي ليست بذات زرع ولا صناعة، فإيلافهم هاتين الرحلتين كان بتدبير الله تعالى ليعيش سكان الحرم وينذه في رغد من العيش فهي نعمة من نعم الله تعالى، وعليه ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ﴿٣﴾.

## ١٠٧ - سُورَةُ الْمَاعُونِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ ① : أي هل عرفته، والدين: ثواب الله وعقابه <sup>(١)</sup> يوم القيامة.  
 فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ② : أي فهو ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه بعنف.  
 وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ : أي لا يحض نفسه ولا غيره على إطعام المساكين.  
 فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ④ : أي العذاب الشديد للمصلين الساهين عن صلاتهم.  
 الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ : أي يؤخرونها عن أوقاتها.  
 الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ : أي يراءون بصلاتهم وأعمالهم الناس فلم يخلصوا لله تعالى في ذلك.  
 وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ : أي لا يعطون من سألهم ماعونًا، كالإبرة والقدر والمنجل ونحوه مما ينتفع به ويرد بعينه كسائر الأدوات المنزلية.



## ١٠٨ - سُورَةُ الْبُكَورِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① : أي إنا رب العزة والجلال وهبناك يا نبينا الكوثر: أي نهرًا في الجنة.  
 فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ② : أي فاشكر ذلك بصلاتك لربك المنعم عليك وحده وانحر له وحده.  
 إِنَّكَ شَانِئٌ ③ : أي مبغضك.  
 هُوَ الْأَبْتَرُ ④ : أي الأقل الأذل المنقطع عقبه.



(١) في الكلام حذف تقديره أرايت الذي يكذب بالدين. أمصيب هو أم مخطيء؟ والجواب قطعًا مخطيء. وخطؤه كفره وشركه وعداوته للإسلام وبنيه وأهله وجزاؤه سيكون جحيمًا وعذابًا أليمًا.

## ١٠٩ - سُورَةُ الْكَافُرُونَ

﴿مكية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ: أي يا رسول الله.

يَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾: أي المشركون وهم الوليد والعاص وابن خلف والأسود بن عبد المطلب.

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾: أي من الآلهة الباطلة الآن.

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾: أي الآن.

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾: أي في المستقبل أبدًا.

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾: أي في المستقبل أبدًا لعلم الله تعالى بذلك.

لَكُمْ دِينُكُمْ: أي ما أنتم عليه من الوثنية سوف لا تتركونها أبدًا حتى تهلكوا.

وَلِي دِينِ ﴿٦﴾: أي الإسلام فلا أتركه أبدًا.



## ١١٠ - سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿مدنية﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ: أي نصر الله نبيه محمدًا ﷺ على أعدائه المشركين.

وَالْفَتْحُ ﴿١﴾: أي فتح مكة.

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾: أي في الإسلام جماعات جماعات.

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ: أي نزهه عن الشريك متلبسًا بحمده.

وَأَسْتَغْفِرْهُ: أي اطلب منه المغفرة توبة منك إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾.



## ١١١ - سُورَةُ الْمُنَادِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ : أي خسرت يدا أبي لهب بن عبد المطلب أي خسر عمله.  
 وَتَبَّ (١) : أي خسر هو بذاته إذ هو من أهل النار.  
 مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ : أي أي شيء أغنى عنه ماله لما سخط الله تعالى عليه وعذبه في الدنيا والآخرة؟  
 وَمَا كَسَبَ (٢) : أي من المال والولد وغيرهما.  
 سَيَصِلُنَّ نَارًا : أي يدخل نارا يصطلي بحرها ولفحها.  
 ذَاتَ لَهَبٍ (٣) : أي توقد واشتعال.  
 وَأَمْرَأَتُهُ : أي أم جميل العوراء.  
 حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) : أي تحمل شوك السعدان وتلقيه في طريق (١) النبي ﷺ أذية له وكرها.  
 فِي جِيدِهَا : أي في عنقها.  
 حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) : أي من ليف.



## ١١٢ - سُورَةُ الْإِخْلَاقِ

«مكية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) : أي قل لمن سألك يا نبينا عن ربك: هو الله أحد.  
 اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) : أي الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، الصمد: السيد الذي يصمد إليه في الحوائج، فهو المقصود في قضاء الحوائج على الدوام.  
 لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٣) : أي لا يفنى إذ لا شيء يولد إلا وهو فاني بائد لا محالة.  
 وَلَمْ يُولَدْ (٤) : أي ليس بمحدث بأن لم يكن فكأن، فهو كائن أولاً وأبداً.

(١) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي: كانت تمشي بالنميمة بين الناس، ولا منافاة مع ما روي من أنها كانت تحمل حُرْمَةَ الشوك؛ إذ هي تفعل هذا أو ذاك.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ : أي لم يكن أحد شبيه له أو مثيل إذ ليس كمثلته شيء.



## ١١٣ - سُورَةُ الْفَلَقِ

«مدنية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أي أستجير وأتحصن.

بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ : أي الصبح.

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ : من حيوان وجماد<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ : أي الليل إذ أظلم أو القمر إذا غاب.

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ : أي السواحر اللاتي ينفثن.

فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ : أي في العقد التي يعقدنها.

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ : أي إذا أظهر حسده وأعمله.



(١) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أي من شر جميع المخلوقات، قال الحسن البصري: جهنم وإبليس وذريته مما خلق (اهـ) (قل).

## ١١٤ - سُورَةُ النَّاسِ

«مَدِينَةُ»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ : أَي أَنْحِصَن وَأَسْتَجِير .

بِرَبِّ النَّاسِ ① : أَي خَالِقَهُمْ وَمَالِكَهُمْ .

مَلِكِ النَّاسِ ② : أَي سَيِّدِ النَّاسِ وَمَالِكَهُمْ وَحَاكِمَهُمْ .

إِلَهُ النَّاسِ ③ : أَي مَعْبُودِ النَّاسِ بِحَقِّ إِذْ لَا مَعْبُودَ سِوَاهُ .

مِنَ الشَّرِّ الْوَسْوَاسِ : أَي مِنَ الشَّرِّ الشَّيْطَانِ سَمِيَ بِالمَصْدَرِ لِكثْرَةِ مَلَاسِئَتِهِ لَهُ .

الْحَنَاسِ ④ : أَي الَّذِي يَخْنَسُ وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الْقَلْبِ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

الَّذِي يُوسَّوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ : أَي فِي قُلُوبِهِمْ إِذَا غَفَلُوا عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ : أَي مِنَ الشَّيْطَانِ الْجِنِّ وَمَنِ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِ .



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

## الفهرس

٦.....	مقدمة المؤلف
٨.....	رجاء
٩.....	خير فاتحة في التفسير «مقدمة تفسير ابن كثير»
١٣.....	مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل سورة الفاتحة
١٥.....	طريقة بحث كتاب «كلمات القرآن الكريم من كتاب أيسر التفاسير»
١٦.....	الهدف من وراء هذا الكتاب
١٧.....	بداية الكلام من كتاب أيسر التفاسير
١٨.....	الاستعاذة
١٨.....	البسملة
١٩.....	١- سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

### الباب الأول: سورة البقرة

٢٣.....	٢- سُورَةُ الْبَقَرَةِ
---------	------------------------

#### الباب الثاني: من سورة «آل عمران» إلى سورة «التوبة»

٨٥.....	٣- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ
١١٧.....	٤- سُورَةُ التَّوْبَةِ
١٥٢.....	٥- سُورَةُ الْمَائِدَةِ
١٧٥.....	٦- سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٢٠٠.....	٧- سُورَةُ الْأَعْرَافِ
٢٢٨.....	٨- سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٢٣٧.....	٩- سُورَةُ التَّوْبَةِ

#### الباب الثالث: من سورة «يونس» إلى سورة «النحل»

٢٥٩.....	١٠- سُورَةُ يُوسُفَ
٢٧٣.....	١١- سُورَةُ هُودٍ
٢٨٨.....	١٢- سُورَةُ يُوسُفَ
٣٠٢.....	١٣- سُورَةُ الرَّعْدِ
٣١٠.....	١٤- سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
٣١٦.....	١٥- سُورَةُ الْحَاجِّراتِ
٣٢١.....	١٦- سُورَةُ النَّحْلِ

#### الباب الرابع: من سورة «سبحان» أي: «الإسراء» حتى سورة «الفرقان»

٣٣٧.....	١٧- سُورَةُ الْاِنشِرَاقِ
----------	---------------------------

٣٥٠.....	١٨- سُورَةُ الْكَافُرَاتِ
٣٦٣.....	١٩- سُورَةُ مَرْيَمَ
٣٧٢.....	٢٠- سُورَةُ طه
٣٨٤.....	٢١- سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٣٩٦.....	٢٢- سُورَةُ الْحَاجِّ
٤٠٧.....	٢٣- سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٤١٦.....	٢٤- سُورَةُ الْبُنُورِ
٤٢٧.....	٢٥- سُورَةُ الْغُرَفَاتِ

### الباب الخامس: من سورة «الشعراء» حتى سورة «يس»

٤٣٩.....	٢٦- سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٤٦٠.....	٢٨- سُورَةُ الْقَصَصِ
٤٧٣.....	٢٩- سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ
٤٨٣.....	٣٠- سُورَةُ الرُّؤُوسِ
٤٩١.....	٣١- سُورَةُ الْقَمَارَاتِ
٤٩٦.....	٣٢- سُورَةُ النَّحْلِ
٥٠٠.....	٣٣- سُورَةُ الْأَحْزَابِ
٥١٣.....	٣٤- سُورَةُ سَبَأٍ
٥٢١.....	٣٥- سُورَةُ فَطْرٍ
٥٢٨.....	٣٦- سُورَةُ يَسٍ

### الباب السادس: من سورة الطافات حتى سورة الحجرات

٥٣٩.....	٣٧- سُورَةُ الطَّافَاتِ
٥٤٨.....	٣٨- سُورَةُ طه
٥٥٦.....	٣٩- سُورَةُ الرِّيسِ
٥٦٧.....	٤٠- سُورَةُ النَّحْلِ
٥٧٨.....	٤١- سُورَةُ فَصَلَاتِ
٥٨٦.....	٤٢- سُورَةُ الشُّورَى
٥٩٥.....	٤٣- سُورَةُ الْحُرُوفِ
٦٠٥.....	٤٤- سُورَةُ الْحَجَرَاتِ
٦١٠.....	٤٥- سُورَةُ الْمُتَابِعَاتِ
٦١٦.....	٤٦- سُورَةُ الْأَحْقَافِ
٦٢٣.....	٤٧- سُورَةُ مُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
٦٢٩.....	٤٨- سُورَةُ الْبَنَاتِ

### الباب السابع: حزب المفصل

٦٣٩	.....	سُورَةُ الْمُحْجَرَاتِ	٤٩-
٦٤٣	.....	سُورَةُ قَتَادَةَ	٥٠-
٦٤٩	.....	سُورَةُ الذَّارِعَاتِ	٥١-
٦٥٤	.....	سُورَةُ الطُّورِ	٥٢-
٦٥٩	.....	سُورَةُ الْجِنِّ	٥٣-
٦٦٤	.....	سُورَةُ الْعَنكبُوتِ	٥٤-
٦٦٩	.....	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٥٥-
٦٧٤	.....	سُورَةُ الرَّاعِيَةِ	٥٦-
٦٨٠	.....	سُورَةُ الْمُرَادِ	٥٧-
٦٨٧	.....	سُورَةُ الْحَافِيَةِ	٥٨-
٦٩٢	.....	سُورَةُ الْمُنْتَهٰنِ	٥٩-
٦٩٨	.....	سُورَةُ الْمُنْتَهٰنِ	٦٠-
٧٠٢	.....	سُورَةُ الصَّفٰتِ	٦١-
٧٠٥	.....	سُورَةُ الْمُنَجِّمِ	٦٢-
٧٠٧	.....	سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ	٦٣-
٧٠٩	.....	سُورَةُ النَّجْمِ	٦٤-
٧١٢	.....	سُورَةُ الطَّلَاقِ	٦٥-
٧١٥	.....	سُورَةُ النَّجْمِ	٦٦-
٧١٧	.....	سُورَةُ الْمَالِكِ	٦٧-
٧٢٠	.....	سُورَةُ الْقَامِرِ	٦٨-
٧٢٤	.....	سُورَةُ الْمُتَقَاتِلِ	٦٩-
٧٢٧	.....	سُورَةُ الْمُجَادِلِ	٧٠-
٧٣٠	.....	سُورَةُ الذُّجٰنِ	٧١-
٧٣٢	.....	سُورَةُ الْحٰقِّ	٧٢-
٧٣٥	.....	سُورَةُ الْمُرْمَلِ	٧٣-
٧٣٧	.....	سُورَةُ الْمُرَادِ	٧٤-
٧٤٠	.....	سُورَةُ الْغِيَاثَةِ	٧٥-
٧٤٣	.....	سُورَةُ الْاِنشٰطِ	٧٦-
٧٤٦	.....	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ	٧٧-
٧٤٩	.....	سُورَةُ النَّبَاِ	٧٨-
٧٥١	.....	سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٧٩-
٧٥٣	.....	سُورَةُ عَبَسَ	٨٠-
٧٥٥	.....	سُورَةُ الْبَاكِرِ	٨١-
٧٥٧	.....	سُورَةُ الْاِنطِقٰنِ	٨٢-

٧٥٩	.....	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ	٨٣-
٧٦٢	.....	سُورَةُ الْأَشْعَقَلِ	٨٤-
٧٦٤	.....	سُورَةُ الْبُرُوجِ	٨٥-
٧٦٥	.....	سُورَةُ الطَّارِقِ	٨٦-
٧٦٦	.....	سُورَةُ الْأَعْلَى	٨٧-
٧٦٨	.....	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٨٨-
٧٧٠	.....	سُورَةُ الْفَجْرِ	٨٩-
٧٧٢	.....	سُورَةُ الْبَلَدِ	٩٠-
٧٧٤	.....	سُورَةُ الْيُسُوفِ	٩١-
٧٧٦	.....	سُورَةُ اللَّيْلِ	٩٢-
٧٧٨	.....	سُورَةُ الضُّحَى	٩٣-
٧٧٩	.....	سُورَةُ الشَّرْحِ	٩٤-
٧٨٠	.....	سُورَةُ التِّينِ	٩٥-
٧٨١	.....	سُورَةُ الْعَلَقِ	٩٦-
٧٨٣	.....	سُورَةُ الْقَمَارِ	٩٧-
٧٨٤	.....	سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ	٩٨-
٧٨٥	.....	سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ	٩٩-
٧٨٦	.....	سُورَةُ الْعَادَاتِ	١٠٠-
٧٨٧	.....	سُورَةُ الْقَمَارِ	١٠١-
٧٨٨	.....	سُورَةُ الْحَاقِقِ	١٠٢-
٧٨٨	.....	سُورَةُ الْعَجْرِ	١٠٣-
٧٨٩	.....	سُورَةُ الْهَجَرَةِ	١٠٤-
٧٩٠	.....	سُورَةُ الْقَمَارِ	١٠٥-
٧٩٠	.....	سُورَةُ الْفَجْرِ	١٠٦-
٧٩١	.....	سُورَةُ الْمَاعُونِ	١٠٧-
٧٩٢	.....	سُورَةُ الْبَكْرَةِ	١٠٨-
٧٩٣	.....	سُورَةُ الْكَافُرَاتِ	١٠٩-
٧٩٣	.....	سُورَةُ الْحَجَرِ	١١٠-
٧٩٤	.....	سُورَةُ الْبَيْتَةِ	١١١-
٧٩٤	.....	سُورَةُ الْأَخْلَاقِ	١١٢-
٧٩٥	.....	سُورَةُ الْعَلَقِ	١١٣-
٧٩٥	.....	سُورَةُ التَّائِبِينَ	١١٤-